



عمان

في التاريخ



Bibliotheca Alexandrina



0130498



أسماء الباحثين لندوة عمان في التاريخ سبتمبر ١٩٩٤ م
 د / إبراهيم الزين صفرون: أد / أحمد شلبي: د / أمال
 محمد خليل: د / أمل الزباني: أد / جاد محمد طه: أد /
 جورجيس زاريس: أد / خالد العري: د / خليل شاكر
 حسن: أد / وأفت غنيمي الشيخ: د / رضا جواد
 الهاشمي: د / رمزية محمد الأطرقجي: أد / زبيدة عطا: د
 سحر السيد عبدالعزيز: د / سعاد بن سعيد الحميدي: د
 المهندس / سعيد بن محمد الصقلاوي: د / سمير
 محمد طه: د / سنى محمد الطائي: د / السيد عبدالعزيز
 سالم: د / سيده اسماعيل الكاشف: د / شاكر محمود
 عبدالمعنى: د / صالح محمد العابد: د / صباح إبراهيم
 الشعللي: د / طارق نافع الحمداني: د / عبدالامير محمد
 امين: د / عبدالحميد المواقى: الفاضل / عبدالله بن ناصر
 الحارثي: د / عبدالله محمد عبدالرحمن: د / عبداللطيف
 الرميحي: أد / عبدالفتاح حسن ابو عليه: د / عبدالقادر
 حمود القحطاني: د / عبدالمنعم عبدالحميد سلطان: أد /
 عبدالنعم محمد حسنين: أد / علي منصور نصر: د /
 غازي رجب محمد: د / فرحات علي الجعيري: د / فؤاد
 شهاب: د / فوزي رشيد: د / لطفي جعفر فرج: د /
 محمد باقر الحسيني: د / محمد حرب فرزات: د / محمد
 رمزي: د / محمد سعيد شكرى: د / محمد صابر عرب:
 أد / محمد محمود السروجي: أد / محمد علي الداود: أد /
 مصطفى الشكعة: د / مصطفى عبدالقادر النجار: د /
 مصطفى عتيل: د / منير يوسف طه: د / ناهض
 عبدالرزاق دقتر: الاستاذ / يوسف الشاروني: أد /
 يوسف حسن غوانه: أد / يوسف نعييه.

أسماء المشاركين في الندوة:

الفاضل / احمد جلال تدمري: أد / احمد عبدالرحيم
 مصطفى: أد / احمد عبدالرزاق: أد / أسامة ناصر
 النقشبندى: الاستاذ / اسماعيل الحاج عبدالجليل:
 الفاضل / أمه راشد الحمدان: أد / امين قزاق سيد: د /
 التيجاني بن حمادي بوريفة: د / خالد الخليفة: أد /
 رجب عبدالجليل: د / سمير صيقل: أد / سيد احمد علي
 الناصري: د / شربين عبدالنعم محمد حسنين: أد /
 صالح علي باصره: أد / عبدالرحمن راشد الشمالان: أد /
 عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم: د / عبدالعزيز بن
 صالح الهلالي: أد / عبدالكريم كريم: أد / ليلى ابراهيم
 احمد: أد / محمد حسنين ربيع: أد / محمد جاسم
 حمادي المشهداني: أد / محمد عميره: أد / محمد المختار
 ابن احمدو: د / محمد مرسي عبدالله: د / مفيد العابد: أد /
 ناصر العولقي: أد / نيقولا زياده: أد / يوسف فضل
 حسن: أد / يوسف محمد عبدالله: أد / يونان لبيب رزق:
 اللجنة الرئيسية المشرفة على اعداد كتاب «عمان في التاريخ»:
 - معالي / عبدالعزيز بن محمد الرواس: سعادة /
 حمد بن محمد الراشدي: سعادة الشيخ / يحيى
 ابن عبدالله النبهاني: الشيخ / احمد بن سعود
 السبياسي: الشيخ / سيف بن سعود القحطاني:
 الشيخ / محمود بن زاهر الهنائي: سعادة
 الشيخ / احمد بن عبيد الكعبي: الفاضل / محمد بن
 سعيد الوهيسي: الفاضل / سيف بن حمد
 المسكوي: الفاضل / خليل بن حمدان طيش:
 الشيخ / مهنا بن خلفان الخروصي: سعادة
 الشيخ / سالم بن محمد العري: الفاضل / عبدالله بن
 ناصر الرحبي.

عُمان

في التاريخ

عُمان

في التاريخ

عُمان في التاريخ - دار اميل للنشر المحدودة.

حق تأليف ونشر الكتاب - ١٩٩٥ وزارة الاعلام ، سلطنة عُمان ودار اميل للنشر المحدودة - لندن.

حق تصميم الكتاب - ١٩٩٥ وزارة الاعلام ، سلطنة عُمان ودار اميل للنشر المحدودة - لندن.

مالم يذكر غير ذلك ، فإن الصور والرسومات محفوظة حقوق نشرها لوزارة الاعلام ، سلطنة عُمان.

جميع الحقوق محفوظة ، وبدون الاذن المسبق من المؤلف والناشر فإنه لا يجوز أن يخضع أي جزء من هذا الكتاب لاعادة الانتاج أو التخزين للاسترجاع أو البث بأي شكل أو وسيلة سواء أكانت الكترونية ، ميكانيكية أو عن طريق النسخ أو التسجيل أو غيرها.

الفهرسة في بيانات النشر.

يمكن الحصول على تسجيل فهرس لهذا الكتاب لدى المكتبة البريطانية

. ISBN ١٨٩٨١٦٢ ١١٥

دار أميل للنشر

٢٠ شارع بركلي ، ميدان بركلي ، لندن دبليو ١ اكس ٥ ايه أي .

هاتف : ٠١٧١ ٤٩١١٧٩٩ — فاكس : ٠١٧١ ٤٩٣٥٥٢٤ .

المحتويات

٨	التقديم
١١	المقدمة
١٣	الباب الأول
١٥	موقع عمان
٢٦	سكان عمان واقتصادياتها
٤٢	مكونات الجغرافيا السياسية لعمان وأثرها في العصر الحديث.
٦٧	الباب الثاني
٦٩	عمان في فجر العصور التاريخية
٨١	المجتمع العماني في العصور القديمة
٩٢	صورة من الحضارة العمانية في العصور التاريخية القديمة
١٠٥	الباب الثالث
١٠٧	عمان من ظهور الاسلام الى نهاية الدولة الاموية
١٢٨	آل المهلب العمانيون ودورهم السياسي والحربي حتى نهاية الدولة الاموية
١٤٧	العمانيون ودورهم في أحداث ثغر الهند
١٥٢	عمان والدولة العباسية
١٦٥	عمان في عهد بني نيهان
١٧٩	الصلات التجارية بين عمان وشرق افريقيا في العصر الوسيط
٢٠٦	الباب الرابع
٢٠٨	الأباضية
٢٣٢	الحركة الثقافية والعلمية في عمان منذ ظهور الاسلام
٢٥٩	العمارة والتحصينات العمانية
٢٩١	العواصم السياسية العمانية
٣٠٣	الملاحه والملاحون العمانيون
٣٢٨	الأسطول العماني ودوره في تاريخ عمان
٣٣٨	صناعة السفن في عمان
٣٧٠	الباب الخامس
٣٧٢	قيام دولة اليعاربة وجهود ناصر بن مرشد في توحيد البلاد
٣٩٧	التفوق البحري العُماني وأثره على العلاقات الخارجية في عصر اليعاربة
٤٢٢	أحمد بن سعيد وقيام دولة البوسعيد
٤٨٥	المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقيا في ظل الدولة البوسعيدية
٥٠٧	الملاحه والتجارة خلال القرن الاول من حكم دولة البوسعيد
٥٢٣	التنظيم الاداري في الدولة البوسعيدية
٥٤٧	الفهرس
٥٥٧	الملحق
	- أسماء الباحثين والمشاركين في ندوة عمان في التاريخ من ٢٤ - ٢٧ / ٩ / ١٩٩٤ م
	- اللجنة الرئيسية المشرفة على اعداد كتاب عمان في التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنا أنزلناه قرآنًا عربياً لعلكم تعقلون، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾.

عمان في التاريخ.. خلاصة جهد توثيقي تاريخي لأحداث تواترت وقائعها في جغرافية عمان على مر العصور نرفعها باقة ورد معطرة بالعرفان بالنيابة عن الشعب العماني للمقام السامي لحضرة صاحب الجلالة السلطان المعظم قابوس بن سعيد بن تيمور «سلطان عمان» «حفظه الله» وقائد نهضتها المباركة ومسيرة الخير فيها.

هذه المسيرة التي نقلت عمان من عصور التخلف والجهل والمرض الى أعتاب القرن الواحد والعشرين.

لقد كان وعدكم يا صاحب الجلالة أن تقيموا الدولة العصرية على أرض عمان الحبيبة. وأن هذا العمل التاريخي الكبير ما هو الا لبنة في تشييد هذا الصرح الشامخ الذي تجسد في :

١ - المحافظة على الهوية العمانية العريقة بانتمائها العربي الاصيل وایمانها العميق برسالة الاسلام السمحاء.

٢ - ترسيخ الوحدة الوطنية بين أبناء عمان على أرضية المساواة في الحقوق والواجبات ومبدأ تكافؤ الفرص، وسياج (الله، الوطن، السلطان).

٣ - إزالة أسوار العزلة التي عاشت وراءها عمان لتصافح الجميع بيد تغترف من إباء الأجداد، وعزيمة تستمد صلابتها من الايمان بالله، ومن عراقة التاريخ وضراوته.

وفي عهد جلالكم رفعت عمان شرايعها في العلاقات الدولية لتجسد مبادئ التعايش السلمي في إطار :

١ - عدم التدخل في شؤون الغير وعدم قبول التدخل في شؤونها من أحد.

٢ - سياسة حسن الجوار.

٣ - الاحترام المتبادل للسيادة الوطنية.

٤ - تبادل المصالح.

ان كتاب «**عمان في التاريخ**» جاء ثمرة جهد وتجارب مع تطلع شعب واعتزازه بماضيه العريق.

لم نحاول في هذا الكتاب ان ننشئ تاريخاً، فالتاريخ العماني منقوش بدماء الشهداء على مر العصور، مجسد بعزائم الأجيال وتضحياتهم في رواسي الجبال وشوامخ القلاع ولكننا اخترنا المنهج العلمي طريقاً والقلم العربي فكراً لتسجيل ملامح هذا السفر الخالد.

ولم نتجه الى تجميع الشذرات ولكن البحث المتواصل والتقصي الدقيق على يد علماء أجلاء واساتذة أفاضل حملوا أمانتهم التاريخية في اتحاد المؤرخين

العرب واشقائهم في بعض الاقطار العربية أسهموا في هذا الجهد الكبير عرفانا منهم لأبناء المهلب بن أبي صفرة وقبله مالك بن فهم وبعدهم من أشاوس الرجال الذين ما رأوا - كما يروى تاريخهم - خيراً إلا نصره ولا شراً إلا ردوه، فلهم من أبناء عمان كل الوفاء والامتنان.

وأود أن اشكر كل الجهات الحكومية والأهلية على جهدها وتعاونها، وجامعة السلطان قابوس على احتضانها الندوة الكبيرة «عمان في التاريخ» والتي شارك فيها عدد كبير من العلماء المختصين بالتاريخ العماني من معظم الاقطار العربية والاسلامية وبعض الدول ذات الصلة بالتاريخ العماني.

وأخيراً وليس آخراً أود أن اسجل شكري للجنة المشرفة على إعداد هذا الكتاب وتطوير مراحل إخراجها، فلولا جهدهم ومثابرتهم لما تفادينا العديد من التكرار والثغرات.. ولا بد لي في هذا المقام إلا أن اسجل تقديري الشخصي لصاحب السمو السيد / فيصل بن علي بن فيصل آل سعيد - وزير التراث القومي والثقافة - على رعايته حفل افتتاح ندوة «عمان في التاريخ» وكان لذلك الاثر الخاص في تقدير المشاركين وتكرمهم.

والله من وراء القصد وهو الهادي الى سواء السبيل.

عبدالعزیز بن محمد الرواس

وزير الاعلام

رئيس لجنة الاشراف على اعداد

كتاب عمان في التاريخ



المقدمة

ظهرت الحاجة في الآونة الأخيرة الى اصدار كتاب يتناول تاريخ عمان في شيء من التفصيل، ويحكي هذا التاريخ على مدى العصور التاريخية المتعاقبة، ويضم الحضارة بجانب التاريخ، لأنه لا يوجد في الواقع حتى الآن كتاب يتناول هذه الأمور كلها، وحتى اذا تناولها أو تناول بعضها فإنه يوجزها ايجازا لا يشفي غلة الظمان الى التعرف على عمان تاريخا وحضارة، أو يأتي بسرد لتاريخ عمان حسب النسق والمنهج القديم الذي أصبح لايساير مناهج البحث التاريخية الحديثة، وفي الأحوال كلها فان حضارة عمان لم تنل حظها الكافي من البحث والدراسة حتى الآن.

ولذلك فقد وفقت وزارة الاعلام كل التوفيق حينما استفادت من عدد لا بأس به من الأبحاث والدراسات التي تلقتها من عدد من الباحثين والمؤرخين العرب في اصدار هذا الكتاب.. فكانت لجنة من المهتمين بالدراسات التاريخية قامت بمناقشة هذه الأبحاث وراجعتها مراجعة دقيقة، ثم تم الاستخلاص النهائي لهذا الكتاب من هذه الأبحاث بعد أن عرضت ونوقشت في ندوة علمية عقدت خصيصا بجامعة السلطان قابوس في شهر ربيع الاخر ١٤١٥هـ/ سبتمبر ١٩٩٤م وعلى مدى اربعة ايام متتالية وبمشاركة نخبة من المؤرخين العرب يمثلون شتى الجامعات العربية بالاضافة الى اساتذة وطلبة الجامعة.

وفي الحقيقة فقد كانت الأبحاث المقدمة تتناول موضوعات مختلفة ومتفاوتة، وبعضها يتناول أشياء تتكرر في بحث آخر، وهذا أمر طبيعي، وكان من الضروري أن تنقى هذه الأبحاث مما فيها من تكرار، ويتم الربط بينها، أو بين الفقرات أو المعلومات التي تستخلص من بحث لتضم الى بحث آخر، ليكتمل الموضوع الذي نتناوله بالعرض اكمالا مفيدا وشاملا، وحتى يأتي الكلام في سلسلة متصلة الحلقات، وحتى لا تكون الأفكار والحقائق وكأنها جزر منفصلة أو شظايا لا يمكن تجميعها أو السيطرة عليها، وكان ذلك من أصعب الأمور بالنسبة لعملية الاستخلاص والربط والتنقيح والتصحيح.

ويجب الإشارة أيضا الى أن طبيعة استخراج أو استخلاص هذا الكتاب من أبحاث عديدة، واستخلاص الفصل الواحد بل وربما النقطة الواحدة أو الموضوع الواحد من أكثر من بحث، ربما يؤدي الى شيء من التكرار ان لم يكن في الأسلوب فربما يكون في المعنى أو الحقائق التاريخية التي يوردها باحث للتدليل على شيء معين، ثم يوظفها باحث ثان للتدليل على شيء آخر، ومن ثم

يظن القاريء أن هناك شيئاً من التكرار، وهو تكرار قد تلافيناه جهد الطاقة، ولم يبق منه إلا اليسير والناذر الذي لا يسيء إلى الكتاب، وإنما قد يلفت نظر القاريء المتفحص.

كما أن طبيعة استخلاص هذا الكتاب من بحوث عديدة والحفاظ في نفس الوقت على النص كما هو في حدود تحقيقه للهدف الذي رسم من أجله هذا الكتاب، لا بد وأن يؤدي إلى نتيجة أخرى هي تباين الأسلوب واختلاف العرض، فهناك فصول ترى فيها سهولة الأسلوب وتدفق العبارات، وأخرى لا ترى فيها ذلك بنفس القدر. وقد عولجت هذه العقبة حتى يأتي الكتاب وكأنه من تأليف شخص واحد، وحتى لا يشعر القاريء كثيراً بهذا التفاوت في الأسلوب أو العبارات، وفي نفس الوقت لا يمكن أن ندعي بأن المعالجة كانت كاملة تماماً في هذا المضمار، نظراً لطبيعة الكتاب والنشأة التي ولد عليها.

ومع ذلك فقد تم الاحتفاظ للباحثين بأسلوبهم ونص عباراتهم، إن لم تكن هناك حاجة لتعديل بعضها، أو إضافة جمل وأحياناً فقرات، وخاصة أثناء ربط الفقرات أو الفصول ببعضها حتى يتضح المعنى ويستقيم الأسلوب، ولكن هذه الإضافات جاءت في أضيق نطاق، وحسبما ظهرت الحاجة إليها.

وعلى أية حال فقد بذل القائمون على أمر هذا الكتاب جهداً مضنياً في سبيل تذليل العقبات والصعوبات التي قامت عند استخلاص هذا الكتاب، بل وفي مراجعة مادة الكتاب كلمة كلمة، والتوجيه بشأن بعض المعلومات، والتنبيه بإضافة بعض المواد حتى يظهر الكتاب في صورة لائقة، ومن ثم جاء هذا الكتاب على هذا النحو الممتاز. فإذا كان هناك توفيق فما التوفيق إلا من الله سبحانه وتعالى، لا نطلب العون إلا منه، فهو نعم المولى ونعم المعين.

لجنة الإشراف على كتاب

«عمان في التاريخ»

الباب الأول

جغرافيا عُمان

الفصل الأول : موقع عمان

الفصل الثاني : سكان عمان واقتصادياتها

الفصل الثالث : مكونات الجغرافيا السياسية لعمان واثرها في العصر الحديث

البحوث المقدمة والمستخلص منها هذا الباب

- عمان في كتب الجغرافيين العرب، للأستاذ الدكتور يوسف غوانمة، عميد كلية الآداب جامعة اليرموك بالأردن.

- طبيعة العلاقة بين عمان والسلطة المركزية للدولة الإسلامية في القرن الأول الهجري للأستاذ الدكتور خليل شاكر حسين، اتحاد المؤرخين العرب ببغداد.

- عمان كما وردت في كتابات الرحالة في العصور الوسطى، للاستاذة الدكتورة زبيدة عطا، جامعة المنيا بجمهورية مصر العربية.

- العُمانيون ودورهم في أحداث ثغر الهند في القرنين الأول والثاني الهجريين، للدكتور سعد بن سعيد الحميدي، الأستاذ المساعد بكلية اللغة والعلوم الاجتماعية فرع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية بالجنوب - مدينة أبها - المملكة العربية السعودية.

- عمان وتجارها مع الشرق الأقصى وشرق افريقيا في العصر الاسلامي، للدكتورة سحر السيد عبدالعزيز سالم، جامعة الاسكندرية.

- دراسة في مكونات الجغرافيا السياسية لسلطنة عمان، للدكتور محمد رمزي، جامعة دمشق.

- البحث التاريخي والاثري في محافظة ظفار، سلطنة عمان، اعداد البروفسور يوريس زارينز، جامعة ولاية ساوث وست ميسوري، الولايات المتحدة الامريكية.

الفصل الأول موقع عُمان

أهمية موقع عمان عبر التاريخ :

تقع عمان في أقصى جنوب شرقي الجزيرة العربية، وحدودها الجغرافية تاريخيا واضحة من الوجهة الطبيعية، فاطرافها الشمالية تمتد الى مسندم على ساحل مضيق هرمز، وتتداخل اراضيها مع رمال الربع الخالي من الغرب والجنوب الغربي، ويفصلها عن البحرين وقطر رمال بينونة، وعن حضرموت رمال الاحقاف المتصلة بالربع الخالي^(١) وقد ادى هذا الموقع الى ان اصبحت لعمان شخصيتها الجغرافية الخاصة، واصبح اتصالها بالبحر من سماتها الواضحة، وتميز ساحلها الذي يطل على هذا البحر بكثرة الخلجان الطويلة العميقة ذات الجوانب الصخرية العالية الشديدة الانحدار، اما داخل عمان فمعظمه هضبة مرتفعة، متوسط ارتفاعها نحو ١٥٠٠ متر ولها سلسلة فقرية هي الجبل الاخضر الواقع الى الجنوب الغربي من مسقط، والذي ترتفع قممه الى نحو ثلاثة الاف متر. وتكثر في الهضبة الاودية السحيقة ذات الجوانب الشديدة الانحدار، ويتجه بعض هذه الاودية الى خليج عمان وبحر العرب، واهمها وادي سمائل الذي يصب قرب مدينة مسقط، وهو من اعظم الاودية خصبا، وينتهي البعض الآخر الى صحراء الربع الخالي. ويوجد بها سهل ساحلي يترف على خليج عمان يسمى سهل الباطنة، تنساب اليه المياه من الهضبة، وتقوم به زراعة انواع من الحبوب والفواكه بالاضافة الى اشجار النخيل، كما يوجد بها سهل ساحلي يطل على البحر العربي يسمى جريبب تغذيه مياه الآبار والافلاج ويزرع فيه بعض اشجار النارجيل والموز والعديد من الفواكه والخضروات، وفي غربي هذه الهضبة توجد واحات عديدة، من اشهرها واحه البريمي.

وهكذا تتنوع الاقاليم الجغرافية في عمان تنوعا مفيدا، فمن سهول ساحلية الى جبال بها سفوح يسكنها الانسان منذ اقدم العصور، الى اودية تنحدر من هذه الجبال كانت ايضا مستقرا للانسان العماني القديم، الى صحارى كانت متنفسا للقبائل الضاربة في الصحراء. وهذه الاقاليم الجغرافية المتنوعة تنتظمها مساحة كبيرة من الارض تقدر في الوقت الحالي بـ ٢١٢ الف كيلومتر مربع، بيد ان عمان الحالية لا تمثل بلاد عمان في السابق، حيث انها كانت تشمل بعض الاقاليم المجاورة لها من الاقطار العربية المتاخمة^(٢)، وكانت مساحتها في القرن الاول الهجري تمتد جنوبا حتى الشحر وغربا حتى الربع الخالي، وتتصل بالبحر من الجهات الشرقية والجنوبية الشرقية والشمالية الشرقية كما انها تتصل بالبحرين من جهة الشمال^(٣).

واذا كانت الجغرافيا الطبيعية لعمان تميزها على هذا النحو عن سائر أنحاء الجزيرة العربية، فان موقعها الجغرافي أيضا له أهمية كبرى، ذلك لأنه لعب دورا هاما في قوة البلاد الذاتية^(٤)، فلم يكن مجرد عامل جغرافي فحسب وانما هو راسمال طبيعي وسياسي ومورد أصيل من موارد الثروة القومية، كما أنه يمثل شبكة من العلاقات والوضعيات الاقليمية التي تؤثر في المحيط الاقليمي والقومي، لاسيما وأن

عمان تتمتع بموقع بحري هام، إذ تمتد سواحلها الى أكثر من ١٧٠٠ كم^(٥)، وتطل كما هو معروف على خليج عمان ثم البحر العربي الذي يتصل بالمحيط الهندي. كما تتحكم عمان في مضيق هرمز من الناحية الجنوبية، وهو المضيق أو الممر المائي الوحيد الذي يصل الخليج العربي بالبحر العربي والمحيط الهندي.

وقد أدى هذا الموقع الممتاز لعمان الى نتيجة هامة، ألا وهي تفوقها البحري، خاصة اذا ما علمنا أن الاتصال البري بينها وبين المناطق المجاورة لها كان صعبا، فقد كان بين البحرين وعمان على سبيل المثال برية ممتعة^(٦)، بالإضافة الى كثرة القفار، وقلة السكان، فكان على العمانيين أن يسلكوا الطريق البحري، فنبغوا في ركوبه والاستفادة منه، حتى أصبحت بلادهم تلعب دورا أساسيا في تجارة الخليج العربي والمحيط الهندي بعد أن أصبحت قاعدة الخليج الاولى التي تتحكم في مدخله من الجهة الجنوبية، وحلقة الوصل الرئيسية بين عالمين، عالم الشرق الاقصى ممثلا في الهند والصين وجنوب شرق آسيا من جهة، وشرق أفريقيا ومصر، ومنها الى الغرب الاوروبي من جهة أخرى.

وهذا الخليج الذي تتحكم عمان في مدخله من الجهة الجنوبية كما سبق القول لا يعد شعبه من بحر الهند أو المحيط الهندي، وإنما هو بحر مستقل عنهما، ويشتمل على ثلاثة بحار هي بحر فارس وبحر البحرين وبحر عمان، وكلها بحر واحد، تطل بلاد فارس على ساحله الشرقي، وبلاد العرب على ساحله الغربي، وتتصل مياه هذا الخليج بالمحيط الهندي المؤدي الى الشرق الاقصى من جهة وإلى بحر العرب فالخليج البربري (نسبة الى بربرة الصومالية) الذي ينتهي ببلاد سفاله في (موزمبيق) ويتفرع منه بحر القلزم (السويس) من جهة ثانية^(٧).

وإذا كان لموقع عمان كل هذه الأهمية، فإن ذلك لابد أن ينعكس على سير الاحداث التاريخية، ولابد أن يؤثر في تحديد موقعها السياسي، وبما يتصل بها جغرافيا من البلدان، بكونها تمثل جزءا من بلاد العرب لوقوعها في الزاوية الجنوبية الشرقية من جزيرة العرب^(٨).

وتأسيسا على ذلك، فقد كان ما يحدث في مركز الدولة العربية الاسلامية ينعكس على عمان وعلى بقية الاقاليم العربية الاخرى، كما كان أمن عمان ومصالحها يتصل بأمن ومصالح الدولة العربية الاسلامية ويستفاد من ذلك، أن موقع عمان كان أداة ربط وتفاعل بدولة الاسلام ولذلك كتب عنها كثير من الجغرافيين والرحالة، وخاصة في العصور الاسلامية.

عمان في كتابات الجغرافيين العرب :

ذكر الجغرافيون العرب عمان في مؤلفاتهم، وركزوا على أهميتها الملاحية والتجارية وعلاقتها بالصين والهند والسواحل الشرقية الافريقية، وبعض جزر المحيط الهندي، بالإضافة الى اشجارها وزراعتها، وأعطونا وصفا لمدنها وقراها ودونوا مشاهداتهم هم انفسهم أو تلك التي سمعوها أو نقلوها عن غيرهم، وقد تضمنت هذه المواد معلومات قيمة عن بلاد عمان.

فالتاجر سليمان (ت ٢٣٧هـ / ٨٥١م)^(٩)، يتحدث في كتابه (سلسلة التواريخ» عن حركة السفن والمراكب التجارية المنطلقة من (سيراف)^(١٠)، ومنطقة عمان باتجاه

الهند والصين فيقول: ان اكثر السفن التجارية الصينية تحمل من سيراuf وان المتاع يحمل من البصرة وعُمان وغيرها الى سيراuf، فبعباً في السفن الصينية هناك، ثم تقلع السفن الى (مسقط) وهو آخر عمل عُمان، والمسافة من سيراuf الى مسقط نحو ٢٠٠ فرسخ... وفي هذا البحر جبال عُمان، حيث يوجد فيها الموضع الذي يسمى (الردور) وهو مضيق بين جبلين، تسلكه السفن الصغار، ولا تسلكه السفن الصينية... وفيها ايضا الجبلان اللذان يقال لهما: (كسير وعوير)، ولا يظهر منهما فوق الماء الا الجزء اليسير، فاذا جاوزت السفن الجبال تصل الى (صحار)... وفي العادة فان السفن ترسو في (مسقط) حيث تتزود بالمياه العذبة، ثم تقلع السفن الى بلاد الهند، وتمر في طريقها الى (كوكم ملي)^(١١)، وتقطع السفن تلك المسافة في مدة شهر ان كانت الريح معتدلة، وكانت سفن الصين تنقل الحرير الى بلاد العرب.

ويذكر أبويزيد الحسن السيراufي في كتابه (أخبار الصين والهند) ان بلاد عُمان كانت تشتهر بالربابنة والادلاء لتزويد المراكب الصينية والهندية والعربية بهم^(١٢)... اما عن علاقات عُمان بجزر الشرق الأقصى فيقول بأن في جزيرة «كلا»^(١٣)، مجمع الامتعة من الاعواد والكافور والصندل والعاج والرصاص، والابنوس، والبقم^(١٤)، والأفاويه^(١٥) كلها، وتنقل هذه السلع من هذه الجزيرة الى عُمان بالاضافة الى ان المراكب تجهز بصنوف السلع العربية في طريقها الى الهند^(١٦).

ويتحدث ابن خرداذبة (ت ٢٧٢هـ / ٨٨٥م) في كتابه «المسالك والممالك»، عن بلاد عُمان، فيذكر ان خراجها يبلغ ٣٠٠ الف دينار سنوياً، ثم يوضح أهمية موقعها في التجارة الدولية انذاك، حيث كان التجار يقصدونها في طريقهم من (الابلة)^(١٧) في جنوب العراق الى الهند والسند والصين... اما السلع التي كانوا يجلبونها من بلدان الشرق الأقصى فكانت: المسك والعود والكافور والدار صيني وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي... ثم يعودون في طريقهم الى أوروبا عبر البحر الاحمر وخليج القلزم ومصر، وانشاء عودة هؤلاء التجار كانوا يجلبون معهم الخدم والجواري والغلمان والديباuf والجلود والخز والغراء والسمور والسيوف^(١٨).

أما الهمداني (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م) فيذكر في كتابه (صفة جزيرة العرب) بأن اليمن تقع في جنوبي الجزيرة، وفي شماليها تقع الشام، وغربيها تقع شرم ايلة وماطردته من السواحل الى القلزم وفسطاط مصر، وشرقيها تقع بلاد عُمان والبحرين وكاظمة والبصرة، وفي وسطها تقع الحجاز وارض نجد والعروض^(١٩)... وعند حديثه عن البحر المحيط ببلاد عُمان والمتصل ببلاد الحجاز يقول بأن هذا البحر يحيط ببلاد اليمن الى ارض الزنج والحبش^(٢٠)... اما كورة ارض عُمان فهي صحار، واما قراها فاكثُر مجامعها مورد من اوديتها^(٢١)، واما الذين سكنوا عُمان من الازد فهم: يحمذ، وحدان، ومالك، والحارث، وعتيك، وجديد^(٢٢).

ويذكر الاصطخري (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م) في كتابه (مسالك الممالك) ان ديار العرب لا يتركهم في سكنها احد غيرهم، ويحيط بها فارس (الخليج العربي)، الذي يمتد من عبادان، التي يصب عندها ماء دجلة والفرات في البحر الى البحرين، وينتهي في عُمان ثم ينعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن حتى ينتهي على سواحل اليمن الى جدة، ثم يمتد على طول الحجاز حتى ينتهي في ايلة (العقبة الحالية)^(٢٣).. ويعطينا الاصطخري وصفا جيدا لعُمان فهو يقول: عُمان مستقلة بأهلها كثيرة النخيل والفاوكه كالمرز والرمان والنبق وغيره اما قسبة بلاد عُمان فهي صحار وتقع

على البحر وبها متاجر البحر وتقصدها المراكب، وهي اعمر مدينة بعمان واكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على ساحل البحر بجميع بلاد الاسلام مدينة اكثر عمارة ومالا من صحار^(٢٤)... بالإضافة الى ان بلاد عمان تحتوي على مدن كثيرة، أما مساحتها فتبلغ ٣٠٠ فرسخ^(٢٥)، والمسافة بين عمان والبحرين مسيرة شهر واحد، ومنها الى ارض مهرة نحو شهر كذلك^(٢٦).

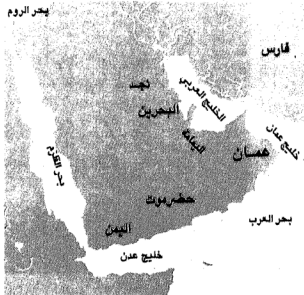
ويذكر برزك بن شهریار (توفي قرب منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) في كتابه (عجائب الهند بره وبحره وجزايره) ان اهل عمان اشتهروا بالملاحة وكان منهم الربابنة نذكر منهم: يزيد العماني ناخوذة الزنج.. ويحدثنا هذا الربان بأنه قد شاهد في بلاد الزنج جبلين عظيمين بينهما واد وفيه آثار النار، فسأل عنه فقيل له: ان هذا الوادي تجري فيه النار في وقت من السنة وتأتي على كل ما فيه من نبات وحيوان وانسان، ولا شك ان هذه النار هي مانسميه الان بالبراكين^(٢٧).

اما ابن الفقيه الهمداني (ت ٣٦٥هـ / ٩٧٥م) فيقول في (كتاب البلدان) بأن ارض عمان هي صفوة الارض من الارضين وهي بمنزلة الرأس منها^(٢٨)، ويستطرد قائلاً: بأن حشوش الدنيا ثلاثة: عمان والابلة وسيراف^(٢٩)، وانها تشتهر بالسلك، وبالقنى (الرماح) والتخيل، ويعدد من اصناف تمورها المشهورة: الفرض والبليق والخبوت^(٣٠)، ويقول ابن حوقل (٣٨٠هـ / ٩٩٠م) في كتابه (صورة الارض)، بأن ديار العرب يحيط بها بحر فارس (الخليج العربي) من عبادان وهو مصب دجلة في البحر فيمتد الى البحرين حتى ينتهي الى عمان ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن، حتى ينتهي على سواحل اليمن الى جدة، ثم يمتد على الجار ومدين حتى ينتهي الى ايلة^(٣١)، ومن الاماكن التي يذكرها في سواحل عمان رأس الجمجمة^(٣٢)، ومدينة صحار. ويتحدث عن عمان فيذكر بأن عمان ناحية ذات اقاليم مستقلة بأهلها فسحة كثيرة النخيل والفواكه من الموز والرمان ونحو ذلك، وانها بلاد حارة ومع ذلك فيسقط على رؤوس بعض جبالها ثلج خفيف.. اما قصبتها فمدينة صحار الواقعة على البحر، وبصحار من التجار والتجارة مالا يحصى كثرة، وهي اعمر مدينة بعمان واكثرها مالا، ولا يكاد يعرض على شط بحر فارس بجميع بلاد الاسلام مدينة اكثر عمارة ومالا من صحار، ولعمان مدن كثيرة^(٣٣).

اقسام شبه الجزيرة العربية حسب تقسيم العرب في العصور الوسطى

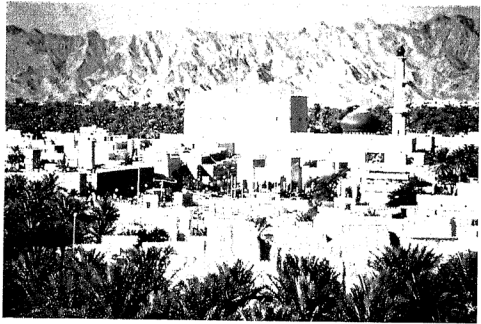
بحر الروم

وقد قسم المقدسي (ت بعد ٣٩٠هـ / ٩٩٩م) في كتابه (احسن التقاسيم) الجزيرة العربية الى اربع كور جليلية واسعة، واربع نواح نفيسة، اما الكور فهي: الحجاز واليمن وعمان وهجر، والنواحي هي الاحقاف والاشحار واليامة وقرح^(٣٤)، ويقول بأن كورة عمان كورة جليلية مساحتها ٨٠ فرسخاً مربعاً^(٣٥)، كلها نخيل وبساتين، ويستقي أهلها من ابار قريبة ينزعها البقر اكثرها في الجبال^(٣٦)... اما قصبة عمان فهي مدينة صحار، ومن مدنها: نزوى السر، ضنك، حفيت، دبا، سلوت، جلفار، سمد، بسيا، منح^(٣٧)... ويتحدث عن مدينة صحار قائلاً: بأنه قصبة عمان، ليس على بحر الصين اليوم (القرن الرابع الهجري) بلد اجل منه، عامر اهل حسن طيب



نزه، ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات... وهي ايسر من زبيد وصنعاء اليمينية، بها اسواق عجيبة وهي بلدة ظريفة ممتدة على البحر، اما دورها فمبنية من الاجر والساج^(٣٨)، وهي ابنية شاهقة نفيسة واهلها في سعة من العيش... وصحار دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق، ومغوة اليمن، ويستقي اهلها من ابار عذبة وقناة حلوة وبها مسجد جميل يقع على البحر في آخر الاسواق، له منارة حسنة طويلة، ومحراب بلولب يدور فتراه مرة اصفر ومرة اخضر وحينما احمر^(٣٩).

ويتحدث المقدسي عن المدن العمانية الاخرى فيقول بأن (نزوى) تقع في الجبال وهي مدينة كبيرة ببناء بيوتها من الطين ويقع الجامع في وسط السوق، ويشرب سكانها من انهار وابار، واذا غلب الوادي في الشتاء دخل الماء الى الجامع^(٤٠) ... اما (السر)^(٤١)، فهي اصغر من مدينة نزوى تلتف حولها اشجار النخيل ويقع جامعها في وسط السوق، ويشرب اهلها من انهار وابار.



منظر لنزوى

وهناك مدينة (ضنك) وبها عدد قليل من اشجار النخيل، واما (حفيت) فهي كثيرة النخيل، وجامعها في وسط اسواقها، وتقع (سلوت) على يسار نزوى اما (دبا) و(جلفار) فهما من نحو بلاد هجر^(٤٢)، وهناك مدن: سمد ويسيا ومنح والقلعة^(٤٣)، وضنك^(٤٤)، وعند حديثه عن (مسقط) يقول بانها اول ما يستقبل المراكب اليمنية، وقد (رايته موضعا حسنا كثير الفواكه)، اما مدينة (توام) فقد غلب عليها قوم من قريش فيهم باس وشدة^(٤٥).

وفي حديثه عن تجارات الجزيرة العربية يذكر ان التجارات فيها مفيدة، لان بها فرضت الدنيا وسوق منى، والبحر المتصل بالصين، وجدة والجار خزانتى مصر، ووادي القرى مطرح الشام والعراق، واليمن معدن العصائب والعقيق والادم والرقيق.. فالى عمان يخرج الات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج والسمنسمس والعاج واللؤلؤ والديباج والجزع واليواقيت والابنوس والنارجيل والقند والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص والخيزران والغضار والصندل والبلور والفلل وغير ذلك. وتزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحشب والخدم

وجلود النمر وبتجارات الصين تضرب الامثال^(٤٦).

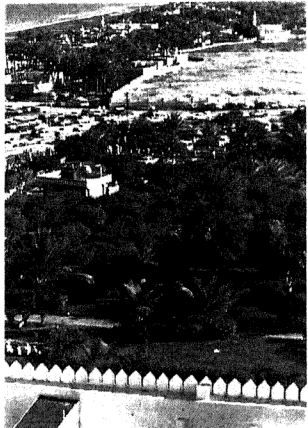
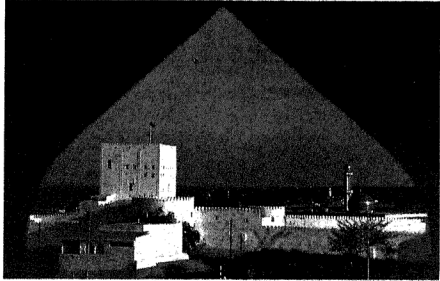
اما مكاييل عمان فكانت في زمن المقدسي: الصاع والمد والمكوك، ولهم بالمرابك صاعان يعطون باحدهما جرايات الملاحين، ويتعاملون بالكبير وارطالهم هو المن المعروف في جميع بلاد الاسلام^(٤٧) ... ويتعامل اهالي عمان بالدينار ويساوي ثلاثين درهما والدراهم المستعملة في عمان تسمى (الطسوة)^(٤٨)، وفي العادة كان الاهالي يدفعون عن كل نخلة يملكونها درهما واحدا للسلطان^(٤٩)، اما خراج عمان فكان يبلغ على رأي قدامة بن جعفر ٣٠٠ الف دينار سنويا، وفي العادة كان يؤخذ من التجار القادمين الى عمان العشر، وحيانا كان للسلطان في عمان الثلث من اموال التجار، وكان التجار يتعرضون في بعض الاحيان الى تفتيش دقيق^(٥٠).

ويقول ناصر خسرو (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٨٨م) في كتابه (سفر نامه) عن عمان فيقول

بانها ولاية فاذا سافر المسافر جنوب الحسا يبلغها، وهي في بلاد العرب، وثلاثة جوانب فيها صحراء لا يمكن اجتيازها.. وهي حارة الجو يكثر فيها الجوز الهندي المسمى نارجيل، والى الجنوب من عمان تقع عدن، والى الشرق منها عبر البحر تقع جزيرتا كيش ومكران^(٥١).

اما ابو عبيد البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م) فيقول في كتابه (جزيرة العرب المأخوذ من كتاب المسالك والممالك) بان (ظفار) منازل العرب العاربة، ودار الملوك العظام من التبابعة والاقبال (الهياطلة)، والعياله، وان بها السيوف والثياب من القصب والسعيدى والوشى والمغمر والحبر، والبرود والاربية العدنية والصنعانية، والعنبر والجزع والعقيق والرقيق والبخت والابل المهرية والخيول العرب، والنضار، وغير ذلك من اصناف الامتعة والتجارات^(٥٢)... ويذكر ان في بلاد عمان مغاوص اللؤلؤ، وكان الغواصون يتقاضون عن كل يوم من قيراط الى نصف درهم.. وفي العادة فهم يغوصون من بكرة النهار الى نصفه، ثم يأخذون في شق الصدف الى آخر ذلك النهار، ولؤلؤ مغاص عمان من النوع الجيد ذو قيمة مرتفعة بحيث ان بعض حبات لؤلؤ عمان كانت تباع بعشرة الاف الى

اعلى: قلعة صحار
اسفل: منظر عام لصحار



خمسة عشر ألف دينار^(٥٣).

وفي حديث البكري عن بلاد عمان يذكر أن فيها سهولا ساحلية وكلما بعدت عن الساحل تجد الحزون والجبال، اما مدنها فيذكر منها مدينة (مسقط) وتقع على ساحل البحر وهي مدينة حصينة، يحيط بها جبل فيه مياه سائحة اجريت الى المدينة، وهي مدينة كثيرة النخيل والبساتين وضروب الفواكه، وطعام اهلها الحنطة والشعير والارز والجاورس^(٥٤)، ومدينة (صحار) وهي مدينة كبيرة على ساحل البحر ومياهها من الابار، ثم مدينة (نزوى) وهي اكبر من صحار، وهناك مدينة (صحم) وماؤها من العيون، وبها نخل كثير، ويزرع فيها قصب السكر^(٥٥).

ويذكر البكري ان خراج عمان ٨٠ الف دينار سنويا، ومنها يمكن للمرء ان يسافر بحرا الى سواحل الجزيرة العربية وافريقيا والصين والهند، وهي ذات تجارات واسعة، وقد بنيت فيها الخانات خدمة للتجار القادمين اليها والمقيمين فيها من البلدان الاخرى، وقيل في الامثال: (من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان)، وبسبب ثراء اهلها فقد اهدى صاحب عمان بعد سنة ٤٢٠هـ الى الكعبة محاريب فضية زنة المحراب ازيد من قطار، وقناديل فضية متقنة الصنع، وقد سميت المحاريب في جوف الكعبة مما يقابل بابها^(٥٦). ويتحدث الادريسي (ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م) عن بلاد عمان في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) فيقول: ويتصل بأرض مهرة بلاد عمان وهي مجاورة لها من جهة الشمال.. وبلاد عمان مستقلة بذاتها عامرة بأهلها، كثيرة النخيل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والتين والعنب ونحو ذلك.. ومن اشهر مدنها مدينتا (صور) و(قلهات) على ساحل البحر، وهما مدينتان صغيرتان لكنهما عامرتان، يشرب اهلها من مياه الآبار، ويصاد بهما اللؤلؤ بكميات قليلة، والمسافة بين صور وقلهات مرحلة، اما في البحر فدون ذلك^(٥٧)... ويوجد على ساحل عمان رأس الجمجمة^(٥٨)، وهو جبل عال على ساحل البحر، يقع جنوب غبة الحشيش، وهناك صعوبات ملاحية في ساحل عمان بسبب وجود جبال وصخور ضخمة مغطاة بالمياه تنكسر عليها عادة بعض المراكب ان اقتربت منها، وتشتهر في منطقة رأس الجمجمة مغايص اللؤلؤ^(٥٩)، ويوجد في مواجهة سواحل عمان جزيرتان هما: جزيرة ابن كاوان طولها ٥٢ ميلا بعرض تسعة اميال، وجزيرة كيش.. ويوجد بالقرب من جزيرة ابن كاوان (الدردور)، وهو موضع يدور فيه الماء كالرحى دورانا دائما، من غير فترة ولا سكون، فاذا سقط اليه مركب او غيره لم يزل يدور حتى يتلف.. وهناك مضيق على مقربة من جبلي كسير وعوير، تسلكه السفن الصغيرة ولا تسلكه السفن الصينية، وهذان الجبلان غائران تحت الماء لا يظهر منهما شيء، وربابنة السفن يعرفون مكانيهما ويتجنبوهما، ويوجد على ساحل عمان فيما بين سيراف ومسقط انف قائم في البحر وبازائه جزيرة صغيرة^(٦٠).

ويتحدث الادريسي عن صناعة السفن في سواحل عمان وبالاخص في مدينتي صحار ومرباط وهو نوع من السفن يستخدمون في صناعتها خشب النارجيل وسعف النخيل وكانوا يربطون تلك الاخشاب بعد صنعها بحبال يصنعونها من ليف النارجيل، كما كانوا يقتلون من خوصه حبالا^(٦١)، ويوجد في عمان دهن مشهور يستخدم في سد خروق تلك المراكب بعد خرزها^(٦٢)، بالإضافة الى سفن اخرى اكبر كانوا يصنعونها من اخشاب محلية او مستوردة، وبذلك المراكب كان العمانيون يركبون المحيط الهندي وبحر العرب فيصلون الى سواحل افريقية والهند والصين

يتقنون البضائع والامتعة المختلفة، ويعودون بسلع تلك البلدان^(١٢٦).

ومن مدن بلاد عمان دما (السيب)، وهي قرية ساحلية ذات كثافة سكانية قليلة شتاء إلا أن الحماية تمنح فيها صيفا بسبب قدوم الغواصين إليها للبحث عن التؤلؤ في سواحلها ففيها مغاص التؤلؤ المشان، وهي مشهورة بجيد التؤلؤ المستخرج منها^(١٢٧).

أما مدينة (صحار) فيذكر الاندلسي أنها من أقدم مدن عمان وأكثرها أموالاً قديماً وحديثاً، ويتوسطها في كل سنة من تجار البلاد ما لا يحصى عددهم، وإلى هذه المدينة يجلب جميع بضائع اليمن، ويجهز منها بأنواع التجارات، أما أهلها فهم في سعة من العيش، ومتاجرهم مريحة... أما زراعتها فتشتهر بكثرة النخيل والفواكه منها: الموز، الرمان والسفرجل وكثير من الثمار العجيبة الطيبة، وكانت المراكب تجر من صحار إلى بلاد الصين، إلا أنها انقطعت فيما بعد بسبب أعمال القرصنة البحرية المنتشرة من بعض الجزر القبلية لسواحل عمان فتمسوت المراكب إلى عدن^(١٢٨)، أما (مسقط) فيذكر أنها مدينة مشهورة على ساحل بلاد عمان والمسافة بينها وبين صحار نحو ٤٥٠ ميلاً^(١٢٩).

وفي مواجهة ساحل عمان الشمالي توجد جزيرة كيش وهي جزيرة سريعة مساحتها ١٢ ميلاً في مثلها وبها حصن جيد بالإضافة إلى زروع وأنعام وأبقار وكروم ثم يتحدث عن شهرتها بمغافيس التؤلؤ^(١٣٠)، ومن مدن عمان الساحلية بالإضافة إلى صحار ودما ومسقط بلدنا (الحلج) و(لقار)، ويوجد في سواحل البلديتين الأخرتين إلى صحار مغافيس التؤلؤ ويقال لها في البحر طرف جبل كبير غائص في البحر يظهر منه التقليل في بعض الأماكن ويغيب في غيرها، لذا يسبب هذا الجبل متاعب للمراكب المحسرة إذا اقتربت منه وربما انكسرت وتحطمت بسببه^(١٣١).



الأرض الشريف
الاندلسي

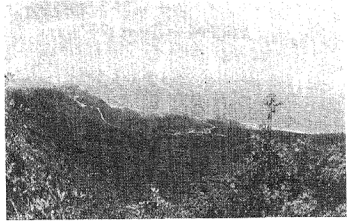
ثم يستطرد في الحديث عن بلاد عمان فيقول بأن مساحتها تبلغ ٩٠٠ ميل^(١٣٢)، وهي حارة صيفا إلا أنه ينزل بابل جبل شمس تلج قليل شتاء... ويوجد بين بلاد عمان وبلاد نجد بارز متصل والطريق منها إلى مكة برا صعبة جداً لكثرة القفار وقلة السكان، ويتصل بآرض عمان من الغرب والشمال أرض اليمامة^(١٣٣).

أما ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) فيقول في كتابه (معجم البلدان): عمان بضم أوله وتخفيف ثانيه وآخره نون، اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند، وعمان في الإقليم الأول طولها ٧٤ درجة و ٣٠ دقيقة، وعرضها ١٩ درجة و ٤٥ دقيقة^(١٣٤)، وتقع شرقي بلاد هجر وتشتمل على بلدان كثيرة وهي ذات نخيل وزروع - ولصبة عمان مدينة صحار وقد قال الرسول (ص): إلى لاعم أرضاً من أرض العرب يقال لها عمان على شاطئ البحر، الحجة منها أفضل أو خير من حجة من غيرها^(١٣٥)، وفي حديثه عن (صحار) يقول يانها قصة عمان مما يلي الجبل^(١٣٦)، ثم يكرر ياقوت ما ذكره المقدسي من قبل عن هذه المدينة وعن أهميتها بالنسبة لعمان وللجارة مع الشرق^(١٣٧).

ثم يتحدث عن زوى فيقول: الزوى هو الوش، وزوى جبل يعمان ليس بالساحل^(١٣٨)، وحوله عدد من القرى الكبار يسمى مجموعها بهذا الاسم. وتشتهر منطقة زوى بالثياب المنقعة بالحديد وهي ثياب جيدة فائقة لا يمل مثلها في بلاد العرب، ويصنعون مازن من صنف تلك الثياب أشباها مرتفعة وبيالغون فيها، وقد رأى الحموي بعضاً منها واستحسنها والظاهر أن هذه الثياب الجميلة والمازن الفاخرة تجلب من بلاد عمان إلى البلدان الأخرى^(١٣٩).

ويذكر ياقوت الحموي بأن (مسقط) بالفتح ويسكون السين وفتح الفاء تطلق

على عدة اماكن منها: (مسقط الرمل) في طريق البصرة ومسقط مدينة من نواحي عمان على ساحل البحر، ومسقط ايضا رستاق بساحل بحر الخزر دون باب الابواب (٧٧) ... ومن مدن عمان مدينة (قلهات) وتقع على ساحل البحر واليها ترفأ سفن الهند وهي مدينة ليست بالقديمة في العمارة ويرى ياقوت انها تمصرت بعد الـ ٥٠٠ هـ وهي من اشهر مدن عمان واحسنها عامرة اهله بالسكان فرضة بلاد عمان على المحيط الهندي وبحر العرب (٧٨).



الطبيعة الخلابة في ظفار

وهناك مدينة (جلفار) بالضم ثم الفتح والتشديد وفاء وآخره راء، بلد بعمان عامر كثير الغنم والجبن والسمن يجلب منها الى ما يجاورها من البلدان (٧٩)، ومن قراها كلبا او كلبة وهي موضع من نواحي عمان على ساحل البحر (٨٠)، ثم خور فكان بليدة على ساحل عمان يحول بينها وبين البحر الاعظم جبل، وبها نخيل وعيون عذبة (٨١).

ويقول ابن سعيد المغربي (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧٤ م) عن ظفار في كتابه (كتاب الجغرافيا) ظفار قاعدة التباغة فخربت، وهي من حيث الطول ٧٢ درجة والعرض ١٥ درجة، ثم يلقاك على الساحل مدن الشحر... وهي بلاد العنبر واللبان، ومن مدنها (مرباط) وتقع على جون يدخل الى الشمال على طول ٧٤ درجة وعرض ١٤ درجة ونصف، وفي شرقيها على الجون نفسه تقع مدينة (ظفار) المحدث... ومدينة ظفار كانت في زمن ابن سعيد المغربي (القرن السابع الهجري) قاعدة بلاد الشحر وفرضتها المشهورة يجلب اليها خيل العرب ومنها يحمل الى بلاد الهند... ويقال ان في ارض هذه المدينة الكثير من عقاقير الهند مثل: النارجيل والتنبل والفوفل والعبسا... ويقع في شمالي هذا الجون رمال الأحقاف والى الشمال من الأحقاف تمت جبال اللبان من الغرب الى الشرق (٨٢).

اما القزويني (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) فيقول: ان ظفار تشتهر بالجزع الظفاري الجيد واشجار اللبان الذي لا يوجد في الدنيا الا في جبالها، وهو غلة لسلطانها، فياتي اهالي ظفار ويجرحون اشجارها بالسكين فيسيل منها اللبان، فيجمعونه ويحملونه الى مدينة ظفار، فيأخذ السلطان قسطه ويعطيهم الباقي (٨٣)

جلسة هادئة على ظلال اشجار جوز الهند في ظفار

ويقول ابن الجاور (ت ٦٩٠ هـ / ١٢٩١ م) في كتابه (صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) ان بلاد عمان تعم بالخير، وتجارتها واسعة ومن مدنها قلهات ومسقط وصحار والمسافة بين قلهات الى (طوي) ثلاثة فراسخ والى مسقط ستة فراسخ (٨٤)، وتشتهر بلاد عمان بصيد السمك، فيأكل اهالي البلاد السمك والتمر... ويذكر ابن الجاور ان مسقط كانت





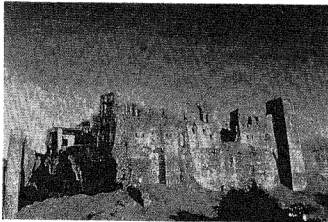
عملية جرح شجرة اللبان

مرسى مدينة صحار^(٨٥)، ففيها كانت ترسو المراكب القادمة من اطراف البلاد، ثم تحمل تلك المراكب بصنوف السلع المختلفة في طريقها الى بلاد كرمان وسجستان وكانت تلك السلع تتفرق في بلاد خراسان وما وراء النهر وزاولستان والغور وكرميل^(٨٦).

ولعظم تجارة عمان وكثافتها فقد كان يوجد في مدينة صحار ١٩٢ قباناً لوزن البضائع للطالب والمطلوب^(٨٧)، وهذا يدل على دور عمان الكبير في التجارة الدولية في القرون الوسطى.

ويتحدث الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/ ١٢٢٦م)

في كتابه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر) عن اللؤلؤ ومغاصاته فيقول: والغوص يكون في اربعة مواضع، جزيرة خارك من عمل فارس وارض عمان وقطر وجزيرة سرنديب... واللؤلؤ نوعان: كبير يسمى الدر، وصغير يسمى اللؤلؤ واجود الدر المذرج الصافي الشفاف الكبير الحجم الرزين النقي ويتفاوت في الوزن من نصف مثقال الى مثقال ونصف.. واجود اللؤلؤ النقي المستدير واللؤلؤ له الوان، فمنه اصفر مستدير ومنه احمر ومنه اخضر ومنه ازرق^(٨٨)... ويذكر الدمشقي ان بلاد عمان تشتهر (بالصبر) وهو صمغ من شجر له ورق كورق السوس، وعلى حرثي الورقة شوك صغار وهو اطول واغلظ من ورق السوسن، وعليه رطوبة تلصق باليد، وصمغ عمان اسود ملمع.. ويستخرج من بلاد عمان (المقل الازرق) وهو صمغ اشجار كبيرة تنبت في المنطقة الواقعة بين الشحر وعمان، وهو صمغ يشبه الكندر طيب الرائحة^(٨٩)... وينبت في عمان اشجار اللبان خصوصاً في منطقة ظفار



قلعة بهلاء

بالاضافة الى هذه الاشجار تنبت في اماكن من بلاد اليمن^(٩٠).

ويذكر الدمشقي أن عمان تقع على ساحل بحر الهند، ومايلي البحر توجد سهول ورمال، ومن ورائه حزون (ارض غليظة صعبة المسالك) وجبال.. وتشتهر بلاد عمان بالنخيل والموز والرمان، فكانت قصبتها اولاً مدينة (صحار) فخربت، وبني بعد ذلك مدينة (قلهات) واصبحت فرضة بلاد عمان... ومن مدن عمان (صور) وهي مدينة ساحلية (ومسقط) وتقع على البحر كذلك، وكان الناس ينزلون فيها في اخصاص ايام الغوص على اللؤلؤ، ومن مدن عمان (ادم) وهي مدينة برية مسورة ومدينة (ميح)^(٩١) بالحاء المهمة، وهي مدينة مسورة تجري اليها مياه من المرتفعات المجاورة، ومدينة (نزوى) وتقع في واد بين جبليين، و(قلعة بهلاء) الواقعة على راس جبل ممتنع ثم مدينة (جلفار).... وتشتهر بلاد عمان بالاقلاج وهي شبه الانهار وتجري مياه هذه الاقلاج الى المدن والقرى الساحلية وتستخدم في ري الاراضي وزراعتها ويصب بعضها في البحر^(٩٢).

اما ابو الفداء (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) فعندما يتحدث عن الجزيرة العربية في كتابه (تقويم البلدان)، يذكر ان البحر الذي يحيط بجزيرة العرب من جهة الغرب هو بحر القلزم وهذا البحر يمتد من اطراف اليمن الى ايلة، ومن الشرق يحيط بها بحر فارس (الخليج العربي) الذي يمتد من البصرة الى البحرين ثم يمتد حتى يتجاوز عمان، ويذكر ان عمان تقع على فم الخليج الفارسي (الخليج العربي) حيث الطول ٧٤ درجة والعرض ١٩ درجة و ٤٥ دقيقة^(٩٣)... ويحيط بها من الجنوب بحر الهند الذي يمتد من عمان الى سواحل مهرة، ويستدير على اليمن الى عدن ويصف مدينة (مرباط) فيقول: انها تقع على ساحل خليج ظفار، وينبت بجبالها شجر اللبان ويجهز منها الى البلاد^(٩٤).

ويذكر الحميري الذي توفي في القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر للميلاد في كتابه (الروض المعطار في خبر الاقطار) مدينة صحار، ويقول انها مدينة كبيرة بأرض عمان وهي قصبتها، تقع على ساحل البحر مساحتها فرسخ في فرسخ، ويستقي اهلها من الابار، ويقول بأنها اقدم مدن عمان واكثرها اموالا قديما وحديثا ويقصدها في كل سنة من التجار ما لا يحصى عددهم، وتجلب اليها جميع بضائع اليمن، وتجهز منها بانواع التجارات... وكانت مرسى لراكب الصين والهند فتسافر منها تلك المراكب بعد ان تحمل بالسلع المختلفة وظل الامر كذلك حتى قام عامل جزيرة (كيش) بانشاء اسطول غزا به بلاد اليمن الساحلية فاضر بالمسافرين والتجار ولم يترك لاحد مالا فتسبب في اضعاف البلاد وانقطعت السفن عن عمان... وكانت صحار قبل ذلك مجتمع التجار، ومنها يتجهز لكل بلدة، وهذا مما زاد في ثروة اهالي البلاد وسعة عيشهم.. ويزرع في منطقة صحار النخيل والموز والرمان والسفرجل وكثير من الثمار الطيبة^(٩٥).

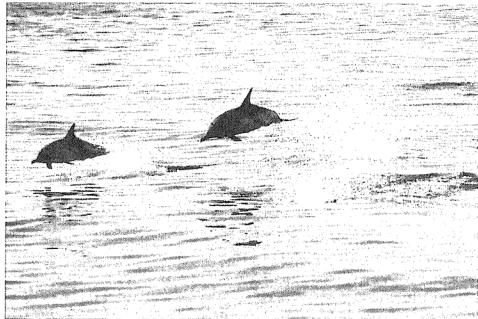
وفي حديث الحميري عن بلاد عمان يقول: هي بلاد مستقلة في ذاتها عامرة بأهلها كثيرة النخيل والفواكه والموز والرمان والتين والعنب... وتبلغ مساحة عمان ٨٠ فرسخا في مثلها^(٩٦)... والى البحر منها سهول ورمال، وماتباع منه حزون (ارض غليظة) وجبال ولها عدة مدن منها مدينة (عمان)^(٩٧)... وتقع على ساحل البحر وهي مدينة حصينة وعلى الجانب الآخر يحيط بها جبل فيه مياه سائحة قد اجريت الى المدينة، وهي كثيرة النخل والبساتين وضروب الفواكه... وبمدينة عمان الخانات والحمامات التي بنيت خدمة للتجار القادمين اليها، وطعام اهالي عمان الحنطة والشعير والارز والجاورس ولمدينة عمان سور به ابواب من حديد وبها اسواق كثيرة وهي فرضة الصين، تحمل اليها الامتعة من سيراف وتكون الحمولة في قوارب صغيرة ثم تحمل تلك البضائع في مراكب كبيرة عظيمة فتسير في البحر العظيم بالريش الطيبة باتجاه الهند والصين.

اما (مسقط) فيذكر انها في طريق عمان على البحر يمر عليها من اراد بلاد الهند والصين، فيسير مع الشمال تلقاء الجنوب حتى يصل الى مسقط، وتقع هذه المدينة بين جبلين وترسو فيها السفن حيث تستقي من ابارها العذبة، وتحمل تلك السفن الحجارة من مسقط لرمي

منظر حديث من
مدينة مسقط



الدلافين
والحيتان من
الأحياء البحرية
التي عاشت
منذ زمن في
المياه العميقة
المصلة
بالحيط الهندي



العدو اذا خرج عليها، وتبعد مسقط عن شحر حضرموت مسافة ٩٠ فرسخاً^(٩٨).
واخيراً فإن القلقشندي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) يذكر في سفره (صبح الاعشى في
صناعة الانشا) بلاد عمان فيقول: ان قاعدتها مدينة (عمان)^(٩٩).. وتقع على البحر
تحت البصرة وهي مدينة جليلة بها مرسى السفن من السند والهند والزنج وليس على
بحر فارس مدينة اجل منها وهي ديار الازد وتبلغ نحو ٣٠٠ فرسخ، كثيرة الفواكه
والنخيل، ولكنها حارة جداً وكانت قصبة بلاد عمان قديماً مدينة (صحار) يضم
الصاد وفتح الحاء وهي في زمن القلقشندي (القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر
الميلادي) خراب^(١٠٠).

وهكذا تعددت الكتابات التي وردت عن عمان عند الجغرافيين العرب بدءاً من
القرن الثالث وحتى القرن التاسع للهجرة، وكما ترى فقد أعطتنا هذه الكتابات
معلومات وفيرة عن موقع عمان وأهميته، وعن علاقاتها المكانية، ومحاصيلها الزراعية
وشروعاتها الاقتصادية، ومدنها الهامة، وعلاقاتها التجارية بمختلف دول العالم
المعروف وقتذاك.

وهذه الصورة المشرقة التي وردت عند هؤلاء الجغرافيين اكتمل اشرافها وزاد
بيانها بما ورد عند الرحالة الذين جابوا البحار
وطوفوا ببلدان المعمورة شرقاً وغرباً، وكانت
عمان إحدى محطاتهم التي رسوا فيها
وزاروها وتحدثوا عنها وأعطونا وصفاً
تفصيلياً لما رأوا وشاهدوا، فماذا قالوا؟

عمان في كتابات الرحالة في العصور الوسطى:

كانت عمان إحدى الحواضر الإسلامية
الهامة التي تمتعت بتاريخ يضرب بجذوره في
عمق الزمن ويعود الى الاف السنين.. فتلك



الدولة البحرية كانت قسبة للخليج ومرت بموانئها تجارات الهند^(١١١) والصين والجزيرة العربية ومصر، وكانت حلقة وصل بين شبه الجزيرة العربية والعالم القديم.. تمتعت اجزاء من اراضيها بترية خصبة افاض الرحالة في وصف خيراتها وثمارها... ولقد التقت على اراضيها تأثيرات حضارية متنوعة من حضارات العالم القديم كحضارة ما بين النهرين والصين والهند ومصر بل وصل اليها اليونان والرومان وكتبوا عن موانئها.

فقد زار المنطقة كثير من الجغرافيين والرحالة وكتبوا عن انطباعاتهم ولقد اختلفت نظرهم باختلاف الفترات الزمنية التي عايشوها من حيث مراكز الحضارة والازدهار بالإضافة الى الاهمية التجارية لموانئها كانت تختلف عبر العصور.. فمثلا رحالة الفترة الاولى وغالبيتهم من الجغرافيين كابن حوقل والاصطخري غلبت على معلوماتهم التأثيرات الخاصة بوصف المكان الجغرافي بالإضافة الى المعلومة التاريخية^(١١٢).

اما رحالة القرنين الثالث عشر والرابع عشر كماركوبولو الايطالي او ابن بطوطة فقد تركوا لنا وصفا تفصيليا عن البلاد واحوالها وموانئها وعبادات وتقاليدها سكانها.

وقد ذكر هؤلاء الرحالة ان العمانيين كانوا من اوائل التجار الذين جابوا البحار وحملوا صادرات العالم المختلفة... فابوعبيدة عبدالله بن القاسم اول من ذهب الى الصين في العصر الاسلامي وكان ذلك عام ١٣٢ هـ / ٧٥٠ مما اكد على اهمية موقع عمان وعلى اهميتها التجارية انذاك فهي تقع على مفترق الطرق البحرية بين الصين والهند شرقا والعراق شمالا وشرقاً والبحر الاحمر غرباً^(١١٣)... مما ساعد العمانيين على القيام برحلات الى الصين والهند حيث كانوا يشترون من الصين الحرير والكافور والمسك والتوابل والخزف... ومن الهند خشب الساج والارز والمواد الغذائية وفي المقابل يصدرون بضائع الشرق من الكتان والقطن والصوف والمصنوعات المعدنية والحديد الخام وسبائك الذهب... اما اهم صادرات عمان نفسها فكانت الخيول واللبان. فاذا رجعنا الى ماكتبه رحالتنا ونبدأ برحالة ومؤرخ^(١١٤)... هو المسعودي الذي قام بالعديد من الرحلات بداية من ٣٠٩ هـ عبر فارس وكرمان والهند والمليبار والمنصورة وسرنديب... وذهب الى الصين وطاقف البحر الهندي من مدغشقر وعاد الى عمان وقام برحلة اخرى الى اذربيجان والشام ثم استقر بمصر^(١١٥)... وعند زيارته لعمان بهره النشاط التجاري وخاصة مدينة صحار التي تمتعت بشهرة واسعة في التجارة... ولقد وصف رحلته في المحيط الهندي فذكر ان المحيط يمتد من الحبشة الى اقصى الهند والصين وانه يمتد ثمانية الاف ميل وان غالبية البحارة على السفن من اهل عمان وهم احسن البحارة وانهم ارباب المراكب ولديهم خبرة بالبحر وبصيد اللؤلؤ من بحر عمان والخليج، ويقول انه بجانب اللؤلؤ كان يوجد في هذه المنطقة العقيق والياقوت ومعدن الذهب وان ارض عمان اشتهرت بالنحاس خاصة، بالإضافة الى الطيب والعنبر والساج والخشب^(١١٦).

كما يذكر أن الصيد كان من حرف اهل عمان الرئيسية، وذكر نوعا من الأسماك هو غالباً الحيتان وكانت المدن الساحلية التي كانت تتمتع بحركة تجارية في عمان قلهاة وصحار وكان الفرس يسمونها مزون.. اما مسقط فلم تكن قد اكتسبت شهرتها بعد فيذكر انها فرضة يستقى ارباب المراكب الماء من آبار عذبة بها.

اما الشحر فهم عرب من قضاة وهم مهرة ايضا في التجارة ويشير الى ان لغتهم دخلت عليها لكنة، والمدينة بها افضل الجمال وكذلك كان لديهم افضل عنبر، ولقد عدد



الخيول العربية
الأصيلة في عُمان

له تجار عمان انواع العنبر... ويذكر ان بمنطقة تسمى الحلال مكانا به علامات منصوبة من خشب على البحر وهي علامات للمراكب المتجه الى عمان.

فاذا مضينا عبر الزمان ووصلنا الى القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي والتقينا برحالة آخر هذه المرة ايطالي المولد والجنسية هو الرحالة الشهير ماركوبولو والذي عاش سبعة عشر عاما في بلاط المغول وزار عمان اثناء عودته وهنا نجد ان الوضع اختلف عما رآه المسعودي في القرن الرابع وان ظلت عمان تتمتع بأهميتها البحرية ونشاطاتها التجارية، ولكن الذي اختلف هو أهمية المدن فان صحار بدأت تفقد أهميتها القديمة وحلت محلها ظفار وقلهات (١٠٧).

وكانت اول مدينة مر بها اثناء رحلته هي مدينة اسكبير (الشحر) (١٠٨)... وأشار الى شهرتها التجارية حيث كان يصدر منها اهم منتجات عمان وهو اللبان.. ويعد اللبان الابيض افضل انواعه وانهم يحصلون عليه من شجرة صغيرة يقوم الناس بجرح جسمها فيسيل منها سائل بعد نزع لحائها، فمن هذا الجرح ينضج اللبان ثم مايلبث ان يتجمد، ويذكر ان حاكم هذه المدينة يحتكر تجارته فيشتره بسعر عشر بيزنطيات (دوقيات ذهبية) لكل قنطار ثم يبيعه للتجار باربعين بيزنطية.

ويذكر ان الخيول ايضا تمثل جانبا هاما من صادرات هذه المدينة وكانت تباع بأسعار عالية وتصدر للهند.

اما عن حاصلات عمان فيذكر ان أهمها النخيل، وينتج أجود أنواع البلح وكان لديهم شراب من الارز والسكر والبلح، وان كان يذكر انه لم تكن هناك العديد من الزراعات بل اقتصروا على الارز والدخن وانهم كانوا يستوردون المواد الغذائية.

وبالاضافة الى التجارة وهي حرفتهم الأساسية، فهناك صيد الاسماك..

والسمك يمثل بالنسبة لهم مصدر طعام رئيسي بحيث انهم يجففونه ويجعلونه طعاما لماشيتهم وابقارهم التي تعودت على تناوله.

وبالنسبة لظفار فيذكر انها كانت ميناء هاماً تصدر منه الخيول الى الهند وكذلك كان يصدر منها اللبان ويدخل في دائرتها مدن وقلاع عديدة.

وهنا يرد ذكر مدينة قلهاة وأهميتها التجارية ويذكرها باسم قلاياتي وهي غير بعيدة عن مسقط، ويذكر أن المدينة تتبع ملك هرمز الذي يعتقد انه تابع لحاكم كرمان، وأورد ان الحاكم كان يلجأ إليها حين يتعرض لخطر من أي مدينة أخرى لحصانة موقعها، وهي كظفار لا تنتج الحبوب بل تستوردها.

ويتحدث عن ميناء المدينة، والمرجح انه يتكلم عن مسقط فيذكر ان السفن تنقل الى هذا الميناء القماش والتوابل حيث يبيعها التجار ويحصلون في المقابل على الخيول.

ويذكر ان للميناء قلعة في موقع منيع عند مدخل الخليج بحيث لا يستطيع مركب الدخول اليه او الخروج منه بغير إذن، وكان يجبي رسوماً من التجار، وكان ذلك الحصن بمكانه المنيع لا يشكل بالفعل مفتاحاً للخليج فقط بل للبحر نفسه، لأن المقيم في الحصن يمكنه في كل الاوقات اكتشاف السفن التي تمر، اذ يهيء ملجأ للسفن المعدة للتطواف، ويمكن حمايته عن طريق رؤية السفن التي تقترب من الشاطئه وكان الأمير الذي يملك هذا الحصن يمنح السيادة على تلك البحار.

ويعيش سكان هذه المنطقة على البلح والسمك سواء الطازج او المملح ويقولون ان البلح هو الطعام الاساسي ويخلطونه بكل انواع الطعام الاخرى وياكلونه مستغنين عن الخبز^(١٠٩).

وفي القرن الذي تلى القرن الذي عاش فيه ماركو بولو، وهو القرن الرابع عشر للميلاد، يأتي الرحالة المغربي ابن بطوطة ويعطينا وصفاً رائعاً لبعض بلاد عمان وعادات أهلها، فذكر أنه زار الهند ومنها أبحر الى ظفار مع مساعدة الريح في شهر كامل، وأنه سبق ان قطع المسافة ايضاً من كاليكوت الى ظفار في ثمانية وعشرين يوماً وان المدينة تحيطها الصحراء... وهو يصف المدينة كما رآها... فقصر السلطان بداخل المدينة، ومن عادة السلطان أن تضرب الطبول أمام قصره كل يوم بعد صلاة العصر كما انه جعل يوم الجمعة مجلساً للمشاورة مع الأمالي، وكان يلتقي بجنده كل يوم اثنين وخميس... وكان السلطان اذا خرج خرج بسلحاه ومماليك الى خارج المدينة حيث يؤدي اليه بجمل عليه حمل مستور بستر ابيض منقوش بالذهب فيركب هو ونديمه في هذا الحمل بحيث لا يرى... وكان له وزير يدير أموره... أما الناس فكان جل اعتمادهم في طعامهم على الأسماك، التي كانوا يستعملونها أيضاً طعاماً لماشيتهم^(١١٠).

وهنا يعطينا ابن بطوطة بعينه الفاحصة وصفاً للمجتمع وأهل المدينة، فيذكر أن أهل المدينة أشبه الناس بأهل المغرب وأنهم أهل تقى، وأن في كل دار من دورهم سجادة من الخوص معلقة في البيت ليصلي عليها صاحب الدار، كما يفعل أهل المغرب وحتى اسماء جواريتهم تتشابه مع المغاربة، ومن عوايدهم الحسنة التصافح في المسجد في صلاة الصبح والعصر، ويستند أهل الصف الأول الى القبلة ويصافحهم الذين يلونهم، وكذلك يفعلون بعد صلاة الجمعة.

وهو يصف الامالي ايضاً بالتواضع وحسن الخلق وفضيلة محبة الغرباء وكانوا يلبسون القطن الذي يجلبونه من الهند، ويشدون القوط في اوساطهم عوض السروال وأكثرهم يشد قوطه في وسطه ويجعل فوق ظهره أخرى من شدة الحر، ويغتسلون



آثار من قلعات

عدة مرات في اليوم.

ويذكر ان من عادة اهل المدينة اذا وصلت مركب من الهند او غيرها ان يخرج عبيد السلطان الى الساحل ويصعدوا في سنبوق (مركب) ومعهم الكسوة الكاملة لصاحب المركب او وكيله وللربان.... وللكراني وهو كاتب المركب ويؤتي لهم بأفراس يركبونها وتضرب امامهم الطبول من ساحل البحر الى دار السلطان، فيسلمون على الوزير وامير جندار، فيبيث الضيافة لكل من بالمركب ثلاثا، وبعد الثلاثة أيام يأكلون بدار السلطان.

كذلك يذكر الاماكن المشهورة لدى اهل البلدة فيعدد المساجد وان بها زاوية مشهورة لرجل صالح من اهل ظفار يسمى أبي محمد بن بكر بن عيسى وانه اذا استجار بالزاوية شخص لم يتعرض له السلطان... ويذكر انه اثناء زيارته استجار بها كاتب السلطان واقام بها حتى تم الصلح بينهما.

وفي طريقه الى عمان نزل بحاسك، وأهلها صيادو أسماك، وذكر بأن بالمدينة شجر الكندل الذي يستخرج منه اللبان.... وان لديهم نوعا من السمك يشبه كلب البحر، وان

منازلهم من عظام السمك وسقوفها من جلود الجمال... ولقد أشار أيضا إلى السارية التي تهدي المراكب إلى عمان... ويذكر أن غالبية البحارة وعدد كبير من التجار الذين التقى بهم أثناء أسفاره كانوا من العمانيين وأنهم كانوا يتناولون أكلة عمانية مطبوخة من الذرة وعسل النمر كان يصنعها عادة التجار العمانيون كما ذكر أن صاحب المركب التي كان يركبها في رحلته كان من جزيرة مصيرة^(١١١).

وأشار أيضا إلى أهمية مدينة قلعات البحرية، وذكر أن المدينة حصينة، فلا يسمح بدخول أي فرد قبل الرجوع إلى حاكم المدينة فإذا سمح له بالدخول أخذوه عند وصوله وقابل حاكم المدينة الذي استضافه، كما ذكر أن حاكم المدينة كان تحت سيطرة قطب الدين تمهتن ملك هرمز... وأن هذه المدينة حسنة الأسواق ولها مسجد حيطانه من القاشاني وقد أنشأت الصالحة بيبي مريم.

أما أهلها فطعامهم الأرض الذي يجلب من الهند بالإضافة إلى الأسماك، ولهم لهجة خاصة بهم ولقد زار ابن بطوطة مدينة مجاورة لها تسمى طيوي، وذكر أن لها بساتين وأنهار وأشجار وقال أنه بين عمان^(١١٢) وهذه المدينة مسيرة ستة أيام في الصحراء.

وحين يتحدث ابن بطوطة عن بقية بلاد عمان يذكر أنها تمتاز بخصوبة أراضيها وبساتينها وأن عاصمتها تسمى نزوى وهي مدينة في سفح جبل تحيط بها البساتين والأنهار، وأن أهل المدينة يوصفوا بالشجاعة والنجدة وهم أباضية المذهب ويصلون الجمعة ظهرا أربعا فإذا فرغوا منها قرأ الإمام آيات من القرآن، وعادة أهلها أن يأكلوا في صحنون المساجد، فيأتي كل فرد بما عنده ويجتمعون للآكل في صحن المسجد ويأكل منهم كل من تواجد بالمسجد.

ويذكر أن حاكم المدينة عربي من قبيلة الأزد ويعرف بابي محمد بن نبهان ويذكر أن اسم أبي محمد سمة كل سلطان بعمان، وعادة أن يجلس خارج باب داره في مجلس، ولا صاحب له ولا وزير ولا يمنع أحدا من مقابلته سواء كان غريبا أو من أهل المدينة.

ويذكر من المدن التابعة لعمان قريات^(١١٣)... وكلبا^(١١٤)... وصحار وكلها أراض خصبة.

فمن الواضح ومن استعراض مآرضه هؤلاء الرحالة أن أهمية عمان التجارية عبر تلك الحقبة التاريخية ظلت قائمة بل زادت أهميتها عند نهاية الفترة وتعددت المدن فبعد أن كانت صحار أصبحت ظفار وقلعات ومسقط، وكان ملاحوهم وهم أشهر ملاحي الخليج وسفنهم وتجارتها يجوبون البحار حاملين تجارتهم ناقلين الحضارة والخير إلى كل مكان وصلت إليه أقدامهم.



طفل عماني
بالزي التقليدي



وجه عُماني

الفصل الثاني سكان عُمان واقتصادياتها

التركيب السكاني لعُمان في فجر الاسلام:

يذهب البلاذري الى أن أغلب سكان عُمان كانوا من الازد^(١)، وهم من عرب اليمن من قحطان، وكان يقيم الى جانبهم عدد لا يستهان به من غيرهم، بيد أنهم كانوا متفرقين في البوادي وغيرها^(٢). فمن أهل عُمان «بنو بارق»، وهم بطن من خزاعة من بني عمرو مزيقياء من الازد، منهم حذيفة بن محصن البارقي الذي أسلم وأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل عُمان مصدقا، أي جابيا للزكاة^(٣).

ومن سكان عُمان أيضا «العنكيون» وينسبون الى الازد بن عمران بن عمرو مزيقياء من الازد^(٤). ومن سكان عُمان «بنو ناجية» الازديون أيضا، وينسبون الى ناجية بن الجماهر أو الجماهير بن الاشعر من قضاة^(٥). وهناك من سكان عُمان «بنو ناجية» أيضا، وهم غير هؤلاء، وذلك أن الآخرين ينسبون الى سامية بن لؤي فهم نزارية عدنانية ولا يمتون الى بني ناجية الازديين الا بتشابه الاسم^(٦).

وتذكر المصادر أن بني «حديد» من القبائل الازدية التي كانت تقطن عُمان وأنهم انضموا الى لقيط ذي التاج ثم انفصوا عنه حينما جاءت جيوش أبي بكر لقمع المتمردين هناك^(٧). ولاننسى «بنو علاف» واسم علاف ريان بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف^(٨). ومنهم معاوية ومحمد أبنا الحارث العلافيان وغيرهما^(٩). وقد كان من بين هذه القبائل من قام بدور ضخم في الفتوحات الاسلامية.

ومن القبائل العربية غير ذات الاصل اليمني بعُمان والذين أشار اليهم عثمان البلاذري، بأنهم «من سكان البوادي»، بنو مازن بن شيبان^(١٠)، قال ابن دريد: «ليس فيهم أحد له ذكر، الا أن أبا عثمان النحوي ينسب اليهم لأن أمه منهم»^(١١).

ومن قبائل عُمان «بنو مالك» بن فهم بن دوس بن زهران، ويذكر ابن دريد أنهم من قبائل دوس العظيمة^(١٢). ومنهم صليمي^(١٣)، وهم بنو زاكيا وثلعبه بن مالك وينسبون الى بني عمرو بن مالك بن فهم والذين منهم سبعية بن غزال الذي قدم على أبي بكر في أمر أهل عُمان^(١٤). ومن قبائل عُمان الحث من كنده وينسبون الى مكان بهذا الاسم^(١٥). والتناغم قبيلة أيضا ينسبون الى تنعم^(١٦) وهذا قليل من كثير من القبائل التي سكنت عُمان وكونت مراكز عمرانية استقرت فيها منذ ازمة بعيدة.

مراكز العمران البشري في عُمان :

لا يمكن بأي حال تجاهل دور عُمان ومدنها الساحلية في ربط ساحل عُمان بالداخل مع سكان الجزيرة العربية من حيث كونها مستقرا للهجرات العربية الداخلية، وبالخارج عبر الموانئ والجزر المتناثرة هنا وهناك والتي أسهمت بدور حضاري فعال في مناشط مختلفة. أما المدن والموانئ التي كانت تشكل مراكز عمران هامة في عُمان فهي كثيرة منها جلفار (رأس الخيمة)، ودبا، وصحار، ومسقط، وتنعم، وحتا، وسلوت وغيرها.

١ - جلفار (رأس الخيمة) :

بضم أوله وتشديد اللام (١٧)، ذكرها المقدسي (ت ح ٣٧٥ هـ) وأنها من مدن عمان (١٨)، ووصفها بقربها من البحر وأنها تضارع حينئذ هجر (١٩) (البحرين) ربما في المساحة والأهمية. ولابد أنها كانت تساهم الى جانب نظيراتها من المدن العمانية الأخرى في كونها سوقا للمستوردات من الصين والهند واليمن من «آلات الصيادلة والعطر كله حتى المسك والزعفران والبقم والساج، والسمن والعاج، واللؤلؤ والديباج، والجزع والياقوت، والابنوس والنارجيل، والقند والاسكندروس والصبر والحديد والرصاص، والخيزران والفضار والصندل والبلور والفلل» (٢٠)، ثم تحمل هذه الأشياء الى أسواق العراق والمشرق (ربما يعني إيران). ويمكن الزعم بأن موانئ الساحل العماني ومن بينها جلفار كانت تشكل بورصة تجارية تجتمع فيها تحف الشرق الأقصى لتوزع في الشرق الأوسط. ويذكر ياقوت الرومي أن جلفار «كثيرة الغنم والجبن والسمن» وأنه «يجلب منها الى مايجاورها من البلدان» (٢١).

٢ - صحار:

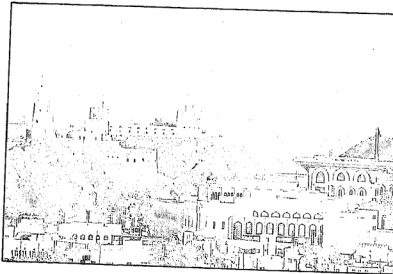
هي أهم مدن عمان وبها قصبتها مما يلي الجبل، أما تؤام ففيها قصبتها مما يلي الساحل. وقد تبارى الجغرافيون في وصف صحار، فيصفها الإدريسي بأنها أقدم مدن عمان وأكثرها أموالا قديما وحديثا... وذلك على مكانتها التجارية الرفيعة والمتفوقة بقوله: «ويقصدها في كل سنة من تجار البلاد مالا يحصى عددهم واليها يجلب جميع بضائع اليمن، ويتجهز منها بأنواع التجارات وأحوال أهلها وأسعة ومتاجرهم مريحة...» (٢٢).

كما دلل المقدسي على هذه الأهمية وتحدث عن محاسنها ومحاصلها وأسواقها ومساجدها مما سبق ذكره في شيء من التفصيل (٢٣). وقد نقل ياقوت كلام المقدسي عن أهمية عمان وأحوالها في كتاب معجم البلدان (٢٤). وتفسر بعض المصادر اسم صحار بأنه اسم صحار بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل صحار اسم مشتق من الصحراء (٢٥)، ويسمى المسعودي سنجار في قوله: «ومن عمان وقصبتها سنجار والفرس يسمونها مزون (٢٦) وبينها وبين مسقط وهي قرية منها يستقى أرباب المراكب الماء من آبار هناك عذبة خمسون فرسخا» (٢٧).

٣ - مسقط :

هي المدينة التي كانت تلي صحار في الأهمية، وبينهما مائتان وثلاثون كيلومترا (٢٨) واجمعت المصادر على وجود بئر من المياه العذبة بمسقط كان يتزود منه التجار والبحارة بالماء مما رفع مكانة مسقط التجارية (٢٩)، وذكر ابن بطوطة أن مسقط اشتهرت بنوع من السمك عرف بقلب الماس (٣٠).

منظر لمسقط من
ناحية قلعتي
الجلالي والميراني
التاريخيتين



٤ - نزوى :

يذكر كل من الاضطخري وابن حوقل انها كانت مقرا انحاز اليه الشراة عندما وقع خلاف بينهم وبين طائفة من بني سامة بن لؤي وكانوا من كبراء البلاد، فخرج من بني سامة رجل يعرف بمحمد بن القاسم من بني سامة الى الخليفة المعتضد، فأرسل مذدا بقيادة رجل يسمى ابن ثور فدخل عمان، ونصر بني سامة فانحاز الشراة الى نزوى^(٣١).

٥ - دباء :

تقع دباء ما بين عمان والبحرين^(٣٢) نحو هجر، تقع على مقربة من البحر على حد قول المقدسي^(٣٣)، وكانت سوقا من أسواق العرب قديما^(٣٤)، وبينما تركزت حركة الزدة في البحرين وكذلك في اليمن واليمامة فاننا لم نسمع عن مرتدين انقلبوا على أعقابهم بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم في عمان، اللهم الا حادثة واحدة في دباء عندما وقع خلاف حول زكاة احدى سيدات



دباء البيعة

هذه المدينة، فخشى حذيفة بن محصن الغلفاني أو البارقي أن يكون هذا الخلاف نوعا من الارتداد، فأغار عليهم وسبل أهل دباء، وانتهى الأمر بأن ذهب وفد من عمان الى الخليفة الراشد أبي بكر يعلنون له أنهم على اسلامهم، ولم ينتقلوا عنه، وأن حذيفة الغلفاني قد أساء فهم أهل دباء، فأمر الخليفة أبوبكر برد سبي دباء بعد أن عنف حذيفة تعنيفا شديدا^(٣٥).

هذا عن أهم المدن والموانئ التي كانت تمثل أهم مراكز العمران في عمان في العصور القديمة والاسلامية، أما الجزر التي كانت تابعة لعمان وتمثل هي الاخرى مراكز عمرانية هامة فكثيرة.

أهم الجزر التابعة لعمان :

كانت هناك جزر تتبع عمان في الخليج العربي، وحكمها في كثير من الاحيان أمراء من أصول عربية عمانية، وكان لها دور في الحركة التجارية مع الصين والهند وجنوب شرق آسيا وساحل شرق افريقيا، وأهم هذه الجزر :

١ - جزيرة زيرباد :

وعنها يقول ياقوت الحموي : «جزيرة زيرباد من نواحي فارس، قال ابن سيران في تاريخه: في سنة ٣٠٩ هـ توفي عبدالله بن عماره صاحب جزيرة زيرباد وقد ملكها خمسا وعشرين سنة وملكها بعده أخوه جعفر بن حمزه ستة اشهر وقتله غلمانه وملكها بعده بطل بن عبدالله بن عماره»^(٣٦).

وظل عرب عمان من آل عمارة يحكمون جزيرة زيرباد حتى بدايات القرن الرابع الهجري^(٢٧)، وآل عماره ينتمون الى بني الجلندي الازديين العمانيين، وفي ذلك يقول الاصطخري عن العرب الذين استوطنوا فارس وسواحلها المطلّة على الخليج العربي «ومنهم آل عمارة ويعرفون بأل الجلندي، ولهم مملكة عريضة وضياح كثيرة وقلاع على سيف البحر بفارس متاخمة لحد كرمان ويزعمون أن ملكهم هناك قبل موسى عليه السلام»^(٢٨).

٢ - جزيرة قيس أو «كيش»:

يصفها ياقوت الحموي بقوله: «قيس جزيرة وهي كيش في بحر عمان، دورها (محيطها) أربعة فراسخ، وهي مدينة مليحة المنظر، ذات بساتين وعمارات جيدة وبها مسكن ملك ذلك البحر، صاحب عمان، وله ثلثا دخل البحرين، وهي مرفأ مراكب الهند، وير فارس وجبالها تظهر للنظر... وفيها أسواق وخيرات... وفيها مغاص للؤلؤ»^(٢٩).

وكانت قيس تتأرجح بين السيادة العربية والفارسية. وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى قيس بن عماره من آل عماره المعروفين بأل الجلندي^(٣٠). وقد ورثت جزيرة قيس المكانة التجارية التي كانت عليها سيراuf من قبل، فقد هاجم حكام قيس سيراuf ووضعوها تحت سلطانهم، ففقدت سيراuf منذ ذلك الحين أهميتها التجارية^(٣١)، وخلفتها جزيرة قيس وأصبحت من الموانئ الرئيسية في المنطقة.

ويرجع ياقوت الحموي الى العرب فضل سيادة قيس التجارية على سيراuf وهو في ذلك يقول: «فمنذ من أبن عميره جزيرة قيس صارت فرضة الهند اليها منقلب التجار، خربت سيراuf وغيرها، ولقد رأيتها (سيراuf) وليس بها قوم الا صعلاليك ما أوجب لهم المقام بها الا حب الوطن»^(٣٢).

ويذكر ابن بطوطة أن مكانة قيس التجارية بدأت في الاضمحلال في القرن الرابع عشر الميلادي وانتقل الالتماع التجاري منها الى هرمز^(٣٣).

٣ - جزيرة جاسك:

ويصفها ياقوت بقوله: «جزيرة كبيرة بين جزيرة قيس، هي المعروفة بكيش، وعمان. قبالة مدينة هرمز، بينها وبين قيس ثلاثة أيام، وفيها مساكن وعمارات، يسكنها جند ملك جزيرة قيس، وهم رجال أجلاء أكفاء لهم صبر وخبرة بالحرب في البحر وعلاج للسفن والمراكب ليس لغيرهم»^(٣٤).

ولقد ساعدت معرفة أهل عمان بالرياح الموسمية على تفوقهم الملاحي وسيادتهم على عالم التجارة البحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي، فتوقيت رحلة الذهاب في الصيف، وتوقيت رحلة الاياب في الشتاء تكشف بما لا يدع مجالاً للشك عن صدق المعرفة الجغرافية العمانية بحركة الرياح الموسمية، كما تكشف أيضاً عن حسن استخدام التجار والملاحين العمانيين لهذه الرياح واستغلالها لمصالحهم ورحلاتهم التجارية البحرية أفضل استغلال^(٣٥).

ثروات عُمان الاقتصادية:

اشتهرت عمان^(٣٦). بمصايد اللؤلؤ شأنها في ذلك شأن معظم المدن المطلّة على

الخليج العربي وجزره، ويروي المسعودي في مروج الذهب تفاصيل عملية الغوص على اللؤلؤ في بحر فارس من بلاد خارك وقطر وعمان وسرنديب ويذكر صفات اللؤلؤ المستخرج من هناك^(٤٧).

ويروي صاحب عجائب الهند أن أحد الغواصين من أهل عمان يدعى مسلم بن بشر استخرج لؤلؤة عرفت باليتيمة باعها للخليفة العباسي هارون الرشيد بسبعين ألف درهم، وباع له أخرى بثلاثين ألفاً، وعاد إلى بلده عمان بمائة ألف فصارت له دار عظيمة وضياع^(٤٨).

وقد أشار إلى هذه الدرة اليتيمة كل من الاصطخري وابن حوقل. كذلك يروي الحميري في الروض المعطار أن رجلاً عمانياً قدم إلى مكة بلؤلؤتين لم ير مثلهما، فباعهما بألفي دينار ذهباً، من رجل سمرقندي، وخرج من مكة في يومه فلما كان بعد عدة أيام قدم من قبل صاحب عمان رسول يطلب الذي باع اللؤلؤتين، ويتهمه بأنه سرقهما من قصره، وطلب المشتري فلم يعثر له على أثر إذ كان قد رحل بهما إلى دمشق فأهدى أحدهما إلى صاحب دمشق فكافأه عليها بعشرة آلاف دينار، ثم رحل إلى سمرقند فأهدى الثانية إلى صاحبها فكافأه عليها بخمسة عشر ألف دينار، ويذكر الحميري أن هاتيم اللؤلؤتين من مغاص «عمان»^(٤٩).

ويذكر ابن الفقيه أن عمان اشتهرت أيضاً بالقنى^(٥٠). وعرفت بتمورها الطبية طوال العصر الإسلامي^(٥١) ويؤكد ذلك ابن بطوطة الذي ذكر شهرة عمان في تصدير التمور إلى الهند وما حولها^(٥٢).

ونضيف إلى ما سبق أن ذكرناه عن ثروات عمان الاقتصادية شهرة أهل عمان بعنایتهم بتربية الخيل العربية الاصلية وهي شهرة بلغت الهند، فكان أهل الهند يسعون إلى شرائها من عمان ومن غيرها، وفي ذلك يقول ابن بطوطة عن أهل الهند: «والخيل التي يبتغونها للسبق تجلب إليهم من اليمن وعمان وفارس، وبيع الفرس منها بألف دينار إلى أربعة آلاف»^(٥٣).

كذلك اشتهرت عمان منذ أقدم حقب التاريخ بانتاج النحاس وظلت تحتفظ بهذه الشهرة في العصر الإسلامي^(٥٤). ومن حيث الثروة السمكية ذاعت شهرة عمان بأسمائها، وفي ذلك يقول ابن الفقيه: «ويقال ريف الدنيا من السمك ما بين ماهيرديان إلى عمان»^(٥٥). ويؤكد ذلك في موضع آخر من كتابه^(٥٦) كما يؤكد ابن بطوطة عندما يذكر شهرة مسقط بصيد الاسماك^(٥٧).

ومن الجدير بالذكر أن بعض الاحاديث التي نسبت إلى الرسول ﷺ في فضائل عمان توضح ارتباط أهل عمان بالبحر، وبالصيد ففي حديث مازن بن غضوبة قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليك وسلم، ادع الله تعالى لأهل عمان: فقال: اللهم أهدم وأبهم، فقلت: زدني يا رسول الله، فقال: اللهم ارزقهم العفاف والكفاف، والرضا بما قدرت لهم. قلت يا رسول الله: البحر ينضج بجانبنا، ادع الله في مريتنا وخفنا وظلفنا، قال: اللهم وسع عليهم في ميرتهم وأكثر خيرهم من بحرهم، قلت زدني، قال: اللهم لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم، قل يا مازن آمين..^(٥٨).

أما بلاد مهرة، وقصبتها الشحر، وهي التي اعتبرها كل من الاصطخري وابن حوقل ضمن عمان^(٥٩) فكانت تنتج اللبان، الذي ذاعت شهرته في الآفاق، وكان أهلها يشتغلون بصيد الاسماك وتربية الابل وزراعة التمور^(٦٠). وكان يتوفر ببلاد

الشجر بالإضافة الى ماسبق العنبر، فقد ورد في كتاب سلسلة التواريخ: «وفي عرضه بحر الزنج وبلادهم وعنبر هذا البحر قليل، ذلك أن العنبر أكثره يقع الى بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب، وأهل الشحر أناس من قضاة بن مالك من حمير وغيرهم من العرب»^(٦١)....».

ويشير كل من ابن خرداذبه والمقدسي الى الكندر الذي كان من أهم ثروات مهرة الزراعية^(٦٢) وتتضمن المصادر العربية أسماء أنواع متعددة من ثروة عمان الزراعية، كالنخيل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق^(٦٣) . أما جزيرة قيس التي كثيرا ما خضعت لامراء من أصول عمانية فقد اشتهرت باستخراج اللؤلؤ^(٦٤) .

وهكذا تتميز عمان بوجود كثير من مصادر الثروة، وذلك منذ العصور التاريخية القديمة وفي العصور الاسلامية وما تلاها من عصور، مما ساعد على وجود حرف وصناعات مازالت موجودة حتى الآن، كما ساعد على تنشيط التبادل التجاري بينها وبين غيرها من البلدان.

الفصل الثالث

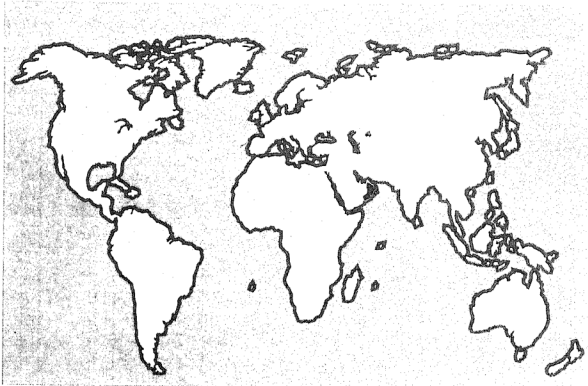
مكونات الجغرافيا السياسية

لعمان وأثرها في العصر الحديث

بعد أن عرضنا لسكان عمان وثرواتها في العصر الاسلامي، كان لزاما علينا أن نعرض لأهم المكونات الجغرافية السياسية لعمان وأثرها عليها في العصر الحديث. وهذه المكونات التي نشير اليها والتي نخصص لها هذا الحديث عديدة، منها المكان الجغرافي وما يعكسه من أهمية استراتيجية، والعناصر الطبيعية والمناخية للأرض العمانية وما تفرض على الانسان العماني من صور تفاعل وتعامل مختلفة بقيمتها الاقتصادية والسياسية، والسكان العمانيون الذين يشكلون بمكوناتهم المختلفة وبقدراتهم الثقافية والتعليمية العامل الرئيسي الذي تنعكس اثاره سلبا او ايجابيا على الاوضاع الاقتصادية والسياسية للسلطنة.. وعلى المكانة التي تحتلها في المعترك الدولي، اخيرا الكلام عن التركيب الجيولوجي للسلطنة واثره على بناء الموارد الطبيعية من تربة زراعية وثروات معدنية وانعكاس ذلك كله على القيم الاقتصادية والسياسية للسلطنة^(١). وطبيعي أن الكلام عن هذه الجوانب الجغرافية الاساسية وتوضيح اثارها على البناء السياسي، سيقى دون اي شك مزيدا من الضوء على سبل التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للسلطنة، وعلى قوانين هذا التطور فتتضح الامور اكثر، وتستقيم الاحكام والاستنتاجات، ويصبح النجاح حليف من سيرسم ويخطط لمستقبل هذا البلد، ويعمل من اجل تقدمه ورفعته شأنه.

المكان الجغرافي وجوانبه السياسية (جيوپوليتيكية المكان):

وتبرز الأهمية الاستراتيجية لموقع عمان من اول وهلة تقع فيها العين على أية خارطة للعالم، فهي تحتل قلب منطقة تتوازن عندها مناطق العالم الاسلامي، وعند شواطئها تنتهي الحدود الشرقية للوطن العربي المطلة على المحيط الهندي الاستراتيجي الذي يربط الشواطئ الافريقية بشواطئ المحيط الهادي. وان حقيقة المكان الجغرافي الذي تحتله عمان من قلب منطقة الشرق الاوسط، وعلاقات هذا المكان التي تربط كما ربطت من قبل السلطنة بالعوامل الحضارية والسياسية حولها، هي المنطلق الذي يجب الانطلاق منه لشرح التفاعلات السياسية التي تدور حول الاقليم وتؤثر فيه من الداخل كتفاعلات ذاتية، ومن الخارج في صورة الضغوط التي مارسها وتمارسها حتى الآن القوى الدولية في الميزان الدولي العام من اجل السيادة العالمية ومن اجل التوازن العالمي للقوى. فمن هذا الموقع المركزي للسلطنة بين الشرق والغرب عند مدخل الخليج العربي الذي اصبح يعرف فيما بعد باسم خليج البترول، تشترك السلطنة وايران في التحكم في مدخل أغنى مناطق انتاج البترول في العالم، وذلك عن طريق مضيق هرمز الذي يمر به اكثر من ٦٠٪ من



خارطة تبين موقع
عُمان في العالم

امدادات البعالم النفطية (٢) ، كما يمر به نحو ٩٠٪ من واردات اليابان النفطية و ٧٠٪ من واردات السوق الأوروبية المشتركة و ٥٠٪ من حاجة الولايات المتحدة الأمريكية. وقبل ان يكتشف البترول في عُمان، وتصبح احدى مناطق القلب للطاقة في العالم، كانت بفضل استراتيجية موقعها، منطقة صراع بين القوى التجارية البحرية العظمى حينما كانت ممرا بحريا مهما لتجارة التوابل والبخور والحرير وغيرها من السلع النادرة والثمينة والتي كانت انذاك تفوق في ندرتها وغلائها النفط... فلا عجب ان تتعرض وفي كافة حقبةا التاريخية لصراعات مريرة بين القوى المتنافسة في محاولة لاحتوائها وبسط نفوذها الاقتصادي والسياسي عليها، الامر الذي يقطع بأهمية السلطنة الاستراتيجية مما جعلها من أهم مناطق المواجهة في حركة الصراع العالمي المعاصر وذلك قبل انتهاء الحرب الباردة وانهيار الاتحاد السوفييتي والتحولت التي جرت فيما كان يعرف بالمعسكر الشرقي.

وقد جعل هذا الموقع الاستراتيجي الهام السلطنة مشار اهتمام القوى العالمية وزاد من اهمية هذا الموقع الاستراتيجي مرور تجارة البترول العالمية من مضيق هرمز الذي يقع الجزء الصالح للملاحة فيه ضمن الاراضي العمانية ونظرا للاهمية البالغة للبترول كسلعة استراتيجية تعد عصب الحياة في الغرب اتخذت هذه القوى كافة السبل لابقاء الامدادات البترولية بعيدا عن الخطر او التهديد من خلال استقرار التوازن الدولي بشكل باعد التطاحن بين القوى العظمى في العالم وذلك قبل انهيار الاتحاد السوفيتي وتداعياته الواسعة (٣).

ويمكن تلمس الجوانب والآثار السياسية للمكان الجغرافي لعُمان ضمن حدود ثلاث مراحل في تاريخ السلطنة، انعكست خلالها هذه الآثار بصفات مختلفة. وتبدأ المرحلة الاولى منذ نشأة الحضارات العليا القديمة في الاطراف الشرقية والجنوبية

الشرقية من شبه الجزيرة العربية، وتمتد المرحلة الثانية خلال القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر، وأخيرا تظهر المرحلة الثالثة المعاصرة ابتداء من القرن التاسع عشر وتمتد الى اليوم.

المرحلة الأولى :

فمنذ اوائل التاريخ القديم كانت المناطق المجاورة للاطراف الشرقية والجنوبية الشرقية من شبه الجزيرة العربية مكانا لنشاط عدة سلطات سياسية مركزية قوية، تحتكر وتستقطب الطرق البرية والبحرية والتجارية التي تنصب اليها من اجزاء العالم القديم المعروف في آسيا وافريقيا واوروبا، وبذلك كانت هذه المناطق من المراكز التي تساهم في حركة التجارة العالمية.

وكانت بابل وأشور من اوائل الامبراطوريات التي احتكرت التجارة البرية الاسيوية، من الخليج العربي حتى الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وجاءت بعدها الامبراطورية الفارسية لتمتد على سطح ارضي واسع وتسيطر على تجارة المنطقة.

وحينما اصبحت الدولة الاسلامية اكبر دول العالم في العصور الوسطى والقدمية، اخذت اطراف الجزيرة العربية على الخليج العربي وعلى خليج عمان تسترجع مكانتها بالنسبة لطرق التجارة العالمية القديمة، وقامت بغداد في هذا الجزء من البلاد الاسلامية بالدور الذي قامت به بعد بضعة قرون، كل من اسبانيا والبرتغال وانجلترا وهولندا، ففي بغداد كانت تنصب عبر الخليج العربي ومواقعه التجارية على خليج عمان ومضيق هرمز، تجارة العالم من الصين واندونيسيا والهند وشرق افريقيا بواسطة البحر، ومنها كانت تتجه السلع الى الاسواق الاوروبية بواسطة اساطيل البندقية وجنوا المنطقة من موانئ البحر المتوسط.

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة الركود التجاري التي اعقبت احتلال البرتغال لموانئ شرق افريقيا وعدن ومسقط وذلك خلال الفترة من ١٤٩٨ - ١٥٠٧ وقد اصبحت الموانئ العمانية في الخليج العربي وشرق افريقيا بأضرار بليغة من جراء الهجمات البحرية البرتغالية والقسوة والتدمير اللذين اتصف بهما هذا الحكم والذي وضع نصب أعين شعار محاربة الاسلام وإقامة محطات صليبية في شرق افريقيا وخليج عدن ومسقط.

الا ان هذا التغلغل البرتغالي الذي استمر اكثر من قرن ونصف قد فشل في تحقيق

اهدافه لاسباب عديدة من اهمها:

- المقاومة العمانية المستميتة.
- المنافسات الجديدة بين الدول الاوروبية (البرتغال وبريطانيا وهولندا وفرنسا).
- الانتكاسات التي مني بها البرتغاليون وخصوصا هزيمتهم في معركة وادي المخازن في المغرب، التي اضعفت من حكمهم في آسيا وافريقيا.

المرحلة الثالثة :

ظل الركود مسيطرا على معظم مناطق اطراف الخليج العربي الى ان جاءت فرنسا الجديدة بعد ثورتها في اواخر القرن الثامن عشر تدق الأبواب، واندفع نابليون للسيطرة على طرق التجارة العالمية البحرية، وقطع طريق الهند على بريطانيا، فاستاقت المنطقة من غفوتها وعادت تطرح نفسها من جديد على

مسرح الصراع الدولي المعاصر.

ومنذ ذلك التاريخ تفاعلت وتنافست وتصادمت عدة قوى في المنطقة للحصول على مكان يمكن التحكم فيه في منطقة الخليج بوصفها الحلقة الرئيسية في تأمين أو تهديد الاصلاك والمصالح في اطراف المحيط الهندي وفي الشرق الاقصى. وقد بلغت هذه التفاعلات درجة شديدة من التعقد والتشابك قل مثيلها بالنسبة لاقاليم جيوبوليتيكية اخرى في العالم، فقد انطوت على تكوين تحالفات متكررة من جانب القوى الاجنبية مختلفة تماما في عضويتها في كل مرحلة من مراحلها الزمنية، فكثر ما اكان الحلفاء في فترة، يتحولون الى اعداء في فترة اخرى.. وكانت هذه الاختلافات التي تعكس طبيعة المنافسة الحادة من اجل السيطرة على المنطقة، تلعب على خلفية ما يدور من احداث سياسية ذاتية داخل السلطنة وفي المناطق المجاورة لها، فتتأثر بها في احيان وتؤثر فيها في غالبية الاحيان بحيث توجهها وجهة مقصودة تخدم استراتيجية طرف من الاطراف المتصارعة.

ولقد كتب الكثير من التاريخ السياسي للسلطنة خلال هذه المرحلة، الا ان التعقد والتشابك في الازوضاع السياسية والتيارات المتصارعة على المنطقة وفي داخلها قد ادخلا شيئا من الصعوبة على دراسة هذه الازوضاع والتيارات، فجاءت بعض الدراسات بعيدة عن الموضوعية في التفسير والتحليل والاستنتاج، رغم وضوح الخطوط العامة للاحداث وبساطتها، بحيث يمكن اعادة عرضها عرضا موضوعيا موجزا يتناول مكونات القوى والازوضاع الذاتية في المنطقة مع مكونات القوى الاوروبية المتصارعة عليها وخطوط ضغوطها وقواعد انطلاقها... ثم دور كل من هاتين المجموعتين من القوى في تكوين الصفة الجيوبوليتيكية للمكان الذي تحتله السلطنة وتطور هذه الصفة منذ القرن التاسع عشر.

وتطبيقا للسمة الاساسية للاستراتيجية الانجليزية التي كانت تهدف باستمرار الى اقامة او دعم دول حاجزة تفصل بين املاكها ومصالحها وطرقها الامبراطورية، وبين الدول والاطراف التي تتهدد هذه الاملاك والمصالح، فانها كانت تشرك هذه الدول الحاجزة معها في الدفاع وتحملها جزءا من تكاليفه عن طريق جعلها مناطق تابعة ومرتبطة ومعتمدة في وجودها على تدعيم بريطانيا لها، وكان الاسطول البريطاني دائما هو الاداة المرنة لتنفيذ هذه الاستراتيجية، ولما كانت حركته لتنفيذها تحتاج باستمرار الى قواعد متقدمة تكفل وجوده ماديا، فقد كان على بريطانيا ان تدعم نفوذها بامتلاك مثل هذه القواعد، فبدأت بتنفيذ ذلك عام ٢١٤هـ/ ١٧٩٩م حين احتلت جزيرة بريم في مضيق باب المندب كخطوة لتطويق التهديد الفرنسي الذي مثلته حملة نابليون على مصر عام ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م، ثم احتلت جزيرة سقطرة في عام ١٨٢٤ واحتلت عدن عنوة في عام ١٢٥٥هـ/ ١٨٢٩م.

ونتيجة للاتفاقيات التي وقعتها بريطانيا مع مشيخات الخليج العربي اصبح لها بحلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر سيطرة واضحة على الطرق البحرية في الخليج.

وحينما ظهرت المانيا بعد عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م كقوة عسكرية منتصرة على منافسيها في اوروبا، انتبعت الى اهمية الموقع الاستراتيجي للمناطق الواقعة على اطراف الخليج بالنسبة للطرق البحرية التي تربط دول اوروبا بمناطق النفوذ التابعة لها، وبخاصة موقع عمان المسيطر على مضيق هرمز فانضمت المانيا الى جانب الدولة

العثمانية اعمالا لاستراتيجيتها وقتئذ، والتي تتمثل في اتخاذ تركيا كجسر تصل عبره الى المحيط الهندي فتدق بذلك اسفينا بين روسيا من ناحية وحليفاتها فرنسا وبريطانيا من ناحية اخرى، وفي عام ١٣١٩ هـ / ١٩٠١ م منحت الدولة العثمانية امتيازاً الى المانيا لمد سكة حديد من برلين الى بغداد تمر بالموصل وبغداد والبصرة وتنتهي بالخليج العربي وقد قاومت بريطانيا هذا المشروع ولكنها توصلت مع الدولة العثمانية عام ١٩١٣ الى مشروع اتفاقية للمشاركة الانجليزية في المشروع المذكور، الا أن اندلاع الحرب العالمية الاولى حال دون توقيعها والمصادق عليها من قبل البلدين.

وعندما بلغ ضعف الدولة العثمانية اشده في مطلع القرن العشرين، اصبحت الفرصة متاحة للدول الاوروبية لتحقيق اهدافها في ممتلكات (الرجل المريض)، فقامت من اجل ذلك صراعات واخلاف متغيرة كان القاسم المشترك لاهدافها القضاء على الدولة العثمانية وتقسيم ممتلكاتها.

وجاءت النهاية عقب الحرب العالمية الاولى (١٣٣٢ - ١٣٣٧ هـ / ١٩١٤ - ١٩١٨ م) التي نجم عنها انهيار الدولة العثمانية (وتأسيس الجمهورية التركية على اراضيها الحالية في الانقوش وجزء من ترافيا) وزوال سيطرتها على ممتلكاتها في الاقطار العربية^(٤)، وقد مكن ذلك بريطانيا من ترسيخ نفوذها على طريق الهند لحماية امبراطوريتها الهندية مما ضاعف من اطماع بريطانيا في المنطقة العربية بهدف بسط حمايتها بشكل مكشوف لكي تكون المنطقة العربية قلعة وقاعدة تحمي الطريق الى اطراف امبراطوريتها وتؤمن في الوقت نفسه السيطرة على مناطق اطراف الخليج العربي التي بدأت تفوق منها روائح النفط.

ولكن الحركات القومية العربية بين الحربين العالميتين بالاضافة لما طرا على الازوضاع السياسية في العالم من تبدلات ودخول منافسين اقوياء جدد الى ميادين الصراع والتنافس، جاءت كلها لتندرج باحتمال خروج هذه المراكز من سيطرة بريطانيا فيما لم يبق تحرك السيطرة لنفسها، ففضلت مجبرة القبول بمشاركة بعض الدول الاوروبية لها في الهيمنة والانتفاع، اضافة الى الولايات المتحدة الامريكية التي اصبح لها مصالح اقتصادية وسياسية في المنطقة تتمثل في البترول وفي التوازن، ويجب حماية هذه المصالح تطبيقا لاستراتيجية خاصة بها تنفذها من خلال خطط التحالف الغربي العام في المنطقة، وبواسطة الاحلاف المحلية الخاصة... وبذلك اصبح الولايات المتحدة الامريكية تمثل آخر الاطراف الغربية الراسمالية التي دخلت ميدان الصراع^(٥)، فبعد تزعم الولايات المتحدة الامريكية للعالم الغربي بعد الحرب العالمية الثانية، ونمو مصالحتها في العالم، وبخاصة في اطراف الخليج العربي في صورة شركاتها البترولية العملاقة اصبحت مناطق اطراف الخليج ومنها عمان بأهميتها البترولية وبأهمية موقعها، احد المناطق الرئيسية لاهتمامات الولايات المتحدة الامريكية وجهودها من اجل تحقيق التوازن الدولي مع الاتحاد السوفيتي آنذاك.

وقد ادركت سلطنة عمان اهمية موقعها وأهمية المنطقة التي تقع بين ظهرانيها وسط طوفان العلاقات الدولية المتشعبة والمرتبطة بشبكة من المصالح للدول الكبرى في المنطقة... لذلك سعت عمان بعد عام ١٩٧٠ من اجل جعل الخليج منطقة سلام وتسعى جاهدة لنشر علاقات المصالحة والوفاق في كل المنطقة... ولا ينصب هذا التركيز على الجانب العربي من ضفتي الخليج بل يمتد الى الضفة الايرانية ايضا... وهذه السياسة ليست مجرد استجابة سلبية للاوضاع الجغرافية بل استجابة



صاحب الجلالة السلطان
قابوس المعظم

لدواعي مصلحة استمرار عملية التنمية والتحديث... والمتتبع لمواقف عمان يجد انها اولت اهتماما بالغاً بتقوية علاقاتها الدولية من خلال علاقات متوازنة مع جميع دول العالم دون النظر لطبيعة نظمها السياسية والاقتصادية... ومع بدء عصر النهضة انطلقت عمان في مسيرتها التنموية الشاملة يساعدها في ذلك الخصائص التي تميزها عن بقية دول الخليج من حيث المساحة وعدد السكان.

وفي هذا الاطار فانه مما لا شك فيه ان من اهم السمات المميزة للسياسة الخارجية العمانية هي انها ترتبط الى حد كبير ليس فقط بالخبرة التاريخية لعمان كدولة قديمة لعبت دور القوة الاقليمية المؤثرة في هذه المنطقة خاصة في النصف الاول من القرن الماضي، ولكنها تركزت ايضا على عوامل ذات ارتباط وثيق بما يفرضه عليها موقعها من اعتبارات من ناحية وما تصنع لنفسها من اهداف في المراحل المختلفة لمسيرتها من ناحية ثانية... وفي هذا المجال فانه يمكن الاشارة باختصار الى مايلي:

اولاً: ان الادراك العماني المبكر لاهمية موقع عمان على مدخل الخليج العربي، وبضلع طويل على خليج عمان والمحيط الهندي من جهة، ولطبيعة التنافس الدولي خاصة بين بريطانيا وفرنسا خلال القرن التاسع عشر من جهة ثانية، جعلها تلجأ الى استخدام علاقاتها الخارجية كوسيلة لتحديد او الحد من تأثير بعض القوى الدولية عليها وذلك عبر اقامة علاقات مع القوى المنافسة لها من ناحية، وعبر توسيع نطاق علاقاتها مع القوى الدولية المؤثرة الاخرى من ناحية ثانية... ومن ثم فانه لم تكن مصادفة على اي نحو ان تكون لعمان علاقات دبلوماسية، بل واتفاقيات متبادلة مع كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ثانياً: ان من اهم المؤثرات التي تترتبت على الموقع العماني هو ساطرته البحر والسواحل العمانية الطويلة، من تأثير على عمان جعلها تهتم دائماً بتقوية وتطوير قواتها البحرية... وهذه القوة البحرية كانت احد عناصر التأثير في الدائرة الاقليمية من جهة، وفي تأمين الدولة العمانية ودعم موقفها الاقتصادي والسياسي من جهة ثانية... والعودة الى فترة امتداد الدولة العمانية الى شرق افريقيا بل الى الشاطئ الآخر للخليج احياناً توضح ذلك الى حد بعيد.

ثالثاً: انه استمراراً لادراك اهمية الحفاظ على توازن العلاقات الخارجية فان السلطنة قد حرصت منذ بدء مسيرة النهضة المعاصرة بقيادة جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم على مد نطاق علاقاتها الدبلوماسية الى اوسع نطاق ممكن، مع استمرار التمسك بأن تركزت هذه العلاقات سواء في قيامها او استمرارها على اساس الاحترام المتبادل واحترام السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية والعمل بحسن نية لخدمة المصالح المشتركة، وذلك بصرف النظر عن طبيعة النظم السياسية

والاجتماعية للدولة الاخرى... وقد احتفظت عمان بعلاقات ودية مع الغرب والشرق وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي فان علاقات طيبة تسود الصلات بين عمان من جهة وروسيا الاتحادية واقطار اوربا الشرقية وآسيا الوسطى والصين من جهة اخرى ناهيك عن علاقاتها الوثيقة ودورها المتميز بين الاسر الدولية، والى جانب ذلك فان عمان قد الزمت نفسها بسياسة الحياد الايجابي وعدم الانحياز على المستوى الدولي وبالسعي الى تحقيق الامن والسلام والاستقرار على المستوى الاقليمي، وذلك عبر ما تتمتع به السلطنة وقيادتها من علاقات واسعة النطاق واحترام كبير من جانب مختلف الدول.

رابعا: لعل من اهم الجوانب التطبيقية التي جسدت التفاعل بين الموقع وبين السياسة العمانية هو موقف عمان ازاء الحرب العراقية الايرانية (١٤٠٠ - ١٤٠٨ هـ) (١٩٨٠ - ١٩٨٨ م) وفي هذا المجال كان لموقف عمان اثره الكبير ليس فقط في الحد من التوتر في الخليج العربي وحصر نيران الحرب ومنعها من الانتشار والاسهام العملي احيانا في تخفيف وحل بعض الصعوبات التي ترتبت على استمرار الحرب، ولكن ايضا استطاعت عمان عبر سياستها الواقعية والبعيدة النظر الحفاظ على اتصالات دائمة ومفتوحة مع الطرفين - العراق وايران - بل ومحاولة التقريب بين الطرفين... وفي الوقت الذي دعت فيه السلطنة بشكل دائم ومستمر الى حل النزاع سلميا - وهو ما تحقق فعلا - وعلى اساس من الشرعية الدولية والحفاظ على الحقوق المشروعة والمعترف بها للطرفين، وبما يسمح بالحفاظ على العلاقات الوثيقة والدائمة بين شعوب المنطقة والتي تركز على الجوار والدين والمصير المشترك، فانها قد حرصت - السلطنة - ايضا على الحفاظ على سلامة واستمرار الملاحة في الخليج ومضيق هرمز خدمة للتجارة العالمية، مع العمل بكل السبل على تجنب المنطقة مخاطر الاستقطاب الدولي الذي يمكن ان يجر عليها الكثير من السلبيات التي هي في غنى عنها.

ذات الموقف المتزن وقفته السلطنة حين غزت العراق الكويت في صيف ١٩٩٠ ونظرت للقضية نظرة هادئة دون تشنج مع وقوفها الملن والعمل الى جانب الشرعية العربية والشرعية الدولية وكان يحدها في ذلك احساسها بالمصالح الوطنية وكذلك المصالح القومية فضلا عن مصلحة كل من الكويت والعراق باعتبارهما بلدين شقيقين في نهاية المطاف... ولعل احدث المواقف العمانية التي جسدت بالوعي التفاعل بين الموقع والسياسة هو ما اعلنته السلطنة حين اندلعت احداث اليمين الدامية في مايو ١٩٩٤ من الحرص على ضرورة وقف الحرب وانتهاج سياسة الحوار حفاظا على تماسك الجبهة الداخلية كما اكدت عمان في اتصالاتها ومشاوراتها قبيل المعارك او بعدها على الحرص التام على سلامة واستقرار اليمن وتعزيز وحدته الوطنية.

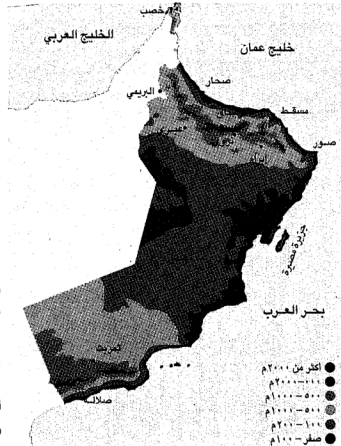
خامسا: انه اذا كانت السلطنة قد بذلت كل جهودها لسلامة الملاحة في مضيق هرمز بشكل آمن ومتصل حتى في فترة حرب الناقلات (١٤٠٦ - ١٤٠٨ هـ) (١٩٨٦ - ١٩٨٨ م) فان الامتداد الجغرافي للسلطنة على خليج عمان، والمحيط الهندي قد مكنها من تقديم احد البدائل الهامة امام نقل النفط في الدول الاخرى المنتجة له في مجلس التعاون لدول الخليج العربية للوصول الى خارج مضيق هرمز دون المرور فيه وذلك من خلال طرح مشروع مد خط انابيب لنقل النفط من مناطق انتاجه داخل الخليج الى الموانئ العمانية في خليج عمان، وهو مشروع حظي باهتمام مجلس التعاون لدول الخليج العربية وان كان قد توارى ولو قليلا الآن على الاقل.

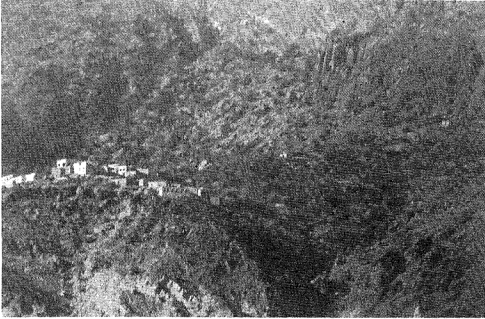
ساسا: انه لم يكن غريبا على اي نحو في ظل الخبرة التاريخية والمعاصرة لسلطنة عمان، ان يكون محور سياستها في ظل النهضة المعاصرة التي يقودها جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم، هو العمل من اجل تحقيق التضامن ووحدّة الصف العربي، ودعم العمل من اجل تسوية النزاعات عبر الحوار الايجابي وبعيدا عن استخدام القوة او التهديد بها، والالتزام بالقواعد التي حددتها المواثيق العربية والدولية في هذا الشأن، وهي القواعد المسلم بها والمقبولة دوليا. وجدير بالذكر ان السلطنة قد قامت بدور حيوي في مجال العمل من اجل استعادة العلاقات بين الدول العربية وبعضها لحيويتها والتنامي والامتلة في هذا المجال اكثر من ان تحصى، ومن الاهمية بمكان التأكيد على ان التطورات التي شهدتها المنطقة خاصة خلال العقد الاخير، قد اثبتت سلامة وبعد نظر المواقف والسياسة العمانية بالنسبة لاكثر من قضية وفي اكثر من مرة، وهو ماكان له اثره الايجابي في علاقات السلطنة ومكانتها اللائقة في المنطقة وخارجها والذي ترجم في جانب منه في دعم وخدمة تحركها على طريق التنمية والبناء. وعلى الرغم مما تتعرض له العلاقات المكانية عادة من تغيرات قد تكون جذرية نتيجة لمتغيرات التكنولوجيا في مجالات النقل والمواصلات والنشاط الاقتصادي، فان غالبية هذه المتغيرات قد دعمت اهمية المكان الجغرافي للسلطنة وزادت في التأكيد على هذه الاهمية.

الارض وجوانبها السياسية (جيوبوليتيكة العناصر الطبيعية والمناخية) (٦):

لا تكتمل صورة أحداث الجغرافية السياسية للسلطنة ولا تتوضح مكوناتها دون التعريف بالخطوط العريضة للارض العمانية التي تشكل المسرح البيئي الذي تجرى فوقه ومن حوله الاحداث السياسية، وتتصارع القوى، ويمارس الانسان العماني على خشبته نشاطاته الاقتصادية والسياسية المختلفة، متأثرا بالخصائص العامة لعناصر هذه الارض الطبيعية والمناخية، ومؤثرا فيها في الوقت نفسه بطرق تختلف حسب خلفيته التكنولوجية. وتتعدد أشكال الارض ومظاهر السطح وتتنوع البيئات في عمان تنوعا مفيدا ومؤثرا في مجال التاريخ والحضارة والسياسة، وأولى هذه البيئات التي تتكون منها هي البيئة الساحلية.

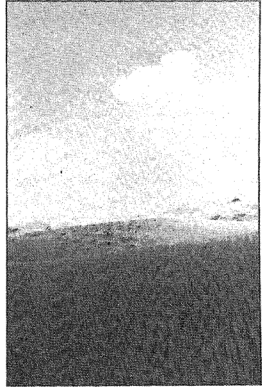
وتستأثر هذه البيئة الساحلية بقسط كبير من توجهات الانسان العماني، فعند سواحل عمان تنتهي كتلة شبه جزيرة العرب القديمة التي يسميها البعض «كتلة الدرع العربي»، ومن الخصائص الاساسية لسواحل عمان





الجبال من مظاهر
التضاريس المميزة
في عُمان

وشواطئها التي لعبت دورا هاما في نشاطات الانسان لفترة طويلة، انها في كثير منها قليلة العمق وغير صالحة لانشاء الموانئ البحرية الكبيرة. وهي تمتاز ايضا بكثرة اللسنة المائية الضحلة المتعمقة في اليابس لعدة كيلومترات والتي تعرف بالآخوار، وقد لعبت هذه الآخوار دورا هاما في حياة السكان وأحداث تاريخهم ونشاطهم الاقتصادي والسياسي، فرووسها كانت مواقع مناسبة قامت عليها مستوطناتهم التي شكلت آنذاك قواعد انطلاق للصيادين في صراعهم مع البحر، وفي مياهها الضحلة وجد الانسان العماني الحماية التي يتشدها ضد أعدائه في البحر وفي البر، ومنها شنت جموع العناصر الوطنية المغامرة هجماتها الخاطفة على السفن التجارية الأجنبية المنتمية للقوى الاستعمارية، والتي كانت تفرض سيطرتها وحمايتها بالقوة على المنطقة وعلى مايجاورها من أطراف منطقة الخليج العربي والأطراف الجنوبية من شبه الجزيرة العربية. ومن الظواهر الساحلية وجود «السبخ» الواسعة والمنبسطة التي تغمر مياه المأجزاء واسعة منها، مما يجعل التربة فيها رطبة وذات ملحوة مرتفعة لاتسمح بقيام اي



الصحراء احد
مظاهر التضاريس

نشاط زراعي فوقها.

وعلى مسافة قريبة من الساحل تمتد الشعاب والشطوط الجيرية المرجانية الصالحة لوجود محار اللؤلؤ الذي لعب دورا في التخفيف من حدة المشاكل الاقتصادية لفترة طويلة من الزمن.

وإذا ما انتقلنا من البيئة البحرية بسواحلها وأخوارها وسبخاتها ودورها في تشكيل حياة الانسان بمظاهرها الاقتصادية والسياسية، الى بيئة اليابس، فإننا سنجد بيئات

طبيعية تختلف كل الاختلاف عن تلك البحرية من حيث مظاهرها الاقتصادية والسياسية، فهي تمثل الوجه الثاني من حقيقة صراع الانسان العماني مع الظروف البيئية وهو يكافح في صنع صور حياته وأحداثها.

وتشمل البيئة هنا السهول الساحلية الضيقة والمناطق الجبلية المرتفعة المشرفة عليها بسفوح تقطعها الاودية السيلية، وخلف هذه المناطق المرتفعة وباتجاه الداخل من أرض شبه الجزيرة العربية، تمتد البيئة الصحراوية القاحلة التي تضم أشكالاً متعددة من الاراضي الصحراوية ترصعها الرياض الصغيرة المنتشرة ذات التربة الرطبة الصالحة للزراعة.

وتتكون الجهات الداخلية من السلطنة، وهي على العموم مرتفعة، من هضبة قديمة يصل ارتفاعها الى أكثر من ١٣٠٠ م، ينتصب وسطها الجبل الاخضر الذي يصل ارتفاع بعض جهاته الى أكثر من ٣٠٠٠ م، وتحدد الاودية التي تتجه من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي، سفوح هذه المناطق المرتفعة المنحدرة باتجاه السهول الساحلية.

وتتشكل هذه السهول الساحلية، مع المناطق الجبلية المرتفعة، بوديانها وبسفوحها التي قطعت على شكل مدرجات، والتي تتلقى بسبب ارتفاعها ووقوعها في نطاق الرياح الموسمية الصيفية كمية لا بأس بها من الامطار لاتقل في حدها الأدنى عن ٢٥٠ مم، المجال الواسع الذي يمارس فيه العمانيون نشاطهم الزراعي والرعي وذلك بزراعة أنواع مختلفة من الفاكهة كالعنب والرمان والخوخ والجوز والزيتون واللوز، الى جانب شجر التوت الذي يكون احراشاً كثيفة (٧). وبالإضافة الى الامطار الموسمية تستفيد هذه الزراعات من مياه الافلاج والعيون المندفعة.

ويعتبر الجبل الاخضر أحد الاماكن الرئيسية لانتاج الفواكه، حيث ينفرد بانتاج أنواع خاصة منها ككتك التي تحتاج الى مناخ معتدل نسبياً. أما السفوح الجبلية الدنيا والسهل الساحلي المعروف بالباطنة، فيصبح نخيل التمر فيه مهما جداً، بل يعتبر المحصول الاساسي الذي يقوم عليه نشاط السكان الزراعي، والى جانب النخيل ينتج السهل الساحلي التبغ وقصب السكر والقطن بالاعتماد على الري من مياه الينابيع الجبلية بواسطة القنوات.

ويقوم بعض السكان في الواحات الداخلية وعلى السفوح الجبلية برعي الاغنام والماعز، كما يتجه بعض السكان نحو البحر للعمل في صيد الاسماك والتجارة، فضلاً عن بعض الصناعات النسيجية والنحاسية والجلدية والفخارية البسيطة التي تشتهر بها بعض المدن، وبخاصة مدينة نزوى.

من هذه الخلفية الجغرافية تتضح أمامنا مجموعة من الحقائق ذات الصلة المباشرة أو غير المباشرة مع صفات مكونات الجغرافية السياسية للسلطنة. فالبنيات الجغرافية البحرية والجبلية والصحراوية اشتركت في رسم المسرح الجغرافي الذي مارست الجماعات البشرية، في ظل عناصره الطبيعية والمناخية نشاطاتها الاقتصادية والسياسية، وبالتفاعل مع هذه العناصر كانت الحصيلة التي تتمثل في الميراث الحضاري والنمط الحياتي الذي سبق فترة ثورة النفط.

وبما أن السلطنة تشكل في قسمها الأكبر جزءاً من الاقليم الجاف، فإن مشكلة المياه فيها تتطلب العناية من أجل توسيع مساحة الزراعة وتكثيف الانتاج الزراعي. فضلاً عن ارتباط عضوي يشد الناس في هذه البقعة جيلاً بعد جيل وقرناً بعد قرن الى

أرضهم إيماناً منهم بأن الشعوب التي ترتبط بالأرض لاتموت مهما مر بها من تقلبات في الحكم والسيادة.

كما أن المناخ الذي يمكن وصفه على العموم بأنه جاف في جزء كبير من السلطنة بآثاره الواضحة في نمط الزراعة ومحاصيلها ووسائلها وتكتيك تطويرها وتحسينها، يشكل إلى جانب الانهار والمياه الجوفية المرتبطة به، أحد المكونات الجغرافية الأساسية للتركيب الاستراتيجي للسلطنة وذلك من منطلق مفهوم الجغرافية السياسية، حيث يساهم في تحديد مناطق العمران والمساحات الزراعية والقابلة للزراعة والاستخدام السكاني فيها، فهو يخلق عمراناً كثيفاً ومستقراً في الواحات ومناطق يتابع المياه الباطنية، وفي أطراف الأودية العديدة وفي السهول الساحلية الضيقة الممطرة، وأخيراً في أطراف المرتفعات والهضاب التي تستقبل كميات لا بأس بها من الأمطار، وفي المقابل فإنه يفرض نمط السكن المخلخل والمتنقل في المناطق القاحلة.

وقد كانت هذه الظروف المناخية وكذلك المظهر المائي الذي يرتبط بها، من العناصر الجغرافية ذات الفعالية الشديدة في تحديد الصفات الأساسية للبناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في السلطنة، فظروف الحرارة والجفاف جعلت للموارد المائية أهمية حيوية تعادل أهمية المكان والموقع الجغرافي.

فحسب حجم الموارد المائية يتقرر حجم السكان، ومقدار ونوع ماينتجون من موارد زراعية وحيوانية، ولكي يبقى الحجم السكاني متوازناً بصورة من الصور مع موارد المياه المتاحة، تبقى السلطنة مشغولة بشكل دائم بتعديل الميزان الطبيعي في مصادرها المائية بشتى الوسائل، كمحاولة ضبط الأودية والسيول ذات الجريان الموسمي، واستخدام الوسائل العلمية للحصول على المياه الجوفية التي تجمعت من مياه الأمطار الحالية، وهي قليلة على العموم، أو من أمطار العصور الجيولوجية القديمة المطيرة، وأخيراً إقامة المنشآت لتحلية مياه البحر.

ونتيجة لهذه التأثيرات المتبادلة بين هذه العناصر الجغرافية الطبيعية وبين الإنسان، تأخذ الحياة مظهر التجمع في الواحات التي تظهر فيها المياه الجوفية، ويسود النشاط الرعوي حيث تسمح الأمطار الصيفية بنمو الأعشاب، وبزراعة محدودة يمارسها سكان الأودية كعمل إضافي لا كسرفة أساسية.

فإذا كانت العناصر الجغرافية الطبيعية المعيقة قد ساهمت في ضعف الاتصال بين السهول والوديان الصغيرة والواحات وجعلت نمط السكن والعمران متقطعاً، فإنها لا يمكن أن تكون المسبب الأساسي لهذا التفتت والانعزال، ولابد من أن تكون هناك أسباب أخرى عارضة معاصرة، تسهم بذلك وترتبط بالظروف السياسية التي مرت بالسلطنة.

وعلى الرغم من تأثير عناصر الجغرافية الطبيعية في ضعف الاتصال بين أجزاء عمان إلا أنه كانت هناك عوامل أخرى أدت إلى تقوية هذا الاتصال. فالناريخ يثبت أن الأطر العربية من حضارة ومشاعر، وهي عوامل تكامل ووحدت وتقارب كان لها من القوة ما مكناها في يوم من الأيام من التغلب على كل المعوقات الطبيعية، ومن ربط أقاليم السكن والعمران الموجودة في المنطقة برباط قومي وديني متين، وأن تثبت بأن الإنسان بمجموعة قيمه وتراثه وأيديولوجيته لايعجز عن توحيد أقاليم طبيعية مختلفة ضمن وحدة، وربطها بشكل قوي مهما تباعدت هذه الأقاليم عن بعضها، ومهما صعبت الظروف المناخية والجغرافية، فما بالك إذا تسلح هذا الإنسان، إلى



جانب ذلك بالتكنولوجيا المعاصرة المتطورة في مجمل أعماله ونشاطاته.

السكان والجوانب السياسية لوضعهم (جيوبوليتيكية السكان)^(٨) :

أما بالنسبة للمكونات البشرية لجغرافية السلطنة السياسية، والتي تتمثل بالسكان من حيث حجمهم ونموهم وتوزيعهم وبنيتهم المختلفة العمرية والتنوعية والاقتصادية والاجتماعية والاستيطانية، ومن حيث مستوياتهم الثقافية والتعليمية وقدراتهم الانتاجية وعلاقتهم الاقتصادية، فمما لاشك فيه ان هذه المكونات هامة وأساسية لانها تشكل رأس المال والرصيد والعنصر الذي بنشاطاته المتنوعة على المسرح الطبيعي تتكون الجوانب الرئيسية للقيم الاقتصادية والسياسية للسلطنة، وبتنميتها وتطورها يصل المجتمع العماني الى تحقيق طموحاته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويزيد من رصيده السياسي في منطقة تعد بحق من أكثر مناطق العالم عراقة وحيوية ونشاطا.

وما يجري الآن في السلطنة من تغيرات جذرية، وتحولات سريعة في الهياكل الاساسية والركائز الاقتصادية والاجتماعية

والسياسية يستوجب تأمين المزيد من القوى البشرية ذات المواصفات الجديدة التي تستطيع بحجمها وبنوعها تلبية متطلبات هذه التغيرات والتحولات، وأي خلل في التوازن بين هذه التحولات وحاجاتها من القوى البشرية سينعكس بشكل سلبي على تطور الأوضاع الاقتصادية والسياسية في البلاد، ويدفعها الى مزيد من الاعتماد على العمالة الخارجية رغم المساويء والاضطار والآثار الضارة التي يمكن أن تنتج عن ذلك.



ونظرا لاهمية المكونات السكانية في التعامل مع الواقع الراهن في السلطنة ورسم ملامح المستقبل من خلال برامج وخطط التنمية فقد حرصت السلطنة على تحديث البيانات السكانية باعتبارها أمرا بالغ الاهمية في توفير بيانات متجددة حول السكان بهدف استخدامها سواء في وضع خطط التنمية او في رصد وتقييم نتائج هذه الخطط. يظهر ذلك في التعداد الذي اجري اواخر ١٩٩٣ وطبقا لنتائجه تبين ان عدد السكان في السلطنة بلغ ٢,٠١٨,٠٧٤ نسمة^(٩)، ومن هذا العدد بلغت نسبة المواطنين ٧٤٪ والمقيمين ٢٦٪. وبلغ عدد الذكور العمانيين ٧٥٥,٠٧١ بنسبة ٥١٪ والاناث ٧٢٥,٤٦٠ بنسبة ٤٩٪ وهي نسبة طبيعية طبقا للمعايير المتعارف عليه دوليا^(١٠). وفي ضوء القيم التي طرحها التعداد يمكن الاشارة الى المدى الذي وصلت اليه اشكال الرعاية التي يحظى بها المواطن العماني وانعكاسات ذلك على خفض معدل الوفيات حيث اشادت منظمة الصحة العالمية في تقرير اخير لها بالنجاح الذي حققته السلطنة في هذا المجال.

ومن المتوقع في ظل المستويات الراهنة لمعدلات النمو السكاني في السلطنة ان يصل عدد السكان العمانيين الى ما لا يقل عن ١,٦ مليون نسمة بنهاية عام ١٩٩٥ أما في نهاية القرن الحالي فان العمانيين سوف يصل عددهم الى حوالي مليوني نسمة.. ومع افتراض ثبات عدد السكان غير العمانيين عند مستوياته الحالية فان إجمالي سكان السلطنة سوف يكون مع مطلع القرن الحادي والعشرين في حدود ٢,٥ مليون نسمة. كما ان اكتشاف النفط وتزايد انتاجه منذ عام ١٢٨٨هـ - ١٩٦٨م قد شجع على تزايد عدد المهاجرين القادمين الى السلطنة، اضافة الى عودة أعداد كبيرة من العمانيين الذين كانوا قد خرجوا من عمان في السابق طلبا للعمل. وتظهر خارطة التوزيع السكاني في السلطنة ان معظم السكان يتركزون في محافظة مسقط ومنطقة الباطنة.

حيث بلغ عدد سكان محافظة مسقط ٥٤٩,١٥٠ نسمة والباطنة ٥٦٤,٦٧٧ نسمة وبلغ عدد سكان محافظة ظفار ١٨٩,٠٩٤ نسمة ومحافظة مسندم ٢٨,٧٢٧ نسمة والظاهرة ١٨١,٢٢٤ نسمة والداخلية ٢٢٩,٧٩١ نسمة والشرقية ٢٥٨,٣٤٤ نسمة والوسطى ١٧,٠٦٧ نسمة^(١١).

أما التوزيع الفعلي للسكان بين الريف والبادية والمدينة في عمان اليوم فقد اختلف اختلافا كبيرا عن صورته القديمة، ومع بداية النهضة العمانية المباركة بقيادة حضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم أسهمت الثروة النفطية في دفع عجلة التنمية بصورة كبيرة، وكان من نتائج ذلك أن حظيت بعض الاماكن - أثناء تنفيذ مشاريع البنية التحتية - بنسبة أكبر من مغانم خطط التنمية، فاندفعت الجماعات من البادية والريف الى المدن وبخاصة مسقط، التي وصل عدد سكانها الى ما يزيد عن ربع عدد سكان السلطنة^(١٢). فغدت مجمعا حضريا ميثروبوليتانيا كبيرا^(١٣). وهناك أيضا صحار وصلالة ونزوى وصور، وكلها مدن نمت على حساب الريف والبادية المجاورين لها.

ولم يفت الحكومة ادراك مايعنيه أمر مغادرة أهل الريف والبادية لمناطقهم متوجهين الى المدينة المجاورة - التي قد لاتعني نهاية المطاف للمهاجر، اذ أنه قد يتجه صوب مسقط التي ستتويع بحملها من ناحية، كما أن الريف والبادية سيفرغان من

أهلها من الناحية الأخرى. وهاهي مشاريع تنمية المجتمعات المحلية مستمرة بهدف توزيع الاستثمارات جغرافياً ليعود بالنفع على مختلف مناطق البلاد وسائر أهلها^(١٤)، وحتى يزول التفاوت في مستوى المعيشة بين السكان يجري الآن التركيز على المناطق الأقل تقدماً في ذات الوقت، وسوف يؤدي تنفيذ هذا الأمر إلى دعم وتنمية المراكز السكانية الحالية وإلى المحافظة عليها من خطر الهجرات الجماعية إلى المراكز الحضرية الكثيفة السكان. وواضح من كل هذا أن أمراً آخر مما قد تحقق في نهاية المطاف، ألا وهو: المحافظة على البيئة من الاندثار ومن التلوث.

والسلطنة من بين دول الخليج العربية التي ما أنفك أهل الريف والبادية فيها مرتبطين بمناطقهم، ولذلك فقد كانت نسبة سكان الريف حتى مطلع الثمانينات تصل إلى ٧٥٪ من مجموع عدد السكان، ومن المتوقع أن تكون هذه النسبة قد انخفضت خلال الثمانينات بسبب الهجرة الداخلية. إلا أن دراسات الإسقاط المستقبلي (في ضوء ارتباط العماني «بالبلاد» وفي ضوء مشاريع تنمية المجتمعات المحلية) تبين أن هذه النسبة لن تقل عن ٥٠٪ في مطلع القرن القادم إن شاء الله.

ومعروف أن سلطنة عمان شبه جزيرة يحيط بها الماء من جهات ثلاث والبر من الجهة الرابعة، وهذا البر هو صحراء الربع الخالي، وهي صحراء ليس من السهل التغلب عليها وعبورها، فحمت عمان من جهة البر وجعلت منها معقلاً ليجأ إليه، ووجهت الشعب العماني نحو البحر وماوراءه، لذا كان لعمان أذرع طويلة تصل إلى جهات متعددة الطرق: إيران والهند والصين، وإلى شرق أفريقيا. واستمر الحال كذلك إلى مطلع السبعينات، وطوال ذلك الوقت كانت عمان تدفع جزءاً من أبنائها إلى الهجرة الخارجية، وكانت أهم المناطق المهاجر إليها في منتصف هذا القرن تتجه إلى دول الخليج العربية التي ظهرت الثروة النفطية فيها أبكر من عمان. وكان أهل عمان يفلحون سهول الباطنة وجريب كما يروون مزارعهم الصغيرة في الواحات المتناثرة في داخلية البلاد وشرقيها، واحترف الباقون مهناً أخرى أهمها الصيد والرعي. وكانت القوافل التجارية تجوب أعالي البحار التي شهدت للعمانيين بالتفوق، وظل هذا الحال كما هو عليه.

ولكن الوضع تبدل بعد اطلالة فجر النهضة التي بزغت في عام ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م، حيث وجدت السلطنة نفسها فجأة - مثلها مثل بقية دول الخليج البترولية - في وضع لم تعد الوطنية فيه قادرة على سد حاجة التنمية الشاملة التي بدأتها، على الرغم من عودة أعداد كبيرة من أبناء عمان إلى وطنهم، ملين النداء الذي وجهه إليهم قائد المسيرة المظفرة... واضطرت البلاد وإزاء هذا الوضع (وقد تحتم للحاق بركب القرن العشرين) إلى الاستعانة بأعداد كبيرة ومختلفة من

صيد الأسماك من
المهن التقليدية



العمالة الأجنبية، حيث تمكنت في فترة وجيزة من عمر الزمان وفيما يشبه المعجزة من تغيير أوضاع السكان وبخاصة الأوضاع الاقتصادية، وإذا كان متوسط دخل الفرد في السلطنة لا يزال أقل من دخل أشقائه في دول الخليج الأخرى إلا أنه قد زاد ويزيد في حد ذاته وباضطراد. وقد أدى هذا التزايد إلى انتشار مجتمع استهلاكي لآخر ماتقدمه البلدان الصناعية المتقدمة من مستحدثات وسلع في المجالين العام



لازال العمانيون
يحققون بوساطتهم
التقليدية في صيد
الاسماك

والخاص. وهكذا تحولت عمان من مجتمع تقليدي الى مجتمع ينطلق نحو التطور بشكل سريع.

هذا وليس للكثافة الزراعية في السلطنة أهمية كبيرة، لأن دور النشاط الزراعي في اجمالي الناتج القومي محدود، فهو من الانشطة التي تأثرت بطغيان الموارد البترولية على غيرها من الموارد الزراعية والرعيوية والصيد. وأحسن مدلول لشكل توزيع السكان في السلطنة هو ذلك الذي يشير الى العلاقة بين حجم السكان والمساحات المكانية المعمورة فيها، مع مايتوفر من الموارد التي تمثل الأساس الاقتصادي للسكان وتظهر خارطة التوزيعات لمراكز العمران في السلطنة تغير صيغة التبعثر التقليدية القديمة التي فرضتها الظروف البيئية والمعاشية السابقة، الى صيغة جديدة طابعها التركيز الشديد في الحواضر الكبرى والمراكز الحضرية الحديثة على حساب تفريغ البادية والريف ومناطق التجمع الصغيرة القديمة. فسكان السلطنة يتوزعون حالياً في مواضع محدودة ذات خصائص مكانية جغرافية اقتصادية تشجع على التركيز الكبير الحجم. وعلى الرغم من أن السلطنة، لازالت الى حد ما تتفرد عن بقية دول الخليج العربي البترولية، فإن المجمع الحضري في محافظة مسقط قد اصبح يضم نسبة كبيرة من مجموع السكان تصل الى الربع وهذه النسبة بازدياد مستمر، حيث تسهم الثروة البترولية التي تأخرت في السلطنة عن بقية دول الخليج في تسارع هذا الزيادة.

ويدل شكل توزيع السكان حسب الفئات العمرية على أن المجتمع العماني هو مجتمع شاب فتي تطغى عليه فئات الأعمار الصغيرة، حيث بلغت نسبة من هم اقل من ١٥ سنة ٥١,٨١٪ كما بلغت نسبة من هم بين ١٥ - ٥٩ سنة من العمر ٤٣,٥٣٪ ونسبة من هم اكبر من ٦٠ سنة من العمر ٤,٦٦٪.

وتشير ظاهرة ارتفاع نسبة فئة صغار السن الى ارتفاع مستوى الخصوبة من جهة وإلى انخفاض نسبة الوفيات من جهة أخرى^(١٥).

هذا وقد بقيت عمان تقليدية في حياتها واقتصادها ومجتمعها الى أن بزغ فيها فجر النهضة فغير من معالم وقيم الحياة فيها، وأدخل الى انسانها وإلى اقتصاده

ومستوطناته انماط حياة جديدة لم يعد الانسان فيها ممثلاً للجانب المستضعف في بيئته الجغرافية القاسية بظروفها، بل أصبح الجانب القوي الذي يتعامل مع هذه البيئة بمفاهيم وأسلحة جديدة، ومن موقع القوة القائم على العلم والتكنولوجيا والسيادة، حيث يمارس تجربة تنمية شاملة ومستمرة، معتمداً في ذلك على اقتصاد متين، فالمقومات الجغرافية الحالية لمكونات الأوضاع الاقتصادية والسياسية، والتي يصنعها الانسان العماني الجديد، أصبحت تختلف كلياً عن صورتها السابقة. والمنطقة في تغير، وهذا التغير في حركة دائبة وسريعة على المسرح الجغرافي، وبالتالي فإن انعكاساته على مكونات الجغرافية السياسية هي الاخرى سريعة وهامة أيضاً.

كما انه كان لانتشار الحضارة الاسلامية بشكل مميز في السلطنة، واختصاصها بنصيب وافر من مجموعة مكونات هذه الحضارة في الدين واللغة والبناء الاجتماعي، أثر واضح في مظاهر السلوك الاجتماعي والسياسي للأفراد والجماعات وفي تعاملهم، وكما أن المؤثرات البشرية والحضارية العربية التي تعود بعمقها التاريخي الى الجذور العربية الاصلية، لازالت تسهم بشكل كبير في تشكيل الرابطة القوية التي تشد الافراد الى بعضهم، وتقارب بين أقاليم السكن المتباعدة جغرافياً لتأتي الصورة الاجتماعية للتركيب السكانية العمانية في النهاية مؤكدة بأن الانسان بمجموعة قيمه وتراثه وأيديولوجيته وبأخذه بأسباب التقدم، يستطيع أن يقهر عوامل التباعد والجمود والتخلف والضعف، لينطلق فيوحد ويبني المجتمع القوي المتطور، وليضيف الى مواقعها قيماً اقتصادية وسياسية جديدة تزيد من أهمية بلاده الاستراتيجية.

التركيب الجيولوجي وجوانبه السياسية (جيوبوليتيكية الموارد الطبيعية)^(١٦):

تشكل البنية الجيولوجية والتركيب الصخري عنصراً له فعاليتها في قوة أو ضعف التركيب والوضع الاقتصادي والسياسي للسلطنة، وتتركز أهم نتائج التركيب الجيولوجي على جيوبوليتيكية عمان في موضوعين:

١ - نمط التصريف المائي السطحي والجوفي، وبناء السهول الفيضية وهما ركائز الحياة المستقرة.

٢ - الثروة التعدينية، وهي واحدة من أهم أسس النشاط الاقتصادي الحديث، فبالنسبة لنمط التصريف المائي، فإن نطاق التركيب الصخري البلوري القديم الذي يشمل جزءاً واسعاً من السلطنة، يتسم بصخور قليلة المسامية، صلبة التركيب،

ولهذا فإن السيول والانهار القصيرة الموسمية تجري سريعاً على سطوحها، ولاستطيع أن تعمق مجاريها وأوديتها. وبما أن غالبية هذا التركيب القديم يقع في داخل المنطقة الجافة، فإنه يفتقر الى أي جريان سطحي دائم. وفي المناطق الحوضية الارسابية داخل النطاق البلوري، يمكن أن تتجمع المياه التي تسقط على هيئة سيول غير منتظمة، وتكون بذلك مصادر الحياة في الواحات، كما هو الحال في واحات منطقة

محوت، إحدى
الجزر العمانية التي
تزخر بالثروة المائية



البريمي وما يجاورها، وتكثر الواحات في مناطق التقاء التكوينات البلورية بالارسابية، كما تسمح السيول بنمو نباتات خشنة في مساراتها مما يساعد على ظهور نمط الرعي المتنقل على طول أودية هذه السيول، ويرتكز هذا النمط عادة على سكن دائم في الواحات القريبة بحيث تصبح أودية هذه السيول المجال الحيوي الذي ينتقل فيه الرعاة.

وإذا كانت المياه ومشكلات الاستقرار الزراعي تشكل تحدياً للشعب العماني، فإن الثروة البترولية في المنطقة قد جاءت في الوقت المناسب لتخفف من ضغط تلك المشكلات، وتسهم في تقديم ما يساعد على مزيد من الاستثمار في اصلاح الاراضي وتدير المياه. ان تشير المعلومات الى أن نسبة الناتج المتحصل من النفط الى اجمالي الناتج القومي المحلي لا تقل عن ٧٥٪، وذلك رغم الجهود التي بذلت من أجل تنويع الناتج القومي المحلي. كذلك فان صادرات النفط في السلطنة تكاد تكون الصادرات الوحيدة، كما أن إيراداته تمثل نحو ٩٤٪ من إيرادات الحكومة.

وبما أن البترول قد أصبح يشكل الثروة المعدنية الرئيسية في السلطنة، يصح اذن حصر الكلام في مجال الموارد الطبيعية عن جيولوجيكية البترول لبنين مدى تأثير واقع وجوده والقضايا المترتبة على هذا الواقع في اقدار السلطنة وأحداثها التاريخية والسياسية.

ان الكشف عن البترول وانتاجه وتصديره يعد ثورة غيرت معالم الحياة وملامح الاقتصاد في السلطنة تغييرا جذريا، فقد نقلته نقلة سريعة وخلال فترة قياسية قصيرة من اقتصاد تقليدي شحيح بموارده ومردوداته الى اقتصاد الغنى والرفاه. وكان لهذه القفزة الاقتصادية اثارها العظيمة على الاوضاع السكانية نوعا وكما، فقد ازداد عدد السكان وتبدلت تراكيبهم العمرية والتنوعية وزاد حجم الهجرة الوافدة، وبرزت أنماط جديدة للأنشطة الاقتصادية.

وكان الاقتصاد العماني قبل ذلك يعتمد على الغوص لاستخراج اللؤلؤ وعلى الصيد البحري وعلى التجارة والزراعة والرعي، ولأن البيئة الداخلية الجبلية والصحراوية فقيرة بمواردها ومحفزاتها الاقتصادية، فقد كان البحر هو قبلة نشاط الانسان العماني وعماد اقتصاده.

ولكن في نهاية الستينات وكما اشرنا بدأ استثمار البترول الذي لا يختلف اثنان حول الاهمية الكبرى لعائداته على الاقتصاد والمجتمع العماني، وأفرزت المداخل النفطية تحولات اقتصادية واجتماعية واسعة وخلقت أوضاعا جغرافية وحضرية وعمرانية جديدة



مشهد لطريقة حصاد ثمار النخيل (التمر)



تجفيف البسور

على البلاد. فقد تحول السكان من النشاطات التقليدية الى القطاعات الاقتصادية الحديثة، ودخلت السلطنة في مرحلة تنمية واسعة شملت مظاهر الحياة كافة.

وتحقيقاً للسياسة التي اخطتها السلطنة في تنويع مصادر دخلها القومي وعدم الاعتماد على النفط وحده، فقد سلك الاقتصاد العماني ثلاث أنشطة بادية للعيان لتحقيق هذه الغاية، وهي الزراعة والصناعة والسياحة. فبالنسبة للزراعة يشكل القطاع الزراعي أحد المحاور الهامة لجهود التنمية في السلطنة. فمساحة الاراضي الصالحة للزراعة تقدر بنحو ١٩٨ ألف هكتار بينما تقدر مساحة الاراضي المزروعة التي تتوافر لها مياه الري بنحو ٥٥ ألف هكتار. وتشير امكانيات هذا القطاع الى وجود مجالات للتوسع في الانتاج الزراعي، تقوم على تحسين ادارة المياه والارتقاء بمستويات الانتاجية الحالية لمعظم المحاصيل عن طريق تحسين المعاملات الزراعية وتطوير الاطرار المؤسسي للقطاع بما في ذلك التمويل والارشاد والتسويق، وذلك فضلاً عن تنفيذ مشاريع استثمارية جديدة ذات طبيعة هيكلية ومؤسسية. ولقد قدر معدل النمو السكاني المستهدف للقطاع بحوالي (٦,٦٪) خلال سنوات الخطة الخمسية الرابعة (١٩٩٥ - ١٩٩٥) وذلك مقابل معدل نمو سنوي بلغ متوسطه (٥,٣٪) خلال الخطة الخمسية الثالثة (٨٦ - ١٩٩٠) (١٧).

وفي عقد التسعينات كثفت الحكومة العمانية جهودها من اجل زيادة الانتاج واستثمارات افضل في المجال الزراعي واتخذ هذا الاهتمام مظاهر عديدة تمثلت في اجراء التعداد الزراعي الشامل الذي يستهدف توفير البيانات الزراعية والحيوانية داخل التجمعات السكانية وفي البوادي حتى يمكن وضع الخطط والبرامج في ضوءها وظهر هذا الاهتمام في تكثيف العمل الارشادي على مستوى السلطنة بهدف رفع الانتاج وكذلك في برنامج التنمية وتطوير الجبل الاخضر، هذا فضلاً عن برامج تحسين وتطوير وتنويع زراعة الخضار والفاكهة ومحاصيل الحبوب والاعلاف.

أما الصناعة فقد حققت في الماضي معدلات نمو مرتفعة نسبياً ويعتبر هذا القطاع مجالاً مناسباً يقوم القطاع الخاص بآداء دور أساسي في تنميته. كما تقدم الحكومة دعماً للصناعة في صورة منح وحوافز وقروض ميسرة واعفاءات. وقد ارتفعت الاهمية النسبية لقطاع الصناعة في الناتج المحلي الاجمالي من ٨,٠٪ عام ١٩٨٠ الى ٣,٤٪ عام ١٩٨٥ (١٨).

وخلال السنوات الاربع الاولى من الخطة الخمسية الرابعة (١٩٩١ - ١٩٩٥) بلغ معدل النمو الذي حققه القطاع الصناعي ١٥٪ سنوياً متجاوزاً بذلك المعدل المستهدف بالخطة وقدره ١٢٪ سنوياً.

وقد هيأت التشريعات والسياسات الصناعية التي صدرت في عامي الصناعة ٩١ و ٩٢ قوة دفع هائلة من اجل تحقيق معدلات النمو المطلوبة ومن هذه التشريعات توجيه الدعم لكافة المؤسسات والشركات بعد ان كانت مقصورة على الشركات المساهمة العامة فقط وتشجيع الشباب من خريجي الجامعات والمعاهد الفنية الذين يقومون بمشروعات صناعية لاثريد تكلفتها عن مائة الف ريال عماني من خلال منحة لا ترد بنسبة ٤٠٪ من التكلفة الاستثمارية للمشروع بالاضافة الى قرض بدون فائدة بنسبة ٤٠٪ من تكلفة المشروعات الواقعة بمحافظه مسقط اما المشروعات الواقعة خارجها فان المنحة تزداد نسبتها الى ٦٠٪ من التكلفة.. هذا الى جانب قيام الحكومة باانشاء مناطق صناعية مخططة بأسلوب علمي تشجيعاً للمستثمرين في المجال

الصناعي بعد النجاح الذي حققته تجربة منطقة الرسيل الصناعية في مسقط العاصمة. أما السياحة فقد بدأت السلطنة خطواتها الأولى في هذا المجال الذي يعد بمردود كبير في ضوء الامكانيات السياحية الكبيرة في السلطنة من الآثار والتنوع المثير في المناخ والجو على امتداد الساحل والداخل في شمال السلطنة وجنوبها. وقامت الحكومة العمانية بالتعاون مع منظمة السياحة العالمية التابعة للأمم المتحدة بوضع استراتيجية لتنمية هذا القطاع حتى عام ٢٠٠٥م وذلك من أجل تنمية وتطوير قطاع السياحة.

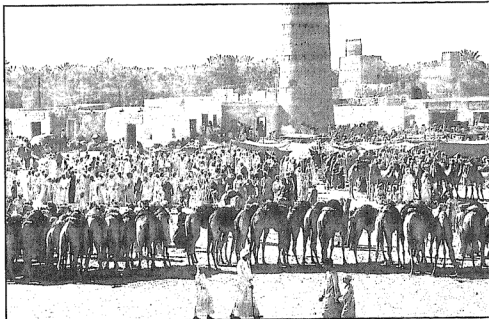
وقد راعت الاستراتيجية السياحية ضرورة استقطاب سياحة مرشدة ورشيدة تضمن المحافظة على العادات والتقاليد والبيئة العمانية.

كما قامت بالتنسيق مع المنظمات العربية والدولية للاستفادة من الخبرات الفنية والعلمية المتخصصة في هذا المجال والتي زارت السلطنة لأجل الاستفادة من تصوراتها وآرائها على ضوء الواقع والبيئة العمانية والاستفادة من خبراتها للخروج بسياحة رشيدة تتلائم والواقع العماني.

ومما سبق تبين أن مستقبل الاقتصاد العماني يكمن في تنويع مصادر الدخل من زراعة وصناعة وسياحة.

ومما تجدر الإشارة اليه في هذا المجال، هو أن السلطنة قد بدأت تستعد لعصر ما بعد النفط، طالما أن النفط معرض للنضوب وليس متجدداً، وذلك بتنويع مكونات الاقتصاد ومصادر الدخل عن طريق زيادة التخصيصات للاستثمارات الصناعية، وتنشيط الجهود في هذه المجالات وخاصة ماكان منها على صعيد الدراسات المجدية، ونقل وتطويع التكنولوجيا.

على انه يجب الاعتراف والقبول بأنه ليس من الأمور السهلة أن يتحول المجتمع العماني، وخلال فترة زمنية قصيرة، من حياة البحر والصحراء والاقتصاد التقليدي المستند عليهما الى حياة صناعية حديثة الاقتصاد ذات قاعدة تكنولوجية وعلمية. لذلك وحتى تستقر الأمور في مسارها الأمثل المنشود لا يستبعد ولن يستغرب أن تصاحب



احدى سياقات
الجمال التي تنظم في
عُمان باستمرار

عمليات هذا التحول بعض السلبيات، ذلك لأن طريق التوجه نحو التصنيع غير خال من المشاكل والمضامين، وتعرضه مجموعة من التحديات، فعملية التطور الصناعي تحتاج الى كوادرن وطنية مزودة بالمهارات والخبرات الضرورية، ويخلق هذه الكوادرن يحتاج الى قدرات جيدة، والى متسع من الوقت، والى مزيد من الدراسة والتريث حتى لا تؤدي التنمية الصناعية الى أي مشاكل ليست في الحسبان.

وأخيرا ومما تقدم تتوضح مجموعة من الحقائق ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة بالاحداث التاريخية والسياسية التي يصنعها الانسان العماني بنشاطاتها الاقتصادية المختلفة، معطيا لهذه الاحداث قيمها الاقتصادية والسياسية.

والمنطقة كانت حتى وقت قريب من المناطق الفقيرة في العالم.. بيئتها الطبيعية قاسية بمناخها وبتربتها الفقيرة وبندرة مياهها السطحية العذبة... بيئة لم تترك لانسائها الخيار في تشكيل نمط حياته ونشاطه الاقتصادي، بل أجبرته في البدء على الاتجاه صوب البحر فسافر عليه وتاجر وغاص في اعماقه لاستخراج لآله، ونصب شباكه في مياهه لاصطياد اسماكه التي كانت عماد غذائه، حتى اكتشف النفط في السلطنة.

الا ان ظهور الثروة البترولية ووصول الانتاج الى معدلات متقدمة اعطى السلطنة اضافة جوهرية لاهمية الموقع التقليدي تتمثل في توفير مايلزم من رأس مال للتوسع في الاستثمارات الزراعية والصناعية والتجارية. فقد وصل متوسط الانتاج اليومي من النفط في السلطنة في عام ١٩٧٠ الى ٣٣٢ الف برميل، اما في عام ١٩٧٥ فقد بلغ الانتاج ٣٤١ الف برميل، وعند نهاية الخطة الخمسية الثانية في عام ١٩٨٥ ارتفع الانتاج الى ٤٩٨ الف برميل، اما في عام ١٩٨٩ فقد وصل الانتاج الى ٦٤١ الف برميل. وعليه فقد بلغت قيمة الناتج المحلي من النفط في عام (١٩٧٠) ٧١,٦ مليون ريال عماني. وعندما ارتفعت اسعار النفط بعد عام ١٩٧٣ ارتفعت هذه القيمة في عام ١٩٧٥ الى ٤٨٦,٨ مليون ريال عماني، وتوالت الارتفاعات في قيمة الدخل من النفط حتى قفزت في عام ١٩٨٥ الى ١٦٣٩,١ مليون ريال عماني، بينما وصلت هذه القيمة في عام ١٩٨٩ الى ١٤١٧,٢ مليون ريال عماني نتيجة لانخفاض اسعار النفط رغم ارتفاع الانتاج^(١٩).

وفي عام ١٩٩٣ زادت عمان انتاجها النفطي من ٧٥٠ الف برميل الى ٨٠٠ الف برميل يوميا لتعويض الانخفاض في الاسعار اذ انخفضت عائدات صادراتها النفطية التي تشكل اكثر من ٧٥٪ من مصادر دخلها بمعدل ٨٪ في عام ١٩٩٢م لتصل الى مليار و ٥٩٠ مليون ريال أي اربعة مليارات و ١٣٠ مليون دولار مقابل مليار و ٧٤٠ مليون ريال أي اربعة مليارات و ٥٢٠ مليون دولار في عام ١٩٩٢م.

ومن جهة أخرى، فان ظهور البترول قد اضاف الى مقومات السلطنة الجغرافية اشكالا جديدة من الابعاد الاستراتيجية ضمن مفاهيم الجغرافية السياسية العالمية التي تتمثل في الصراع الدولي حول المنطقة وهو صراع جرى تحجبه الى حد بعيد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتداعياته، الا ان السلطنة بموقعها الاستراتيجي والحيوي وباعتبارها منتجا له فعاليته وسط الدول المنتجة أصبحت طرفا فعالا في جيواستراتيجية البترول.

هوامش الباب الأول

●● الفصل الأول

- (١) عبدالله يوسف غنيم، أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة، الكويت ١٩٨١م، ص٤٢.
- (٢) عادل رضا: عمان والخليج العربي، القاهرة ١٩٦٩، ص٩١.
- (٣) عبدالحمن العاني: عمان في العصور الإسلامية الأولى، بغداد، سنة ١٩٧٧ م، ص٢٧.
- (٤) احمد الجميلي: سلطنة عمان دراسة في الجغرافيا السياسية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٨، ص٧.
- (٥) محمد رشيد عباس: التطورات السياسية في عمان وعلاقتها الخارجية، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، ١٩٨٨، ص١٠.
- (٦) الاصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبدالعال، طبعة ١٩٦٦م، ص٢٧، ٢٨، ابن حوقل: صورة الأرض، طبعة بيروت، ص٤٧، ٤٥.
- (٧) السيد عبدالعزيز سالم: التجارة البحرية في الخليج في صدر الاسلام، بحث القى في مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية بقطر ح١، سنة ١٩٧٦م، ص٤٠٠.
- (٨) الادرسي: جزيرة العرب، من نزعة المشتاق إلى اختراق الآفاق، بغداد، سنة ١٩٧١، ص٤٣.
- (٩) التاجر سليمان: سلسلة التواريخ، طبع باريس بدار الطباعة السلطانية، ١٨١١م، ص١٥، ١٦، ٢٧، ٢٨.
- (١٠) سراف: مدينة جليلة على ساحل بحر فارس، كانت قديما فُرصة الهند (ياقوت، ج٣، ص٢٩٤).
- (١١) كوكم ملي: ميناء يقع على الطرف الجنوبي لساحل مليار وهو الساحل الغربي لبلاد الهند. انظر: د/ رجب محمد عبدالمطعم، العمانيون والملاحه والتجارة ونشر الاسلام، مسقط سنة ١٩٨٩، ص٦٧، ٧٢.
- (١٢) التاجر سليمان: سلسلة التواريخ، الكتاب الثاني للسرياني المكتوب سنة ٥٦٥هـ في نهاية كتاب التاجر سليمان، ص٦٧.
- (١٣) كلة: جزيرة وبها ميناء يحمل نفس الاسم ويحمل ايضا اسم كلة بار ويقع على الساحل الغربي بشبه جزيرة الملايو في ولاية كندا Kedah الحالية، انظر: د/ رجب محمد عبدالمطعم، نفس المرجع، ص١٠٦.
- (١٤) البقم: صيغ معروف وهو العندم، او شجر يصيغ به، وهو لفظ مغرب، انظر: لسان العرب لابن منظور: دار صادر، بيروت، بدون تاريخ، ج١٢، ص٥٢.
- (١٥) الآفوية: ما يعالج به الطبيب كما ان التواليد ما تعالج به الاطعمة، انظر: لسان العرب لابن منظور: ج١٣، ص٥٣.
- (١٦) التاجر سليمان، المصدر السابق، ص٩.
- (١٧) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ليون، بريل، ١٨٨٩م، ص١٤٩، الايلة، بلدة على شاطئه نجلة البصرة العظمى في اودية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة وهي اقدم من البصرة (ياقوت، ج١، ص٧٧).
- (١٨) ابن خرداذبة، المصدر السابق، ص١٥٤، ١٥٥.
- (١٩) الهمداني: صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الاكوع، منشورات دار اليمامة، الرياض، السعودية، ١٩٣٤، ص٣، ايلة مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام وهي آخر الحجاز وأول الشام (ياقوت، ج١، ص٢٩٢). كاظمة: فرجة تقع على سيف البحر في طريق البحرين من البصرة، تبعد عن البصرة مرحلتان (ياقوت ج٤، ص٤٢١).
- (٢٠) الهمداني، المصدر السابق، ص١٠.
- (٢١) الهمداني، المصدر السابق، ص٣٦٥.
- (٢٢) الهمداني، المصدر السابق، ص٣٧٤.
- (٢٣) الاصطخري، مسالك الممالك، طبع ليون، ١٩٢٧م، ص١٢، ١٣، عبادان: موضع تحسب البصرة قُرب البحر المالغ، وكانت عبادان قطيعة لخمسان بن ابان مولى عثمان بن عفان، اقطعه اياهما الخليفة عبدالمك من مروان (ياقوت، ج٤، ص٧٤).
- (٢٤) الاصطخري، المصدر السابق، ص٢٥.
- (٢٥) الاصطخري، المصدر السابق، ص٢٥، وهكذا ذكر الاصطخري ان مساحة بلاد عمان تبلغ ٣٠٠ فرسخ وذكر المقدسي في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ص٩٢ ان مساحة كورة عمان ٨٠ فرسخا مربعا. والحقيقة انه ليس هناك تناقض بين الروايتين في اعتبار ان الاصطخري ذكر مساحة بلاد عمان كلها، بينما ذكر المقدسي مساحة احدى كورهما، وهي كورة عمان، وتسمى ولاية باسم الدولة نفسها امر وارد في التاريخ القديم والحديث، والكورة او الولاية او المحافظة اقل في المساحة بطبيعة الحال من مساحة عموم البلاد، هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فان الاصطخري وغيره من الجغرافيين العرب لم يقصدوا بالارقام التي دونوها في كتبهم ذكر المساحة الدقيقة او المساحة الكلية للبلاد التي زاروها او كتبوا عنها، انما كانوا يقصدون في الواقع مساحة الجزء المعروف الذي شاهده ومشوا فيه، اما بقية البلاد او الاجزاء الداخلية والصحراوية والرمالية التي لم يروها، فقد كانت لا تدخل ضمن تقديراتهم في الغالب. وعلى ذلك فان الثلاثمائة فرسخ او الثمانين فرسخا لم تكن في الواقع الا مساحة الجزء المعروف من عمان او طول الجزء الذي سار فيه من نقل عنه كل من الاصطخري والمقدسي في بلاد عمان التي يزيد طولها وبالنسبة لمساحتها عن ذلك بكثير، وخاصة في العصور الاسلامية حيث كانت تمتد حدودها في تلك العصور من البحرين الى حضرموت.
- (٢٦) الاصطخري، المصدر السابق، ص٢٧.
- (٢٧) بزرگ بن شهریار، كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزایره، بریل ١٨٨٢ ١٨٨٦م، وصور في طهران ١٩٧٩، ص١٥١، ١٥٢.
- (٢٨) ابن الفقيه الهمداني، كتاب البلدان طبعة ليون، بريل، ١٣٠٢، ص١٩٧.
- (٢٩) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص٢٠، والحشوش: هي بساتين الشخيل الكثيفة (القاموس المحيط مادة حش).
- (٣٠) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص١٦، ٢٠، ٩٢، ١١٤، ١٢٥، ٢٥٣.
- (٣١) ابن الفقيه، المصدر السابق، ص٢٩٤.

الباب الأول - جغرافيا عُمان

- (٢٢) يقع على الساحل بين صور وظفار جنوب غبة الحشيش.
- (٢٣) ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ص ٢٧، ٣٠.
- (٢٤) المقدسي، احسن التقاسيم ط ٢، طبعة لندن، بريل، ١٩٦٧، ص ٦٨.
- (٢٥) الرقم الصحيح ثمانون ألف فرسخ.
- (٢٦) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٢٧) المقدسي، المصدر السابق، ص ٧٠.
- (٢٨) الساج، ضرب من الشجر يعظم جدا ويذهب طولاً وعرضاً وله ورق كبير (قاموس المحيط مادة الساج).
- (٢٩) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٣٠) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٤١) السر: بلدة العراقية والغبي بمنطقة الظاهرة.
- (٤٢) ربما يقصد أن ديا وجلفار في الطريق إلى بلاد هجر.
- (٤٣) هناك أكثر من بلدة تسمى بالقلمة، احدها بلد بناحية جبال الحندان والاخرى قلعة العوامر قرب ازكي.
- (٤٤) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٤٥) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٤٦) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٧.
- (٤٧) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٨، ويذكر البكري أنهم استخدموا الكلية والمدن والكليلة تساوي ٩ أمثال البكري، جزيرة العرب من كتاب الممالك والاسالك، تحقيق عبدالله يوسف الغنيم، دار السلاسل، الكويت، ١٩٧٧م، ص ٢٧.
- (٤٨) المقدسي، المصدر السابق، ص ٩٩.
- (٤٩) المقدسي، المصدر السابق، ص ١٠٥.
- (٥٠) المقدسي، المصدر السابق، ص ١٠٥.
- (٥١) ناصر خسرو، سفر نامة، ترجمة يحيى الخشاب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٤٤.
- (٥٢) البكري، جزيرة العرب من كتاب الممالك والاسالك، تحقيق عبدالله يوسف غنيم دار السلاسل الكويت، ١٩٧٧، ص ٣٥.
- (٥٣) البكري، المصدر السابق، ص ٦٦.
- (٥٤) البكري، المصدر السابق، ص ٦٧.
- (٥٥) البكري، المصدر السابق، ص ٦٧.
- (٥٦) البكري، المصدر السابق، ص ٦٨.
- (٥٧) الادريسي، نزهة المشتاق في أختراق الأفاق، الجزء الثاني، طبع روما بإيطاليا، ١٩٧١م، ص ١٥٥.
- (٥٨) انظر هامش رقم ٢٢.
- (٥٩) الادريسي، المصدر السابق، ص ١٥٦.
- (٦٠) الادريسي، المصدر السابق، ص ١٦٤.
- (٦١) الادريسي، الجزء الخاص، بوصف الهند وما يجاورها من البلاد، تحقيق مقبول أحمد الجامعة الإسلامية، عليكرة الهند، ١٩٥٤م، ص ١٢.
- (٦٢) الادريسي، الجزء الخاص بوصف الهند، ص ٢٢.
- (٦٣) الادريسي، الجزء الخاص بوصف الهند، ٢٧ والجزء الثاني، ص ١٦٧.
- (٦٤) الادريسي، نزهة المشتاق، الجزء الثاني، ص ١٥٦.
- (٦٥) الادريسي، المصدر السابق، ص ١٥٦، ١٥٧.
- (٦٦) المسافة الصحيحة بين مسقط وصحار مائتان وثلاثون كم.
- (٦٧) الادريسي، المصدر السابق، ص ١٥٧.
- (٦٨) الادريسي، المصدر السابق، ص ١٦٢.
- (٦٩) مساحة عمان وفق الرقم الصحيح حالياً هي ٢١٢ ألف كم مربع، انظر حاشية ٢٥.
- (٧٠) الادريسي، ص ١٥٨.
- (٧١) تقع عمان بين خطي طول ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وتسع وخمسون درجة وخمس وأربعون دقيقة.
- (٧٢) وتقع بين خطي عرض ستة عشرة درجة وثلاثون دقيقة وخمس وعشرين درجة.
- (٧٣) ياقوت، معجم البلدان دار احياء التراث بيروت ١٩٧٩، ج ٤، ص ١٥٠.
- (٧٤) ياقوت، مدينة تطل بحر عمان (خليج عمان).
- (٧٥) ياقوت، المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٩٣، ٣٩٤.
- (٧٦) نوى مدينة بداخلة عمان.
- (٧٧) ياقوت، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٨١.
- (٧٨) ياقوت، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٢٧.
- (٧٩) ياقوت، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٩٣.
- (٨٠) ياقوت، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٤.
- (٨١) ياقوت، المصدر السابق، ج ٤، ص ٤٧٦.
- (٨٢) ياقوت، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٠، والخور عند العرب السواحل كالخليج، وأصله هور فغير إلى خور (ياقوت، ج ٢، ص ٤٠٠).
- (٨٣) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق اسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٠م، ص ١٠٢.
- (٨٤) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٦.
- (٨٥) ابن الجاور: سفلة اليمن ومكة وبعض المجاز، صححه أوسكار لوفقرين، منشورات المدينة، ط ٢، ١٩٨٦، ص ٢٨٤.
- ..ويقول ابن الجاور: أن أصل كلمة مسقط هو «مسكتة» ويقال: لا وصل إليها الصحابة سكت كل من كان بها

- فسميت «مسكت»، ثم صحت الكلمة الى «مسقط».
- (٨٥) المقصود بعمان مدينة صحار.
- (٨٦) ابن الجاور، المصدر السابق، ص ٢٨٤.
- (٨٧) ابن الجاور، المصدر السابق، ص ٢٨٥.
- (٨٨) الدمشقي، نخبة الدهر في عجائب الدهر، مكتبة المثنى، بغداد عن طبعة بطرسبرج، ١٨٦٦ م، ص ٧٧.
- (٨٩) الدمشقي، المصدر السابق، ص ٨١.
- (٩٠) الدمشقي، المصدر السابق، ص ٨٢.
- (٩١) ربما يقصد بها مدينة منح الحالية.
- (٩٢) الدمشقي، المصدر السابق، ص ٢١٨.
- (٩٣) ابو الفداء، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠ م، ص ٢٢.
- (٩٤) ابو الفداء، المصدر السابق، ص ٧٨، ٩٩.
- (٩٥) الحميري، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، ط ١، بيروت، ١٩٨٤، ص ٣٥٤ ٣٥٥.
- (٩٦) انظر : هامش رقم ٢٥.
- (٩٧) لعله يقصد قلعتها.
- (٩٨) الحميري، المصدر السابق، ص ٥٥٩.
- (٩٩) لعله يقصد مدينة مسقط.
- (١٠٠) القلشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشاء، نسخة مصورة، وزارة الثقافة والارشاد القومي، القاهرة (ب) ٥، ص ٥٥.
- (١٠١) ياقوت شهاب الدين ابي عبدالله الحموي: معجم البلدان، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٥٠.
- (١٠٢) كتب عن اهمية عمان التجارية والطرق المؤدية لها كل من ابن خرداذبة (ابو القاسم عبيدالله) المسالك والممالك.. بغداد، الهيداني (ابوبكر بن محمد) مختصر كتاب البلدان، الهيداني (ابومحمد الحسن بن يعقوب) كتاب صفة جزيرة العرب.
- (١٠٣) الهيداني: كتاب صفة جزيرة العرب، ص ٤٨. ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٦٠.
- (١٠٤) الحسن بن علي بن الحسين بن علي المسعودي البغدادي الموطن وإن كان اصله للمغرب.. المسعودي (ابوالحسن علي بن مسعود) مرو الذهب ومعادن الجواهر، بيروت، ص ٦٥.
- (١٠٥) المسعودي: مروج الذهب، ص ٦٥.
- (١٠٦) المسعودي: مروج الذهب، ص ٦٠. تحدث حسن صالح شهاب في كتاب اضاء على تاريخ اليمن ص ١٥٢ عن اللؤلؤ وصناعته في منطقة الخليج وعن صادرات عمان. عامر علي عمير المرهوي: عمان قبل وبعد الاسلام، عمان، ١٩٨٠، ص ١٥٤.
- (١٠٧) ماركوبولو ولد في البندقية ١٢٥٤ والده تاجر ايطالي صاحبه الى بلاط قوبلاي خان، خان التتار حيث عاش ١٧ عاما، ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، القاهرة، ١٩٧٧.
- (١٠٨) ماركوبولو، ص ٢٣٩.
- (١٠٩) ماركوبولو: رحلة ماركوبولو، ص ٢٤.
- (١١٠) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٢٦٥.
- (١١١) ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٢٧.
- (١١٢) لعله يقصد بها المنطقة الداخلية من عمان.
- (١١٣) القريات: مدينة قريات بدون تعريف.
- (١١٤) كليا: ربما انه يقصد مدينة كليا الحالية الواقعة على الساحل بدولة الامارات العربية المتحدة.

●● الفصل الثاني

- (١) فتوح البلدان، تحقيق ونشر، ام.جي. ديفويه، الطبعة الثانية، بريل، لايدن، ١٩٦٨، ص ٧٦.
- (٢) القلشندي: نهاية الارب في معرفة انساب العرب، تحقيق ونشر ابراهيم الايباري، ط ٢، دار الكتاب اللبناني بيروت، ١٤٨٠/ ١٩٨٠ م، ص ١٦٩. قارن ابن حزم، جمهرة انساب العرب، نشر وتحقيق، ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٢٤٧، وابن الاثير، الباب في تهذيب الانساب، ج ١ نشر دار صادر، بيروت، ١٤٠٠/ ١٩٨٠ م، ص ١٠٧، ١٥٧.
- (٣) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٧٦، وياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، نشر دار صادر، بيروت، ص ٤٣٥، قارن الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٣، تحقيق، محمد ابوالفضل ابراهيم، ط ٢، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٦ م، ص ٢١٤، وابن حجر، الاصابة في تمييز الصحابة، ج ٢، تحقيق علي محمد البجاري، دار نهضة مصر، القاهرة، ص ٤٤٦.
- (٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٦، وابن حزم: نفس المصدر، ص ٣٤٨ ٣٥٠.
- (٥) ياقوت، نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٣٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ط ٢، نشر مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٤، ص ٢٢٩، وقد خلط ابن كثير بين لقيط ذي الناج وبين بني الجلندي ملوك عمان وذلك على خلاف بين مع بقية المصادر، انظر ايضا نفس المصدر، ص ٣٢، الطبري، ج ٣، ص ٢١٤.
- (٦) قارن، القلشندي، نفس المصدر، ص ١٦٨، ٢٩٩، وعمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب، ج ٣، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢/ ١٩٨٢ م، ص ١١٦٦.
- (٧) تاريخ البعقوبي، ج ٢، نشر دار بيروت، بيروت ١٤٠٠/ ١٩٨٠ م، ص ١٩٤ ١٩٥.
- (٨) قال خليفة بن حديد بن اسد بن عاذل بن مالك بن عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبيدالله بن زهران بن مالك بن نصر بن الاذن بن الغوث، ومنهم راشد بن عمرو الحديدي، انظر كتاب الطبقات، تحقيق د. اكرم ضياء العمري، ط ٢، دار طبعة الرياض، ١٤٠٢/ ١٩٨٢ م، ص ٢٠٢.

- (٩) المصدر السابق، ص ٢٠١.
- (١٠) انظر أيضا، البلاذري، نفس المصدر، ص ٤٣٥. وخليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق د. اكرم ضياء العمري، ٢، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ٢٩٦. والقاضي أطهر، أبوالمعالى، العقد الثمين، ص ١٢١.
- (١١) الاشتقاق، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٢٥١.
- (١٢) المصدر السابق، ص ٤٩٧.
- (١٣) قال ابن دريد، سمو صليبي للاصطلامهم لكل من حاربهم، نفسه، ص ٥٠١.
- (١٤) المصدر السابق، نفسه، ص ٥٠١.
- (١٥) المصدر السابق، ص ٢٤٢، وياقوت، نفس المصدر، ج ٢، ص ٢١٧.
- (١٦) ابن دريد، نفس المصدر، ص ١٢٧.
- (١٧) هناك قرية أخرى تسمى «جلفارة» بضم الاول وسكون الثاني ذكر ياقوت انها قرية من قرى «مرو»، انظر، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٥٤، ولم نجد ذكرها عند غيره.
- (١٨) انظر، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، تحقيق ونشر ام. جي. دي غويه، ط ٣، بريل، لايدن ١٩٦٧، ص ٧١.
- (١٩) المصدر السابق، ص ٩٢.
- (٢٠) المصدر السابق، ص ٩٧.
- (٢١) ياقوت، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٥٤.
- (٢٢) الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص ١٥٦، ١٥٧. نقولا زيادة: الساحل الشرقي للجزيرة العربية، بحث مقدم لدولة قطر، سنة ١٩٧٦، ص ٢٥٧ وما يليها.
- (٢٣) المقدسي: احسن التقاسيم، ص ٩٢، ٩٣.
- (٢٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، طبعة بيروت ١٩٥٧، ج ٣، ص ٤٩٤.
- (٢٥) المصدر السابق، ص ٣٩٢، ٣٩٣.
- (٢٦) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٣٠ سيده كاشف، عمان في فجر الاسلام، ص ١٢ ١٣.
- (٢٧) أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ج ١، ص ١٤٩.
- (٢٨) الادريسي.
- (٢٩) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١١ المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٤٩.
- (٣٠) رحلة ابن بطوطة، طبعة بيروت، ١٩٦٠، ص ٦٤٨.
- (٣١) الاصحخري، المسالك، ص ٢٧، ابن حوقل، صورة الارض، ص ٤٤ ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٧١ وينو سامة بن لؤي اسرة عمانية نزارية تنسب الى سامة بن لؤي بن غالب، ومن اهم من برز من رجاله على مسرح السياسة، الفضل بن الحواري الذي خرج على الامام عزان بن تميم وهو يمانى ازدي. وقد كان لبعض افراد بني سامة الفضل في نشر الوجود العربي والسيادة التجارية للعرب على الساحل الشرقي للخليج العربي، فكان جعفر بن ابي زعفر من بني سامة بن لؤي من بين وفد ملوك فارس على هارون الرشيد. مما يؤكد انتشار العنصر العربي العماني على الساحل الشرقي للخليج العربي وسيادته في المجالات الاقتصادية. وقد استمر وجودهم في فارس حتى اوائل القرن الرابع الهجري (فاروق عمر فوزي، انتشار العرب في اقاليم الخليج العربي الشرقية ص ٦٤ ٦٨، محمد ابو الفرج العنشي: النقود العربية الاسلامية المخرومة في مدن شرقي الجزيرة العربية، بحث مقدم الى مؤتمر دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، قطر ١٩٧٦، ص ٢٠٤ وما يليها).
- (٣٢) الحميري، الروض المعطار، ص ٢٢٢.
- (٣٣) المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٩٢.
- (٣٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٥ سيده كاشف عمان في فجر الاسلام ص ٣٢.
- (٣٥) ارجع السابق، ص ٢٣، وارجع الى حاشية رقم ٢ في نفس الصفحة، ولزيد من التفاصيل عن حركة الردة بعمان وآراء المصادر العربية والعمانية في ذلك (ارجع الى فاروق عمر فوزي، الخليج العربي في العصور الاسلامية، الطبعة الاولى ١٩٨٢، ص ٤٢).
- (٣٦) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ١٦٢.
- (٣٧) فاروق عمر فوزي، انتشار العرب في اقاليم الخليج العربي الشرقية، ص ٦٦.
- (٣٨) الاصحخري، المسالك والممالك، ص ٨٥.
- (٣٩) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٢٢.
- (٤٠) فاروق عمر فوزي، انتشار العرب، ص ٦٦.
- (٤١) نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، طبعة دار الكتاب اللبناني ١٩٦٢، ص ٢٢٥ احمد الشامي، العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الاقصى، ص ٢٣٣.
- (٤٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٩٥.
- (٤٣) ابن بطوطة، الرحلة ص ٢٧٢.
- (٤٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٩٥. وعن تبعية جاسك لحاكم جزيرة قيس العرب، ارجع الى فاروق عمر فوزي، انتشار العرب، ص ٦٦.
- (٤٥) عباد كليل، العرب والبحر، ص ٤٧ صالح الدين الشامي، الرحلة العربية في المحيط الهندي ودورها في خدمة المعرفة الجغرافية، مقال بمجلة عالم الفكر، العدد ١٩٨٢، ص ٢٢.
- (٤٦) الاصحخري، المسالك والممالك، ص ٢٠، ابن حوقل، صورة الارض، ص ٥٧.
- (٤٧) المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١٤٨.
- (٤٨) ابن شهر يار برك الناذة الرام هرمزي، كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزايره، القاهرة، مطبعة السعادة ١٩٠٨.
- (٤٩) عن نسخة لين ١٨٨٢، ص ١٠١ ١٠٣.
- (٤٩) الحميري، الروض المعطار، ص ١٤٢.
- (٥٠) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١٦.

- (٥١) المصدر السابق، ص ٢٠ .
- (٥٢) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٢٧١ .
- (٥٣) المصدر السابق، ص ٢٢٨ .
- (٥٤) السعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١١٢ .
- (٥٥) ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ١١٤ .
- (٥٦) المصدر السابق، ص ١٢٥ .
- (٥٧) ابن بطوطة، الرحلة، ص ٦٤٨ .
- (٥٨) سيده كاشف عمان في فجر الإسلام، ص ٢٧ .
- (٥٩) الاصلطخري، المسالك والممالك، ص ٢٧ ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤٤ .
- (٦٠) ابن حوقل، المصدر السابق، ص ٤٤ .
- (٦١) سلسلة التواريخ، باريس ١٨١١، ص ١٨٢، ١٨٣ .
- (٦٢) ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص ١٤٧ المقدسي، احسن التقاسيم ص ٩٨ .
- (٦٣) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ٤٤ ياقوت الحموي، معجم البلدان، مجلد ٣، ص ٣٩٣ .
- (٦٤) ابن خردادبه، المسالك والممالك، ص ٦٢ ابن بطوطة، الرحلة، ص ٥٩٤ .

●● الفصل الثالث

- (١) استهدفت هذه الدراسة، التي يغلب عليها الطابع الجغرافي بشكل عام، اظهار الدور الهام الذي تلعبه اهم المكونات الجغرافية في البنية السياسية للسلطنة، وما تضيفه هذه المكونات الهامة على هذه البنية من ابعاد استراتجية، ولا يعني هذا ايذا ان هذه المكونات تنفرد وحدها في صياغة ورسم المركز الاستراتيجي للسلطنة، فلعوامل الجغرافية الأخرى التي لم يتسع البحث لعرضها دور أيضا.
- (٢) كل ١١ دقيقة تمر بهذا المضيق ناقلة نطف ضخمة تنجح من الخليج الى المحيط او عكس ذلك.
- (٣) ومراجعة تاريخ شرقنا العربي تثبت مصداق ذلك، فاعتبارا من القرن الرابع عشر، اخذت قوى الاستعمار في تثبيت اقدامها في عدة مناطق في الوطن العربي، ففي عام ١٥٦٩م عقدت فرنسا مع الباب العالي معاهدة تسمح لها بحماية الاجانب في الامبراطورية العثمانية، وتلت ذلك عدة معاهدات وبخاصة في القرن التاسع عشر، اتاحت لكل من فرنسا وروسيا القيصرية وبريطانيا التدخل لتثبيت مواقع نفوذها.
- (٤) جاء في الصفحة ١٦ من كتاب دانيال دوران الاحتكارات البترولية وسياساتها الدولية ماييلي: لقد اشارت الحرب العالمية الاولى خشية الولايات المتحدة الامريكية من ان تنجح فيها المادة البترولية وهكذا بدأ صراع عنيف وقاس استمر زهاء عشر سنوات بين الشركات الامريكية والبريطانية ليضمن كل جانب احتياطات جديدة بترولية، وكانت منطقة الخليج العربي اهم مناطق هذا النزاع.
- (٥) كانت الشركات البترولية الامريكية الكبرى لاتولي اهتمامها بالانتاج البترولي خارج امريكا الشمالية وذلك حتى الحرب العالمية الاولى، ولكن منذ عام ١٩٢٠ بدأت خمس من الشركات الكبرى الامريكية بمزاحمة الشركات البريطانية والهولندية في منطقة الخليج العربي.
- (٦) يقول الدكتور امين محمود عبيد الله في الصفحتين ٦٨ و ٧٥ من كتابه، دراسات في الجغرافية السياسية للعالم المعاصر ماييلي: وتساعدنا دراسة التركيب الطبيعي للاقليم السياسي في تقرير اهمية هذا الاقليم بالنسبة للاقاليم الأخرى، وأن أي نوع من التضاريس يستطيع أن يترك طابعه على النحو السياسي، وأن أقوى دول العالم قد أصابت خطأ كبيرا من التقدم نتيجة لمواءمة المناخ فيها لنشاط الإنسان.
- (٧) محمد سعودي، الوطن العربي، ص ٢٧٧ .
- (٨) السكان هم ثروة الدولة البشرية وهم الذين يصنعون واقعها السياسي، ولولا السكان ماكان انتاج أو عمران أو حضارة أو كيان سياسي، وتقدر قيمة السكان بمقدار حيويتهم وفعاليتهم، ونسبة العناصر الشابة فيهم، والعاملين من رجالهم ونسائهم، ومتوسط أعمارهم، ومن العوامل التي تساهم في زيادة فعالية السكان تلاحمهم وترابطهم، ووفرة العناصر القيادية وكفاءتهم، ومستويات التعليم والتدريب الفني.
- (٩) الكتاب الإحصائي السنوي، اصدار وزارة التنمية بالسلطنة، الاصدار الثاني والعشرون، اكتوبر ١٩٩٤، ص ٤٦ .
- (١٠) المرجع السابق.
- (١١) المرجع السابق.
- (١٢) المرجع السابق.
- (١٣) ضمت مسقط لعدد من المدن الأخرى لتصبح محافظة مسقط.
- (١٤) مسيرة الخير، وزارة الاعلام.
- (١٥) الكتاب الإحصائي السنوي اصدار وزارة التنمية بالسلطنة، الاصدار الثاني والعشرون، اكتوبر ١٩٩٤، ص ٥٥ .
- (١٦) مما هو متفق عليه في المجالين الاقتصادي والسياسي بأنه يتعين على كل دولة أن تعتمد بالضرورة على مواردها الطبيعية وقدرتها الاقتصادية في بناء قوتها السياسية. وأن هناك موارد معدنية كالبتترول والفحم وخام الحديد واليورانيوم ذات أهمية حيوية في ايجاد أساس جغرافي له أبعاد استراتجية لدولة من الدول.
- (١٧) خطة التنمية الخمسية الرابعة (٩١ ١٩٩٥) الصادر عن مجلس التنمية، يوليو ١٩٩١، ص ٢٠٣ .
- (١٨) خطة التنمية الثالثة (٨٦ ١٩٩٠) الصادر عن مجلس التنمية، ص ١١٩ .
- (١٩) انظر: الكتاب الإحصائي السنوي لسلطنة عمان، الاصدار الثامن عشر، يونيو ١٩٩٠، ص ٣٦٦، ٤٦٥، ٤٦٦ .

الباب الثاني

عمان في العصور التاريخية القديمة

الفصل الاول : عمان في فجر العصور التاريخية

الفصل الثاني : المجتمع العماني في العصور القديمة

الفصل الثالث: صور من الحضارة العمانية في العصور التاريخية القديمة

البحوث المقدمة والمستخلص منها في هذا الباب

- عمان في العصور الاسلامية الوسطى، للدكتور / علي منصور نصر،
جامعة البحرين.

- جوانب من تاريخ عمان القديم وعلاقاتها الحضارية، للدكتور / رضا
جواد الهاشمي، جامعة بغداد.

- نشأة الدولة العمانية وتطورها في الاطار الجغرافي والتاريخي،
للدكتور / محمد حرب فرزات، جامعة دمشق.

- عمان في النصوص المسمارية، للدكتور / فوزي رشيد، اتحاد المؤرخين
العرب. بغداد.

الفصل الأول

عمان في فجر العصور التاريخية

أصل تسمية عُمان :

عمان: يضم أوله وتخفيف ثانية وآخره نون: اسم كوره عربية على ساحل بحر العرب والمحيط الهندي، طولها أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة في شرقي هجر. وقد اختلفت الآراء في أصل هذا الاسم، فالبعض يرجعه الى قبيلة عمان القحطانية، والبعض يأخذه من معنى الاستقرار والاقامة، فيقول ابن الاعرابي: العمن أي المقيمون في مكان، ويقال رجل عامن وعمون، ومنه اشتقت كلمة عمان، ويستطرد فيقول: أعمن الرجل أي دام على المقام بعمان^(١).

أما الزجاجي فيقول: أن عمان سميت باسم عمان بن ابراهيم الخليل عليه السلام، بينما يذكر ابن الكلبي: أنها سميت باسم عمان بن سبأ بن يغثان بن ابراهيم خليل الرحمن لأنه هو الذي بنى مدينة عمان^(٢). أما شيخ الربوة فيقول: أنها سميت بهذا الاسم نسبة الى عمان بن لوط النبي عليه السلام^(٣)... وقيل أن الأزد سمت عمان (عمانا) لأن منازلهم كانت على واد لهم بمأرب يقال له عمان فشبهوها به^(٤) ومن أقدم المؤرخين الرومان الذين ذكروا عمان بهذا الاسم يليوناس الذي عاش في القرن الاول للميلاد (٢٣ — ٧٩م) فقد ورد في كتاباته اسم مدينة تسمى عمانه، OMANA وكذلك ورد هذا الاسم عند بطليموس الذي عاش في القرن الثاني للميلاد، ويظن جروهمان أن عمانه المذكورة عند هذين المؤرخين هي صحار التي كانت تعد المركز الاقتصادي الأكثر أهمية في المنطقة في العصر الكلاسيكي^(٥).

وقد عرفت عمان بأسماء أخرى، فقد أطلق عليها السومريون ودول بلاد ما بين النهرين اسم (مجان)، ربما نسبة الى صناعة السفن التي كانت تشتهر بها عمان، حيث ورد في النقوش المسمارية بأن مجان تعني هيكل السفينة، كما سماها الفرس باسم (مزون).

وورد اسم عمان في المصادر العربية على أنها اقليم مستقل. فقد أشار الأصبخري وابن حوقل الى ذلك في قولهما: وعمان ناحية ذات أقاليم مستقلة بأهلها فسحة^(٦). أما ابن خلدون فقد كان أكثر وضوحا في تعريفه لعمان، فقد ذكرها في جملة الاقاليم العربية التي ظهرت كدول مستقلة في جزيرة العرب وهي اليمن والحجاز والشحر وحضرموت وعمان، ووصف نظام حكمها، فقال بأنها «اقليم سلطاني منفرد»^(٧).

ومهما كان الامر، فان اسم عمان كما هو ملاحظ يعود الى عصور تاريخية قديمة، وإذا رجحنا أن عمان حملت هذا الاسم نسبة الى واد في اليمن يسمى عمان، أو الى قبيلة يمنية تحمل نفس الاسم، فان ذلك يدل على قدم الهجرات العربية التي توالفت من

اليمن الى عمان، وإلى أن عمان كانت تصطبغ بالصبغة العربية منذ أقدم العصور. ولكن كيف نتعرف على تاريخ هذا القطر العربي في عصوره التاريخية القديمة؟

دراسة التاريخ العُماني القديم :

أن الحديث عن تاريخ عمان في العصور القديمة ذو شقين، يتوجب الشق الاول منه الاستفادة من المصادر المدونة، وبخاصة كتابات الاخباريين والجغرافيين منها، ولكن هذه المصادر لا تستطيع التوغل بالباحثين في اعماق التاريخ العُماني... وفي حالة الاستفادة من بعض المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) أو بعض المصادر الصينية، فإن معلوماتنا تقترب من حدود العهد الميلادي أو قبله بقليل^(٨).

أما الاحداث التاريخية ونشاطات العُمانيين خلال العصور الحجرية القديمة أو الحديثة، أو خلال العهود التاريخية منذ مطلع الألف الثالثة ق.م وما بعدها، فقد كان حالها مثل كثير غيرها من مناطق الجزيرة العربية والخليج العربي، مجهولاً تماماً... وكانت بعض المعلومات المتفرقة التي تتساقط من بين ثنايا الكتابات المسماة تشكل بصيص الأمل الوحيد أمام الباحثين للتفتيش عن ماضي الاحداث لهذه المنطقة الهامة من مناطق التمدن البشري القديم.

ان العقود الأخيرة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية دفعت بالدراسات التاريخية القديمة للخليج والجزيرة العربية، والمعتمدة في الأساس على المصادر المسماة العراقية القديمة، لتنبؤ مكانة هامة على صعيد الدراسات التاريخية والأثرية، مثلما شجعت علماء الآثار والمنقبين لبدء اعمال تنقيبات أثرية واسعة في شتى مناطق الجزيرة العربية، وعلى الاخص مراكز الاستيطان القديم على الاطراف وفي الواحات ومناطق السواحل، وهي التي توفرت لها اشارات نصوصية عديدة تشير الى انها مكانها في نشاطات ملاحية وتجارية واسعة^(٩).

وهكذا أعانت المصادر المسماة على البدء في قيام مرحلة جديدة في دراسة التاريخ العربي القديم عموماً، أو فصوله المختلفة، والتي يحتل التاريخ العُماني فصلاً هاماً منها. وتعد اعمال الاستكشافات والتنقيبات الأثرية الشق الثاني من الحديث عن تاريخ عمان القديم، وبخاصة وأن النتائج التي أسفرت عنها الجهود الخيرة للعقود الأخيرة أثبتت بصورة قاطعة عراقة وأهمية التاريخ العربي القديم عامة ودوره العظيم في بناء الحضارة الإنسانية ودعم مقوماتها بعناصر التواصل والدوام.

وتجدر الإشارة في هذا الخصوص الى العناية الفائقة التي تبذلها الاقطار العربية، ومنها عمان، في مجال الدراسات الأثرية... حيث تعتبر مجلة الدراسات العُمانيّة - The Journal Of Oman Studies - التي تصدر عن وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان خير دليل على ذلك، فقد صدر العدد الاول منها في عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ولا تزال تواصل الصدور، وتعد بحوثها وتقارير البعثات الأثرية المختلفة العاملة في عمان، من أهم المراجع وأوثقها بخصوص التاريخ والحضارة القديمين لهذا الركن الهام من الوطن العربي^(١٠).

منطلقات دراسة التاريخ العُماني القديم :

تحتل عمان الاجزاء الجنوبية الشرقية من الجزيرة العربية، فهي تطل على البحر

العربي مثلما تحتضن خليجا مهما يعرف باسمها، يعد حلقة الوصل الرئيسية بين الارض العربية وبين شبه القارة الهندية... ورغم اهمية عمان في شؤون الملاحة والمواصلات البحرية، فإن علاقاتها ببقية اقسام الجزيرة العربية تعززت خلال الفترات المبكرة للتاريخ العماني من خلال طرق برية نشطة، وجدت تأكيدا لها في عدد من المخطافات الاثرية^(١١).

واذا كانت الاشارات النصوصية المسمارية تؤكد على اهمية مجان (عمان) في تصدير النحاس الى العراق، وهو الامر الذي توفرت دراسات اثرية حقلية في عمان لتأكيد في السنوات الاخيرة^(١٢). فان التاريخ والحضارة العمانية القديمة يشكلان جزءا من النشاط التاريخي والحضاري العام لمنطقة الخليج العربي، والذي لعب الطريق القديم بمراكزه الحضارية دورا بارزا في صياغة مكوناته. وفي رأينا تعد هذه النظرة المنهجية المدخل الصحيح والفقرة الرئيسية في منطلقات الدراسة للتاريخ العماني القديم.

أما المنطلق الثاني فيتمثل في دور العمانيين في الملاحة البحرية القديمة. فمن بين الامور المعروفة بخصوص الملاحة البحرية القديمة، انها شهدت ازدهارا ملحوظا في الخليج العربي، بينما تعطلت لوقت طويل في البحر الاحمر وأقسام من البحر العربي وذلك لاسباب تتعلق بتقنية صناعة السفن ومهارات الملاحة^(١٣).

كانت الملاحة العمانية القديمة تتميز عن غيرها من مراكز الخليج العربي بعظم سفنها، وربما أيضا لاهمية تجارتها من النحاس الذي كان يجد أسواقا رابحة له في مدن بلاد وادي الرافدين. فالنصوص المسمارية تقرر مجان بسفن معينة تدعوها، سفينة مجان، ولكن الإشارة النصوصية التي تذكرها وهي في قصيدة سومرية تتعلق برحلة جلعامش الى أرض الحياة، أريد من ورائها أن تكون سفينة مجان مثالا لعظم السفن وأشدها^(١٤). ويتأكد هذا الفهم للسفن المجانية من مقدمة قانون أورنمو التي يتفاخر فيها بتمكنه من إعادة هذه السفن لترسو في رصيف مدينة (أور) والاكثر من ترددها وجعلها مشهورة^(١٥). ويبدو ذلك منطقيا من نوع البضائع التي اقترن ذكرها في المصادر المسمارية بمجان وأبرزها النحاس والحجارة والاشخاش^(١٦). وبذلك يمكننا القول بأن شهرة البحرية العمانية في القرون القليلة الماضية تستند الى خبرة ملاحية طويلة تستمد مقوماتها من تاريخ عمان القديم، مع ملاحظة المتغيرات في اتجاهات الرحلات ومواد التجارة بين زمن وآخر.

والمهم في هذا المنطلق هو أن التجارة والملاحة البحرية لاتشكلان نشاطا اقتصاديا فحسب، وانما هما في الاساس عامل رئيسي للتقاعلات الحضارية ومد جسور الصداقة والتفاهم وتعزيز المصالح المشتركة بين أمم وثقافات عديدة، ناهيك عن دورها في تعزيز الترابط الحضاري العربي القديم.

واذا قبلنا باشارات النصوص المسمارية، فانها تخبرنا عن نظام سياسي وإداري محكم يقوده ملك اسمه «مانو دانو» وذلك في حدود القرن الثالث والعشرين ق.م. ومن فترة معاصرة لزمن الملك (نرام سين) من ملوك الدولة الاكدية في العراق، وهو الذي ترك لنا هذه النصوص.

كما أن نصوصا أخرى من زمن سرجون الاكدي جد نرام سين، تتحدث عن مزيد من السفن المجانية (العمانية) التي وصلت الى بلاد اكاد^(١٧). حيث يتناسب ذلك مع

وجود دولة قوية مزدهرة تنشط على يديها الاعمال التجارية والملاحة البحرية الواسعة.

أما المنطلق الثالث لدراسة التاريخ العماني القديم فيتوجه صوب استكشاف الأهمية الاستراتيجية التي احتلتها عمان على صعيد العلاقات العربية من جانب، وبينها وبين العالم الخارجي من جانب آخر.

وهذه العلاقات كانت في غالبيتها علاقات تجارية كان عمادها رحلات منتظمة، تقوم بها السفن العمانية وقوافل الجمال العربية من بلدان الجزيرة العربية ومنها عمان الى البلدان الاخرى، وخاصة تلك البلدان التي تربط بها بریا.

وعندما تحطمت الملاحة في البحر الاحمر نتيجة لانتشار الصخور المرجانية على سواحلها ولعدم توافر الرياح المواتية نشطت تجارة القوافل العربية التي نقلت بضائع الجزيرة العربية والهند الى أسواق الشام ومدن ساحل البحر المتوسط ومصر^(١٨).

ولكن تجارة القوافل العربية هذه لم تكن لتحقيق هذه المكانة والاهمية في تاريخ الاقتصاد العربي القديم الا بفضل تدجين الجمال سفينة الصحراء الذي أصبح منذ مطلع الالف الاولى ق.م. حيوانا عربيا مستأنسا على نطاق واسع يخدم عملية النقل والمواصلات بين أقسام بلاد العرب من جانب، وبينها وبين مراكز الحضارات على أطرافها في العراق والشام ومصر من جانب آخر^(١٩).

وبسبب موقع بلاد عمان الذي تفصله مفازة صيهده (الربع الخالي) عن بقية أقسام الجزيرة العربية، وإلى وقت تدجين الجمال الذي يقع في مطلع الالف الاولى ق.م.، وكذلك بسبب مواد التجارة ومراكزها وأسواقها، فإن معظم النشاطات التجارية والملاحة العمانية كانت موجهة صوب مناطق الخليج العربي وبلاد وادي الرافدين، وهو ما تؤكد المصادر المسمارية ونتائج أعمال التنقيب الأثرية في المراكز الحضرية القديمة لمنطقة الخليج العربي وعمان. فقد كشفت أعمال التنقيب الأثرية عن مقابر دائرية الشكل في جزيرة صغيرة مقابل مدينة أبوظبي، تعرف باسم أم النار^(٢٠). ثم توالى اكتشافات مقابر مماثلة في منطقة هيلي القريبة من بلدة العين، ومقابر بديع بنت سعود وجبل حفيت^(٢١)... مما يجعل الأقسام الجنوبية للخليج العربي تتحرك ضمن دائرة حضارية واحدة.

وهكذا يعطينا الشق الاول وهو الكتابات التاريخية جوانب هامة من تاريخ عمان القديم تتعلق بأنشطة سكانها البحرية والتجارية وعلاقاتها بما يحيط بها من بلدان. أما الشق الثاني الذي يمكن أن نستقي منه أيضا بعض جوانب من التاريخ العماني القديم فهو الحفريات والتنقيبات الأثرية.

التنقيبات الأثرية :

بدأت تتكشف مجاهل تاريخ عمان القديم أمام البعثات العلمية للتنقيب عن الآثار، وترجع أقدم الآثار التي وجدت على الساحل العماني الشرقي والغربي الى الالف الخامسة ق.م^(٢٢)... وهناك دلائل واضحة على تشكل مجتمعات صغيرة في عصور مبكرة من التاريخ على ارض عمان تعود الى الالف السادسة قبل الميلاد، كشف النقاب عنها في موقع القرم قرب مسقط، حيث عثر على مقابر وبقايا اطعمة وامتعة شخصية... فقد عاش معظم سكان ذلك الموقع على استخراج المواد الغذائية من



آثار بات

الاسماك والمحار من الشواطئ القريبة بينما كان آخرون صيادين عاشوا على قنص الغزلان من الوديان ومن اعماق المناطق الداخلية... ويدل وجود آثار القبور على وجود مؤسسة للحياة الدينية لها طقوس معترف بها، اما العثور على حلل للرجال وللنساء فيقوم دليلا على بلوغ درجة ما من التقدم التقني (٢٣) ..

وفي ١٩٧٢ - ١٩٧٣ بدأت أعمال التنقيب الأثري في سلطنة عمان، وقامت البعثات العلمية بالتنقيب في مواقع متعددة بحثاً عن شواهد من الألف الثالثة ق.م، وتأتي هذه الكشف حلقة جديدة في سلسلة التنقيبات التي جرت في منطقة الخليج منذ ما يقرب من أربعة عقود.

ولكن من أهم أعمال التنقيبات التي جرت في منطقة الخليج العربي تلك التي جرت في جزيرة أم النار قرب ابوظبي (١٩٥٩) حيث عثر على مستوطنة يمكن ارجاعها الى مرحلة مبكرة من الألف الثالث ق.م، وفيها آثار مساكن وقبور ومشاعل لصنع الفخار (٢٤) ... ويبدو ان ثقافة عامة كانت منتشرة على نطاق واسع، فقد عثر على آثار بعض القبور الحجرية تليه الشكل قرب جبل حفيت على مقربة من العين، وفيها فخار يمكن تاريخه بنحو ٣٤٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م. وقد وجد مثيل لهذا الفخار في موقع بات (٢٥) ... بالقرب من عبري كما وجدت نماذج منه في موقع إبراء (٢٦) ... وممالفت النظر في بناء هذه القبور، التقنية المتبعة في تغطية السقف القببي الشكل بالحجر الكلسي، وتقسيم داخل القبر الى حجرتين او ثلاث... وفي هذا كله تعبير مادي عن معتقدات دينية انعكست في التقاليد الاجتماعية وفي الحياة اليومية للناس، ينبغي البحث عن مصادرها والعوامل المؤثرة فيها.

فإذا أضفنا الى الكشف الأثري في بلاد الخليج العربي ماكشف عنه في تبة يحيى في كرمان وباجور في بلوخرستان، كان بالإمكان إعادة رسم طرق الاتصال والتبادل بين الحضارتين الكبيرتين اللتين قامتتا على أرض الرافدين والجزيرة (سومر وأكاد)، وفي وادي السند (٢٧) ... وقد كان لديلمون في شمال الخليج ولجان في جنوب الخليج دور كبير خلال أكثر من ألفي عام من التاريخ القديم في تأمين هذا الاتصال، ويلاحظ فريق

من الباحثين الالمان مع الاستاذ شليبيهاكه (فورسبورج) ان تحرك دول الرافدين في الخليج للحصول على المواد الأولية يقابله تحرك مصري في الخليج المقابل (البحر الاحمر) للوصول الى منتجات بلاد بونت (اليمن والساحل الافريقي المقابل)... وفي هذا التحرك المتبادل بدأت تتشكل في الالف الاولى ق.م. اسس حضارة جديدة في جزيرة العرب تقوم على تجارة البخور والمر والطيوب ونقلها بين المحيط الهندي وحوض البحر المتوسط (٢٨)...

وتكشف التقارير العلمية التي نشرت مؤخرا (١٩٨٧) عن محصلة التنقيبات الاثرية التي اجريت في بعض مناطق عمان (المنطقة الوسطى من الباطنة) خلال عقد من السنين، لتؤكد ماقدمناه في البدء من وجود خلفية تاريخية قديمة لتشكيل مجتمع له فعالية اقتصادية سياسية وكيان سياسي منظم للتعامل مع الدول والمجتمعات الاخرى.. ففي دراسة نشرها ب. كوستا وت.ج. ويلكنسن (٢٩)... حول الظهير الواقع وراء صحار، قدم المؤلفان صورة اخيرة عن الفعاليات التعدينية والزراعية والتجارية للمنطقة التي ترجع بأصولها الى مراحل بعيدة من العصور القديمة وامتدت الى العصور الاسلامية.

كما ذكرت المصادر الرافدية القديمة (السومرية والاكادية) بلادا تقع بين ديلمون (البحرين) وملوخوا (يرجع انها السند) هي مجان التي كان من الواضح انها مصدر اساسي لاستيراد النحاس.

وعلى الرغم من تضارب الاراء، فالمرجح هو أن البلاد المذكورة هي عمان، التي تؤكد الدراسات العلمية انها تحتوي على كميات كبيرة من النحاس في شمال البلاد، كما دل على ذلك أيضا تحليل الصخور المخضرة وظهور سيليكات المغنيزيوم المهدرجة فيها، وكان النحاس يستخرج بسهولة من الصخور ومن مناجم محفورة، كما امكن استخراج بعض انواع الكبريت (٣٠)... وقد قدم الباحثان كوستا وويلكنسن في دراستهما المذكورة (٣١)... تقريرا علميا وافيا ودقيقا يؤكد وجود تقاليد فعالية تعدينية قديمة جدا في هذه المنطقة، وبخاصة تعدين النحاس... وتقع منطقة التعدين وراء المنطقة الزراعية بنحو خمسة وعشرين كيلومترا من الساحل، على سفح جبال الحجر الغربي... ودل العثور على آثار حجرية في المنطقة على استقرار مجتمعات صغيرة في مطلع الالف الثالثة ق.م. في الظاهرة عملت في التعدين... وكانت المواد الأولية تستخرج من المناجم، ويصهر المعدن في مصاهر بسيطة، وبنيت مساكن بسيطة لتأمين استقرار العمال.

وقد استمر استغلال هذه المناجم في عمان الى العصور الاسلامية الوسطى... وكان الموقع الرئيسي لها منذ نهاية العصر الساساني الى القرن الثاني عشر للميلاد هو موقع عرجا حيث وجدت آثار منشآت عمرانية يمكن ان تكون لها علاقة بالتعدين، كما عثر على آثار فخارية وخزفية يمكن تأريخها بهذه الفترة... ومما لفت الانتباه العثور على عرق من النحاس على عمق ٩٠ م تحت سطح الارض مع قطع من الخشب وجبال، وقد درست هذه البقايا لتأريخها بطريقة التأريخ بالفحم المشع (١٤ C) فأرجعت الى القرن التاسع الميلادي.. وقد اشار المسعودي (القرن الرابع للهجرة/ العاشر الميلادي) الى مناجم للنحاس في عمان... ولكن الاهم من ذلك وهو وجود قواعد تنظيمية خاصة بالتعدين من مصادر عمانية اشار اليها المؤلفان وهي تعود الى القرن العاشر للميلاد ايضا... وكانت مناجم التعدين تستثمر في وادي الجزي (بالقرب من

صحار) من القرن الثاني عشر... ولكن ايا من هذه المراجع لا يقدم لنا اية معلومات تفصيلية، ومما لاشك فيه - كما يؤكد المؤلفان - في انها تدور حول موضوع التعدين، وهي تتضمن مثلاً عقوداً بين المالكين للموقع وبين المستثمرين، وهي عقود طويلة الاجل تمتد الى مائة عام مثلاً... ولكن الوثائق نفسها تصمت عن اعطاء اية معلومات عن اليد العاملة او التقنيات المتبعة^(٢٢)...

ولم يكن استخراج النحاس وتعيينه واستخدامه قاصراً على عمان في تلك العصور التاريخية السحيقة السابقة على الميلاد أو بعده، فقد تميزت الالفان الرابعة والثالثة ق.م. باستخدام مراكز الحضارات القديمة للنحاس على نطاق متزايد، وبخاصة في كل من مصر والعراق، وصنعوا منه بعد خلطه مع القصدير سبائك البرونز حتى شاعت تسمية اصطلاحية على هذه الحقبة من تاريخ الحضارات القديمة هي العصر البرونزي.

وقد وجدت مصر في مناجم نحاس سيناء المصدر الجيد والقريب لتلبية حاجاتها لهذا المعدن، لذلك يغلب على الكتابات التذكارية لفرعنة مصر، الحديث عن حملات تجارية صوب هذه المناجم وتأمين طرق المواصلات اليها وتوفير الخدمات اللازمة لتسهيل مهمة العاملين على استخراج النحاس أو نقله الى امهات المدن المصرية. وتكرر الاشارات النصوصية الى اهتمام المصريين بمناجم النحاس في سيناء منذ عصر ما قبل الاسرات وإلى الأسرة العشرين، أي لمدة تقرب من ألفي عام وذلك من حوالي منتصف الالف الرابعة ق.م. وإلى مطلع الالف الاولى ق.م.^(٢٣)...

وقد نجم عن سعي المصريين لتوفير هذه المادة، وكذلك سعيهم الحثيث والمتواصل لتوفير أخشاب الارز اللبنانية، دفع اهتمامات التجارة المصرية القديمة وتوجهات سياسة الدولة صوب سيناء والسواحل اللبنانية... بينما وجد العراق ضالته من هذا المعدن الهام من مصدرين هما عمان عن طريق الرحلات البحرية في الخليج العربي، وكذلك بلاد الاناضول.

ولكن بموجب البيانات النصوصية المتوفرة منذ مطلع الالف الثالثة ق.م.^(٢٤)... وكذلك الدلالات الاثرية للمستوطنات البشرية المنتشرة في مناطق واسعة من سواحل وجزر الخليج العربي^(٢٥)، فإن النحاس الذي عرفه العراقيون منذ مطلع الالف الرابعة ق.م. وصلهم من مناجم النحاس في عمان وعن طريق الرحلات البحرية في الخليج العربي. وقد شجع على تطور العلاقات التجارية بين العراق وعمان أن طريق الرحلات البحرية عبر الخليج العربي كان طريقاً سالكا أمام وسائط النقل القديمة، وهو ما أشرنا اليه من قبل، مقابل انعدام أي واسطة أو طريق آخر للاتصالات بين الجانبين.

ومما ساعد على تطوير العلاقات التجارية خلال الالفين الرابعة والثالثة ق.م. والمستندة أساساً على النحاس، توفر مواد أولية أخرى في عمان أو غيرها من مراكز الخليج العربي، أو تستجليها رحلات التجارة في الخليج العربي، وهي الاحجار بأنواعها المختلفة ومنها الاحجار الكريمة، وكذلك الاخشاب، حيث كان النحاس والخشب والاحجار في مقدمة أهم المواد التجارية التي سعى العراق لتوفيرها من تجارة الخليج العربي.

ومع منتصف الالف الثانية ق.م. أخذ استخدام الحديد ينتشر بصورة متزايدة، وبخاصة في صناعة الاسلحة، وكان ذلك من نتائج انتشار الاقوام الهندية الاوربية

في بلدان الشرق الأدنى القديم، وبخاصة بعد غزو الهكسوس لمصر حوالي القرن السابع عشر ق.م، وغزو الكشيين للعراق في حدود القرن الخامس عشر ق.م، وانتشار الحيثيين والليتيانيين في شمالي سوريا وبلاد الرافدين. ورغم استمرار الطلب على النحاس، لكن انتشار الحديد وتقوّه كسلاح على النحاس والبرونز سحب جانباً من التجارة الدولية الواسعة في النحاس لصالح الحديد، وربما يفسر ذلك سبب انصراف الاشوريين عن الاهتمام بتجارة الخليج العربي (٣٦)...

وكما سبق القول فقد أخذ تدجين الجمل واستخدامه الواسع من قبل سكان الجزيرة العربية للنقل والمواصلات، يقلل من أهمية النقل البحري في الخليج العربي، وفتح آفاقاً وأسواقاً جديدة أمام تجارة عرب جنوب الجزيرة العربية عامة ومنهم العمانيون، مثلما تطلب هذا الواقع الجديد في الأسواق والمتغيرات السياسية والبشرية والفكرية لعالم الشرق الأدنى القديم خلال الألف الأولى ق.م، شيوع مواد تجارية جديدة، حيث أصبح الطلب على البخور والطيوب والأفاوية يأتي في مقدمة السلع التجارية الهامة.

وعليه، فقد أخذت التجارة والسلع العمانية تتوجه في جانب كبير منها صوب الغرب والشمال ولتتحد مع تجارة قوافل جنوب الجزيرة العربية الواسعة فيما يعرف بطريق البخور.

ومما يعزز هذا الرأي انتشار كتابات المسند في مواقع عمانية وخليجية كثيرة، كما أصبحت المواشي والجمال والطيوب والذهب من بين سواد التجارة العربية القديمة للألف الأولى ق.م، والتي سعى الاشوريون وغيرهم للحصول عليها (٣٧)...

وقد زاد التجارة العربية أهمية مقدراتها على توفير سلع أجنبية للأسواق التجارية تتعدى السلع العربية المحلية، مثال ذلك سلعة القرقة التي لعب العمانيون دوراً بارزاً من دون شك في توفيرها للأسواق من مناشئها الهندية، وذلك بفضل قدراتهم المتطورة تاريخياً على ركوب البحر، وتهيؤ شروط ملاحية مشجعة للانتقال بين خليج عمان وبين شواطئ الهند الغربية، حيث يمكن الوصول بعدها الى مكان القرقة وأنواع أخرى كثيرة من السلع والمنتجات الهامة.

وبموجب المتغيرات المشار إليها سابقاً، نرى أن لفظة مجان أصبح لها مدلول جغرافي واسع خلال الألف الأولى ق.م، بحيث شملت جميع الأقسام الجنوبية من الجزيرة العربية من مضيق باب المندب وإلى مضيق هرمز، وهي منطقة تتشابه كثيراً في خصائصها الطبيعية ومناخها وأمطارها ونباتها وحيوانها، كما أنها هي أرض الطيوب والبخور والنحاس والذهب والأحجار الكريمة، لذلك فوجيء الاشوريون بالمواد التجارية التي اعتادوا الحصول عليها عن طريق رحلات تجارية في الخليج العربي، تأتي من مناطق جنوب الشام ومصر. حيث يتوجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار طريق الرحلات في النيل والذي يستكمل بطريق البحر الأحمر متوجهاً الى بلاد الطيوب (بونت في لغة المصريين) والتي يرجح أنها في جنوب الجزيرة العربية. كذلك تجدر الإشارة الى أن كثيراً من مدن فلسطين والساحل اللبناني، وبخاصة غزة، كانت تعد مصرية في عرف الاشوريين، فلربما قصد الاشوريون بمصر لا بلاد وادي النيل فحسب، وإنما أقسام من سوريا الجنوبية وفلسطين، وعليه تكون مجان الى الجنوب منها، وهي امتدادات طريق البخور التجاري الذي يأتي من جنوب الجزيرة العربية واسمها مجان سابقاً ثم عمان واليمن فيما بعد (٣٨)...

الباب الثاني - عُمان في العصور التاريخية القديمة

وقد يصطدم هذا التفسير باعتراض مفاده عدم ذكر اسم مجان في المصادر اليونانية التي تكلمت عن الجزيرة العربية وأقسامها المختلفة، وجوابنا على ذلك أن اليونان تعاملوا مع بلاد العرب من الخارج، لأنهم لم يدخلوها، لذلك أطلقوا تسميات واصطلاحات خاصة بهم لما وجدوه أو سمعوا به، فكشفت العربية الصخرية والعربية الصحراوية والعربية السعيدة إلى غير ذلك من تسميات، مثلما أطلق هيرودت تسمية البحر العربي على البحر الأحمر، والبحر الأحمر على الخليج العربي (٣٩)...

وعموماً فإن مراكز الحضارات والاحوال السياسية والعسكرية وكذلك سلع التجارة الرئيسية، وطرق المواصلات ووسائل النقل، كانت ولا تزال تلعب دورها في توجهات الطرق التجارية العالمية، وتخلق أسس العلاقات المختلفة بما فيها العلاقات الحضارية.

ولكن الذي أفادت منه عمان خاصة وجنوب الجزيرة العربية بشكل عام، انها مع ضعف الطلب على النحاس وجدت البدائل في الطيوب والافاوية، ومع تعثر طرق الملاحة في الخليج العربي، نشطت طرق القوافل لتفتح آفاقاً جديدة للاتصالات بما فيها الاتصالات مع بلاد وادي الرافدين، وعندما ضعفت أهمية خطوط القوافل مع ازدهار طرق الملاحة البحرية في البحر الأحمر والبحر العربي، ازدهرت منطقة جنوب الجزيرة العربية بكامل أقسامها ثانية، بمدنها وموانئها الهامة، والتي لا تزال شهيرة ومتواصلة الأهمية إلى وقتنا الحاضر.

هذا ولم يكن نشاط الانسان العماني في العصور التاريخية القديمة قاصراً على التعدين والاشتغال بالتجارة والملاحة، وإنما كان له أيضاً نشاطه في مجال الزراعة، ذلك أن الدول القوية في التاريخ القديم أو الحديث تجد مبررات قوتها دائماً في اقتصاد متنوع مزدهر، تشكل الزراعة، وبخاصة في اقتصاديات العالم القديم، أبرز أركانها. ورغم أن التفاصيل الكاملة لوضع الدولة القديمة في عمان وأركانها ونشاطاتها غير معروف حتى الآن، ولكن صورة الزراعة المتطورة، اضافة لما عرضناه من أمر التجارة المزدهرة، تمثل وجهاً ناصع البياض لنشاطات هذه الدول القديمة في عمان.

ويتأكد الحديث عن الزراعة القديمة المتطورة في عمان في ضوء دليلين هما: الاول، ونسقيقه من اشارات بعض النصوص المسمارية التي تحدثت عن استيراد مواد زراعية من مجان (عمان) فما ترجم إلى البصل، اضافة إلى القصب والاشخاب، تعد من المنتجات الزراعية التي اشتهرت بها التجارة العمانية الخارجية مع العراق (٤٠)...

أما الدليل الثاني، فيتمثل في بقايا عشرات الاميال من قنوات الري القديمة المنتشرة في مناطق شتى من عمان والتي تعرف محلياً باسم الافلاج. ونظراً لأهمية موضوع الافلاج من زاويته التاريخية وجوانبه التقنية وعلاقاته بمراكز حضارية عربية أخرى، سنأتي على ذكره بشيء من التفصيل.

الافلاج والعيون المائية :

رغم أن الماء عنصر أساسي لحياة بني البشر، لكن يقصر لوحده أن يكون شرطاً لحضارة بني البشر، الا بعد أن يفرغ عليه الانسان من فكره وجهده، فيتحكم بالمياه جزءاً أو خزناً، أو تحويلاً لمسيرها، لتصبح بعدئذ واسطة في عملية البناء الحضاري. ويصدق هذا الامر على المناطق وقرية المياه كوادي دجلة والفرات ووادي النيل، أو المناطق شحيحة المياه كعمان، مع ملاحظة اختلاف السبل والطرائق التي اعتمدها

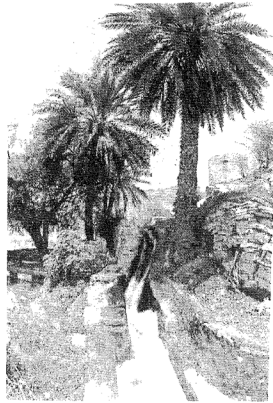
الناس في هذه البلدان لتنظيم الاستفادة من المياه.

ففي كل من اليمن وحضرموت وعمان تشكل الجبال حواجز تمسك بأمطار الرياح الموسمية التي تهب عليها من المحيط الهندي، فتروي مساحات كبيرة، أو تنتقل في هيئة سيول عبر الوديان بين الجبال الى مناطق مختلفة، أو تغوص في باطن الارض لتجد لها طبقة صخرية خازنة للمياه، فتزيد من منسوب المياه الجوفية، أو تتفجر هنا وهناك عيوناً وينابيع تقوم حولها أسباب الحياة والتمدن، وبسبب ازدهار الزراعة وكثافة الغطاء النباتي للاقسام الجنوبية من الجزيرة العربية، فقد أطلق عليها الكتاب الكلاسيكيون تسمية العربية السعيدة.

وعلى العموم فإن المصادر المدونة تقدم لنا الكثير من الاشارات عن تقدم العرب في مضمار الري، وهو ما أكدته نتائج التحريات والتفقيبات الاثرية في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية والخليج العربي، لتتضح جميعها عن مستويات علمية متطورة وحذق يفوق التصور وخبرة فريدة في التعامل مع الماء من شتى مصادره وتوفره لخدمة عملية البناء الحضاري العربي القديم^(٤١)...

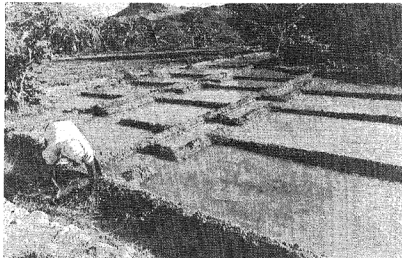
والفلج لغة بمعنى النهر وقيل النهر الصغير وقيل الماء الجاري من العين أو هو الساقية، والفلجات سواقي الزرع والجمع افلاج^(٤٢)... والبدء العام لعمل هذا النظام المبدع في الري، هو تسريب المياه الجوفية عبر قنوات تشيد في باطن الارض يختلف انحدارها عن مستوى انحدار الطبقة الصخرية الحاوية للمياه الجوفية، حتى وصول القناة الى حدود سطح الارض على مقربة من القرى الزراعية والمدن، فتتوزع المياه للأغراض الحياتية المختلفة. وعليه فنظام الافلاج يتطابق عمله مع ما وصفه اللغويون بالقناة وتعني أنبوب الماء المصنوع الذي يجري تحت الارض ويسمى أيضاً كظامية ونفق وارذب^(٤٣)... وتشيد الافلاج على اشكال مختلفة، فقد تكون القناة مخفية في باطن الارض حتى نقطة وصولها للاستغلال البشري، وقد تظهر وتختفي ثانية وقد يقيم اصحاب الفلج مساقط ماء عند بعض نقاط القناة للاستفادة منها في تشغيل طواحين حجرية^(٤٤)...

وتكثر مشاريع الافلاج في عمان على جانبي سلسلة جبال عمان المعروفة باسم الجبل الاخضر، وبذلك فهي تنتشر في مناطق الداخلية والشرقية من عمان وفي



جانب من فلج
بركة الموز

نظام الري التقليدي
عن طريق الافلاج في
سلطنة عمان





طلح دارس
في نضوى

سهول الباطنة المطلة على خليج عمان والبحر العربي، وسهول الظاهرة المطلة على صحراء الربع الخالي، وبذلك نجدها في المنطقة المحيطة بصحار على خليج عمان وفي البريمي وعبري وغيرها من منطقة الظاهرة^(٤٥)...

ومثلما برع مهندسون عرب قدامى في أعمال الري عرفوا بالقناقن^(٤٦)... فان قبائل عمانية اشتهرت أكثر من غيرها في شق الافلاج وصيانتها في الوقت الحاضر^(٤٧).

ورغم أن التقاليد التقنية في انشاء هذه الافلاج وكذلك اعتمادها الوسيلة الوحيدة لري مناطق مهمة وواسعة في عمان، تشير الى قدم مشاريع الري هذه في عمان، فان الافلاج المكتشفة لم تقدم الادلة الاثرية الكافية للاحاطة بالجانب التاريخي وتحديد الفترات الزمنية لبناء هذه المشاريع، ولذلك نستعين ببعض البيانات التاريخية القديمة في محاولة للكشف عن الابعاد التاريخية لهذه الافلاج.

يذكر هيرودوت بأنه كان في البلاد العربية نهر كبير اسمه كورس يصب في البحر الاحمر، ويضيف بأن ملوك العرب كانوا يصنعون أنابيبا من جلود الثيران أو حيوانات أخرى ليوصلوا ماء النهر الى جهات في الصحراء حيث توجد آبار يزودونها بالماء وتقع هذه الآبار على مسافة رحلة اثني عشر يوما^(٤٨).

وفي رواية عربية عن القزويني يصف فيها أرم ذات العماد في منطقة الاحقاف في الجزء الجنوبي الغربي من عمان فيقول: «ثم أجرى الملك اليها نهرا مسافة من أربعين فرسخا تحت الارض فظهر في المدينة فأجرى من ذلك النهر السواقي في السكك والشوارع وأمر بحافتي النهر والسواقي فطليت بالذهب»^(٤٩).

كما يشير ابن الجاور لوجود آبار عديدة في عدن منها بئر الزعفران وإلى أن ماء بئر الزعفران كان ينقل إلى سائر بلاد اليمن^(٥٠).

وعموما فان هذه الروايات التاريخية تلمح بوضوح الى شيوع نظام الافلاج بين العرب اولا، كما انها ترجعه الى فترات قديمة أقلها حدود القرن الخامس ق.م.، وهو الزمن الذي عاش ودون فيه المؤرخ اليوناني هيرودوت.

والى ذلك نضيف بأن حفائر الاثريين الدانماركيين في البحرين كشفت جنوب مدينة عوالي عن سلسلة من مشيدات حجرية دائرية الشكل تشبه قوّهات المداخل تظهر فوق سطح الارض قليلا، وبعد التدقيق في تفاصيلها تأكد للبعثة الدانماركية بأن هذه القوّهات تشير الى امتداد قناة حجرية شديدة على عمق عشرين قدما من سطح الارض، لتنتقل المياه من مصادر العيون في التلال الوسطية لجزيرة البحرين وتسير صوب الاراضي الزراعية في المناطق المنخفضة عند أطراف الساحل الغربي للجزيرة^(٥١) وبذلك فهي نموذج فلج قديم كان واسطة لنقل المياه الوفيرة من مكان الى آخر يحتاج

اليها، ورغم عدم توفر دليل أثري لتأريخ هذه القناة، إلا أن شهرة جزر البحرين تاريخياً، وكذلك المنطقة الساحلية المقابلة لها في الأحساء والقطيف، في شؤون الزراعة والسقي، يدفعنا لافتراض تاريخ قديم لمشاريع الري هذه... أن الدليل التاريخي الوحيد المتوفر حتى الآن بخصوص قنوات الري الجوفية هذه - الأفلاج - جاء من قناة شيدها الملك الأشوري سنحاريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق.م) في منطقة أربيل بشمال العراق^(٥٢).

إن منطقة أربيل التي شهدت مشروع ري سنحاريب هذا تشبه في بعض خصائصها الطبيعية منطقة الظاهرة أو الباطنة في عمان من حيث السلاسل الجبلية والوديان الفسيحة المجاورة، وكذلك استقبال الجبال في البلدين لكميات وفيرة من الأمطار. وكانت منطقة أربيل إحدى أبرز المناطق القديمة في العراق التي شاع فيها على نطاق واسع نظام الري بالقنوات، والذي يعرف محلياً باسم الكهاري، حتى أن مجموع القنوات التي مسحتها إحدى الهيئات العاملة على تطوير الزراعة والري في المنطقة، بلغ حوالي ثلاثمائة وخمس وستين (٣٦٥) قناة أو كهريزاً، تعطل جريان الماء في معظمها بسبب الإهمال وتراكم الأوساخ والتربة وبقي ستون كهريزاً يعمل بشكل جيد إلى زمن إعداد هذا التقرير^(٥٣).

وعليه فإن قناة سنحاريب تمثل النموذج الأقدم لقنوات الري هذه في أربيل، حيث نقلت المياه من أطراف الجبال إلى مدينة أربيل وبذلك فإن نظام الري بالقنوات الجوفية، الكهاريز أو الأفلاج ينقل صورة حية من صور التفاعل الحضاري وتبادل الخبرات والتجارب بين العراق وبين الخليج العربي.

وربما تكشف أعمال التنقيبات المتواصلة في عمان وغيرها من مناطق الخليج العربي، عن دلائل أثرية تكشف عن الأبعاد التاريخية لنظام الري المتطور هذا، خاصة أن عمان وغيرها من مناطق الجزيرة العربية والخليج العربي بحاجة ماسة أكثر من غيرها إلى مثل هذا الأسلوب في الري، بسبب انعدام الأنهار الكبيرة ودرجات الحرارة العالية. وليس من قبيل الصدفة أن يسمى العمانيون الأفلاج بالدواوير حيث تنسب الأساطير العمانية بناءها إلى النبي سليمان بن داود^(٥٤)... فإن ذلك إشارة واضحة إلى قدم نظام الأفلاج الذي يجب إقائه بأنه يقدم الزراعة في عمان.

الفصل الثاني

المجتمع العماني في العصور القديمة

العمانيون وتجارهم مع بلاد وادي الرافدين في العصور القديمة:

إذا كنا لانعرف شيئاً كثيراً حتى الآن عن الظروف التي تكونت فيها هذه المجتمعات العمانية القديمة، فإن التقدم في البحوث الأثرية عن التاريخ القديم لبلاد الخليج العربي وحضاراته كشف النقاب وبخاصة في العقود الأخيرة من هذا القرن عن جذور حضارة عربية عريقة في عمان وبعض مناطق الخليج كانت لها صلات وثيقة بحضارات الرافدين والشرق العربي من جهة والساحل الهندي من جهة أخرى... وأنه ليس من المبالغة القول أنه كان من غير الممكن أن يستمر المجتمع العماني في وجوده وفعالياته الاقتصادية (الزراعية الحرفية التجارية) وفي التعامل مع المجتمعات المدنية المعاصرة في البحر والبر، دون أن تكون له بنية اجتماعية سياسية ما، ودون أن يكون له شكل من أشكال نظام الدولة... وأن كثيراً من الشواهد تدل على أن عمان كانت لها منذ أقدم العصور علاقات هامة مع دول سومر وأكاد وبابل وآشور... وأن موانئها وتجارها كانت محل اهتمام الدول الكبرى التي سيطرت على مقدرات الشرق العربي منذ العصر الفارسي الأخميني إلى ظهور الإسلام.

وإذا ما عدنا إلى فجر التاريخ عندما أسست أقدم الدول في بلاد الرافدين ومصر وسورية (الالف الثالثة) كانت مجان وهي من القوى الاقتصادية البحرية الهامة معاصرة لها... وكان شروكين وبعده حفيده نرام سين^(١) حريصين على إقامة علاقات تجارية دائمة ومنظمة مع مجان لتأمين الحصول على المواد الضرورية في ذلك العصر وأهمها النحاس الذي كان يصنع منه السلاح والادوات المنزلية والأواني والحلي... ويفترض وجود مراسي للسفن على سواحل مجان كما وجدت مراسي للسفن في أكاد، لاستقبال المراكب ذات الحمولة الثقيلة والمعدة للاسفار البعيدة.

أن هذا المجتمع الذي مارس التجارة البحرية على نطاق واسع وأسهم في تقديم مادة أولية هامة للاقتصاد العالمي المعروف آنذاك بذل جهداً كبيراً في عمليات التعدين وفي صنع السفن وفي تنظيم العلاقات التجارية مع البلاد الأخرى.

وكان لا بد أن تتضارب المصالح الاقتصادية بين الدول في بعض الأحيان مما كان يؤدي إلى الصدام والحرب، وهو ما أشار إليه نص نرام سين عند الحديث عن الحرب التي خاضها ضد مانو (ماريوم) دانو سيد مجان... ولكن الصلات بين دول الرافدين ومجان استؤنفت بعد ذلك على أسس تجارية، فكانت البضائع تصل من مجان على مراكب محملة بسبكائك النحاس والذهب والحجارة الكريمة، وبأصناف من القصب والأرائك الخشبية وألواح الخشب والتمور والزيت المعطرة، إلى مدن أور ولجش ولارسا.

ويشير الدكتور اوبنهايم الى ان النحاس لم يكن هو المادة الوحيدة المستوردة من مجان بل كانت تستورد مواد اخرى مثل قطع الاحجار الكريمة والعاج والبصل، وكانت له شهرة معروفة اذ كان يذكر بصل مجان بعد ان كان يذكر في العصر الصرغوني بصل ديلمون.

ويتحدث اوبنهايم عن الاسلوب الجديد في التعامل التجاري، فبدلاً من الحملات التجارية العسكرية التي تنظمها الدولة في العصر الصرغوني مثلاً، صارت البيوتات التجارية الكبيرة تشرف على التعامل التجاري مع مصادر المواد الاولية... فكان التجار يراققون مراكزهم سواء في عصر اور الثالثة ام في عصر اسرة لارسا الى ديلمون ثم الى مجان ليشرف التاجر بنفسه على تسليم البضائع المحملة معه من اور وعلى تسليم البضائع المستوردة.

وطالما انه لا توجد وثائق مكتوبة من مجان فانه من الصعب معرفة بنية المؤسسة التجارية واسلوبها في التعامل مع الاطراف الاخرى... الا ان الوثائق التي تقدمها المصادر الرافية تبين لنا بوضوح درجة اهمية ماكان يدعى ماجان الكبرى في النظام الاقتصادي في الشرق القديم والجزيرة العربية طوال عصر اور الثالثة^(٤)... وهي كما يتضح من الشواهد السابقة، وحدة جغرافية - اقتصادية - سياسية كانت معروفة منذ الالف الثالثة (UET 1193) وظلت محتفظة بوجودها بشكل او باخر حسب الظروف الدولية.

فبعد سقوط اسرة اور الثالثة تدهورت العلاقات التجارية المباشرة مع مجان، وحلت ديلمون الاكثر قرباً الى بلاد الرافدين في موقع الوسيط بين هذه الدول وبين الشرق... وتتناقص بعد ذلك الشواهد على وجود علاقات تجارية مباشرة... وذلك لان الظروف الداخلية في سومر واكاد ثم في بابل، انعكست على العلاقات التجارية الخارجية... وبعد تدهور لارسا وحلول بابل في زعامة بلاد الرافدين ازداد التوجه بدرجة اكبر نحو الغرب (أمورو) ونحو الشمال... فانقطعت العلاقات مدة طويلة مع بلاد مجان.

وفي العصر الاشوري يتحدث نص^(٦) من ايام سنحريب (٧٠٤ - ٦٨١ ق.م) عن عودة العلاقات التجارية الى نشاطها السابق بعد ركود طويل، وحملت من جديد البضائع التي اقتصت بها بلاد مجان عن طريق ديلمون الى موانئ بلاد الرافدين، ومن هذه البضائع الادوات البرونزية مثل الرفوش والمجارف واسنة الرماح وادوات برونزية اخرى، وكذلك مواد اخرى مثل التوابل والعطور والخشب مما كان يستورد من الشرق عن طريق مجان وديلمون.

وهكذا يبدو ان الموانئ التي كانت تعوق الاتصال مع الشرق قد تلاشت بعد الف عام... فما الذي حدث من تحرك للشعوب في المنطقة وماهي التبدلات التي لحقت بالظروف الدولية، وماهي انعكاساتها على مجان (عمان) ومجرياتهما فيها... انه لا يعرف على وجه الدقة شيء مما حصل.

ويأتي شاهد جديد على استمرار الاتصال بين اشور وبين بلاد الخليج حتى اواخر العصر الاشوري (القرن السابع ق.م)... ففي نقش من ايام اشور وبابل من معبد اشتار في نينوى يذكر الى جانب خوندارو ملك ديلمون راميت باث (Ra - a - (Bai) ملك بلاد تدعى كوبي / جوبي وهذه البلاد هي على الأرجح جوبين المعروفة منذ

ايام جوديا بكونها الى جانب ديلمون ومجان وملوخا مصدرا للحجر ولالواح الخشب^(٧)... ثم ورثت الامبراطورية الاخمينية في القرن السادس ق.م. بعد سيطرتها على مقدرات دول الشرق الادني القديم كله، التقاليد التجارية العريقة المعروفة في منطقة الخليج، وفتحت البلاد للتبادل فيما بين الهند وحوض البحر المتوسط دون اي عائق حتى الغزو المقدوني.

واذا كنا في هذا الحديث عن نشأة المجتمع العماني وتطوره في العصور التاريخية القديمة قد أشرنا الى نصوص من عهد آشور وبابل، فان هناك نصوصا أخرى أقدم من ذلك أشارت الى عمان وتحدثت عن نشاط أهلها وعن علاقتهم القديمة ببلاد الرافدين، وهذه النصوص هي ماتعرف بالنصوص المسمارية.

عمان في ضوء النصوص المسمارية وغيرها من النصوص القديمة:

من الحقائق التاريخية التي لا تقبل الشك هو أن التجارة البحرية كانت قائمة بين مدن الخليج العربي وعمان من قبل أن يتكون القسم الجنوبي من العراق في حدود (٥٠٠٠ ق.م) لأن المعلومات المتوفرة عن تجارة العراق القديم قد أكدت وبوضوح كامل بأن السفن التجارية التي كانت تأتي الى موانئ المدن العراقية القديمة هي سفن لا تعود ملكيتها الى المدن العراقية بل أن ملكيتها كانت تعود الى ميلوخا ومجان ودلمون.

وهذه الحقيقة لوحدها تؤكد بأن هذه المدن كانت تمارس التجارة البحرية وكانت تمتلك من السفن الشراعية مايسد حاجتها. ولذلك عندما تكون القسم الجنوبي من العراق وبدأت قراه الزراعية تتحول تدريجيا الى مدن، برزت حاجته الى الاحجار والاشخاب والنحاس والاحجار الكريمة، ولذلك بدأت السفن العائدة الى ميلوخا، ومجان، وجوين ودلمون تأتي بتجاريتها الى المدن العراقية لبيعها هناك، لأن القسم الجنوبي من العراق يفتقر تماما الى الاشخاب التي تمثل المادة الضرورية في صناعة السفن، ولذلك ماكان بإمكانه في بداية تكونه أن يبني له أسطولا تجاريا ما لم يستورد الخشب بسفن غير عراقية.

ولهذا السبب بالذات نجد أن جميع الملوك الذين تحدثوا عن تجارة العراق مع مدن الخليج العربي، قد ذكروا بأنهم قد تركوا سفن ميلوخا ومجان ودلمون ترسو في موانئ مدنهم^(٨). وهذه الحقيقة لوحدها اعتراف صريح من قبل الملوك العراقيين بأن التجارة في الخليج العربي لم تكن تحت زعامة المدن العراقية بل انها كانت تحت زعامة المدن الثلاث التي مر ذكرها.

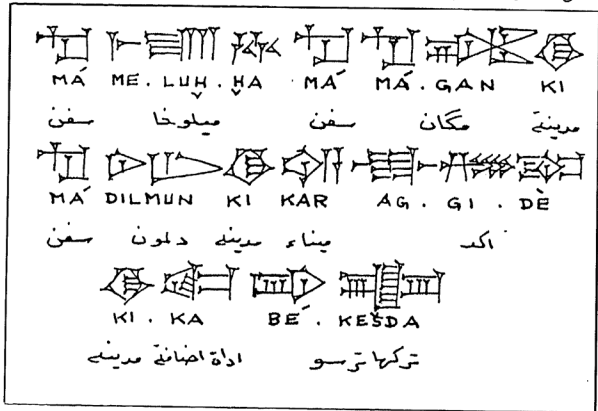
والناحية الأخرى التي تؤكد ان السفن التجارية العراقية لم تشترك في ممارسة التجارة في الخليج العربي الا بعد فترة طويلة نسبيا من بداية ممارسة المدن المذكورة للتجارة هي كلمة تاجر باللغة السومرية، حيث كانت تلفظ (دام - جار) والمختصين بالدراسات المسمارية يؤكدون انها مقتبسة من الكلمة الجزرية «تامكاروم»، وهذا ما يؤكد ان سكان ميلوخا ومجان ودلمون قد مارسوا التجارة وعرفوها من قبل السومريين.

وقبل أن نقدم الأدلة المادية على ماتقدم علينا أن نحدد المدن العمانية التي كان لها الباع الطويل في العلاقات التجارية فيما بين المدن العراقية وبين مدن منطقة الخليج العربي:

ملوخا:

ان الاسم ملوخا في النصوص السمارية يتألف من المقاطع التالية «مي» وتعني «الكثرة»، لأن هذه العلامة تستخدم للتعبير عن الجمع و«لوخ» تعني النقي أو المصفى و«نا» هي أداة الاضافة، وبذلك يكون معنى الاسم ملوخا «المواد الكثيرة النقاوة». وهذه التسمية تنسجم الى حد كبير مع نوعية المواد التجارية التي استوردوها سكان بلاد وادي الرافدين من مدينة ملوخا، حيث ذكر لنا الملك سرجون الاكدي بأنه قد استورد من ملوخا خشب الصاج وحجر المرمر^(١)، وذكر لنا الامير كوديا (٢١٤٤ - ٢١٢٤ ق.م)، ثاني حكام سلالة لكش الثانية التي حكمت خلال الفترة (٢١٦٤ - ٢١٠٩ ق.م)، بأنه قد استورد من المدينة المذكورة الاحجار الكريمة مثل الكارنيول والملايس لازولي (حجر اللازورد) ومعدن النحاس والزنك والذهب كذلك^(٢)...

واذا تأملنا هذه المواد نجد ان معظمها يمتاز بالصفاء والنقاء لأنها من المواد والاحجار الثمينة، ولذلك سميت هذه المدينة ملوخا أي «المواد الكثيرة النقاوة»، لأن الكتابة السمارية لا تكتب أسماء المدن كما نفعل نحن في الوقت الحاضر، بل تختار صوراً تتناسب دلالاتها مع أسماء تلك المدن ولذلك كتب العراقيون القدامى مدينة ملوخا بالعلامات السمارية المعبرة عن المواد الكثيرة النقاوة، وهذا هو السبب المباشر الذي جعل سكان بلاد وادي الرافدين يسمون المناطق البعيدة والتي استوردوا منها بشكل خاص الذهب والاحجار الكريمة تسمية ملوخا. وخير دليل على ذلك هو اطلاق الاسم ملوخا منذ منتصف الالف الثانية قبل الميلاد على منطقة اثيوبية، لأن العراقيين القدامى قد استوردوا الذهب والاحجار الكريمة من المنطقة المذكورة.



النص للملك سرجون الاكدي وترجمته: لقد ترك سفن ملوخا وسفناً من مدينة مجان وسفناً من مدينة دلمون ترسو في ميناء اكد

وهكذا من خلال النصوص المسمارية ومن خلال تسلسل المدن التجارية التي تطرقت إليها تلك النصوص تأكد لنا بأن أبعد محطة تجارية استورد منها العراقيون القدامى أو وصلوا إليها هي ميلوخا. ومن خلال نوعية المواد التي استوردوها سكان وادي الرافدين من ميلوخا من خلال تسلسلها مع المحطات التجارية الأخرى تأكد لنا بأنها تتمثل بالقسم الجنوبي الشرقي من عُمان، أي رأس الحد. وفجلاً عن ذلك فإن عدداً من الباحثين يعتقدون بأن مدينة ميلوخا تقع في الجانب الآخر من الخليج العربي، أي في غرب الهند، حيث المنطقة التي انتشرت فيها حضارة الاندوس. وعلى الرغم من أننا متأكدون من أن موقع هذه المدينة هو رأس الحد إلا أن هؤلاء الباحثين على حق كذلك، لأن العراقيين القدامى كما يثبت ذلك الواقع قد أطلقوا الاسم ميلوخا على جميع المناطق البعيدة جداً عن موطنهم والتي استوردوا منها الذهب كذلك^(١١).

وما يؤكد ذلك هو أن النصوص المسمارية قد بدأت منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد فما دون تطلق التسمية ميلوخا على منطقة أثيوبية في القارة الأفريقية، لأن سكان بلاد وادي الرافدين وبالأخص الآشوريين قد بدأوا تجارتهم معها منذ التاريخ المذكور، لأن هذه المنطقة الأثيوبية كما نعلم بعيدة جداً عن بلاد وادي الرافدين.

ومما يماثل ظاهرة ميلوخا خلال الفترة العربية الإسلامية ما يعرف باسم «جزر واق واق» حيث أن المعلومات المتوفرة تؤكد أن الكتاب العرب قد قصدوا بهذه التسمية جزر اليابان، ولكنهم مع ذلك قد أطلقوا نفس هذه التسمية في مصادر عربية أخرى على عدد من الأماكن البعيدة عنهم كذلك، وبناء على ما تقدم فإنه مهما تظاهر أماكن أخرى تحمل الاسم ميلوخا فإن ذلك لا يؤثر إطلاقاً على الحقيقة التي تؤكد أن الاسم القديم لرأس الحد كان ميلوخا فعلاً.

هذا ومن خلال استيراد العراق القديم حجر اللازورد من مدينة ميلوخا، ومن خلال معرفتنا الأكيدة بأن مناجم حجر اللازورد الذي استخدمه سكان بلاد وادي الرافدين كانت ولا تزال موجودة في أفغانستان، لذلك يمكننا التأكيد على أن تجار ميلوخا كانوا الوسطاء الوحيدين في تزويد تجار العراق بهذا الحجر الأفغاني الثمين لأن النصوص المسمارية جميعها أكدت بأن العراق القديم لم يستورد حجر اللازورد من أي مدينة كانت سوى مدينة ميلوخا.

ومما يؤكد بأن حجر اللازورد كان يأتي فعلاً من أفغانستان هي تسمية حجر اللازورد باللغة السومرية، حيث كانت تلفظ «زارد - جن»^(١٢)، وهذه التسمية السومرية تعني بلغة أفغانستان القديمة «مثل الذهب»، والسبب في هذه التسمية يعود إلى أن الحجر المذكور تظاهر في بعض أنواعه خطوط صفراء تشبه الذهب تماماً، ولذلك سماه الأفغانيون القدامى لندرته من جهة ولوجود هذه الخطوط الصفراء فيه من الجهة الأخرى، تسمية «مثل الذهب».

وقبل أن نختم حديثاً عن ميلوخا يجدر بنا الإشارة إلى أن النص المسماري الذي يسمى برثاء مدينة أكد، قد وصف سكان هذه المدينة بأصحاب الأراضي السوداء. ومن المحتمل أن هذا الوصف هو إشارة إلى خصوبة التربة هناك أو لكثرة أشجارها مثلما وصف القسم الجنوبي من العراق بأرض السواد لكثرة أشجار النخيل فيه.

مجان:

لقد أجمع المختصون في تاريخ العراق القديم وفي الدراسات المسمارية على أن

الاسم الحديث لمدينة مجان القديمة هو عمان، وبشكل دقيق تتمثل مدينة مجان (عمان) بشبه جزيرة رؤوس الجبال^(١٣).

فقد استورد سكان بلاد وادي الرافدين بشكل خاص حجر الدايبوريت من مدينة مجان، والآثار المصنوعة من هذا الحجر والكتابات المسمارية تؤكد بأن السفن العمانية كانت تجلب هذا الحجر بطلب من التجار العراقيين منذ زمن الملك سرجون الاكدي (٢٣٤٠ - ٢٢٨٤ ق.م)، وقد فضل العراقيون القدامى هذا الحجر كثيراً بحيث ورد في كتابات الحاكم كوديا (٢١٤٤ - ٢١٢٤ ق.م) بأنه أفضل من أي معدن معروف وحتى انه أفضل من الذهب^(١٤).

هذا وقد استخدم هذا الحجر في العراق القديم في صناعة الاختام الاسطوانية والاوزان، والسبب في استخدامه في هذين المجالين راجع الى صلابته الشديدة وعدم تكسره بسهولة وراجع ايضا الى ندرته في العراق وصعوبة الحصول عليه من قبل الناس العاديين، وهذه الحقيقة بالذات تسد الطريق أمام المتلاعبين بالاوزان والمزورين للاختام الاسطوانية.

واضافة الى حجر الدايبوريت فقد استورد العراقيون القدامى أنواعاً مختلفة من الأخشاب التي كان يحصل عليها تجار المدينة المذكورة من بلاد الهند ذلك ان العلامات المسمارية التي كتبت بها مدينة مجان قد أكدت لنا بأن المدينة المذكورة كانت مشهورة بصناعة السفن التجارية، لان اسمها كان يكتب بالعلامتين «ما» التي تعني سفينة و«جان» التي تعني هيكل، وبذلك يكون معنى الاسم كاملاً «هيكل السفينة» وهذا المعنى لاسم المدينة يؤكد على انها كانت تمارس صناعة السفن. ومما يزيد التأكيد على هذه الحقيقة هو أن عمان خلال الفترة العباسية وحتى أوائل القرن التاسع عشر كانت مشهورة أيضاً بصناعة السفن، وخير مثال على ذلك انطلاق رحلات السندباد البحري منها.

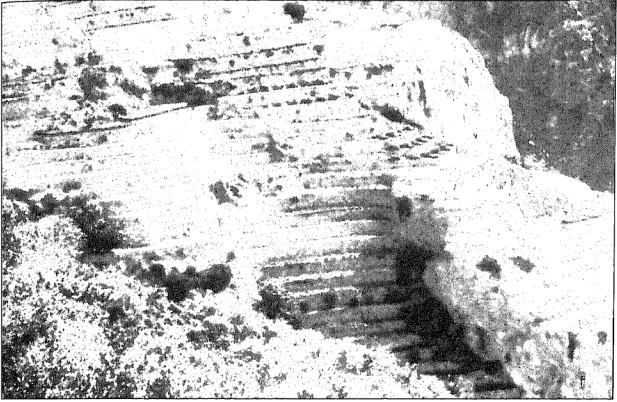
وبناء على هذه الحقائق يمكننا القول بأن مدينة مجان هي التي كانت تزود دلمون (البحرين) بالسفن وتزود غيرها من المراكز التجارية في الخليج العربي خلال فترات العصور القديمة.

جوبن :

لقد ورد في كتابات الحاكم كوديا اسم مدينة جوبن مباشرة بعد مدينة ميلوفا ومجان، وذكر بأنها موطن شجر الخالوب، أي شجر البلوط وهذا النوع من الأخشاب كان يستورد كذلك من مدينة مجان، ولذلك فقد حدد علماء الدراسات المسمارية موقع مدينة جوبن في منطقة الجبل الاخضر، لان هذه المنطقة هي المنطقة الوحيدة في جنوب شبه الجزيرة العربية التي تمتلك أشجاراً يحتاج العراق الى أخشابها في بناء حضارتها^(١٥). علماً بأن اسم هذه المدينة لم يذكر في المصادر المسمارية التي سبقت فترة حكم الامير كوديا (٢١٤٤ - ٢١٢٤ ق.م)، ولذلك نعتقد بأن هذه المدينة التجارية قد تكونت وبدأت تلعب دورها التجاري في الربع الاخير من الألف الثالثة قبل الميلاد. وقبل هذا التاريخ كانت مجان تقوم بمهمة تصدير أخشابها.

دلمون :

لقد أجمعت الآراء على أن التسمية «دلمون» تتمثل بجزيرة البحرين، وكانت دلمون مجرد محطة تجارية تربط فيما بين المدن التي مر ذكرها وبين المدن العراقية، ومما



منظر من
الجبيل الأخضر

يؤكد هذه الحقيقة هو أن الملك أورنانشيه حوالي (٢٥٢٠ - ٢٤٩٠ ق.م) مؤسس حكم سلالة لكش الاولى حوالي (٢٥٢٠ - ٢٣٥٥ ق.م) قد ذكر بأن سفن دلمون قد جلبت المواد التجارية من البلدان الأجنبية وتركها رسو في ميناء مدينة لكش^(١٦). وهذه الاشارة وبقيّة الاشارات الاخرى الخاصة بدلمون، تؤكد انها كانت محطة تجارية فقط وليست بلدا مصدرا لبضائع تجارية، وهذه الحقيقة الخاصة بدلمون تؤكد الان ان التجارة في التاريخ القديم كانت مقتصرة فيما بين العراق وعمان فقط، حيث كان العراق القديم يصدر الى مدن الخليج الحبوب والزيوت والخمور والجلود ويستورد من المدن العمانية المواد التي مر ذكرها.

«الذكر الأقدم لمجان وميلوخا في النصوص المسمارية»

من خلال دراسة النصوص المسمارية السومرية لفترة النصف الاول من الألف الثالثة قبل الميلاد، يبدو لنا واضحا بأن العراق القديم كان يستورد البضائع التجارية العمانية لا عن طريق مجان مباشرة بل كان يستوردها بصورة غير مباشرة وذلك من خلال السفن الدلمونية.

وقد تأكدت لنا هذه الحقيقة من خلال الكتابات المسمارية التي خلفها لنا الملك أورنانشيه مؤسس حكم سلالة لكش الاولى، الذي مر ذكره، حيث أشار الى ذلك في نصين مسماريين من نصوصه^(١٧). وهذه الحقيقة تؤكد ان دويلات المدن السومرية كانت تستعين بالسفن الدلمونية من أجل الحصول على بضائعها التجارية لان دلمون كانت ولاشك أقرب الى العراق من مدينتي مجان وميلوخا، ولكن هذه الحقيقة قد تغيرت منذ مجيء الملك سرجون الاكدي الى الحكم، حيث بدأت سفن مدينتي ميلوخا

ومجان تصل الى العراق كذلك.

ومما يثبت ذلك الإشارة التي ذكرها الملك المذكور في كتاباته التي جاء فيها مايلى:
«لقد تركت سفن مدينة ميلوخا وسفن مدينة مجان وسفن دلمون ترسو في ميناء مدينة أكد». وهذه في الواقع إشارة أكيدة الى أن الملك سرجون الأكدي (٢٣٤٠ - ٢٢٨٤ ق.م) قد وسع تجارته مع مدن الخليج العربي وأخذ يتاجر مباشرة مع مدينتي ميلوخا ومجان.

هذا ويبدو ان الاكديين بشكل او بآخر قد تمكنوا من اقامة علاقات متينة مع مدينة مجان، بحيث تحولت الى احدى المقاطعات التابعة للدولة الأكديّة، وقد تأكدت لنا هذه الحقيقة من الكتابات المسمارية التي خلفها لنا الملك نرام سين حفيد الملك سرجون، حيث أشار الى أن جميع مقاطعات الامبراطورية الأكديّة قد ثارت ضده في بداية تسلمه الحكم وكانت من بينها ثورة مدينة مجان^(١٨)، ولذلك اضطر الملك نرام سين (٢٢٦٠ - ٢٢٢٣ ق.م)، كما تشير إلى ذلك كتاباته الى تجهيز حملة عسكرية وتوجه بها نحو مجان للقضاء على انتفاضتها. وبعد أن تم له ما أراد قام بأسر حاكمها المدعو «ماني دانو» الذي يعني اسمه باللغة الأكديّة «من هو قوي (مثله)»، وعند عودته إلى العاصمة (أكد) جلب معه بعض أحجار الدايوريت وصنع منها تمثالا لنفسه، وقد عثر على قاعدة هذا التمثال في مدينة سنوسة عاصمة عيلام.

وفضلا عن حجر الدايوريت الذي صنع منه تمثالا لنفسه فقد عثر على إناء مصنوع من حجر الكلس، والكتابة المسمارية الموجودة على هذا الإناء ذكرت بأن الإناء المذكور هو من جملة الغنائم التي حصل عليها الملك نرام سين من مدينة مجان (عمان).

والسبب الذي أدى إلى وجود هذه الآثار التي جلبها الملك نرام سين من مجان في مدينة سنوسة، العاصمة العيلامية، يعود الى أن الملك العلامي «شترك ناخونته» قد قام عام ١١٧١ ق.م. بغزوة خاطفة على المدن العراقية المهمة ونهب منها الآثار النفيسة^(١٩).

هذا وقد أكدت لنا المعلومات التي خلفها الملك نرام سين بأن الملك المذكور قد قصر أثناء حياته تجارته مع مدينة مجان فقط، ولم تذكر لنا نصوصه الكتابية أية مدينة خليجية سوى مدينة مجان. والسبب في ذلك على ما نعتقد هو أن احتلال الملك نرام سين لمدينة مجان قد تسبب في عقد معاهدة تجارية بين مجان والدولة الأكديّة تم الاتفاق فيها على أن العراق لا يستورد بضائعه التجارية إلا من مدينة مجان.

ويبدو أن هذه العلاقة التجارية فيما بين العراق ومجان قد انتهت مغفولها بسقوط الدولة الأكديّة، لأن كتابات سلالة لكش الثانية (٢١٦٤ - ٢١٠٩ ق.م)، التي حكمت العراق خلال فترة الاحتلال الكوتي لبعض أجزاء العراق القديم قد أكدت بأن حكام هذه السلالة قد تاجروا مع ميلوخا، مجان، جوبن ودلمون، ولكن سقطت هذه السلالة ومجيء سلالة أور الثالثة الى حكم العراق الموحد قد أعاد تلك العلاقة التجارية مع مدينة مجان الى سابق عهدها، لأن الملك أورنمو (٢١١١ - ٢٠٩٤ ق.م) مؤسس حكم سلالة أور الثالثة (٢١١١ - ٢٠٠٣ ق.م) ومشروع أول قانون وصل الينا حتى الآن قد أشار في مقدمة قانونه بأنه قد أعاد سفن مجان لأن ترسو في ميناء مدينة أور^(٢٠).

وابان هذه الحقبة التاريخية في بلاد وادي الرافدين بلغت الحركة التجارية ما

بين بلاد الرافدين ومنطقة الخليج العربي أي اقليمي ديلموني ومجان ذروتها لدرجة أن كثيرا من تجار هذين الاقليمين كانوا يقطنون بلاد سومر، وإن كثيرا من تجار بلاد سومر كانوا يقطنون في اقليمي ديلمون ومجان^(٢١).

كما إن هناك نصا سومريا آخر يعود إلى زمن الملك ايبني سن (٢٠٨٢ - ٢٠٠٤ ق.م)، أحر ملوك سلالة اور الثالثة يذكر بأن مواد تجارية قد وصلت إلى اور وبالذات إلى معبد الاله ننا، من عدة أقاليم تجارية في الخليج العربي، كما يذكر النص بأن مدينة اور قد أرسلت (صدرت) وعن طريق مياه الخليج العربي إلى عمان (مجان) زيت السمسم، والصوف مقابل حصولها على نحاس مجان^(٢٢).

أما نصوص السلالة البابلية الأولى فإنها لم تذكر أية إشارة إلى التبادل التجاري ما بين عمان (مجان) وهذه السلالة التي استمرت من بداية القرن التاسع عشر وحتى السادس عشر قبل الميلاد.

وفي العصر الذي تلا سلالة بابل الأولى أي العصر الكاشي، يبدو أن العلاقات التجارية قد عادت ثانية إلى عهدهما السابق حيث تذكر حوليات بعض الملوك الكاشيين الأقاليم المتجاورة مع إقليم ديلمون. وبطبيعة الحال فإن العلاقات قد امتدت ثانية إلى إقليم مجان أي عمان.

وبابن العصر الآشوري الوسيط وبالذات خلال حكم الملك توكلتي نتورتا الأول (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق.م) يظهر نص يعود إلى هذا الملك يذكر فيه وبهيئة ملك ديلمون وملوخوا^(٢٣).

أما إقليم ديلمون فعلى ما يبدو كان يشمل إبان العصر الامبراطوري الآشوري جميع الأقاليم الواقعة على الساحل الغربي للخليج العربي بما في ذلك عمان، حيث إن كثيرا من المكتشفات الأثرية التي عثر عليها في عمان وكما جاء أنفاله علاقة مباشرة مع تلك التي عثر عليها في العواصم الآشورية كالفخاريات والقطع المعدنية والأواني الحجرية.

أما العلاقات التجارية التي قامت بين السلالة الكلدية التي حكمت ما بين (٦٣٢ - ٥٣٩ ق.م). والأقاليم الواقعة شمال بابل وامتدادا إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، فقد حددت من العلاقات التجارية ما بين بابل وعمان بصورة خاصة والأقاليم التجارية الأخرى الواقعة في منطقة الخليج العربي بصورة عامة، ولذلك لم يأت أي نص يذكر عمان خلال هذه السلالة^(٢٤).

وبعد دخول الاسكندر المقدوني إلى بلاد وادي الرافدين أراد تكوين امبراطورية واسعة الأطراف تكون عاصمتها بابل، إلا أن حلم الاسكندر المقدوني لم يتحقق حيث توفي في بابل في عام (٣٢٣ قبل الميلاد)، وبذلك تلاشى حلم هذا الملك وامبراطوريته.

وقد حكمت بلاد وادي الرافدين والمناطق المتاخمة لها بعد موت الاسكندر سلالة كانت تعرف بالسلالة السلوقية، وقد اتخذت هذه السلالة في بادئ امرها بابل عاصمة لها، وبعد ذلك انتقلت إلى عاصمة أخرى تدعى سلوقيا تقع على ضفاف نهر دجلة وعلى بعد حوالي ثلاثين كيلومترا جنوب غرب مدينة بغداد.

وبابن هذه السلالة نشطت الحركة التجارية ما بين بلاد وادي الرافدين وعمان حيث أن كثيرا من المستوطنات التي تعود إلى هذه الفترة قد كشف عنها في عمان، كما أن كثيرا من الرحالة والجغرافيين اليونان زاروا عمان وكتبوا عنها^(٢٥).

وقد حاول بعض الباحثين المختصين بعلم الآثار والكتابات القديمة اثبات كون عمان ليس لها علاقة باقليم مجان الذي جاء ذكره في النصوص السومرية والآكدية والبابلية، بزعم ان موقع إقليم مجان يقع حسب رأيهم اما في اقصى الجنوب الغربي للهضبة الايرانية (٢٦) أو في شبه القارة الهندية (٢٧) ، وقد باءت جميع هذه المحاولات بالفشل، والمتتبع للعلاقات التجارية ما بين بلاد وادي الرافدين وعمان منذ فجر الكتابة (العصر السومري القديم) وحتى العصور الاسلامية، وخاصة عندما كانت بغداد في أوج عظمتها يلاحظ أن الأسلوب التجاري المتبع والطرق التجارية التي سلكها أولئك التجار لم تتغير، وإن دلت هذه الظاهرة على شيء فانما تدل على أن عمان هي المحطة الواصلة ما بين مياه البحر الأبيض المتوسط من جهة ومياه الخليج العربي والبحر العربي ومياه المحيط الهندي من جهة أخرى، وبذلك أصبحت عمان محط انظار كثير من الحضارات، وأصبح لها دور كبير في ربط حضارات البلدان المطلة على المحيط الهندي وبحر الزنج وبحر الصين بالحضارة الاسلامية الزاهرة بعد ظهور الاسلام وسبق العمانيين في اعتناقهم له، وقيامهم على نشره بين غيرهم من الأمم عن طريق نشاطهم الملاحي والتجاري الذي لم يفت في أي عصر من العصور ولا شك ان ذلك يدفعنا دفعا للحديث عن عمان وما قامت به في هذا المجال في العصور الاسلامية. فالى عمان في هذه العصور نستيق الخطى.

الفصل الثالث صور من الحضارة العمانية في العصور التاريخية القديمة *

قبل حديثنا عن ملامح الحضارة العمانية، في العصور الإسلامية وما تلاها من عصور، نود في البداية أن نلقي نظرة سريعة على صور من حضارة عمان في العصور التاريخية القديمة وما سبقها من عصور حسب المتاح لنا حتى الآن من المعلومات والحقائق والأخبار التي وصلتنا نتيجة للحفريات، ولما قام به علماء الآثار في عمان من جهود مفيدة في هذا المجال. ولا شك أن المستقبل سوف يكشف لنا المزيد من معرفتنا بحضارة عمان في هذه العصور الغابرة نتيجة لتنامي وتزايد الحفريات التي تشجعها الدولة كل التشجيع.

ومن المفيد في هذا المجال أن نشير إلى أن الحفريات أشارت إلى وجود آثار للحضارة في عمان حتى قبل العصور التاريخية، بل ومنذ العصور الحجرية، ولذلك كان من المستحسن أن نعرض لهذه الآثار والمحات الحضارية حسب العصور التاريخية وغير التاريخية المختلفة.

خارطة تبين
الأثار العمانية في
العصور المختلفة

عمان في العصور الحجرية :

يعتبر موقع الوطية بمنطقة مسقط أقدم مستوطنة لانسان العصر الحجري في شرق شبه الجزيرة العربية، حيث تعود إلى ١٠,٠٠٠ سنة مضت، وقد تم الكشف عن مخلفات أثرية تعود إلى فترات مختلفة تبدأ بالعصر الحجري ثم عصر الهليوسين والفترة الانتقالية المنحدرة بينهما ومن ثم العصر البرونزي، أما نوعية المعثورات فقد كانت عبارة عن أدوات حجرية وبقايا عظام لحيوانات وقطع من الفخار وأصداف ومواقد للنار، وقد أُرخت المواعد إلى ٩٦١٥ سنة، وهو أقدم دليل على وجود الانسان في المنطقة.

ومن المعثورات الأخرى قطع فخارية شكلت باليد تحمل مميزات فخار ما قبل العصر البرونزي، كما عثر على بعض الأدوات الصوانية الثقيلة والمصنوعة من شظايا الكوارتزيت وأدوات حادة وأخرى مسننة إضافة إلى المكاشط.



وعلى صخور جبال منطقة الوطية اكتشفت مجموعة من الرسومات لحيوانات وأشكال بشرية تمثل الصيادين، كما عثر على رسومات مماثلة لها بوادي السحنت ووادي بني خروص بالرساتاق. وهذه الرسومات عبارة عن أشكال بشرية تحمل الرماح والحراب والسهم وأمامها الحيوانات المتوحشة، إضافة إلى رسومات لحيوانات اليفة ينمطها الإنسان كالجمال والثيران.

ومن المواقع التي ترجع أيضا إلى العصور الحجرية بعمان موقع سيوان بهيما، حيث وجدت فيه أدوات صوانية كروؤس السهام والمكاشط والأزاميل والأحجار المستديرة الشكل التي كانت تستخدم لرمي الحيوانات المفترسة، وقد أُرُخ هذا الموقع إلى ٢٠٠,٠٠٠ سنة.

عمان في فترة الألف الرابعة قبل الميلاد :

ان حضارة الصياد العماني القديم المتمثلة في مواقع رأس الحمراء وهي مواقع متفرقة في شمال غرب مسقط، وهي خير دليل لاستيطان الإنسان في فترة الألف الرابعة قبل الميلاد، وقد تم حصر أحد عشر موقعا جميعها تحمل صفات مشتركة من أهمها موقع رأس الحمراء.

وهذا الموقع عبارة عن مستوطنات متراكمة فوق بعضها البعض، وقد تألفت الطبقة السكنية فيها من الرمل والصدف وعظام السمك والرماد والفحم، واللافت للنظر أن طبقة الاستيطان كانت خالية تماما من الفخار.

ومن الشواهد الأثرية في هذا الموقع حفر متناسقة الشكل متماثلة استخدمت لوضع الفضلات، وكذلك موائد النار، والأدوات الصوانية كالمطارق والمكاشط والأزاميل وأوزان للشباك مصنوعة من البللور الصخري، وصنارات الصيد الصدفية والنحاسية. وقد دلت المعثورات العضوية على وجود حرفة رئيسية وهي صيد الأسماك والسلاحف التي كانت تشكل الغذاء الرئيسي للإنسان تلك الفترة.

أما عن الحياة النباتية في الموقع فقد انتشرت أشجار السدر، كما تم العثور مستنقعات لشجيرات المنجروف وأيضا بذور السرغوم والتوت، وأما مساكن تلك الفترة فقد شيدت من الأخشاب وأغصان النباتات، وكانت ذات تخطيط مستدير الشكل تتوسطها حفر مركزية.

وفيما يخص العادات الجنائزية، فقد تم الكشف عن مقبرة تحتوي على ٢٢٠ مدفنا مجدت الهياكل العظمية فيها في وضع القرفصاء وهي مستلقية على أحد جنبها في اتجاه البحر (مصدر الرزق)، أما الذراعان فكانا يطويان عادة إلى الأعلى، وفي بعض الحالات كانت الهياكل تقبض بيدها على محارة وتغلق عليها بإحكام، وفي حالة واحدة كانت تقبض على اللؤلؤ.

والجدير بالذكر أن هذه الحيات من اللؤلؤ من أقدم أنواع اللؤلؤ المكتشف في الخليج حيث أنها ترجع إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، وفي حالات عديدة كانت الهياكل تتحلل بحلي مصنوعة من الأصداغ كالخواتم والأساور الصدفية والعقود المكونة من الخرز الحجري تتدل منها دلايات صدفية ذات أشكال تشبه أوراق النبات.

عمان في الألف الثالثة قبل الميلاد :

تمثلت فترة الألف الثالثة قبل الميلاد في عدة مواقع بسلطنة عمان منها موقع بات

ورأس الحد وسمد الشان.

وبالنسبة لموقع بات الذي يقع شرقي ولاية عبري فقد تم العثور على مقبرة تبعد بين ١ - ٢ كم إلى الشمال الغربي من القرية، وقد حوت هذه المقبرة مائة مدفن مبني من الحجارة الصلبة.

والمدفن عبارة عن بناء دائري الشكل مبني من حجارة محلية مربعة الشكل يتكون من جدارين خارجي وداخلي، وقد وضعت العوارض الحجرية المسطحة لتسقيف السطح، وللمدفن مدخل أو ممر صغير، ولقد دل وجود الحجارة السوداء الناعمة التي اشتهرت بها المدافن في منطقة ضنك على أن تاريخ الموقع يرجع إلى الألف الثالثة قبل الميلاد.

كما لوحظ وجود تشابه بين مدافن الجزء الجنوبي من المقبرة وتلك التي توجد في حضارة أم النار بدولة الإمارات العربية المتحدة، ويتمثل هذا التشابه في نوعية الفخار الجيد الصنع ذي اللون الأحمر، وأيضاً في نظام الجدار الداخلي لتخطيط المدفن والذي بدوره يقسم المدفن إلى عدة غرف.

ومن الشواهد الأثرية الأخرى فقد تم تحديد مواقع لسته أبراج حجرية ذوات قواعد مربعة ومحاطة بمنازل مستطيلة الشكل، وقد لوحظ أن ارتفاع أحد هذه الأبراج الستة يفوق العشرة أمتار، وبالتحليل الكربوني تبين أن بناءه قد تم سنة ٢٧٥٠ قبل الميلاد.

كما عثر على قنوات مائية في الموقع والتي يحتمل أنها استخدمت لجلب الماء من مناطق نائية، وهي بذلك تمثل البدايات الأولى لنظام الري بالأفلاج الشهير بسلطنة عمان، ويعتبر موقع بات ثاني موقع أثري يدرج ضمن قائمة التراث العالمي في سلطنة عمان بعد حصن بهلا.

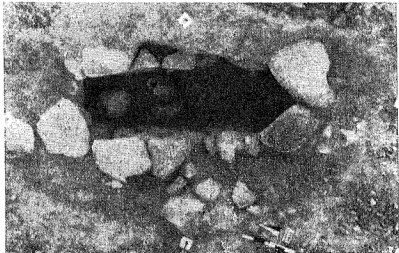
أما بالنسبة للموقع الثاني الذي يؤرخ إلى فترة الألف الثالثة قبل الميلاد، فهو موقع سمد الشان بالمنطقة الشرقية من سلطنة عمان بولاية المضبيبي ويبعد مسافة ١٢٠ كم جنوب مسقط. والموقع عبارة عن عدة مدافن وجدت متلاصقة بجانب بعضها البعض دائرية الأطراف مبنية من حجارة كبيرة ومقسمة إلى ثلاثة أنواع:

(١) مدافن للرجال احتوت على الأسلحة الحديدية والنحاسية كالخنجر والسكاكين ورؤوس السهام، بالإضافة إلى جرار فخارية كبيرة الحجم وأصداف كانيات للشرب.

مقبرة قديمة في
سمد الشان

(٢) مدافن للنساء احتوت على أواني حجرية عميقة وقارورات فخارية لحفظ السوائل ذات الكثافة الكبيرة كالعطور، بالإضافة إلى أصداف بداخلها مادة خضراء استخدمت للزينة وبعض الحلي المشكلة من الأصداف.

(٣) مدافن مزدوجة احتوت على هياكل عظيمة للرجال والنساء معا.



الباب الثاني - عُمان في العصور التاريخية القديمة

وبدراسة الموجودات الفخارية تم حصر المميزات الرئيسية لفخار فترة سمد الشان والتي تبدأ من ٥٠٠ ق.م، فقد كان الفخار يصنع باليد ومن عجينة خشنة تحرق حرقاً متوسطاً وتطلى من الداخل والخارج وتزخرف بثلاثة أنواع من الزخارف هي:

(أ) زخرفة تشبه عظام السمك.

(ب) زخرفة الخطوط المتقطعة.

(ج) بعض الكتابات من جنوب الجزيرة العربية والتي تؤرخ من ٢٠٠ - ٥٠ ق.م، وكانت تلك الزخارف تطبع على الأنية الفخارية قبل عملية الحرق، أما بالنسبة لأحجام تلك الأواني وأغراضها الوظيفية فهي كالتالي:

(أ) مجموعة من الجرار الكبيرة استخدمت لحفظ الماء.

(ب) أوان بيضاوية الشكل لخزن الحبوب.

(ج) قارورات فخارية لحفظ السوائل ذات الكثافة العالية.

(د) قناني صغيرة داكنة اللون والتي يحتمل أنها استخدمت لأغراض الدفن فقط.

وبالإضافة إلى المكتشفات السابقة الذكر فقد عثر مؤخراً على هيكل لأثنى جمل، أعضاؤها في حالة جيدة وغير منفصلة، واستناداً إلى وجود عقد من الخرز الحجري حول عنق الجمل فقد تم تأريخه إلى فترة العصر الحديدي.

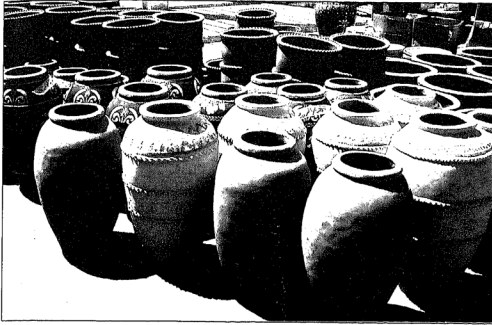
وأما رأس الحد بالمنطقة الشرقية (صور) فيقع على الشاطئ الشرقي لجبل سقران ويبعد مسافة ٢٠٠ م عن الخط الموازي للمحيط الهندي، ويعتبر من المواقع المهمة لدراسة أثر الاتصالات التجارية بين عمان وشبه القارة الهندية.

ومن مكتشفات هذا الموقع مبنى مشيد من الطوب ومقسم إلى عدة غرف مستطيلة الشكل، يعتقد أنها استخدمت لغرض التخزين، كما كشف عن ورشة لتشذيب الصوان حيث عثر على شظايا الشرط الأحمر، وهو نوع من الصوان تتوفر به فترة ما قبل التاريخ، واستخدمت الورشة كمصنع لإنتاج الحلي من الأصناف كالخواتم والخرز والدلايات.

أما الفخار فقد عثر على عدة أنواع منه، وأكثرها أهمية تلك القطع التي تؤرخ بفترة الألف الثالثة قبل الميلاد وهي من نوع الهارابان، حيث يحتمل أنها تعود إلى التسلسل الأخير لحضارة المهنجودارو في الهند، كما عثر على الفخار الأحمر ذي الخطوط والرسومات الداكنة اللون، وهو من أفضل أنواع الفخار المستخدم في المناطق المقابلة لبحر العرب، ومن المكتشفات الأثرية الأخرى قطع من الفخار المصقول يعود إلى الفترة الساسانية الإسلامية، وكذلك فخار شرق أفريقيا والبروسلين الصيني.

أما البنيان فقد تميزت باستخدام الطوب في بنائها وهي طريقة فريدة من نوعها، لأن هذه المنطقة هي الوحيدة التي استخدمت الطوب في العصر البرونزي بسلطنة عمان والمناطق المحيطة بها كجنوب إيران وبلوشستان وادي السند، وبهذا يمكن اعتبار سكان رأس الحد - في فترة الألف الثالثة - رواداً في استخدام الطوب في البناء، وقد استمر استخدامه لأكثر من ١٥٠٠ سنة في خليج عمان.

وفيما يخص المدافن وتسلسل بنائها على مدى الأزمنة في منطقة رأس الحد، فقد انحرف اتجاه المدخل قليلاً من الاتجاه الجنوبي الشرقي إلى الاتجاه الجنوبي مع ملاحظة زيادة عدد غرف الدفن، مما يدل على تكرار استخدام المدفن، وأما عن معثورات الموقع بشكل عام فقد وجدت الأدوات الصوانية كالأزميل المستخدمة في



صناعة الأواني
الفخارية من الحرف
العمانية القديمة

انتاج الخزف الصغير، إضافة إلى المطارق وأثقال حجرية للشباك والحلي الصدفية كالخواتم والعقود والمحار المحترق على مادة الكحل، ومن المعثورات أيضاً أنواع مختلفة من الخزف كالعقيق الأحمر واللازورد وأنياب من البورسلين الأخضر، وقد أرخت إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد هذا بالإضافة إلى الأعداد الهائلة من عظام السمك والسلاحف وأسماك القرش.

عمان في فترة الألف الثانية قبل الميلاد :

تندرج تحت هذه الفترة عدة مواقع في شتى أرجاء السلطنة كموقع مخيليف بالباطنة، والواست بوادي الجزى في منطقة الباطنة، حيث تم الكشف فيه عن العديد من الأواني الحجرية المصنوعة من حجر صابوني أملس وتحمل زخارف مميزة لهذه الفترة الزمنية، كما عثر على رؤوس رماح وسهام وعلى سكاكين من البرونز.

عمان في فترة الألف الأولى قبل الميلاد:

ويعد موقع صحار من أهم المواقع التي تمثل فترة الألف الأولى قبل الميلاد في سلطنة عمان، حيث اكتشفت فيه مستوطنة عثر فيها على مبان فوق مباني القرن الأول الميلادي الأمر الذي يوحي باستمرار نمو وازدهار المستوطنة، وقد دلت الموجودات الأثرية على أنه كان لمدينة صحار مركز تجاري مرموق في تلك الفترة، حيث عثر على اختام للتجار بالإضافة إلى نوع من الفخار الأحمر اللون والجيد الصنع، والذي من المؤكد أنه استورد من الهند. ومن أنواع الفخار: البورسلين الصيني الذي وجد بكثرة في الفترات التي تعود إلى القرون الأولى للإسلام مؤكداً ازدهار التجارة مع الصين والتي استمرت في تطورها إلى القرن الرابع عشر للميلاد.

وأظهر التسلسل الطبقي في الموقع اضمحلال التجارة وركود المدينة بعد هذه الفترة وذلك بسبب نفوذ مملكة هرمز بقلعات قرب مدينة صور والتي استطاعت أن تحول

النشاط التجاري اليها وتحصل على الضرائب، كما أقيم حصن صحار بأمر من أمراء هرمز لغرض الحصار التجاري على المدينة حتى هجرها السكان وأصبحت مدينة صغيرة، وقد تم التعرف على هذه الفترة من خلال المعثورات الصغيرة والبيوت الفقيرة. ومن المعالم الأثرية الأخرى في صحار قلعتها المربعة الشكل والمدمعة بأربعة أبراج في زواياها الأربع، أما البرج الخامس فيتوسط ضلعها الشمالي الغربي، ويحيط بالقلعة سور خارجي وهو الأثر الوحيد المتبقي من الحصن حيث إن البناء المركزي تعرض لعدة تغيرات.

وبالإضافة إلى أهمية منطقة صحار التاريخية فقد تمتعت بمكانة اقتصادية مرموقة في مجال التعدين وهذا يرجع الى عدة أسباب من أهمها:

- (١) أن وادي سوق ووادي الجزي يشكلان ممرا عبر جبال عمان.
 - (٢) أن الترسبات النحاسية توجد بكثرة على طول وادي الجزي وهي معظمها كبيرة الحجم وبالتالي ثقيلة الوزن، ولقد تم الكشف عن اثنين وثلاثين موقعا لصهر النحاس في المنطقة، ومن أهم هذه المواقع والتي تقع على طول وادي الجزي عرجا والبيدا والأصيل والسياب وطوي عبيلة والواسط.
- وبالنسبة لموقع عرجاء فقد وجد أول دليل لوجود إنتاج النحاس في مستوطنة زهراء والتي ترجع الى فترة الألف الثالثة قبل الميلاد، واستمرت نشاطات الصهر قائمة في الموقع الى فترة الألف الأولى قبل الميلاد، ولكن بالمقارنة مع عمليات الصهر الجارية في العصور الوسطى فإن العملية كانت مقتصرة على قرن واحد منفرد، وبالتالي فإن الإنتاج لم يكن وفيرا.

أما فترة ما قبل الاسلام فقد وجدت تحديدات كربونية على الفحم من عرجا أعطت تاريخا لفترة ما قبل الاسلام، ويفترض ان البقايا والترسبات للمواد الخام الثقيلة ربما استخدمت في الفترة الساسانية المتأخرة، ولقد استخدم النحاس أيضا أثناء سيطرة الساسانيين في اليمن، وبالنسبة لإنتاج النحاس في الفترة الإسلامية المبكرة فلقد كانت هي الفترة الرئيسية لإنتاج النحاس في المنطقة وهي مطابقة للتطور المزدهر في المستوطنة بالرغم من أن عملية الاستيطان والصهر استمرت الى القرن السادس والثاني عشر للميلاد، الا انها جميعها كانت على قيد الاستعمال خلال الفترة الواقعة بين ٨٠٠ - ٩٠٠ م، ولقد كانت هناك عدة وحدات إنتاجية تقوم بإنتاج النحاس في عرجا، الا انه لا يبدو انها كانت تعمل في وقت واحد وباستمرار خلال الفترة التي استغرقت ١٥٠ سنة، ويمكن معرفة نشاط كل وحدة من خلال البقايا النحاسية القليلة والتي تدل على أن الوحدات الصغيرة عملت لفترة أقصر.

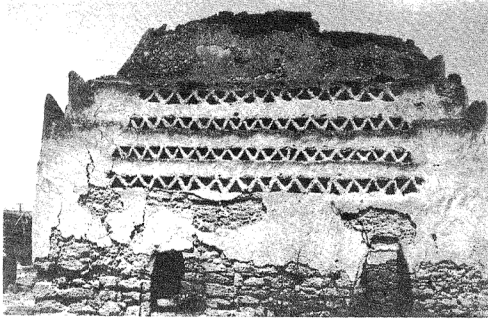
ومن المواقع التي تعود الى فترة الألف الأولى قبل الميلاد، أشار مدينة خور روري (سمهرم) التي تؤرخ الى القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول للميلاد.

وتتمتع هذه المدينة بفن معماري جميل من الحجر الجيري، وهي تقع على الشاطئ الشرقي لشرم صغير على الساحل وعلى بعد بضعة كيلومترات إلى الشرق من سهل صلالة.

وخور روري محصنة بسور من الحجارة المتراسة بطريقة محكمة، وقد تم الكشف فيها على خمسة أحجار كتبت عليها بالأبجدية العربية الجنوبية تصف تأسيس المدينة، وانها بنيت لهدف رئيسي وهو تأكيد السيطرة على تجارة اللبان

والبخور الذي يجمع فيها ويصدر للخارج، كما تم الكشف على اثار معبد قديم شيد في وسط الجانب الشمالي للمدينة وقد عثر على جدرانه الثلاثة ومذبحين، وقد وجد تحت بارز لمنظر ثور على أحد المذبحين، وهذا يدل على ان الاله الذي كان يعبد في المعبد هو اله القمر لأن الثور يمثل في الديانة الحميرية اله القمر، كما وجد حول المذبحين آثار رماد للقرابين التي كانت تقدم عليها، وتشتمل على بقايا عظام لأسماك ومواشي وللطيور كالدجاج وأيضا بقايا قليلة من اللبان.

ومن المعثورات الأثرية الأخرى في الموقع تمثال برونزي صغير لفتاة هندية تعزف على الناي، وهو غير مكتمل فقد فقدت بعض أجزائه وأرخ الى القرن الثاني للميلاد. وتكمن أهمية التمثال في وجوده في الموقع حيث يعتبر كدليل على وجود علاقات تجارية بين الهند والجزيرة العربية، كما عثر أيضا على مجموعة من القطع النقدية



أحد المباني القديمة
في صلالة

البرونزية البالغ عددها اربع عشرة قطعة، وهذا بالإضافة إلى جرس برونزي يحمل اسم اله القمر الذي اعتبر اله المدينة.

أما المواقع التي ترجع الى العصور الاسلامية المبكرة فمنها موقع البليد بالمنطقة الجنوبية من سلطنة عمان، وكانت المدينة تسمى قديما باسم ظفار ولقد تأسست في القرن العاشر للميلاد (القرن الرابع الهجري)، وقد تعرضت للدمار وأعيد بناؤها في عام ١٢٢١م وفقدت أهميتها بالتدريج خلال القرن السادس عشر للميلاد، وذلك عندما انهارت تجارتها واقتصادها بسبب سيطرة البرتغاليين على الكثير من صادراتها المصدرة الى الهند.

وبالنسبة لتخطيط هذه المدينة فقد كان مستطيل الشكل يطل على البحر ويحيط به سور له ثلاث بوابات استخدمت كمداخل للمدينة، كما تم الكشف عن أطلال مسجد كبير المساحة مستطيل الشكل وهو عبارة عن مبنى مرتفع تحيط به الشرفات من جميع الجهات، وهذا الطراز من الشرفات استخدم في جميع مساجد ظفار، كما كان للمسجد فناء صغير المساحة بالمقارنة مع حجم المساحة المسقوفة، وقد عثر أيضا على حائط القبلة والمحراب والمنبر. أما بالنسبة لطراز الأعمدة المستخدمة في رفع السقف

الباب الثاني - عُمان في العصور التاريخية القديمة

فقد كانت ثمانية الأضلاع، وهو الحال في أغلب جوامع عمان. ومن خلال المعثورات الأثرية اتضح أن المدينة نعتت بالاستقرار والرخاء حيث كانت مركزاً تجارياً وصناعياً هاماً في المنطقة الجنوبية، كما أنها كانت ميناء لتصدير الخيول وزيت السمك واللبان إلى الهند التي تستورد منها عمان القطن والأرز، كما لوحظ بأن المدينة كانت تنتج المنسوجات الجيدة من الحرير والتيل والقطنيات وكانت لها صلات تجارية مع شرق أفريقيا ومصر نتيجة لحياء الطريق التجاري التاريخي عبر البحر الأحمر.

ومن المكتشفات الأثرية الأخرى والدالة على التبادل التجاري مع بلدان آسيا تلك العملات النقدية البرونزية والتي يرجع بعضها إلى الفترة الإسلامية والبعض الآخر إلى الحضارة الصينية.

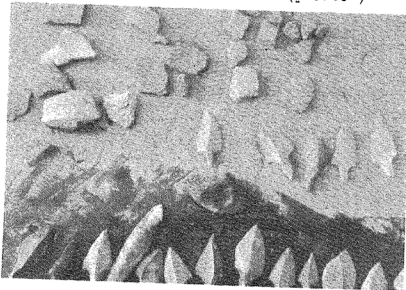
ولما كان اللبان السبب الأكثر بروزاً عبر التاريخ في شهرة محافظة ظفار بجنوب عمان فقد شغلت ظفار مساحة حضارية هامة في التاريخ القديم بحكم كونها مصدراً أساسياً لهذه المادة إلى جانب الصمغ، حيث كانا في مقدمة السلع التي حظيت باهتمام كبير في تجارة العصور القديمة مما أثار اهتمام المؤرخين الأوائل منذ عام ٤٠٠ قبل الميلاد بداية من هيرودوت ثم بيليني وبطليموس وانتهاء باسترابو وديودورس وجميعهم قد تركوا لنا انطباعات عن أهمية اللبان والصمغ في تجارة العالم القديم وأن الطلب على اللبان كان لا يضاويه الطلب على أية سلعة تجارية أخرى.

وقد توصلت الدراسات المسحية التي أجريت في ظفار إلى أن اللبان كان ينقل بالبهر والبحر لأنحاء متفرقة من العالم القديم وكان ميناء رأس فرتاك (جبل القمر) هو الميناء الذي يجمع منه المحصول للتصدير إلى اليمن ونحو مناطق أخرى من آسيا عن طريق ميناء عدن. أما الطريق البري فقد كان يبدأ من غرب ظفار عن طريق نجد إلى جنوب الجزيرة العربية ثم شمالاً إلى نجران وحتى غزة.

ومن أهم الطرق التي ذكرها المؤرخون والجغرافيون القدامى الطريق الذي يربط ظفار بشرق الجزيرة العربية وحتى بلاد سومر في العراق.

لقد كان الجغرافي الشهير بطليموس أول من رسم خريطة لمنطقة ظفار (*) وحدد عليها منطقة إنتاج اللبان في سهل صلالة (خور روري) وحدد بطليموس اسم منطقة

نماذج من مكتشفات
أوبار



في ظفار اسمهاها (سوق العمانيين) وتشير بحسب اكتشافات أخرى إلى أن العمانيين كانوا يسيطرون على المناطق الرئيسية في جنوب ساحل بحر العرب كما أشار المؤرخون المسلمون إلى (أوبار) أو (وبار) وحددوا موقعها في شمال ظفار، بينما أشار إليها نشوان بن سعيد الحميري وحددها بالمنطقة التي تملكها قبيلة عاد (في المنطقة الشرقية من اليمن)

ومؤرخ مثل الطبري يشير الى (وبار) دون ان يحدد موقعها مكتفيا بالإشارة الى انها منطقة ضربها الجفاف. وعموما فان مصادر كثيرة تشير الى ان أهل عاد كانوا يسكنون منطقة (أوبار) أو (وبار) كما يسجل القرآن الكريم قصة عاد الذين دمروا ودفنوا دون ذكر مكانهم. وعلى ضوء كل ما سبق فيمكن الاستنتاج بأن (أوبار) أو (وبار) لم تكن اسما لمدينة وانما كانت ارضا واسعة والاشارة الى تحديد موقع معين لها في ظفار سيظل موضع جدل بين المؤرخين والاثريين لم يحسم بعد.



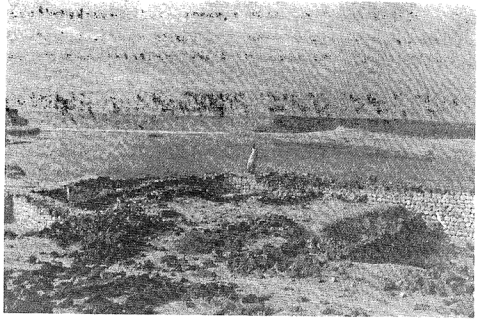
اكتشافات أثرية في سمهرم

لقد كانت ظفار منذ أقدم العصور التاريخية بيئة صالحة لزراعة شجر اللبان لكن يبدو ان استخدام اللبان كسلعة تجارية لم يبدأ الا في العصر الحجري الحديث أي قبل ٨٠٠ عام وسلكت تجارة هذه السلعة خلال العصر الاسلامي نفس الطرق التي كانت تستخدم منذ العصر الحجري الحديث. وهي نفس الطرق التي أنشأها العرب والرومان. على نفس الطرق القديمة وعرف اللبان العماني طريقه الى مصر من خلال النجف / سيناء عبر عصور تاريخية موهلة في القدم. والسؤال الذي يطرح نفسه: هل ثمة دلائل عن وجود علاقات تجارية بين

ظفار وشرق شبه الجزيرة العربية خلال العصر الحجري الحديث. من المؤكد أن المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية كانت غنية بالأنهار والبحيرات، لذا فقد كانت أهلة بالسكان وكانت بها معابر طرق كثيرة وخصوصا عبر الربع الخالي بدليل الأواني والمعدات التي تنتمي الى العصر الحجري الحديث والتي وجدت على طول الطريق وفي مناطق متفرقة من شبه الجزيرة العربية وجميعها تحمل ملامح فنية وزخرفية واحدة كما عثر على نماذج من فنون الرسم على جدران الصخور في غرب شبه الجزيرة العربية وفي اليمن وجميع هذه الأواني والمعدات بنفس خصائصها وجدت على طول الطريق حتى سومر في العراق.

لم يكتف العمانيون بتصدير اللبان وانما صنعوا منه البخور بعد اضافة الشحوم اليه نظرا لحاجة المجتمعات القديمة اليه في الطقوس الدينية والعلاج والتطيب وشكل هذا المنتج أهمية كبيرة في حركة التجارة خلال العصر الحجري الحديث. لقد عثرت البعثات الكشفية على عدد من الألواح السومرية وقد كتب عليه كلمة (بخور) وفي سجلات نجد معنى أدق وهو تعبير (البخور المستخرج من أشجار اللبان).

والخلاصة انه منذ حوالي عام ٥٠٠٠ ق.م حتى حوالي ١٨٠٠ ق.م كانت حاجة العراق القديم تتزايد نحو البخور والعطور والصمغ القادم من بلاد ظفار ومنذ عام ٢٠٠٠ ق.م تقريبا شهدت المنطقة تغيرات في مناخها، فقد أخذت البيئة تتجه نحو التصحر والجفاف وعرف سكان المنطقة استئناس الجمال لاستخدامها في القوافل التجارية البرية. وقد أثبتت الكشوف الأثرية في الجزيرة العربية وفي مصر ان التجارة



مدينة قديمة في سمهرم
في خور ووري

البرية صارت حقيقة ثابتة بحلول عام ١٥٠٠ ق.م. وعموما فإن موقع (شصر) يمثل المركز الرئيسي لمنطقة نجد / ظفار للتجارة البرية المتجهة نحو الشمال والتي بدأت منذ العصر الحجري الحديث والتي يبدو أنها كانت مرتبطة بالنشاط التجاري بين ظفار وشمال الجزيرة العربية، حتى سومر في جنوب العراق القديم.

ولعل ارتباط النشاط التجاري بين ظفار وسومر يؤكد امتداد تلك التجارة منذ فجر عهدها المبكر مع التجارة المتجهة صوب غزة ومصر القديمة.

وبحلول العصر البرونزي والعصر الحديدي استمر ازدهار منطقة شصر والتي أقيمت فيها الكثير من المباني، التي كشفت عنها أخيرا البعثات الحفرية مما يؤكد أنها كانت مأهولة بالسكان بحكم نشاطها التجاري وخلال العصور الوسطى أشارت الكثير من المصادر الى اصل عاد ونشاطهم في تجارة البخور والخيول والصمغ ويبدو ان شصر لم تفقد أهميتها التجارية الا مع بداية القرن السادس عشر، حيث هجرها اهله الى مناطق اخرى مجاورة.

وفي منطقة سهل صلالة توصلت الدراسات المسحية التي أجريت عام ١٩٩٣ إلى أن تشابها كبيرا بين المباني، التي كشفت عنها وخصوصا في موقع عين حمران وبين المباني في منطقة شصر وأن السمات المعمارية في المنطقتين واحدة.

وتوصلت الدراسات المسحية أيضا الى المجمع البنائي الكبير في موقع البليد، بمدينة صلالة، حيث تشير تلك الدراسات الى أهمية هذا الموقع باعتباره مركزا تجاريا نشطا لتجارة الصادر والوارد يؤكد ذلك عثور البعثة الكشفية على العديد من العملات والأواني المصنوعة من السيراميك يعود تاريخها الى القرن الرابع عشر الميلادي وعثر البعثة أيضا على نماذج مماثلة لها في موقع شصر مما يؤكد وجود ارتباط ونشاط تجاري بين المنطقة الداخلية في ظفار وبين منطقة الساحل حتى القرن الخامس عشر.

من هذا العرض الموجز يتبين لنا انه كانت توجد في عمان حضارة نامية متصلة

الحلقات غطت أرض عمان في عصور ما قبل الاسلام. أما في العصور الاسلامية، فقد كان لعمان حضارة زاهرة لا تقل كثيراً عن مثيلاتها في بلدان الاسلام الاخرى ان لم تفقها في بعض النواحي المتصلة بالتجارة والملاحة حيث كان لعمان وأهلها فضل السبق والتفوق على غيرهم من البلدان والشعوب الاسلامية، كما سبق ان عرضنا له في الباب السابق بتفصيل كبير.

وإذا كانت عمان قد برزت في مجال التجارة والملاحة كما سبق أن بينا، فانها برزت أيضاً في مجالات أخرى منها مجال العلوم والفكر والثقافة والعمارة.

هوامش الباب الثاني

●● الفصل الأول

- (١) ياقوت الحموي: معجم البلدان - المجلد الرابع، ص ١٥٠.
- (٢) المصدر السابق، ص ١٥٠.
- (٣) شيخ الربوة: نخبة الدهر، ص ٢١٨.
- (٤) الألكوي العماني، سرحان بن سعيد: كنز اللغة الجامع لأخبار الأمة، ص ٢٢. نسخة خطية المكتبة التيمورية بدار الكتاب المصرية برقم ٢٥٨٢.
- (٥) انظر مقالة جروهمان في الموسوعة الاسلامية.
- A. Grohmann's: *Encyclopaedia De l' Islam*, Leiden, Brill 1936 p104 - 2 - 1044.
- C. Huart. *Histoire des Arabes* 11. Paris . 1913. p 257 - 282.
- (٦) الاصطخري: المسالك والممالك، ص ٢٧. ابن حوقل: صورة الارض، ص ٤٤.
- (٧) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ١٩٨.
- (٨) Huzayyin, S.A. *Arabian Far East Their Commercial and Cultural Relations In Graeco - Roman and Iran - Arabian Times* Cairo - 1942. p.6. f
- G. Bibby: *Looking For Dilmun*. proof edition 1973 (٩)
- انظر أيضاً: مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية - ابارة الاثار والمتاحف - وزارة المعارف، المملكة العربية السعودية - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- (١٠) انظر تعريفنا لهذه المجلة في: رضا جواد الهاشمي: مجلة جديدة متخصصة في آثار الخليج والجزيرة العربية - مجلة سومر - بغداد - ١٩٨٠. الصفحات ٣٥٩ - ٣٦٢.
- (١١) ا جواد الهاشمي: الدافن الخليجية ومدلولاتها الحضارية. سومر - ١٩٨٠ ص ٢٣.
- A. Hastings G.H. Humphries and R.H. Meadow: *Oman in the Third Millennium B.C. in the Journal of Oman Studies* vol.1.p. 69f
- M.Tosi: - Distribution and Exploitation of Natural Resources in Oman - JOS vol.1.p.187ff
- (١٢) رضا جواد الهاشمي: آثار الخليج العربي والجزيرة العربية. بغداد - ١٩٨٤. ص ٣٥ فما بعد.
- J.Pritchard. *Ancient Near Eastern Texts. Relating to the Old Testament* - 3rd - ed. with Supplement Princeton. 1969. p. 49 - ANET - ibid. p. 523.
- (١٣) رضا الهاشمي: آثار الخليج العربي.. المصدر السابق ص ٥٩ فما بعد.
- ANET. p. 266, 268. (١٧)
- (١٨) رضا جواد الهاشمي: تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم. ص ٢٤. معهد البحوث والدراسات العربية - بغداد - ١٩٨٤.
- (١٩) رضا جواد الهاشمي: تاريخ الايل في ضوء المخلفات الاثرية والكتابات القديمة. مجلة كلية الاداب - بغداد. العدد: ٢٣ ملحق ١٩٧٨ الصفحات ١٨٥ - ٣٢٢.
- Kuml. 1962. p. 190 f. (٢٠)
- (٢١) الاثار في دولة الامارات العربية المتحدة. اعداد ابارة الاثار والسياحة. وزارة الاعلام والثقافة - ١٩٧٥.
- Konrad Schliephake. *Die Arabsche Halbinsel*; Wurzburg 1982 (٢٢)
- M. Tosi. S. Durante. JOS 3 pt2. 1977 (٢٣)
- G. Rachet. 'Oun Annas' in *Dictionnaire de l'Archaeologie*; Paris 1983. avec Bibliographie. (٢٤)
- K. Friefelt; JOS. 2 1976 (٢٥)
- B. de Cardi. JOS. 3 pt. 1977 (٢٥)
- L. Oppenheim. *Mesopotamian. Civilization* trans. France; 1970; M. Wheeler *Indus Civilisation* (٢٦)

الباب الثاني - عُمان في العصور التاريخية القديمة

1953 - 1972

- Konrad Schliephake, *ibid.* (٢٨)
 (٢٩) ب كوستا، ت. ج. ويلكسون: من علماء الحفريات والتاريخ، بحثاً في تاريخ وحضارة عمان القديمة، وقد قاما مع آخرين ببحث ميداني في عرجا وطويو بهدف اكتشاف الادلة المتعلقة بالاساليب القديمة للتزود بالياه. وكان كوستا مديراً لبعثة دائرة الآثار العمانية والمستشرق الانجليزي ويلكسون مديراً مساعداً لهذه البعثة التي قامت في يناير من عام ١٩٧٨ بعملية المرحلة الأولى من مسح منطقة عرجا. وقيل ذلك بعلم شارك هذان العالمان في لقاء بين بعض العلماء سمي باللقاء غير الرسمي حول استغلال المصادر الطبيعية في عمان القديمة.
 وللاستاذ كوستا دراسة نشرتها وزارة التراث القومي والثقافة تحت عنوان (مستوطنة عرجا لتعدين النحاس) وللاستاذ وللكثسون العديد من الدراسات التاريخية الخاصة بعمان منها دراسة عن الافلاج ودراسة من علماء عمان ودراسة شاملة عن بني الجلندي في عمان وغير ذلك من الدراسات التي قامت وزارة التراث القومي والثقافة بنشرها ضمن سلسلة تراثا التي تصدرها هذه الوزارة.
 انظر: ب كوستا: مستوطنة عرجا لتعدين النحاس، وزارة التراث القومي والثقافة، عدد ٤٦، ص ٢٧، ٢٢، عرض محمد خليقات: نشأة الحركة الاباضية، مسقط، سنة ١٩٧٨، ص ٣٢.
 G. Weisgerber, f.o.s. 4 1978. Malullah Bin Ali bin Habib Allawati, *Outline of the History of Oman*, 1989 p.9.
 Paolo Costa and Tony F. Wilkinson, *The Hinterland of Sohar, Archaeological Surveys and excavations Within the Region of an Omani Seafaring City*, J.O.S. vol 9, Mascate - Londres 1987 238 p. fig 110
 Monique Kervran - Paolo Costa et T.F. Wilkinson, *The Hinterland of Sohar in Bull. Cret. des* (٢٢) *Ann. Islam.* no 6 1989, p 228 - 229.
 ANET, P. 229. (٢٣)
 Robert England: - *Dilmun in the Archaic Corpus* - pp. 35 - 3 in: Daniel - (ed) - *Dilmun, New Studies in the Archaeology and Early History of Bahrain*. Berliner Biet Zum vordren orient Band - 2 - (BBVO - 2) - Berlin - 19.
 Joan Oates: - *Seafaring Merchants of Ur* - in: *Antiquity*, vol 1, 11 no: 203 - 1977 - p. 221f (٢٥)
 M. Kervran, A. Mortensen and F. Hiebert: - *The Occupational Enigma of Bahrain between the 13th and 8th century BC* - p.13 f (٢٦)
 دبلون - مجلة جمعية تاريخ وآثار البحرين - 88 - 1987 - 14 - Dilmun
 (٢٧) رضا جواد الهاشمي: «العرب في ضوء المصادر المسماوية»، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد: ٢٢/ ١٩٧٨، الصفحات: ٢٣٩/ ٨٣.
 (٢٨) رضا الهاشمي: «العرب في ضوء المصادر» المصدر السابق
 Herodotus. 89. (٢٩)
 (٤٠) رضا الهاشمي: آثار الخليج العربي.. المصدر السابق، ص ٥٩ فيما بعد.
 (٤١) رضا الهاشمي: «الافلاج من مشاريع الري العربية القديمة»، ص ١٩ فما بعد.
 (٤٢) ابن منظور: مادة فلاج.
 (٤٣) ابن سيده: المخصص. الكتاب العاشر، ص ٢٤، ايضاً
 G.B Cressey: - *Qanat Karez and Foggaras in the Geographical Review*, vol: no: i - 1958 - New York p. 27f
 T.J. Wilkinson: - *Sohar Ancient Fields project* - JOS, vol: p. 165 (٤٤)
 (٤٥) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة. لندن ص ١٢٠.
 (٤٦) ابن سيده: المصدر السابق ص ٢٣.
 (٤٧) هولي: المصدر السابق ص ١٣١.
 Herodotus. 7 - 9. (٤٨)
 (٤٩) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد. دار الصياد، بيروت ص ١٦.
 (٥٠) ابن الجاور: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستعصر، تصحيح وضبط أو سكر لوفوقين، لبنان - ١٩٥١، ص ١٣٦.
 G. Bibby: *Looking for Dilmun* - proof edition 1973 - p. 66f. (٥١)
 (٥٢) فؤاد سفر: أعمال الارواء التي قام بها سنخاريب. سومر - بغداد، ج ١، (١٩٤٧) الصفحات ٧٧ - ٨٦.
 R.M. Parson Co: *Ground Water Resources of Iraq*. Baghdad. 1955 - 1958 (٥٣)
 Cressey: *op. cit.* p. 41. (٥٤)
 (٥٤) هولي: المصدر السابق ص ١٢٨.

●● الفصل الثاني

- (١) شروكين ونرام سين: ملكان من ملوك العراق في العصور القديمة.
 W.F. Lee, ans, *Foreign Trade in the old Babylonian Period*, Leyden 1960, p. 11 - 12. (٢)
 D.O. Edzard, *Das Reich der III Dynastie von ur*, Fisherwe Itgeschichte 2, p 133. (٣)
 A. L. Oppenheim. *The Seafaring Merchants of Ur*, *ibid.* (٤)
 A.L. Oppenheim *ibid.* p. 15. (٥)

- (٦) Idem: *Keilschrift Texte aus Assue Historesahen Inhalts* = KAH 12. (٧)
A.L. Oppenheim, *idem*, p. 17. (٧)
Archiv Fur Orientforschung, Band Graz, 1963 H. Hirsch, Die Inschriften der Konige von Agade. p. 87. (٨)
A. Falkenstein. Die Inschriften Gudeas Von Lagash, I, Einleitung, 1966 (٩)
pp. 48 - 49. Sumerische Und Akkadische Hymnen Und Gebete, p. 416.
H. Hirsch, Die Inschriften Der Konige Von Agade, p. 49. (١٠)
(١١) آدم فلكن اشتاين، المصدر السابق (رقم ٢)، ص ٤٨ - ٤٩
R. Labat. Manuel Depigraphie Akkadienne, Paris, 1959, p. 247, no. 586. (١٢)
(١٣) آدم فلكن اشتاين، المصدر السابق (رقم ٢)، ص ٤٨
(١٤) الدكتور / فوزي رشيد، قواعد اللغة السومرية، ١٩٧٢، ص ٤٨.
(١٥) الدكتور / فوزي رشيد، ترجمات لنصوص سومرية ملكية، ١٩٨٥، ص ١٤٢.
H. Steible. Die Altsumerischen Bau Und Weihinschriften, Teil I, p. 103. (١٦)
(١٧) الدكتور / فوزي رشيد، ترجمات لنصوص سومرية ملكية، ١٩٨٥، ص ٦١ و ٦٥.
H. Hirsch, Die Inschriften Der Konige Von Agade (= Afo, Band xx, 1963), p. 17. (١٨)
(١٩) هـ. هيرش، نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.
(٢٠) الدكتور / فوزي رشيد، الشرائع العراقية القديمة، بغداد، الطبعة الثالثة ١٩٨٧، ص ٢٦.
(٢١) ولو أن النصوص السومرية لم تذكر بالنص تجار مجان بل اكتفت بذكر تجار ديلمون والذين أطلق عليهم السومريون اسم الكي ديلمون (*Aluk Dilmun*)، وليس من المستبعد أن هذه التسمية تعني تجار الاقليمين (ديلمون ومجان)، وربما أيضا تجار الاقاليم الثلاثة مجان وديلمون وملوخا والتي لا يستبعد أن يكون موقعها الجغرافي في حدود القسم الجنوبي الغربي من عمان (حضر موت).
Bibby, G., *Looking for Dilmun* (1971). (٢٢)
(٢٣) Gelb, I., *Magan and Meluhha in Early Mesopotamian Sources*, RAAO, no 64 1970. هذا يؤكد افتراضنا من أن موقع ملوخا إبان العصور السومرية والأكدية لا يتعدى منطقة الخليج العربي، أو سواحل البحر العربي.
(٢٤) هناك نص واحد يعود الى السنة الحادية عشرة من حكم الملك نبونائيد آخر ملوك سلالة بابل الأخيرة (٥٦٧ قبل الميلاد) يذكر فيه اسم اقليم ديلمون.
(٢٥) لقد ورد اسم عُمان في كتاب بليني (XII.2) تحت اسم (عمانا) (*Omana*).
Gersheutich, I. "Sisso at Susa" Bulletin of the School of Oriental and African Studies, vol. 19, 1957. (٢٦)
Thapar, R., "A possible" identification of Meluhha, Dilmun and Magan" *Journal of the Economic and Social History of the Orient* no. 18, (1975). (٢٧)

●● الفصل الثالث

● مادة هذا الفصل من اعداد دائرة الآثار بوزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان.

الباب الثالث

عُمان في العصور الإسلامية

الفصل الأول : عمان من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية .

الفصل الثاني : آل المهلب العثمانيون ودورهم السياسي والحربي حتى نهاية الدولة الأموية .

الفصل الثالث : عرب عمان ودورهم في أحداث ثغر الهند .

الفصل الرابع : عمان والدولة العباسية .

الفصل الخامس : عمان في عهد بني نبهان .

الفصل السادس : الصلات التجارية بين عمان وشرق أفريقيا في العصر الوسيط .

البحوث المقدمة والمستخلص منها هذا الباب:

- الملاحون العمانيون سادة البحار الجنوبية في العصر الاسلامي للأستاذ الدكتور السيد عبدالعزيز سالم، جامعة الاسكندرية.
- العلاقات بين عمان واليمن في العصرين القديم والوسيط، للدكتور محمد سعيد شكري، جامعة عدن.
- ملامح من تاريخ عمان في عهد الرسالة، للدكتور رمزية محمد الأطرجي، جامعة بغداد.
- الصحابي مازن بن غضوبة واسلام أهل عمان للدكتور شاكر محمود عبد المنعم، جامعة المستنصرية بالعراق.
- طبيعة العلاقة بين عمان والسلطة المركزية للدولة الاسلامية في القرن الاول الهجري للدكتور خليل شاكر حسين، جامعة المستنصرية بالعراق.
- عمان في العصور الاسلامية الوسطى، للدكتور علي منصور نصر، جامعة البحرين.
- علاقة عمان بشمال أفريقيا، للدكتور فرحات بن علي الجعيري، جامعة القيروان.
- آل المهلب ودورهم السياسي والحربي حتى نهاية العصر الأموي، للدكتور عبد المنعم عبد الحميد سلطان، جامعة السلطان قابوس.
- عرب عمان ودورهم في احداث ثغر الهند في القرنين الأول والثاني الهجريين، للدكتور سعد بن سعيد الحميدي، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية - فرع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالجنوب - مدينة أبها بالملكة العربية السعودية.
- العمانيون ودورهم في الحفاظ على الهوية العربية الاسلامية لعمان، للأستاذ الدكتور مصطفى الشكعة، جامعة عين شمس.
- حكم بني نبهان في عمان، تأليف / عبدالله بن ناصر الحارثي، جامعة السلطان قابوس.
- الصلات التجارية بين عمان وشرق أفريقيا في العصر الوسيط، للدكتورة صباح ابراهيم الشخيلي، جامعة بغداد.

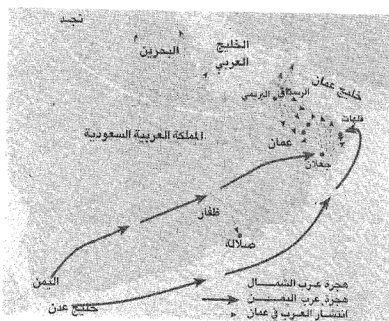
الفصل الأول عُمان من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية

إسلام عُمان
عُمان قبيل ظهور الإسلام :

ارتبط العمانيون بأصول عربية عريقة، ويذكر أنه حدثت هجرة عربية كبيرة في العصور التاريخية الأولى من شمال الجزيرة العربية إلى عمان وسواحلها، وذلك بسبب الجفاف في قلب شبه الجزيرة العربية، ولا يعرف بالضبط تاريخ هذه الهجرة، وهل كانت هجرة عربية كبيرة واحدة أو على دفعات. وهؤلاء المهاجرون ينتسبون إلى قبائل نزار وهم العدنانيون عرب الشمال.

ويستدل من المصادر العربية أن عمان تعرضت لهجرة يمنية كثيفة العدد، نزحت من اليمن بعد انكسار سد مأرب وتهدمه في عهد شرحبيل يعفر الحميري في منتصف القرن الخامس الميلادي^(١)، نتيجة عجزه عن ترميم عمارته ترميماً يكفل استمرار بقائه، فرحل لخم والأزد عن اليمن إلى أطراف شبه جزيرة العرب، فنزلت بعض الأزد في عمان في الطرف الشرقي بينما استقر الأوس والخزرج في يثرب، أما بنو عمرو بن عامر الذي يرتفع نسبه إلى مازن بن الأزد فقد نزلوا بمشارف الشام.. ويذكر البلاذري أن الأزد بعد خروجهم من بلادهم انتقلوا إلى مكة ومن هناك تفرقوا فأثت طائفة منهم عمان، وطائفة السراة، وطائفة الأنبار والحيرة، وطائفة الشام^(٢).

الهجرات العربية إلى
عمان وانتشارها



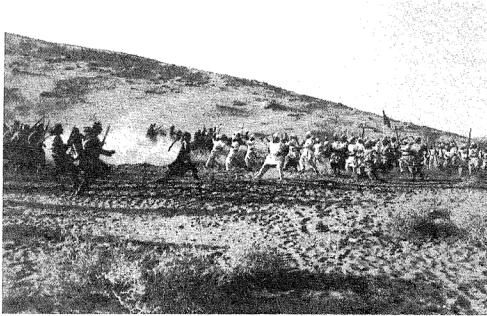
وفي الحقيقة لا يوجد تاريخ دقيق لهجرة الأزد إلى عمان.. ولا تحديد ثابت لخط سير هذه الهجرة سواء عن طريق حضرموت انطلاقاً من مأرب، أو عن طريق اليمامة والبحرين انطلاقاً من السراة (عسير).

وان كان Philips (فيليس) يشير إلى أن قبيلة الأزد التي كانت تسكن مأرب في نهاية القرن الأول الميلادي، هاجرت من مأرب عبر وادي حضرموت، ونزلت سيحوت (في الشحر) بقيادة مالك بن فهم الذي انتقل بالبحر إلى (قلهات)

(١٥ ميلا شمال غرب صور) وقام بتحرير عمان من الفرس خلال معارك شرسة، وأصبح السيد الاول المستقل على كل عمان^(٣).

ولذلك يقال ان أول من نزل عمان من الأزد هو هذا البطل العظيم مالك بن فهم بن غنم بن دوس الأزدى وهو والد جذيمة الأبرش ملك الحيرة، ويذكر العوتبي ان مالكا دخل عمان بعسكر جم من الخيل والرجال الذين بلغ عددهم ستة آلاف فارس وراجل، فوجد بها الفرس فاعتزل بمن معه إلى جانب قلعات من شط عمان ليكون ذلك أمنع لقواته^(٤).

ثم أخذ يستعد لطرد الفرس من عمان ودخل معهم في حرب شرسة، وعمد الفرس الى ارباب العرب بوضع عدد من الفيلة في مقدمة جيشهم، لكن فيلة الفرس لم تهرب مالك بن فهم وجيشه من الأزد، بل حمل وحملوا معه على الفيلة بالرماح والسيوف ورشقوها بالسهم، فولت الفيلة على عسكر المرزبان فوطئت منهم خلقا كثيرا. وبالرغم من تحمس الفرس وشدة قتالهم، الا ان شجاعة مالك وقومه من الأزد فاقت كل تصور، حتى اضطر الفرس الى طلب الصلح وأن يكف مالك عنهم مدة سنة حتى يخرجوا من عمان، وأعطوا مالك بن فهم على ذلك عهدا وجزية، فأجابهم مالك الى ما طلبوا.



صورة تشيلية لمعركة
سلوت التي قادها من
الجانب العماني مالك
بن فهم

وغضب ملك الفرس غضبا شديدا من مضمون هذا الصلح، فدعا بقائده من عظماء مرزبته وأساوريته^(٥) وعقد له على ثلاثة آلاف من أجلاء أصحابه، وبعثهم مددا لأصحابه الذين كانوا بعمان عن طريق البحرين، الا ان مالك حمل عليهم حملة شديدة، مع قلة عسكره وكثرتهم، واستطاع أن ينتصر على الفرس نصرا حاسما. وبعد هذه الحرب استولى مالك بن فهم على عمان، وغنم جميع أموال الفرس.

والحق أن المواجهة بين عرب عمان، والفرس (أو العجم) على الخليج جعلت العمانيين يحرصون على استقلالهم وعلى الاعتزاز بعروبيتهم وأصالتهم اعتزازا كبيرا، ويستكمل العمانيون النصر على الفرس بنزولهم في أرض فارس نفسها، اذ نجح سليمة بن مالك بن فهم في اقتطاع أرض كرمان من العجم، ولم تخرج كرمان عن حكم

العمانيين الا بعد وفاة سليمة بن مالك واختلاف رأي أولاده من بعده. فتغلبت الفرس عليهم واستولوا على ملك أبيهم في كرمان، واضمحل أمرهم فتفرقوا بأرض كرمان، وتوجهت فرقة منهم الى أرض عمان.

ولم تكن للفرس رجعة الى عمان بعد ان أجلاهم مالك بن فهم عنها، الى ان انقضى ملكه وملك أولاده من بعده. ولما صار ملك عمان الى آل الجلندی بين المستكر وهو من معوله بن شمس، وصار ملك فارس الى بني ساسان تم الصلح بينهم وبين آل الجلندی بعمان.

وقبل وصول آل الجلندی الى حكم عمان كانت قبائل الأزد تتوافد على عمان، وأول من لحق بعمان من الأزد بعد معولة بن شمس، عمر بن عمرو بن عامر وولده الحجر والأسود، ومن الحجر والأسود تفرعت بعمان قبائل كثيرة^(٦).

أما بنو الأسود فقد شاركوا في الفتوحات الإسلامية، بعد ظهور الاسلام ووصلت طائفة منهم الى الأندلس، حيث نزلوا في قبضة بني الأسود فرضة بجانة، واشتغلوا بالجهاد في البحر، ومن بني معولة بن شمس الأزدی جيفر وعبد ابن الجلندی بن كركر بن المستكر بن مسعود بن الجرار بن عبدالعزيز بن معولة بن شمس، ملك عمان على عهد الرسول ﷺ ويذكر ابن حزم ان رسول الله ﷺ بعث اليهما كتابا يدعوها فيه الى الاسلام فأسلما عن ايمان وقناعة تامة، وأسلم معهما أهل عمان^(٧) وكان ذلك في العام الثامن للهجرة أي بعد اسلام عمرو بن العاص بقليل^(٨).

وهكذا غلب الأزد على عمان، ويؤكد ذلك قول البلاذري: «قالوا كان الغالبون على عمان الأزد وكان بها من غيرهم بشر كثير في البوادي»^(٩).

وكان أزد عمان عند ظهور الاسلام مكونين من عدة عشائر وبطون أهمها كما أشرنا: بنو معولة ابن شمس بن عمر بن غنم بن غالب بن عثمان بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن نصر بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد^(١٠).

ومن أزد عمان أيضا الحدان بن شمس شقيق معولة بن شمس^(١١)، وقد قدم وفدهم على الرسول ﷺ بعد فتح مكة برئاسة مسلية بن مزن الحداني، وهاجر فريق منهم بعد الاسلام الى البصرة وبقي عدد منهم في عمان^(١٢).

ولكن لا يعرف سنة قدوم الأزد الى البصرة، ولا عددهم على وجه الدقة^(١٣)، ومن أزد عمان بنو مالك بن فهم بن دوس بن عدنان بن عبدالله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد^(١٤).

ومن بطونهم التي استوطنت عمان نوى والأشاعر، ومنهم الشاعر كعب الأشقر^(١٥). وقد هاجر بعضهم بعد الاسلام إلى البصرة وبقي معظمهم في عمان^(١٦).

ومن أزد عمان العتيك^(١٧) بن الأسد بن عمران بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد ومن العتيك المهلب بن أبي صفرة^(١٨).

أما أهل دبا فهم بنو الحارث بن مالك بن فهم.

ومن بطون الأزد التي استوطنت عمان اليمجد، وهم اليمجد بن حمى بن عثمان بن نصر ابن زهران^(١٩)، وقد هاجر بعضهم بعد الاسلام إلى البصرة^(٢٠).

ولم يكن سكان عمان من الأزد فقط، بل كانت تسكن عمان عند الفتح الاسلامي

قبائل عمانية مشهورة، منها (سامة بن لؤي)^(٢١)، وينسبها النسابون إلى قريش، واحتفظ بنو سامة بوحدتهم القبلية ولم يندمجوا بالأزد، ولكنهم كانوا حلفاء لهم^(٢٢). وقال عنهم البكري «فصار بنو سامة بعمان حيا حريدا شديدا لهم بأس وثروة ومنعة»^(٢٣)، وقد هاجر بعضهم إلى البصرة بعد الاسلام^(٢٤).

وقد شارك الأزد سكنى عمان عند الفتح الاسلامي بعض بطون من عبد القيس، وإن كان استيطانهم فيها يرجع إلى أزمنة قديمة - يقول ابن دريد: «أن الأتلاذ بطون من عبد القيس» أتلاذ عمان لأنهم سكنوها قديما^(٢٥).

وجاء في معجم ما استعجم^(٢٦)، في هجرة القبائل: «ودخلت قبائل من عبد القيس.. جوف عمان فصاروا شركاء للأزد في بلادهم وهم الأتلاذ أتلاذ عمان».

وكانت هناك أيضا بطون من قضاة تسكن عمان عند الفتح الاسلامي^(٢٧).

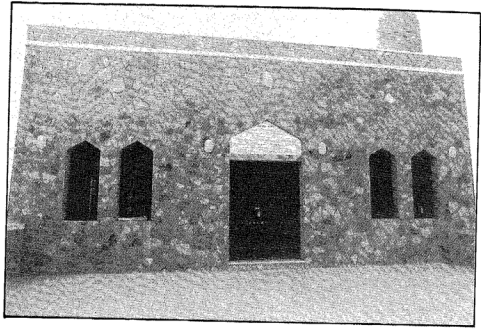
وإذا كانت معظم القبائل العمانية، وكما رأينا من أصل يمني، لأن هجرتها كانت أساسا من اليمن، أو من اليمن إلى جهات أخرى ثم انتهت بها المطاف إلى عمان، فالحقيقة أن الجوار في الموقع، والخصائص البيئية والحضارية والبشرية المشتركة بين اليمن وعمان... قد أوجدا تقاربا لا حدود له من حيث التكامل التاريخي والبشري، وتبادل المنافع المشتركة، وسهل كل من البحر والطريق البري مرور التأثيرات المتبادلة، وأعطى تكاملا اقتصاديا في منتوجات البحر والبر من أسماك ولؤلؤ وبخور ولبان وورس وبن، وتبادلا في الثروة الحيوانية، مما أدى إلى تعميق الاتصال بين اليمن وعمان، ونتج عن ذلك أن كثيرا من الهجرات اليمنية اتجهت صوب عمان، ومن ثم كانت معظم قبائل عمان وكما أشرنا ذات أصل يمني. وقد جاء الاسلام وهذه القبائل التي سبقت الإشارة إليها وغيرها كثير من اصول يمنية وعدنانية كانت تسكن عمان، وقد تفاعلت هذه القبائل بسرعة مع الدعوة إلى الاسلام، وأرسلت وفودها ورجالها إلى بلاد الحجاز للوقوف على أمر هذا الدين الجديد، وكان مازن بن غصوبة الطائي السعدي أول من رحل إلى المدينة وأول المسلمين من أهل عمان. فمن هو هذا الصحابي العماني الجليل؟

الصحابي مازن بن غصوبة الطائي :

نسبه : هو مازن بن غصوبة بن سبيعة بن شماس بن حيان بن مر بن حيان بن أبي بشر بن خطامة بن سعد بن نبهان بن عمرو بن الغوث بن طيء^(٢٨). وطيء بفتح الطاء وتشديد الياء وهمزة في الآخر، أخذ من الطاء، وهي الإيغال في المرعى... وهم بنو أد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، وكان لطيء من الولد: فطرة والغوث والحارث، ولكل واحد من هؤلاء بطون وفروع كثيرة يصعب حصرها مثلما يصعب تعيين مواقع استقرارها، لأنهم كانوا يتنقلون بشكل مستمر حسب مقتضيات حياتهم وطريقة معيشتهم والمخالفات التي كانوا يعقدونها مع غيرهم من القبائل^(٢٩).

غير أن بعض الاخباريين يقولون بأن طيئا هو أبو القبيلة، نزح من اليمن مع عمومته وقبيلته إلى الحجاز إلى أن استقر بهم المطاف في جبلي آجا وسلمى^(٣٠)، وأن قبائل طيء أقامت بعد نزوحها شمالا بجوار بني أسد، فتغلبت عليهم وأجلتهم عن الجبلين المذكورين حتى عرفا بجبلي طيء.

وكان لهذين الجبلين أثر كبير في توجيه حياة الطائيين وسلوكهم في مدارج الكرم والشعر والفروسية^(٣١) وذلك نظرا لأهمية الاقليم الذي استقروا فيه من النواحي الزراعية والتجارية والعسكرية وما يتمتع به من من حصانة نسبية. ورغم الوعورة التي تميز بها جبال طي، فقد كان بوادي رك القريب منهما نخيل وآبار عذبة المياه.. ووجدت مدينة فيد على بعد أربعة أميال عن يمين الذهاب إلى مكة وكانت تقام فيها الأسواق التجارية في موسم الحج^(٣٢). أسرته : لم تذكر المصادر معلومات وأفية عن اسرة مازن الطائي وهي لم تحفل بترجمته كثيرا، ولعل ذلك يرجع الى ان دوره الاجتماعي كان محدودا، وإن كان



مسجد الصحابي مازن
بن غصوبة في سمائل

دوره في دخول الاسلام مبكرا يحظى بتقدير بالغ. فقد ذكرت مصادر ترجمته ان امه هي زينب بنت عبدالله بن ربيعة بن حويص أحد بني نمران^(٣٣)، وهذا يوضح ان لفظ (غصوبة) المذكور في نسبه اما ان يكون لقباً أو اسماً حقيقياً لوالده، وكانت العرب تسمى أحيانا بالاسماء المؤنثة كما في قولهم (ربيعة) وليس من سبيل لترجيح أحد الاعتقادين. وكان له اخوة من أمه وهم بنو الصامت وبنو خطامة وفهرة^(٣٤)، وكانت نشأته في مدينة سمائل الواقعة في داخلية عمان. وذكر مازن أن له ولدا اسمه حيان، وقال في حديثه عن مقابلة النبي ﷺ ودعائه له (... ورزقت ولدا فسميته حيان بن مازن)^(٣٥) ... ومن أحفاده أحمد بن حرب وعلي بن حرب الطائي^(٣٦) قال عنه ابن الأثير (وهو جد علي بن حرب بن محمد بن علي بن حيان بن مازن بن غصوبة الطائي)^(٣٧) وكانا امامين فاضلين^(٣٨) ومن المحدثين المصنفين في الحديث النبوي الشريف، وكان (علي) عالما بأخبار العرب أدبيا شاعرا ولد سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م بأذربيجان ورأى المعاني بن عمر الموصل، وروى عن أبيه وابن عيينة والقاسم ابن يزيد الجرمي، وعدد من الحفاظ المشهورين، وسمع من غيرهم، وروى عنه النسائي.

وقال عنه أبو زكريا الأزدي في تاريخ الموصل، وابن حيان في الثقة، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أنه كان مصنفًا وعالمًا بأخبار العرب أديبًا وشاعرًا وفد على المعتز سنة ٢٠٤ هـ / ٨١٩م فكتب عنه الحديث وكتب له بضياع وظلت جارية إلى أيام المعتضد، وكانت وفاته بالموصل سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨م^(٢٩) وعمره اثنتان وتسعون عامًا.

أمسا أحمد^(٤٠) بن حرب بن محمد بن حيان بن مازن بن غضوبة فقد كان مولده سنة ١٧٤ هـ / ٧٩٠م، وروى عن ابن عيينة وأبي معاوية وابن فضيل، وشارك أخاه في شيوخه، وروى عنه النسائي وأخواه علي وعبد الرحمن، واختلف في توثيقه، قال عنه مسلم لا بأس به، وقال عنه ابن أبي حاتم (أدركته ولم أكتب عنه)، وكانت وفاته في أذنة^(٤١) بساحل الشام، ووثقه ابن حيان وكانت وفاته سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦م. هؤلاء هم الذين ذكرتهم المصادر من أسرته.

إسلام الصحابي مازن الطائي :

ورد خبره في أعلام النبوة في أخبار الكهان^(٤٢)، وقال ابن حيان^(٤٣) : يقال بأن له صحبة... وقال ابن حجر^(٤٤) (ذكره ابن السكن وغيره في الصحابة، وقال ابن حيان يقال إن له صحبة، وأخرج الطبراني والفاكهي في كتاب مكة، والبيهقي في الدلائل، وابن السكن وابن قانع، كلهم عن طريق هشام بن الكلبي عن أبيه، قال حدثني عبدالله العماني قال: قال مازن بن غضوبة... فذكر حديثًا طويلًا فيه: فكسرت الأصنام وقدمت على رسول الله ﷺ فأسلمت) وذكر ابن عبد البر^(٤٥) أن لمازن صحبة، وأنه وفد على النبي ﷺ وقال: (يارسول الله اني امرؤ مولع بالطرب وحب الخمر والنساء، فيذهب مالي ولا احمد حالي، فادع لي الله أن يذهب ذلك عني وليس لدي ولد فادع الله أن يهب لي ولدا... قال فدعا لي فأذهب الله عني، ما كنت أجد وتزوجت أربع حرائر فرزقت الولد، وحفظت شطر القرآن وحججت حججا). وفي تاج العروس^(٤٦) قال: مازن بن غضوبة الطائي له وفادة، وساق ابن الأثير^(٤٧) أسنادًا آخر يؤكد ذات الرواية التي أوجزها علي ما يبدو ابن عبد البر، وتوسع فيها بل ذكرها بتفاصيل أكثر صاحب كشف الغمة^(٤٨).

أما أبو نعيم فقد أسند إلى مازن الطائي قوله بأنه كان يسدن صنما بسمائل التي ذكرناها آنفاً، وقد ذبحوا ذبيحة عند الصنم التي اختلفت المصادر في ايراد اسمه والمرجح انه باجر^(٤٩) كما في الجمهرة لابن دريد، وهو اسم صنم كان للأزد في الجاهلية ومن جاورهم من طيء وقضاعة.. ولما ذبح الذبيحة سمع صوتا يقول: (يا مازن اسمع تسر، ظهر خير ووطن شر، بعث نبي من مضر بدين الله الأكبر فدع نحيتا من حجر تسلم من حر سقر)^(٥٠).

وبعد أيام ذبحت ذبيحة أخرى فسمع صوتا يقول (اقبل الي اقبل، تسمع مالا تجهل، هذا نبي مرسل جاء بحق منزل، فأمن به كي تعدل عن حر نار تشعل، وقودها بالجنل)^(٥١).

وقد صورت الروايات التاريخية فزع وتعجب مازن مما سمع، ولكنه تفاعل خيرا، وبينما هو كذلك اذ ورد عليه رجل من أهل الحجاز يريد ماء، فسأله عما وراءه من الأخبار فقال له: ظهر رجل يقال له: (محمد^(٥٢) بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف يقول لمن أتاه أجبوا داعي الله)... وبدأ مازن يربط بين ما سمعه عند ذبح

الذبيحة وبين ما سمعه من الرجل الحجازي الذي لم تفصح المصادر عن اسمه... فما كان منه إلا أن كسر الصنم باجراً وأنشد قائلاً:

كسرت باجراً أجزاذا وكان لنا
رباً نظيف به ضلاً بتضلال
بالهاشمي هدانا من ظلالتنا
ولم يكن دينه مني على بال
يا راكباً بلغني عمرو واخوتها
اني لمن قال ربي باجراً قال (٥٣)

وكان يعني يعمره واخوتها بني خطامة، وهي نسبة إلى خطامة بن سعد بن الغوث بن طيء: بطن مشهور ينتسب إليه مازن بن غصوبة (٥٤) وقد أوضحنا ذلك فيما تقدم. ثم وفد على النبي ﷺ فأعلن إسلامه وأنشد يقول (٥٥):

اليك رسول الله خبت مطيتي
لتشفع لي يا خير من وطئ الحصى
الى معشر خالفت في الله دينهم (٥٨)
وكنت امرأة بالعهر والخمر مولعا
فبدلني بالخمر خوفاً وخشية
فأصبحت همي في الجهاد ونيتي
تجوب الفيافي في عمان إلى العرج (٥٦)
فيغفر لي ذنبي وارجع بالفلج (٥٧)
فلا رأيهم رأيي ولا شرجهم شرجي
شبابي حتى أذن الجسم بالنهج (٥٩)
وبالعهر أحصانا فحصى لي فرجي
فلله ما صومي والله ما حجي (٦٠)

ومن الواضح أن هذه الأبيات التي تظهر عليه الركاكة وعدم دقة الوزن قد تعرضت إلى التصحيف والتحريف بسبب الرواة أو النساخ فيما بعد... ومع ذلك فإنها تقوم دليلاً على وجود مازن بن غصوبة الطائي ودليلاً على إسلامه المبكر من بين أهل عمان، ومما يدل على ذلك أيضاً ويدل على صحبة مازن لرسول الله ﷺ، وجود بعض الأحاديث التي رواها مازن عن النبي صلوات الله وسلامه عليه، فقد خرج ابن السكن ومحمد بن خلف المعروف بوكيع في نواصر الأخبار، وابن منده وابن نعيم من طريق الحسن بن كثير، عن يحيى بن أبي كثير عن أبيه: سمعت مازن بن غصوبة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى الجنة) وهو حديث صحيح بمعناه، لكن ابن منده قال عنه غريب لا يعرف إلا بهذا الإسناد (٦١).

ولم يكن هذا هو الحديث الوحيد الذي ورد عن مازن عن النبي ﷺ في كتب الحديث، فقد ورد أيضاً أن مازن سأل الرسول عليه الصلاة والسلام الدعاء لأهل عمان. فقال مازن: «يا رسول الله ﷺ، ادع الله تعالى لأهل عمان»..

قال: اللهم اهدهم !!

فقلت: زدني يا رسول الله !!

فقال: اللهم زدهم العفاف والكفاف والرضا بما قدرت لهم !!

قلت: يا رسول الله أن البحر ينضج بجانبنا فادع الله في ميرتنا وخفنا وظلفنا (٦٢) !!

قال: اللهم وسع لهم وعليهم في ميرتهم، وكثر خيرهم من بحرهم.

قلت: زد.

قال: لا تسلط عليهم عدواً من غيرهم !! قل يا مازن، آمين !! فإن آمين يستجاب لها

عند الدعاء !!

قلت: آمين !! (٦٣).

وفي العام التالي وفد مازن بن غصوبة على رسول الله ﷺ، وقال له: «يا ابن المباركين الطييين!! قد هدى الله قوماً من عمان ومن عليهم دينك، وقد أخصبت وكثرت

الارباح فيه والصيد!!.

فقال ﷺ: ديني دين الاسلام، وسيزيد الله اهل عمان خصباً وصيداً!! فطوبى لمن آمن بي ورأني!! وطوبى لمن آمن بي ولم يراني، ولم ير من راني، وسيزيد الله اهل عمان اسلاماً!!^(٦٤)..
وفعلاً أسرع العمانيون بالدخول في الاسلام، وأرسل لهم النبي ﷺ رسله ورسائله، فما هي هذه الرسائل؟.

رسائل الرسول ﷺ إلى عمان وانتشار الاسلام فيها:

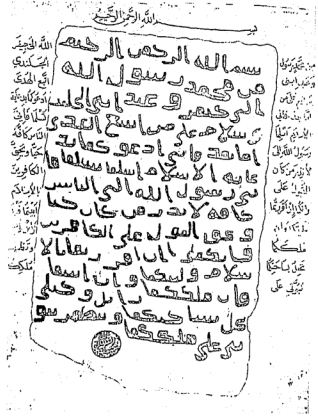
تختلف الروايات التاريخية حول التحديد الزمني لدخول الاسلام في بلاد عمان في زمن الرسول الكريم محمد ﷺ، سيما وان المعلومات التاريخية المتوافرة لدينا تؤكد بأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان هو المبادر في دعوة حكام عمان الى الاسلام وهما جيفر وعبد ابني الجلندي^(٦٥)، بيد أن التضارب في الروايات التاريخية يكمن في تحديد الفترة التي اتصل فيها الرسول ﷺ بأهل عمان عارضاً عليهم دعوة الاسلام. فمن جهة تذكر رواية تاريخية ان النبي محمد عليه الصلاة والسلام اتصل بزعماء عمان بعد

صلح الحديبية سنة ٦ هـ^(٦٦). بينما نجد ان رواية اخرى تحدد تاريخ المراسلة بفتح مكة المكرمة عام ٨ هـ^(٦٧)، وتذهب رواية ثالثة الى القول بأن تاريخ اتصال الرسول محمد ﷺ بحكام عمان هو بعد حجة الوداع^(٦٨).

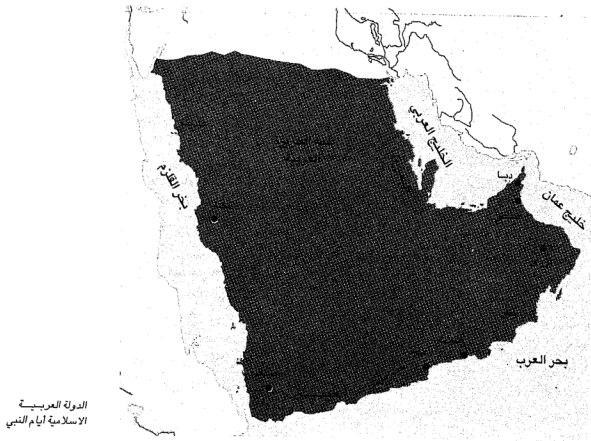
وتؤكد المعلومات التاريخية أن الرسول محمد عليه الصلاة والسلام أرسل عمرو بن العاص السهمي كمبعوث من لدنه الى جيفر وعبد ابني الجلندي^(٦٩). ومهما يكن من امر، فإن العلامة ابن خلدون يضع لنا مساحة زمنية للمراسلة تمتد من صلح الحديبية وحتى وفاة النبي محمد ﷺ^(٧٠). والمرجح ان الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بعد الانتهاء من توقيع صلح الحديبية مع قريش تفرغ لنشر الاسلام خارج نطاق الحجاز وبالطرق الدبلوماسية، وذلك بمراسلة ملوك وزعماء الدول المجاورة ومنهم زعماء عمان.

ويمكننا القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد اهتم بتوسيع رقعة دولة الاسلام بعد فتح مكة وزوال المقاومة القرشية، حيث يعد هذا الحدث نقطة تحول حاسمة في تاريخ الاسلام والمسلمين، اذ اصبح الاسلام هو القوة الكبرى في بلاد العرب، سيما وان مواقف القبائل العربية وزعماء الممالك كانوا يتربعون نتائج الصراع بين الاسلام وقريش وحلفائها.

فعندما فتح الله مكة للمسلمين أصبح الاسلام هو القوة المهيمنة، خاصة بعد أن وضعت قريش امكاناتها في خدمة الدعوة الاسلامية المتعاضمة، عند ذلك فضل



صورة من رسالة
الرسول إلى ملكي
عُمان



الدولة العربية الإسلامية أيام النبي

الرسول محمد ﷺ أن يتصل بملوك الجوار وبالطرق السلمية. ومن هؤلاء الملوك المجاورين له، ملكا عُمان: جيفر وعبد ابني الجلندي. فتروي لنا كتب التاريخ أن الرسول ﷺ بعث كتاباً^(٧١) إلى أهل عُمان، منها كتاب أرسله مع عمرو ابن العاص إلى جيفر وعبد ابني الجلندي يقول فيه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله إلى جيفر وعبد ابني الجلندي، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوكم بدعاية الإسلام، أسلما تسلمنا فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين، وانكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما، وإن أبيتما أن تقررا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما وخيلي تحل (أي تنزل) بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما».

وقد جاء نص هذه الرسالة في سيرة زين دحلان الذي روى أيضاً عن مسلم عن أبي برزة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ رجلاً إلى قوم فسبوه وضربوه فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له: «لو أهل عُمان أتيت ماسبوك ولا ضربوك»، وروى الإمام أحمد عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إني لأعلم أرضاً يقال لها عُمان ينضج بناحيتهما البحر لو أتاهاهم رسولي ما رموه بسهم ولا بحجر».

كما ذكر ابن الأثير في أسد الغابة أن عمرو بن العاص قدم على الجلندي، فقال له: «يا جلندي أنك وإن كنت منا بعيداً فانك من الله غير بعيد، إن الذي تغرد بخلقك أهل أن تغرده بعبادتك، وألا تشرك فيه من لم يشركه فيك، وأعلم أنه يملك الذي أحيأك، ويعيدك الذي يدأك، فانظر في هذا النبي الأمي الذي جاء بالدنيا والآخرة، فإن كان يريد به أجراً فامنع، أو يميل به هوى فدعه، ثم انظر فيما يجيء به، هل يشبه ما يجيء به

الناس، فإن كان يشبهه فسله العيان وتخبر عليه في الخير، وإن كان لا يشبهه فاقبل ما قال وخف ما وعد». قال الجلندي: «أنه والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يبطر، ويغلب فلا يضجر، وأنه يفي بالعهد وينجز الموعد، وأنه لا يزال سر قد اطلع عليه يساوي فيه أهله، وأشهد أنه نبي».

وقد زاد ابن حجر في الإصابة أن الجلندي أنشد أبياتا منها:

أتاني عمرو بالتلي ليس بعدها	من الحق شيء والنصيح نصيح
فقلت له ما زدت أن جئت بالتلي	جلندي عمان في عمان يصيح
فيا عمرو قد أسلمت بعد جهرة	ينادي بها في الواديين فصيح

وقد روي أن هذا الكلام جرى بين عمرو وجيفر أما الشعر فقد روي أن للجلندي قولاً واحداً في أكثر من رواية. وفي رواية أخرى أن الحوار أيضاً جرى بينه وبين عمرو كما مر، فما هي حقيقة الجمع بين هذه الروايات؟ هل الجلندي المذكور هو جيفر بدليل أن كل ملك على عمان في ذلك الوقت يسمى الجلندي، أم أن الجلندي المذكور هنا هو والد جيفر وعبد؟، ويؤكد ذلك رواية أخرى أن النبي ﷺ وجه أبا زيد ثابت بن زيد أو عمرو بن أخطب سنة ست بكتاب إلى الجلندي وأنه أرسل عمرا سنة ثمان إلى جيفر وعبد وكتب معه الكتاب الذي سبق ذكره.

وقد جاء في إحدى الروايات أن عمرو بن العاص قال: «خرجت حتى انتهيت إلى عمان فعمدت إلى عبد وكان أحلم الرجلين وأسهلها خلقاً، فقلت اني رسول رسول الله ﷺ إليك وإلى أخيك، فقال اخي المقدم علي بالسنة والملك وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك، ثم قال وما تدعو اليه، قال أدعوك إلى الله وحده، وتخلع ما عبد من دونه وتشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال ياعمرو، انك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك يعني العاص بن وائل، فإن لنا فيه قدوة، قلت مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ، ووددت له لو كان آمن وصدق به، وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هداني الله للإسلام، قال فمتى اتبعته. قلت قريباً، فسألني أين كان إسلامي، فقلت عند النجاشي وأخبرته أن النجاشي قد أسلم، قال فكيف صنع قومه بملكه، قلت: أقروه واتبعوه، قال والاساقفة أي رؤساء النصرانية والرهبان، قلت نعم، قال انظر ياعمرو ما تقول انه ليس من خصلة في رجل أفضح له أي أكثر فضيحة من كذب، قلت ما كذبت وما نستحل في ديننا، ثم قال ما أرى هرقل علم بإسلام النجاشي، قلت له بلى، قال بأي شيء علمت ذلك يا عمرو، قلت كان النجاشي يخرج له خراجاً فلما أسلم النجاشي وصدق بمحمد ﷺ قال لا والله ولو سألني درهمًا واحداً ما أعطيته، فبلغ هرقل قوله فقال له أخوه ادعوك عبدك لا يخرج لك خراجاً ويدين ديناً محدثاً، فقال هرقل: رجل رغب في دين واختاره لنفسه ما أصنع به، والله لولا الظن بملكي لصنعت ما صنع، قال أنظر ما تقول يا عمرو، قلت والله صدقتك، قال عبد فاخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه، قلت يأمر بطاعة الله عز وجل، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب، فقال: ما أحسن هذا الذي يدعو اليه، لو كان اخي يتابعني لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكن اخي أظن بملكه من أن يدعه ويصير ذنباً أي تابعاً، قلت له أن أسلم ملكه رسول الله ﷺ على قومه فأخذ الصدقة من غنيهم فردها إلى فقيرهم، فقال إن هذا الخلق حسن، وما الصدقة؟، فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ في الأموال، ولما ذكرت المواشي قال ياعمرو يؤخذ من

سوائهم مواشيننا التي ترعى الشجر وترد المياه، فقلت نعم، فقال والله ما أرى قومي في بعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا.

قال عمرو فمكثت أياما بباب جيفر وقد أوصل إليه أخوه خبري، ثم إنه دعاني فدخلت عليه فاخذ أعوانه بضبعي أي عضدي، قال دعوه فأرسلت فذهبت لأجلس فأبوا أن يدعوني أجلس، فنظرت إليه فقال تكلم بحاجتك، فدفعت إليه كتابا مختوما ففرض خاتمه فقرأ، حتى انتهى إلى آخره ثم دفعه إلى أخيه فقرأه، ثم قال: ألا تخبرني عن قريش كيف صنعت، فقلت تبعوه أما راغب في الدين وأما راهب مقهور بالسيف، قال ومن معه؟ قلت: الناس رغبوا في الاسلام واختاروه على غيره وعرفوه يعقلهم مع هدى الله إياهم، انهم كانوا في ضلال مبين فما أعلم احدا بقي غيرك في هذه الحرجة، وأنت ان لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراءك، أي جماعتك فأسلم تسلم ويستعملك على قومك ولا تدخل عليك الخيل والرجال. قال دعني يومي هذا وأرجع إلى غدا، فلما كان الغد أتيت إليه فأبى أن يأذن لي فرجعت إلى أخيه فأخبرته اني لم أصل إليه، فأوصلني إليه فقال: اني فكرت فيما دعوتني إليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكك رجلا ما في يدي، وهو لا تبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله ألفت أي وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى، قلت وأنا خارج غدا، فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه، فأصبح فأرسل الي فاجاب إلى الاسلام هو وأخوه جميعا، وصدقا وخليا ببني وبين الصدقة، وبين الحكم فيما بينهم، وكانا لي عوننا على من خالفني وأسلما وأسلم معهما خلق كثير. وتوفي رسول الله ﷺ وعمرو بعمان.

ونستدل من هذه الروايات أن النبي ﷺ أرسل كتابا مع أبي زيد الأنصاري سنة ست للهجرة إلى الجندی أو إلى جيفر وعبد كما في رواية، ثم أرسل كتابا آخر مع عمرو بن العاص سنة ثمان وكتابا ثالثا إلى أهل عمان رواه أبو شداد الدماثي من أهل دماء قال جاءنا كتاب النبي ﷺ في قطعة آدم: (من محمد رسول الله إلى أهل عمان أما بعد، فأقرؤا بشهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدوا الزكاة وخطوا المساجد والا غزوتكم)، قال أبو شداد فلم نجد أحدا يقرأ علينا ذلك الكتاب حتى وجدنا غلاما يقرأ فقرأه علينا.

وهناك كتاب رابع من رسول الله ﷺ إلى أهل عمان، وذلك أن عبد الله بن علي التمالي ومسلية بن هزان الحداني وهما من أهل عمان قدما في رهط من قومهما على رسول الله ﷺ فأسلموا وبايعوا على قومهم وكتب لهم كتابا بما فرض عليهم من الصدقة في أموالهم. ونتيجة لهذه الكتب، ونتيجة لاتصال بعض أهل عمان المباشر بالرسول ﷺ أفرادا وجماعات، انتشر الاسلام في عمان انتشارا واسعا، ساعد على ذلك أن الرسول محمد ﷺ جعل حكم عمان بيد أبناء الجندی في حالة اعتناقهم الاسلام، وقوض ابن العاص في جمع الزكاة من أموال أغنياء البلاد بعد قبول الاسلام وتوزيع الأموال على من يحتاجها من الفقراء والمساكين، بدلا من إرسالها إلى عاصمة الاسلام في المدينة المنورة. وقد أثرت هذه السياسة النبوية الرحيمة في أهل عمان فأقبلوا على الاسلام دون تردد^(٧٣).

وقد أجاب ابنا الجندی فعلا إلى الاسلام كما ورد عن ابن سعد الذي ذكر لنا نص ما قاله عمرو ابن العاص عن حسن اسلامهما وعن طاعتهما له، وأنه كان يأخذ الصدقات من الأغنياء فيردها على الفقراء^(٧٣)، كما أن أبا زيد الأنصاري كان يقوم على تعليم أهل عمان الصلاة وقراءة القرآن وتعاليم الدين الاسلامي الحنيف^(٧٤). زيادة

على ذلك فإن عاصمة الإسلام المدينة المنورة شهدت قدوم وفود عديدة من أهل عمان. وتذكر إحدى المصادر الأساسية أن وفدين عمانيين قدما للمدينة احدهما برئاسة اسد بن بريح الطاسحي والآخر برئاسة سلمة بن عياض الأزدي، معلنين إسلامهما وخضوعهما للسلطة الإسلامية في المدينة^(٧٥).

كما قيل بأن وفدا آخر للأزد قدم على رسول الله ﷺ، فقد روى أبو نعيم عن سويد ابن الحرث الأزدي رضي الله عنه قال: وفدت سبع سبعة من قومي على رسول الله ﷺ فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجب ما رأى من سمنا وزينا فقال: ما أنتم أي ما صنعت، قلنا: مؤمنون، فتبسم عليه الصلاة والسلام، وقال: أن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وإيمانكم، قلنا خمس عشرة خصلة، خمس منها امرتنا بها رسلك أن نؤمن بها، وخمس امرتنا أن نعمل بها، وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، فنحن عليها إلا أن تكره شيئا منها فنتركه. فقال ﷺ: ما الخمس التي امرتكم بها رسلي أن تؤمنوا بها؟ قلنا امرتنا أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت قال: والخمس التي امرتكم رسلي أن تعملوا بها، قلنا: امرتنا أن نقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان ونحج البيت أن استطعنا إليه سبيلا، قال: وما الخمس التي تخلقتكم بها في الجاهلية، قلنا الشكر عند الرضاء والصبر عند البلاء والرضاء بمر القضاء والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالأعداء، فقال: حكماء وعلماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء، ثم قال: وأنا أزيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة^(٧٦).

إن كنتم كما تقولون أي متصفين بالخمس عشرة التي ذكرتم، فلا تجمعوا مالا تأكلون، ولا تبثوا مالا تسكنون، ولا تنافسوا في شيء أنتم عنه غدا زائلون، واتقوا الله الذي إليه ترجعون وعليه تعرضون، وارغبوا فيما عليه تقدمون وفيه تخلصون فانصرفوا وقد حفظوا وصيته عليه الصلاة والسلام^(٧٧).

ولذلك لا عجب أن نجد الرسول الكريم ﷺ يدعو لأهل عمان قائلا: «رحم الله أهل الغبراء (أي أهل عمان) آمنوا بي ولم يروني»^(٧٨).

وما دعا الرسول الكريم لأن يثني ويدعو لأهل عمان بالخير إلا لأنه ﷺ كان قد علم بإسلام ملكي عمان إسلاما خالصا مخلصا من كل شائبة وسوء. يدل على ذلك أن الروايات التاريخية تتفق جميعها على أنهما استجابا لدعوة الرسول ﷺ دون تردد أو خوف أو ضعف، وقاما بدعوة أهل عمان إلى الإسلام فأسلموا باستثناء الفرس الذين كانوا بعمان، والذين رفضوا اعتناق الإسلام، في الوقت الذي شعر فيه عبد وجيفر بأن الإسلام أضحى سلاحا روحيا قويا يقوي من عزمية مواطنيهم ويشحذ همهم لطردهم الفرس الأجانب وتخليص البلاد من الأعاجم الغريباء. ولذلك اجتمعت قبائل الأزد إلى جيفر بن الجندى وقالوا: «لا يجاورنا العجم بعد هذا اليوم» واجتمعوا على إخراج الفرس من بلادهم. ودعا جيفر زعماء الفرس وقال لهم: «أنه قد بعث منا (نحن) العرب نبي، فاختراروا منا إحدى حالتين: إما أن تسلموا وتدخلوا فيما دخلنا فيه، وإما أن تخرجوا عنا بأنفسكم فأبوا أن يسلموا وقالوا لن نخرج، فعند ذلك اجتمعت الأزد فقاتلوهم قتالا شديدا هزمت فيه الفرس، ثم تحصن بقيتهم في دستجرد، فحاصروهم أشد الحصار، ولما طال عليهم ذلك الحصار طلبوا الصلح فصالحوهم على أن يتركوا كل صفراء وبيضاء ومال وكراع ويحملوهم بأهاليهم وحاشيتهم في سفينة حتى يقطعوا إلى أرض فارس فأجابوهم إلى ذلك وخرجوا من عمان^(٧٩).

وبعد أن تحقق حلم العمانيين في طردهم الفرس من بلادهم والتخلص من مزاحمتهم

ونفوذهم، بقي جيفر وعبد ابننا الجلندي يحكمان عمان بينما استمر عمرو بن العاص عاملاً للرسول ﷺ يجمع الصدقات ^(٨٠)، حتى بلغه وفاة النبي ﷺ، فعاد إلى المدينة، وبدأت الدولة الإسلامية تدخل في عصر جديد هو عصر الخلافة الراشدة، فما هي العلاقة التي كانت بين عمان والخلفاء الراشدين؟.

عمان في عصر الخلفاء الراشدين

أبو بكر الصديق يشيد بحسن إسلام العُمانيين :

حين غادر عمرو بن العاص عمان كان مطمئناً إلى حسن إسلام العُمانيين، فعاد إلى المدينة بعد وفاة سيد البشر عليه الصلاة والسلام، وصحبه وفد من العُمانيين كان على رأسهم عبد بن الجلندي أحد ملكي عمان، وجعفر بن جشم العتكي، وأبو صفرة سارق بن ظالم، ولما دخل الوفد العُماني على سيدنا أبي بكر الصديق، خليفة رسول الله ﷺ، قام سارق بن ظالم وقال:

«يا خليفة رسول الله ﷺ ويا معشر قريش هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا، وودعية لرسول الله ﷺ، فقد برئنا إليكم منها» ^(٨١).

وقد شكرهم أبو بكر الصديق، وقام الخطباء بالثناء عليهم والمدح فقالوا: كفاكم معاشر الأزد قول رسول الله ﷺ وثناؤه عليكم أما عمرو بن العاص فلم يدع شيئاً من المدح والثناء إلا قاله في أزد عمان.

ثم جاءت وجوه الأنصار في المدينة المنورة من الأزد وغيرهم، ليسلموا على عبد بن الجلندي ومن معه.

فلما كان من الغداة أمر أبو بكر فجمع الناس من المهاجرين والأنصار، وقام أبو بكر الصديق خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وآله وقال:

«معاشر أهل عمان!! أنكم أسلمتم طوعاً لم يطأ رسول الله ساحتم بخف ولا حافر» ^(٨٢)، ولا عصيتموه كما عصيه غيركم من العرب، ولم ترموا بفرقة ولا تشتت شمل، فجمع الله على الخير شملكم، ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح فأجبتهموه إذ دعاكم على بعد داركم، وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم، فأبي فضل أبر من فضلكم!! وأي فعل أشرف من فعلكم!! كفاكم قوله عليه السلام شرفاً إلى يوم المعاد!! ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مكرماً ورحل عنكم إذ رحل مسلماً!! وقد من الله عليكم بإسلام عبد وجيفر ابني الجلندي، وأعزكم الله به وأعزه بكم!!.

كنتم على خير حتى أتتكم وفاة رسول الله ﷺ، فآظهرتم ما يضاف إلى فضلكم، وقمتم مقاماً حمدناكم فيه. ومحضتم بالنصيحة وشاركتكم بالنفس والمال، فثبت الله به ألسنتكم ويهدي به قلوبكم، وللناس جولة فكونوا عند حسن ظني بكم! ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ولا أن ترجعوا عن دينكم. جزاكم الله خيراً» ^(٨٣).

والحق أن خطبة أبي بكر الصديق في الوفد العُماني برئاسة عبد بن الجلندي وفي جمع من المهاجرين والأنصار، وهي وثيقة هامة وخطيرة الشأن في حسن أخلاق العُمانيين وكرم وفادتهم، وفي حسن إسلامهم وفي ثباتهم على الإسلام بعد أن أسلموا. واتباع أبو بكر موقفه العظيم من الوفد العُماني بإرسال كتاب إلى أهل عمان يشكرهم ويثني عليهم. وأقر خليفة رسول الله جيفر وأخاه عبداً على ملكهما، وجعل لهما أخذ الصدقات من أهلها وحملها إليه.

وتذكر الروايات العمانية أن جيفرا وأخاه عبدا لم يزلوا في عمان متقدمين الى ان ماتا وخلفا من بعدهما عباد بن عبد بن الجندى في زمن عثمان وعلي (٨٤).

أهل عمان ورثة العرب :

تذكر الروايات العمانية ان عبد بن الجندى لما قدم علي أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الوفد العماني، استنهضه الخليفة في مقاتلة الرجعة، أي المرتدين، وسير الخليفة سرية وأمره عليها. فخرج عبد بن الجندى على رأس السرية حتى واثى ديار آل جفنة^(٨٥)، وكان في السرية حسان بن ثابت الانصاري، وأبلى عبد بن الجندى بلاء عظيما، وحين عادت السرية من ديار آل جفنة قام حسان بن ثابت وقال: «قد شهر مقام عبد في الجاهلية والاسلام، فلم أر رجلا أحزم ولا أحسن رأيا وتدبرا من عبد، وهو والله ممن وهب نفسه لله في يوم غارت صباحه وأظلم صباحه»^(٨٦). وقد سر ذلك أبا بكر الصديق وقال: «هو يا أبا الوليد كما ذكرت، والقول يقصر عن وصفه، والوصف يقصر عن فضله»^(٨٧).

ولم نسمع عن حركة ردة في عمان اللهم الا حركة ذكرها البلاذري (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) في فتوح البلدان، والطبري في تاريخه (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، وابن أعثم الكوفي في كتاب الفتوح (ت ٣١٤هـ / ٩٢٦م)، ومن أخذ عنهم مثل ابن الاثير (ت ٦٣٠/ ١٢٢٢م) في كتابه «الكامل في التاريخ». فيذكرون ان الازد ارتدت منها فرقة بقيادة لقيط بن مالك ذو التاج الأزدي وانحازت الى دبا. فوجه ابوبكر الصديق اليهم حذيفة بن محصن الغلفاني (أو حذيفة بن محصن البارقي) من الازد، وعكرمة بن ابي جهل بن هشام المخزومي، او عرفجه البارقي، فواقعا لقيطا ومن معه فقتلاه، وسببا من أهل دبا سببا بعثا به الى ابي بكر رحمه الله. وقيل ان لقيط بن مالك كان يسمى في الجاهلية الجندى، وألجا جيفرا وعبدا الى الجبال والبحر، وان جيفرا كتب الى ابي بكر يخبره بذلك ويطلب منه النصرة. وقد أمر ابوبكر الصديق قائديه أن يجدا في السير حتى يقدموا عمان، فاذا كانا قريبين منها كاتبا جيفرا وعبدا وعملا برأيهما. ومهما كان الامر فقد انتهت هذه الحركة، وأقبل وفد عمان الى المدينة لتوضيح وجهة نظر العمانيين في أصل هذه الحركة.

وحين وصل وفد عمان إلى المدينة، توفي ابوبكر الصديق، خليفة رسول الله، وتولى عمر بن الخطاب الخلافة، فأمر عمر برد سبب دبا بعد ان عنف حذيفة تعنيفا شديدا^(٨٨). وفي هذا المجال نشر هنا الى رأي العلامة العماني نورالدين أبي محمد عبدالله ابن حميد بن سلوم السالمي - وهو من علماء القرن الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي - فهو يقرر دائما ان المصادر العمانية هي الاصل الذي يجب ان نستند عليه في تاريخ عمان، وحين يتكلم عن قضية دبا وما قيل عن حركة الردة فيها يقول: «هذا حاصل قضية دبا من الكتب العمانية وهم أعرف بحالهم وبما عليه أواثلهم ولا يصح ما ذكره ابن الاثير في كامله»^(٨٩).

وفعلا تشير أقدم الروايات العمانية الى انه لم تحدث حركة ردة في عمان وتنفي ذلك نفيا قاطعا فيقول: الشيخ خلف بن زياد المتوفى سنة ١٣٤هـ / ٧٥١م في سيرته: (بلغنا أن أبا بكر بعث الى أهل عمان مصدقا يأخذ صدقات أموالهم وهم مقرون بالحكم كله فاعطوا الصدقة، غير ان امرأة من أهل دبا تشاجرت مع بعض المصدقين

فقرعها فاستغاثت ببعض أهلها، فنادت عند ذلك يا آل مالك، وكانت دعوة جاهلية يقال ان من دعا بها حل دمه حين يدعو بها، فاقتتلوا عند ذلك وظهر المصدقون عليهم فجاءهم حذيفة الغلفاني فسبى من قدر عليه من أهل دبا وقدم بهم الى المدينة ووصل وفد عمان الى المدينة، وقد توفي ابوبكر فرد عمر بن الخطاب عليهم السبي وأموالهم وأجاز المسلمين بما أصيب منهم بثلاثمائة^(٩٠). ونلاحظ ان هذا المؤرخ سابق لكل من البلاذري والطبري وابن الأثير وغيرهم، مما يجعله جديرا بالقبول والتصديق.

استقرار الأمور في عمان بعد حادثة دبا :

وعلى أية حال ، فقد استقرت الأمور في عمان وظلت السلطة فيها بيد آل الجلندی في عهد الخلفاء الراشدين رغم وجود معلومات تاريخية تؤكد أن الخلفيتين أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضوان الله عليهما قد عينا ولاية عمان. بيد أن الذي نود قوله في هذا المجال ان سلطات ابناء الجلندی لم تحدد، وظلت مصالحهم ونفوذهم بدون مساس، والظاهر ان تولية هؤلاء العمال كان من باب تأكيد حضور السلطة المركزية للدولة العربية الإسلامية في عمان، اذ ان دور الولاية كان مقتصرًا على جمع الصدقات وتعليم السنن ومبادئ الاسلام وتعاليمه، ثم التنسيق مع آل الجلندی والسلطة الإسلامية في المدينة وابداء الرأي والتشاور^(٩١).

وكان يكفي سلطة الاسلام المركزية استتباب الأوضاع السياسية في بلاد عمان بما يكفل لها توجيه الجهود نحو إعادة توحيد الدولة العربية الإسلامية، وتوجيه الطاقات نحو عمليات الفتوح في جبهات المشرق والشمال، وقد كان لأهل عمان دور مؤثر فيها. هذا والجدير بالذكر أن الخليفة أبا بكر الصديق رضي الله عنه قد ولي حذيفة بن محصن على عمان وقد استمر في صدر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعاونه بلال الأنصاري^(٩٢). وحدث تطور جذري في علاقة عمان بالسلطة المركزية الإسلامية عندما الحق الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ادارة عمان بإدارة البصرة فجعلها تابعة من الناحية العسكرية والسياسية لإدارة البصرة^(٩٣).

ويفسر هذا الاجراء بأن السلطة المركزية الإسلامية كانت بحاجة لتزويد الجبهة الشرقية بالمقاتلين دعما للجهاد العسكري العربي الإسلامي. ولم تتأثر سلطات آل الجلندی بهذا الاجراء اذ استمروا برسم سياستهم الإدارية والتجارية في عمان التي ظلت محتفظة بطابعها الخاص في ظل دولة الاسلام في العهد الراشدي.

وبناء عليه، فإن لحضور قبائل الأزد وقضاة وغيرهم من قبائل عمان الدور الفعال في عمليات الفتح في المشرق^(٩٤). فبعد انتصار المسلمين في معركة جلولاء، توجهت حملة عسكرية بقيادة عثمان بن أبي العاص بالمراكب نحو السواحل الشرقية من الخليج، وساهم في الحملة مقاتلون من قبائل الأزد ورأسب وعبد القيس، وانطلقت الحملة من جلفار الى جزيرة ابن كاوان وتم تحريرها من السيطرة الفارسية. وتمكن المسلمون من دحر القوات الفارسية في جزيرة القسم «قشم» وبذلك وسعوا من رقعة الدولة العربية الإسلامية^(٩٥).

وتجاهل المصادر الأساسية عن ذكر اسم لأحد الولاة التابعين للخلافة العربية الإسلامية في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ويبدو أن السلطة الإسلامية اكتفت بإدارة البصرة وبوجود آل الجلندی في عمان.

وشهدت عمان تعيين الوالي الحلو بن عوف الأزدي في عهد الخليفة علي بن أبي

طالب رضي الله عنه^(٩٦). وهذا التعيين يدل على احترام خصوصية عمان، طالما ظلت على ولائها لسلطة الدولة الإسلامية. هذا ولم تتأثر العلاقة السياسية بين هذه السلطة وعمان إبان الحرب الأهلية التي أعقبت مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وخلافة علي بن أبي طالب. فلم يكن لقيائل عمان دور في الفتنة ولا بمقتل الخلفاء، بل وجدت الإدارة في عمان نفسها طليقة أكثر من ذي قبل تجاه سلطة الدولة العربية الإسلامية^(٩٧).

اشترك عمان في الفتوحات الإسلامية :

امتدت الفتوح العربية الإسلامية الكبرى منذ وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢م) حتى أواخر العصر الأموي، أي مدة قرن وبعض القرن، وأصبحت الأراضي التي يسيطر عليها العرب تمتد إلى الهند والصين شرقاً، وإلى المحيط الأطلسي أو بحر الظلمات غرباً، ومن البحر الأسود والبحر المتوسط وجبال البرانس شمالاً إلى بحر العرب وصحاري السودان جنوباً. وانتشر الإسلام في بلاد كثيرة من المعمورة وفي مساحات أوسع بكثير من البلاد التي فتحها العرب وذلك بفضل المؤمنين المسلمين من العلماء والفقهاء والبدعة والتجار. وكان للعُمانيين دور كبير في نشر الإسلام في أماكن وصلها الفاتحون. لم يصلها الفاتحون.

وفيما يتعلق بالفتوحات الإسلامية الأولى فإن الدراسات العلمية التاريخية توضح الكثير عن مدى اشترك قبائل الأزدي العمانية في تلك الفتوحات، وعن تفرق واستقرار بعض قبائلها وبطونها في البلاد المختلفة وعن الميادين الرئيسية لجهد العُمانيين في البر والبحر أثناء تلك الفتوحات العظيمة، خاصة وأن العُمانيين عرفوا بالفضل في الجهاد بالنفس أو بالمال.

ومن الروايات التاريخية القليلة التي وصلتنا نعرف أن الخليفة عمر بن الخطاب طلب من والي عمان عثمان بن أبي العاص الثقفي، بعد وقعة جلولاء (١٦هـ/ ٦٣٧م) أن يقطع البحر لمحاربة كسرى فارس. فخرج معه ثلاثة آلاف محارب، أو ألفان وستمائة، أغلبهم من الأزدي، ومن جلفار^(٩٨) إلى جزيرة كاوان وفيها قائد العجم، فسالم القائد الفارسي عثمان بن أبي العاص ولم يقاتله.. ولما علم يزدجرد كسرى فارس بذلك، كتب إلى عظيم كرمان: «أن أقطع إلى جزيرة بني كاوان، فحل بين العرب الذين بها وبين اخوانهم». فقطع في ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف من هرمز إلى رأس القسم (واسمها جاش فعر بوها)، فلقى ابن أبي العاص في جزيرة القسم فتقاتلوا قتالا شديداً، فقتل الله شهرك وهزم المشركين. وقيل إن يزدجرد وجه شهرك (أو ابن الحمراء) إلى العرب في أربعين ألفاً من الأساورة^(٩٩)، وتم هذا النصر العربي على يد العُمانيين، كما كان قتل شهرك بيد العُمانيين.

ولا شك أن انتصار أهل عمان الحاسم على شهرك كان من أهم الأسباب التي قضت على تطورات الفرس في تطويق العرب من الجنوب أو من الشرق. وقد قضى هذا الانتصار العُماني على فرصة أخيرة للفرس لاستعادة ملكهم أو للانتصار على العرب. ولم تقتصر مجهودات العُمانيين على صد الهجمات الفارسية في الجبهة الجنوبية وإنما شاركوا في الفتوحات على الجبهات الأخرى ومنها الجهة العراقية، وبلغ من كثرة الأزدي العُمانيين في الفتوحات أن خصص لهم حي خاص بهم في البصرة بعد انشاء

المدينة في زمن عمر بن الخطاب، وبقي العمانيون يقومون بواجباتهم الدينية في الجهاد على مر العصور^(١٠٠).

كما بقي العمانيون يقومون بدور هام في الفتوحات بعد وفاة عمر بن الخطاب وتولى عثمان الخلافة وازدادت هجرات الأزد العمانيين في هذه الفترة الى العراق وخاصة البصرة التي أصبحت مركزا وعاصمة للولايات الشرقية في عهد الدولة الأموية، وكان لا بد أن تقوم علاقات سواء كانت علاقات سلمية أم غير سلمية بين عمان وبين هذه الدولة، فما هي قصة هذه العلاقات؟.

عُمان والدولة الأموية :

حين أطلت الفتنة بين المسلمين في زمن عثمان بن عفان، وحين قبل علي بن أبي طالب التحكيم بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، بدأت عمان تكون رأيا سياسيا مخالفا لما قامت عليه خلافة بني أمية ثم استقلت تماما عن الدولة الأموية وذلك منذ سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م بعد اجتماع الحكيم - عمرو بن العاص وعبدالله بن قيس أبي موسى الأشعري - وخلعهما عليا بن أبي طالب من خلافة المسلمين.

وتجمع المصادر والروايات التاريخية العمانية على القول بأنه بعدما وقعت الفتنة وافتقرت الأمة وصار الملك والسلطان إلى معاوية بن أبي سفيان، لم يكن لمعاوية شيء من الشأن أو السلطان في عمان^(١٠١) ذلك ان مركز السلطة المركزية للدولة العربية الاسلامية انتقل من الكوفة الى دمشق بعد تنازل الحسن بن علي رضي الله عنه عن الخلافة سنة ٤١هـ لصالح معاوية بن أبي سفيان. وكانت اهتمامات الخليفة الأموي في الدرجة الأساسية استتباب الأمن والاستقرار في أقاليم الدولة العربية الاسلامية الرئيسية ومن جملتها العراق حيث عهد لإدارة الكوفة للمغيرة بن شعبة الثقفي وجعل لولاية البصرة عبدالله بن عامر ثم عين زياد بن أبيه الثقفي عام ٤٥هـ / ٦٦٥م بدلا منه^(١٠٢).

ورغم هذه التطورات السياسية التي طرأت في سلطة الدولة العربية الاسلامية، إلا أن ادارة عمان ظلت تحت سيطرة آل الجندى اذ بقوا محافظين على استقلالهم الإداري وخاصة في صدر الدولة الأموية، ولعل انتقال مقر الحكم العربي الاسلامي من الكوفة الى دمشق قد جعل عمان أكثر استقلالا نظرا لبعدها الجغرافي، ومما يدل على ذلك أن السلطة المركزية الأموية لم تعين أي وال من جانبها على عمان^(١٠٣).

وعلى فرض أن آل الجندى رفضوا الانقياد للخلافة الأموية فإن الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان من القوة بحيث يستطيع أن يعيد الأمور السياسية الى ما كانت عليه بل وأكثر كما سيفعل الحجاج بن يوسف مستقبلا، سيما وأن ولاته في البصرة والكوفة قد تمكنوا من فرض النظام والأمن بقمع حركات المعارضة ضد الحكم الأموي^(١٠٤)، ولكن معاوية لم يفعل ولم يتعرض لعمان بسوء.

ومهما يكن من أمر، فقد بدأ الوضع السياسي يضطرب في الأقاليم خلال حكم يزيد بن معاوية (٦٠ - ٦٤هـ / ٦٧٩ - ٦٨٣م) وبدأت المعارضة تنشط في الحجاز والعراق عقب تنازل معاوية بن يزيد سنة ٦٤هـ عن دست الحكم وترك منصب الخلافة شاعرا، مما أفسح المجال للقوى السياسية في الدولة العربية الاسلامية أن تتصارع من أجل نيل الحكم^(١٠٥). ويعني هذا فقدان سيطرة السلطة المركزية للخلافة على الأقاليم الأطراف. وتأسيسا على ذلك، فقد ظهر على مسرح الأحداث نجدة بن عامر

الحنفي زعيم الخوارج الذي تمكن من السيطرة على البحرين وتطلع إلى مد نفوذه إلى عمان. وبغية تحقيق هدفه هذا، أرسل حملة عسكرية إلى عمان بقيادة عطية بن الأسود الحنفي... وكانت عمان أنثى تحت حكم عباد بن عبد بن الجندى يعاونه أبناءه سليمان وسعيد في تدبير أمور عمان السياسية والتجارية... تمكن عطية الحنفي من مفاجأة آل الجندى بقواته حيث تمكن من القضاء على عباد الجندى واستولى على عمان بالقوة وبهذا خرجت من قبضة السلطة العربية الإسلامية^(١٠٦).

ولم يكن اختيار المحكمة للبصرة والبحرين وعمان والأهواز ومناطق أخرى تقع في المغرب العربي دون حسابات وتقدير دقيق، ذلك لأن المحكمة قد تأكد لديهم بالتجربة المموسة أن لا طاقة لهم بتحدي السلطة المركزية الأموية بشكل مباشر، وإنما فضلوا تحاشي القوات الأموية بأسلوب المجابهة المباشرة واتبعوا أسلوب القتال المفاجيء، واختاروا الأقاليم البعيدة من مركز الدولة، وكثفوا نشاطاتهم في المناطق التي تتمتع بمميزات طبيعية تسهل عليهم عمليات المناورة العسكرية والأنقضاض.

ومن هذا المنطلق حرص الخوارج على ضم عمان إلى مناطق نفوذهم لما تتميز به من موقع جغرافي مهم وحصين... كما أن انشغال الدولة العربية في عهد مروان بن الحكم وابنه عبد الملك بن مروان من سنة (٦٤هـ / ٧٣هـ وحتى ٦٨٣م / ٩٦٢م) بالقضاء على حركات المعارضة الواحدة تلو الأخرى وبإعادة توحيد الدولة العربية الإسلامية قد هيا الظروف المناسبة للخوارج في الخليج العربي بالقيام بنشاطاتهم^(١٠٧).

والواقع أن أبناء الجندى كانوا يحصلون على تأييد شعبي كبير في عمان، وكانوا يتحينون الفرص للتخلص من تسلط الخوارج، وقد حانت الفرصة عندما قفل القائد الخارجي عطية الحنفي راجعا إلى البحرين تاركا وراءه كئاثب عنه أبا القاسم في إدارة شؤون عمان.

في هذه الظروف المواتية، انقض العُمانيون بقيادة آل الجندى على أبي القاسم وقضوا عليه وعلى قواته وخلصوا عمان من سيطرة الخوارج، وعينوا حاول القائد مرة أخرى استرجاع عمان إلى مناطق نفوذه ذلك لأنه وجد مقاومة شديدة من قبل أهل عمان وبذلك فشلت جهود الخوارج في السيطرة على هذا الجزء المهم من بلاد العرب^(١٠٨)، ولكن الحجاج بن يوسف الثقفي نجح في ذلك. والواقع أن تعيين الحجاج بن يوسف الثقفي كامير على العراق والمشرق الإسلامي سنة ٧٥هـ / ٦٩٤م من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان يعتبر نقطة تحول هامة في تاريخ العلاقات بين سلطة الدولة العربية المركزية، وعمان ذلك لأن توجه الحجاج بن يوسف السياسي كان نحو مركزية الحكم وجعل إدارة جميع الأقاليم التابعة له مرتبطة بإدارته المركزية بصورة مباشرة. ولذلك لا غرابة أن نجد الحجاج بن يوسف يضع عمان ضمن مخططه وجعلها تحت حكم إدارته المباشرة^(١٠٩).

ويذكر أحد المؤرخين المحدثين أن قبائل الأزد في عمان بقيادة سعيد وسليمان أبناء عباد بن عبد بن الجندى بن المستكبر قد أعلنوا المقاومة ضد سياسة الحجاج بن يوسف الثقفي^(١١٠). بيد أننا لم نجد تحديدا دقيقا لموقف أبناء الجندى، وهل كان هذا الموقف ضد سياسة الحجاج بن يوسف التي باتت تهدد نفوذهم في عمان، أم ضد سياسة الدولة الأموية والخليفة عبد الملك بن مروان.

ومن خلال الاطلاع على آراء المؤرخين العمانيين نجد أن معارضة أهل عمان للحكم الأموي كانت تعزي لسياسة الحجاج بن يوسف بشكل خاص، إذ يحملونه المسؤولية فيما حدث من مجابهة عسكرية بين القوات الأموية وأهل عمان^(١١١)، فقد وجد آل الجلندي في سياسة الحجاج بن يوسف تهديدا حقيقيا لمصالحهم وإشارة واضحة لزوال استقلاليتهم في إدارة عمان تلك الإدارة التي استمرت أكثر من ثمانين سنة في ظل الدولة العربية الإسلامية.

ويذكر مؤرخ محدث أن العمانيين كانوا قد رفضوا دفع الزكاة إلى السلطة المركزية للدولة الأموية منذ تسلم معاوية بن أبي سفيان للحكم، وظلوا على هذا الحال حتى خلافة عبد الملك بن مروان^(١١٢)، كما يضيف نفس المؤرخ في موضع آخر أن قبائل الأزدي في عمان قامت بثورة تزعمها سعيد وسليمان أبناء عباد بن عبد بن الجلندي بن المستكبر. ثم يشير إلى النزعة الاستقلالية التي حرص عليها آل الجلندي مستغلين التطورات السياسية التي مرت بها الدولة العربية الإسلامية منذ وصول معاوية بن أبي سفيان لدست الحكم إلى حد أنهم لم يعترفوا بخلافة معاوية بن أبي سفيان^(١١٣).

ولا شك أن مثل هذه الاستنتاجات قد استندت على مصادر عمانية وأخرى غير عمانية^(١١٤) رغم وجود مؤرخين عمانيين يرفضون بشكل حاسم فكرة نقض عمان لطاعة السلطة المركزية في العصر الأموي. ومهما يكمن من أمر، فإن النظر إلى قرار الحجاج بن يوسف بإنهاء استقلالية آل الجلندي بإدارة بلاد عمان، يجب أن يدخل ضمن نطاق التطورات السياسية والإدارية التي شهدتها الدولة العربية الإسلامية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، وخاصة بعد القضاء على حركات المعارضة وإعادة توحيد الدولة العربية الإسلامية. ذلك لأن السلطة المركزية العربية لم تعد تحتمل الصيغة القديمة في العلاقة التي كانت تربط عمان بالخلافة العربية الإسلامية، ومن خلال هذا المنظور يمكننا أن نفهم طبيعة الأحداث وأسبابها إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار السياق العام لسياسة الدولة الأموية في هذه الحقبة التاريخية على ضوء التطورات السياسية التي حتمت مثل هذه السياسة.

والواقع أن المصادر الأولية لاتسعنا بالمعلومات الوافية عن أسباب هذا التبدل في العلاقات والتي انتهت إلى الصدام العسكري.. فـالمعلومات شحيحة وقليلة ولا تساعدنا على معرفة كل الظروف والملايسات التي أدت إلى انتهاء صيغة العلاقة التي كانت سائدة في السابق بين عمان ومركز الخلافة. كما أن اهتمام المؤرخين القدماء بالأحداث التي تقع في مركز الدولة العربية الإسلامية والأقاليم الرئيسية هو أحد الأسباب في قلة المعلومات، إذ أن هؤلاء المؤرخين كانوا لا يذكرون من الحوادث إلا ما يتصل بمركز الحكم^(١١٥).

وعلى أية حال ، فإن تاريخ بدء الحملات العسكرية غير محدد، ولكن يرجح أن يكون تاريخ أول حملة عسكرية على عمان قبيل حركة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث ٨١ - ٨٣هـ / ٧٠٠ - ٧٠٢م، وقد كانت نتيجتها الفشل الذريع^(١١٦). والحال هذا فإن أول حملة عسكرية كانت عن طريق البحر وبقيادة القاسم بن شعوة المزني، وقد رست سفن هذه الحملة في ساحل حطاط فلاقته مقاومة شديدة من أهل عمان، واندرجت الحملة وقتل قائدها القاسم^(١١٧). وعندما وصلت أنباء الهزيمة للحجاج بن يوسف شعر بجديّة الموقف، فاتخذ جملة من الترتيبات العسكرية التي تؤمن له نجاح

حملاته في المستقبل.

وأول هذه الإجراءات هي تطويق وحجز قبائل الأزد الموجودة في البصرة، حتى لا تمت يد المساعدة إلى أزد عمان. والجزاء الثاني يكمن في إرسال حملتين عسكريتين نحو عمان. وقد ترأس أولى هاتين الحملتين مجاعة بن شعوة المزني وهو أخ القائد القاسم الذي لقي حتفه في الحملة الأولى، بلغ عدد المقاتلين أربعين ألفاً، وقسمت القوات إلى قسمين قوة تسلك طريق البر وأخرى تأخذ طريق البحر، وتم تجزئة القوات مناصفة، فكل قوة أصبحت عشرين ألف مقاتل^(١١٨). وجعل الحجاج بن يوسف كل المقاتلين من النزاريين الذين لا يمتون للأزد بصلة، كما استغل إعطاء القيادة لمجاعة فهو مدفوع نحو العمانيين لأنهم كانوا المسؤولين عن هلاك أخيه.

انطلقت القوات البرية والبحرية نحو عمان، وكتب الحجاج بن يوسف للخليفة عبد الملك بن مروان يحيطه علماً بأجراءاته العسكرية. المهم أن الحملة البرية وصلت قبل الحملة البحرية. وكان سليمان بن عباد الجندى على استعداد بمعظم قوات أهل عمان للتصدي للقوات الأموية حيث وقعت المجابهة عند منطقة الماء دون البلقعة وتقع الآن شرق فلج الشام من وادي بوشر بالقرب من مسقط، فدارت الدائرة على الجيش الأموي وحلت به الهزيمة^(١١٩).

ويبدو أن أبناء الجندى كانوا يعدون العدة لملاقاة الجيش البري الذي أرسله الحجاج بن يوسف ولم يحسبوا حساب القوة العسكرية القادمة من البحر والتي أنزلت قواتها في جلفار «رأس الخيمة» حالياً وكان يقودها مجاعة المزني في حين أننا نجهل اسم قائد الحملة البرية. بعدها وصل مجاعة المزني إلى بركاء الساحلية. وقد اضطر سعيد بن عباد الجندى أن يتصدى لهذه القوات الكبيرة رغم ضلّالة قواته واحتدم القتال في النهار حتى حلول الظلام بحيث استغل سعيد هذا الطرف فانسحب نحو الجبل الأخضر مع ذراريه وذري أخيه سليمان^(١٢٠).

عندما علم سليمان بنزول القوات الأموية عن طريق البحر، عمد إلى السفن الأموية وحرق أكثر من خمسين سفينة منها وانسحبت البقية بمن فيها من المقاتلة نحو البحر ثم إلى «جلفار»، بعد أن تمكن سليمان من هزيمة قوات مجاعة قرب سمائل^(١٢١).

ومن هناك كتب للحجاج يعلمه بظروفه العسكرية الصعبة، فأمده الحجاج بن يوسف بقوات جديدة تبلغ خمسة آلاف مقاتل. وتتكون هذه القوات من أهل الشام الذين سبق وأن استخدمهم الحجاج بن يوسف في قمع حركة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي^(١٢٢). وتؤكد رواية تاريخية بأن ابني الجندى سعيد وسليمان قد حوصرا في الجبل الأخضر، وأن كفة الصراع لم تكن في صالحهما، وذلك لتناقص إمكاناتهم العسكرية والبشرية، في حين أن إمكانات القوات الأموية كانت مستمرة في التصاعد. ويضاف إلى ذلك أن القوات الأموية تمكنت من الاستيلاء على مدن الساحل، وبذلك ضعفت روح المقاومة عند أبناء عمان. فقرر سعيد وسليمان أبناء عباد الجندى اللجوء إلى ساحل إفريقيا الشرقي في بلاد الزنج وتركوا عمان لقوات الحجاج بن يوسف، حيث أصبح لهم دور مشرف في نشر الإسلام في هذه الأصقاع^(١٢٣).

وبهذه فقدت عمان استقلالها وأصبحت مرتبطة مباشرة بالإدارة المركزية لولاية الحجاج بن يوسف في العراق. وعين الحجاج الخيار بن سبرة المجاشعي والياً على عمان. وظل الأمر على هذا الحال إلى أن توفي عبد الملك بن مروان وولى الدولة ابنه الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٥ م)، ولما توفي الحجاج بن يوسف الثقفي في سنة

٧١٤ هـ / ٧١٤ م ولى الوليد بن عبد الملك على العراق يزيد بن أبي مسلم، فبعث يزيد والياً جديداً على عُمان هو سيف بن الهاني الهمداني^(١٢٤).
 ويلاحظ أنه بعد أن تولى سليمان بن عبد الملك الدولة الأموية (٩٦ - ٩٩ هـ / ٧١٥ - ٧١٧ م) بدأت قبضة الأمويين تخف عن عُمان، وبدأ العمانيون يستعيدون استقلالهم الداخلي تدريجياً، فحين تولى سليمان بن عبد الملك، عزل العمال الذين كانوا على عُمان، وولى عليها صالح بن عبد الرحمن بن قيس الليثي، ثم رأى أن يكون عمال عُمان على ما كانوا عليه فردهم، وجعل صالح بن عبد الرحمن مشرفاً عليهم.
 ثم نرى سليمان بن عبد الملك يولي يزيد بن المهلب الأزدي على العراق وخراسان، فولى يزيد أخاه زياداً على عُمان. وتقول الروايات العمانية عن زياد «فلم يزل عاملاً عليها محسناً إلى أهلها حتى مات سليمان بن عبد الملك»^(١٢٥).
 وتضفي الرواية العمانية فتقول أنه لما تولى عمر بن عبدالعزيز الدولة الأموية (٩٩ - ١٠١ هـ / ٧١٧ - ٧٢٠ م)، ولى عدي بن أرطأه الفزاري على العراق، وولى عدي على عُمان عمالاً أساءوا السيرة فيها، فكتب العمانيون إلى عمر بن عبدالعزيز بذلك، فولى عليهم عمر بن عبدالله الأنصاري، فأحسن السيرة فيهم، ولم يزل والياً على عُمان محمداً بين أهلها، يستوفي الصدقات منهم بطيبة أنفسهم حتى وفاة عمر بن عبدالعزيز.
 ويبدو أن عُمان أصبحت تتمتع بدرجة كبيرة من الاستقلال الداخلي منذ حكم سليمان ابن عبد الملك، وحين توفي عمر بن عبدالعزيز، خرج واليها عمر بن عبدالله الأنصاري من عُمان، وقال لزياد بن المهلب: «هذه البلاد بلاد قومك فشأنك بها»، وفعلاً قام زياد بن المهلب بشؤون عُمان، حتى ظهر أبو العباس السفاح وصار ملك بني أمية إليه^(١٢٦)، وقامت على يديه الخلافة العباسية.
 وفي نفس العام الذي قامت فيه الخلافة العباسية قامت في عُمان أول إمارة إباضية على يد الجلندي بن مسعود بن جيفر بن الجلندي، وتحقق الاستقلال الكامل لعُمان عن الدولة العباسية الوليدة، ولم يكن ذلك إلا بفضل انتشار المذهب الإباضي في عُمان الذي اتخذ منه العمانيون وسيلة قوية للوقوف في وجه أي دولة تريد أن تبسط نفوذها على بلادهم، ولذلك كان من الواجب أن نبسط القول عن ظهور هذا المذهب في البصرة وعن وصوله إلى عُمان وبلاد اليمن، وكيف أثر في مجرى الأحداث التي جرت على أرض هذين البلدين وفي علاقاتهما بدولة بني أمية ثم بدولة بني العباس، وكيف وصل إلى شمال أفريقيا وأقام هناك دولة قوية كان لها فضل كبير في نشر الإسلام بين بربر الصحراء الكبرى وفي البلدان التي تقع خلف هذه الصحراء والتي تسمى عادة بلاد السودان الغربي والأوسط.

الفصل الثاني

آل المهلب العُمانيون

ودورهم السياسي والحربي حتى نهاية العصر الأموي

أصل المهالبة ودورهم في عصر الخلافة الراشدة :

ارتبط آل المهلب في تاريخهم الطويل بموطنهم الأصلي عمان، كما ارتبط اسم عمان بمعظم الانجازات المهمة، والأحداث الجليلة التي مر بها آل المهلب خلال فترة كفاحهم السياسي والحربي، فمنذ تحرك أبوصفرة والـد المهلب للمشاركة في الفتوحات الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، كان أهل عمان يمثلون فرقة من الجيش الإسلامي يقودها أبوصفرة، وأصبح لأهل عمان حي خاص في البصرة بعد تمصيرها، وبعد ذلك أصبحت يطلق عليها «بصرة المهلب» وأطلق على أهل البصرة «موالي المهلب» لشدة ارتباطهم بآل المهلب وأهل عمان. فمن هم المهالبة؟ ومن هو أبو صفرة؟

تنسب أسرة المهالبة إلى المهلب بن أبي صفرة، واسم أبي صفرة قاطع بن سارق بن ظالم^(١) الذي يرجع نسبه إلى قبائل الأزد اليمنية^(٢) التي هاجرت إلى عمان وكانت إحدى الهجرات اليمنية التي تفرقت في شبه الجزيرة العربية في أعقاب انهيارات سد مأرب ولأسباب أخرى ذكرها الرواة والنسابون، وكانت الأزد عند تفرقها أضيفت كل منها إلى شيء يميزها عن غيرها، فقبل أزد السراة وأزد شنوءة وأزد عمان... ومرجع الكل إلى الأزد المذكورة^(٣). ويروي النسابون العُمانيون أن أبا صفرة من أهل مدينة (أدم) من داخلية عمان، وأن آل بوسعيد في عمان ينتسبون إلى أبي سعيد المهلب بن أبي صفرة^(٤).

ويروي ابن حجر في الإصابة ما يوحى بأن أبا صفرة كان صحابيا والتقى بالرسول ﷺ وبأبيه على الإسلام، وأن رسول الله هو الذي أطلق عليه هذه التسمية «أبو صفرة» فيقول: «أن أبا صفرة قدم على رسول الله ﷺ على أن يبايعه وعليه حلة صفراء... فلما رآه... قال له من أنت. قال: أنا قاطع بن سارق بن ظالم... فقال له النبي: أنت أبو صفرة. دع عنك سارقا وظالما. فأعلن أبوصفرة إسلامه، وقال: ان لي ثمانية عشر ذكرا ورزقت بنتا سميتها صفرة، فقال النبي وأنت أبوصفرة»^(٥).

ويعترف ابن حجر بأن هذه الرواية فيها اختلاف، وأن بعض الروايات تنكر صحابة أبي صفرة ولقائه بالنبي. وفي رواية صاحب «الاستيعاب» أن أبا صفرة كان مسلما على عهد الرسول ﷺ ولم يفد عليه، ووفد على عمر بن الخطاب^(٦).

والروايتان السابقتان تحتاجان إلى وقفة لترتيب ما جاء فيهما طبقا لما ورد في المصادر العمانية التي تحت أيدينا. فاحتمالات أن يكون أبوصفرة قد ذهب للقاء الرسول ﷺ في المدينة ليعلن إسلامه بين يديه ممكنة. إذ تروي المصادر العمانية أن الإسلام قد عرف طريقه إلى عمان من وقت مبكر من ظهور الدعوة الإسلامية في

الحجازه وأن أول من اعتنق الاسلام في عمان هو مازن بن غضوبية من أهل سمائل الذي سافر الى المدينة والتقى بالنبي وأعلن اسلامه أمامه، وتبعه البعض في هذا الاتجاه^(٧)، ويروي ابن سعد في الطبقات ان وفودا من أهل عمان رحلت الى المدينة والتقت بالنبي ﷺ لإعلان اسلامها وكان ذلك قبل الفتح وطلبا من الرسول أن يرسل معهم من يعلمهم شؤون دينهم^(٨). وكان هذا قبل أن يبعث الرسول برسائله الى حاكمي عمان: عبد وجيقر ابني الجلندی يدعوهما فيها الى الاسلام^(٩). فاذا أضفنا الى هذا أن أبا صفرة كان مقدما في قومه أهل عمان وكان من أصحاب السيادة والزعامة... فلما أسلم زاد شرفه وقدمه قومه^(١٠) فاننا نرجح حدوث رحلته الى المدينة ولقائه بالرسول ﷺ كما جاء في رواية ابن حجر.

أما عن قول صاحب الاستيعاب بأن أبا صفرة لم يلتق بالرسول ﷺ وانما التقى بعمر بن الخطاب، فهذه الرواية ينقصها الدقة. فانه من المعروف ان أبا صفرة قد التقى بأبي بكر الصديق بعد توليه الخلافة الإسلامية، والروايات التي بين أيدينا تؤكد انه في أعقاب وفاة الرسول ﷺ عاد عمرو بن العاص من عمان - وكان واليا عليها منذ سنة ٨ هـ / الى المدينة، مصحوبا بوفد عماني يقدر بحوالي سبعين فارسا على رأسهم أحد حاكمي عمان وهو «عبد بن الجلندی»، وكان من بين أعضاء هذا الوفد أبو صفرة^(١١)، وكانت مهمة هذا الوفد مبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة. فكان عمرو بن العاص في رحلته «يلقي الناس مرتدين، وقدم على المسلمين بالمدينة فطافوا به يسألونه، فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا الى المدينة^(١٢)».

لذلك ما كاد الوفد العماني يصل الى المدينة حتى التقى بالخليفة أبي بكر، وتحدث أبوصفرة نيابة عن العمانيين فقدم اليه عمرو بن العاص سالما معافا، وقال: «هذه أمانة كانت في أيدينا وفي ذمتنا وديعة لرسول الله ﷺ فقد برئنا منها اليك، فقال أبو بكر جزاكم الله خيرا»^(١٣).

ويؤكد صاحب الأغاني هذه الرواية العمانية فيقول: «وفد ابن الجلندی في الأزدي، أزد عمان... فكان فيمن وفد منهم أبو صفرة.. فدخل الى عمر مع ابن الجلندی»^(١٤). ويبدو أن الوفد العماني كان قد التقى في أول الأمر مع عمر بن الخطاب ثم حدث اللقاء بعد ذلك مع الخليفة أبي بكر، لأن الروايات المتوفرة لا تذكر الا زيارة واحدة لابن الجلندی تلك التي ذكرناها والتي شارك فيها أبو صفرة.

ثم يأتي ذكر أبي صفرة كأحد القواد الذين شاركوا في الحملات الإسلامية على بلاد فارس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكان عمر قد أصدر تعليماته الى والي عمان في ذلك الوقت «عثمان بن أبي العاص الثقفي» بمراقبة تحركات الجيش الفارسي في الخليج، وأن يتصدى له عند الضرورة، ويبدو أن أبا صفرة كان على خيرة ودراية كبيرة بشؤون البحر والملاحة البحرية وموضع ثقة أهل عمان في هذا المجال، فعندما طلب عمر بن الخطاب من والي عمان أن يقطع الخليج بالسفن الى فارس طلب عثمان بن أبي العاص من أهل عمان أن يدلوه على من يشاؤره في أمر هذه الحملة البحرية، فاقترح عليه العمانيون أن يشاور أبا صفرة»^(١٥).

ونسب والي عمان المقاتلة فاجتمع له حوالي ثلاثة آلاف مقاتل معظمهم من أزد عمان، وكان من بين رجاله أبوصفرة وكان يقود قومه بني عمران^(١٦) وصحب أبوصفرة من ابنائه: النجف والمغيرة وحبيب^(١٧)، وتمكن عثمان بن أبي العاص بهذه

الحملة العمانية من هزيمة القوات الفارسية في الخليج واستولى على جزيرة ابن كاوان، وطارد الفرس حتى الضفة الشرقية للخليج وأوقع بهم الهزيمة في كرمان، وأظهر أبو صفرة وأبناؤه ورجاله شجاعة وبسالة خلال هذه المعارك (١٨).

واستمر أبو صفرة يشارك في المعارك التي خاضها المسلمون في الجبهة الفارسية في عهد عثمان بن عفان، فيروي ابن خلدون أن عثمان بن أبي العاص أرسل أخاه الحكم من البحرين إلى فارس في ألفين فسار إلى توج وعلى مجنبيه جارود العبدى وأبو صفرة والد المهلب، وكان كسرى أرسل أحد قواده ويدعى «شهرك» في الجنود للقائهم، فالتقوا بتوج وانتهى الأمر بهزيمة الفرس وقتل قائدهم «شهرك» وطاردهم المسلمون إلى سابور وحاصروها حتى خضع أهلها للصالح (١٩).

وبعد هذا الانتصار نزل أبو صفرة في توج واتخذها مقراً له مع أهله وجنده ولكنه انتقل بعد ذلك للإقامة في البصرة في خلافة عثمان بن عفان عندما رحب به واليها في ذلك الوقت عبدالله بن عامر (٢٠) وضم فرقة الأزدي بقيادة أبي صفرة إليه في البصرة (٢١).

وبعد وفاة عثمان بن عفان وتولي علي بن أبي طالب للخلافة وقيام الصراع بينه وبين معاوية بن أبي سفيان، التقى أبو صفرة بالخليفة علي بن أبي طالب في أعقاب موقعة الجمل في البصرة، ودار بينهما حوار يفهم منه أن أبا صفرة كان زعيماً لقبائل الأزدي في العراق في ذلك الوقت، لأن علياً عندما أظهر شكواه مما قاساه من قومه، قال له أبو صفرة: «والله يا أمير المؤمنين لو كنت حاضراً ما اختلف عليك منهم سيفان»، فطلب علي من أبي صفرة أن يأتيه بأحد أبنائهم ليعقد له لواء أمان للذين هربوا بعد موقعة الجمل، ليرجعوا إلى بلادهم، ورفض النجف بن أبي صفرة، أن تسند له هذه المهمة، لأنه كان خائفاً من نتائج موقعة الجمل، فوافق المهلب على القيام بهذا الدور فعددت راية الأمان للمهلب ورجع معظم الفارين إلى البصرة «وتيمن الناس بلواء المهلب» (٢٢).

ونحن لانعلم تاريخ وفاة أبي صفرة، إلا أنه توفي بالبصرة في ولاية عبدالله بن العباس لعلي بن أبي طالب، ويقال أنه توفي في المسيرة إلى صفين (٢٣) مما يرجح أن تكون وفاته حوالي سنة ٣٧ هـ.

المهالبة ودورهم في الفترة السفيانية (٤٠ - ٦٥ هـ) :

ليست هناك إشارة واضحة في المصادر التي بين أيدينا عن الشخص الذي تولى رئاسة أسرة أبي صفرة في أعقاب وفاته، ولكن الدلائل توحي بأن أهم الشخصيات في هذه الأسرة آنذاك كان ابنه المهلب، فرغم صغر سنه بالمقارنة بأخوته (٢٤) إلا أنه قد برز في مجال الحرب والفروسية، وعلت منزلته، فكان هو المرشح الأول لتولي زعامة الأسرة بعد وفاة أبي صفرة. ويرجح هذا ما ترويه المصادر عن مساهمته في غزو بلاد السند سنة ٤٤ هـ / ٦٦٤ م. وخاض خلال ذلك معركة عنيفة ضد جماعة من فرسان الأتراك، وتمكن ببراعة من أن يقضي عليهم جميعاً (٢٥)، وكان المهلب خلال هذه الفترة يقود جيشاً من أهله أزد عمان (٢٦) مما يشير إلى أنه قد خلف أباه أيضاً في قيادة ما كان تحت يده من جند عمان.

وفي رواية لليعقوبي أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى زياد بن أبيه واليه على الكوفة: ان قبلك رجلاً من أصحاب رسول الله فوله خراسان وهو الحكم بن عمرو الغفاري، فؤلاه زياد خراسان فغزا (هراة) وفتح (جرجان)، وكان يشاركه في المعارك المهلب بن أبي

صفوة (٢٧) الذي أظهر بأساً ومهارة في قتال العدو.. واستمر المهلب يجاهد في هذه الجبهة في المناطق الوعرة، ومع أشد العناصر السكانية قوة وضراوة في القتال. فعندما غزا الحكم بن عمرو الغفاري جبال الترك سنة ٤٧هـ / ٦٦٧م كان المهلب أحد قواد هذه الحملة، وفي مرحلة من المعارك وقع جيش الحكم في كمين للأتراك فأخذ عليهم الترك الشعب والطرق، وعندما تخرج موقف الحكم أسند القيادة إلى المهلب بن أبي صفرة، الذي تمكن عن طريق الحيلة والتدبير من أسر أحد زعماء الطرق، وسأوه على حياته في مقابل أن يدلهم على مخرج من الكمين، وتمكن عن طريقه من النجاة بجيشه وما يحمله من غنائم من الحصار الذي فرضه عليهم الترك^(٢٨). ويبدو أن ما أظهره المهلب بن أبي صفرة من مهارة قتالية وحسن التصرف وحكمة في المواقف العسبية، جعله أحد القادة المشهورين في حروب الجبهة الشرقية، فكان الولاة على خراسان يتمسكون بأن يكون في صحبتهم المهلب بن أبي صفرة، فعندما تحرك سعيد بن عثمان بن عفان سنة ٥٦هـ / ٦٧٥م لولاية إقليم خراسان كان من بين قواده المهلب بن أبي صفرة^(٢٩). وقد شارك المهلب في العديد من المعارك العنيفة في هذه الفترة وخاصة في غزو سمرقند، ويقال أن سعيد بن عثمان والمهلب قد فقثا عيناها خلال هذه المعارك^(٣٠).

وفي خلافة يزيد بن معاوية، ولّى على خراسان وسجستان سلمه بن زياد ٦١هـ / ٦٨٠م الذي خرج من الشام طالبا البصرة ليحمل معه أهله ولده، وليلعب أهل البصرة بولايته بلاد خراسان، ليخرج معه من أحب الجهاد، فخرج معه المهلب بن أبي صفرة وعدد من سادات البصرة وفرسانها^(٣١)، وزحفت جيوش سلمه بن زياد على بخاري، وكانت عليها ملكة تدعى «خاتون» فلما شعرت بالخطر، أعلنت رغبتها في الزواج من ملك الصفد على أن يأتي لتملك بخاري، والوقوف في وجه المسلمين، فاقبل ملك الصفد في مائة وعشرين ألف مقاتل، وأمام هذا العدد الضخم رأى سلمه أن يجعل على طليعة جيشه المهلب بن أبي صفرة، وبعد معارك عنيفة تمكن المهلب من إلحاق الهزيمة بجيش الترك وقتل ملك الصفد في المعركة^(٣٢).

استمر سلمة بن زياد والياً على خراسان، حتى وفاة يزيد بن معاوية في صفر سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م^(٣٣)، وأراد سلمة أن يكتسب خبر موته خوف الفتنة بين القبائل، ولكن الخبر زاع في الناس بعد فترة وكان خليفته معاوية الثاني، فدعا سلمة الناس إلى البيعة على الرضا حتى تستقيم أمور الناس على خليفة، فبإيعاده، ثم نكثوا بعد شهرين^(٣٤). فلما تازمت الأمور أمام سلمة بن زياد خرج من خراسان واستخلف عليها المهلب بن أبي صفرة، ولكن المهلب كان مدركاً لحقيقة الصراع القبلي المحتدم في خراسان وفي الشام، فلم يشأ أن يقحم نفسه في هذا الصراع، لاسيما أن معظم القبائل وخاصة القيسية لم تكن راضية عن اسناد ولاية خراسان إلى المهلب مما حدا بسلمة بن زياد لأن يكتب بولايته لعبدالله بن خازم السلمي حينما التقى به في نيسابور، وانسحب المهلب من خراسان في سلام حتى قبل أن يصلها والي الجديد^(٣٥).

آل المهلب وتصديهم للأزارقة في عهد سيطرة الزبيريين على العراق:

عاد المهلب من خراسان سنة ٦٤هـ / ٦٨٣م واستقر في مقره بالبصرة مع رجاله، ويبدو من الروايات التي بين أيدينا أن عبدالله بن الزبير كان يعرف قدر المهلب وأهمية

أن ينضم رجل مثله الى صفوفه، ونجح في أن يجذبه للقائه في مكة حيث تشاور الرجلان، فيروي ابن خلكان انه أثناء خلوة عبدالله بن الزبير بالمهلب يشاوره: «فدخل عليه عبدالله بن صفوان بن أمية بن خلف... فقال: من هذا الذي شغلك يا أمير المؤمنين يومك هذا؟ قال: أوما تعرفه؟ قال: لا، قال: هذا سيد أهل العراق، قال: فهو المهلب بن أبي صفرة» (٣٦).

ويبدو أن هذه المشاورات قد أسفرت عن اقناع عبدالله بن الزبير للمهلب بأن يتولى خراسان نائباً عنه، وكانت خراسان في ذلك الوقت مازالت في حالة اضطراب، فأقبل المهلب الى البصرة في طريقه الى خراسان سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م، وكانت شوكة الأزارقة بقيادة نافع بن الأزرق قد اشتدت على المدينة، مما اضطر أمير البصرة عبدالله بن الحارث الى محاولة صد الأزارقة عن مدينته، ودارت المعارك العنيفة بين الجانبين، ورغم مقتل زعيم الأزارقة سنة ٦٥هـ / ٦٨٤م، الا ان الحرب استمرت وكانت الغلبة فيها للأزارقة الذين تمكنوا من الاقتراب من البصرة وأصبحت قريبة المال، «فاتى أهلها إلى الأحنف بن قيس وسأله أن يتولى حربهم، فأشار عليهم بالمهلب بن أبي صفرة» (٣٧).

وفي هذه الأثناء كان المهلب قد قدم من قبل عبدالله بن الزبير حاملاً لتقليده بولاية خراسان، فخرج اليه أشراف أهل البصرة وكلموه في حرب الأزارقة (٣٨).

ولكن المهلب علق موافقته على حرب الأزارقة والتصدي لهذه المهمة الخطيرة بشروط، فقال: «والله ما أسير اليهم الا ان يجعلوا الى ما غلبت عليه، ويعطوني من بيت المال ما أقوى به من معي، فأجابوه الى ذلك» (٣٩) وكتبوا بذلك كتاباً وأرسلوه الى عبدالله بن الزبير فأضاهه (٤٠)، عندئذ بدأ المهلب في اعداد العدة لقتال الأزارقة، وتمكن من حشد جيش يقدر بحوالي اثني عشر ألفاً (٤١) معظمهم من قومه أزد عمان، ونظر في بيت مال البصرة فكان لايفي بحاجة الجند، فتفاوض المهلب مع تجار البصرة، وأوضح لهم ان تجارتهم قد كسدت لانقطاع مواد الاهواز وفارس، وتوقفت حركة التجارة لسيطرة الأزارقة على هذه المناطق، وسألهم معاونته بالمال، ووعدهم بأن يمكنهم من تجارتهم ويرد لهم حقوقهم، فاستجاب تجار البصرة، «وأخذ المهلب من المال ما يصلح به عسكريه» (٤٢).

وقد شارك آل المهلب منذ البداية في جيش المهلب الذي تحرك من البصرة سنة ٦٥هـ فكان على ميمنته ابنه يزيد وحبيب، وعلى ميسرته ابنه المغيرة وقبيصة، وعلى جناح ميمنته ابنه عبدالله، وعلى جناح ميسرته ابنه الفضل، وفي كمينه ابنه زياد ومروان، وبين يديه ابنه محمد وأخوه المعارك بن أبي صفرة (٤٣).

وكان على المهلب في بداية المعارك أن يزيح الأزارقة الذين يربطون على الضفة الشرقية لنهر الفرات، وأن يعيد الجسر الذي يربط الضفتين، ليتمكن من العبور بجيشه، فأرسل ابنه المغيرة في السفن، ونزل المغيرة على الضفة الشرقية للنهر وحارب الأزارقة فشغلهم وأزاحهم عن مواقعهم حتى تمكن المهلب من اعادة عقد الجسر وعبر بكامل جيشه مما اضطر الأزارقة الى الانسحاب، فنهى أصحابه عن اتباعهم (٤٤).

وكانت سياسة المهلب العسكرية في تعامله مع الأزارقة، تعتمد على التريث ودراسة الموقف بدقة، وعدم التسرع في الاشتباك أو خوض معارك قد تؤدي الى نتائج عكسية، فأقام المهلب في موقعه أربعين يوماً يجبي الخراج وينظم قواته، وأتت سياسته نتائجها في تقوية جيشه، وتقوية جسور الثقة بينه وبين أهل البصرة وخاصة التجار

«فقد مضى المهلب التجار وأعطى أصحابه، فأسرع اليه الناس رغبة في مجاهدة الأزارقة، ولمعنا في الغنائم والتجارات» (٤٥) حتى بلغ عدد قواته خلال هذه المدة ما يزيد على عشرين ألفاً (٤٦).

وتبع المهلب الأزارقة في حذر، وكانوا قد انسحبوا إلى الأهواز، ودارت معارك عنيفة في منطقة الأهواز وما حولها بين الطرفين، برز فيها آل المهلب الذين كانوا يخوضون المعارك بين جنودهم، وقتل خلال هذه الفترة «المبارك بن أبي صفرة» بالقرب من نهر تيري (٤٧)، ويبدو أن الأزارقة أرادوا أن يحسموا الموقف لصالحهم فتجمعوا بكل حشودهم وأسلحتهم ليخوضوا معركة فاصلة ضد المهلب، وكان تجمعهم في منطقة لي وسلبري بالأهواز (٤٨).

والتقى الجيشان في معركة قاسية، وكثف الأزارقة هجومهم على جيش المهلب حتى أحدثوا اضطراباً شديداً في صفوفه، وكادت الهزيمة أن تحيق بجيش المهلب، «وضرب المهلب على رأسه ضربة منكراً فسقط عن فرسه إلى الأرض وأحرق به بنوه فجعلوا يجامون عنه أشد المحاصرة...» (٤٩). واستغل الأزارقة الموقف لبث الرعب في جيش المهلب، فنادى مناديهم: «إلا أن المهلب قد قتل» (٥٠)، فكان لهذا النداء تأثيره على معنويات الجند، لولا أن تدارك المهلب الموقف وصعد إلى تل قريب من ميدان المعركة وأخذ ينادي في شباب الأزد وفتيان اليمد (٥١): «أميرونا جماجمكم ساعة من نهار» (٥٢)، «فشاب إليه جماعة من قومه أهل عمان» (٥٣)، فاجتمع إليه منهم نحو ثلاثة آلاف ساهم الطبري «سرية عمان» (٥٤).

وأراد المهلب أن يعوض قلة جيشه بالنسبة لجيش الأزارقة، فأمر أصحابه بالاستعداد للهجوم استغلالاً لفرصة مطاردة بعض فرسان الأزارقة للمنهمزمين من رجاله في اتجاه البصرة، وأمرهم أن يجهز كل رجل عشرة أحجار وأن يعد مخالي لهذه الحجارة، لمفاجأة الأزارقة بضربات الحجارة. في وقت الغفلة، فانها تصد الفارس وتصرع الراجل» (٥٥)، وزحف المهلب برجاله إلى الأزارقة، فما شعروا إلا والمهلب يهاجمهم والحجارة تستعرض وجوههم من كل جانب، ورجاله من أهل عمان يحيطون بهم ويعملون فيهم القتل، ولم يمض إلا وقت قصير حتى قتل زعيمهم «عبيد الله بن الماحوز»، وقتل أعداد كثيرة من الأزارقة، واستولى المهلب على معسكرهم وما فيه (٥٦).

وبعث الرسل إلى البصرة ليبشر أهلها بالنصر ويعلمهم بسلامته، وكتب كتاباً بذلك إلى والي البصرة، فقام الناس، وتراجع من كان قد هرب منهم خوف الأزارقة (٥٧)، وفي نفس الوقت فقد وضع المهلب كمائن من رجاله وفرسانه في طريق عودة الأزارقة الذين كانوا يطاردون فلول الجيش المنهمزم في اتجاه البصرة فأوقعوا بهم وقضوا على معظمهم إلا من فر منهم وكان ذلك سنة ٦٦ هـ / ٦٨٥ م (٥٨).

انسحب الأزارقة إلى كرمان وأصيبهان، وسيطر المهلب على إقليم الأهواز، وأقام بقية سنة ٦٦ هـ / ٦٨٥ م، يجبي الخراج ووزع الأرزاق على جنده، وجذب الرخاء والعطاء السخي أعداداً كثيرة من أهل البصرة، فأثبتهم المهلب في الديوان ورزقهم حتى بلغت جيوشه ثلاثين ألفاً (٥٩) وظل المهلب في موضعه بالأهواز مقيماً على حرب الأزارقة حتى عزل الحارث بن عبد الله عن ولاية البصرة ووليها مصعب بن الزبير من قبل أخيه سنة ٦٧ هـ / ٦٨٦ م (٦٠).

وعندما أقبل مصعب بعث إلى المهلب وهو على حرب الأزارقة رسالة يفهم منها التقدير الذي كان يحظى به آل المهلب بسبب جهودهم في صد خطر الأزارقة، وجاء

فيها: «فان الناس لو أعطوا كل انسان قدره لقدمت في العرب قاطبة غير مدافع.. فان طاعتك وحسن بلائك حتى بلغ بك عندنا كل الذي تحب، وما نرجو لك به من ثواب الله أجزل وأفضل، وأنت عندنا الامين، ولك بذلك عندنا الكرامة والفضيلة» (٦١). أراد مصعب بن الزبير مواجهة حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي في العراق لشدة خطرهما على ثورة الزبيريين.

وأدرك مصعب أهمية أن يتخلص من المختار حتى يصفو له العراق، وكان يرغب في أن يحشد لهذا الامر اعظم قواده، ومع علمه بخطورة الأزارقة على العراق، الا انه كان حريصا على وجود المهلب الى جانبه في صراعه مع المختار، فكتب مصعب كتابا الى المهلب يخبره بعزمه على المسير الى الكوفة لحرب المختار، ورغبته في أن يكون معه، وطلب منه أن يولي بعض أولاده حرب الأزارقة ويقبل اليه بالبصرة (٦٢).

قدم المهلب الى البصرة، «في تجمل عظيم ومال ورجال وعدد وجيش كثيف، ففرح به اهل البصرة» (٦٣)، ورحب مصعب بقدوم المهلب الى البصرة، وتأهب لقتال المختار وجعل على كل قبيلة من قبائل العرب رئيسا منها، فكان المهلب بن أبي صفرة على قبائل الأزد (٦٤) وتولى قيادة مسيرة الجيش (٦٥) وأبلى المهلب ورجاله بلاء حسنا في حربهم ضد المختار (٦٦) وتمكنت قوات مصعب بن الزبير بعد معارك عنيفة من التخلص من المختار الذي قتل أثناء القتال وسيطر مصعب على ما تحت يده من أملاك (٦٧).

وبعد أن تخلص مصعب بن الزبير من خطر المختار، كتب الى ابراهيم بن الأشتر يدعوه الى طاعته، فأقبل اليه بالطاعة، فولى مصعب المهلب بن أبي صفرة الأقاليم التي كان يسيطر عليها ابن الأشتر وهي الموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان وعزله عن حرب الأزارقة (٦٨) ووجه عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي على فارس، وأسند اليه هذه المهمة وأمر المهلب بالتوجه الى الموصل والجزيرة وأرمينية (٦٩).

ويبدو ان عمر بن عبيد الله كان مقتنعا بما قيل عن المهلب من اطالة أمد الحرب لجبي الأموال، وكان يظن انه يمكنه أن يحسم المعارك معهم وسار الى خراسان والتقى بالأزارقة قرب سابور، ولكنهم هزموه ووصلوا الى الأهواز، مما أغضب مصعب بن الزبير عليه، واضطر الى الخروج بنفسه لحماية البصرة من الوقوع في يدهم، فأتجهوا الى الكوفة، ولكن نائب مصعب عليها تمكن من ردهم فعادوا الى الري واستولوا عليها بعد قتل واليها يزيد بن الحارث، وأثناء ذلك قتل زعيم الأزارقة الزبير بن الماحوز فولوا عليهم قطرى بن الفجاءة الذي انسحب الى كرمان وجبي الأموال وأعاد تنظيم صفوفه، ثم أتجه الى الأهواز وحقق سلسلة من الانتصارات حتى أصبح يهدد البصرة، وكان عامل البصرة لمصعب بن الزبير سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م هو الحارث بن ابي ربيعة، فكتب له بخاطر الأزارقة على مدينته ونصحه بأن ليس لهم الا المهلب (٧٠).

أدرك مصعب بن الزبير الخطأ الذي وقع فيه عندما أرسل المهلب الى الموصل وعزله عن حرب الأزارقة، فاستدعاه من الموصل وأمره بقتال الخوارج والمسير اليهم، وأعاد الوضع على ما كان عليه بأن بعث ابراهيم بن الأشتر الى عمله، وجاء المهلب حتى قدم البصرة، وانتخب الناس، وسار بمن أحب ثم توجه نحو الأزارقة والتقى بهم في معارك عنيفة في منطقة «سولاف» فاقتتلوا بها ثمانية اشهر اشد قتال رآه الناس (٧١). استمر المهلب في صراعه ضد الأزارقة حتى سنة ٧١هـ / ٦٩٠م وفيها تحرك الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الى العراق لضمها الى حظيرة الدولة، واستطاع أن

ينتصر على مصعب ويقتله ويستولي على العراق، فبايعه المهلب فآقره عبد الملك بن مروان على الأهواز^(٧٢).

وهكذا انتقل ولاء المهلب بن أبي صفرة من الزبيريين إلى الأمويين في أعقاب مقتل مصعب بن الزبير، وسيطرة عبد الملك على العراق سنة ٧١هـ / ٦٩٠م، ويبدو أن المهلب قد أدرك اتجاه رياح التغيير وأن الظفر في النهاية سيكون للدولة الأموية، وقد حدث ما توقعه حيث قضى الأمويون على ثورة عبدالله بن الزبير بقتله في مكة سنة ٧٣هـ / ٦٩٢م^(٧٣).

قضاء المهلب على الأزارقة في عهد سيطرة الأمويين على العراق والمشرق:

ذكرنا أن المهلب بعد مبايعته لعبد الملك بن مروان، آقره الأخير على إقليم الأهواز وشكره على موقفه وأثنى عليه. وفي سنة ٧٢هـ / ٦٩١م استعمل عبد الملك على ولاية البصرة «خالد بن عبدالله بن أسيد» الذي يبادر إلى عزل المهلب عن حرب الأزارقة وأسند إليه خراج الأهواز، ولم يستمع إلى نصيحة وجوه أهل البصرة بأن يترك أمر حرب الأزارقة للمهلب لدرأيته وخبرته بهم، ولكن خالدًا كان قد حقد على المهلب لما وصل إليه من شهرة، ولما يتمتع به من تقدير الخليفة، وقال لمن حوله من بني عمومته: «يامعشر قريش.. والله لقد ذهب المهلب بحظ هذا المصر، وأمير المؤمنين يظن أن أحدا لا يقوم مقام المهلب»^(٧٤)، وبعث خالد أخاه عبدالعزيز بن عبدالله مكان المهلب على حرب الأزارقة^(٧٥)، على أمل أن يحوز بعض ما ناله آل المهلب من علو المكانة وتقدير الخليفة الأموي، ولكن قطري بن الفجاءة زعيم الأزارقة الجديد هزمه.

ولما وصل خبر هزيمة عبدالعزيز بن عبدالله إلى عبد الملك بن مروان غضب لهذا التصرف من جانب والي البصرة بعزله المهلب عن حرب الأزارقة، ووجه إليه كتابا عنيفا يؤكد مكانة المهلب العالية، وتقدير الخلافة الأموية لجهوده وحسن بلائه، وجاء في كتاب عبد الملك «... قبح الله رأيك حين تبعث أخاك إعرابيا من أهل مكة على القتال، وتدع المهلب يجبي الخراج، وهو الميمون النقيبة، الحسن السياسة، البصير بالحرب، المقاسي لها، ابنها وابن ابنائها، أنظر أن تنهض بالناس حتى تستقبلهم بالأهواز، وقد بعثت إلى بثر بالكوفة^(٧٦) أن يمدك بجيش، فسر معهم ولا تعمل في عدوك برأي حتى يحضره المهلب والسلام»^(٧٧)، ولما رأى الأزارقة تجمع جيوش الكوفة والبصرة وزحفها إليهم انسحبوا إلى عمق فارس، فأرسل خالد صاحب ميسرته في أثرهم وعاد هو إلى البصرة وأقام المهلب في الأهواز^(٧٨).

وفي سنة ٧٤هـ / ٦٩٣م أمر عبد الملك أخاه بشرا — وكان قد أضاف إليه ولاية البصرة مع الكوفة — أن يكلف المهلب بمحاربة الأزارقة، وأن يترك له حرية اختيار من يشاء من أهل البصرة، وأن يتركه في الحرب ورأيه وحذره من أن يقع فيما وقع فيه خالد بن عبدالله من قبل، وهدده بالعزل أن فعل ذلك^(٧٩).

فاستدعى بشر المهلب، وقرأ عليه كتاب عبد الملك بن مروان بتكليفه بحرب الأزارقة وأعطاه حرية أن يختار من يشاء من الرجال، فأسند المهلب مهمة اختيار الجند إلى أحد أقاربه وهو جديع بن سعيد الأزدي — خال ابنه يزيد — وأمره أن يأتي الديوان فيختار الناس^(٨٠).

خرج المهلب من البصرة في عشرة آلاف رجل من قومه (أزد عمان) وثمانية آلاف

من أخلاط القبائل، ودخل المهلب بجيوشه الأهواز بعد أن رحل عنها الأزارقة إلى أرض سابور بفارس لينظموا صفوفهم استعداداً لجولة جديدة من المعارك مع المهلب الذي أقام في الأهواز عدة أيام ثم رحل حتى نزل بمدينة رامهرمز في جموعه^(٨١).

وكان المهلب عندما وصل إلى رامهرمز والتقى بالأزارقة، أقام خندقاً حول معسكره وتحزز من مفاجآت الأزارقة التي خبرها لطول عهدهم بهم، وأقبل جيش الكوفة بقيادة عبدالرحمن بن مخنف فنزل بالقرب من معسكره، ولم تمض عشرة أيام حتى جاء إلى رامهرمز خبر وفاة بشر بن مروان في البصرة سنة ٧٤هـ / ٦٩٣م^(٨٢).

وعندما بلغ جند البصرة والكوفة خبر موت بشر بن مروان لم يستقروا في مواقعهم لتحقيق الهدف الذي جاءوا من أجله إلى رامهرمز، فانسحب عدد كبير منهم.

وكان ذلك من العوامل التي جعلت عبدالملك بن مروان يبحث عن رجل قوي يتولى شئون العراق، ويقبض على زمام الأمور بيد من حديد، ويعيد هيبة الخلافة بين المتحدين وبين الأزارقة الذين عاثوا فساداً في أقاليم الدولة الشرقية، فلما تولى الحجاج بن يوسف الثقفي أمر العراق سنة ٧٥هـ / ٦٩٤م، كان من أول مهامه إرسال البعوث إلى المهلب، ورد هؤلاء الذين تمردوا على قيادتهم، وتركوا الحرب دون مبرر، وجاء في خطاب الحجاج المشهور الذي ألقاه في الناس من على منبر الكوفة قوله: «... قد بلغني رفضكم المهلب، وأقبلكم على مصركم عصاة مخالفين، واني أقسم لكم بالله لا أجد أحداً بعد ثلاثة أيام إلا ضربت عنقه، وأنهيت داره»^(٨٣).

واتبع الحجاج حملته العنيفة في الكوفة بحملة مماثلة في البصرة، وتوعد العصاة من جند المهلب، وأمهلهم ثلاثة أيام، فسارع العسكر للالتحاق بفرقتهم^(٨٤).

وكتب الحجاج إلى المهلب يقره على حرب الأزارقة، ويعلن ثقته فيه ومن مقدرته على تولي هذه المهمة الخطيرة، وحاجته إليه عن رغبة واقتناع، وجاء في كتابه: «... فإن بشر بن مروان وجهك إلى الحرب التي للأزارقة وكان مستكراً لنفسه فيك، وأنا أريدك لحاجتي إليك، فأبشر وقر عيناً، وأثبت على حرب القوم»^(٨٥). كما اعترف الحجاج للمهلب بشرطه الذي اشترطه على أهل البصرة قبل بداية حرب الأزارقة سنة ٦٥هـ بأن يكون له خراج ما غلب عليه من البلاد، «فكانت الأموال تنتقل إليه من أرض فارس في البدر (يكسر الباء وفتح الدال، وهي صر المال) مكتوب عليها: هذا ما أطعم الله المهلب ابن أبي صفرة مما غلب عليه من بلاد الله، يحمله إلى قومه من الأزد لا يعترض عليه معترض»^(٨٦).

ونلاحظ في هذه المرحلة من القتال مع الأزارقة أن قيادة الجيوش التي كانت في رامهرمز لم تكن واحدة - رغم أوامر الحجاج للمهلب وإقراره على حرب الأزارقة، فكان أهل البصرة يقودهم المهلب، وأهل الكوفة يقودهم عبدالرحمن بن مخنف. وفي البداية نجحت جيوش الحجاج في أجلاء الأزارقة عن رامهرمز «من غير قتال شديد»^(٨٧) حسب رواية الطبري، ويبدو أن هذه كانت سياسة الأزارقة عندما يشعرون بقوة حشد جيوش الخلافة وخطورة المواجهة، فتراجعوا إلى سابور، ونزلوا مدينة كارزون^(٨٨) لتنظيم صفوفهم وتبعهم المهلب وعبدالرحمن بن مخنف وكان ذلك في رمضان سنة ٧٥هـ / ٦٩٤م، ودارت بين الجانبين معارك عنيفة قتل فيها أعداد كبيرة من الجانبين، وقتل خلال ذلك عبدالرحمن بن مخنف وصمد المهلب برجاله في وجه الأزارقة^(٨٩).

بعث الحجاج بعتاب بن ورقاء خلفا لابن مخنف لقيادة اهل الكوفة، وأراد ان يتفادى ما حدث لابن مخنف عندما لم يستمع الى مشورة المهلب بأن يخذل على نفسه ويحذر مباغاة الأزارقة، فكانت أوامر الحجاج الى عتاب واضحة، فإذا دارت المعارك فقلبه ان يستمع الى المهلب ويطيع، فساءه ذلك، ولكنه لم يجد بدا من الاذعان والطاعة^(٩٠).

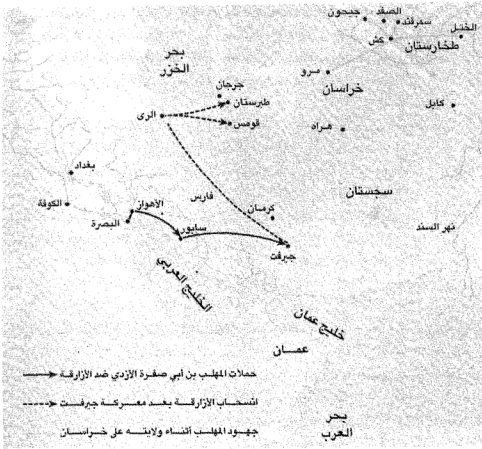
ولعبت العصبية القبلية بعقول القادة، فعتاب كان حاقدا على المهلب ويأنف من العمل تحت قيادته، مما أثار الخلافات بين الرجلين وكاد ان يحدث بينهما اشتباك في مجلس المهلب، ورفع المهلب القضيب ليضرب عتاب لولا ان حجز بينهما المغيرة بن المهلب^(٩١)، وأدرك الحجاج متأخرا خطر وجود قائدين متنافسين في مواجهة الخوارج، واستغل فرصة شكوى عتاب من المهلب فأمر عتابا بالعودة الى الكوفة، فقام المهلب باسناد قيادة ما تحت امرة عتاب الى ابنه حبيب^(٩٢).

وهكذا توحدت قيادة الحرب ضد الأزارقة وأصبحت بيد آل المهلب وتمكن المهلب في هذه المرحلة من الصراع ان يوجه ضربات عنيفة الى الأزارقة في فارس وكرمان واستمر المهلب يناجزهم ثمانية عشر شهرا دون حسم^(٩٣)، ولكنه تمكن من تضيق مواردهم باستيلائه على معظم اقليم فارس وحجب ما كانوا يحصلون عليه من هذا الاقليم الغني^(٩٤)، وخلال هذه الفترة كان الحجاج يتابع معارك المهلب وبنيه ضد الأزارقة، وبحث على الاسراع في حسمها، وظن انه يطيل أمد الحرب حتى يجبي أكبر قدر من الأموال، وأرسل اليه كتابا بهذا المعنى، ورد المهلب على الحجاج بأنه يتحين الفرص لتحقيق النصر النهائي على الأزارقة وأنه لن يتم له ذلك الا في ثلاثة أحوال: موت زعيم الأزارقة قطري بن الفجاءة، أو وقوع الفرقة والاختلاف فيما بينهم، أو محاصرتهم حتى يقتلهم الجوع^(٩٥)، ولكن الحجاج لم يقتنع بهذه المبررات التي ساقها المهلب وظل يطارده بكتبه ورسله لانهاء الحرب مع الأزارقة.

وقد شهدت هذه المرحلة أعنى المعارك بين آل المهلب من جهة وبين الأزارقة من جهة أخرى، ومن تتبع سير هذه المعارك التي جاءت بتفاصيلها المصادر المختلفة، يمكننا ان نلاحظ العبقورية العسكرية والشجاعة النادرة التي كان يتمتع بها المهلب وأسرته ورجاله الذين كانوا يقودون الفرق ويخوضون المعارك الجانبية تحت قيادته، وكان يعمل تحت امرته عدد كبير من رجال وطنه «أهل عمان»^(٩٦)، الذين كانوا يشكلون «سرية عمان»^(٩٧) في جيشه.

ظل المهلب يطارد الأزارقة ويطردهم من مدينة الى أخرى ومن موقع إلى آخر مستعملا معهم أسلوب الهجوم المفاجيء أحيانا، وتلقى الصدمة والدفاع أحيانا أخرى، والتريث وعدم الاشتباك^(٩٨)، وكان المهلب ينصح أبناءه قائلا: «لا تبدؤوهم بقتال حتى يبدؤوكم فيغيغوا عليكم، فانهم اذا بغوا نصرتم عليهم»^(٩٩)، وكان ينهاهم عن مطاردتهم اذا ولوا الأديار منهزمين، وقد نهى ابنه المغيرة عن مطاردتهم وهم جرحى «فان الكلب اذا جرحته عقر»^(١٠٠)

كان آل المهلب يفخرون بانتمائهم الى أزد عمان، وكانوا في المواقف الخطيرة التي تحتاج الى تكاتف وتضحية يلجأون اليهم لتأكيدهم من ولائهم وحسن بلائهم، فعندما تصدى عطية بن الاسود في فرسان الأزارقة في إحدى المعارك للمهلب، أسند المهلب مهمة قتاله الى ابنه يزيد وقال له: «يا بني هذا عطية بن الاسود قد أقبل في فرسان



آل المهلب وبنوهم في القضاء على الأزارقة

الأزارقة، فأخرج اليه في اخوانك الذين تثق بهم من الاقدام على المكروه» فما كان من يزيد الا أن نادى «من فرسان الازد فاجتمعوا اليه من كل أوب» (١٠١) استمرت المعارك في الفترة من سنة ٧٥هـ / ٦٩٤م الى سنة ٧٧هـ / ٦٩٦م ما يقرب من ثمانية عشر شهرا دون هوادة حتى وقع الاختلاف بين الأزارقة (١٠٢) وانقسموا على أنفسهم في عام ٧٧هـ / ٦٩٦م، ولما بلغ المهلب ما حل بهم من الاختلاف قال لاصحابه: «أبشروا بهذا الذي كنت أرجوه من هؤلاء الخوارج وقد أذن الله في هلاكهم ويوارهم» (١٠٣) ويبدو أن المهلب عندما علم بأمر الخلاف بين الأزارقة أراد تعميقه بما قام به من مؤامرات، وكيفما كان الامر فإن المهلب كان يرقب الموقف بين فرق الأزارقة المتنازعة بحذر شديد، ولم يتسرع بالتدخل ضدهم رغم تنازعهم (١٠٤) وكان يدرك أن تدخله في هذا الوقت قد يكون سببا في جمع كلمتهم وانتظر حتى انتهت الاشتباكات بينهم وتفرقت جموعهم، ففريق بزعماء قطرى بن الفجاء وتقدر حشوده بحوالي عشرة آلاف (١٠٥)، اتجه بهم قطرى الى مدينة جيزفت إحدى مدن كرمان، وفريق بزعماء عبد ربه الكبير وكان يقود سبعة آلاف، وفريق ثالث بقيادة عبد ربه الصغير في أربعة آلاف، وكان كل فريق منهم يرغب في حرب المهلب ليظهر أمام الناس صبره وجهاده وأنه أفضل من غيره (١٠٦) حاصر المهلب مدينة جيزفت وبها قطرى ورجاله حصارا شديدا وساءت الاحوال داخل المدينة المحاصرة حتى اضطر قطرى الى الخروج من الحصار ومواجهة مصيره في صدام مع جيش المهلب، ويبدو أن عبد ربه الصغير قد ساء ما آل اليه حال قطرى فجاء لمساندته بأربعة آلاف من الأزارقة، فأسند المهلب الى ابنه يزيد مهمة

التصدي له وإبعاده عن الاشتراك في الحرب بجانب قطرى، وتمكن يزيد من أن يقتل بعيد ربه الصغير وبقتله في معظم أصحابه وظفر بمعسكرهم وحوى ما فيه (١٠٧) وفي نفس الوقت استولى المهلب على مدينة جيرفت (١٠٨) بعد أن انسحب منها قطرى دون قتال هاربا من الصدام مع المهلب حتى وصل مدينة الري ومعه عبيدة بن هلال ومن تبعه من الأزارقة، وعند الري افترقوا فتوجه قطرى إلى ناحية طبرستان (١٠٩) ومضى عبيدة بن خلال في نفر من أصحابه إلى مدينة قومس (١١٠) وكانت المعركة الحاسمة في هذا الصراع مع الأزارقة حول مدينة جيرفت، وقد حشد عبد ربه الكبير لهذه المعركة كل ما يستطيع حشده من الرجال وحملهم على الانتقام من المهلب الذي استولى على جيرفت واحتوى على غنائم أصحابهم وبني أعمامهم. وكعادة المهلب في صراعه الطويل مع الأزارقة، كان يعرف كيف يتعامل معهم بأسلوب القائد المحنك الذي خبر عدوه وأدرك نواياه، فما كاد يبلغه خبر قدوم الأزارقة إلى جيرفت حتى أمر أصحابه بالرحيل عن المدينة، وخرج منها كالمنهزم، وأقبل عبد ربه في الأزارقة وقد بلغه خروج المهلب، فظن أنه قد انهزم بين يديه ودخل برجاله إلى الكمين الذي أعده له المهلب وضرب الحصار على نفسه، فما كاد عبد ربه يدخل جيرفت حتى عاد المهلب بكل حشوده فحصره داخلها، ووضع في نفس الموقف الذي كان فيه قطرى منذ قليل، وأمر المهلب أصحابه بعدم الاشتباك معهم في قتال.. واشتد الحصار على الأزارقة حتى اضطروا إلى الخروج (١١١) وغيا المهلب أصحابه في كتابات، وجعل على كل كتيبة رجلا من أولاده، وقال لهم: «انما أقاتل الله، وأنتم تقاتلون الله وعن أبيكم، وتذبون عن دين الله... وليس أحد أولى بحريهم منكم فقاتلوا واصبروا... واعلموا انكم لا تملكون رقاب الناس، وانما تملكون طاعتهم» (١١٢). ودارت معركة عنيفة حول جيرفت اشتد فيها القتل حتى عقرت الخيل وكسر السلاح وقتل الفرسان، وعندما أدرك عبد ربه النهاية نزل عن فرسه وكسر جفن سيفه وتبعه أصحابه، وجمع المهلب أولاده وأبطال قومه وحملوا عليهم وعظم الخطب حتى قال المهلب: ما من بي يوم مثل هذا (١١٣)، وأسفرت المعركة عن هزيمة مدمرة للأزارقة قتل فيها عبد ربه الكبير وقتل معه ما يقرب من أربعة آلاف من أصحابه حتى سالت دماؤهم إلى وادي جيرفت فاحمر ماء الوادي (١١٤) ولم ينج منهم إلا القليل فولى بعضهم هاربين واستأمن بعضهم المهلب فأمنهم.

ودخل المهلب مدينة جيرفت بعد النصر فاستولى على ما كان فيها من أمتعة الأزارقة وأموالهم ونسائهم وأولادهم، وسبى لأنهم كانوا يسبون المسلمين (١١٥) وبعد هذه المعركة الفاصلة، تم مطاردة قطرى بن الفجاءة حتى قتل في نفس السنة (٧٧هـ/ ٦٩٦م) في شعب من شعاب طبرستان، كما قتل عبيدة بن هلال في قصر تحصن به بقومس (١١٦) وانتهى بهذا خطر الأزارقة على الدولة الأموية بعد صراع عنيف قاد معظم مراحل آل المهلب.

أرسل المهلب إلى الحجاج مبشرا بالنصر على الأزارقة، فلما دخل البشير مجلس الحجاج، سألته عما كان عليه حالهم في حرب الأزارقة، وطلب منه أن يخبره عن آل المهلب، فقال له: «المغيرة فارسهم وسيدهم، وكفى بيزيد فارسا شجاعا، وجوادهم وسخيهم قبيصة، ولا يستحي الشجاع أن يفر من مدرك، وعبد الملك سم نافع، وحبيب موت زعاف، ومحمد ليث غاب، وكفكح بأفضل نجدة، قال الحجاج: فأيهم كان أنجذ؟

قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها» (١١٧) فاستحسن الحجاج ما قاله الرجل في آل المهلب، وكتب الى المهلب يشكره على جهوده، ويعتذر إليه عما بدر منه أثناء المعارك من استبطائه في حرب الأزارقة (١١٨) وأمره أن يولي كرمان من يثق به من أبنائه ويقدم عليه في أسرع وقت في آل بيته وفرسانه ولا يتخلف منهم أحد، فلما قدم المهلب على الحجاج أظهر أكرامه وبره، وقال: «يا أهل العراق أنتم عبيد المهلب» (١١٩)، وطلب منه أن يعرض عليه فرسانه الذين خاضوا المعارك الطاحنة وأبلوا في قتال الأزارقة، وأن يصف له بلاءهم.

فأخذ الحجاج لا يذكر له المهلب رجلا من أصحابه ببلاء حسن الا صدقه بذلك، فأكرمهم وأحسن العطاء لهم وزاد فيه ثم قال: هؤلاء أصحاب الفعّال وأحق بالأموال، هؤلاء أصحاب الثغور وغيظ الأعداء (١٢٠).

وأراد الحجاج أن يجيز المهلب ويكرمه، فولاه على خراسان، وعلى ذلك فقد كانت ولاية خراسان هي الجائزة التي حصل عليها المهلب بن أبي صفرة تقديرا لجهوده وبلائه في القضاء على الأزارقة، ففي سنة ٨٧هـ / ٦٩٧م عزل عبدالملك بن مروان، أمية بن عبدالله بن خالد عن خراسان وسجستان، وكان مستقلا في ولايته عن الحجاج، وضمهما الى أعمال الحجاج (١٢١) فأُسند الحجاج ولاية خراسان الى المهلب. ويبدو أن المهلب كان حريصا على البقاء في البصرة للراحة بعد العناء الذي بذله في قتال الأزارقة، فبعث ابنه حبيبا نائبا عنه الى خراسان، فوافق الحجاج وقام بوداع حبيب بنفسه ووصله بعشرة آلاف درهم، وظل حبيب مقبما في خراسان مدة عشرة أشهر حتى لحق به المهلب في سنة ٧٩هـ / ٦٩٨م (١٢٢).

ونلاحظ أن المهلب في فترة ولايته على خراسان (٧٨-٨٢هـ / ٦٩٧-٧٠١م) لم يركن الى الدعة والراحة، واستمر في نشاطه العسكري، وظل مع بنيهِ يقاتلون في هذه الجبهة قتالا مستمرا ضد أعداء الاسلام، ويعملون لاختضاع البلاد لسيطرة الدولة الأموية «فخيل له بسمرقند وأخرى ببخارى، وأخرى بطخارستان.. وكلما فتح فتحا اخرج من ذلك الخمس فوجه به الى الحجاج، وقسم باقي الفبي في أصحابه، وفرح أهل خراسان بولاية المهلب عليهم فرحا شديدا» (١٢٣) لما حازه من شرف الجهاد في سبيل الله، وما حصلوا عليه من الغنائم.

كانت حركة المهلب بن أبي صفرة للغزو والجهاد في سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م عندما تحرك برجاله شرقا، وقطع نهر بلخ، ونزل على كش (وهي قرية من قرى جرجان) (١٢٤) وهناك وفد عليه ابن عم ملك الختل (١٢٥) الذي كان على خلاف مع الملك وحرص المهلب على فتح هذه البلاد، فوجه معه المهلب ابنه يزيد، وتم حصار الختل والاستيلاء عليها، وانسحب يزيد عنها بعد أن صالح أهلها على فدية حملت اليه (١٢٦) كما وجه المهلب ابنه حبيبا الى بخارى في جيش كبير يقدر بحوالي أربعين ألف رجل، وأوقع الهزائم بأهل بخارى، وأخضعهم، ورجع حبيب الى أبيه في مدينة كش (١٢٧)، وكان المهلب قد اتخذها مقرا له لتحريك قواته في الفتوحات المختلفة، وأقام المهلب بكش يضبط الأمور ويجبي الخراج ولم يستجب الى الآراء المتهورة التي كان أصحابها يطمعون في الغزو من أجل المزيد من الأموال، فعندما قيل له: لو تقدمت إلى الصغد وما وراء ذلك، قال: ليت حظي من هذه الغزوة سلامة هذه الجند وعودتهم إلى مرو سالمين» (١٢٨).

وفي تلك الفترة قامت ثورة ابن الأشعث الكندي ضد الحجاج وضد بني أمية، وحاول ابن الأشعث أن يستميل إليه المهلب بن أبي صفرة والي خراسان، ولكن المهلب رفض الاستجابة للفتنة، وكتب إلى ابن الأشعث كتاباً يوضح سياسته ومنهجه في التعامل مع السلطة الشرعية، وجاء في كتابه: «أما بعد، فإنك وضعت رجلك يا ابن محمد من غرر طويل الغي على أمة محمد ﷺ، الله فانظر لنفسك لاتهلكها، ودماء المسلمين فلا تسفكها، والجماعة فلا تفرقها، والبيعة فلا تنكثها...» (١٢٩).

وظل المهلب مقيماً على ولائه وإخلاصه لبني أمية حتى نكب في رجب سنة ٨٢هـ / ٧٠١م بوفاة ابنه المغيرة، فحزن عليه حزناً شديداً، وكان المغيرة نائباً عن أبيه في مرو، فلما بلغه خبر وفاته وهو مقيم بكش أرسل ابنه يزيد إلى مرو ليتولى مراسم دفن أخيه، وجعل يوصيه بما يفعل ودموعه تنحدر على لحيته (١٣٠)، وبعد أن نظم الأوضاع في كش، تركها متوجهاً إلى مرو وفي طريقه أصيب المهلب بمرض شعر معه بدنو أجله، فجمع أولاده، وأعلن استخلافه لابنه يزيد عليهم، وأمرهم بعدم مخالفته، فقال له ابنه الفضل: لو لم تقدمه لقدمناه (١٣١)، وأحضر سهاما فحزمت، وقال: انكسرونها مجتعة؟ قالوا: لا، قال: افتكسرونها متفرقة؟ قالوا: نعم، قال: فهكذا الجماعة..

وأوصى المهلب أبناءه قبيل وفاته وصية أوردتها معظم مصادر التاريخ، ثم توفي المهلب بمرو الرزن، ودفن فيها، وصلّى عليه ابنه حبيب وكانت وفاته في ذي الحجة سنة ٨٢هـ / ٧٠١م (١٣٢).

علاقة يزيد بن المهلب بالأمويين حتى وفاة عمر بن عبدالعزيز:

بعد وفاة المهلب، كتب ابنه يزيد إلى الحجاج يعلمه بوفاته فأقره الحجاج على خراسان مكان أبيه (١٣٣)، فاستقر بها وأخذ ينظم شئونها.

وفي سنة ٨٣هـ / ٧٠٢م كان الحجاج بن يوسف الثقفي مازال على حرب ابن الأشعث، وكانت أهم المعارك التي خاضها في هذه السنة معركة «دير الجماجم» المشهورة بالقرب من الكوفة، والتي انكسر فيها جيش ابن الأشعث وتشتت شمل أصحابه (١٣٤). ويهمننا من أمر هذه المعركة أن فريقاً من جيش ابن الأشعث بعد أن انتهى بهم المطاف إلى سجستان، طلبوا أن يتكروا سجستان ويتوجهوا بجيوشهم إلى خراسان وعليها يزيد بن المهلب ليستولوا عليها ويتقوا بها، وألحوا على ضرورة تحقيق هذا الأمر، واستجاب ابن الأشعث لرغبة أصحابه بعد الإلحاح، وسار بهم في اتجاه خراسان وعندما وصلوا مدينة «هراة» حدث اضطراب في صفوف قواته أظهر اختلافها فيما بينهم، وانسحب جزء من جيشه بقيادة عبيد الله بن عبد الرحمن في ألفين، مما أغضب ابن الأشعث، فترك قيادة أصحابه وانسحب بخاصة من المعركة (١٣٥).

تجمع من بقي من جيش ابن الأشعث في هراة بقيادة عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة في حوالي عشرين ألفاً، وبلغ خبر هذا الحشد يزيد بن المهلب في خراسان، وما فعلوه بنائهم على هراة «الرقاد بن عبيد» عندما أراد التصدي لهم فقتلوه، فأرسل يزيد تحذيراً إلى عبد الرحمن (١٣٦).

وتعلل عبد الرحمن بن العباس ليزيد بأنه مانزل هذه البلاد لحرب أو مقام، ولكن للراحة ثم الرحيل، وكان يزيد يراقب ما يجري في هراة بحذر كعادة آل المهلب في حروبهم، فبلغه أن عبد الرحمن أقبل على جباية ما تحت يده، فأدرك يزيد أن من أراد

أن يريح ثم يرحل لم يجب الخراج (١٣٧) خرج يزيد برجاله في اتجاه هراة وولى على الحرب أخاه الفضل، واستخلف على مرو عاصمة خراسان خاله جديع بن يزيد، وعندما وصل هراة، بعث تحذيراً ثانياً إلى عبدالرحمن بن العباس جاء فيه: أنك قد أرحت وسمنت وجبيت الخراج فلك ما جبيت وزيادة، فأخرج عني فإني أكره قتالك (١٣٨). ولكن عبدالرحمن بن العباس لم يستجب لنداء المسألة، وكتب جند يزيد يستميلهم ويدعوهم إلى نفسه، فأخبروا يزيد بذلك، فعلم أنه لا فائدة من العتاب، وأمر أخاه الفضل بالاشتباك، ودارت معركة قصيرة انهزم فيها جيش عبدالرحمن وفر معظم أصحابه من ميدان المعركة، فأمر يزيد بن المهلب بالكف عنهم وعدم مطاردتهم، ووقع منهم عدد كبير في الأسر، وكان من بين الأسرى محمد بن سعد بن أبي وقاص الذي قال ليزيد عندما مثل بين يديه: أسألك بدعوة أبي لأبيك، فخلى يزيد سبيله (١٣٩). ويروى أن حبيب بن المهلب حرض أخاه يزيد على عدم إرسال الأسرى في هذه المعركة من أهل اليمن، لأن الحجاج سيضرب أعناقهم، وقال له: بأي وجه تنظر إلى اليمانية إذا فعلت ذلك، ورغم أن يزيد كان يعلم خطورة التعرض للحجاج في مثل هذا الأمر، إلا أنه خضع لرأي حبيب وأنف أن يرد أسرى اليمانية إلى الحجاج، وأما المضربة فشدهم في الحديد ووجههم إلى الحجاج فقتلهم (١٤٠).

بعد أن فرغ الحجاج من ثورة عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث سنة ٨٣ هـ رتب للقضاء على يزيد بن المهلب وعزله عن خراسان، وأصبح لا هم له إلا يزيد وأهل بيته، «وقد كان الحجاج أذل أهل العراق كلهم إلا يزيد وأهل بيته ومن معهم من أهل المصيرين بخراسان، ولم يكن يتخوف بعد عبدالرحمن بن محمد بالعراق غير يزيد بن المهلب» (١٤١). ويبدو أن الحجاج كان يرى في يزيد بن المهلب، أكبر منافق له لدى الخلافة الأموية في دمشق، وأنه يمكنه أن يحل مكانه ويتولى ما تحت يده من أعمال، وحسب رواية ابن خلكان «وكان الحجاج يكره يزيداً لما يرى فيه من النجاسة فيخشى منه أن يترتب مكانه، فكان يقصده بالمكره كل وقت كي لا يثبت عليه» (١٤٢). ولما كان أهم ما يشغل بال الحجاج في ذلك الوقت هو يزيد بن المهلب، فكان الحجاج كثيراً ما يسأل المنجمين عن مكانه، فيقولون رجل اسمه يزيد فلا يرى من هو أهل لذلك سوى يزيد بن المهلب (١٤٣).

وتذكر الروايات التاريخية أن الحجاج كان يبحث عن سبب لاقناع عبدالملك بن مروان بعزل يزيد عن خراسان، فأكثرت من الكتابة إلى عبدالملك يذم يزيد وأل المهلب ويتهمهم بأنهم زبيريّة (١٤٤). ومع علم عبدالملك بأن هذه تهمة لا قيمة لها الآن بعد ما حققه آل المهلب من انتصارات ضد أعداء الدولة الأموية، إلا أن الحاج الحجاج دفع الخليفة إلى أن يكتب إليه: «قد أكثرت في يزيد وأل المهلب، فسم لي رجلاً يصلح لخراسان، فسمي له مجاعة بن سعد السعدي، فكتب إليه عبدالملك أن: «رأيت الذي دعاك إلى استفساد آل المهلب، هو الذي دعاك إلى اختيار مجاعة، فانظر لي رجلاً حازماً ماضياً لأمرك، فسمي له قتيبة بن مسلم، فكتب إليه وله» (١٤٥).

ونستنتج مما سبق أن عبدالملك كان يدرك حقيقة مشاعر الحجاج وحقه على يزيد وأل المهلب، وأنه كان يرمي إلى «استفساد آل المهلب» ورغم ذلك فقد استجاب الخليفة لطلب الحجاج وعزل يزيد عن خراسان بقتيبة بن مسلم في ربيع الآخر سنة ٨٥ هـ، وكان هذا في اعتقادي منعاً لاحتمالات الفتنة والصدام بين يزيد والحجاج مما يندرج

بسوء العاقبة، وكان الحجاج حريصاً في نفس الوقت أن يتم عزل يزيد عن خراسان وقدمه إلى العراق بطريقة لا تثير مشاعره، ولا تدفعه إلى الثورة والتمرد، فلم يكتب الحجاج إليه بالعزل بل كتب له باستخلاف أخيه المفضل وأن يقبل عليه بالعراق^(١٤٦). وكان يزيد بن المهلب على علم بما يديره له الحجاج، ورغم نصيحة مستشاريه له بأن يترث في الخروج إلى العراق على أمل أن عبد الملك ربما يعدل عن عزله، إلا أن يزيد كان محافظاً على التقاليد التي يثها فيه والده المهلب، وقال لمن حوله: «أنا أهل بيت بورك لنا في الطاعة، وأنا أكره المعصية والخلاف»^(١٤٧).

وهناك رواية تشير إلى أن يزيد في أواخر أيامه في خراسان تغير على بني عمه وغرهم من أجناد خراسان، فجعل يبغضهم ولا ينفذ فيهم وصية أبيه حتى أبغضه أهل خراسان وكاتبوا الحجاج^(١٤٨)، ولا نميل إلى هذه الرواية لتبرير عزل يزيد، فالهجاج ما كان يشغله علاقة يزيد بأهل خراسان ورأيهم فيه، بقدر ما كان يشغله أمور أخرى سبق إيضاحها، ومما يدحض هذه الرواية، ما ترويه معظم المصادر أنه عندما خرج يزيد من خراسان إلى العراق لقي ترحيباً كبيراً في كل مكان «فلم يمر ببلد إلا فرشوا له الرياحين»^(١٤٩).

حبس الحجاج يزيد بن المهلب ومعظم أفراد أسرته وأخذهم بسوء العذاب، وأغرمهم ستة ملايين درهم^(١٥٠)، وظل يزيد في سجن الحجاج حتى سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م حيث تمكن يزيد ومن معه من أخوته من الهرب من قبضة الحجاج، ولجأ إلى سليمان بن عبد الملك واستجار به^(١٥١).

ويظهر أن سليمان بن عبد الملك لم ينسى بلاء آل المهلب وشهرتهم التي ذاعت في الافاق وجهادهم وولاءهم للدولة الأموية، لذلك أرسل مع يزيد وأخوته ابنه أيوب، وطلب منه أن يدخل إلى الوليد وهو في قيد واحد مع يزيد بن المهلب، ووجه سليمان كتاباً إلى أخيه يبر فيه أسباب إجارته ليزيد جاء فيه: «إنما أجرت يزيد بن المهلب لأنه وأباه وأخوته من صنائعنا قديماً وحديثاً، فلم أجر إلا سامعاً مطيعاً حسن البلاء والأثر في الإسلام هو وأبوه وأهل بيته»^(١٥٢) وتعهد سليمان بأن يرد عن يزيد ما يطلب منه من أموال^(١٥٣). فأمن الوليد بن عبد الملك يزيد وآل المهلب، وكتب إلى الحجاج بأن يكف يده عنهم، فاستجاب الحجاج لأوامر الخليفة، وكان أبو عيينة بن المهلب عند الحجاج وقد أغرمه مالا فكف عنه، وأطلق سراح حبيب بن المهلب وكان يعذب بالبصرة^(١٥٤) وأقام يزيد بن المهلب عند سليمان يحسن استقباله، ويقدم له الهدايا بين الرجلين تزداد قوة مع الوقت وكان سليمان يحسن استقباله، ويقدم له الهدايا القيمة ويقبلها منه، ولم يتمكن الوشاة من إفساد هذه العلاقة القوية بينهما^(١٥٥) وظل الحال على ذلك حتى وفاة الوليد بن عبد الملك وتولى سليمان الخلافة سنة ٩٦ هـ / ٧١٤ م.

كان من المتوقع أن يحظى آل المهلب وعلى رأسهم يزيد بمكانة مرموقة ونفوذ قوي في ظل حكم الخليفة الجديد سليمان بن عبد الملك^(٩٦ - ٩٩ هـ / ٧١٤ - ٧١٧ م) الذي ما كاد يتولى الخلافة حتى دعا يزيد بن المهلب، فخلع عليه وأكرمه^(١٥٦)، وأسند إليه ولاية العراق وأمره أن يبسط العذاب على آل أبي عقيل وهم أهل الحجاج، فأسند يزيد مهمة الانتقام منهم ومصادرة أملاكهم إلى أخيه عبد الملك^(١٥٧)، ورغم أن سليمان قد أطلق يزيد بن المهلب في أهل الحجاج وخواصه، إلا أن

يزيد لم يكن يحمل طباع الحجاج ولا أخلاقه، وكان أقرب إلى العفو منه إلى الانتقام والتشفي، ويبدو هذا واضحا في موقفه من يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج وأحد خواصه، وكان سليمان قد قبض عليه، وقال ليزيد بن المهلب: «خذك إليك فعذبه بالوان العذاب، حتى تستخرج منه الأموال. فقال: يا أمير المؤمنين أنا أعلم به، لا والله ما عنده مال، ولا كان ممن يحوي المال. وكان يزيد بن المهلب يعرف له جميل فعله به، فولاه سليمان الصائفة» (١٥٨).

وفي سنة ٩٧هـ / ٧١٥م استعمل سليمان بن عبد الملك، يزيد بن المهلب على خراسان مضافة إلى العراق، فولى يزيد أخاه زيادا على عمان (١٥٩) وكان سبب ذلك أن سليمان لما ولى يزيد العراق فوض إليه الحرب والخراج والصلاة بها، أي أصبحت ولاية عامة ليزيد، فنظر يزيد لأموال العراق وما ألت إليه بعد أن خربها الحجاج، وضيق على أهلها، واستنزف أموالهم، ورأى أنه إن تشدد في جمع الخراج وعذب الناس لجمعه معهم، صار عندهم مثل الحجاج، لذلك احتال يزيد لدى الخليفة حتى يسند إليه ولاية خراسان وكأن الأمر قد جاء عفوا ودون تدبير أو رغبة من يزيد (١٦٠).

ويبدو من رواية لابن الأثير أن يزيد انشغل عن الخراج، فأسندت مهمة الخراج إلى صالح بن عبد الرحمن، فضيق صالح على يزيد في الأموال حتى ضجر من البقاء في العراق وكان يزيد مشهورا بالكرم إلى حد الإسراف فقد اتخذ ألف خوان يطعم الناس عليها فمنعها صالح واشترى يزيد متاعا وكتب صكا بثمنه إلى صالح فلم يقبله، وادعى بأن الخراج لا يقوم بما يريد يزيد (١٦١).

ويعتقد أن فرصة العراق كانت ضيقة أمام طموحات يزيد وأل المهلب فجاء الغزو والفتوحات ليس متاحا ليزيد في العراق، ولعل هذا هو ما دفع يزيد إلى السعي لتولي خراسان تلك الولاية التي خبرها آل المهلب طويلا في صراعهم مع الأزارقة وفي كفاحهم في سبيل الجهاد ونشر الإسلام، فالغزو هو الطريق الذي اعتاده آل المهلب للحصول على الشهرة والمغانم، فعن طريق الغزو يمكن تحقيق المكانة العالية المرموقة، والثروات الطائلة التي تخضع الرقاب وتجمع الأنصار. خرج يزيد بن المهلب إلى خراسان سنة ٩٧هـ / ٧١٥م وكان قد سبقه إليه ابنه مغل واستخلف الولاة على مدن العراق، وجعل أخاه مروان على حوائجه وشئونهم بالبصرة (١٦٢) لما للبصرة من مكانة خاصة لدى آل المهلب.

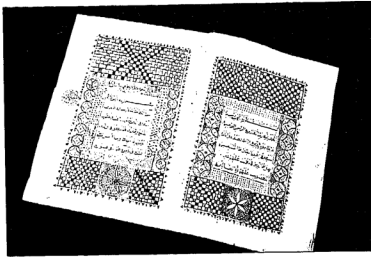
وسعى يزيد بن المهلب بعد توليه خراسان في تحقيق ما كان يصبو إليه من أهداف، فبعد أن قبض على زمام الأمور في ولايته، قضى على الثورات في جرجان وطبرستان، وحارب الترك والديالم، واستعان بال المهلب في الإدارة والقيادة، فولى ابنه مغلدا سمرقند، وولى مدرك بن المهلب بلخ ومحمد بن المهلب مرو وعظم أمر يزيد بخراسان (١٦٣)، مما ساعده على القيام بسلسلة من الفتوحات والغزوات الناجحة، وكتب إلى سليمان بن عبد الملك بذلك وأن الفيء عشرون ألف ألف، خلاف ما أعطاه لجنده من هذا الفيء ومن الغنيمة (١٦٤) ولما مات سليمان وتولى عمر بن عبدالعزيز الخلافة طالب يزيد بن المهلب بهذه الأموال التي لم يثبت توريدها لبيت المال في دمشق وطلب منه عمر القدوم إليه، ولما أنكر يزيد هذه الأموال ألقاه في الحبس حتى يؤدي ما عليه من أموال المسلمين (١٦٥) ولما بلغ يزيد بن المهلب أن عمر بن عبدالعزيز على فراش

الموت وكانت علاقته بولي العهد يزيد بن عبد الملك سيئة للغاية وخاف على نفسه ان تولى يزيد الخلافة، دبر خطة أفلحت في فراره من سجنه (١٦٦).

ثورة المهالبة على يزيد بن عبد الملك :

مات عمر بن عبدالعزيز وتولى يزيد بن عبد الملك الخلافة سنة ١٠١ / ٧١٩م وكان من أهم مشاغله أن يقبض على يزيد بن المهلب ولكن يزيد أفلح في الوصول الى البصرة والسيطرة عليها (١٦٧)، واستولى على بيت مالها وأخذ يوزعه على أتباعه وعلى كل طامع، وأرسل العمال إلى الأهواز وفارس وكرمان، وأعلن الثورة ضد بني أمية (١٦٨)، وكان الحسن البصري يخذل الناس عنه في البصرة (١٦٩)، بينما حشد له يزيد بن عبد الملك جيشا كثيفا جعل قيادته لأخيه مسلمة بن عبد الملك أحد أبطال الفتح

صورة للمصنف الشريف بخط اليد



البارزين، مما أدى إلى إثارة الخوف في نفوس رجال ابن المهلب، ولكنه شجعهم (١٧٠)، وحدث اللقاء في مكان قرب الكوفة يسمى العقر، حيث هزم ابن المهلب وقتل، وفر بقية أفراد أسرته وجيشه تجاه البصرة، وكان ذلك عام ١٠٢هـ / ٧٢٠م (١٧١).

تجمع من بقي على قيد الحياة من آل المهلب بالبصرة، وركبوا سفنا هربوا بها حتى وصلوا الى قنبايل حيث تخلى عنهم حاكمها، ووصلت اليهم جيوش بني أمية فاعملت السيف في رقابهم ولم ينج منهم الا القليل (١٧٢).

وتعود هزيمة يزيد بن المهلب وما تعرض له المهالبة من نكبة، الى وجود انقسام داخل صفوف جيش يزيد، والى قيام الحسن البصري بتخذيل الناس عنه (١٧٣) والى الثقة الزائدة في النفس التي أدت به الى عدم توخي الحذر، والى الغرور والاستهانة بقوة الخصم (١٧٤).

مخطوطة من التراث العُماني



وبعد هذه النكبة لم يكن لآل المهلب دور في الأحداث لسنوات طويلة، وإن ظهر نشاط أحدهم وهو سليمان بن حبيب بن المهلب في منطقة البصرة والأهواز في عام ١٢٩هـ / ٧٤٦م ربما تأييدا للدعوة العباسية (١٧٥)، حيث كان المهالبة بصفة عامة يؤيدون هذه الدعوة انقاسا من بني أمية. وقد كافأ العباسيون سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب الذي كان قد أعلن هو

الآخر الثورة في البصرة ولبس السواد شعار الدولة العباسية، فأُسندوا إليه بعد توليهم الحكم وقضائهم على بني أمية، ولاية البصرة، وردوا إليه أملاك آل المهلب التي كانت الدولة الأموية قد صادرتها(١٧٦).

وهكذا رأينا كيف قام المهلب والمهالبة العمانيون بدور فعال في القضاء على الأزارقة، وكيف خلصوا الدولة الإسلامية من خطر هذه الفرقة الغالية التي هددها طويلاً، وكيف حكموا خراسان وكان لهم نفوذهم الواسع في البصرة والعراق حتى انتهى الأمر بقيام الصراع بينهم وبين الدولة الأموية في عهد يزيد بن عبد الملك وأدى إلى ما أدنى إليه.

وقد حان الآن الدور على الحديث عن فضل العمانيين في ميسدان آخر، وهذا الميدان هو ميدان الفتح والجهاد ونشر الإسلام، يتجلى ذلك العمل العظيم فيما قام به أهل عمان من المساهمة الكبيرة في فتح ثغر الهند وفي نشر الإسلام فيها. فكيف تم ذلك وكيف حدث؟

الفصل الثالث

العمانيون ودورهم في أحداث ثغر الهند

لم يكن الاحتكاك بين البلاد العمانية وشبه القارة الهندية منتظما بالصورة التي يترتب عليه قيام علاقات عسكرية من نوع معين كذلك التي كانت بين الدولة البيزنطية والدولة الإسلامية والتي استمرت لقرون طويلة، وربما يعود ذلك إلى اندراج عمان ضمن ولايات الدولة الإسلامية الكبرى من جهة، وعدم وجود سلطة زمنية موحدة لأجزاء البلاد الهندية التي كانت حينئذ تشتمل على قوى متعددة من جهة أخرى. وتعود العلاقات (إنذا تجاوزنا في الوصف) إلى الفترة الإسلامية المبكرة، فتشير المصادر إلى أن عمر بن الخطاب الخليفة الثاني قد كلف في سنة ١٣هـ / ٦٣٤م عثمان بن أبي العاص الثقفي بالقيام بولاية البحرين وعمان. ويبدو حسب ما ذكره البلاذري أن عثمان أنساب أخاه الحكم بن أبي العاص ممثلا عنه في البحرين وذهب بنفسه إلى عمان حيث ضبط أمرها وبسط الأمن وأقر نفوذ الخلافة فيها^(١).

ومن عمان انطلق «عثمان بن أبي العاص» ليغزو الهند، يحدثننا علي بن محمد بن أبي سيف بأن عثمان كلف جيشا من قبله بالقيام بحملة بحرية إلى «تانه»، على الساحل الغربي من الهند. وبعدما عاد الجيش غانما منتصرا كتب عثمان يبشر عمر بذلك، فما كان من الخليفة عمر إلا أنه عنفه على ذلك قائلا: «يا أخا ثقيف حملت دودا على عود واني أحلف أن لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم»^(٢).

ويبدو أنه في ذات الحال كان عثمان قد بعث حملتين بحريتين أخريين، أحدهما بقيادة أخيه الحكم^(٣) وجهتها بروص أو بروج^(٤). وكانت الحملة الثانية، بقيادة أخيه المغيرة، الذي وصل إلى ثغر الديبل حيث حاربهم السنديون، ولكن المسلمين انتصروا عليهم^(٥). ويحتمل أن يكون النصيب الأوفر في المشاركة في هذه الحملات لعرب عمان والبحرين، وذلك أننا نقدر أنهم كانوا أكثر عرب الجزيرة معرفة بركوب البحر، وهناك حقيقة أخرى وهي أنه ورد ذكر قبائل عربية غزت فارس من جهة البحرين (أي عبر الخليج العربي) منهم بنو ناجية والأزد العمانيون وبنو عبد القيس وبنو تميم غير مرة، وذلك مع «الحكم بن أبي العاص»^(٦) وربما مع العلاء بن الحضرمي من بعده. بل لعل «عثمان بن أبي العاص» - وهو الطائفي الذي نفترض أنه لم يكن لديه أدنى معرفة بالبحر وركوبه - قد اقتنع بهذه المخاطرة عن طريق هؤلاء العمانيين^(٧).

والظاهر أن دولة الخلافة الإسلامية - وخاصة في العصرين الراشدي والأموي - قد اعتمدت على عرب عمان والبحرين كثيرا في غزو الهند، فنجد أسماءا لكثير من عرب عمان ممن ساهم في قيادة ودفع الحملات العسكرية البرية في مكران والسند (الثغور الوسطى من الأطراف الهندية الغربية).

الظهر، واستشهد فيها راشد بن عمرو، وتولى بعده سنان مرة أخرى^(١٦). وتذكر بعض الروايات أن راشد بن عمرو هاجم أيضا القيقان، وتوغل في السند، وضرب إقليم المبد أو المند^(١٧). وهكذا يتجلى لنا أن رجالا من أهل عمان لم يكن لهم دور بارز في القيادة فحسب بل كانوا أيضا عمدة في الاستشارة حول القضايا المهمة فيما يتعلق بأمور ثغر الهند. ووفقا لبعض المصادر التاريخية فإنه في الفترة بين عامي ٦٥ - ٧٨هـ / ٦٨٤ - ٦٩٧م، وهي الفترة التي شهدت فيها الدولة الأموية محنتها الكبرى - ظهرت في منطقة ثغر الهند قوة عربية لاتدين للنفوذ الأموي وهي قوة «معاوية ومحمد ابني الحارث العلافيين»^(١٨) من بني علاف وهو - كما ذكر البلاذري - «ربان بن ثعلبة بن حلوان» من أزد عمان^(١٩).

وقد نجحت هذه القوة في السيطرة على ثغر الهند (مكران، والسند) على مدى عشر سنوات إلى ثلاث عشرة سنة، أما كيف كانت الأحوال في ثغر الهند أيام نشاط العلافيين، وماذا صنعوا في الاقليم؟، وما أهدافهم؟، وكيف جرى حكمهم؟، وهل كانوا على مذهب الأباضية كما يظن البعض؟... هذه الأسئلة وغيرها لاتزال تنتظر الاجابة. أما القول الذي يردده ويذهب اليه بعض المؤرخين من أن السبب في خروج العلافيين يعود لمقتل أحد حلفائهم أو أقاربهم واسمه «سفهي بن لام العماني»^(٢٠) وعلى يد «سعيد بن أسلم الكلابي» عامل الحجاج الذي أرسله حوالي عام ٧٨هـ إلى السند ففيه كثير من التسرع، ذلك أن الأخير قدم إلى الثغر متأخرا، بل في نهاية فترة العلافيين، في حين تذكر بعض المصادر أن العلافيين كانوا مسيطرين على الثغر منذ عام ٦٥هـ / ٦٨٤م^(٢١).

بل، على العكس، يمكن القول بأن انتقام العلافيين من «سعيد بن أسلم» كان السبب الذي حمل الخلافة الأموية وأميرها على العراق ولايات المشرق حينئذ «الحجاج بن يوسف» على الانتقام والقضاء على العلافيين.

يحدثنا الكوفي انه حين قدومه مكران أقدم سعيد بن أسلم على قتل «سفهي بن لام - ولعل الأخير كان من وجهاء العمانيين من بني علاف (أو ربان) في ذلك الثغر، فقامت جماعة من قوم العلافيين من بينهم «محمد بن معاوية العلالي» بتدبير مقتل سعيد، فكان أن هاجموه ورجاله في مكان يدعى «مرج» وقتلوه مع عدد من رجاله، أما الباقون الذين لا ذوا بالفرار فقد عادوا إلى العراق وأخبروا الحجاج بما حدث. فأرسل «مجااعة بن سعر التميمي» وأمره بتعقب العلافيين، فلم يمكث أكثر من عام واحد ٧٩هـ / ٦٩٨م ثم توفي^(٢٢).

وقد هرب العلافيون من مكران ولجأوا إلى ملك السند، وكان أن وجه الحجاج محمد بن هارون النميري عقب (مجااعة بن سعد) مباشرة، فنجح في مطاردة العلافيين واستئصال نفوذهم إلى الأبد^(٢٣). وهكذا كما ظهرت سلطة العلافيين في ظروف غامضة عادت تتضاءل في ظروف مليئة بالتساؤلات والاحتمالات^(٢٤).

ولم ينته دور العمانيين في ثغر الهند بالقضاء على نفوذ العلافيين فيه، إذ يذكر البلاذري^(٢٥) أن الحجاج قبل إرساله «محمد بن القاسم الثقفي» سنة ٩٢هـ / ٧١١م كان قد أمر «بديل بن طهفه البجلي» الذي كان بعمان - بالمسير إلى ثغر الديبل وهو ثغر بحري يقع إلى الجنوب الشرقي من كراتشي حاليا ويبعد عنها بحوالي أربعين كيلومترا. ويبدو أن حملة بديل لم تكن موفقة تماما فقد استشهد^(٢٦)، ويغلب على الظن بأنه

كانت توجد عناصر عمانية بين جند بديل - لم يذكرها المؤرخون - لكونه في واقع الأمر قدم من عمان.

وبعد ذلك بأربع سنوات تقريبا ٩٦هـ / ٧١٥م، أرسل «حبيب بن المهلب بن أبي صفرة» لثغر الهند أثر مقتل واليهما «يزيد بن أبي كيشه السكسكي»^(٢٧). والظاهر أن حبيباً لم يدم طويلاً حيث قضى بها مدة تقدر بسنتين، لأنه في أول خلافة «عمر بن عبدالعزيز» سنة ٩٨هـ / ٧١٧م عزل والي ثغر الهند وعين مكانه شخص آخر^(٢٨).

وقد شهد ثغر الهند كذلك مأساة أبناء «المهلب بن أبي صفرة العتكي» وأسرته، فتذكر المصادر أنه أثر الصدام بين يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الذي كان والياً على العراق لسليمان بن عبد الملك ٩٦هـ / ٧١٥م، وبين جيوش «يزيد الثاني بن عبد الملك بن مروان» ١٠٢هـ / ٧٢٠م، فر الناجون من القتل من أبناء المهلب وهم مدر، والمفضل، وعبد الملك، وزيد، ومعاوية بمن بقي من أسرة آل المهلب وركبوا البحر إلى «قنابيل» (حالياً GAWDAV في باكستان)، وذلك وفقاً لتدبير كان دبره أخوه يزيد قبل مقتله مع «وداع بن حميد الأزدي»، إذ ولّاه يزيد «قنابيل» فان هو ظفر بجيوش الأمويين أكرم وداعاً، وإن كانت الأخرى كان وداع ملجأ لبني قومه^(٢٩).

ولكن الآخر لم يف بوعده بل لقد صد أسرة المهلب عن دخول قنابيل بحجة ولائه للأمويين، ثم وقف في وجوههم مع جيش الخلافة الذي أرسله «يزيد الثاني» مؤخراً لمطاردة بني المهلب بقيادة «هلال بن أحوز المازني التميمي»^(٣٠). وللمرء أن يتساءل كيف كانت ستجرى الأحداث في ثغر الهند لو أن وداع بن حميد مكن لبني المهلب ومن تبعهم من النزول في «قنابيل» وخاصة إذا ما تذكرنا ما لهذه الأسرة من عراقية في المجد والزعامة وقوة التأثير؛ ورغم ذلك المصادر تمدنا بمعلومات مفادها أن كثيراً من رجال الأسرة المهلبية قد ذهبوا في ملحمة دموية رهيبة ربما أتت على الأطفال القصر، واستبدت أثارها بحوالي خمسين امرأة من كريمات المهلبين حتى عوملن كسبايا الكفار^(٣١). ويذكر البلاذري أن «مدر بن المهلب» قتل في قنابيل كما قتل «المفضل وعبد الملك وزيد ومروان ومعاوية بن المهلب» وقتل «معاوية بن يزيد» في آخرين^(٣٢)، ذكر أسماءهم ابن خلدون، وهم «المنهال بن أبي عيينة بن المهلب» و«عمر بن يزيد بن المهلب»، بالإضافة إلى ثلاثة عشر آخرين - في الأغلب من القصر قتلهم «يزيد الثاني نفسه»^(٣٣). أما «أبو عيينة بن المهلب» و«عثمان بن المفضل» فقد قُرا إلى «رتبيل» و«خاقان» من ملوك المشرق^(٣٤).

ولكن هل جاءت هذه المأساة على نهاية آل المهلب؟ الحقيقة أنه - برغم مبالغة بعض الروايات - لم يكن ذلك، فنجد أنه في أواخر عهد «هشام بن عبد الملك» حوالي سنة ١٢٤هـ / ٧٤٣م يظهر شخص من آل المهلب يدعى «مروان بن يزيد بن المهلب» ضمن القادة الذين اعتمد عليهم والي السند أو ثغر الهند حينئذ وهو «عمرو بن محمد بن القاسم»^(٣٥). ثم في سنة ١٤٢هـ / ٧٥٩م، أي في خلافة «أبي جعفر المنصور» وبأمر منه نجّد «عمر بن حفص بن أبي صفرة العتكي» - ويعرف أيضاً بلقب هزارد - يعين على السند والهند^(٣٦).

ونذكر ضمن الولاية بثغر الهند وبالتحديد في السند «سليمان بن قبيصة بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة»، الذي كانت له صلة ما بـ «الخليل بن أحمد الفراهيدي» ١٧٥هـ / ٧٩١م^(٣٧) واستعمل المهدي ١٥٨ - ١٦٩هـ / ٧٤٤ - ٧٨٥م سنة

١٥٩هـ / ٧٧٥م «روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة» على ولاية السند^(٣٨)، وقد ذكر ابن حزم أن يزيد بن حاتم المهلبى - وهو أخو روح - ولي أمر السند أيضا^(٣٩).

واستعمل الرشيد كذلك داود بن يزيد بن حاتم بن المهلب، لولاية السند أو (ثغر الهند) وذلك سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م. ويعطينا اليعقوبى صورة لا بأس بها عما كان يجري هناك من الأحداث التي عرقلت مسيرة التوسع في الفتوحات، بأنه بسبب من العصبية القبلية التي ناء بها كاهل البلاد، فقد صرفت جهود الأمراء إلى بسط الأمن الداخلي والحيلولة دون وقوع الصدام القبلي بين العرب هناك، فبعد تعيين الرشيد لداود بن يزيد بعث الأخير أخاه المغيرة على رأس قوة ليلحق به فيما بعد. يقول اليعقوبى: «ولما قدم المغيرة أغلق أهل المنصورة الأبواب ومنعوه الدخول، إلا أن يعاهدهم ألا يستعمل فيهم العصبية، أو يخرجوا جميعا عن المدينة ويدخلها، فخرج من به رمق ودخلها المغيرة، فتحامل على النزارية، فقاتلوه فهزموه، وسار داود بن يزيد لما بلغه الخبر حتى قدم البلد فجرد فيهم السيف، فقتل من النزارية خلقا عظيما، وصار إلى «المنصورة»، فأقام يقاتلهم عشرين يوما، ولم تزل الحروب بينهم عدة أشهر، ففتحها، ثم سار إلى سائر مدن السند فلم يزل يفتح ويخرب إلى أن استقامت له البلاد^(٤٠)، ويذكر خليفة بن خياط، أن داود بقى على «ولاية الهند» حتى نهاية عهد الرشيد سنة ١٩٢هـ / ٨٠٧م^(٤١).

والظاهر أن داود قد مكث أكثر من ذلك، ثم ولى بعده ابنه «بشر» أي في عهد المأمون ١٩٦ - ٢١٨هـ / ٨٢٣ - ٨١١م وقيل أنه خالف المأمون فعزله^(٤٢)، وأغلب الظن أن «محمد وغسان ابني عباد» هما أيضا من بني المهلب الذين ضمنوا للمأمون عدم صحة الزعم القائل بخلاف «بشر بن داود المهلبى» عليه، وأن «غسان بن عباد» هو المهلبى الذي ولي أمر ثغر الهند (بلاد السند) لمأمون سنة ٢١٣هـ / ٨٢٨م على ما ذكره الطبري^(٤٣).

وهكذا يبقى ارتباط بني المهلب بالارض التي اعتادوا وقومهم من قبل على معالجتها وخبرها.

ومما تقدم يتبين لنا إلى أي مدى كان وجود وفعالية عرب عمان في أحداث اقليم ثغر الهند واعتماد الخلفاء على جهود وخبرة هؤلاء العرب التي ربما نسبت إلى نشاطهم البحري ومجاورتهم للهند من هذه الجهة، والتي يمكن القول بأن تلك الخبرة وذلك الاحتكاك قد امتد إلى اعماق التاريخ مما أكسبهم معرفة بالتعامل مع الأرض والسكان.

وإذا كان عرب عمان لهم دورهم الكبير في ثغر الهند على نحو ما رأينا، هذا الدور الذي بدأ منذ عهد الخلافة الراشدية واستمر إلى عهد الخلافة العباسية، فإن الحديث عن علاقة العمانيين بهذه الخلافة أصبح امرا لازما، لنرى كيف أثرت هذه العلاقة في مجرى الأحداث، وفي تاريخ عمان ذاتها. وهذا هو محور الحديث في الفصل التالي.

الفصل الرابع العمانيون والدولة العباسية

عمان في العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢هـ / ٧٤٩ - ٨٤٧م) :

بقيام الدولة العباسية (١٣٢هـ / ٧٤٩م) ولى أبو العباس السفاح أخاه أبا جعفر المنصور على أقاليم عمان واليمامة والبحرين، وقد اختار أبو جعفر جناح بن عباده بن قيس الهنائي عاملا على عمان فظل في منصبه مدة قصيرة حتى عزله وعين بدله ابنه محمد بن جناح^(١).

ولم تشر المصادر الى سبب عزله بل تشير الى أن محمدا عامل أهل عمان معاملة طيبة وأحسن اليهم فأحبوه^(٢).

وقد تأثر محمد بن جناح كثيرا بالأفكار الإباضية مما دعاه الى الاعتراف بنفوذهم، فبادر أهل عمان وعقدوا الامامة للجلندي بن مسعود^(٣)، الذي يعتبر الامام الاول للامامة الإباضية في عمان. وبذلك خرجت عمان من يد العباسيين زمن أبي العباس السفاح^(٤).

وربما أدى اهتمام العباسيين بما واجه دولتهم في مرحلة النشأة من أخطار خارجية ومتاعب داخلية وخاصة مطاردة الأمويين ومواجهة ثورات العلويين، ربما أدى ذلك الى عدم الانتباه مؤقتا الى ما كان يجري في أطراف الدولة ومنها عمان^(٥). وقد استقرت الأمور في عهد الجلندي بن مسعود لما أظهره من عدل بين أهل عمان، ونعم الناس بحكمه، وعظم نفوذ الإباضية في أيامه في مناطق أخرى من العالم الإسلامي، فضلا عن عمان، وكان الجلندي ممن حضر بيعة الامام طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي في اليمن سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م، وقد تدفق العديد من أتباع الإباضية من اليمن وحضرموت والبصرة الى عمان بعد إعلان الامامة الإباضية بها^(٦). لتدعيمها وتحقيق استقلال عمان عن الدولة العباسية.

وفعلا حدث هذا الأمر وأدى استقلال عمان استقلالا تاما بقيادة الجلندي بن مسعود عن دولة بني العباس الى اغضاب العباسيين الذين منذ أن استأثروا بالخلافة، أبدوا اهتماما خاصا بالمناطق الشرقية من دولتهم بما في ذلك منطقة الخليج العربي، لاعتبارات سياسية واقتصادية ودينية فالدولة العباسية كانت تخطط لفتوحات جديدة في الهند وأواسط آسيا، وهذه المشروعات الجديدة كانت تحتم عليها أن تضمن طرق مواصلاتها العسكرية عبر الخليج العربي، ولم يكن في الامكان تحقيق ذلك الا بالسيطرة التامة على هذا الممر المائي^(٧).

وقاومت الامامة الضغط العباسي فحدث الصدام بين الطرفين، وكان أبو العباس السفاح سنة ١٣٤هـ (٧٥١ - ٧٥٢م) قد أرسل جيشا الى عمان حملته السفن بقيادة

خازم بن خزيمة^(٨)، لمقاتلة شيبان اليشكري ومن معه من الصفرية الذين كانوا قد هربوا إلى جزر الخليج، ولكنهم انسحبوا إلى عمان حال سماعهم بزحف خازم التميمي إليهم، ونشبت معركة حاسمة بين الإمام الجلندي وشيبان انتهت بانتصار الإباضية ومقتل شيبان اليشكري والعديد من أتباعه^(٩)، من الصفرية.

وبذلك مهد الجلندي بن مسعود بقضائه على شيبان اليشكري الطريق أمام الجيش العباسي الزاحف لاختضاع عمان للسلطة العباسية، ذلك أن خازم التميمي الذي جاء في الأصل لمحاربة الصفرية طلب من الإباضية إعلان ولائهم للخلافة العباسية ولقاء الجلندي، وتم اللقاء بين خازم بن خزيمة والجلندي، وقدم خازم الشكر للجلندي لقضائه على شيبان اليشكري وطلب منه الدخول في طاعة الخليفة العباسي، فشاور الجلندي رفاقه فلم يوافقوه على ذلك عندئذ أبدى رفضه لطلب خازم^(١٠)، فوقع بينهما القتال عند موضع يقال له جلفار (رأس الخيمة)، وكانت قوة الفريقين متكافئة، لكن العباسيين لاذوا بالحيلة فاستعملوا النار في حربهم، فانسغل أهل عمان بأطفاء النيران انقاذاً لأطفالهم من الحرب، فمال عليهم أتباع خازم وأذرعوا فيهم السيوف حتى قتلوا منهم مئة عظمية، وأتوا على الجيش العماني بأكمله^(١١)، وقتل إمامهم الجلندي في هذه المعركة بعد أن دامت إمامته سنتين وشهرا. كما قتل هلال بن عطية الخراساني والعديد من الإباضية، وبهذا قضى على الإمامة الإباضية الأولى^(١٢) في عمان.

وتكد تجميع المصادر على أن عدد قتل العمانيين في هذه المعركة بلغ نحو عشرة آلاف قتل أخذ خازم رؤوس بعض البارزين منهم وبعث بها إلى الخليفة العباسي، ثم أنه تولى الأمر في عمان لفترة يسيرة إلى أن استدعاه أبو العباس السفاح إلى بغداد^(١٣). وذكر أن رجلا من أهل عمان خرج إلى الحج وكان في صحبته رجل من أهل البصرة لا يهدأ الليل ولا نيام، فسأله العماني عن حاله وهو لا يعرف أن صاحبه من أهل عمان، فقال له أنني خرجت مع خازن بن خزيمة إلى عمان فقاتلنا بها قوما لم أر مثلهم قط فانا من ذلك اليوم على هذه الحالة لا يأخذني النوم، فقال الرجل العماني في نفسه، أنت حقيق بذلك إن كنت ممن قاتلهم^(١٤).

لقد تركت وفاة الجلندي فراغا سياسيا كبيرا وصدمة بين أتباعه ولم تستطع السلطة العباسية إخضاع عمان، فأباضية عمان لم يستكينوا للوالي العباسي وظلوا يناوئون العباسيين ويعارضون حكمهم لبلادهم، وإن دبت الخلافات بين أبناء الجلندي وما رافقها من خلافات قبلية^(١٥).

وقد تأكدت السلطة العباسية على عمان خلال الأربعة والأربعين شهرا التي تلت قتل الجلندي، وتعزى هذه السيطرة إلى أن الحكام الذين حكموا عمان خلال هذه الفترة وأطلق عليهم العمانيون اسم الجبابرة، اتسم عهدهم بشيوع الفساد وتقشي الظلم، ويعبر أحد المؤرخين العمانيين عن ذلك بقوله «استولت الجبابرة على عمان فأفسدوا فيها وكانوا أهل ظلم وجور»^(١٦).

ومن هؤلاء الجبابرة، محمد بن زائدة، وراشد بن النظر الجلنديان، غير أنه في عام ١٧٧ هـ/ ٧٩٣ م حل الوثام والانسجام بين أهل عمان فانفق علماء وفقهاء الإباضية برئاسة موسى بن أبي جابر الأركوي فأزالوا ملك الجبابرة من آل الجلندي، واستقر رأيهم على إعلان الإمامة ثانية وعقدوها لمحمد بن أبي عفان، غير أنه كان شديدا تنقصه المرونة، فعزل وانتخب بدلا منه الإمام الوارث بن كعب الأزدي الذي حكم بعدل ونزاهة^(١٧).

وظلت عمان تحتفظ باستقلالها لمدة أحد عشر عاماً، وفي زمن الامام الوارث بن كعب أراد هارون الرشيد توطيد سلطان الدولة على عمان، فبعث عيسى بن جعفر بن سليمان في ألف فارس وخمسة آلاف رجل، فكتب داود بن يزيد المهلبى الى الامام وارث يخبره ان عيسى وصل بعسكره، فأخرج اليه الامام فارس بن محمد والتقى الجيشان بحثاً، فانهزم القائد العباسي عيسى بن جعفر وسار الى مراكبه بالبحر، فسار اليه أبوحميد بن فلج الحداني السلوتي ومعه عمرو بن عمر في ثلاثة مراكب، فأسر عيسى وانطلق به الى صحار فحبس بها، وجاءت جماعة فتسورت السجن وقتلوا عيسى بن جعفر دون علم الوالي أو الامام وانصرفوا من ليلتهم، وبعد مقتل عيسى بن جعفر عزم هارون الرشيد على إرسال جيش الى عمان لكنه مات قبل تنفيذ خطته (١٨).

اجتمعت كلمة أهل عمان على مبايعة غسان بن عبدالله اليمحدي بالامامة بعد وفاة الوارث بن كعب سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م، وكانت امامته خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وقيل خمس عشرة سنة وسبعة أشهر وسبعة أيام (١٩).

وكان غسان من اهم الائمة وقد تنبه الى المخاطر التى يتعرض لها الوطن العمانى وبخاصة تلك الغارات التى كان يقوم بها القراصنة الهنود، فكان اول من صنع قوة بحرية عسكرية ليقطع الطريق بها على كل من يحاول العبث بأمن عمان وتجارتها واقتصادها واستقراره، وفي الوقت الذى كان يحاول فيه الامام غسان بناء الاسطول البحرى لم يغفل عن السعى الى الاستقرار الداخلى فحمل على المفسدين الخارجين على القانون من ذوى البأس من امثال ابى راشد بن محمد وصقر بن محمد بن زائدة الجبلداني، فقتلهم وقضى على عصاباتهم، وسميت نزوى انذاك ببضعة الاسلام (٢٠) وامضى في الحكم خمس عشرة سنة مترعة بالخير والرخاء، ناعمة في الامن والاستقرار متمتعة بالحفاظ على كرامة الانسان، وتمضى فترة استقرار عمان الى الامام حيث تنتقل الامامة الى عبدالمك بن حميد.

الامام عبدالمك بن حميد:

وهو عبد الملك بن حميد بن بنى علي بن سوده بن عمرو بن عامر بن ماء السماء الازدى وقد بويع بالامامة يوم الاثنين من الاسبوع من شهر شوال سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م، وقيل انه قد بويع بالامامه بعد يوم من وفاة الامام غسان «رحمه الله» اى قبل انتهاء شهر ذى القعدة من سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م.

فعل القول الاول تكون البيعة قد تمت بعد وفاة الامام غسان «رحمه الله» بأحد عشر شهرا تقريبا، وفي حالة القول الثانى تكون البيعة قد تمت فعلا بعد يوم من وفاة الامام غسان حيث انه قد توفي بعد صلاة الفجر يوم الاحد من الاسبوع الاخر من شهر ذى القعدة سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م، ولم يرجع نور الدين السالمى احدى الروايتين، ولكن بالنظر الى تواتر الائمة في هذه الفترة فالارجح ان الامامة قد عقدت له بعد وفاة الامام غسان بيوم واحد، وقد بويع على ما بويع عليه الامامان السابقان له وهما الوارث بن كعب، وغسان بن عبدالله اى «على الامر بالمعروف والنهى عن المنكر، والشرى في سبيل الله، واظهار الحق واخماد الباطل، والجهاد في سبيل الله، وقتال الفئة الباغية وكل فرقة امتنعت عن الحق حتى تقيء الى امر الله، لا يستحلون منهم غنيمة مال ولا سبى عيال، ولا انتحال هجرة بعد النبى ﷺ، ولا يسموا بالشرك اهل القبلة ما بينوا الشهادتين» (٢١).

وخلال امامة الامام عبدالملك وجدت فرقة القدرية والمرجئة بصحار ودعوا الناس الى اعتناق معتقداتهم ووجدوا استجابة كبيرة بحيث امتدت دعوتهم الى توام وغيرهم من بلاد عمان، فخشى العلامة هاشم بن غيلان - رحمة الله عليه - على المسلمين والاسلام من ذلك فكتب كتابا الى الامام عبدالملك نورد نصه كاملا لما يبينه من اسلوب التخاطب بين العلماء والائمة من حيث الابتداء والانتهاء، والدخول في الموضوع الذي دعا الى المخاطبة بالتقديم له بما يجب عليه وسار عليه السلف ثم الوصول بعد ذلك التقديم الى هدف الرسالة وهو ابلاغ الامام بخبر هذه الفرقة، وكيفية المعالجة، اى تحديد القواعد الساجية الاتباع... فكانها بمثابة توجيه من العلامة الى الامام واسلوب عمل لمواجهة هذه الفتنة.

«الى الامام عبدالملك بن حميد بن هاشم بن غيلان..»

بسم الله الرحمن الرحيم... سلام عليك، فإنى احمد اليك الله الذى لا اله الا هو، واوصيك ونفسي بتقوى الله وطلب ما يخرج به من فتنة العلماء التى اصبح فيها كثير من اهل الشقاء واستعين بالله.

اما بعد ايها الامام.... مما العاقبة من سلامة في الدنيا والاخرة وايانا برحمته، فانى كتبت اليك، والعافية حالنا، والحمد لله كثيرا لحب سلامتك ويسر لصلاحك وصلاح قسم الله لك، وما وفقك الله وارشدك واعزك ونصرك، فنسأل الله ذلك من لدنه فضلا منه ورحمة الله ذو الفضل العظيم، واعلمك رحمك الله... انه كان قبلك من ائمة المسلمين ادركنا من ادركهم، واخبرونا عنهم ان اول شئ ساروا به في الناس، ان علموهم دينهم واطهروا لهم نسب الاسلام، وبينوا لهم ما يأتون مما امرهم «الله» به من طاعته، وما يتقون مما نهاهم عنه من معصيته، ومن كان على غير دين المسلمين من اصناف الخوارج والشكاك وغيرهم لم يدعوه على ذلك، حتى دخل الناس في الاسلام فممنهم من دخل في الاسلام على ايديهم والسننتهم بالصدق منه والرغبة في دين المسلمين ومنهم من قبل دين المسلمين تقية منه، ولم يظهر به على الله، حتى اماتوا كل بدعة وكل دين على خلاف الاسلام، وكانوا رحمة الله عليهم اذا بلغهم من احد انه على غير دين المسلمين ارسلوا اليه وعرضوا عليه دينهم، فان قبله كان له ما لهم وعليه ما عليهم، وان ابى إلا ان يغير ما عليه دين المسلمين، امره بالخروج من بلادهم، فان خرج تركوه وان لم يتب ولم يخرج لم يقاروه على ذلك واكرهوه على قبول الاسلام.

فاحيا الله بهم الدين، وامات بهم البدع واطهر بهم ابدع واطهر بهم الحق واطفا بهم كل جور حتى مضوا، عليهم رحمة الله ورضوانه.

وانه بلغنا ان قوما من القدرية والمرجئة بصحار، قد اظهروا دينهم، ودعوا الناس اليه، وقد كثر المستجيبون لهم، ثم قد صاروا بتوام وغيرها من عمان وقد يحق عليك ان تنكر ذلك عليهم، فانا نخاف ان يعلو امرهم في سلطان المسلمين فأمر يزيد او اكتب اليه ان لا يترك اهل البدع على اظهار دعوتهم، حتى يطفئ الظلال والبدع، واكتب اليه رحمك الله، ان يظهر الانكار عليهم ويرسل الى كل من بلغه شئ من ذلك فيعرض عليهم الاسلام ويصف لهم الدين، واثبات القدر، وتكفير اهل الاصرار، فان قبلوا ذلك وإلا فاحبس، وعاقب، ومن بلغه عنه تماد في ذلك حبسه

وعاقبه واطال حبسه.

أحببنا ان نعلمك ونكتب اليك بالذي بلغنا من ذلك وضائق به صدورنا فانظر في ذلك، نظر الله اليك والينا برحمته.. والسلام عليك ورحمة الله (٢٢).

وقد قام الامام عبدالملك بن حميد بالامر وبالحق بشكل مرض، الى ان كبر وضعف منه السمع والبصر، وربما كان ذلك الضعف سببا في حدوث القتال بين عسكره، وفي انتقاد العلماء لبعض الامور والتصرفات، مما حدا بالوليك العلماء الى مخاطبة الامام ناصحين له (٢٣)، ونتيجة لذلك خافوا على الدولة من الانقسام فقام العلامة موسى بن علي بتسيير شؤون الدولة.

وتوفي الامام عبدالملك ليلة الجمعة الثالث من رجب من عام ٢٢٦ هـ / ٨٤٠م وبذلك تكون امامته دامت حوالي ثمانية عشر عاما ثم بويع بعده بالامامة الامام مهنا بن جيفر اليمحمدي الازدي صبيحة يوم الجمعة للثالث من رجب من نفس العام.

الامام مهنا جيفر

كانت بداية حكم الامام مهنا مضيئة منذ يومها الاول، فقد كانت بيعته على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تنبه الى المخاطر التي تتعرض لها عمان. واكثرها يأتي من ناحية البحر الذي تمتد سواحله حولها الى ما يزيد على الف ميل مع الاهتمام باعداد جيش بري كثيف، وبذلك يحمي البحر والبحر على حد سواء.

لقد قوى الامام مهنا البحرية العمانية الى مرتبة جعلها اضافة مهمة الى قوة البحرية الاسلامية في اوج قوتها، فقد اشتمل الاسطول العماني الذي انشاءه الامام مهنا على ثلاثائة سفينة كاملة التسليح مهيأة لخوض غمار الحرب في اية لحظة (٢٤). واما جيشه البري فكان يعتمد بطبيعة الحال على المقاتلين والفرسان، وكان يشتمل على حاميات موزعة على المناطق المختلفة، فكانت فيالق في نزوى وحدها تضم عشرة آلاف مقاتل وسبعمائة ناقة وستمائة فرس.

والامام مهنا شأنه في ذلك شأن الحاذقين من الحكام، يعلم ان الاستقرار الداخلي هو اساس نظام الحكم، ومن ثم كان شديدا على المعارضين من بني الجلندي الذي كان على رأسهم المغيرة بن دوشن الجلنداني والذين دخلوا توام وقتلوا ابا الوضاح والى الامام عليها، فجهز الامام مهنا جيشا كثيفا بعث به اليهم، ودارت رحى الحرب في البريى فهزم ال الجلندي، وقتل منهم من قتل ولاذ الآخرون بالفرار.

ثمّة امام آخر عظيم الهمة عظيم الانجازات من بني خروص، هو الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصى الازدي، الذي بويع بالامامة في اليوم الذي مات فيه الامام مهنا في السادس والعشرين من ربيع الاخر سنة ٢٣٧ هـ / ٨٥١م (٢٥). وقد بويع الصلت على ما بويع عليه ائمة العدل من قبله اصلاح في الداخل وجهاد في الخارج، وكانت ارض عمان في عهده ممتدة مترامية الاطراف اذ كانت سقطرى والمكلا وحضرموت والمهرة كلها تحت الحكم العماني ثم حدث اختبار لعزم السلطان وسقوط الاسطول العماني حين جاء النصارى الاحباش بأسطولهم فهاجموا سقطرى على غير علم من الاسام وخربوا البلاد واعتدوا على الاموال والاعراض، واطلقوا الاجراس وجعلوها نصرانية، ولكن ابياتا من الشعر تصل الى الامام كتبته امرأة مسلمة اديبة من اهل سقطرى تستغث فيها بالامام وتثير عواثمه لينهض الى الدفاع عن الجزيرة المسلمة تقول فيها:

قل للامام الذي ترجى فضائله
وابن الجاحجة الشم الذين همو
امست سقطرى من الاسلام مقفرة
بعد الشرائع والفرقان والكتب (٢٦)

وتفعل هذه الايات بالامام الصلت ما فعلت صيحة «وامعتصماه» من المرأة المسلمة في «عمورية» وإذا كان المعتمد قد قاد جيشا من الفرسان حتى ظفر وانتصر، فان الامام الصلت بعث اسطولا من مائة سفينة حربية تحمل جنودا اشاوس وفرسانا يحبسبون ارواحهم في سبيل الله استعادوا الجزيرة من مغتصبها.

وقد امضى الامام الصلت في الحكم خمسا وثلاثين سنة من ٢٢٧ هـ الى ٢٧٢ هـ/ ٨٥١ - ٨٨٥ م، ومن الحقائق التاريخية ان نهاية حكم الامام الصلت لم تكن بسبب وفاته، ولكن كانت بالاعتزال بسبب تخالذ الناس عنه حين نزل موسى بن موسى بمجموعة من الناس قرية فرق القريبة من نزوى، قاصدا محاصرة الامام لتحقيق مطلبه في اعتزال الامام للامامة، وكانت وفاة الامام الصلت بعد ذلك بثلاثة اعوام وعلى وجه التحقيق في ذى الحجة سنة ٢٧٥ هـ/ ٨٨٨ م.

على ان المستقرى لاحداث التاريخ يرى ان الامام الصلت قد عاصر ستة من خلفاء بني العباس هم المتوكل والمنتصر والمعتز والمعتدى والمعتمد، وان العباسيين لم تكن تربطهم بعمان اية صلة، ولم يكن لهم عليها سيادة من عهد الرشيد حتى عهد المعتمد، وذلك يعنى ان العباسيين على سعة ملكهم وبسطة نفوذهم ظلوا بمنأى عن عمان على مدى حكم اثني عشر خليفة فترة القلق والاضطراب في عهد ائمة بني خروص.

كانت البلاد العمانية سليمة قوية معافاة تحت حكم الائمة الذين مر ذكرهم، فلما اعتزل الامام الصلت منصبه، وعم الاضطراب وتعددت السلطات، وهذه العيوب اذا ظهرت في دولة اضعفتها وقلبت حالها من القوة الى الضعف، فما ان اعتزل الامام الصلت حتى بايع موسى بن موسى بن علي، راشد بن النظر اليمدي واختلف العلماء من اهل الحل والعقد في شأنهما، فريق رأى ان اجراءهما باطل لانه خروج على الامام العادل، وعرف هذا الفريق بالرستاقية نسبة الى الرستاق، وفريق آخر رأي عكس ما رأي الفريق الاول، وقد عرف هذا الفريق الثانى بالنزوانية، نسبة الى نزوى اما اهل عمان فكانوا ضحية هذه الفرقة وقد كابدوا من ذلك بلاء عظيما.

فقد ولي امر عمان اكثر من امام بعد الامام عزان بن تميم الذى وقعت في عهده حرب اهلية طالبت مدتها واولئك الائمة بعد الامام عزان لم يكن احد منهم يبقى في مقعده إلا بقدر ما يكيد له آخرون فقد ولى الامامة عزان بن تميم فووقت في عهده حرب اهلية طالبت مدتها واتسع مداها واكثت الاخضر واليابس.

وفي الحقبة التى حكم فيها عزان هذا بدأت المحاولات العباسية في عهد الخليفة المعتضد تعد العدة لغزو عمان، خاصة وان الائمة الذين توالوا على عمان في هذه الفترة لم تكن لديهم القدرة على الحسم حيث اختلف الناس واقتربت كلمتهم وشن اهل عمان على بعضهم حروبا اهلية ادامت الفتن وعمقت النزاعات خاصة بين النزارية واليمنية، وبعدها قتل من قتل من النزارية واشتد الامر عليها، خرج محمد بن القاسم ويشير بن المنذر من بني سامه بن لؤى لطلب المساعدة من محمد بن نور الوالي العباسى بالبحرين، وكان المعتضد العباسى قد ولاء عليها سنة ٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م، فشكيا اليه

ما اصابهما من الفرقة اليمانية، وسألاه الخروج معهما الى عمان واطمعهما في امور جليلة، فأجابهما الى ذلك وأشار عليهما ان يذهبا الى الخليفة ببغداد^(٢٧). وكتب لهما عهدا بذلك فقبلا الاتفاق، فرحل محمد بن القاسم الى بغداد وقابل الخليفة المعتضد، فأبدى الخليفة موافقته، وعلى اثر ذلك عاد محمد بن القاسم الى البحرين^(٢٨).

وقد ترامت الى اسماع العمانيين اخبار تواطؤ بعض العمانيين لطلب المساعدة من والي البحرين وكان من المؤمل ان يتوحد اهل عمان لمواجهة الغزو، لكن يبدو ان العمانيين كانوا في وضع لا يمكنهم من الدفاع عن بلادهم، اذ ان الخلافات قد مزقت صفوفهم واصبحوا شيعا واحزابا متعادية، بعضها مع النزارية والبعض الآخر مع اليمانية، وهرب كثير من اهل عمان الى خارجها واسلم الباقون انفسهم للقدر، وفي ظل هذه الظروف توجه محمد بن نور والي البحرين الى عمان بجيش قوامه ثمانية وعشرون الف مقاتل ومعظمهم من النزارية^(٢٩).

استطاع محمد بن نور الاستيلاء على جلفار «رأس الخيمة» ونزوى وهزم اهل عمان وقتل امامهم عزان بن تميم وبعث برأسه الى الخليفة ببغداد وارتاب محمد بن نور افطع الجرائم بأهل عمان، وقتل خلقا كثيرا ولم يسلم من اهل عمان إلا من تأخر أجله، واقام محمد بن نور في نزوى واستولى على كافة عمان وفرق اهلها، وعاث في البلاد واهلك بقية الحرث والنسل، وجعل اعزة اهلها اذلة وقطع الايدي والارجل والاذنان وسمل الاعين وجعل على اهلها النكال والهوان ودفن الانهار واحرق الكتب، وذهبت عمان من ايدي اهلها^(٣٠). ومما اثار محمد بن نور هي محاولة الاهيف بن حمام الهنائي الذي حاول ان يؤلب اهل عمان عليه، وبالفعل فان اهل عمان طاردوه الى دما «السيب» وكادوا ان يسحقوا قواته، لكن سير المعركة جرت اخيرا لصالحه فانهمز الاهيف وعاد ابن نور يحكم عمان مرة أخرى^(٣١).

لم يمكث محمد بن نور في عمله واليا على عمان فترة طويلة، فقد تركها وعاد الى البحرين بعد ان عهد بولايتها الى احمد بن هلال من قبل الدولة العباسية وكان احمد هذا يعمل كاتباً للخليفة المقتدر في بغداد قبل ان يتولى هذا المنصب^(٣٢)، وجعل احمد عاملا على سائر عمان، وكانت اقامته ببهلا وجعل على نزوى عاملا رجلا يقال له بيجره^(٣٣).

وقام احمد بمحاولات لكسب رضا الخليفة العباسي من خلال الهدايا النفيسة التي كان يبعثها اليه، فقد ذكر المسعودي انه عند مروره بعمان في سنة ٣٠٥ هـ/ ٩١٧ م شاهد هدايا احمد بن هلال محمولة الى الخليفة العباسي المقتدر ومن بينها قروود موضوعة في سلال كبيرة الحجم^(٣٤)، مع هدايا من الطيب والرماح وطائر اسود يتكلم الفارسية والهندية، وعدد من الثعابين الضخمة وسلاحفاه وطرائف اخرى من عجائب البحر^(٣٥).

وظل بنو سامه بن لؤي يحكمون عمان بتقليد من الخليفة العباسي وكان على رأس الحكم محمد بن القاسم السامي الذي استتجد بالخليفة المعتضد ليعيد الامن والاستقرار الى عمان، وخرج الحكم من هذا البيت بعد اربعين سنة نتيجة خلافات بين افراده.

ورغم ان الامامة الاباضية التي دامت اكثر من قرن من الزمان قد زالت ككيان سياسي من الاقليم فان نفوذ الخلافة العباسية لم يشمل عمان بكاملها، بل انحصر في

المنطقة الساحلية وشمال عمان، وقد ظلت القبائل العمانية تدين بالولاء للمذهب الإباضي ولاتعاون مع الولاة الذين يعينهم العباسيون، وقد جرت العادة في تلك الفترة أن تقدم عمان للدولة العباسية خراجا سنويا يتولى جبايته مندوب كان يرسله الخليفة العباسي لهذا الغرض^(٣٧).

ولقد تعرض نظام الامامة عند اباضية عمان للتصدع والانحيار بعد وفاة الحواري بن مطرف ومرت على عمان فترة انقطع فيها عقد الامامة، ثم عقدوا اخيرا لمحمد بن يزيد الكندي، وكانت بيعته لهم على الدفاع وامتنع عن بيعه الشراه، لان عليه ديونا، ولم يتمكن هذا الامام من الصمود امام جيوش الوالي العباسي المحاصرة له، ففر من عمان واقام اهل عمان على امامتهم الحكم بين الملا في نزوى، وكان ضعيفا لا خبرة له في الادارة مما مكن الوالي العباسي من السيطرة على نزوى^(٣٨) واحكم قبضته على عمان. وقد حاول الامام راشد بن الوليد وضع حد للنفوذ العباسي في عمان ولكنه لم يوفق في ذلك واستطاع الوالي العباسي وبعد سلسلة من المعارك الصمود، ومما ساعده على ذلك هو الخلافات الداخلية القائمة بين اهل عمان والتي ادت الى الانصراف عن الامام وتأييد الوالي العباسي^(٣٩)، وقد كلفت هذه الخلافات عمان الشيء الكثير وخاصة كيانها السياسي.

وقد تدهورت الاحوال الاقتصادية بعد ان هاجر العديد من اهل عمان بأموالهم وذراريهم الى مراكز قريبة تتمتع بالاستقرار وقد ردمت بعض الافلاج وقطعت الاشجار كاعمال انتقامية قامت بها بعض القبائل ضد قبائل اخرى، او قامت بها القوات العباسية لضعاف مقاومة العمانيين^(٤٠).

وفي ظل هذه الظروف تمكن الوالي العباسي من تشديد قبضته على عمان والسيطرة على الموقف تماما، ويعبر احد مؤرخي عمان على ذلك بقوله: فاستولى السلطان الجائر «اي الوالي العباسي» على جميع النواحي والبلدان^(٤١).

عمان في العصر العباسي (٢٣٢ - ٦٥٦هـ - ٨٤٧ - ١٢٥٨م)

القرامطة وعُمان :

ان السيطرة العباسية على عمان لم تدم طويلا فقد استطاع العمانيون طرد الوالي العباسي على نزوى وانتخبوا اماما جديدا اعقبه ائمة آخرون لم يستطيعوا ان يوحدا عمان ولا ان يضموا ولا قبائلها مما عرضها لهجمات القرامطة، ويبدو ان اول هجوم قرمطي تعرضت له عمان كان في سنة ٢٩٤هـ (٩٠٥ - ٩٠٦م) تحت قيادة ابي سعيد الجنباني القائد القرمطي في البحرين، وتختلف الروايات التاريخية حول مدى نجاح محاولة القرامطة الاولى، ولكن يبدو ان الوالي العباسي بمساعدة القبائل النزارية كان قادرا على صددهم^(٤٢).

وقام القرامطة بمحاولة ثانية سنة ٣٠٥هـ (٩١٧م) وثالثة سنة ٣١٨هـ (٩٣٠ - ٩٣١م) منتهزين سحب المقتدر بالله القوات العباسية من عمان، بعد ان توصل الى اتفاق مع اهل عمان على تقديم الولاء للخلافة مع ضريبة سنوية للخزينة المركزية، ونجح القرامطة في السيطرة على عمان بدون اية مقاومة تذكر، واتفق على دفع الضريبة للقرامطة بدلا من العباسيين ومع ذلك لم تكن قبضة القرامطة على عمان محكمة، فقد ظل اهل عمان يحتفظون بدرجة من الحرية والاستقلال الذاتي حتى انهم

انتخبوا اماما جديدا للاباضية هو محمد بن يزيد الكندي^(٤٣).

وقد توالى على حكم عمان في الفترة التي سبقت حكم القرامطة سبعة ائمة بالتتابع خلال ثلاثين عاما، وهم عزان بن الهزبر محمد بن الحسن، وعزان بن خضر، وعبدالله بن محمد والصلت بن القاسم، ومحمد بن الحسن للمرة الثانية، والحسن بن سعيد المتوفي عام ٢٨٧هـ (٩٠٠م) وقد توالى الائمة الاباضية بعد ذلك ولكن بصورة بعضهم منتظمة وخلع عدد كبير منهم كما اكتنف الغموض حياة بعضهم، ولم يكن انتخاب بعضهم يتم بالاجماع، والفئات المعارضة كثيرا ما كانت تستقطب الناس لمنعها من الالتفاف حول الامام بعد انتخابه^(٤٤)، مما ساعد على ازدياد نفوذ القرامطة في عمان، فلم يحل عام ٣١٨هـ (٩٣٠م) إلا وقد بسط القرامطة نفوذهم على كثير من مناطق عمان في عهد ابي طاهر القرمطي، واستمرت سيطرة القرامطة على عمان بصورة متقطعة حتى سنة ٣٧٥هـ (٩٨٥م)^(٤٥). وكان نفوذ القرامطة خلال هذه الفترة يتأثر بالاضلاع القائمة في عمان وفي الدولة العباسية فمرة يقوى وتارة يضعف. وقد اطلق على الفترة التي امتدت من نهاية القرن الثالث الى العاشر الهجري او من القرن العاشر الى السادس عشر الميلادي من تاريخ عمان بالعصور المظلمة^(٤٦). وذلك لتداخل الاحداث وتعدد السلطات الحاكمة، سواء كانوا ملوكا وائمة، ولعدم رضوخ عمان كلها الى نظام واحد، فكانت بحق عصور ظلام حالكة نظرا لما سادت عمان من فوضى.

ويضاف الى الصراعات الداخلية في عمان ما كان يدور في منطقة الخليج من احداث فهناك حركتا الزنج في البصرة، والقرامطة في البحرين اللتان كانتا تشكلان خطورة حتى على الخلافة العباسية، وهناك ايضا محاولات السلطة العباسية التي كانت تشن هجمات متكررة على عمان، واخيرا انتهى الامر باستقلال الولاة العباسيين وانشائهم ممالك لهم^(٤٧).

عمان في عهد بني بويه:

استطاع يوسف بن وجيه التغلب على عمان، ولم توضح المصادر كيفية ارتقاء يوسف الى السلطة في عمان، وما زودتنا به المصادر ينسب الى بني سامة بن لؤي الذين وصلوا الى السيادة في عمان بمساعدة العباسيين ضد ائمة عمان^(٤٨).

وقد تزعزت العلاقة في هذه الفترة بين عمان والدولة العباسية ولم يعد الامراء العمانيون يلتزمون بتنفيذ ما يتلقونه من اوامر من السلطات العباسية، وقد ضرب يوسف بن وجيه امير عمان عرض الحائط باوامر الوزير العباسي ابي علي بن مقله، في التضيق على كل من ابي العباس الخصيبى الوزير العباسي السابق، وابي سليمان بن يحيى في سجنهما بعمان، بل انه سار اكثر من ذلك حيث امر باطلاق سراحهما، وكان بن مقله قد تسبب في نفيهما بعمان وحبسهما^(٤٩).

ولم يكتف يوسف بن وجيه بهذا بل تجرأ على التفكير في وضع يده على البصرة، وعزم عزما اكيدا على احتلالها خاصة عندما علم بان البريديين المسيطرين عليها في هذه الفترة فرضوا رسوما عالية على البضائع والسلع التي ترد من عمان وبدأ اول محاولة لفتح البصرة في سنة (٣٣١هـ / ٩٤٢م)^(٥٠). واعد لذلك قوة بحرية كبيرة واتجه نحو البصرة واوشك على الاستيلاء عليها^(٥١)، لولا حيلة احد ملاحي البصرة التي غيرت الموقف لصالح البريديين واخفق ابن وجيه في حملته ودمرت معظم سفنه، وأمر



درهم فضي ضرب في عمان عام ٣١٩ هـ في عهد يوسف بن وجيه

البريديون بمكافأة سخية للملاح البصري صاحب هذه الفكرة ومنقذ البصرة^(٥٢).
وانت المحاولة الثانية بعد عشر سنوات من المحاولة الأولى الفاشلة، فقد استغل ابن وحيه توتر العلاقات بين معز الدولة البويهى وقرامطة البحرين في سنة (٣٤١ هـ / ٩٥٢ م)، وذلك بسبب اعتراض القرامطة على تدخل معز الدولة في شؤون حلفائهم حكام البصرة وأقامه على فتح المدينة وحشد ابن وحيه قواته بمساندة حلفائه القرامطة، وفي الجانب الآخر كان وزير معز الدولة أبو محمد المهلبى، ثم حدث الاشتباك بين الطرفين في معركة بحرية انهزم فيها ابن وحيه وحلفاؤه القرامطة وقتل عدد كبير من اجناده وأسر الباكون، في حين ظفر المهلبى بمراكبه^(٥٣).

وكان اهل عمان قد قاموا بتنصيب الامام سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب بن الرحيل سنة ٣٢٠ هـ (٩٣٠ م) واستطاع هذا الامام التغلب على يوسف بن وحيه وانتزاع كثير من المدن العمانية الداخلية حيث بقى نفوذ يوسف بن وحيه محصور في المناطق الساحلية، وبعد استشهاد الامام سعيد بن عبدالله في بلدة مناقى من اعمال مدينة الرستاق سنة ٣٢٨ هـ / ٩٣٩ م، قدم العمانيون راشد بن الوليد اماما (٣٢٨ - ٣٤٢ / ٩٣٩ - ٩٥٣ م) وواصل هذا الامام الاستيلاء على المناطق الداخلية التى كانت تحت حكم سلفه الامام سعيد^(٥٤)، اما يوسف بن وحيه فقد اغتاله مولاة نافع سنة (٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م) وتولى الامر مكانه، وحاول نافع ان يقيم علاقة طيبة مع العباسيين وبدأ يتقرب اليهم وقد اهدى نافع معز الدولة فيلا نقل في البحر الى البصرة ومنها على بغداد.

وقد شغل نافع بحروب مع ائمة عمان الياضية في سنة (٣٤٢ هـ / ٩٥٣ م)، وساد عمان وضع غير مستقر في هذه الفترة، واستمر اضطراب الاوضاع حتى سنة (٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) عندما قرر معز الدولة احتلال عمان فارسل حملة الى عمان على رأسها ابو محمد المهلبى وبسبب وفاة هذا القائد لم يكتب لهذه الحملة الوصول الى عمان^(٥٥).

و اعاد معز الدولة الكرة في غزو عمان في سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م، وجهز حملة جعل على قيادتها كردك النقيب، وعندما وصل هذا القائد الى عمان طلب من نافع الدخول في طاعة معز الدولة واقامة الخطبة له، واعلن نافع ولاءه للبويهيين بعد تردد ولبنى جميع مطالب كردك الذى اقر الوضع في عمان وقف راجعا الى بغداد وفي هذه الاثناء حدث ثورة في عمان ضد نافع، وطرده العمانيون من البلاد ونصبوا النوكانى ملكا عليهم، وهو من اهل اليسار في عمان^(٥٦).

وكانت ردة فعل معز الدولة عندما بلغه ما جرى في عمان شديدة اذ راح يهدد النوكانى وبعث برسالة له بيد كردك يطلب فيها معز الدولة من النوكانى التخلي عن السلطة في عمان، فوافق النوكانى على ذلك، ولكن ثار عليه اهل عمان فهرب الى الخارج حاملا اموالا وذخائر ذات قيمة كبيرة، وركب البحر الى البصرة، وفي الطريق لاقاه كردك الذى استولى على ما لديه من اموال وجواهر، ورماه في البحر بعد تقييده وقدم ما استولى منه الى معز الدولة بعد رجوعه الى بغداد^(٥٧).

ان طرد العمانيين لحاكمهم النوكانى ادى الى سوء الوضع في عمان، ونشبت الخلافات من جديد بين رؤساء على السلطة واشتدت هذه الخلافات لدرجة طلب المساعدة في سنة (٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م) من قرامطة البحرين ليعيدوا الامن والاستقرار في

عمان، ولم يتردد القرامطة في تلبية هذه الدعوة، وارسلوا قوة منهم الى عمان بقيادة علي بن احمد الكاتب الذي كان بيده امر الجيش (٥٨).

استغل علي بن احمد الظروف غير المستقرة في عمان في تلك الفترة وأخذ يتحين الفرصة للاطاحة بالامير المنتخب عبدالوهاب بن احمد بن مروان الذي نصب بعد مقتل الامير السابق ابن طغان، واستطاع علي بن احمد ان يستميل احد قطاعات الجيش المكون من الزنوج وعددهم نحو ستة آلاف فنادوا به اميرا على البلاد بعد ان اقصوا الامير عبدالوهاب، وحدثت هذه التغيرات ضد ارادة اهل عمان بتدبير من علي بن احمد الكاتب القرمطي.

لم تدم سيطرة القرامطة على عمان طويلا حيث استنجد نافع امير عمان السابق بمعز الدولة في العراق، الذي اخذ يستعد لمقاومة القرامطة في عمان، فأعد اسطولا بلغ عدد قطعه مائة مركب شحنها بالرجال، وعين على قيادتها ابا الفرج محمد بن عباس فسانجس، وعند وصول هذه القوات الى سيراف انضمت اليها قوات جديدة بعث بها عضد الدولة البويهى الى عمه معز الدولة، واستطاعت القوات مجتمعة ان تلحق هزيمة كبيرة بأهل عمان والاستيلاء على بلادهم بعد ان تكبدوا خسائر فادحة، وكان ذلك في سنة (٣٥٥ - ٣٥٦ هـ / ٩٦٥ - ٩٦٦ م) (٥٩).

استطاع القائد ابو الفرج محمد بن عباس الذي تولى الامر في عمان اخضاع عمان للنفوذ البويهى في ظل الخلافة العباسية بعد ان اجلى عنها معظم العناصر القرمطية. وقد ترك ابو الفرج عمان بعد وفاة معز الدولة وعهد بالامر الى عمر بن نبهان الطائي الذي اقام الدعوة لعضد الدولة في عمان (٦٠). وقد اضطربت الاحوال في عمان بعد وفاة معز الدولة، اضافة الى قيام الزنج بثورة عارمة ضد عمر بن نبهان الطائي عامل بني العباس في عمان، وكانوا من الكثرة والعنف بحيث سيطروا على عمان وقتلوا عمر بن نبهان واختاروا رجلا يعرف بابن حلاج امرؤه عليهم (٦١).

ارسل عضد الدولة من كرمان قوة الى عمان بقيادة ابي حرب طغان لمحاربة الزنج، فوصلت هذه القوة الى صحار، واستطاع طغان ان يحقق نصرا على الزنج وصنائعهم من اهل عمان وتتبع قلولهم حتى قضى عليهم عند مدينة الريمي، وقد اتاح انشغال طغان بقتال الزنج الفرصة لاهل عمان لان يعدوا انفسهم وينظموا صفوفهم للتخلص من النفوذ البويهى، فانتخبوا حفص بن راشد اماما لهم (٦٢).

في ظل هذه الظروف احس عضد الدولة بخطورة الوضع في عمان وأخذ يستعد لقتال الامام حفص بن راشد، فارسل حملة جعل على قيادتها المطهر بن عبدالله الذي استطاع اخضاع عمان سنة ٣٦٤ هـ / ٩٧٤ م (٦٣)، وقد ترك المطهر عمان في هذه الاثناء بأمر من عضد الدولة، إلا ان العمانيين لم يلبثوا ان اعادوا الكرة فقتلوا حفص بن راشد الامامة للمرة الثانية فاستقامت له الامور وخضعت له البلاد لكن عمان عادة مرة اخرى للنفوذ البويهى بعد وفاة حفص حتى اخذ هذا النفوذ في الضعف مع بداية ظهور الخلافات على السلطة في البيت البويهى اثر وفاة عضد الدولة، وانعكست هذه الخلافات على الوضع في عمان.. ولما وصل شرف الدولة الى السلطة في بغداد وعلم بضعف النفوذ البويهى في عمان، اراد ان يستعد لاستعادة نفوذه هناك فبعث جيشا بقيادة ابي النصر خواشادة الى عمان... وقد استطاع القائد البويهى ابو النصر من

تحقيق نصر على القوى المضادة، لكنه رحل عن عمان بعد فترة وجيزة بعد أن ترك من ينوب عن السلطان شرف الدولة في حكمها^(٦٤).

لم يكن ناشئ شرف الدولة على درجة من الكفاءة والقدرة في ادارة شؤون البلاد فأعطى فرصة للقوى المضادة للتحرك واستغل أهل عمان ضعف الوالي فأعلنوا الثورة وحققوا نجاحا في ذلك، كما استطاعوا ايضا القضاء على نفوذ القرامطة نهائيا من عمان سنة (٣٧٥هـ / ٩٨٥م)، وهكذا استعاد اباضية عمان سلطانهم على بلادهم واخذوا يتعقبون انصار الدولة العباسية حتى آل الامر اليهم.

قيام دولة بنى مكرم في عمان

لم يدم استقرار الوضع السياسى طويلا، فقد استمرت الفتن والاضطرابات الداخلية تجتاح عمان بسبب الخلافات بين أهل عمان انفسهم حول السلطة، مما ساعد العباسيين على استعادة نفوذهم، فقد استنجد بنو مكرم وكانوا من وجوه أهل عمان بالبويهيين حكام بغداد وطلبوا مساعدتهم لمحاربة ائمة عمان اصحاب السلطة الفعلية، وكانت فرصة سانحة للبويهيين للنفوذ مرة أخرى لعمان، واستطاع بنو مكرم السيطرة على أغلب المدن العمانية الهامة باسم البويهيين.

وظل بنو مكرم يحكمون عمان نوابا عن البويهيين حتى انهم اقاموا الخطبة لبني العباس، وظلت العلاقة بين بنى مكرم والبويهيين جيدة رغم ما عكر صفو هذه العلاقة عندما عزلوا ابا محمد بن مكرم وعينوا بدله الفرخان بن شيران^(٦٥)، الذى لاينتمى الى اسرة بنى مكرم، وتم ذلك في سنة (٣٩٢هـ / ١٠٠١م)، ولكن ابا محمد اعيد الى منصبه بعد سنتين من عزله وظهر نشاطا ملحوظا في ادارة شؤون عمان، ونال رضا بني بويه وجعل القضاء في عمان بين يدي القاضى ابي بكر^(٦٦).

وعندما مرض ابو محمد بن مكرم عين ابنه ابا القاسم علي بن مكرم الذى تولى امر عمان ميديا رغبة شديدة في القضاء على حروب ائمة عمان، فقد ثار عليه احد الائمة، لكنه تمكن من القضاء على هذه الثورة، وظل يحكم عمان الى ان توفي سنة (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)، وخلفه ابنه ابو الحسن بن القاسم بن مكرم^(٦٧).

ان الضعف البويهى في بغداد كان ظرفا مناسباً لتعميق سلطة بنى مكرم حكام عمان، فقد استقلوا بالسلطة وتوارثوا الملك في عمان منذ عهد ابي القاسم علي بن مكرم^(٦٨)، لكن الخلافات التى حدثت فيما بينهم حول السلطة كانت سببا في اضعافهم فقد وقع النزاع على السلطة بين الاخوين ابنى الجيش والمهذب، وكانت نتيجة الصراع ان ابا الجيش قتل اخاه المهذب وانفرد بالسلطة الى ان مات، فأصبحت الكلمة في عمان الى علي ابن هطال الذى ملك عمان^(٦٩).

وقد اساء علي بن هطال السيرة مع أهل عمان، فقد قام بمصادرة اموال التجار ومارس النهب في الاهالي، مما خلق كرها شعيبا ضده ولما وصلت اخباره الى بغداد استعظم كاليجار افعاله وقرر محاربته، وانتدب لذلك قائده ابا منصور بن مافنه الذى اتصل بشخص يكنى المرتضى وكان نائبا لبني مكرم وطلب مساعدته لمحاربة علي بن هطال فعلا استطاع المرتضى هزيمة علي بن هطال، واقر ابا منصور بن مافنه بعد ذلك ابا محمد بن مكرم على اماره عمان في سنة (٤٣١هـ / ١٠٣٩م)^(٧٠).

ان الاضطرابات والقلاقل بدت تغزو عمان وثار أهلها على حكم بني مكرم وقام

كاليجار سنة (٤٣٣هـ / ١٠٤١م) بتجريد حملة الى عمان تمكنت من اعادة الهدوء والنظام اليها. ولم يلبث أن دب الضعف في دولة بني مكرم فتسلط عليها النساء والعبيد، وضعف أمرهم، فكان الوضع مغريبا لأباضية عمان للقيام بمحاولة استرجاع نفوذهم، وأخذوا ينظمون أنفسهم بقصد اجلاء بني بويه، ونجحوا في التغلب على البويهيين، وتم اعتقال أبي المخضر بني كاليجار الذي نصب نفسه أميرا على عمان، وتم اسقاط السلطة البويهية في سنة (٤٤٢هـ / ١٠٥٠م) (٧١).

زوال النفوذ البويهى :

عادت السلطة للأئمة الاباضيين قبيل سقوط حكم البويهيين في عمان حيث انتخب اهل عمان الامام الخليل بن شاذان في العقد الاول من القرن الخامس الهجري، واستمر حكمه مدة كبيرة من النصف الاول من هذا القرن وقام باصلاحات واسعة واصلح امر اهل عمان، فأسقط المكوس واطهر العدل واحسن في الرعية، وظلت عمان تحت حكم الأئمة الاباضيين الذين جاءوا بعد الامام خليل بن شاذان، ولم تشر المصادر بعد هذا التاريخ الى تدخل عباسي في عمان.

وبذلك خرجت عمان تماما من طاعة الدولة العباسية واستعادة استقلالها رغم المحاولات العباسية المستمرة في ادخالها ضمن دائرة النفوذ العباسي.

ولكن الدولة العباسية نفسها انتابها الضعف واخذت تسير في طريق الانحدار حتى قضى عليها المغول اخيرا في عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، بينما سارت عمان في طريقها بعيدا عن نفوذ هذه الخلافة الواهية، ولم تلبث ان دخلت حوالي منتصف القرن السادس للهجرة في عصر جديد هو عصر بني نبهان الذين حكموا عمان حوالي خمسة قرون من الزمان.

وهذا يقودنا الى الحديث عن عمان في عهد بني نبهان.

الفصل الخامس عُمان في عهد بني نبهان (٥٤٩-١٠٣٤هـ) (١١٥٤-١٦٢٤م)

اجمع المؤرخون العمانيون على أن حكم بني نبهان في عمان استمر خمسة قرون، وكان على فترتين، الأولى عرفت بفترة النباهنة الأوائل واستمرت اربعمئة عام، وبدأت بوفاء الامام ابي جابر موسى بن ابي المعالي موسى بن نجاد عام (٥٤٩هـ/ ١١٥٤م)، وانتهت بالقضاء على حكم سليمان بن سليمان بن مظفر النباهني الملك الشاعر المشهور، ومبايعة محمد بن اسماعيل اماما لعمان سنة (٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م)، وقد تخللت هذه الفترة غزوات وحروب واجهت بني نبهان من الداخل والخارج، بالإضافة الى تنصيب الائمة بين فترة واخرى.

اما الفترة الثانية والتي عرفت بفترة النباهنة المتأخرين فاستمرت من عام (٩٠٦هـ الى ١٠٣٤هـ / ١٥٠٠ الى ١٦٢٤م) وقد تخللتها أحداث مختلفة منها تنصيب الائمة، والصراع على السلطة بين بني نبهان انفسهم من جهة، وبينهم وبين بعض القبائل العمانية الطموحة في الوصول الى حكم من جهة ثانية.

على أن اهم أحداث تلك الفترة، احتلال البرتغاليين للمنطقة الساحلية من عمان. يمكن القول بأن نفوذ النباهنة قد اقتصر على المناطق الداخلية في بعض الفترات إلا انه امتد الى الساحل في مراحل أخرى كثيرة وفي أحيان أخرى تمكنت بعض القبائل المتمردة على حكم النباهنة من الانفراد بالساحل بعيدا عن سلطة الدولة.

ونظرا لامتداد حكم النباهنة لأكثر من خمسة قرون لذا فقد اطلق على عصرهم عصر النباهنة، وعلى الرغم من أن معظم المؤرخين قد اعتبروا عصرهم عصر جور وظلم لتجاوزهم على حقوق الرعية إلا أن النظرة العلمية المحايدة لا تأخذ بكثير من المسلمات التي افترقت في مجملها الى التحقيق العلمي الجاد.

وسيبقى عصر النباهنة مجالا خصباً لدراسات جديدة، لعل المستقبل يبنىء عن مصادر أخرى تكشف الغموض الذي يكتنف تلك الفترة الهامة من تاريخ عمان.

ونظرا للصراع الذي دار بين سليمان بن سليمان بن مظفر وبين الائمة، لذا فقد تمكن النباهنة من استغلال الموقف لصالحهم ومن خلال عدة معارك اتسمت مجملها بالمباغنة تمكن النباهنة من إعادة سلطتهم مرة ثانية^(١).

والسؤال الذي يمكن ان يطرح نفسه في هذا الصدد ما هي اصول بني نبهان وما هو نسبهم؟

أصول بني نبهان ونسبهم:

ينتمي بنو نبهان في اصولهم الى قبيلة العتيك تلك القبيلة العربية الازدية العمانية العريقة، التي لعبت دورا هاما في التاريخ الاسلامي، وذلك من خلال فرع من فروعها الشهيرة، ونعني به اسرة المهلب بن ابي صفرة^(٢)، القائد العمانى الفذ الذى تم على

يديه وبمساعدة قبيلته العتيك ثم الازد العمانيين القضاء على شرور ابن الازرق وغلوه. ومن المعلوم ان العتيك المنتمين الى قبيلة الازد العربية القحطانية ينتهي نسبهم الى يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام (٣).

وخير دليل على انتسابهم هذا ما ردهه شاعر النباهنة المشهور المعاصر لفترة حكمهم الاولى ابوبكر الستالي(٤)، الذي اختص ملوك بني نيهان بالمدح ثم ما فخر به الملك النبهاني الشاعر سليمان بن سليمان بن مظفر(٥)، الذي عاش في الفترة الممتدة من نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجريين (القرنان الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين) ثم ما ذكر الكيذاوي شاعر ملوك بني نيهان في الفترة الثانية(٦).

ظهور بني نيهان على مسرح الأحداث:

يستدعي الحديث عن ظهور بني نيهان التساؤل عن العوامل التي اوصلت بني نيهان الى الحكم ومتى سم ذلك؟ ثم من هم ملوك بني نيهان في الفترة التي نتناولها بالدراسة؟

وللاجابة عن ذلك نقول: بأنه حدث انقسام وصراع مرير على السلطة في عمان ادى الى تفكك الوضع الداخلي وبروز اطماع القوى الخارجية في بسط نفوذها وسلطانها على عمان، وادى ذلك الى وصول بني نيهان الى حكم عمان (٧).

ومن المشاكل الكبرى التي تواجهنا في دراسة تاريخ عمان في الفترة بين عامي (٥٤٩هـ / ١١٥٤ - ١٤٠٦م) تداخل الاحداث وتضارب التواريخ وتداخلها واختلافها، حتى ان تواريخ مبايعة الائمة ووفياتهم التي اعطاها المؤرخون العمانيون جل اهتمامهم تداخلت تماما بحيث لا يوجد تاريخ محدد متفق عليه لبداية حكم كل منهم.

فالستالي شاعر ملوك بني نيهان يورد في ديوانه ثلاثة تواريخ في مناسبات مختلفة في عهد بني نيهان: الاول عام ٤٧٤هـ / ١٠٨١م (٨)، والثاني عام ٥٠١هـ / ١١٠٧م (٩)، والثالث عام ٥٥٩هـ / ١١٦٤م (١٠). فلو افترضنا ان التواريخ الاولى هو بدء نظمة الشعر وهو بدء حكم بني نيهان، وان التاريخ الاخير هو آخر ما نظمه من الشعر فيهم لكان الفرق الزمني بينهما خمسة وثمانين عاما، واذا كان قد بدأ ينظم الشعر بهذا المستوى الرفيع وعمره لا يقل عن عشرين عاما، فان عمره حينذاك يكون قد تعدى المائة عام (١١).

اما الازكوي فيشير الى ان الفترة الواقعة بين وفاة الامام محمد بن خنيش سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م) ومبايعة الامام مالك بن الحواري عام ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م (١٢)، بلغت مائتين واثنين وخمسين عاما والى انه لم يجد في هذه الفترة تاريخا لاحد من الائمة، لكنه ذكر في مكان آخر: فلعلها كانت هذه السنون التي بين محمد بن خنيش ومالك بن الحواري سنين ملك النباهنة، ولعل ملكهم كان يزيد على خمسمائة سنة، إلا انه كان فيما بين هذه السنين يعقدون للائمة، والنباهنة ملوك في شىء من البلدان والائمة في بلدان اخرى (١٣).

وقد وصف ابن رزيق ملوك بني نيهان بأنهم ملوك عظام لهم من المكارم والملاحم

شأن عظيم ومن الصعوبة بمكان ذكر ملوكهم بالتفصيل وذلك لكثرتهم، فكل واحد منهم هو في الشأن والسلطان ولكن الفلاح بن المحسن هو الأشهر منهم جودا وسياسة^(١٤).

أما بادجر فعندما ترجم ما كتبه ابن رزيق اعتبر الفلاح بن المحسن هذا أول ملوك بني نبهان وحذا حذوه كل من أخذ عنه من المستشرقين وغيرهم من المؤرخين العرب ما عدا العمانيين^(١٥).

وعند قراءة تنسا لما كتبه ابن رزيق قراءة فاحصة وجدنا أنه لم يقل أن فلاح بن محسن هو أول من حكم بني نبهان وإنما قال أنه أشهرهم وفي حقيقة الأمر فإن فلاح بن محسن هذا هو السلطان الثالث في سلسلة ملوك بني نبهان المتأخرين الذين حكموا في الفترة الثانية من عهد بني نبهان.

وهكذا يبدو لنا أن هؤلاء المؤرخين قد وضعوا أسماء ملوك بني نبهان المتأخرين في الفترة الأولى من عهد بني نبهان، في حين لم يذكروا أسماء ملوك الفترة الأولى. وقد اتخذ هؤلاء الملوك من نزوى وبهلا حاضرتين للملك^(١٦)، وكان حكمهم وراثيا بمعنى أن يرث الابن الملك عن أبيه أو الأخ عن أخيه، وإذا لم يوجد الابن أو الأخ فقد كان أقرب اقرباء الملك المتوفى يتولى الحكم.

وقد وصف عهدهم بالجبروت، ومع أنه لا يوجد وجه للمقارنة بين حكم هؤلاء الملوك الذين أسماهم الفقهاء العمانيون بالجبابرة^(١٧)، وبين الأئمة الشرعيين المنتخبين، الذين اتصفوا بالزهد والتقوى والورع، إلا أننا لانميل إلى الأخذ بهذا الحكم المطلق، ونرى أنه يجب علينا أن نأخذ هذه الأحكام على أنها مسلمة لنناقش فيها، فكما أن هناك المفسد المسيء هناك أيضا المصلح المصيب، ينطبق ذلك على ملوك بني نبهان، الذين لم يكونوا جبابرة كما ذكر بعض المؤرخين.

وندل على ذلك بوصف الستالي به لبعض ملوكهم، حيث أشاد بتواضع وحسن اخلاق الملك النبهاني أبي العرب يعرب بن عمر، الذي عرف عنه حبه للعلم والعلماء، كذلك أثنى على السلطان أبي الحسن ذهل بن عمر وهناه بعودته إلى وطنه بعد أدائه فريضة حج بيت الله الحرام^(١٨)، وخير وصف لحسن اخلاق ملوك بني نبهان وكرمهم وتواضعهم ما ذكره ابن بطوطة عند زيارته لعمان ومقابلته للملك النبهاني أبي محمد حيث قال فيه: «وعادته أن يجلس خارج باب دراه في مجلس هناك، ولا حاجب له ولا وزير، ولا يمنع أحدا من الدخول إليه من غريب أو غيره، ويكرم الضيف على عادة العرب، ويعين له الضيافة ويعطيه على قدره وله أخلاق حسنة»^(١٩).

وهكذا نرى أنه من التطرف أن نحمل ملوك بني نبهان وزر ذلك الوضع المتردي كله، لأن المسؤولية لا تقع عليهم أو على بعضهم وحدهم، وإنما تقع أيضا على معاصريهم من علماء واعيان البلاد وعمامة أهلها خاصة وأن الحروب والاضطرابات عمت البلاد في كثير من فترات حكم بني نبهان.

حروب ملوك بني نبهان مع منافسيهم:

كانت فترة حكم ملوك بني نبهان من أكثر فترات التاريخ العماني تنافسا وصراعا على السلطة فعندما خلو منصب الإمامة من أمام قائم بأمور الدولة لأي سبب من الأسباب، تعود الأوضاع في البلاد إلى حالة الفوضى والتسيب ليعود الصراع والتطاحن بين القبائل واستمر هذا الوضع المضطرب في عمان أكثر من مائتين وخمسين عاما،

ويبدو أن هذه الفترة خلت فيها البلاد تماماً من منصب الإمامة لذا كان الصراع على أشده بين قبيلة النباهنة والقبائل العمانية الأخرى، بل بين أفراد أسرة بني نبهان أنفسهم، ولم ينحصر التنافس والصراع فيما بين أبناء العم فقط، بل تعداه إلى التنافس والقتال على السلطة بين الأخوة أنفسهم.

ولا نستطيع أن نتتبع أحداث هذا الصراع عند قيام دولة بني نبهان لأن مصدرنا الوحيد عن تلك الفترة هو الستالي الشاعر الذي كرس شعره في مدح ملوك بني نبهان الأوائل والثناء عليهم، دون أن يتعرض لسليبياتهم التي من ضمنها ذلك الصراع الدموي على السلطة، لكن سليمان بن سليمان الملك الشاعر أشار إلى ذلك الصراع في قصيدة شعرية ناشد فيها أخاه حسام بن سليمان بأن يترك الحرب ويركن إلى السلم والمصالحة^(٢٠)، ولكن يبدو أن حساماً لم يستجب لتلك النصائح فصمم على انتزاع السلطة من يد أخيه سليمان إلى أن لقي حتفه في ذلك الصراع الدائر بينهما.

يضاف إلى ذلك أن الملك النبهاني دخل في صراع رهيب مع زعماء القبائل العمانية الأخرى، مثل قبائل بني عمرو، والعوامر، وبني عمير، وبني ربيعة، وبني كعب وآل طيء، وبني مانع والشريحيين، والسوالم، والنوافل، مما أدى إلى تكتل هذه القبائل في عصبة واحدة ضده ويقال أنه في إحدى الوقائع بلغ عدد المقاتلين فيها أكثر من سبعة آلاف مقاتل^(٢١).

والخبر الوحيد الذي أشارت إليه الكتب التاريخية العمانية عن ذلك الصراع القبلي هو خروج آل الرئيس على سلطة ملوك بني نبهان في عهد الملك النبهاني كهلان بن عمر بن نبهان في نهاية شهر شوال عام ٦٧٥ هـ (أوائل شهر أبريل نيسان سنة ١٢٧٧ م). إذ خرجت حملة كبيرة من قبيلة آل الرئيس تناصرها قبيلة الحدان^(٢٢)، وذلك لضغينة بينهم وبين ملوك بني نبهان قاصدين عقر نزوى مقر ملك نبهان آنذاك فلما علم الملك كهلان بن عمر بذلك الهجوم خرج بمن معه من العسكر وأهل العقر ليصدوهم عن دخول نزوى^(٢٣).

وعندما علم المهاجمون بخروج كهلان ومن معه من سكان العقر بنزوى، سلكوا طريقاً آخر ليتجنبوا الاشتباك معهم، ثم ليدخلوا نزوى وهي خالية من المدافعين عنها. فتم لهم ما أرادوا، والحرب خدعة، فدخلوها دون أن يتصدى لهم أحد، وعندئذ اقتحموا سوقها ونهبوا ما بها ثم أضرمو فيها النيران التي امتدت إلى مخازن المسجد الجامع بنزوى، فاحترقت بمحتوياتها ومن ضمنها الكتب ثم توجه المهاجمون إلى منازل الأهالي، فسلبوا الأموال، وسبوا النساء.

وفي اليوم التالي عاد كهلان ومن معه من أهل العقر والعسكر، وتجمعوا بمنطقة السراة على مداخل مدينة نزوى وكان عددهم سبعة آلاف مقاتل ولم يلبثوا أن اقتحموا معسكرات المهاجمين من قبيلتي آل الرئيس والحدان، فوقع القتال بينهم وبلغ عدد القتلى ثلاثمائة قتيل من الفريقين فانهزم المهاجمون وعادوا من حيث أتوا^(٢٤).

وقد ورد في بعض المراجع اللاحقة أن عدد المهاجمين من قبيلتي آل الرئيس والحدان سبعة آلاف مقاتل كما ورد في بعض هذه المراجع تصحيح لكلمة السراة حيث أبسدت بكلمة الشراة^(٢٥)، ويقصد بها أولئك العسكر الذين خرجوا مع الملك كهلان، ولكن كما هو معلوم فإن كلمة الشراة^(٢٦)، مصطلح أباضى يقصد به أولئك الرجال المقاتلون الفدائيون الملتقون حول الإمام والمدافعون عن نظام الإمامة وليس

عن نظام معاد للإمامة كما هو الحال بالنسبة لنظام ملوك بني نيهان، والذي يدلنا على صحة ما نذهب اليه ما جاء في سيرة ابن مداد حيث يقول: « وعند اليوم التالي غرة شهر ذى القعدة وصل كهلان بعساكره واجتمعوا بالسراة فزحف عليهم العسكر وكانوا مقدار سبعة آلاف» (٣٧).

واذا كان هذه هو حال النباهنة مع المنافسين لهم من زعماء القبائل فكيف كان حالهم مع الامامة الاباضية؟

ملوك بني نيهان والامامة الاباضية:

وفي هذا الصدد لا بد ان نتحدث عن الائمة الذين اتاحت لنا المصادر معرفة بعض اخبارهم، ولابد ان نتحدث عن علاقتهم بملوك بني نيهان، ومن البداية تذكر لنا المصادر ان احوال عمان كانت مضطربة عندما تولى بنو نيهان الحكم في البلاد ذلك انه بوفاة الامام محمد بن خنيس عام (٥٥٧هـ / ١١٦١م)، سادت عمان حالة من الاضطراب والفوضى، كما شاب تدوين تاريخها حالة من الغموض والتعتيم ويعبر الازكوي (٣٨) عن تلك الحالة بقوله واصيب اهل عمان بموته بما لم يصابوا بأحد من قبله، فهو يصور لنا الحالة المضطربة والصراع المرير الذي قاسى منه العمانيون الاميرين، ولم تجتمع ارادة الامة على اختيار امام يوحد لها طيلة الفترة الممتدة من سنة (٥٥٧هـ الى ٨٠٩هـ / ١١٦١ - ١٤٠٦) ويذكر مايلز (٣٩) انه على امتداد اربعين عاما لا يوجد ذكر لصراع او تنافس على السلطة بين النبهانيين وعلماء الدين الاباضيين غير اننا نجد انه في سنة (٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) انتخب الامام مالك بن الحواري، وهو يعنى بذلك ملوك بني نيهان والائمة وفي الحقيقة فكلمهم اباضيون، والفترة اكبر مما ذكر فهي مثنان واثنان وخمسون عاما، لم يتم فيها مبايعة امام الى ان اجتمع العلماء والاعيان من اهل الحل والعقد على مبايعة مالك بن الحواري اماما لهم.

ولذا يعتبر مالك بن الحواري (٨٠٩-٨٣٢هـ / ١٤٠٦-١٤٢٨م) اول امام في عهد بني نيهان، وكدليل على اضطراب الاحوال الذي اثر بدوره على تدوين احداث التاريخ وانعكس بدوره على ما اورده السالمى الذي بدأ تدوين فترة الائمة في عهد بني نيهان بالحواري بن مالك حيث يقول: «وفي بعض الاثر مالك بن الحواري فلا ادري اهـا امامان بعضها بعد بعض؟ او انقلب العبارة سهوا على بعضهم وكذلك وقع الخلاف في تاريخ موتها ولعل الثاني منهما ولد الاول» (٣٠).

ولم يرجع السالمى رواية على اخرى اما السيابى فقد استقر على رواية واحدة فذكر بأن المبايع بالامامة هو الحواري بن مالك (٣١).

وامام هذا التضارب في المعلومات نرى الاخذ بالمعلومة القائلة بأن المبايع هو مالك بن الحواري، واما الحواري بن مالك فما هو إلا قلب للاسم كما اعتقد السالمى، ويؤكد هذا ما ذكره الازكوي حيث قال انه بعد موت مالك بن حواري بسبع سنين عقد لابي الحسن بن خميس بن عامر وذلك في شهر رمضان عام ٨٣٩هـ / مارس ١٤٣٦م (٣٢).

هذا وقد عقدت الامامة مالك بن الحواري بمدينة نزوى حيث ارسل حملة بقيادة عبدالله الملقب بالهول لغزو مدينة الرستاق لاختضاعها، فقام القائد المذكور بحرق سور قلعة الرستاق، وذلك للضغط على المتحصنين بها للتسليم حتى يقبلوا بالاستسلام.

امامة ابي الحسن بن خميس (٣٣):

يعتبر الامام ابو الحسن بن خميس بن عامر ثالث الائمة في عهد بنى نيهان بعد محمد بن خنيش الذى توفى سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢م، ثم الامام مالك بن الحواري وان كان زامبارو ومن اخذ عنه اعتبروه اول الائمة في عهد بنى نيهان لقد تجنب هؤلاء الخوض فيما غمض عليهم واكتفوا بما وضع لديهم^(٣٤)، مع ان الازكوى وابن رزيق قد ذكرا الامامين محمد بن خنيش ومالك بن الحواري، على اية حال فقد بوع لابي الحسن بالامامة في رمضان عام ٨٢٩هـ / ابريل ١٤٣٥م) وانفرد السالمى بذكر خروج بنى صلت عليه ومحاربتهم اياه بمؤازرة بنى ربيعة لهم، فأمر الامام بقطع نخيل بنى ربيع عقابا لهم على مؤازرتهم تلك، وقد توفى يوم السبت الحادي والعشرين من شهر ذى القعدة سنة (٨٤٦هـ / ٢٣ من شهر مارس «اذار» سنة ١٤٤٣م)، فكانت بذلك مدة امامته سبعة اعوام وشهرين^(٣٥).

اما فترة الشغور الواقعة بين الامام مالك بن الحواري والامام ابي الحسن بن خميس بن عامر يفسرها السيابى نقلا عن ابي رزيق فيقول: «عقد لابي الحسن بعد احمد بن محمد الربضى، قلت لعله كانت امامته في تلك المدة التى لاحظناها بين مالك بن الحواري وابى الحسن وهى ست سنين».

والواقع ان الفترة الزمنية بين الامام مالك بن الحواري والامام احمد بن عمر بن محمد الربضى هي سبع سنين وقد سبق ان اشرنا الى ذلك، اما الامام ابو الحسن الذى ورد ذكره في النص السابق فهو امام آخر غير ابي الحسن بن خميس بن عامر، الذى نحن بصدد الحديث عنه، وسيأتى الحديث عنه ان شاء الله فيما بعد.

امامة عمر بن الخطاب بن محمد الخروصى (٣٦)

لما اشتد تعسف وبطش ملوك بنى نيهان على البلاد واهلها اجتمع اهل الحل والعقد من العلماء واعيان البلاد، فبايعوا عمر بن الخطاب الخروصى، اماما لهم عام (٨٨٥هـ / ١٤٨٠م) وبقي في امامته هذه عاما واحدا ثم ثار عليه الملك النبهانى سليمان بن سليمان وانصاره^(٣٧)، فوقع بين الطرفين معركة عنيفة بقرية حممت^(٣٨)، بوادي بني رواحه وينفرد السيابي بذكر انصار الملك النبهانى حيث ذكر ان اكثر انصار السلطان في هذه البادية هم بنو رواحه وهم القوام بأمره^(٣٩).

وكان ان حلت الهزيمة بالامام وجيشه وبذلك انتهت امامته ثم جددت له البيعة بالامامة مرة ثانية لكن لم يرد ذكر لتاريخ تلك البيعة وكانت له وقائع وحروب مع الملك النبهانى المذكور وانصاره، وتم له النصر والغلبة عليهم^(٤٠).

وينفرد ابن رزيق^(٤١) برواية تقول بأن مبايعة الامام عمر بن الخطاب الاولى كانت في سنة ٨٣٥هـ / ١٤٣١م، بينما ذكر رامبارور^(٤٢) ان تاريخ مبايعته كانت عام ٨٥٥هـ / ١٤٥١م، دون ان يوضح هل كانت هذه هي المبايعة الاولى ام الثانية.

ويخالف هذا الرأي ما اجمع عليه المؤرخون الآخرون الذين رجعنا اليهم، وكذلك مع ما ذكره ابن رزيق نفسه عن مبايعة الامام ابي الحسن بن خميس حيث اتفق مع ما ذكره غيره من المؤرخين بأنها كانت في سنة (٨٣٩هـ / ١٤٣٥م)، وان وفاته كانت في سنة (٨٤٦هـ / ١٤٤٢م)، وبذلك تكون المبايعة الاولى للامام عمر بن الخطاب الخروصى في عام ٨٨٥هـ، كما ذكرنا من قبل واحتمال ان تكون مبايعته الثانية في عام (٨٨٧هـ / ١٤٨٢م)، كما سيتضح لنا فيما بعد.

وقد شبه ابن رزيق الامام العماني عمر بن الخطاب الخروصي بالخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في العدل والانصاف مع الحزم والشدة وفي نصرة الحق والضرب على يد الظلمة والمفسدين^(٤٢).

وفاة الامام عمر بن الخطاب الخروصي :

لم يدون المؤرخون تاريخ وفاته رحمه الله، وانما ذكروا تاريخ مبايعة الامام محمد بن سليمان الذي جاء بعده وهو عام (٨٩٤هـ / ١٤٨٨م)^(٤٣)، أما ابن ماجه^(٤٤) الذي يعتبر معاصرا لهذه الفترة، وان كانت معلوماته فيما نرى مضطربة بعض الشيء فعند حديثه عن طموحات ملك هرمز والتي اسمها (جرون) وتوسعه وحروبه مع جيرانه يقول: وقد اخذ ولده سيف بن زامل عمان من^(٤٥) نيهان بن شهاب بالسيف على سليمان بن سليمان بن نيهان في عام ثلاث وتسعين وثمانمائة وولي عليها اماما عن الاباضية يدفع له محاصيلها وقد نصره اهلها وقاموا بنصره، فهدم حصونها وامر عليهم عمر بن الخطاب الاباضي وعند تحليلنا لهذا النص التاريخي لا بد لنا من توضيح بعض النقاط الواردة فيه:

- نيهان بن شهاب المذكور في النص لم يثر اليه المؤرخون العمانيون قط.
- اما سليمان بن سليمان بن نيهان حسبما ذكره ابن ماجه فاسمه الصحيح هو سليمان بن سليمان بن مظفر بن سليمان بن مظفر بن نيهان النيهاني.
- والذي يفهم^(٤٦) من كلام ابن ماجه، ان المذكور سواء كان سيف بن زامل او نيهان بن شهاب، قد استولى على عمان «بالسيف» اي بالقوة من سليمان بن سليمان وولي عليها اماما اباضيا يدفع له «محاصيلها» اي زكاتها، وقد قام العمانيون بنصرة هذا الامام الذي امر عليهم وهو عمر بن الخطاب ويبدو لنا ان الامر قد اختلط على ابن ماجه، فالامام الذي ذكره هو نفسه الامام عمر بن الخطاب، وربما اراد بذلك العالم الجليل محمد بن سليمان بن احمد بن مفرج الذي نصب او عقد الامامة على عمر بن الخطاب للمرة الثانية كما سبق ذكره.

الامام محمد بن سليمان:

هو محمد بن سليمان بن احمد بن مفرج، القاضي البهلوي، قطب علماء عمان في حينه نصب للحكم والقضاء قبل مبايعة الامام عمر بن الخطاب، ولذلك عرف بالقاضي ثم انه هو الذي عقد للامام عمر بن الخطاب بالامامة للمرة الثانية، واولك اليه الامام عمر امر تشكيل مجلس قضائي للحكم في ممتلكات ملوك بني نيهان كما سبق ذكره، وقد بويع له بالامامة بعد وفاة الامام عمر بن الخطاب عام (٨٩٤هـ / ١٤٨٨م) ولم يبق مدة طويلة في امامته وربما عزل، او اعتزل بنفسه، حيث لم يستطع القضاء على الفلاقل التي اشارها سليمان بن سليمان بعد عودته من جزيرة القسم، وذلك للدعاء والخصومة التي كانت بينه وبين هذا الامام لان هذا الامام هو نفسه الذي شكل مجلس القضاء للحكم في ممتلكات ملوك بني نيهان وليس ابوه كما ذكر السيادي.

الامام عمر الشريف:

لم تذكر المصادر بقية اسمه ولا نسبه وقد بويع له بالامامة بعد اعتزال الامام محمد بن سليمان بن احمد بن مفرج، ولم يذكر المؤرخون تاريخ مبايعته، وقد بقي

عاما واحدا في امامته، ثم خرج من مقر الامامة بنزوى الى بهلا، وبذلك سقطت امامته (٤٨)، فبويع سلفه السابق ذكره محمد بن سليمان بالامامة للمرة الثانية، ولكن هذا الامام ايضا لم يبق هو الآخر مدة طويلة في امامته واعتزل فبويع بعده، احمد بن عمر بن محمد الربخي حيث سار في حكمه سيرة محمود، ووصف عهده بالعدل والزاهة وتوفي امامته ودفن بنزوى.

الامام ابو الحسن بن عبدالسلام:

بعد وفاة الامام الربخي، بويع ابو الحسن بن عبدالسلام بالامامة في نزوى وبقي في منصب الامامة عامًا واحدًا او دون ذلك بقليل فتمرد عليه سليمان بن سليمان وقضى على امامته او توفي حسيما ذكر ابن رزيق.

وينفرد الازكوي برواية تقول بأن محمد بن سليمان المشهور بالقاضى بويع بعده للمرة الثالثة، واما السالى فيقول ان: سليمان بن سليمان بقي اياما ملكا بالقهر والجبرية متغلبا على من تحته بالسلطة والقهر، حتى بويع الامام محمد بن اسماعيل. ويدل ذلك على عدم استقرار الاوضاع وكثرة القلاقل والحروب في تلك المرحلة، وذلك لعدم بقاء الائمة في منصب الامامة لمدة طويلة، نتيجة للتنافس على السلطة بين نظام الامامة وسلطة بنى نبهان المتمثلة في ثورات وخروج سليمان بن سليمان.

الامام محمد بن اسماعيل الاسماعيلي الحاضري (٤٩)

من الثابت تاريخيا ان سليمان بن سليمان التبهاني كانت له صفات ازعجت اهل الحل والعقد منه، مما جعلهم يتجهون الى اختيار رجل يكون اهلا لتولى امور البلاد فكان اختيارهم لمحمد بن اسماعيل الحاضري فيايحويه اماما لعمان سنة ٩٠٦ هجرية / ١٥٠٠ ميلادية وذلك لتوسمهم في شخصه كفاءة واستقامة، هذا عن الاحداث الداخلية التي وقعت في عمان في عهد النباهنة فيا ترى ما هي قصتهم مع القوى الخارجية والدول الاجنبية؟

علاقة بنى نبهان بالقوى الخارجية:

اتسمت علاقة بنى نبهان بالقوى الخارجية بطابعين متباينين احدهما سلبي والاخر ايجابي اما الجانب السلبي فيتمثل في الغزو الخارجى لعمان، ذلك ان كثرة التمزق والخلاف بين العمانيين ادت الى استهانة اعدائهم بهم، فشنوا عليهم عدة غزوات كان مصدر غالبيتها بلاد فارس فقد ذكر الستالي ان هجوما قام به الفرس على عمان في عهد الملك التبهاني معمر بن عمر بن نبهان ولكن العمانيين قضوا على ذلك الهجوم (٥٠). اما الغزوات التى قام بها الفرس ونجحت في الوصول الى عمان وامتلاكها فترة من الزمن فهي ثلاث:

الغزو الاول :

تروي لنا كتب التاريخ انه في عام (٦٦٠هـ / ١٢٦١م) وفي عهد الملك التبهاني ابي المعالي كهلان بن نبهان قام محمود بن احمد الكوشى ملك هرمز (٥١) بهجوم على عمان فاستولى على ميناء قلعات، واستدعى ابا المعالي كهلان وطلب منه تحصيل الخراج من العمانيين وتسليمه اياه، فاعتذر ابو المعالي عن ذلك متعللا بأن عمان ليست كلها طوع يده فاشار عليه بأن يأخذ قوة من جيشه يجبر بها من لايدفع الخراج، وعندما رأى ابو المعالي كهلان، اصراره على ذلك اخذ يستلطفه راجيا منه العفو عن اهل

عمان، وذلك لعدم استطاعتهم دفع المبلغ الذى طلبه، فغضب عليه الملك الهرمزي، وقرب امراء البدو العُمانيين الذين وفدوا الى معسكره، ملين دعوته، فاعاد عليهم هداياه من كساء واموال وطلب منهم نصرته وتنفيذ ما طلب من اموال فوعده بذلك^(٥٢).

وعند وصول الملك الهرمزي الى ظفار، تصدى له اهله فاستشهد عدد كبير منهم وتمركز جيش الملك الهرمزي في المناطق الساحلية من ظفار حيث قاموا بنهب الاسواق ومنازل الاهالي وسلب ما في ايديهم، وسبى رقيقهم وبلغ عدد السبى اثني عشر الفا وحملت تلك الامتعة والاموال المسلوبة والرقيق على السفن، وامر الملك الهرمزي ثلث جيشه بمرافقة هذه السفن على ان يسبقوه الى قلهات لكي يجتمع جيشه هناك، اما هو ومن بقى معه من جيشه فتوغلوا الى الداخل قاصدين داخلية عمان عن طريق البر^(٥٣).

وهناك رواية وردت في المصادر العمانية^(٥٤) بهذا الخصوص مفادها انه لما صار في طريق البر نقص عليه السزاد واصابهم جوع حتى بيع من^(٥٥) اللحم بدينار واصابهم عطش كثير لقلة الماء في تلك الطريق وقيل انه مات من عسكره خمسة آلاف رجل وقيل اكثر ولكن هذه المعلومة لا تشفى غليل الباحث لانها مبهمه ولا تفسر الاسباب التى ادت بهؤلاء القوم كى يكونوا على هذه الحالة.

فليس من المعقول ان يقوم قائد كبير ملك مملكة لها ثقلاها في المنطقة بمغامرة كهذه دون ان يعمل حسابا لطول الطريق او لما تتطلبه الرحلة من استعدادات ويبدو لنا ان ما ذكره ابن رزيق اقرب الى الواقع، وهو انه لما وصل الملك الهرمزي الى منطقة قبيلة القرى «بادية يسكنون بجبل شاهق في ظفار»، استعان بعشرة رجال منهم ليدلوه على الطريق الى داخل عمان.

فلما توسطوا بهم البر هربوا عنهم ليلا فاصبحوا حائرين يترددون في رمال عالية وفيافي خالية، فتاهوا في تلك الصحارى الواسعة فرادى وجماعات دون ان يهتدوا الى طريقهم واستمروا على تلك الحال حتى نفذ عليهم الماء والطعام ولم يجدوا لدوابهم طعاما فنفتت من العطش والجوع، فهلك الملك الهرمزي والغالبية العظمى من جيشه^(٥٦)، ومن لم يهلك عطشا وجوعا اجهز عليه سكان البادية^(٥٧)، ولم ينج منهم سوى نفر قليل، واصلوا سيرهم برا حتى وصلوا جلفار «رأس الخيمة حاليا» ومنها عبروا الى جزيرة هرمز، ولا نأخذ بما قاله ابن رزيق على انه لم يبق منهم سوى رجل واحدا فهذا قول مبالغ فيه.

اما اولئك الذين رجعوا من ظفار عن طريق البحر، فقد ارسوا سفنهم في قلهات^(٥٨) وجعلوا عليه من يحرسها وقصد غالبيتهم طيوي فصددهم عنها بنو جابر ومن معهم من القبائل العمانية وقتلوهم جميعا ودفنوا هناك في مدافن جماعية تعرف اليوم بقبور الترك، وقد اشار ابن رزيق في كتابه الفتح المبين الى ان رجلا من قبيلة بنى جابر العمانية ومن تبعهم هجموا على الذين اوكبل اليهم حراسة السفن بميناء قلهات فقضوا عليهم جميعا واخذوا ما وجدوه بسفنهم ثم اضرموا فيها النار^(٥٩).

الغزو الثانى :

وهى غزوة حكام شيراز ففي عام (٦٧٤هـ / ١٢٧٦م) وخلال حكم الملك النبهاني عمر بن نبهان قام كل من فخر الدين احمد بن الداية واخوه شهاب الدين

نجلى حاكم شيراز ببلاد فارس، بغزو عمان وكسانا على رأس حملة عسكرية قوامها اربعة آلاف وخمسمائة فارس قامت بهذا الغزو.

وعندما نزل هؤلاء الغزاة بمدينة صحار التقى بهم الملك عمر بن نبهان بجيشه في حي عاصم بمنطقة الباطنة حيث انهزم واستشهد ثلاثمائة رجل من جيشه فزحف الغزاة الى العاصمة نزوى، ولم تفلح مقاومة ودفاع اهله عنها فاستولى عليها الغزاة في ١٥ من شهر ذى القعدة (الثانى من شهر مايو ايار) من نفس العام، وقاموا بنهب منازلها وسوقها ولم يكتفوا بهذا بل قاموا بتدمير سوقها، وحرق الكتب التى عثروا عليها، واخرجوا اهل عقر نزوى من منازلهم وحلوا محلهم فيها، ثم توجهوا بعد ذلك الى مدينة بهلاء^(٦١) العاصمة الثانية لملوك بنى نبهان وحاصروها مدة طويلة ولكنهم لم يفلحوا في فتحها.

وخلال فترة الحصار اصاب سهم قائد الغزاة فخر الدين احمد بن الداية في مقتل فخر صريعا، وكان مصرعه هذا سببا في فت عزيمة جيشه وبالتالي في هزيمتهم، وعجل هذا الوضع في خروجهم من عمان^(٦١)، بعد ان مكثوا بها اربعة اشهر عاثوا خلالها فسادا وقتلا، ونهبوا وسلبوا، وقد عانى الاهالي خلال فترة احتلالهم للبلاد الكثير، فبالاضافة الى الفاساد والمظالم، فقد غلت الاسعار غلاء فاحشا لم يتحملة عامة الناس، وقد اجمعت المصادر التاريخية على ان عام ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م هو التاريخ الذى حدث فيه هذا الغزو على عمان ما عدا ابن رزيق الذى ذكر في كتابيه الشعاع الشائع والفتح المبين انه كان في عام ٦٦٤هـ / ١٢٦٥م^(٦٢)، مما يدل على ان ابن رزيق لا يتحرى الدقة في تدوين التواريخ عند ذكره للوقائع والاحداث.

اما الغزو الثالث:

فقد انفرد بذكره كل من ابن مداد والمعولى حيث اشارا الى انه حدث في عام ٨٦٦هـ (١٤٦١-١٤٦٢م) ان قام نورشاه بن لقمة ملك هرمز بغزو عمان على رأس جيش ضخم يربو عدد افرادة على عشرين الف مقاتل، بينهم الف فارس^(٦٣).

وبعد انتصار الملك الهرمزي واستيلائه على عمان اتخذ من بهلاء مقر الملك النبهانى سليمان بن مظفر الذى فر الى الاحساء، مقاما لجنوده، وامر عليهم غسان بن كليب الذى كان مستشارا خاصا لسليمان بن مظفر بدرجة وزير، وكان يعتبر اقوى المقربين اليه كما ذكر المؤرخان بأن سليمان بن مظفر هذا عاد فيما بعد الى عمان ورجع اليه ملكه، لكنهما لم يشرى الى الكيفية التى عاد بها الى حكمه وهل استرجع ملكه بالقوة ام بالصلح؟ ام ان العمانيين ثاروا على المحتل واخرجوه من بلادهم؟

هذا ما لم يوضحاه... ومهما يكن من امر فان سليمان مظفر هذا رحل الى شرق افريقية كما سنذكره لاحقا واسس مملكة بته «بات» النبهانية، وان قيل انه عاد الى عمان، فربما عاد اليها زائرا وليس حاكما.. حيث لم نسمع له عن دور في عمان بعد ذلك.

وعندما شب ولداه سليمان وحسام، اشتد بينهما الصراع على السلطة وانتهى هذا الصراع بانتصار سليمان على اخيه، لكنهبقى يصارع الاثمة وزعماء القبائل الاخرى الى ان انتزع السلطة منه الامام محمد بن اسماعيل كما سبق القول.

وقد ارخ المعولى هذا الغزو بعام ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م مع انه اشار في نهاية حديثه الى

هذا الموضوع وكان هذا بعد سنئ الفترة، وسنؤن الفترة التى اشار اليها هي السنؤات الممتدة من عام ٥٥٧هـ / ١١٦٢م الى ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م والتى كانت فيها عمان شافرة من منصب الامامة... وكان للمؤك بنئ نبهان اليد الطؤلى في عمان، ولذلك يبدو ان التاريخ الذى ذكره المؤولى لهذا الغزو لا يتفق مع ما اشار اليه، في نهاية الحديث عن هذا الموضوع ونرى ان التاريخ الذى ذكره ابن مداد (٨٦٦هـ / ١٤٦١م)، هو الصحيح^(٦٤).

علاقات بنئ نبهان السياسية بالقوى الخارجية :

تشير بعض المصادر العمانية الى تعدد علاقات النباهنة بالقوى الخارجية وخصوصا العلاقات السياسية التى بدت اكثرو وضوحا من خلال تبادل الزيارات مع البلاد المجاورة وخصوصا في منطقة الخليج وشرق افريقيا وبعض الممالك الآسوية. ووفقا لرواية السنالى شاعر مؤك بنئ نبهان الذى اشار الى علاقات النباهنة بشرق افريقيا اثناء زيارته اليها ويبدو ان علاقة حكام النباهنة بالممالك الافريقية كانت وثيقة لدرجة انه امتدح ثلاثة من الحكام الافارقة وهم سبخت بن علي^(٦٥) وبختان^(٦٦) واسحق بن عمر^(٦٧).

وعلى الرغم من كل ذلك فان عصر النباهنة يبقئ فترة زمنية لم تكشف كل تفاصيلها بعد إلا ان بعض المعلومات المتناثرة قد قدمت صورة لآباس بها لطبيعة العلاقات بين النباهنة وشرق افريقيا.

علاقة عمان بشرق افريقيا في عهد بنئ نبهان :

علاقة عمان بشرق افريقيا علاقة قديمة، خاصة العلاقات التجارية بين الطرفين وكان العمانيون يلجأؤن الى هذه المنطقة عندما تجبرهم الظروف على ترك وطنهم سواء كانت تلك الظروف اقتصادية، نتيجة للقط والازمات الاقتصادية والسياسة كجوء الزعماء والامراء مثلما حدث لسعيد وسليمان ابنى عباد بن عبد بن الجلندئ فرارا من اضطهاد الحجاج بن يوسف الثقفي، او اجتماعية نتيجة للحروب القبلية والثارات التى دفعت بعضهم الى الفرار الى شرق افريقيا خوفا على حياتهم، ولذا كان استيطان العمانيين لشرق افريقيا ظاهرة قديمة ومستديمة.

اما علاقة مؤك بنئ نبهان بشرق افريقيا، ونزوحهم اليها واقامتهم مملكة نبهانية في بات فمن المرجح ان يكون هذا الامر قد حدث عند عودة الامامة الى الحكم في عمان بمبايعة مالك بن الحواري اماما لعمان عام ٨٠٩هـ (١٤٠٦ - ١٤٠٧م)^(٦٨) ومن المحتمل ان يكون قد تم في عهد الملك النبهانى مظفر بن سليمان بن مظفر بن نبهان او في عهد ابنه سليمان بن مظفر - والد الملك الشاعر سليمان بن سليمان، الذى رحل عن عمان بعد اقصاصه عن الحكم على يد الملك الهرمئ نورشاه بن لقمة كما سبق القول، ولجأ الى مملكة بات وتزوج هناك من ابنة ملكها المدعو اسحق ثم انتقل الحكم اليه اما بؤفاة والدها المدعو اسحق، او بتنازل الاخير عن الحكم طواعية لابنته ثم لزوجه^(٦٩).

واذا كان هذه هي سياسة بنئ نبهان الداخلية والخارجية والاحداث التى جرت في عهدهم اثناء فترة حكمهم الاؤلى فما هي الاحداث التى مسروا بها في فترة حكمهم الثانية وهئ فترة قصيرة بطبيعة الحال.

الفترة الثانية من حكم بنى نبهان (٩٠٦-١٠٣٤هـ / ١٥٠٠-١٦٢٤م):

من الملاحظ ان هذه الفترة خلت من منصب الامامة ما عدا اولئك الائمة الثلاثة الذين كانوا في بدايتها وهم بركات بن محمد الاسماعيلي الحاضري وعمر بن قاسم الفضيلي وعبدالله بن محمد القرن... كما يلاحظ اختفاء العلماء الفيوريين على اصلاح شأن المجتمع، فاختفت بذلك الدعوة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعمت الفوضى ربوع البلاد، حتى وصلت الى حالة يرثى لها من التمزق والتناحر، وكان الصراع على السلطة على اشدها ما يكون.

وأهم أحداث هذه الفترة هي:

قيام الملك النبهاني سلطان بن محسن بن سليمان النبهاني باحياء ملك النباهنة في هذه الفترة وذلك باستيلائه على مدينة نزوى عام ٩٦٤هـ (١٥٥٦م) (٧٠) كما استولى الملك سليمان بن مظفر بن سلطان بن محسن علي الحكم في داخلية البلاد واتخذ من مدينة بهلاء مركزا لحكمه، ومن محاسن حكمه توحيدته للبلاد ونجدها لمهنا بن محمد الهديفي زعيم صحار لصد هجوم الفرس عنها.

ولكن يؤخذ عليه اضطهاده لقبيلة الجهاضم وتشريدهم من بلادهم سمد الشان ثلاثين عاما... ولم يلبث ان افترق انصاره الى فرقتين حيث ظل بنو معن وبنو شكيل حلفاء له بينما صار بنو النير وبنو هناة برئاسة خلف بن ابي سعيد وسيف بن محمد بن ابي سعيد يناصبونه العداء، حيث تحالفوا مع امير سمائل عمير بن حمير النبهاني، ولذلك صار هناك تحالف قبلي ضد الملك النبهاني سليمان بن مظفر ضم هؤلاء اضافة الى امير الرستاق مالك بن ابي العرب، وابى الحسن علي بن قطن الجبزي زعيم الجبور، وقد اعان هؤلاء الحلفاء الجهاضم على العودة الى بلادهم واسترجاعها من يد سليمان بن مظفر واستمر الصراع بين الفريقين على اشده، الى ان توفي سليمان بن مظفر فخلفه في الحكم ابن عمه عرار بن فلاح بن محسن الذي خلفه اخوه نبهان بن فلاح بن محسن (٧١).

ولما كانت مدينة بهلاء مركز ملك بنى نبهان في هذه الفترة فقد حرص كل زعيم منهم لكي يصير ملكا على ان يستولى اولا على هذه المدينة ليضمن مركزه ومكانته بين القبائل العمانية، فعل ذلك الامير عمير بن حمير النبهاني ويستولى عليها فتم له الامر، وخاصة بعد ان تحالف معه بنو هناة وانضم اليه اهل نزوى واهل منح واخرجوا منافسيه من المنطقة الواقعة تحت نفوذه، وهم سلطان بن حمير ومن معه حيث استقروا في صحار عند زعيمها محمد بن مهنا الهديفي، واذا كان بنو راحة هم انصار بنى نبهان المقربون في الفترة الاولى خاصة عهد الملك النبهاني الشاعر سليمان بن سليمان بن مظفر، فان بنى هناة هم انصارهم المقربون في هذه الفترة.

الصراع في منطقة الظاهرة

لم يلبث ان انتقل الصراع بعد ذلك الى منطقة الظاهرة التي كان مسيطرا عليها ابناء الملك النبهاني فلاح بن محسن، فبعد موت مخزن بن فلاح بن محسن .. الذي كان قد استولى على مدينة ينقل حيث صارت المدينتان ينقل ومقنيات تحت سيطرة اخيه نبهان الذي كرهه اهل مقنيات لجوره وتسلطه عليهم، فاستنجدوا بالملك عمير بن حمير الذي قاد جيشا كبيرا صاحبه فيه سيف بن محمد بن ابي سعيد الهنائي،

فاستولوا على مدينة مقنيات، ثم زحفوا على مدينة ينقل، ولما علم نيهان بقدمهم اليه رحل عن المدينة قاصدا اخواله آل الرئيس، وكان ذلك في الثاني من شهر صفر عام ١٠٢٦ هـ (٢٠ من شهر مارس ١٦١٧ م) وفي مدينة ينقل عين الملك عمير بن حمير من يتولى شؤون الحكم فيها واعاد الاموال والممتلكات التي اخذت من اهله، ومكث فيها مدة ثم عاد الى مدينة مقنيات وازاح عن اهله ما كانوا يعانونه من تسلط نيهان وظلمه، واكتفى منهم بعشر المحصول من النخل والزرع بعد ان كان نيهان يأخذ نصف غلة النخل وربع غلة الزرع كما امر بأن تكون غلة اموال الدولة بها لمن يقيم بالحسن ويتولى شؤون المدينة، وولي عمر بن ابي سعيد الهنائي امور الحصن والمدينة ثم عاد وبصحبه سيف بن محمد الى مدينة بهلا (٧٢).

هذا وقد سجلت المصادر التاريخية العمانية ان الفترة الاخيرة من حكم بنى نيهان الثانية في عمان سادتها اجواء من الفوضى كان سببا للتفكك وانقسام عرى الوحدة الى ان قبض الله لعمان رجلا من بين رجالها تميز ببعد البصيرة، إلا وهو ناصر بن مرشد اليعربي الامر الذي جعل اهل الحل والعقد في عمان يعتقدون له الامامة سنة ١٠٣٤ هجرية / ١٦٢٤ ميلادية وبذلك بدأت في عمان مرحلة جديدة من التلاحم والوحدة والاستقرار واستهلكت عمان عصرا ذهبيا انعكست اثاره على الامن وصلاح الاحوال.

وفي منتصف شهر ربيع الآخر «اواخر شهر ابريل» من نفس العام استرجع نيهان بمساعدة اخواله آل الرئيس مدينة ينقل كلها ما عدا حصنها الذي كان في يد قبيلة بنى علي الذين استعانوا بالجبور الذين كان مقرهم ببادية الشمال فنصرهم وكانت الهزيمة على نيهان وانصاره... وانتهى امر بنى نيهان وبدأ عهد اليعاربة، وقبل اسدال الستار على بنى نيهان على هذا النحو لابد ان نشير الى شيء من خصائص عهدهم وسمات عصرهم.

خصائص عهد بنى نيهان:

كان بنو نيهان يمثلون نظاما سياسيا بحتا انهم كانوا ملوكا سلوكوا اسلوبا مغايرا لاسلوب الائمة، الذين اتصفوا بالزهد والتقشف، في حين مال بنو نيهان الى حياة الرفاهية والترف والفخامة.. فبنوا لانفسهم القلاع والحصون لتكون لهم حصونا منيعة تصد عنهم هجمات منافسيهم.

هذا بالاضافة الى استبداد كثير من ملوك بنى نيهان واستيلاء بعضهم على ممتلكات الرعية بطرق غير شرعية وفرض الضرائب الباهظة التي لا تتفق مع تعاليم الاسلام وقواعده في جمع الزكاة، فقد قال صلى الله علي وسلم: «فما سقت السماء والعيون العشر وما سقى بالدوالي والغرب نصف العشر»... وقال ايضا «ليس فيما دون خمس اواق صدقة.. وليس فيما دون عشرين مثقالا صدقة.. وليس فيما دون خمس ذود صدقة.. وليس فيما دون اربعين شاه صدقة وليس فيما دون خمسة اوسق صدقة» (٧٢).

كما لا يمكن القول بقيام حكومة قوية في عهد بنى نيهان، وانما اتصف ذلك العهد بكثرة الصراعات والنزاعات المستمرة والتنافس الدائم على السلطة طيلة عهدهم سواء كان ذلك فيما بينهم كافراد في اسرة بنى نيهان.. او بينهم وبين زعماء القبائل العمانية الاخرى، او بينهم وبين الائمة المنتخبين.. واقل ما يوصف به عهدهم انه عهد الاسر

الحاكمة او دويلات المدن... فليس هناك حكومة مركزية قوية تفرض نفسها على البلاد بأسرها، وقد اشارت هذه الاسباب مجتمعة سخط العمانيين عليهم، فسموهم بالجبابرة والطفاة، ووصف عهدهم بالتسلط والاستبداد، ومن جانب آخر ارجع المؤرخون العمانيون عن كتابة تاريخهم اذ اعتبروا فترة حكمهم فترة سوداء في التاريخ العماني، ولذا غاب عنا تاريخهم، ومن هذه الناحية اعتبر عهدهم عهدا مظلما في التاريخ العماني.

واذا كان عهد النباهنة مظلما في كثير من جوانبه وفتراته في تاريخ عمان فسانه لم يكن كذلك في منطقة اخرى سيطر عليها النباهنة، وهذه المنطقة هي ما كانت تعرف بمملكة بات والتي كانت تقع في ارض بيل لامو بساحل افريقيا، والتي رحل اليها احد ملوك بني نبهان كما سبق القول واقام هناك هذه المملكة التي رعت الحضارة والعلم والثقافة ونشرت الاسلام بين كثير من الافارقة، واقامت علاقات قوية مع سكان المنطقة سواء في الساحل ام في الداخل.

واذا كان نباهنة بات قد اقاموا هذه العلاقات وربطوا بين عمان وشرقى افريقيا على هذا النحو، فان هذا الامر لم يكن الاول من نوعه في تاريخ العلاقات بين عمان وشرقى افريقيا، فتاريخ هذه العلاقات يمتد الى ابعد من ذلك بكثير، وكانت الصلات والعلاقات التجارية هي السبيل الذي مهد لتوثيق هذه العلاقات وتوطيدها فيما بينهما الى حد كبير، ولذلك كان من الواجب ان يكون هناك حديث يوضح هذه العلاقات ويبين تلك الصلات ويكون احسن ختام للحديث عن عمان في العصور الاسلامية، وهذا ما سوف نراه في الفصل التالي.

الفصل السادس

الصلات التجارية بين عمان وشرق افريقيا في العصر الوسيط

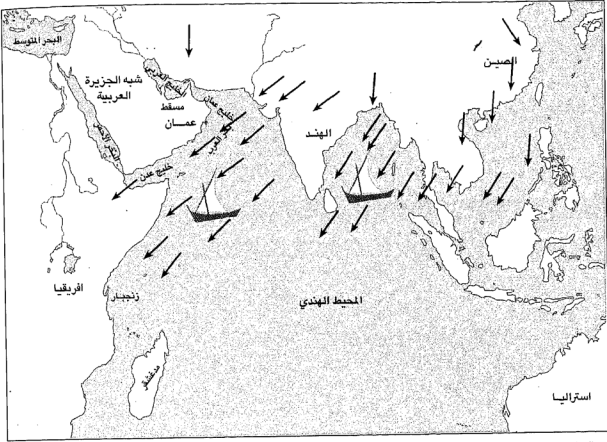
كان لمنطقة الخليج العربي بصفة عامة وعمان بصفة خاصة صلات عريقة بشرق افريقيا ترجع الى ما قبل الاسلام بوقت طويل وكان العمانيون اول رواد لساحل افريقيا الشرقى واكثر تأثرا في المنطقة من اى فريق آخر، وذلك بهدف المتاجرة مع الافارقة في هذه المنطقة من قارة افريقيا.

ولذلك يقال ان تاريخ العمانيين في شرق افريقيا مرتبط بتاريخ التجارة العمانية لكن لاسف فـان هذا التاريخ او كلاهما غير مسجل او مدون بصورة دقيقة ومفصلة... فالمصادر العمانية المنشورة تتجاهل كل ما يحيط بالعلاقات التجارية بين شرق افريقيا وعمان، على الرغم من ان هذه التجارة كانت سببا في ازدهار العمانيين... كما ان المدونات التى عثر عليها في شرق افريقيا، فضلا عن كونها متأخرة وتعتمد على التراث الشفوي، فان اهتمامها الرئيسى ينصب على التاريخ السياسى لالاسر الحاكمة في شرق افريقيا^(١)، ولذا سوف يكون لاعتمادنا على الأعمال الجغرافية والملاحية العربية الوسيطة التى تضم معلومات قيمة حول التجارة بين عمان وشرق افريقيا.. فمن المعروف ان النشاط التجارى للعرب المسلمين كان أحد من العوامل التى شجعت الجغرافيين العرب على الرحلة الى اقطار شرق افريقيا وتعريف الناس بمسلكها وطرقها ووصف سكان تلك البلاد وطبيعتها ومنتجاتها.

وابتداء من القرن الرابع الهجري العاشر الميلادى نجد ان رحالا عربيا قد دون بصورة مختصر اخبار رحلته من عمان الى شرق افريقيا في كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» وهو ابو الحسن بن الحسين بن علي المسعودي الذى ولد في نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادى في بغداد من اسرة حجازية... والواقع ان اخبار رحلته الى شرق افريقيا هى السبيل الوحيد للتعرف على حجم التجارة العمانية وابعادها في شرق افريقيا^(٢).

رحل المسعودي مع التجارة والتجار العمانيين عدة مرات، ولقى ماكان من مخاوف واهوال في مياه الشرق الافريقى ووصل مع بحارة «عمان من عرب الازد» الى اقصى جنوب الساحل الافريقى الشرقى، وعاش معهم في شرق افريقيا ثلاث سنوات يرقب ويدون ما يرقب ثم عاد معهم الى عمان ولم تستقر به الحياة في عمان إلا قليلا فقد ركب البحر مرة اخرى وعاد الى افريقيا الشرقية.

لقد قدم المسعودي المعرفة عن شرق افريقيا، حيث كتب في زمن نشطت فيه التجارة الخليجية في تلك المنطقة، ولم يكتب عن سماع وقراءة بل كتب ما رأى وخبر مباشرة، وبذلك وضع اسسا ثابتة وقوية لتاريخ العلاقات العربية — الافريقية التجارية بخاصة العمانية^(٣). ومع كل ما كتبه من معلومات عن صلة العمانيين



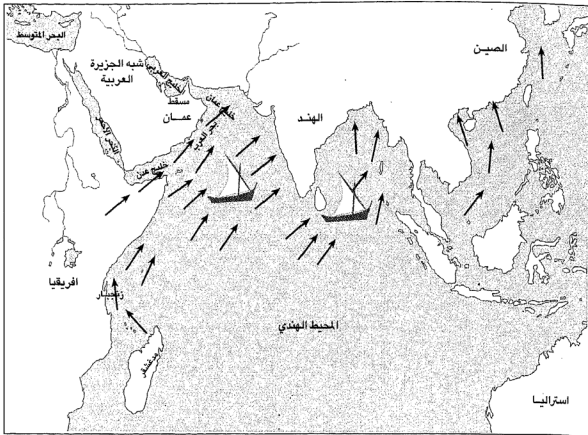
دور الرياح الموسمية
الشتوية في التجارة
العمانية

التجارية بشرق أفريقيا والتي تخص الطريق التجاري بين عمان والساحل الأفريقي الشرقي ومصاعب هذا الطريق ومراحل السفر فيه ومنتجات ذلك الساحل فاننا على ثقة بأن معلومات المسعودي عن هذه الجوانب هي أكثر بكثير مما دونه لنا في كتابه «مروج الذهب».

ومنذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ووصلتنا اوصاف أخرى للرحلات التجارية العمانية في شرق أفريقيا... فقد كتب بزرك بن شهريار على لسان ربابنة السفن العمانية المتخصصةين بالسفر الى شرق أفريقيا موضحاً لنا المناطق التي وصلها التجار العمانيون في تلك المنطقة.

استمر الجغرافيون العرب ما بين القرنين الخامس والسابع الهجريين / الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين في التأكيد على النشاط التجاري العربي في شرق أفريقيا^(٤) ذلك النشاط الذي بلغ أوجه في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي وفي هذا المجال نذكر الرحالة العربي الكبير ابن بطوطة، الذي جاب العالم الإسلامي بنفسه ووصل من عدن الى ساحل أفريقيا الشرقي سنة ٧٣٢هـ / ١٢٣١م، وعاد من المكان الأخير الى عمان عبر الطريق المسلوك من قبل التجار، وعند عودته دون ما شاهده من نشاط تجاري عربي في مدن الشرق الأفريقي وكذلك النظم التجارية المتبعة هناك.

أما الكتب الملاحية فهي حصيصة العلاقات التجارية والبحرية والسياسية العمانية في اقطار العالم المعروفة آنذاك ومن بينها اقطار شرق أفريقيا، فقد حرص بعض العمانيين على دراسة قواعد واصول الابحار في المحيط الهندي، وكان من أشهرهم احمد بن ماجد



دور الرياح الموسمية
الصيفية في التجارة
العمانية

وسليمان المهري للذين ألفا مجموعات كبيرة وصغيرة من المقالات تعين الباحث على معرفة كثير من جوانب النشاط التجاري الملاحي... وإلى هذه المؤلفات الملاحية يعود الفضل في معرفتنا بأن الرحلة التجارية البحرية إلى شرق أفريقيا ترتبط بمعرفة أصول الملاحة وفنونها... واليهما يعود الفضل أيضاً في معرفتنا بمواسم التجارة العمانية مع شرق أفريقيا والمناطق التي وصلها التجار العمانيون في شرق أفريقيا والسلع التي كانوا يرحلون من أجل جلبها، وهذا ما سنجده في ثنايا هذا الفصل.

أولاً: العوامل التي تتحكم في صلة العمانيين التجارية بشرق أفريقيا

من المسلم به في ضوء المعلومات المتوفرة بين أيدينا أن الحافز الأول والأهم في صلة عمان بشرق أفريقيا هو التجارة، التي دفعت العمانيين إلى الإبحار إلى شرق أفريقيا حاملين معهم المواد التي يرغب سكان تلك المنطقة في مبادلتها بمنتجات بلادهم.

والسؤال الأول الذي يتبادر إلى الذهن هو لماذا وجه العمانيون نشاطهم التجاري نحو شرق أفريقيا؟ إن الإجابة على هذا السؤال ترتبط ارتباطاً وثيقاً بعدة عوامل منها:

١- دور عمان العريق في الملاحة والتجارة البحرية: فارتباط الشاطئ العماني بالبحر منذ وجوده جعل سكانه يكتسبون خبرة بحرية تؤهلهم لكسب خضوع المحيط الهندي بين عمان وشرق أفريقيا لجولاتهم البحرية غير أبهى بأمواجه العالية^(٩) وهذا يعني أن العمانيين قد سخروا مهاراتهم الملاحية ومعرفتهم بطرق الملاحة وقوانينها لخدمة أغراضهم التجارية مع شرق أفريقيا.

٢- الموقع الجغرافي لموانئ عمان لقد جعل هذا الموقع المدن العمانية مركزاً مهماً

لتجارة العبور استيرادا وتصديرا بين أسواق العالم المعروفة في العصر الوسيط، وربطها بطرق التجارة العالمية المعروفة آنذاك وهذا ما اكتسب عمان خصوصية في التجارة العالمية فقول: «من أراد التجارة فعليه بعدن وعمان»^(٦). إذ اشتهرت موانئ عمان بكثرة تجارها ووفرة تجارتها وسعة مالهها وغناها^(٧). كما أن موقع عمان جعلها بوابة الخليج العربي الأولى إلى شرق أفريقيا، التي امتازت بخيراتها الوفيرة... ولذا قام العمانيون بنقل معظم تجارة الساحل الأفريقي الشرقي إلى عمان ليعاد تصديرها إلى المراكز التي تطلبها^(٨).

٣ - العلاقة المكانية بين عمان وشرق أفريقيا: فالجوار الجغرافي قد دفع العمانيين لأن يوجهوا نشاطهم التجاري إلى شرق أفريقيا.

٤ - تعدد أفريقيا الشرقية نقطة جذب للعمانيين لما يتوفر فيها من سلع غالية ومرغوبة تدر أرباحا عالية، لذلك غامر العمانيون لجلبها وتحملوا الصعاب والمخاطر من أجل الحصول عليها.

٥ - الطبيعة المناخية لشرق أفريقيا: فقد يسرت هذه الطبيعة للعمانيين التجارة مع شرق أفريقيا بأقل جهد، ونقص بذلك حركة الرياح الموسمية التي تهب على منطقة المحيط الهندي والتي مكنت العمانيين من القيام برحلتين منتظميتين في السنة، ففي شهر نوفمبر من كل سنة تندفع الرياح نحو الجنوب الغربي فتخرج السفن من خليج عمان إلى المحيط الهندي ثم تسير بمحاذاة الساحل الأفريقي الشرقي وفي شهر إبريل من كل سنة تنعكس العملية حيث تبدأ الرياح بالهبوب من الجنوب والجنوب الغربي بحيث تمكن السفن العمانية من العودة إلى أوطانها في ساحل عمان محملة بسلع أفريقية متنوعة، فضلا عن أن موقع عمان قد مكناها من الاستفادة من الرياح الموسمية للوصول إلى شرق أفريقيا^(٩).

٦ - ازدياد التجارة العمانية بعد ظهور الإسلام: ويمكن أن نضيف عاملا آخر وهو البعد الجديد الذي اكتسبته العلاقات العمانية الأفريقية بعد الإسلام، بسبب بروز دوافع وعوامل جديدة دينية وسياسية جعلت الصلة قوية بين الجانبين ونشطت من حركة التجارة، فقد هب العمانيون بعد ظهور الإسلام حاملين معهم الرسالة الإسلامية وقاموا بنشرها في شرق أفريقيا عن طريق التجارة^(١٠).

ومنذ ذلك الوقت فإن النزاعات السياسية والفكرية التي شهدتها عمان في العصر الوسيط أخذت تدفع بالكثير من العمانيين إلى ترك أوطانهم والتوجه ضوئ الشرق الأفريقي لاستقرار فيه ومزاولة كافة نشاطاتهم الحياتية، ومنها التجارية بالطبع وكانت أولى الجماعات العمانية التي اتخذت من شرق أفريقيا مهجرا لها وسجلت لنا أخبار التاريخ العماني هي أسرة آل الجلندي^(١١).

وفي أيام حكم سعيد وسليمان من آل الجلندي صارت عمان ملاذا لسائر الأقوات المناهضة لحكم الخلفاء الأمويين ولذا قررت الخلافة أن تعيد عمان إلى طاعة الدولة المركزية فأرسل وإلى العراق الحجاج بن يوسف الثقفي جيشا إلى عمان لأنها كانت ترتبط ارتباطا اداريا به، وقد نجح هذا الجيش في مهمته^(١٢).

اضطر الأخوان سعيد وسليمان عندئذ إلى جمع أقاربهم وممتلكاتهم وأخذ عددا من ابتاعهم وقبيلتهما ورحلوا جميعا قاصدين شرق أفريقيا، وفي هذا يقول سرحان بن سعيد الأزكوي^(١٣): لما شعر سليمان وسعيد بالعجز أمام جيش الحجاج حملا

نزاريهما وسوادهما ومن خرج معهما من قومهما ولحقا ببلد من بلدان الزنج حتى ماتا هناك.

وهذا يعني أن الازكوي لم يحدد المكان الذي نزل فيه آل الجلندي واستقروا فيه في شرق افريقيا ويعزو كيركمان^(١٤) ذلك الى ان اسماء الاماكن في شرق افريقيا لا تعنى شيئا بالنسبة لكتاب الشؤون السياسية العمانيين بل هي تخص انشطة التجار والملاحين.

ولكن الذي يفترض هو أن آل الجلندي كانوا قد اقاموا في بته «بات» احدى جزر ارجيبيل لامو... ولدينا نص طريف عن تأسيس مدينة لامو في مخطوطه «خبر اللامو»^(١٦) جاء فيه:

«ان سكان لامو الاوائل هم من العرب الذين جاءوا من مدينة دمشق في سوريا، وان الشخص الذي ارسلهم هو عبدالمك بن مروان... وبعد هؤلاء جاء عرب آخرون وذلك بعد ان وصلتهم اخبار المهاجرين العرب الى الساحل الافريقي، وان زعيم هؤلاء العرب الذين جاؤا هو الحاج سعيد».

في هذا النص اشارة الى استيطان سعيد الجلندي في ارجيبيل لامو، وان سبب اختياره هذه المنطقة للاستقرار فيها انما يعود الى وصول مجموعات عربية قبله واستقرارها هناك، كما ان احداث هذا الاستقرار قد تمت ايام الخليفة الاموي عبدالمك بن مروان، وهذا يتزامن مع هجرة آل الجلندي الى شرق افريقيا، ومما يزيد من اهمية هذا النص انه الوحيد الذي يخص اول هجرة عمانية الى شرق افريقيا.

وللمرة الثانية نجد ادلة مهمة عن وصول العمانيين الى ساحل شرق افريقيا، ففي بداية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وصلت مجموعة عمانية كبيرة الى شرق افريقيا دفععتها عوامل سياسية، الا وهي حكام عمان من النبهانيين والمعروف ان النبهانيين كانوا قد فرضوا سيطرتهم على عمان في اواخر القرن السادس الهجري «الثاني عشر الميلادي» بعد منازعات عديدة مع القوى المتصارعة انذاك في عمان.

واستنادا الى مخطوطة تاريخ بات ان السلطان سليمان بن مظفر النبهاني عندما طرده اليعربي رحل الى بات واستقر فيها عام ٦٠١ هـ (١٢٠٤ م) ومعه كثير من الثروات، وقد تزوج سليمان النبهاني من ابنة حاكم بات البتاوي^(١٧) وحصل على حكم المنطقة كهدية زواجه من والد العروس حاكم بات^(١٨).

وهكذا أصبحت بات منذ ذلك الوقت مركزا للسلطة النبهانية التي فرضت سيطرتها على ساحل افريقيا الشرقي، الى ان انتهى الامر بخضوع النبهانيين الى السلطة اليعربية في زنجبار^(١٩)، ويشك كيركمان^(٢٠) في هذه الرواية التي حدثتنا عن مجيء النبهانيين الى بات واخذهم حكم هذه المدينة في بداية القرن السابع الهجري «الثالث عشر الميلادي» ولكنه في الوقت نفسه يؤكد باصرار ان وصول النبهانيين الى بات كان مرتبطا ارتباطا وثيقا باحداث عمان، وتقلب حكم النبهانيين هناك، ومع ذلك فانه لايرجح الوصول المبكر للنبهانيين الى شرق افريقيا، وعلى اية حال فان الذي يهمننا في هذا المجال هو ان النبهانيين، وكل المهاجرين العمانيين، كانت لهم جهود طيبة في انعاش حركة التجارة العربية في شرق افريقيا، وقد ساعد هذا الانتعاش على قدوم الكثير من التجار العمانيين الى موانئ الشرق الافريقي ومدنه^(٢١).

وقد يكون من المفيد ان نشير هنا الى ان الوجود العماني في شرق افريقيا بعد.

الإسلام كان قد أحدث تغييرات جديدة في صلة عمان بتلك المنطقة وتأتى في مقدمتها تحول المراكز التجارية العربية المؤقتة التي كانت قد ظهرت في ساحل أفريقيا الشرقى قبل الإسلام بفعل صلات العرب التجارية مع سكان تلك المنطقة، الى مراكز استقرار دائم تخدم التبادل التجاري والمصالح السياسية للعرب في سواحل أفريقيا الشرقية، وهذا يعنى ان الاسر العمانية التي وفدت الى شرق أفريقيا قد حققت نجاحا وازدهارا كبيرين في ربط المصالح التجارية للعرب والعمانيين بصورة خاصة مع شعوب أفريقيا الشرقية^(٢٣).

ثانيا : الطريق التجاري بين عمان وشرق افريقيا ومحطاته:

لا بد لمن يريد معرفة الطريق التجاري المسلك بين عمان وشرق افريقيا ان يرجع اولا وقبل كل شىء الى مدونات الجغرافيين والملاحين العرب، حيث وجه هؤلاء في كتاباتهم ومصفاتهم عناية خاصة لوصف هذا الطريق من حيث مراحل السير فيه ومحطات توقف السفن واذا كانت كتب الجغرافيين الاوائل لاتفصل كثيرا في مراحل هذا الطريق، وانما تكفى بذكر وجود طريق بحري بين عمان وبلاد الزنج^(٢٣) فان النشاط التجاري الكثيف لعمان مع شرق افريقيا منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي وما بعده بسبب انتعاش حركة التجارة العربية مع هذه المنطقة، بعد ان واجهت الحركة التجارية ما بين الخليج العربي والشرق الاقصى مصاعب جمّة^(٢٤)، قد دفع الجغرافيين العرب الى الكتابة بصورة تفصيلية عن الطريق التجاري ومحطاته بين عمان وشرق افريقيا.

وقبل ان نبدأ بوصف الرحلة التجارية للعمانيين الى شرق افريقيا لابد ان نذكر ان العمانيين عرفوا مناطق الساحل الافريقى الشرقى الجغرافية الاربع، وهى بربرة والزنج وسفالة «موزمبيق» وبلاد الواق^(٢٥)، وعرفوا مدن كل منطقة لاسيما تلك التى تنهى له السلع التى رحلوا من اجلها^(٢٦).

وتبدأ المرحلة الاولى للطريق التجاري بين عمان وشرق افريقيا بالخروج من عمان الى ارض المهرة والشحر «حضر موت» ومن ثم الى عدن^(٢٧)، ومن عدن تتجه السفن باتجاه جنوبى غربى مارة بجزيرة سوقطرة لتصل الى اول منطقة في افريقيا الشرقية وهى بلاد بربرة وخليجها «الخليج البربرى»^(٢٨) وقد عرف العمانيون حدود هذه المنطقة وطول خليجها وعرضه لانه الممر المائى الذى يوصلهم الى المناطق التى ينشُدونها في شرق افريقيا وفي هذا يقول المسعودى^(٢٩) وله خليج متصل بأرض الحبشة يمتد الى ناحية بربري من بلاد الزنج والحبشة ويسمى الخليج البربرى طوله خمسمائة ميل وعرض طريقه مائة ميل.. واهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج الى جزيرة قنبلو من بحر الزنج.

اما اهم الموانئ التى تمر بها السفن العمانية في بربرة فهى حفونى «حفون» وبندر موسى^(٣٠).. ومن الضروري ان نشير الى ان السفن العمانية كانت لا تحمل شيئا يذكر من البضائع في المرحلة الاولى من رحلتها، وهذا يعنى ان منطقة بربرة كانت محطة عبور فقط للسفن العمانية التجارية.

تخرج السفن العمانية من حفونى «حافون» الى المنطقة الثانية في شرق افريقيا وهى بلاد الزنج، لتبدأ المرحلة الثانية من رحلتها، وكان التجار العمانيون قد عرفوا بلاد الزنج بصورة دقيقة لتوفر السلع التجارية المرغوبة، وتمتد هذه المنطقة بين

مدينة مقديشو في الصومال الى بلاد سفالة (موزمبيق)^(٣١)، وقد قدر المسعودي^(٣٢) مساحة هذه المنطقة بنحو سبعمائة فرسخ، اما اول مدينة على الخط التجاري المار ببلاد الزنج تدخلها السفن العمانية فكانت مدينة مقديشو التي وصفها ابن سعيد الغربي^(٣٣) بأنها مدينة الاسلام المشهورة في ذلك الصقع بلاد الزنج المتردة الذكر في السنة المسافرين.

كانت مقديشو مركزا مهما لاستقبال التجار القادمين الى ساحل الزنج، ولعل افضل شهادة من مكانتها التجارية في هذا الساحل ما ورد على لسان الرحالة العربي ابن فاطمة حيث قال واهلها مجتمعون في الاقطار وهي بلد حط واقلاع^(٣٤) واستمرت مقديشو محتفظة بمكانتها التجارية هذه... ففي القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي وصفها ابن بطوطة الرحالة المشهور بأنها مدينة متناهية في الكبر، وان اهلها تجار اقوياء، والمراكب تصل الى مرساها باستمرار من مختلف الاقطار وان حكامها وسكانها كانوا على استعداد دائم لاستقبال السفن التجارية القادمة لها وما تحمله من بضائع وسلع^(٣٥).

ومن المحطات التجارية التي تمر بها السفن العمانية في ساحل «بلاد الزنج» بعد مقديشو مركرة وبراءة التي لاتبعد عن مقديشو اكثر من يوم واحد سفر^(٣٦)، ثم تمر السفن على بات ولامو وهما مدينتان في جزر ارخبيل لامو ومن الصعب الفصل بينهما. فالاولى العاصمة السياسية والثانية العاصمة التجارية في هذا الارخبيل ولذا نجد ان الجغرافيين والملاحين يشيرون الى الاثنین معا، وكلتا المدينتين كانتا تقعان على خليج طويل الاولى على الجهة اليمنى من هذا الخليج، والامو على الجهة اليسرى منه^(٣٧)، حيث تتجه السفن العمانية بعد ذلك جنوبا الى مالندى وممباسة وهما من المراكز التجارية المهمة في ساحل بلاد الزنج ومحطات لتوقف السفن العمانية ولشراء البضائع وبيعها^(٣٨).

وحيث تتجه المراكب التجارية العمانية من ممباسة تلتزم الطريق المحاذي للساحل الافريقي الى ان تتمكن من عبور قناة زنجبار للدخول الى جزيرة زنجبار وقد يوجه قائد الدفة المركبة من ممباسة الى جزيرة واسين الواقعة قرب مدينة ممباسة التي يربطها مجري معروف للمراكب جنوب زنجبار^(٣٩) وقد اهتم العمانيون بجزيرة زنجبار لكونها من المراكز التجارية المهمة، فعفرقوا المسافة الى هذه الجزيرة والجزر المحيطة بها، كما عرفوا طبيعتها الجغرافية ومنتجاتها^(٤٠).

ويشير المسعودي الى جزيرة مهمة كانت هدف السفن العمانية الزاهبة الى بلاد الزنج وهي جزيرة «قنبلو» بقوله: «واهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج «خليج بربري» الى جزيرة قنبلو في بحر الزنج، ويضيف: وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر بحر الزنج من اهل عمان عرب من الازد وينتهي هؤلاء في بحر الزنج الى جزيرة قنبلو على ما ذكرنا^(٤١)».

ويصف المسعودي جزيرة قنبلو بقوله: انها جزيرة عامرة فيها قوم من المسلمين إلا ان لغتهم الزنجية غلبت على هذه الجزيرة... وذلك في بداية الدولة العباسية ونهاية الدولة الاموية، ومنها الى عمان في البحر نحو خمسمائة فرسخ على ما يقول البحرانيون حزرا منهم لذلك لا عن طريق التحصيل والمساحة^(٤٢).

ويبدو ان اهتمام المسعودي بجزيرة قنبلو يعود الى انها آخر محطة وصلها في رحاله من شرق افريقيا ليعود بعدها مع السفن العمانية الى عمان، وجزيرة قنبلو ما

تزال موضع جدال بين الباحثين من أجل معرفتها بالضبط، ومع أن المسعودي أورد بعض التحديدات الجغرافية الخاصة بموقع هذه الجزيرة التي يقصدها الكثير من السفن التجارية العمانية لكنها لاتعيننا في وضع تحديد نهائى لها، ولا سيما أن هناك جزرا متعددة في مياه شرق أفريقيا تنطبق عليها اوصال المسعودي كلا أو جزءاً^(٤٣).

وقد حاول المستشرق الانجليزي سنبر ترمنجهام دراسة النصوص التي أوردتها الجغرافيون العرب حول جزر «بلاد الزنج مبتدءا بالمسعودي مارا بابن حوقل وبرزك بن شهریار والبيروني دارسا ما ورد من معلومات عند الادريسي وياقوت وابن سعيد فتوصل الى الخلاصة الآتية:

كما هو واضح من الخرائط الخاصة بأوائل الجغرافيين وروايات الرحالة الى شرق افريقيا، فإن قنبلو من الممكن أن تكون للقادمين الاجانب على جزيرة في ذلك الساحل «ساحل بلاد الزنج» كان تكون بمبا وزنجبار او مافيا وليست مدغشقر»^(٤٤).

كما ان دراستنا لنفس نصوص الجغرافيين العرب عن جزر «بلاد الزنج» تجعلنا نؤيد ما ذهب اليه ترمنجهام حول جزيرة قنبلو بل نعتقد انها جزيرة زنجبار اكبر جزر ساحل الزنج واهمها بوصفها كمركز سياسى وتجاري عربي اسلامي^(٤٥).

والى الجنوب من زنجبار تبحر المراكب العمانية في مياه بلاد الزنج الى مدينة كلوه التي احتلت مركزا مهما في افريقيا الشرقية من الناحيتين السياسية والتجارية منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وحتى مجيء البرتغاليين الى شرق افريقيا^(٤٦).

اما المرحلة الثالثة التي تقطعها السفن العمانية في ساحل شرق افريقيا، فتبدأ بعد الخروج من كلوة، حيث تبحر الى منطقة سفالة وأول اشارة وردتنا لوصول التجار العمانيين الى سفالة قد سجلها المسعودي، وعلى الرغم من انه لم يصل الى هذه المنطقة لكنه اخذ اوصافها من اصحاب السفن العمانية وفي ذلك يقول «وينتهى هؤلاء القوم «اهل عمان من الازد» في بحر الزنج الى قنبلو الى ما ذكرنا والى بلاد سفالة والواق واق من الأرض الاسفال من بحرهم»^(٤٧)، «ويضيف عن سفالة وهى اقاصى بلاد الزنج واليهما تقصد مراكب العمانيين... وهى غاية مقاصدهم»^(٤٨).

فالسفر الى سفالة هو آخر مرحلة للسفن العمانية كما هو واضح من قول المسعودي.

والمعروف ان الرحلة الى سفالة كانت من اجل جلب اثمن سلع في شرق افريقيا وهى الذهب... ولذلك سميت سفالة «بأرض الذهب والتبر»^(٤٩) ثم انها كانت تمد العمانيين بكل ما تستطيع مراكبهم ان تحمله من الذهب.

اما اهم مدن سفالة فهي تهنته، وأول مدن سفالة بعد ان يترك المسافرين بلاد الزنج فهي مدينتا جنطة ودندمة والاخرة هى آخر قواعد بلاد الزنج عند الادريسي^(٥٠)، في حين ان مدينة «دمنوطه» هى آخرها عند ابن سعيد^(٥١).

اما المنطقة الواقعة جنوب «بلاد سفالة» والتي سماها الجغرافيين العرب باسم «واق واق» فلم تصلها نشاطات التجار العرب والسبب بسيط كما يشير الادريس^(٥٢) فهناك في واق واق توجد مدينتان حقيقتان وسكانهما قليل لضيق عيشهما وتكرر رزقهما، وليس بأرض هؤلاء القوم شىء من الذهب ولا يخرج من عندهم تجارة ولا مركب ولا دواب، ويبدو ان منطقة واق واق لم تكن محط اهتمام التجار العمانيين

لأنهم لم يجدوا فيها ما يسافرون من أجله فلم يكلفوا أنفسهم مشقة السفر بعد سفالة، وهكذا كانت المراكب العمانية تعود من سفالة محملة بالذهب والبضائع الأخرى إلى عمان سالكة نفس الطرق التي مرت عليها.

ثالثاً: السلع التجارية المتبادلة :

إن الحديث عن السلع التجارية المتبادلة عنصر أساسي في تاريخ الصلات التجارية بين عمان وشرق أفريقيا، وأود في البداية القول بأننا نجد في المصادر الجغرافية والملاحية العربية صورة حية للعناصر الأساسية للتجارة العمانية مع شواطئ شرق أفريقيا، كما نتعرف من هذه المصادر على التنوع في الإنتاج في شرق أفريقيا، مما يجعلنا نؤكد على أن نشاط التجار العرب، ومن ضمنهم العمانيون في المراكز التجارية في شرق أفريقيا، أكبر بكثير مما هو مدون^(٥٣).

ومن أهم السلع التي كانت السفن العمانية تسعى إلى جلبها من شرق أفريقيا معدن الذهب فالذهب يبقى دون ريب أهم بضاعة وأثمنها في قائمة التبادل التجاري العمانى مع شرق أفريقيا لأنه المادة التي كانت وما تزال أساساً لتهاافت الدول في الحصول عليها من أجل دعم مركزها الاقتصادي والسياسى معاً، وقد أدرك تجار عمان أهمية شرق أفريقيا كموطئ لتوفير هذا المعدن الحيوى فعملوا بكل جهدهم للحصول عليه وحمله إلى مواطن الطلب له.

وقد أشار المسعودى إشارة واضحة إلى مناجم سفالة واندفاع العمانيين إليها، فهو يقول أثناء حديثه عن الزنوج «وتمتد مساكنهم إلى بلاد سفالة وهي أقاصى بلاد الزنج واليهما تقصد مراكب العمانيين والسيرافيين، وهي غاية مقاصدهم من أسافل بحر الزنج وكذلك أقاصى بحر الزنج هو بلاد سفالة وأقاصى بلاد الواق واق، وهي أرض كثيرة الذهب والعجائب»^(٥٤).

وبعد قرنين من الزمان يؤكد الإدريس^(٥٥)، على وجود الذهب في مدن منطقة سفالة بقوله «ومدينة دنموطة آخر بلاد سفالة وبهذه المدينة يوجد التبر مثلما يوجد في بلاد سفالة أما ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي فيحاول أن يعرف التجار على مناطق الذهب بصورة أكثر تحديداً بقوله: «أن الذهب يجلب إلى سفالة» من منطقة يوفى وإن بين سفالة ويوفى من بلاد الليمين مسيرة شهر، ومن يوفى يؤتى بالتبر إلى سفالة»^(٥٦)، وعلى الرغم من أن بطوطة لم يوضح لنا أين تقع يوفى هل هي منطقة تابعة لسفالة، لكننا نستطيع الافتراض أن مناجم الذهب كانت تمتد في العمق الإفريقي وأن مدينة سفالة ما هي إلا مركز لتجمع الذهب القادم إليها من الداخل ولا نتفق مع ترمينجهام الذى يذهب إلى القول أن يوفى تقع في منطقة الواق واق^(٥٧)، والسبب ببساطة أن معظم الكتاب العرب^(٥٨) يؤكدون على وجود الذهب في سفالة، وأن مناطق الواق واق مناطق فقيرة لم تتل من اهتمام التجار العرب كما أشرنا آنفاً.

وما دام الذهب قاعدة من قواعد الاتصال التجاري بين عمان وشرق أفريقيا فإننا نجد أن الملاح العمانى أحمد بن ماجد يوجه اهتماماً خاص لمنطقة سفالة فهو يسمي أحد تأليفه باسم «الارجوزة السفالية» كما يوضح في كتاباته حدود منطقة سفالة ومدنها وموانئها^(٥٩)، كذلك يصف ابن ماجد بدقة مناجم الذهب في سفالة والتي تقع على مسير شهر من مدينة سفالة باتجاه الغرب في مناطق مغمورة بالمياه «الأنهر»، ويقدر مساحة منجم ذهب سفالة بمسيرة سبعة أيام^(٦٠)، وفي هذا كله يعبر ابن ماجد

عن اهتمام العمانيين بذهب شرق افريقيا.

وقد ابهرت الاساطيل التجارية العمانية الى شرق افريقيا لجلب سلعة اخرى كان الاقبال عليها شديدا في اسواق الدولة العربية الاسلامية وهى العاج، وتعد افريقيا الشرقية المصدر الرئيسى للعاج في العصر الوسيط بسبب توفره بكثرة في مناطقها وفى هذا يقول المسعودى^(٦١) «والفيلة في بلاد الزنج غاية الكثرة والوحشية وكلها غير مستأنسة والزنج لاتستعمل منها شيئا في حروب ولاغيرها، بل تنقلها لآخذ انيابها ومن ارضهم تجهز انياب الفيلة»، والذي يهمنها من تجارة العاج هو ان العمانيين كانوا قد احتكروا هذه التجارة في شرق افريقيا حيث كانوا يحملون العاج من هناك الى بلادهم ليتم تسويقه الى مراكز استهلاكه في الهند والصين حيث كان ملوك تلك البلدان يستخدمونه في صناعة ادوات الشطرنج والتزيين الاثار لجودته وكبر حجمه^(٦٢)، اما اهم المراكز التى يتزود منها التجار بالعاج في شرق افريقيا فهى مقديشو وزنجبار وكوه، وسفالة ومعظم مدن ساحل افريقيا حتى ان بعض المدن اعتبرت تجارتها اهم من الذهب^(٦٣).

ويعد الحديد مادة مهمة في التجارة القائمة بين عمان وشرق افريقيا وذلك لتوفره في جميع بلاد الزنج واعتماد جل سكان المنطقة في معيشتهم عليه وعلى الذهب. وكذلك يوجد الحديد في سفالة بكثرة وهو من النوع الجيد، ويلاحظ الادريسي بأن هذه المادة تمثل المطلب الاول لتجار شرق افريقيا في زمنه في القرن ١٣هـ/١٣م^(٦٤).

وتأتى الانواع الجيدة من المواد العطرية واهمها العنبر في مقدمة البضائع المنقولة بين عمان وشرق افريقيا وذلك لما له من شهرة واسعة في الاسواق العربية فالعنبر هو من اهم انواع الطيب، الذى وفرته بلاد الزنج وشق طريقه الى عمان وبقية اقطار الخليج العربية واصبحت مناطق وجوده في شرق افريقيا مثل مالندى ومقديشو وزنجبار مقصد التجار ويبدو ان اصحاب المراكب العمانيين كانوا يعرفون مناطق جمع العنبر والطرق الخاصة التى استخدمها سكان سواحل شرق افريقيا في جمعه^(٦٥).

كما نجد في قائمة التبادل التجاري العماني مع شرق افريقيا الجلود لاسيما جلود النمر الزنجية ذات الجودة والنعومة الشديدة، اما اهم المراكز التى كانت تصدرها في شرق افريقيا فهى مالندى وممباسا حيث كان اهلها يحملون الجلود الى الساحل ومن ثم يأتى اصحاب المراكب من عمان وغيرها من اجل شرائها^(٦٦)، كما كانت جزيرة قنبلو التى ذكرها المسعودى من اهم المراكز التجارية التى حمل العمانيون منها جلود النمر^(٦٧).

وعرف عن شرق افريقيا انها مركز مهم لكثير من انواع الاخشاب الثمينة والمرغوبة كالابنوس والصندل والساج وغيرها وقد حمل تجار عمان هذه الاخشاب من شرق افريقيا الى بلادهم لصناعة السفن بصورة خاصة^(٦٨)، اما اهم مراكز لانتاج الاخشاب شرق افريقيا فكانت مقديشو وزنجبار^(٦٩).

اما الحديث عن البضائع التى حملتها المراكب العمانية من عمان الى شرق افريقيا، فتجدر الاشارة الى ان هذا الموضوع لم يئل اهتمام الكتاب في العصر الوسيط والسبب على ما يبدو هو ان هذا الامر كان معروفا للتجار والمسافرين الى شرق افريقيا ولا حاجة الى التنويه عنه، ويشير الحبيب الجنحاني^(٧٠)، الى ان المنتجات الزراعية كانت من اهم صادرات عمان التجارية الى المناطق التى يجري المتاجرة

معها ويذكر معتمدا على كتب الجغرافيين العرب منتجات عمان الزراعية مثل التمر وضروب الفواكه والحنطة والشعير والارز والزعفران واللبن والرياحين والورود، ومن المؤكد ان التجار العمانيين حملوا هذه المنتجات معهم في رحلتهم الى شرق افريقيا كما حملوا بعض المواد المستوردة من الهند والصين مثل المنسوجات والمصنوعات الحديدية والنحاسية والزجاجية^(٧١).

رابعا: بعض النظم البحرية والتجارية في الرحلة من عمان الى شرق افريقيا:

الحديث عن النظم البحرية والتجارية التي تطلبتها النشاطات التجارية العمانية مع شرق افريقيا واسع ومتشعب ولذا سوف نحاول ان نوضح النقاط الاساسية فيه.

كانت الرحلة التجارية البحرية الطويلة التي قطعها المراكب العمانية الى شرق افريقيا، تقتضى معرفة الطرق التجارية ومحطات الوقوف فيها ومراكز الانتاج التي تؤدي اليها وهذا ما عرفه العمانيون عن كتب كما اشرنا سابقا.

وكان ارتباط عمان التجاري مع شرق افريقيا يقتضى من العمانيين معرفة ملاحية وفلكية للمنطقة، ولذلك فقد كان على التجار المسافرين في مياه شرق افريقيا معرفة القياسات التي يجب اتباعها في تحديد الطريق، وطبيعة الطريق من حيث عمق او ضحلة المياه فيه ثم معرفة حركة المد والجزر وتحديد الشعب والرؤوس والجبال في هذا الطريق، وقد انفرد لتوضيح هذه الامور للتجار رجال من اهل عمان نذكر من اشهرهم الملاح ابن ماجد والملاح سليمان المهري، حيث الفا في المواضيع الملاحية والفلكية ما يفي بحاجة تجار عمان المسافرين الى شرق افريقيا.

كما كان على التجار واصحاب السفن العمانيين معرفة العوامل التي تحكم في الرحلة التجارية بين عمان وشرق افريقيا، وتأتى في مقدمتها الرياح الموسمية التي تسير بموجبها سفنهم التجارية، وفي هذا يقول المسعودي^(٧٢)، ولكل من يركب هذه البحار من الناس رياح يعرفون في اى وقت تكون منها مهابها، قد علم ذلك بالعادة وطول التجارب يتوارثون علم ذلك قولا وعملا.

والمعروف كما اشرنا انفا ان العمانيين قد استفادوا من موقع بلادهم الجغرافي كثيرا في استخدام الرياح الموسمية في رحلتهم الى شرق افريقيا... ففي الشتاء عندما تكون الرياح شمالية شرقية يكون افضل موسم لحركة السفن التجارية الشراعية من عمان الى سواحل شرق افريقيا، وفي الصيف عندما تسود الرياح الجنوبية الغربية تقوم السفن العمانية بالاياب الى عمان^(٧٣).

والرحلة المباشرة من عمان الى سواحل افريقيا الشرقية لا تستغرق إلا ثلاثة اسابيع او اربعة إلا ان الوقفات على الطريق التي لابد منها للسفن التجارية اما للاستراحة او لعملية البيع والشراء كانت تطيل الرحلة، كما كان على السفن الشراعية ان تنتظر لمدة شهرين في شرق افريقيا الى ان تهب الرياح الجنوبية الغربية التي تمكنها من العودة الى عمان، وهذه المدة كانت كافية للتجار العمانيين لممارسة مختلف انشطتهم التجارية في شرق افريقيا وتقدر الرحلة التجارية العمانية الى شرق افريقيا ذهابا وايابا بستة اشهر الى ثمانية^(٧٤).

ويبدو ان الدوامات والرياح في ساحل شرق افريقيا كانت تختلف من منطقة الى اخرى، ولذا فان مواسم السفر الى كل منطقة كانت هي الاخرى مختلفة، وقد حدد العمانيون لكل منطقة من مناطق ساحل شرق افريقيا ومدته موسما خاصا للسفر

بصورة دقيقة^(٧٥)، كما أن مواسم السفر كانت تتحكم فيها حالات المد والجزر والأمطار والرياح لذا وجب على أصحاب السفن العمانية معرفة ذلك كله من أجل الوصول بسلام إلى المنطقة التي يريدونها في شرق إفريقيا^(٧٦).

وكان على التجار العمانيين وربابنة السفن الذين يمارسون نشاطهم التجاري مع شرق إفريقيا معرفة المخاطر التي تواجههم عبر الطريق البحري الذي يسلكونه، وأولى تلك المصاعب الأمواج العالية في بحر الزنج، ويبدو أن هذه الأمواج كانت من الهول بحيث وصفها العمانيون بأنها «موج أعمى يريدون بذلك أنه يرتفع كارتفاع الجبال، وينخفض كانهخفاض ما يكون من الأودية، لا ينكسر موجه ولا يظهر من ذلك زبد، تنكسر سائر البحار، ويرون - أي العمانيون - أنه موج مجنون»^(٧٧)، وكانت هذه الأمواج المجنونة كثيرا ما تأتي على سفن العمانيين ولكن هذا الأمر لم يثنيهم عن التاجر مع شرق إفريقيا بصورة مستمرة^(٧٨).

ولذلك كانت معظم تجارة إفريقيا الشرقية تقريبا تنقل في السفن العمانية، وفي هذا يقول المسعودي^(٧٩): أن العمانيين من عرب الازد هم الملاحون الذين يملكون السفن التي تسير إلى بحر بربرة وبحر الزنج كما يشير الإدريسي^(٨٠)، بصورة صريحة إلى ذلك بقوله: وليس للزنج مراكب يسافرون فيها وإنما تدخل اليهم المراكب من عمان وغيرها إلى جزائر الزنج فيبيعون هناك ويشترون متاع الزنج واكد ابن الوردي ذلك أيضا حيث يقول: وليس لهم «للزنج» مراكب بل تدخل اليهم المراكب من عمان^(٨١). وهذه الشواهد جميعا كافية للقول بأن السفن العمانية احتكرت نقل تجارة الشرق الإفريقي بسبب عدم امتلاك الأفارقة للسفن.

وكانت السفن التي يمتلكها العمانيون والتي كانت تنقل التجارة بين عمان وشرق إفريقيا تتطلب إدارة فهي تحتاج إلى ملاحين ونواخذة وجذافين ومصلحين، والراجح أن العمانيين كانوا يقومون بكثير من هذه الأعمال خاصة النواخذة - وهم ملاك السفن أو وكلاء أصحابها^(٨٢)، ونجد في المصادر العربية الوسيطة أسماء عدد من النواخذة العمانيين الذين اقتصروا بالسفر إلى شرق إفريقيا وعرفوا بمجاهل وأهوال مياه تلك المنطقة، نذكر منهم يزيد العماني نواخذة الزنج^(٨٣)، وجعفر بن راشد المعروف بابن لاكيس وهو أحد ربابنة الذهب ونواخذته المشهورين^(٨٤)، ومحمد العماني واسمعليه بن إبراهيم بن مرداس^(٨٥).

ولم تقتصر علاقة العمانيين بالسفن على امتلاكها وإدارتها بل كانوا يقومون بصناعتها في عمان التي اشتهرت منذ عصور قديمة بصناعة السفن، وكانت تستورد الأخشاب اللازمة لصناعتها من شرق إفريقيا والهند، وقد وجد في عمان أناس متخصصون بصناعة السفن وقد أبدعوا في صناعتها^(٨٦).

وكانت السفن المستخدمة في مياه شرق إفريقيا تبنى من الواح خشبية وشراعا مثلث الشكل يمتد طويلا عبر السفينة، وكان العمانيون يتبعون في صنع سفنهم التي تذهب إلى شرق إفريقيا التقاليد السائدة في صناعة السفن التي تمخر المحيط الهندي من حيث كونها تخاط بالآلياف المصنوعة من ليف جوز النارجيل ولا تدخل في انشائها مسامير الحديد والسبب في ذلك يعود إلى كثرة الصخور في مياه المحيط الهندي فإذا كانت السفينة مسمرة بالحديد واصطدمت بالصخور فإنها تنكسر وإذا كانت مخططة تكون لينة لا تنكسر^(٨٧) ويعزو المسعودي^(٨٨) سبب الخياطة بالآلياف إلى أن الحديد لا يثبت في المركب لأن مياه المحيط تذيبه ولذلك عمد العمانيون إلى خياطة الواح السفن

بالليف ثم يطلونها بالشحوم والنورة.

وهكذا شمل النشاط التجاري البحري العماني مع شرق أفريقيا مختلف الجوانب من امتلاك السفن وصناعتها وإدارتها، ولابد أن نشير بشكل موجز إلى طبيعة عمل الأفراد الذين عملوا في السفن العمانية المبحرة إلى شرق أفريقيا، فقد كان بعضهم يمتلك السفن ويديرها، والبعض يديرها فقط، فقد يؤجر ملاح لقيادة السفينة لرحلة واحدة أو أكثر بأجر متعارف ومتفق عليه يختلف باختلاف طول الرحلة التجارية، ويعمل مع الملاح مجموعة من العاملين ويقسمون عادة إلى اثنتي عشرة مرتبة كل لها عملها الخاص^(٨٩).

والرحلة التجارية الطويلة بين عمان وشرق أفريقيا والتي تستغرق أكثر من ستة أشهر، كما أشرنا آنفاً، كانت تنظم بشكل قوافل تجارية على سبيل الاحتراز من أخطار الطريق وأهواله^(٩٠)، وربما وصل عدد هذه القافلة إلى ستة عشر مركباً^(٩١).

وهناك تنظيمات تجارية أخرى استخدمها التجار العمانيون في نشاطهم التجاري مع شرق أفريقيا نذكر منها استخدام طريقة تجارة الذهب الصامطة في حصولهم على ذهب سفالة ولندع ياقوت يروي لنا كيف كانت تتم هذه الطريقة، فهو يقول: «والحكاية عنهم (أهل سفالة) كما حكينا عن بلاد التبر بأرض جنوب المغرب، أي يجلب اليهم الامتعة ويتركها التجار ويمضون ثم يجيئون وقد تركوا ثمن كل شيء عنده... والذهب الغالي معروف عند تجار الزنج»^(٩٢).

وهذا يعني أن التبادل التجاري في منطقة سفالة قد نظم بموجب طريقة تجارة الذهب الصامطة المتبعة في أفريقيا الغربية والتي فصل فيها ياقوت وخلصتها أن التبادل التجاري الذي يتم بين التجار وملوك الذهب يتم دون أن يري أو يكلم أحدهم الآخر.

ومن التنظيمات التجارية التي استخدمت بين التجار في ساحل شرق أفريقيا وجود المرشدين والوكلاء الذين يساعدون التجار القادمين إلى المراكز التجارية هناك، ويكون وجه المساعدة عادة تهيئة أماكن لإقامة التجار وخزن بضائعهم وتسهيل عملية بيع البضائع التي جلبوها معهم، وشراء البضائع التي يرغبون فيها من شرق أفريقيا^(٩٣).

وفي ظل هذه العلاقات التجارية التي أشرنا إليها بين عمان وشرق أفريقيا، في العصر الوسيط نستطيع التأكيد على أن العمانيين قد مارسوا نشاطاً تجارياً كثيفاً في المراكز التجارية العمانية بفعل جملة حوافز ودوافع طبيعية وجغرافية ودينية وسياسية، وقد دفعهم هذا النشاط إلى تحديد الطريق البحري المؤدى إلى شرق أفريقيا ومراكز التجارة هناك بدقة وإلى التعرف على مصاعب هذا الطريق لتجنبها قدر الامكان، والوصول إلى منتجات شرق أفريقيا الثمينة التي عرفوا عنها الكثير، وقد استخدموا في ذلك السفن العمانية ذاتها التي احتكرت نقل بضائع وسلع شرق أفريقيا إلى عمان لكي يتم توزيعها في مراكز الطلب عليها في العالم المعروف آنذاك، كما قام العمانيون بنقل بضائع وسلع كثيرة من الدول الموجودة آنذاك إلى شرق أفريقيا، ناهلين مع هذه البضائع والسلع الحضارة بمختلف جوانبها إلى سكان شرق أفريقيا، وقد استمرت الصلات التجارية الكثيفة بين عمان وشرق أفريقيا وأسفرت عن استقرار الكثيرين من العمانيين في مدن الشرق الأفريقي لممارسة نشاطاتهم التجارية أولاً، ثم طموحاتهم السياسية التي مكنتهم من حكم كثير من مناطق الساحل الأفريقي ولفترات طويلة.

هوامش الباب الثالث

● الفصل الأول :

- (١) السيد عبدالعزيز سالم .. تاريخ العرب قبل الإسلام، الاسكندرية ١٩٧٣ ، ص ٦٠ ، ولكن هناك من الباحثين من يرجع تاريخ هدم سد مأرب الى منتصف القرن السادس الميلادي، وهذا التحديد التاريخي لانكسار سد مأرب غير صحيح. (قارن: عبد الرحمن العاني، عمان في العصور الإسلامية الأولى بغداد ١٩٧٧ ، ص ٤٣ ، (فاروق، عمر المرجع السابق ص ٢٦).
- (٢) البلاذري ، كتاب فتوح البلدان، نشره دكتور صلاح الدين المنجد القسم الاول القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٧ .
- (٣) Phillips: Oman a history/1971 p.5.6
- انظر كتاب كشف الغمة، ص ٢١١ وما بعدها.
- (٤) العوتبي، مخطوطة انساب العرب، نقلا عن فاروق عمر الخليج العربي في العصور الإسلامية، ص ٢٦ .
- (٥) الاساور (والجمع أساور وأساوره) : قائد الفرس والجيء الرسمي بالسهم. ويظهر أنهم كانوا طبقة من اشراف الفرس منتظمين في الجيش فرسانا او قوادا: انظر : الفهرست ابادي: القاموس المحيط (باب الرء فصل السين) مادة: سور.
- (٦) عامر بن علي بن عمير . حضارة عمان القديمة، ص ٢٤ .
- (٧) ابن حزم .. جمهرة انساب العرب، ص ٢٨٤ . وعن الجديري بالذكر ان كلا من ابي زيد الانصاري وعسرو بن العاص السهمي حمل رسالة النبي ﷺ الى عبد وجيفر ابني الجلندى.
- (٨) البلاذري .. فتوح البلدان، ص ٩٢ . وانظر ابن سعد : الطبقات الكبرى، القاهرة ١٣٥٨ هـ، ج ٣ ، ص ٢٧ ، محمد رشيد العقيلي: دور الخليج العربي في الفتوحات الإسلامية ص ١٥٣ .
- (٩) البلاذري .. المصدر السابق، ص ٩٢ .
- (١٠) ابن الكلبي : جمهرة النسب ٢١٦ ، وابن حزم : جمهرة انساب العرب ، ص ٢٨٤ .
- (١١) الاصمعي : تاريخ العرب قبل الاسلام ٨٧ ، وصفه جزيرة العرب ٢١٤ تاريخ خليفة ابن خياط ١ / ١٨٠ .
- (١٢) ابن رسته : الاطلاق النفيسة ٢٠٦ ، والاصفهاني : الاغانى ١٤ / ٣٠٠ .
- (١٣) تاريخ يعقوبي: ١ / ٢٢٢ - ٢٢٣ ، وابن دريد : الاشفاق، ٤٩٧ .
- (١٤) خليفة بن خياط : كتاب الطبقات ، ٢٢٠ .
- (١٥) صالح العلي : التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري، ٢٢٤ - ٢٢٥ .
- (١٦) الاصمعي : تاريخ : العرب قبل الاسلام ٨٧ .
- (١٧) ابن الكلبي : جمهرة النسب ٢٠٢ ، وجمهرة انساب العرب ٣٦٧ .
- (١٨) خليفة بن خياط : الطبقات ١٠ / ٤٧٨ والمسعودي : التنبيه والاشراف ٣٢٠ وجمهرة انساب العرب ٢٦٧ .
- (١٩) جمهرة النسب ٢٠٣ ، وجمهرة انساب العرب ٢٨٤ .
- (٢٠) انظر عبد الرحمن العاني : عمان في العصور الإسلامية الأولى ٤٨ .
- (٢١) مصعب الزبيري : نسب قريش ١٢ ، وجمهرة النسب ١٢ ومعجم ما استعجم ١ / ٤٧ - ٤٧ .
- (٢٢) المحير : ١٦٨ .
- (٢٣) معجم ما استعجم، ٨٩ / ١ .
- (٢٤) معجم البلدان ٢ / ٢٢ .
- (٢٥) جمهرة اللغة ٩ / ٢ ولسان العرب ٣ / ١٠٠ .
- (٢٦) ١ / ٨٢ وانظر العاني : عمان في العصور الإسلامية الأولى ٥١ .
- (٢٧) البكري : ١ / ٤٨ ، ١ / ٨٢ .
- (٢٨) انظر اخباره وترجمته في : ابن حيان : كتاب النقاش، ج ١٣ ، ص ٤٠٧ . ابن نعيم : دلائل النبوة، ص ٧٦ . ابن عبد البر. الاستيعاب، ج ١٣ ، ص ١٢٤ . ابن القتيبي : الانساب المتفقة، ص ١٣٤ . السمعاتي : الانساب، ج ٥ ص ١٦١ . ابن الاثير : اسد الغابة، ج ٥ ، ص ١٦ ، الباب في تهذيب الانساب، ج ٣ ص ٨١ . الذهبي : تجريد اسماء الصحابة ج ٢ ، ص ٤٠ . ابن حجر : الإصابة، ج ٥ ص ٧٠٤ - ٧٠٥ . الزركلي : الاعلام ، ج ٦ ، ص ١٢٤ . عمر رضا كحالة : معجم قبائل العرب ، مجلد ٢ ، ص ١٠٢٤ .
- (٢٩) آل ربيعة الطائيون ، ص ١٧ .
- (٣٠) للتاريخ العربي القديم ، ص ٤٨ .
- (٣١) آل ربيعة الطائيون : ص ١٨ .
- (٣٢) مرآصد الاطلاع : ج ٢ ص ٧٢٩ .
- (٣٣) دلائل النبوة ، ص ٧٦ .
- (٣٤) ز.م السابق، ص ٧٦ .
- (٣٥) كشف الغمة، (الباب الثالث والثلاثون).
- (٣٦) الاستيعاب، ج ٣ ص ١٢٤ ، الانساب، ج ٥ ، ص ١٦١ .
- (٣٧) اسد الغابة، ج ٥ ص ٦٠ . الباب ج ٣ ص ٨١ . تجريد اسماء الصحابة، ج ٢ ص ٤ . الثقة ج ٣ ص ٤٠٧ .
- (٣٨) الانساب، ج ٥ ، ص ١٦١ .
- (٣٩) تنظر ترجمته في : تاريخ بغداد ج ١١ ص ٤١٨ . الانساب، ج ٥ ص ١٦١ . تهذيب التهذيب، ج ٧ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٦ .
- (٤٠) تنظر ترجمته في : الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، ج ٢ ، ص ٢٨٠ .
- (٤١) قرب طرطوس.
- (٤٢) دلائل النبوة، ص ٧٦ . الاستيعاب، ج ٣ ، ص ١٢٤ ، اسد الغابة، ج ٥ ، ص ٦٠ .

- (٤٣) الثقة، ج ٢، ص ٤٠٧.
- (٤٤) الأصابع، ج ٥، ص ٧٠٤.
- (٤٥) علم الاستيعاب، ج ٣، ص ١٣٤٤.
- (٤٦) تاج العروس، مجلد ٩، ص ٣٤٥.
- (٤٧) اسد الغابة، ج ٥، ص ٦.
- (٤٨) كشف الغمة (الباب الثالث والثلاثون) المصدر السابق، ص ٣٢٤ - ٣٢٦.
- (٤٩) قيل إنه (تاجر) و(باجر) بالحاء المهملّة، وقيل (باجر) بالياء الموحدة والجيم، وقيل (تاجر) كما في اسد الغابة، وفي كتاب الانصاف، ص ٦٦، ورد لفظ (باجر) وقال ابن دريد: وهو صنم كان للآزد في الجاهلية ومن جاورهم من طيء وقضاة كانوا يعبدونه وهو بفتح الجيم وربما قالوا (باجر) بكسر الجيم (جمهرة اللغة، ج ١، ص ٢٠٩). ويرى ابن الاثير في النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ٦٣، انه (باجر) بالحاء المهملّة ثم قال ويروى بالجيم وفي موضع آخر ذكر مادة بجر، (ج ١، ص ٦١) وبين انه ورد في حديث مازن وكان يقال له (باجر) بكسر الجيم باجر صنم كان للآزد في الجاهلية ومن جاورهم من طيء وقالوا بكسر الجيم وقتلها. انظر: لسان العرب مجلد (١)، ص ١٦١.
- (٥٠) دلائل النبوة، ص ٧٦، اسد الغابة، ج ٥، ص ٦.
- (٥١) دلائل النبوة، ص ٧٦، اسد الغابة، ج ٥، ص ٦.
- (٥٢) هذا ما ورد في كشف الغمة (الباب الثالث والثلاثون) اما في دلائل النبوة، ص ٧٦، واسد الغابة، ج ٥، ص ٦، فوردت الرواية بأنه قال: (ظهر رجل يقال له احمد ويقول لمن اتاه اجيبوا داعي الله ... الخ).
- (٥٣) دلائل النبوة، ص ٧٦.
- (٥٤) الانساب، ج ٥، ص ١٦١.
- (٥٥) اوردت اغلب المصادر التي ترجمت له هذه الابيات.
- (٥٦) العرع يفتح اوله وسكون ثانيه وجيم واد في نواحي الطائف اول تهامة بينها وبين المدينة ثمانية وسبعون ميلا وهي بلاد هذيل، وهو العرع بين مكة والمدينة، والعرج عقبة بين مكة والمدينة. معجم البلدان، ج ٤، ص ٩٨ - ٩٩.
- (٥٧) العرع بلد باليمن بين المحاب والمهجم، مراد من الاطلاع، ج ٢، ص ٩٢٨.
- (٥٧) الفلج والنصر.
- (٥٨) كما ترد (جانبث).
- (٥٩) النهج: البلى.
- (٦٠) تنظر الابيات في دلائل النبوة ص ٧٦. والاستيعاب ج ٣، ص ١٢٤. واسد الغابة، ج ٥، ص ٧، وغيرها.
- (٦١) الأصابع، ج ٥، ص ٧٠٥.
- (٦٢) الحيرة: الطعام، والخف: الجمال، والظلف: الاغنام.
- (٦٣) ابن رزيق: الفتح المجين في سيرة السادة البوسعيديين: ص ٧٢ - ٧٤.
- (٦٤) المرجع السابق: ص ٥٧.
- (٦٥) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٤، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٢٥٤. ينظر كذلك، محمد حميد الله، نبي الاسلام، ج ١، باريس، ١٩٧٩، ص ٢٨٢. (بالفرنسية).
- (٦٦) ابن هشام، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٥٤. برواية ابن اسحاق.
- (٦٧) البلاذري، فتوح البلدان، القاهرة، ١٩٥٦، ص ٨٧.
- (٦٨) مؤلف مجهول، تاريخ اهل عمان، تحقيق سعيد عاشور، سلطنة عمان، ١٩٨٠، ص ٤٠/٢٥٩.
- (٦٩) الطبري: تاريخ الدول والملوك، ج ٢، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٠٢. كذلك ينظر اليعقوبي كتاب التاريخ ج ٢، النصف ١٢٥٨ هـ، ص ٦٢.
- (٧٠) ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج ٢، بيروت، ١٩٥٦، ص ٧٨٨.
- (٧١) اورد هذه الكتب الشيخ سيف بن حمود البطاني واستقفاها من كتب التاريخ.
- (٧٢) خليفه بن خياط، كتاب التاريخ، تحقيق اكرم ضياء العمري، ج ١، النصف، ١٩٦٧، ص ٨٤.
- (٧٣) ابن سعد، كتاب الطبقات الكبرى، ج ٢، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٢٧.
- (٧٤) د. محمد رشيد العقيلي، الخليج العربي في العصور الإسلامية، عُمان، الاردن، ١٩٨٢، ص ٦١.
- (٧٥) ابن سعد، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٤.
- (٧٦) دحلان: السيرة النبوية والآثار الحميدية ١٦٦/٢.
- (٧٧) المصدر السابق.
- (٧٨) مؤلف مجهول: قصص واخبار جرت في عمان، ص ٤.
- (٧٩) المؤلف المجهول، تاريخ اهل عمان، ص ٢٥٩، ابي محمد السامي، تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان، ج ١، ص ٤٠.
- (٨٠) المرجع السابق، ص ٤٢.
- (٨١) سرحان بن سعيد الازكري العماني: تاريخ عمان، ص ٢٨ - ٢٩.
- (٨٢) ابي بالقرسان الذين يركبون الجمال أو الخيل.
- (٨٣) سرحان بن سعيد الازكري العماني: تاريخ عمان: ص ٣٩.
- (٨٤) المرجع السابق: ص ٤٠.
- (٨٥) هم فريق من الآزد الذين هاجروا من اليمن - على اثر تصدع وانكسار سد مأرب - الى شمال غربي الجزيرة العربية اطراف بلاد الشام، واقاموا على ماء هناك يقال له عُثمان فسموا اَزْد عُثمان. وقد شككوا من اقامة دولة لهم عرفت بدولة الغساسنة وظلوا يحكمون هناك حتى جاء الاسلام، اما جفنة فهو جد أسرة الغساسنة. (انظر: دكتور حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام السياسي: ج ١، ص ٤٧ - ٤٨ وما ذكره من مراجع. الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨١م).
- (٨٦) سرحان بن سعيد الازكري العماني: تاريخ عمان: ص ٤٠، قصص واخبار جرت في عمان: ص ٤١.
- (٨٧) المرجعان السابقان ونفس الصفحات.

الباب الثالث - عُمان في العصور الاسلامية

- (٨٨) انظر: السالمي: تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان: ج ١، ص ٥١ - ٥٧. ونلاحظ أن السالمي يطلق على رواية المؤرخ ابن الأثير في كتابه الكامل، والخاصة بحركة الردة في عمان بقوله، "وكان باطل لا أصل له وإنه أعلم"، السالمي: تحفة الأعيان: ج ١، ص ٥٧، وأنظر: سيده كاشف: عمان في فجر الإسلام: ص ٣٢ - ٣٣.
- (٨٩) انظر: السالمي: تحفة الأعيان: ج ١، ص ٥٥ وما بعدها.
- (٩٠) نور الدين السالمي: تحفة الأعيان، ج ١، ص ٦٩ - ٧٠.
- (٩١) عبدالرحمن العاني: عمان في العصور الاسلامية الأولى، بغداد، ١٩٧٧، ص ٢٧.
- (٩٢) خليفة بن خياط، كتاب التاريخ، ج ١، ص ٩١.
- (٩٣) الذهبي، تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام، ج ٢، القاهرة، ١٣٦٧هـ، ص ٨١.
- (٩٤) فاروق عمر فوزي، تاريخ الخليج العربي في العصور الاسلامية الوسطى، بغداد، ١٩٨٥، ص ٨٥.
- (٩٥) فاروق عمر فوزي، المرجع السابق، ص ٨٦.
- (٩٦) خليفة بن خياط، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٠.
- (٩٧) فاروق عمر فوزي، مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني، بغداد، ١٩٧٩، ص ٣٢.
- (٩٨) جلفار: مدينة خصبة بناحية عمان وأكثر ما تسمى جلفار (ياقوت: معجم البلدان: ج ٢، ص ٦٢٢). وقد اندثرت هذه المدينة وقامت الآن بالقرب من أملاطها "داس الخفية"، بدولة الامارات العربية المتحدة، وما زالت أملاطها باقية (انظر: أبو بشر محمد بن حميد السالمي: نهضة الأعيان بحرية عمان: ١٨ مطابع دار الكتاب العربي - مصر).
- (٩٩) انظر: السالمي: تحفة الأعيان: ج ١، ص ٥٢.
- (١٠٠) د. سعيد عبدالفتاح عاشور، د. عوض محمد خلفات، عمان والحضارة الاسلامية، ص ٢٧.
- (١٠١) انظر: حميد بن محمد بن رزيق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين: ص ٦١٢، وسرحان بن سعيد الزكوي العماني: تاريخ عمان: ص ٤٠، قصص وأخبار جرت في عمان: ص ٤١، تاريخ أهل عمان: ص ٤٧ المؤلف مجهول ص ٤٧.
- (١٠٢) الطبري: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٦٦، وحول تولية ابن عامر ثم زياد بن أبيه ينظر الطبري: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٤/٢١٦.
- (١٠٣) العاني: المرجع السابق، ص ٨٧.
- (١٠٤) عبدالأمير دكسن، من تاريخ عمان في العصر الأموي، مقالة في مجلة الخليج العربي، عدد ١، جامعة البصرة، ١٩٧٢، ص ١٤.
- (١٠٥) ينظر: خليل شاكر حسين، مسألة شعور كرسى الحكم من تنازل معاوية بن يزيد إلى تسلم مروان بن الحكم لدست الحكم، مجلة المؤرخ العربي، عدد ٢٨، ١٩٨٦، ص ١٠٨ وما يليها.
- (١٠٦) ابن الأثير، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٠٤.
- (١٠٧) عبدالأمير دكسن، الخلافة الأموية، بيروت، ١٩٧٢، ص ٥٣ وما يليها.
- (١٠٨) ابن خلدون، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣١٤.
- (١٠٩) عبدالأمير دكسن، من تاريخ عمان في العصر الأموي، ص ١٢٧.
- (١١٠) دكسن، الخلافة الأموية، ص ٢٤١.
- (١١١) السايبي، المرجع السابق، ص ١٨٥، السالمي، تحفة الأعيان، ص ٧٤.
- (١١٢) عبدالأمير دكسن، من تاريخ عمان، ص ١٤٠ وما يليها.
- (١١٣) عبدالأمير دكسن، من تاريخ عمان، ص ١٤٠.
- (١١٤) حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين. لندن، ١٨٧١، ورقة ١ - ٢ الزكوي، كشف اللغة الجامع لأخبار الأمة، مخطوط في المتحف البريطاني رقم ٨٠٧٦، ورقة ٣٢٦ Miles S.B. The countries and tribes of the Persian Gulf. London 1966. P. 50.
- (١١٥) عبدالأمير دكسن، عمان في كتابات جغرافي القرنين الثالث والرابع الهجري، مؤتمر دراسات شرق الجزيرة العربية، قطر، ١٩٧٦، ص ٢٨٦. فاروق عمر، مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني، ص ١٣.
- (١١٦) ابن عسكارة، تاريخ مدينة دمشق، ج ٤، ص ١٦٧/١٨٦، نقلًا عن دكسن، من تاريخ عمان في العصر الأموي، ص ١٤٠.
- (١١٧) السايبي، المرجع السابق، ص ١٨٥.
- (١١٨) السالمي، تحفة الأعيان، ص ٧٤.
- (١١٩) السايبي، المرجع السابق، ص ١٨٦/١٨٧.
- (١٢٠) نفس المرجع السابق، ص ١٨٨.
- (١٢١) السالمي، تحفة الأعيان، ص ٧٤/٧٥.
- (١٢٢) دكسن، من تاريخ عمان، ص ١٤٢.
- (١٢٣) السايبي، المرجع السابق، ص ١٩٠.
- (١٢٤) انظر: ابن رزيق: الفتح المبين: ص ٢١٦. والأزكوي العماني: تاريخ عمان: ص ٤٢، والمؤلف المجهول: تاريخ أهل عمان: ص ٥٠، وقصص أخبار جرت في عمان: ص ٤٤، والسالمي: تحفة الأعيان: ج ١، ص ٥٩.
- (١٢٥) المراجع السابقة ونفس الصفحات.
- (١٢٦) انظر: ابن رزيق: الفتح المبين: ص ٢٢١. وسرحان بن سعيد الزكوي العماني: تاريخ عمان: ص ٤٢ - ٤٣، والمؤلف المجهول: تاريخ أهل عمان، ص ٥٠ - ٥١.

●● الفصل الثاني

- (١) ابن تقيية، المعانك، ص ٢٩٩ (القاهرة ١٩٦٩)، أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ٧٥ (القاهرة ١٩٧٢) - ويروي ابن حزم أن اسمه: سالم بن سراق. أنظر: جمهرة انساب العرب، ص ٣٦٧، القاهرة، ١٩٨٢.

الباب الثالث - عُمان في العصور الإسلامية

- (٢) الأغاني : ٢، ص ٧٦، ابن حجر، الإصابة، ج ٤، ص ١٠٨ (بيروت ١٣٢٨هـ).
- (٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٥٨ (بيروت).
- (٤) سيف بن حمد البطاشي، تاريخ المهلب القائد، ص ١٢، ٢٢.
- (٥) ابن حجر، ج ٤، ص ١٠٨، وهناك رواية أخرى في الأغاني بأن تسميته بابي صفرة لأنه كان يصفر لحبته. انظر: الأغاني، ج ٢، ص ٧٦.
- (٦) ابن عبدالمير، الاستيعاب، ج ١٠٩ (بيروت ١٣٢٨هـ).
- (٧) نورالدين السالمي، تحفة الأعيان، ج ١، ص ٥٢ وما بعدها.
- (٨) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ١١٤ - ١١٥.
- (٩) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٩٢.
- (١٠) العوتبي، الأنساب، ج ٢، ص ١٢١.
- (١١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٢٣، ٣٢٩.
- (١٢) السالمي، تحفة الأعيان، ص ٤٥.
- (١٣) تحفة الأعيان، ص ٤٢.
- (١٤) الأغاني، ج ٢، ص ٧٦.
- (١٥) الأنساب، ص ١٢٣، تحفة، ص ٤٦.
- (١٦) بنو عمرو بن بطون الأزد نسبة إلى عمرو بن عدي بن حارثة بن عمرو بن عامر (انظر: تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٢٠٣ - ٢٠٤).
- (١٧) الأنساب، ص ١٢٢.
- (١٨) تحفة الأعيان، ص ٤٦.
- (١٩) تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٩٨٩ (بيروت ١٩٨٦)، تاريخ الطبري، ج ٣، ص ١٧٦ - ١٧٧.
- (٢٠) ابن خال الخليفة عثمان، تولى البصرة وسنه ٢٥ عاما بعد عزل أبي موسى الأشعري (ابن أعم، الفتوحات، ج ١، ص ٢٢٦).
- (٢١) الأنساب، ص ١٢٥، تحفة الأعيان، ص ٤٨.
- (٢٢) راجع التفاصيل: الأنساب، ص ١٢٥ - ١٢٦.
- (٢٣) الأنساب، ج ٢٧، تاريخ المهلب، ص ٢٥.
- (٢٤) يروي ابن خلكان أن المهلب من أصغر ولد أبي صفرة، ويحدد مولده قبل وفاة النبي بستين (وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٥١).
- (٢٥) النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٦٦.
- (٢٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٣١.
- (٢٧) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٢٢.
- (٢٨) نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٦٧، تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٢٥١ الذي يروي هذه الحادثة في أحداث سنة ٥٠هـ.
- (٢٩) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٠.
- (٣٠) البلاذري، فتوح البلدان، ص ٥٠٨.
- (٣١) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٥٢، ابن أعم، ج ٣، ص ١٥٧ - ١٥٩.
- (٣٢) تاريخ اليعقوبي، ص ٢٥٣.
- (٣٣) ابن أعم، ج ٣، ص ١٥٩.
- (٣٤) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٥٤٥.
- (٣٥) نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٥١٣.
- (٣٦) وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٥١.
- (٣٧) ابن أعم، ج ٣، ص ٢٠١، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٢٢ - ٢٢٤.
- (٣٨) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٦٥ - ٢٦٥.
- (٣٩) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٦١٥ - ٦١٦، ابن أعم، ج ٣، ص ٢٠٢.
- (٤٠) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٦٥، النويري، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٢٤.
- (٤١) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٩٦.
- (٤٢) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٩٦.
- (٤٣) المبرد، الكامل، ص ٢٢٦.
- (٤٤) المبرد، ص ٢٢٧.
- (٤٥) نفسه.
- (٤٦) الحميري، الروض المعطر، ص ٢٤٨ (بيروت ١٩٨٣).
- (٤٧) ابن الأثير، الكامل، ج ٤، ص ١٩٧، نهاية الأرب، ج ٢٠، ص ٢٢٥.
- (٤٨) المبرد، ص ٢٢٢.
- (٤٩) ابن أعم، ج ٣، ص ٢٠٦.
- (٥٠) المبرد، ص ٢٢٥.
- (٥١) اليجد من الأزد والفرهيد بطن منهم (المبرد، ص ٢٢٦).
- (٥٢) الطبري، ج ٥، ص ٦٢١ - ويكمل الطبري الرواية فيقول: فأخذ فتيانا منهم يكرهون فيقاتلون ثم يرجعون إليه ويقولون: يا أبا علقمة، القدور تستعار.
- (٥٣) الروض المعطر، ص ٢٤٨، المبرد، ص ٢٢٤.
- (٥٤) الطبري، ج ٥، ص ٦١٨.
- (٥٥) المبرد، ص ٢٢٥.

الباب الثالث - عُثمان في العصور الإسلامية

- (٥٦) الروض، ص ٢٤٨.
- (٥٧) الروض، ص ١٢٤، المبرد، ص ٢٤٠.
- (٥٨) الكامل، ج ٤، ص ١٩٦ - ٢٠٠.
- (٥٩) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤٦ - ٢٦٥.
- (٦٠) النويري، ج ٢١، ص ٤.
- (٦١) ابن أعمش، م ٢، ص ٢٢٠.
- (٦٢) النويري، ج ٢١، ص ٤٥.
- (٦٣) ابن كثير، نفسه.
- (٦٤) ابن أعمش، م ٣٦، ص ٢١٨.
- (٦٥) ابن خلدون، م ٣، ص ٦٨.
- (٦٦) راجع التفاصيل: النويري، ج ٢١، ص ٤٦ - ٤٨.
- (٦٧) ابن أعمش، م ٣، ص ٣٢٦.
- (٦٨) الطبري، ج ٦، ص ١١٢، الكامل، ج ٤، ص ٢٧٥.
- (٦٩) الطبري، ج ٦، ص ١١٩، النويري، ج ٢٠، ص ٥٢٥.
- (٧٠) الطبري، نفسه، ص ١٢٧.
- (٧١) الطبري، ج ٦، ص ١٢٧، النويري، ج ٢٠، ص ٢٢٧.
- (٧٢) راجع التفاصيل: الطبري، ج ٦، ص ١٥٨ - ١٥٩، النويري، ج ٢١، ص ١٢٧، ابن خلدون، م ٣، ص ٨٠، ابن كثير، البداية، ج ٨، ص ٢٤٨.
- (٧٣) راجع: الطبري، ج ٦، ص ١٨٧ وما بعدها.
- (٧٤) ابن أعمش، م ٢، ص ٤٠٦.
- (٧٥) الطبري، ج ٦، ص ١٦٩، النويري، ج ٢١، ص ١٤٧.
- (٧٦) هو بشر بن مروان أخو الخليفة عبد الملك بن مروان: وكان واليا على الكوفة من قبل أخيه عبد الملك (راجع: الطبري، ج ٦، ص ١٩٦).
- (٧٧) النويري، ج ٢١، ص ١٦٩.
- (٧٨) النويري، ج ٢١، ص ١٤٩.
- (٧٩) ابن أعمش، م ٣، ص ١١٨.
- (٨٠) الطبري، ج ٦، ص ١٩٦.
- (٨١) ابن أعمش، م ٢، ص ٤٢٢.
- (٨٢) الكامل: ج ٤، ص ٢٦٦.
- (٨٣) الطبري، ج ٦، ص ٢٠٤.
- (٨٤) النويري، ج ٢١، ص ٢١٤.
- (٨٥) المبرد: ص ٢٦٦.
- (٨٦) ابن أعمش، م ٤، ص ١٤.
- (٨٧) الطبري، ج ٦، ص ٢١٠.
- (٨٨) كارتون مدينة بفارس بين البحر وشيراز (راجع معجم البلدان لياقوت).
- (٨٩) راجع التفاصيل: النويري، ج ٢١، ص ١٥١ - ١٥٢.
- (٩٠) الكامل، ج ٤، ص ٢٩٠، النويري، ج ٢١، ص ١٥٢.
- (٩١) الكامل، نفسه.
- (٩٢) الطبري، ج ٦، ص ٢١٣.
- (٩٣) النويري، ج ٢١، ص ١٥٤.
- (٩٤) طبري، ج ٦، ص ٣٠١.
- (٩٥) ابن أعمش، م ٤، ص ١٤.
- (٩٦) المبرد، ص ٢٧٢، الروض، ص ٢٤٨.
- (٩٧) الطبري، ج ٥، ص ٦١٨.
- (٩٨) راجع تفاصيل المعارك: ابن أعمش، م ٣، ص ٢٢، وما بعدها، المبرد، ص ٢٧٢، وما بعدها.
- (٩٩) المبرد، ص ٢٧٧.
- (١٠٠) ابن أعمش، م ٢، ص ٢١٣.
- (١٠١) ابن أعمش، م ٤، ص ٣٠.
- (١٠٢) النويري، ج ٢١، ص ١٥٥.
- (١٠٣) ابن أعمش، م ٤، ص ٤١.
- (١٠٤) الطبري، ج ٦، ص ٣١٢.
- (١٠٥) ابن أعمش، م ٤، ص ٤٥.
- (١٠٦) ابن أعمش، نفسه، ص ٤٧.
- (١٠٧) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٧٥.
- (١٠٨) المبرد: ص ٢٩٢ - ٢٩٢.
- (١٠٩) الطبري، ج ٦، ص ٣٠٤.
- (١١٠) في ذيل جبال طبرستان (راجع معجم البلدان لياقوت)، الطبري، ج ٦، ص ٢١١.
- (١١١) النويري، ج ٢١، ص ١٥٦.

الباب الثالث - عُمان في العصور الإسلامية

- (١١٢) راجع التفاصيل: ابن أعثم، م، ٤، ص ٤٧ - ٤٨.
- (١١٣) النويري: ٢١، ص ١٥٧.
- (١١٤) ابن أعثم، م، ٤، ص ٥٠.
- (١١٥) الطبري: ج ٦، ص ٣٠٤.
- (١١٦) راجع التفاصيل: طبري: ج ٦، ص ٣٠٩ وما بعدها. نويري: ٢١، ص ١٥٩ وما بعدها.
- (١١٧) المبرد: ص ٢٩٤، المسعودي: مروج، ص ١٨٥ - ١٨٦ (بيروت ١٩٨٦).
- (١١٨) ابن أعثم، م، ٤، ص ٥٦.
- (١١٩) نويري، ٢١، ١٥٨ - وكانت البصرة يطلق عليها بصرة المهلب لأنه حمى المدينة من الخوارج، وكان أهل الكوفة يقولون لأهل البصرة «ياموالي المهلب» لنفس السبب ولسيطرة آل المهلب ومكانتهم في البصرة ومن شعر الحسن بن هانئ، في البصرة:
- الأكل بصري يرى أما العسل لأزد عمان يا المهلب ثورة
مكمنة سحق لهن جريسن إذا اقتنصر الأقوام ثم تلن
(راجع: الهمداني، مختصر كتاب البلدان، ص ١٢٢، وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٥١).
- (١٢٠) الطبري: ج ٦، ص ٣١٩، الكامل، ج ٤، ص ٤٤٨.
- (١٢١) الكامل، ج ٤، ص ٤٤٨.
- (١٢٢) النويري، ٢١، ص ٢٦٨.
- (١٢٣) ابن أعثم، م، ٤، ص ٥٨.
- (١٢٤) النويري، ٢١، ٢٠١.
- (١٢٥) الختل: كورة فيما وراء النهر (راجع معجم البلدان لياقوت).
- (١٢٦) الكامل، ج ٤، ص ٤٥٣.
- (١٢٧) النويري، نفسه.
- (١٢٨) الطبري: ج ٦، ص ٢٢٦.
- (١٢٩) الطبري، ج ٦، ص ٢٢٨.
- (١٣٠) نفسه، ص ٣٥١.
- (١٣١) الكامل، ج ٤، ص ٤٧٥.
- (١٣٢) ابن أعثم، م، ٤، ص ٨٩، فتراته الشاعر نهار بن توسعة التميمي بقصيدة مطلعها:
- ألا زعب الغزو المقرب للفتى ومات الندى والجود بعد المهلب.
- (١٣٣) راجع: الطبري، ج ٦، ص ٢٥٥.
- (١٣٤) راجع التفاصيل: النويري، ٢١، ص ٢٣٩ وما بعدها.
- (١٣٥) الطبري، ج ٦، ص ٢٧٠، ويقال إن ابن الأشعث عند انسحابه عاد للإقامة مع رتبيل ملك الترك الذي كان قد توصلت بينهما الصداقة منذ رفض ابن الأشعث الدخول في حرب ضد رتبيل، ووجه جيوشه لقتال الحجاج (راجع: الطبري، ج ١، ص ٣٧٠ - ٣٧١، المسعودي، التنبيه والأشراف، ص ٢٨٧).
- (١٣٦) النويري، ٢١، ص ٢٥١.
- (١٣٧) الطبري، ٦، ص ٢٧١.
- (١٣٨) النويري، ٢١، ص ٢٥٢.
- (١٣٩) وكان سعد بن أبي وقاص عندما بلغه حسن بلاء المهلب في معارك خراسان في عهد معاوية قال: اللهم لا تره ذلاً أبداً، وأكثر ماله وولده، ويقال إن ما نال المهلب من خير كان بسبب هذه الدعوة (راجع: المعارف، ص ٢٤٢، الأنساب، ص ١٢٨ - ١٢٩).
- (١٤٠) النويري، ٢١، ص ٢٥٢.
- (١٤١) الطبري: ج ٦، ص ٢٩٧.
- (١٤٢) وفيات: ج ٦، ص ٢٧٨.
- (١٤٣) نفسه، ص ٢٨٨ - ٢٨٩، النويري: ٢١، ص ٢٦٤.
- (١٤٤) الطبري: ج ٦، ص ٢٩٥.
- (١٤٥) وفيات: ج ٦، ص ٢٨٩.
- (١٤٦) الطبري: نفسه.
- (١٤٧) الطبري: نفسه.
- (١٤٨) ابن أعثم، م، ٤، ص ١٤٥ وما بعدها.
- (١٤٩) الطبري: ج ٦، ص ٢٩٦، النويري: ٢١، ص ٢٦٥.
- (١٥٠) وفيات، ج ٦، ص ٢٨٨ - ٢٨٩.
- (١٥١) الطبري: ج ٦، ص ٤٨٨، نويري: ٢١، ص ٢١٦.
- (١٥٢) ابن أعثم، م، ٤، ص ١٥٨.
- (١٥٣) طبري: ج ٦، ص ٤٥٢.
- (١٥٤) وفيات، ج ٦، ص ٢٩٤.
- (١٥٥) راجع التفاصيل: الطبري: ج ٦، ص ٤٥٢ - ٤٥٣.
- (١٥٦) ابن أعثم، م، ٤، ص ١٨٧.
- (١٥٧) النويري: ٢١، ص ٢٤٢.
- (١٥٨) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٩٥.
- (١٥٩) الطبري، ج ٦، ص ٥٠٦، الأنساب، ج ٢، ص ١٤٨.

الباب الثالث - عُثمان في العصور الإسلامية

- (١٦٠) راجع التفاصيل: الكامل، ج ٥، ص ٢٢، النويري، ٢١، ص ٢٤٤ وما بعدها.
(١٦١) الكامل، ج ٥، ص ٢٢ - ٢٤.
(١٦٢) النويري، ٢١، ص ٢٤٦.
(١٦٣) راجع تفاصيل غزوات آل المهلب في هذه الفترة: البلاذري، فتوح البلدان، ص ١٢٢ وما بعدها، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٦٦.
(١٦٤) تبايلذري، ص ٤١٥ - ٤١٥، الحميري: الرضوى المطعار، ص ١٦٠ - ١٦١.
(١٦٥) الكامل، ج ٥، ص ٤٨ - ٤٩، النويري، ج ٢، ص ٣٦٢.
(١٦٦) تاريخ الموصل، ص ٢.
(١٦٧) الكامل، ج ٥، ص ٧١، تاريخ الموصل، ص ٨.
(١٦٨) ابن أعمش: م، ٤، ص ٢٤٥ - ٢٤٦.
(١٦٩) الكامل، ج ٥، ص ٧٦.
(١٧٠) المسعودي: القتيبة، ص ٢٩٤.
(١٧١) الطبري، ج ٦، ص ٩٢، النويري، ج ٢، ص ٢٨٦.
(١٧٢) الكامل، ج ٥، ص ٨٥.
(١٧٣) ابن أعمش: م، ٤، ص ٢٤٩، الطبري، ج ٦، ص ٩٢.
(١٧٤) الطبري، ج ٦، ص ٩٢، الكامل، ج ٥، ص ٧٥.
(١٧٥) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٤١.
(١٧٦) اليعقوبي، ج ٢، ص ٢٤٥، الأنساب، ج ٢، ص ١٥٦ - ١٥٧، الطبري، ج ٧، ص ٤٥٨، البلاذري، ص ٤٥١.

●● الفصل الثالث

- (١) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٤٢٢، قارن اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١٣٤، ١٦١.
(٢) البلاذري: نفس المصدر، ص ٢٢٢.
(٣) أنظر، خليفة بن خياط: كتاب الطبقات، ص ١٩٧، ابن حزم: جمهرة أنساب العرب، ص ٢٦٦، ابن حجر: ج ١، ص ٢٧١.
(٤) بروس: وتسمى بروس، لا يعرف موقعها حالياً، غير أن هناك ميناء يعرف بـ Baruz على شواطئ كجرات ذكره أحمد بن ماجد في كتابه الفوائد في أصول البحر والقواعد ص ٤٥٢ أنظر: Al-Humaidi, Makran and Baluchistan From Early Islamic Conquest down to Noisavne The Mongol Of Arts, Ph.D. Thesis, Victoria University Of Manchester, Department Of Middle Eastern Studies, Faculty June 1988, P.283.
(٥) البلاذري: نفس المصدر، ص ٤٣٢، وهناك رواية لليقوبي، تاريخ ج ٢، ص ١٣٤، تذكر أن عثمان بن أبي العاص قد عين من قبل أبي بكر وهو خطأ لا يمكن السكوت عليه، عزاء القاضي أظهر إلى أنساغ والله أعلم أنظر، العقد الثمين، ص ٢٥، لكن التناقض واضح في رواية اليعقوبي، أنظر، ج ٢، ص ١٣٨، قارن علي بن حامد الكوفي، فتح نامه سند، تحقيق د. نبي بخش بلوچ، اسلام آباد، ١٤٠٢ / ١٩٨٢، ص ٢٧ من التعليقات.
(٦) Al-Humaidi, op. cit, p. 234.
(٧) Ibid, p. 237.
(٨) أنظر: ما تقدم عن «بنو جديد» ص ٢.
(٩) أنظر: تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٠٥، والذهبي: العسمر في خبر عن غدير، ج ١، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط ٢، الكويت، ١٨٤، ص ٥١، وابن العباد: شذرات الذهب، ج ١ القاهرة، ١٢٥٠ / ١٩٢١، ص ٥٣.
see also Al-Humaidi, Makran and Baluchistan, p52.
(١٠) منطقة تشتمل على الأقاليم الجبلية التي تقع غربي قصادر أو خزارد الحالية بباكستان، وتشتمل أيضاً على الأجزاء الغربية من منطقة (كلات) المعروفة حالياً بباكستان وكانت عاصمتها تسمى كيكاتان أو كيزكاتان، أنظر Al-Humaidi، أنظر أيضاً شروحات د. نبي بخش بلوچ على «فتح نامه سند» بالانجليزية ج ٢ وما بعدها، ص ٢١٨ - ٢١٩.
(١١) هي عين المدينة المعروفة حالياً بباكستان باسم كندوا، Gandava قاعدة إقليم كاتشي بيلوشستان.
(١٢) لا يعرف بالتحديد موضع «بنة أو بنة» الحالي، يذكر البلاذري أنها بين كابل والمئتان، ويذكر قاضي أظهر أن بنة أو بنة يمكن أن تكون مدينة ناب كوهات بباكستان وليس لديه حجة على ذلك، أما الأهور (وهو؟) كما ذكرها خليفة بن خياط أو الأواز كما أثبتها الباذري فيمكن على رأي القاضي - وقد نتفق معه حسب وصف البلاذري (بين المئتان وكابل) أنها لأهور الحالية، أنظر العقد الثمين، ص ٨٩، البلاذري، فتوح - ج ٢، ص ٤٢٢، وتاريخ خليفة بن خياط ص ٢٠٦.
Al-Humaidi op. cit p.250
(١٣) قاضي أظهر، العقد الثمين، ص ١٠٥ - ١٠٦.
(١٤) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢١٢، قارن اليعقوبي، تاريخ ج ٢، ص ٢٧٨، والبلاذري، نفس المصدر، ص ٢٢.
(١٥) فتح نامه سند، ص ٥٩.
(١٦) المصدر السابق، ص ٥٨، وأنظر:
Al-Humaidi op. cit p255 Chachnama, An English Translation Of Fer'h Numah, I. Sind, p. 64.
(١٧) البلاذري نفس المصدر، ص ٤٢٢، واليعقوبي، نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٧٨، Al-Humaidi ، op.cit, loc.cit.
(١٨) علي بن حامد الكوفي: فتح نامه سند، ص ٥٩، والذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢، القاهرة ١٣٦٨ / ١٩٤٨، ص ٣٧٧، وابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ١٢٩١ / ١٩٧١، ص ٩٤.

الباب الثالث - عُمان في العصور الإسلامية

- (١٩) البلاذري: نفس المصدر، ص ٤٣٥.
- (٢٠) القاضي أظهر: العقد الثمين، ص ١٢١. قارن البلاذري نفس المصدر، ص ٤٣٥. وخليفة بن خياط، تاريخ، ص ٢٧٧.
- see also Al-Humaidi *op. cit.* pp. 260 - 62
- (٢١) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج ٢، القاهرة، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م، ص ٣٧٢.
- (٢٢) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٢٧٨. وعلي بن حامد الكوفي، فتح نامه سند ص ٦٢.
- Hachnamsh P.67, Al-Humaidi *op. cit.* pp. 261 - 62. see also S.B. Miles. Countries and Tribes of the Persian Gulf, 3rd ed. (London), p.54.
- Al-Humaidi *op. cit.* pp. 263 - 64.
- (٢٣) Ibid, pp. 264 - 68.
- (٢٤) نفس المصدر، ص ٤٣٦.
- (٢٥) قارن، نامه، ويعرف أيضا بـ(فتح نامه سند) ص ٧١.
- (٢٦) البلاذري، نفس المصدر، ص ٤١. قارن، خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٣١٨. واليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢٩٦. أنظر القاضي أظهر، العقد الثمين، ص ١٧٦.
- (٢٨) خليفة بن خياط، نس المصدر، ص ٣٢٢. البلاذري، نفس المصدر، ص ٤٤٢. وابن حزم، جهمرة أنساب العرب، ص ٢٤٦. وأنظر Al-Humaidi *op. cit.* p. 269.
- (٢٩) اليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٢١٠ - ٢١١. والبلاذري، نفس المصدر، ص ٤٤٢. والطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٦، ص ٦٠٠ - ٦٠٣. و Al-Humaidi *op. cit.* p. 269.
- (٣٠) الطبري، نفس المصدر، نفس الموضع، والقاضي أظهر، العقد الثمين، ص ١٨١ - ١٨٣.
- (٣١) الطبري، نفس المصدر، ص ٦٠٣. واليعقوبي، تاريخ، ج ٢، ص ٣١٠ - ٣١١. والبلاذري، نفس المصدر، ص ٤٤٢.
- Al-Humaidi *op. cit. loc. cit*
- (٣٢) فتوح البلدان، ص ٤٤٢.
- (٣٣) تاريخ ابن خلدون، ج ٢، ص ٧٩. قارن القاضي أظهر، العقد الثمين، ص ١٨٤.
- (٣٤) الطبري، نفس المصدر، ج ٦، ص ٦٠٣. قارن ابن خلدون، نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٠.
- (٣٥) اليعقوبي، نفس المصدر، ج ٢، ص ٤٢٢. والقاضي أظهر، نفس المرجع، ص ٢٠٤.
- وتذكر المصادر أن أبا عيينة بن المهلب وعثمان بن الفضل بن المهلب كانا قد عاديا من بلاد الترك في خلافة هشام لآمان بنله لهما أسد بن عبدالله القسري والي خراسان. (أنظر ابن خلدون، نفس المصدر، ج ٢، ص ٨٠). والثابت أن المهلبين قد لقوا حظوة من قبل خلفاء بني العباس فكان منهم الوزراء والقادة لفترة طويلة من عمر الدولة العباسية.
- (٣٦) اليعقوبي، نفس المصدر، ج ٢، ص ٢٧٢. والطبري، نفس المصدر، ج ٧، ص ٥١٢. ابن خلدون، نفس المصدر، ج ٢، ص ١٨٧. أنظر أيضا القاضي أظهر، الهند في عهد العباسيين، دار الانتصار، القاهرة، ١٣٩٩هـ، ص ١٥، وقد نسب عمر بن حفص إلى المهلب بن أبي صفرة.
- (٣٧) ابن الحنف، طبقات الشعراء، ص ١٦٥. نقلا عن القاضي أظهر، الهند في عهد العباسيين، ص ٢٢. أنظر أيضا، فؤاد سركاين، تاريخ التراث العربي، المجلد الثاني، الجزء الرابع، ترجمة من الألمانية، د. عرفة مصطفى، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م، ص ٢١٣.
- (٣٨) خليفة بن خياط، تاريخ ص ٤٤١. وابن حزم، جهمرة أنساب العرب، ص ٣٤٩ - ٣٥٠.
- (٣٩) جهمرة أنساب العرب، ص ٣٥٠. القاضي أظهر، الهند في عهد العباسيين، ص ٢٧.
- (٤٠) تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٤٠٩. القلقشندي، مآثر الألفاق، ج ١، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، ٢، الكويت، ١٩٨٥، ص ٢٠٠. أنظر أيضا: Al-Humaidi *op. cit.* p. 274.
- (٤١) تاريخ خليفة بن خياط، ص ٤٦٣.
- (٤٢) البلاذري، نفس المصدر، ص ٤٤٥. قارن اليعقوبي، نس المصدر، ج ٢، ص ٤٥٨. والقاضي أظهر، الهند في عهد العباسيين، ص ٣٩.
- (٤٣) تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ص ٦٢٠ - ٦٢١. واليعقوبي، نفس المصدر، نفس الموضع.

●● الفصل الرابع

- (١) سيدة اسماعيل الكاشف: عمان في فجر الإسلام، ص ٧٦.
- (٢) مؤلف مجهول: كشف الغمة، مخطوط، ورقة ٤٥٥.
- (٣) سالم بن حمود بن شامس السيابي: عمان عبر التاريخ، ج ١، ص ٢٢٠.
- (٤) د. حسين علي السبري: تاريخ العلاقات السياسية والاقتصادية بين العراق والخليج العربي، ص ١٢٤.
- (٥) سعيد عبدالفتاح عاشور: وآخر، عمان والحضارة الإسلامية، ص ٢٠.
- (٦) شاكر مصطفى: مقال في الذكرى والتاريخ، ص ٢٤٥.
- (٧) د. فاروق عمر: العباسيون الأوائل، ج ١، ص ٢٥٢.
- (٨) ابن قتيبة: المعارف، ص ٤١٧.
- (٩) التميمي: منهج المعارج لأخبار الخوارج، مخطوط، ورقة ٣١٤.
- (١٠) مؤلف مجهول: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، مخطوط، ورقة ٤٥٥.
- (١١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ٢٤٢.
- (١٢) مؤلف مجهول: العيون والحدائق، ج ٢، ص ٦٢.
- (١٣) مؤلف مجهول: كشف الغمة، مخطوط، ورقة ٤٥٦.

الباب الثالث - عُثمان في العصور الاسلامية

- (١٤) ابي محمد عبدالله السالمي: تحفة الاعيان، ج ١، ص ٦٥.
- (١٥) المرجع السابق، ص ٧٣-٧٤.
- (١٦) مؤلف مجهول، قصص واخبار جرت فيعمان، ص ٤٩.
- (١٧) وندل فيليبس، تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبدالله، ص ٢٢.
- (١٨) سرحان بن سعيد الازكوي، تاريخ عمان، ص ٥٠.
- (١٩) ابو محمد عبدالله السالمي، تحفة الاعيان، ج ١، ص ٨٤.
- (٢٠) عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ٣٩-٤٠.
- (٢١) نور الدين السالمي: تحفة الاعيان، مكتبة الاستقامة، مسقط، ج ١، ص ١١٥.
- (٢٢) المرجع السابق، ج ١، ص ١٢٨-١٤٠.
- (٢٣) للاطلاع على النصائح المشار اليها انظر: نور الدين السالمي: تحفة الاعيان، ج ١، ص ١٤٠-١٤٩.
- (٢٤) عمان عبر التاريخ، ج ٢/٨٤.
- (٢٥) العقد الثمين صفحة ٢٢٢
- (٢٦) عمان عبر التاريخ ٢/١٠٨-١٠٥.
- (٢٧) السالمي، تحفة الاعيان، ج ١، ص ١٧٨.
- (٢٨) الاصطخري، المسالك والممالك، ص ٢٧.
- (٢٩) مؤلف مجهول، كشف الغمة الجامع لخبار الامة، مخطوط، ورقة ٤٦٣.
- (٣٠) سرحان بن سعيد الازكوي، تاريخ عمان ص ٦١.
- (٣١) مؤلف مجهول، كشف الغمة الجامعة لخبار الامة، محفوظ، ورقة ٤٦٥.
- (٣٢) ياقوت الحموي: معجم الادباء، ج ٨، ص ٨٦.
- (٣٣) الازكوي: تاريخ عمان، ص ٦١.
- (٣٤) المسعودي ومروج الذهب، ج ١، ص ١٦٧.
- (٣٥) ابن الجوزي: المنتظم ج ٦، ص ١٤٥.
- (٣٦) د. فاروق عمر: مقدمة في مصادر التاريخ العماني ص ٤٣.
- (٣٧) ابن رزيق: الفتح المبين، ص ٢٣٨.
- (٣٨) مؤلف مجهول: قصص واخبار جرت في عمان، ص ٦٧-٦٨.
- (٣٩) مؤلف مجهول: تاريخ اهل عمان، مخطوط ورقة ٢٩٦-٣٠٢.
- (٤٠) د. فاروق عمر: مقدمة في دراسات مصادر التاريخ العماني، ص ٦٦.
- (٤١) مؤلف مجهول: تاريخ اهل عمان مخطوط، ص ٦٩.
- (٤٢) د. فاروق عمر، مقدمة في دراسة التاريخ العماني، ص ٤٦.
- (٤٣) المرجع السابق، ص ٤٧.
- (٤٤) د. محمد رشيد العقيلي، الخليج العربي في العصور الاسلامية، ص ٢٠٤.
- (٤٥) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٩٨.
- (٤٦) د. احمد شلبي، موسوعة التاريخ الاسلامي، ج ٧، ص ٣١٠.
- (٤٧) د. محمد رشيد العقيلي، المرجع السابق، ص ٢٠٦.
- (٤٨) ابن خلدون، العبر، ج ٤، ص ١٩٩.
- (٤٩) ابن مسكويه، تجارب الامم، ج ١، ص ٢٢٣.
- (٥٠) الصولي، اخبار الرافضى بالله والمقلّى لله، ص ٢٤٤.
- (٥١) ابن الاثير، الكامل، ج ٦، ص ٢٩٢.
- (٥٢) مسكويه، تجارب الامم، ج ٢، ص ٤٦.
- (٥٣) المرجع السابق ص ١٤٤.
- (٥٤) القرطبي، ذبيل تاريخ الطبري، ص ٢٤٢.
- (٥٥) ياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ٩، ص ١٢٤، ١٢٦.
- (٥٦) التتوخي، نشوار المحاضرة، ج ١، ص ٣٤٧، ٢٤٨.
- (٥٧) المرجع السابق، نفس الصفحات.
- (٥٨) ابن الاثير، الكامل في التاريخ ج ٢، ص ١٧.
- (٥٩) مسكويه، تجارب الامم، ج ٢، ص ٢١٧، ٢٢٣.
- (٦٠) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٥٧.
- (٦١) المرجع السابق ص ١٥٧.
- (٦٢) ابو محمد السالمي: تحفة الاعيان ج ١ ص ٢٣١.
- (٦٣) الثعالبي: بئيمة الدهر في محاسن اهل العصر، ج ٢، ص ٣٢٠.
- (٦٤) ابو شجاع الرواد واوردي: ذيل تجارب الامم، ج ٢، ص ١٠٠.
- (٦٥) هلال الصابني: تاريخ هلال الصابني المذيل على تجارب الامم ج ٤، ص ٤١٤، ٤١٥.
- (٦٦) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج ٧، ص ٢٥٤.
- (٦٧) ابن الاثير: الكامل في التاريخ ج ٨، ص ١٩-٢٠.
- (٦٨) ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج ٢ ص ١٤٦.
- (٦٩) ابن الاثير: المرجع السابق ص ٢٠.
- (٧٠) المرجع السابق نفس الصفحة
- (٧١) ابن الاثير المرجع السابق، ج ٨، ص ٥٥.

●● الفصل الخامس

- (١) الأركوي، سرحان بن سعيد - تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، ص ٧٤، السامي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ١، ص ٢٠٢، السيابي، خلفان بن جميل: سلك الدرر الحاوي غرر الأثر، ج ٢، ص ٥٧٧، السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ٩٢.
- (٢) هو الملقب بن أبي صفرة المكشي بأبي سعيد، ويذكر السيد حمد بن سيف البوسعيد أن قبيلة البوسعيد التي ينتمي إليها آل سعيد الذين يشكلون الأسرة الحاكمة حالياً في عمان تنتمي إلى الملقب، لذا اتضح لنا أن قبيلة العتيك قد تولت حكم عمان منذ القرن السادس الهجري حتى الآن، حيث تعاقب عل حكمها النباهنة فاليعاربة ثم آل سعيد. انظر حمد بن سيف البوسعيد، كتاب الموجز المفيد نبذة من تاريخ البوسعيد، ص ٧ - ١٠، انظر أيضاً: سالم بن حمود السيابي: عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ١٤.
- (٣) الميرد، أبو العباس محمد بن يزيد: نسب عدنان وقحطان، ص ٢٣، العوتبي، سلمة بن مسلم: الأنساب، ج ٢، ص ١١٧ - ١٢٠، السامي: عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ١، ص ٢٠٢، السامي، محمد بن عبدالله: نهضة الأعيان، ص ٩٢، السيابي، سالم بن حمود: أسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، ص ١١٦ - ١١٨.
- (٤) أحمد بن سعيد: ديوان السطائي، ص ٤٤٣ - ٤٤٤.
- (٥) ديوان النبهاني، ص ٢١٦ و ٢٢٢.
- (٦) موسى بن حسين بن شوال: ديوان الكيخاوي، ص ٢٥.
- (٧) السامي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ١، ص ٢٠٢، السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ٨١، العقيلي، محمد رشيد: الأباضية في عمان وعلاقتها مع الدولة العباسية في عصرها الأول، ص ٣٧، فاروق عمر: مقدمة في دراسة مصادر التاريخ العماني، ص ٥٠ - ٥١، أبوعزة، عبدالله: بحث بعنوان علاقة عمان بدار الخلافة في النصف الأول من ق ٤ هـ، ص ١٦٢ - ١٦٣.
- (٨) انظر: ديوان السطائي، ص ٢٦١، يرشي السلطان أبا محمد نيهان بن عمر بن محمد بن عمر بن نيهان سنة ٤٧٤ هـ.
- (٩) ن.م، ص ٢٧، يعزي أبا عبدالله محمد بن عمر في وفاة والدته سنة ٥٠١ هـ.
- (١٠) ن.م، ص ٢٨٢، يمدح السلطان أبا الحسن نهل بن عمر ويهئنه بعودته من أداء فريضة الحج سنة ٥٥٩ هـ.
- (١١) هذا العمر قلما يقول فيه الإنسان العادي الشعر لأنه يحتاج إلى قريحة وبديهة وعماء غالباً لا يتوفران في مثل هذه السن المتأخرة.
- (١٢) تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة، ص ٧٢.
- (١٣) الأركوي، سرحان بن سعيد: تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة، ص ٧٤، ٧٢.
- (١٤) ابن رزيق، حميد بن محمد: الفتوح المبين في سيرة السادة البوسعيين، ص ٢٥٠.
- (١٥) لوريير: دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٢، ص ٦٢٩، مترجم (نقلاً عن باسجر)، ن.م، القسم الجغرافي، ص ٥، ص ١٧٠، انظر أيضاً: زامبارو - معجم الأنساب والأسماء الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ج ١، ص ١٩٤، سايانز: الخليج بلدانه وقبائله، ص ١٣٩ - ١٤١، مترجم، سليمان أحمد السعيد: تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ص ٢٢٩ - ٢٣١، شليبي، أحمد: التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ج ٧، ص ٢٤٦ - ٢٤٥، حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج ١، ص ٣٩ - ٤٠.
- (١٦) السطائي: ديوان السطائي، ص ٢١١، النبهاني: ديوان النبهاني، ص ٣٦ - ٣٧.
- (١٧) ديوان السطائي، ص ٢٢، ديوان النبهاني، ص ٢٢ - ٢٣، انظر أيضاً: ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ١٨١ - ١٨٢، السامي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ١، ص ٢٠٢، السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ٩٧.
- (١٨) السطائي، ابوبكر أحمد بن سعيد الخروصي: ديوان السطائي، ص ٤٦ و ٢٨٢ - ٢٨٧.
- (١٩) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله: رحلة ابن بطوطة، ص ١٨١.
- (٢٠) النبهاني: ديوان النبهاني، ص ٢١٢.
- (٢١) النبهاني، سليمان بن سليمان: ديوان النبهاني، ص ١٧١ و ١٧٢ و ١٨٧.
- (٢٢) آل الريس: قبيلة عمانية تنتمي إلى قبيلة طيء موطنها فزح (بكر الفاء ويسكن الزاء بعدها حاء مهملة)، وتقع في مدينة لسوى بمنطقة الباطنة بعمان، وهي قبيلة عريقة السكنى بالمنطقة المذكورة وهي كثيرة العدد، أما قبيلة الحدان: فهي قبيلة أزدية عمانية تنتمي إلى الحدان بن شمس، موطنها منطقة الطاهرة بأمنطقة الغربية من عمان. انظر - العوتبي: الأنساب، ج ٢، ص ٢٤٢، والسيابي: أسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان، ص ١٥٨، والسطائي: ديوان السطائي، ص ٥٩.
- (٢٣) ابن رزيق: الشعاع الشائع بالعمان في ذكر أئمة عمان، ص ٧٢، السامي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان، ج ١، ص ٢٠٥، السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ١٠٢.
- (٢٤) الأركوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٤، ابن رزيق، حميد بن محمد: الصحيفة القحطانية، ج ٢، ص ٢٣٩، مخطوطة مصورة، مؤلف مجهول: تاريخ أهل عمان، تحقيق أ.د. سعيد عبدالفتاح عاشور، ص ٩٧، السامي، عبدالله بن حميد: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ١، ص ٢٠٤.
- (٢٥) المعولي: أبو سليمان، محمد بن عامر بن راشد: قصص وأخبار جرت في عمان، مخطوطة مصورة، ص ٣١، ابن رزيق: الشعاع الشائع بالعمان في ذكر أئمة عمان، ص ٧٢.
- (٢٦) الشراة: جمع، فردها الشاري (المشتري والبائع ومن يبيع نفسه ابتغاء لطاعة الله ومَرْضَاتِهِ). المعجم الوسيط، ص ٤٨١، وذلك اشتقاقاً من الآية الكريمة: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ» سورة البقرة، الآية ٢٠٧، والآية: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّهُمْ لَهِمَّ الْجَنَّةُ» سورة التوبة، آية ١١.

الباب الثالث - عُمان في العصور الإسلامية

- (٢٧) سيرة عبدالله بن مداد، ص ٢٨.
- (٢٨) سرجان بن سعيد: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٢.
- (٢٩) مابيز: الخليج بلداته وقبائله، ص ١٤٢، ويلسون، أرنولد: تاريخ الخليج، ص ٤٥.
- (٣٠) عبدالله بن حميد: تحفة الاعيان، ج ١، ص ٢١٩.
- (٣١) سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ١٠٤.
- (٣٢) سرجان بن سعيد: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٤. ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧١. الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٢٤٧. مؤلف مجهول: تاريخ اهل عمان، تحقيق ا.د. سعيد عبدالفتاح عاشور، ص ٩٩.
- (٣٣) ذكره ابن رزيق في كتابه الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧٤ باسم ابي الحسن راشد بن خميس بن عامر الازدي، بينما ذكره في كتابه الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين باسم ابي الحسن عبدالله بن خميس بن عامر الازدي، فأخذ عنه المستشرقون ومن اخذ عنهم هذا الاسم.
- (٣٤) زامباور: معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ج ١، ص ١٩٤، حسين مؤنس: أطلس تاريخ الاسلام، ص ٢٠٩، هولي، دونالد: عمان ونهضتها الحديثة، ص ٢٧.
- (٣٥) السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الاعيان، ج ١، ص ٢٢٠.
- (٣٦) من ذرية الامام المصلت بن مالك الخروصي اليعمدي.
- (٣٧) ابن رزيق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٢٥٨. الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧٩.
- (٣٨) حممت: قرية تعرف حاليا بمس الجناه وتقع بوادي بني رواحة.
- (٣٩) سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ١٠٧.
- (٤٠) الازكوي، سرجان بن سعيد: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٤، السالمي، عبدالله بن حميد: تحفة الاعيان، ج ١، ص ٢٢١.
- (٤١) الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧٩. الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٢٥٧.
- (٤٢) معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، ج ١، ص ١٩٤.
- (٤٣) الشعاع الشائع باللمعان، ن.م، ص ٧٧.
- (٤٤) الازكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٥. ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧٩. السالمي، التحفة، ج ١، ص ٢٢٥ - ٢٢٦، السيابي: ن.م، ج ٢، ص ١١٦.
- (٤٥) احمد بن ماجد: كتاب القوائد في اصول البحر والقواعد (مخطوطة مصورة منشورة)، ص ٧٠. ب. حرف الجر «من» اضيف ليستقيم المعنى.
- (٤٦) اسلوب ابن ماجد ركيك لانه كتب باللهجة العامية وليس باللغة العربية الفصحى.
- (٤٧) الازكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٥. ابن رزيق: ن.م، ص ٧٩. ٨١ - ٨٢، السالمي، تحفة الاعيان، ج ١، ص ٢٢٢، (السيابي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ١١٦.
- (٤٨) الازكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٥. ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٨١ - ٨٢. ابن رزيق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٢٥٨ - ٢٥٩، السالمي، عبدالله بن حميد: التحفة، ج ١، ص ٢٢٧، السيابي، سالم بن حمود، عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ١١٦ - ١١٩.
- (٥٠) ديوان الستالي، ص ٢١٤ - ٢١٥.
- ببمنك رد الله عن اهل دينه
اعاجم جاءت في لفيف من العدى
ارادوا اضطهاد الحق بغيا وحاولوا
وردوا على ادبارهم فقتلوا
- (٥١) مملكة هرمز: أسسها محمد الغفستاني على ساحل كرمان، ثم صارت للفرس حكام كرمان، وملكها محمود المذكور وهو الثاني عشر في سلسلة ملوكها بدأ حكمه سنة ٦٤١هـ / ١٢٤٣ وأما هرمز الحالية فهي جزيرة على مدخل الخليج قرب الساحل الايراني ونسب الاوروبيون المضيف اليها وكان الاجدر ان يسمى بمضيف مستمد.
- (٥٢) ابن مداد: سيرة عبدالله بن مداد، ص ٦٦. الازكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٢، الموالي، محمد بن عامر: قصص واخبار جرت في عمان، مخطوطة، ص ٢١، ابن رزيق: الصحيفة القحطانية، ج ٢، ص ٢٢٨، مابيز: الخليج بلداته وقبائله، ص ١٤.
- (٥٣) ابن مداد: سيرة عبدالله بن مداد، ص ٦٦. ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧٢.
- (٥٤) الازكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٢، الموالي محمد بن عامر: قصص واخبار جرت في عمان، مخطوطة، ص ٢١.
- (٥٥) ابن: يفتح الميم مع تشديد النون، وحدة وزن يساري ٤ كبح، انظر الغساني: حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج ١، ص ٢٦٠.
- (٥٦) ابن رزيق: السيرة القحطانية، ج ٢، ص ٢٢٨.
- (٥٧) باوزير، سعيد عوض: معالم تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٦٨.
- (٥٨) قلهات: ذكر ابن الاثير ان قلهات كانت تحت سلطة مملكة هرمز منذ القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي)، الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢٠٢ - ٢٠٤.
- (٥٩) ابن رزيق: ن.م، ج ٢، ص ٢٣٩. مخطوطة مصورة، ابن رزيق: الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، ص ٧٢ - ٧٣، ابن رزيق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٢٤٨.
- (٦٠) مدينة بهلا: اكثر مدن عمان تحصينا، محاطة بسور عال من جميع الجهات بما في ذلك حاراتها ومزارعها .. وبها حصنها الشهير. وقد اقترنها اليونسكو مؤخرا ضمن التراث العالمي.
- (٦١) ابن مداد: سيرة عبدالله بن مداد، ص ٦٧، الازكوي: تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٢ - ٧٣، الموالي:

الباب الثالث - عُمان في العصور الاسلامية

- قصص واخبار جرت في عمان مخطوط، ص ٣١، ابن رزيق : الصحيفة القحطانية ج ٢، ص ٢٢٨، السالمي : عبدالله بن حميد : تحفة الاعيان، ج ١، ص ٣٠٤ - ٣٠٥، مايلن : الخليج بلدانه وقباطه، ص ١٤٤.
- (٦٢) الشعاع الشائع للعمان في ذكر ائمة عمان، ص ٧١، والفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٢٤٧.
- (٦٣) ابن داد : سيرة عبدالله بن سداد، ص ٦٨، الموالي ابوسليمان محمد بن عامر : قصص واخبار جرت في عمان مخطوطه، ص ٢٢.
- (٦٤) ابن مداد : سيرة عبدالله بن مداد، ص ٦٨، الموالي : قصص واخبار جرت في عمان مخطوطه، ص ٢٢ - ٢٣.
- (٦٥) الستالي، ابوبكر احمد بن سعيد : ديوان الستالي، ص ١٧٣ - ١٧٧.
- (٦٦) ن.م، ص ٢٤١ - ٢٤٤.
- (٦٧) ن.م، ص ٢٤٤ - ٢٤٧.
- (٦٨) الارزوقي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٢.
- (٦٩) حصاد ندوة الدراسات العمانيّة، مع ٨٤ - ٨٥، بحث مقدم من ا.د/ جمال زكريا قاسم بعنوان (الدولة العمانيّة في شرق افريقيا)، ص ١٥٠ - ١٥١، بحث مقدم من الاستاذ د/ رافت غنيمي بعنوان (دور عمان في بناء حضارة شرقي افريقيا)، ن.م، مع ٥، ص ٢٨٢ - ٣٠٥، بحث مقدم من الاستاذ جني، كيركان بعنوان (التاريخ المبكر لعمان الاسلاميّة في شرق افريقيا).
- (٧٠) الارزوقي، سرحان بن سعيد : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٧٦، ابن رزيق : الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، ص ٦٦٠.
- (٧١) الارزوقي : ن.م، ص ٨٣ - ٨٩، السالمي، عبدالله بن حميد : تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان، ج ١، ص ٣٢٧ - ٣٤٢.
- السيابي، سالم بن حمود : عمان عبر التاريخ، ج ٣، ص ١٤٧ - ١٥٦.
- (٧٢) الارزوقي : تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة، ص ٩٢، السالمي : تحفة الاعيان، ج ١، ص ٢٤٧ - ٢٤٨، السيابي : عمان عبر التاريخ، ج ٣، ص ١٦٦ - ١٦٧.
- (٧٣) صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٤٣ - ١٤٤، والجامع الصحيح للربيع بن حبيب، ج ١، ص ٨٥، والجامع الصحيح لـسلم، ج ٣، ص ٦٦.

الفصل السادس

- (١) جي كيركان: التاريخ المبكر لعمان الاسلاميّة في شرق افريقيا، حصاد الندوة العمانيّة (سلطنة عمان ١٩٨٠) مجلد ٤٧ - ٤٨.
- (٢) اغناطيوس كاشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي ترجمة صلاح الدين عثمان القاقره ١٩٦٥، ج ١، ص ١٨٢ - ٥.
- (٣) باذل (دافسن) افريقيا تحت اضاء جديدة، ترجمة احمد جمال (دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع د.ت)، ص ٢١٥.
- (٤) انظر: ابوعبيدة بن عبدالعزيز البكري، المسالك والممالك مخطوطه مصور محفوظه في مكتبة الدراسات العليا في كلية الاداب - جامعة بغداد رقم ١٢٦٠، ابو عبدالله محمد بن محمد الشريف الادريس، نزعة الششاق في اختراق الافاق، نسخة مصورة بالفوستات عن نسخة بروليان - اكسفورد مخطوطه في مكتبة المجمع العلمي العراقي رقم (١٥) - جغرافية) ابو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي، كتاب الجغرافية تحقيق اسماعيل العربي، بيروت، ١٩٧٠.
- (٥) ابو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي مروج الذهب ومعادن الجوهر تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (القاهرة، ١٩٦٤) ج ١، ص ١٠٧ - ٨.
- (٦) ابو عبدالله محمد بن احمد المقدسي، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (لبن ١٩٠٦) ص ٣٥.
- (٧) ابو القاسم محمد بن علي بن حوقل، صورة الارض (بيروت، د.ت) ص ٤٤.
- (٨) عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بابي الفداء تقويم البلدان تحقيق مالك كوكين ديسلان (باريس، ١٨٤٠) ص ٩٩.
- (٩) سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة عمان وتاريخها البحري (١٩٧٩) ص ٩٢.
- (١٠) د. جمال زكريا قاسم، عمان و شرق افريقيا حصاد ندوة الدراسات العمانيّة (١٩٨٦)، ص ٨١.
- (١١) مزيد من التقاصيل حول آل الجلندي ينظر: ج.س. ولكتنس بنو الجلندي في عمان سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة (١٩٨٢).
- (١٢) ولكتنس، المصدر نفسه ص ١٧.
- (١٣) تاريخ عمان : كشف الغمة الجامع لـاخبار الامة تحقيق عبد المجيد حبيب القيسي (عمان ١٩٧٩) ص ٤٣.
- (١٤) المصدر السابق، ص ٢٧٦.
- (١٥) عبدالرحمن زكي الاسلام والمسلمون في شرق افريقيا (القاهرة، ١٩٦٥)، ج ١، ص ٧١ - ٧٧.
- (١٦) شبيب لفسر بن حميد الباقرى اللاصوي ص ٩ ترجمتها من السواحيلية الى الانجليزية ونشرها William Hichens Bantu Studies vol ١٩ خولة شاكر الدجيلي العلاقات العربية الاسلاميّة مع الساحل الافريقي الشرقي رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة بغداد كلية الاداب (١٩٨٠) ص ٧٧.
- (١٧) هناك من يسمى هذا الحاكم باسم اسحاق السواحلي، انظر كيركان المصدر السابق ص ٢٨٢.
- (١٨) انظر 1915 - 1914 Journal of African Society vol x London A. Werner, The History of Patta, Journal of African History vol x no 3 p153 N. Chittrick. A New Look on the History of Patta
- 1969 p.376. انظر ايضا الدجيلي المصدر السابق ص ٧٩.
- (١٩) قاسم المصدر السابق ص ٨٥.

الباب الثالث - عُمان في العصور الإسلامية

- (٢٠) كيركمان المصدر السابق ص ٢٨٢-٤.
- (٢١) د. رافت غنيمي دور عمان في بناء حضارة شرقي افريقية حصاد ندوة. الدراسات العمانية (١٩٨٦) م ٣، ص ١٥١.
- (٢٢) قاسم المصدر السابق ص ٨٢، ٨٥.
- (٢٣) أبو علي أحمد بن عمر بن رسته كتاب الاصلاق النفيسة (اليدن ١٨١٩) ص ٨٦، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان (اليدن) ص ١١.
- (٢٤) انظر عن ذلك المسعودي المصدر السابق ج ١، ص ٣١٨ سليمان التاجر اخبار الصين والهند من كتاب (رحلات العرب) (بيروت ١٩٧٤) ص ٢٢، جورج فاضلو حوراني العرب والملاحة في المحيط الهندي في اوائل العصور الوسطى ترجمة السيد يعقوب بكر (القاهرة ١٩٨٥) ص ٢٢٩-٢٠.
- (٢٥) المسعودي - المصدر السابق - ج ٢، ص ٦.
- (٢٦) أحمد بن ماجد ثلاثة ازهار في معرفة البحار، تحقيق ثيودر شوموفكي، ترجمة محمد منير مرسى (القاهرة ١٩٦٩) ص ٤٤.
- (٢٧) المسعودي المصدر السابق ج ١، ص ١١، البكري المصدر السابق ج ١، ورقة ١٦٧.
- (٢٨) تُلّف منطقة بريرة الساحل الشمالي والشرقي من الصومال وتعرف بساحل بنادر.
- (٢٩) مروج الذهب ج ١، ص ١٠٧.
- (٣٠) المسعودي المصدر نفسه ج ١، ص ١٠٧-٨١ ابن سعيد المصدر السابق ص ٨١، أحمد بن ماجد كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد تحقيق ابراهيم خوري وعزة حسن دمشق ١٩٧١، ص ٢٧٢.
- (٣١) المسعودي المصدر السابق ج ٢، ص ٦، شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي، معجم البلدان (صادر عن دار بيروت ١٩٥٥-٥٩) ج ٢ ص ٤٤٢، زكريا بن محمد القزويني اثار البلاد واخبار العباد (صادر عن دار بيروت، ١٩٦٠) ص ٦٢.
- (٣٢) مروج الذهب ج ٢، ص ٦.
- (٣٣) الجغرافية ص ٨٢.
- (٣٤) ابن سعيد المصدر السابق ص ٨٤.
- (٣٥) ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار تحقيق علي المنتصر الكتاني (بيروت ١٩٧٩) ج ١ ص ٢٧٩-٨٠ انظر ايضا محمد بن ابي طالب الانصار الدمشقي المعروف بشيخ الربوة نخبة الدهر في عجائب البر والبحر (لايزنك ١٩٢٣) ص ٢٦٩.
- (٣٦) ابن ماجد ثلاث ازهار ص ٢٧.
- (٣٧) المصدر نفسه ص ٢٩.
- (٣٨) الادريسي زبدة المشتاق ورقة ٥٢، ابن بطوطة المصدر السابق ج ١، ص ٢٨٢، ابن ماجد ثلاث ازهار في معرفة البحار ص ٣٠ حيث يصف مرسى مياسا بأنه كبير وعميق بصورة كافية لحمل السفن الداخلية اليه.
- (٣٩) ابن ماجد ثلاث ازهار في معرفة البحار ص ٣١.
- (٤٠) ابن ماجد الفوائد ص ٢٢٩.
- (٤١) مروج الذهب ج ١، ص ١٧-٨.
- (٤٢) المسعودي المصدر السابق ج ٢، ص ٩٨.
- (٤٣) د. صباح ابراهيم الشبيخي العلاقات التجارية بين الخليج العربي وشرق افريقيا محطة الوثيقة العدد الثالث عشر، السنة السابعة (يوليو ١٩٨٨) ص ١٧٧.
- (٤٤) S. Trimingham, the Arab Geographer and The East African Coast in East Africa and the Orient, ed. by Chitick and Rotary, New York, 1975, pp. 129 - 130.
- (٤٥) انظر عن ذلك ابن ماجد الفوائد ص ٢٢٩.
- (٤٦) انظر جمال زكريا قاسم استقرار العرب في ساحل شرق افريقيا حوليات كلية الاداب «جامعة عين شمس» المجلد الخامس (١٩٦٧) ص ٢٩٢ وما بعدها.
- (٤٧) المسعودي المصدر السابق ج ١، ص ١٠٨.
- (٤٨) المصدر نفسه ج ٢، ص ٦.
- (٤٩) الادريسي المصدر السابق ورقة ٧.
- (٥٠) نزهة المشتاق ورقة ٦٠.
- (٥١) الجغرافية ص ٨٥.
- (٥٢) نزهة المشتاق، ورقة ٧.
- (٥٣) كوثر عبدالرسول دراسات في الهجرات الحديثة الى افريقيا، حوليات كلية الاداب بجامعة عين شمس المجلد الثالث عشر (١٩٧٢) ص ٢٦٠.
- (٥٤) المسعودي المصدر السابق ج ٢، ص ٦.
- (٥٥) نزهة المشتاق ورقة ٧٠.
- (٥٦) ابن بطوطة المصدر السابق ج ١، ص ٢٨٢.
- (٥٧) Trimingham, *op. cit.* p. 20.
- (٥٨) المسعودي المصدر السابق ج ٢، ص ٦، الادريسي المصدر السابق ورقة ٧٠، ابن ماجد ثلاث ازهار ص ٤٤-٥.
- (٥٩) ابن ماجد المصدر نفسه ص ٢٨، ص ٤٤٢-٥.
- (٦٠) المصدر نفسه ص ٤٢.
- (٦١) مروج الذهب ج ٢، ص ٦.
- (٦٢) المصدر نفسه ج ١، ص ١٥٠.
- (٦٣) ياقوت معجم البلدان ج ٥، ص ١٧٣.

الباب الثالث - عُمان في العصور الاسلامية

- (١٤) نزهة المشتاق ورقة ٥٢٠٣٤.
- (١٥) المسعودي المصدر السابق ج ١، ص ١٦٢.
- (١٦) السيو جيان وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن افريقيا الشرقية نقلها الى اللغة العربية ملخصا يوسف كمال (القاهرة ١٩٢٧) ص ١٠٧.
- (١٧) مروج الذهب، ج ١، ص ٨١٠٧، ج ٢، ص ٩٨.
- (١٨) المسعودي المصدر نفسه ج ١، ص ١٦٢.
- (١٩) ياقوت معجم ج ٥، ص ١٧٢ شيخ الرتبة المصدر السابق ص ١٦٢.
- (٢٠) دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الاسلامي الاول ندوة الدراسات العمانية (١٩٨٦) ج ٢، ص ٥٦٤.
- (٢١) كيركمان المصدر السابق ص ٢٨٦ ياقوتيسن المصدر السابق ص ١١.
- (٢٢) مروج الذهب ج ١، ص ١١٢.
- (٢٣) د. جمال زكريا فاسم الاصول التاريخية للعلاقات العربية/ الافريقية، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات (القاهرة ١٩٧٥) ص ٤٩.
- (٢٤) عمان وتاريخها البحري ص ٩٤.
- (٢٥) انظر ابن ماجد ثلاث ازهار ص ٤٠ - ٥٠.
- (٢٦) ابن ماجد الفوائد ص ٣٢٨.
- (٢٧) المسعودي مروج الذهب ج ١، ص ١٠٧.
- (٢٨) برزك بن شهريار المصدر السابق ص ١١٦.
- (٢٩) مروج الذهب ج ١، ص ١٠٧.
- (٣٠) نزهة المشتاق ورقة ٥٢.
- (٣١) سراج الدين ابن الوردي خريدة العجائب وفريدة الغرائب (القاهرة، ١٣٢٤) ص ٤٩-٥٠.
- (٣٢) عبدالرحمن عبدالكريم العاني دور العمانيين في الملاحة والتجارة الاسلامية سلطنة عمان وزارة التراث القومي والثقافة (١٩٨١) ص ١٥.
- (٣٣) برزك المصدر السابق ص ١٥٠.
- (٣٤) المصدر نفس ص ١٧٢-٤١.
- (٣٥) المصدر نفسه ص ١٧٢-٣، ص ١٢٨-٣٠.
- (٣٦) R.Coupland, *East Africa And Its Invaders* (Oxford, 1938), p. 21.
- (٣٧) ابن بطوطة المصدر السابق ج ٢، ص ٩٩.
- (٣٨) مروج الذهب ج ١، ص ١٦٢.
- (٣٩) ابن ماجد ثلاث ازهار ص ١٠١-٢.
- (٤٠) المسعودي المصدر السابق ج ١، ص ٨١٠٧.
- (٤١) برزك المصدر السابق ص ١٦١.
- (٤٢) ياقوت، معجم ج ٣، ص ٢٢٤.
- (٤٣) ابن بطوطة المصدر السابق ج ١، ص ٢٧٩-٨٠.

الباب الرابع ازدهار الحضارة العُمانية

الفصل الاول : الاباضية

الفصل الثاني : الحركة الثقافية والعلمية في عمان منذ ظهور الاسلام

الفصل الثالث : العمارة والتحصينات العمانية

الفصل الرابع : العواصم السياسية العمانية

الفصل الخامس : الملاحة والملاحون العمانيون

الفصل السادس : الاسطول العماني ودوره في تاريخ عمان

الفصل السابع : صناعة السفن في عمان

البحوث المستخلص منها هذا الباب

- المكتبة العمانية، للاستاذ الدكتور عبد المنعم محمد حسين، جامعة عين شمس.
- عمان في صدر الاسلام، للاستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف، جامعة عين شمس.
- المكتبة العمانية، للشيخ مهنا بن خلفان الخروصي، سلطنة عمان.
- عمارة عمان في العصر الاسلامي، للاستاذ الدكتور غازي رجب محمد، بغداد.
- التحصينات العمانية، للمهندس سعيد محمد الصقلاوي سلطنة عمان.
- العواصم السياسية العمانية، للاستاذ الدكتور احمد شلبي جامعة القاهرة
- البحرية العمانية، للدكتور يوسف نعيمة، جامعة القاهرة
- عمان وتجارها مع الشرق الاقصى وشرق افريقيا في العصر الاسلامي، للدكتورة سحر السيد عبدالعزيز سالم، جامعة الاسكندرية.
- الملاحون العمانيون سادة البحار الجنوبية في العصر الاسلامي للاستاذ الدكتور السيد عبدالعزيز سالم جامعة الاسكندرية
- المدرسة التاريخية العمانية الحديثة، مناهجها واتجاهاتها للدكتور طارق نافع الحمداني، جامعة بغداد

الفصل الأول الإباضية

الإباضية في البصرة:

تعود نشأة الفكر الإباضي بالدرجة الأولى الى العامل الدينى والسياسى الذى تمثل فى مبايعة عبدالله بن وهب الراسبى من طرف بعض الصحابة والتابعين الذين انكروا التحكيم على علي بن ابي طالب وكانت هذه النشأة فى شوال ٣٧هـ / ٦٥٧م^(١).
ولذلك فإن ظهور المذهب الإباضى يرجع الى وقت متقدم للغاية، وكما هو واضح فإن ظهوره يعود الى القرن الاول الهجري فى مدينة البصرة، ولذلك يعد اقدم المذاهب الاسلامية على الاطلاق، وينسب الى عبدالله بن اباض التميمى الذى عاصر زمن معاوية، وتوفى فى آخر حياة عبدالملك بن مروان.

وقد اهتم عبدالله بن اباض بالجوانب السياسية والكلامية والعسكرية والتنظيم والتخطيط لتكوين دولة اسلامية معتمدة على الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين، وفى داره كانت تعقد حلقات كانت تضم تلاميذ جابر بن زيد وانصارهم^(٢).
وقد كانت قبيلة تميم التى ينتمى اليها عبدالله بن اباض من اهم قبائل البصرة فى صدر الاسلام واكثرها عددا، وقد اشترك عبدالله فى الدفاع عن الكعبة مع ابن الزبير ضد جيش يزيد بن معاوية، وبعد رجوعه الى البصرة لم يجار نافع بن الازرق الخارجى فى اراثة المتطرفة والمغالاة^(٣).

ونستدل على ذلك من خلال الرسالة التى بعث بها عبدالله بن اباض الى عبدالملك بن مروان، اذ نجد زعيم الإباضية يتبرأ صراحة من نافع بن الازرق مؤسس «الازارقة».
فيقول فى هذه الرسالة: اما زعيم الخوارج - اى ابن الازرق - فنحن نبرأ منه لغلوه وتشده وافراده فى الاحكام حين حكم على المسلمين المذنبين بالكفر، وهذه الفكرة التى تزعمها نافع بن الازرق تتنافى مع مبادئ الاسلام، حين حكموا على كل مسلم مذهب بكفر الشرك^(٤).

ومع ذلك فإن ابن اباض أثر القعود وعدم اشهار السلاح فى وجه السلطة فى ذلك الوقت واكتفى بتفقيه اتباعه والاتصال بهم فى السر والكتمان وهناك بعض المصادر التى تذكر بأن الإباضية فى تلك الفترة ينسب تكوينها الى ابن اباض وانه هو رئيسها ومؤسسها^(٥).

ويرجع بعض المؤرخين نشأة هذا المذهب الى جابر بن زيد العماني، فقد ولد جابر فى قرية قرق بالقرب من نزوى بعمان بين عامى (١٨-٢٢هـ / ٦٣٩-٦٤٢م) ورحل الى البصرة وهو شاب للاستزادة من العلم واصبح من كبار التابعين الذين نشروا الاسلام فى القرن الاول الهجري، وقد اخذ جابر بن زيد العلم عن عبدالله بن عباس وعن عائشة وابن عمر^(٦)، واخذ يتعمق فى دراسة القرآن والحديث وعلوم الشريعة الاسلامية، وقضى معظم حياته العلمية فى البصرة، وفى النطق الثانى من القرن الاول الهجري الف موسوعته العلمية النفسية التى عرفت «بديوان جابر» ولم يقتصر

نشاطه على الفقه والاستزادة من العلم أو على التأليف والتعليم، بل كان يعمل للرجوع بالدولة الإسلامية الى نهج ابي بكر وعمر وعثمان في سنى خلافته الأولى، وعلى بن ابي طالب قبل التحكيم، وكان يحض تلاميذه على العمل على قيام الامامة العادلة المبنية على الاصول الصحيحة للإسلام.... وحين توفي جابر بن زيد حمل تلميذه ابوعبيدة مسلم بن ابي كريمة التميمي البصري رسالته الدينية والسياسية واخذ في تنظيم الحركة الاباضية التي انتصرت في عمان - موطن جابر بن زيد وقامت الامامة فيها^(٧).

وسواء كان مؤسس المذهب هو جابر بن زيد أو عبدالله بن اباض وان كان جابر هو المؤسس الحقيقي للمذهب، وان ابن اباض كان يتحرك بأمره، فان ابن اباض هذا توفي خلال حكم عبدالملك بن مروان والغالب انه بعد وفاته عدلت الحركة الاباضية عن الحوار والجدل الكلامي مع السلطة، واتخذوا في هذه المرحلة اسلوب التكتم والسرية التامة، ولعب جابر بن زيد نفسه دورا كبيرا في تنظيم اتباعه على هذا الاساس، ورغم تكتم جابر في الدعوة لمذهبه إلا ان الحجاج بن يوسف وجد انه يشكل خطرا بالغا على السلطة الاموية في البصرة، حيث انه وجد ان جابرا يقوم بدور كبير في تأليب الناس على السلطة، خاصة وان جابرا امتلك علاقة قوية بالجماهير في البصرة، فوجد الحجاج ان خير وسيلة لاتقاء خطر جابر هو نفيه الى عمان مسقط رأسه، وعلى ذلك فقد ساعد الحجاج جابرا على تعميق صلته بأهل عمان وبث افكاره ومبادئه بينهم دون ان يدري. خاصة وان الصلة بين البصرة وعمان كانت صلة مستمرة ووثيقة، وبذلك فان البذرة التي غرسها جابر اخذت تنمو وتكبر حتى استطاعت في النهاية ان تلعب دورا رئيسيا في ظهور الامامة الاباضية في عمان^(٨)، وقبل ذلك في اليمن وحضرموت.

ويجدد بنا ان نشر قبل الحديث عن ظهور الاباضية في هذه البلدان الى انه لم يكونوا يتسمون في ذلك الوقت باسم الاباضية، تلك التسمية التي ظهرت في القرن الثالث الهجري ولم يجد الاباضية غضاضة حينذاك في التسمية بها، اذ انها تعود الى علم من اعلامهم، اما قبل ذلك فقد كان يتسمون بأسماء اخرى منها «الجماعة المسلمة» او «المسلمون» او «جماعة المسلمين» او «أهل الدعوة» وكانوا يقبلون تسميتهم باسم «الحكمة» لانهم ابوا تحكيم الرجال في الدين، وقالوا: «لا حكم إلا لله»، كما تسموا «بأهل الاستقامة» وتسموا باسم «الوهيبة» نسبة الى عبدالله بن وهب الراسبي.

كذلك كان الاباضية يسمون باسم «الشراة» من قولهم: «شرينا انفسنا لدين الله، فنحن الشراة» او من الآية القرآنية الكريمة ﴿ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهد من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾^(٩).

الاباضية في اليمن وحضرموت وعمان:

دخلت اليمن وعمان ضمن اطار الدعوة الإسلامية ودولتها الناشئة في المدينة في عهد النبي صلي الله عليه وسلم، وشارك اليمنيون والعُمانيون في حركة الفتوحات الإسلامية التي مدت حدود العربية الإسلامية الى حدود الصين شرقا وإلى حدود فرنسا غربا.

ويدور سؤال هام هنا، وهو لماذا تبنت اليمن وعمان آراء المذهب الاباضي؟ ومتى؟
يعبر ظهور الشراة عن التناقضات الاقتصادية والاجتماعية التي نشأت في صدر الاسلام وثورة ضد تسلط الاستقراطية القرشية مقاليد السلطة السياسية والاقتصادية للمجتمع العربي، وعبروا عن انفسهم بافكار معينة تطورت فيما يعرف بالدعوة الاباضية، وقد ظهرت الدعوة الاباضية اول ما ظهرت في البصرة ثم نشر الاباضية اليمن دعوتهم في الجزيرة العربية ومنها «اليمن وعمان».

ويرجع ان جابر بن زيد الازدي - وهو من اعلام المذهب الاباضي - هو الذي اسس نظام الدعوة وتمكن خليفته ابو عبيدة من تنظيم الدعوة اكثر فاكثر^(١٠)، وقد ذكر العوتبي اسمين من اسماء الدعاة «حملة العلم» الاباضيين اولهما منير بن النير الريامي وهو احد العلماء الاربعة الذين حملوا العلم من البصرة الى عمان^(١١)، وثانيهما محمد بن المعلل الفجعي من عمان، وهو اول من قام في دولة الاباضية بعمان، وهو احد الاربعة الذين حملوا العلم من البصرة الى عمان، ونقلوه اليها، ويقال انه من بني السكون بن اشرس بن كندة^(١٢).

اما اليمن فقد اعلنت امامة الظهور الاولى في الجزيرة العربية على يد «طالب الحق» عبدالله بن يحيى الكندي عام ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م، ورغم انها لم تحقق النجاح المطلوب، إلا انها كانت بمثابة التدريب الضروري لما سيجري في عمان ويكفي في هذا الصدد ذكر مشاركة الجلندي بن مسعود وهلال بن عطية فيها، فبعد فترة قريبة سيتمكن الاول، وهو الجلندي من اعلان امامة الظهور الثانية في الجزيرة العربية وفي عمان بالذات^(١٣).

والحقيقة ان هناك اسبابا عدة وهامة جعلت اليمن وعمان يقفان في الصدارة للتصدي لمهام تغيير اوضاع الظلم والجور... واصبحا مركز الدعوة الاباضية منذ بداية القرن الثاني الهجري، ساعدهما في ذلك بعدهما عن العاصمة الاموية دمشق.

ومن جانب آخر فان مناهج البحث التاريخية الحديثة لا ترى امكان قيام قطر او اقليم ما، بتبنى مذهب او سياسة او اتجاه، دون ان توجد الاسس والمقومات والضرورة لذلك.. فلماذا تبني كل من اليمن وعمان المذهب الاباضي؟... ودفعنا الالف القتلى في سبيل المطالبة بالحق والعدل والمساواة.

والاجابة على هذا السؤال تكمن في ان اليمن وعمان لم يكونا معزولين عن الاحداث الاجتماعية والسياسية وتطورها في دولة الخلافة ايام الدولة الاموية.

ولدينا وثيقتان هامتان تصوران الاوضاع في اليمن وعمان في عهد الدولة الاموية (٤٠-١٢٢ هـ/ ٦٦٠-٧٤٩ م).

والوثيقة الاولى تتمثل فيما اشار اليه الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١ هـ/ ٧١٧-٧١٩ م) في خطاب موجه لواليه على اليمن يقول له فيه:

كتبت الى تذكر انك قدمت اليمن، فوجدت على اهلها ضريبة من الخراج مضرورية ثابتة في اعناقهم كالجزية يؤدونها على كل حال، ان اخصبوا او اجذبوا او حيوا، او ماتوا، فسبحان الله رب العالمين... ثم سبحان الله رب العالمين.. ثم سبحان الله رب العالمين^(١٤).

والوثيقة الثانية تتمثل فيما كتبه البلاذري باسناده عن عمر بن عبدالعزيز ايضا، يقول البلاذري: «حدثني ابو الحسن المداثني عن المبارك ابن فضالة، قال: كتب عمر

بن عبدالعزيز الى عدي بن ارطاة الفزاري عامله على البصرة... اما بعد فاني كنت كتبت الى عمرو بن عبدالله ان يقسم ما وجد بعمان من عشور التمر والحب في فقراء اهلهما ومن سقط اليها من اهل البادية.. فكتب الى انه سأل عاملك قبله عن ذلك الطعام والتمر، فذكر انه قد باعه وحمل اليك ثمنه، فاردت الى عمرو ما كان حمل اليك عاملك على عمان من ثمن التمر والحب ليضعه في المواضع التي امرته بها ويصرفه فيها ان شاء الله والسلام»^(١٥).

وهاتان الوثيقتان تصوران أن اليمن وعمان قد عانتا ما عاناها الناس في دولة الخلافة الاموية حيث احس المواطن فيهما بالفروق الاجتماعية البينة... فالفتات الغنية تزاد غنى بينما الفقراء يزدادون فقرا، فمن اجل ذلك اصبحت اليمن وعمان مسرحا لثورات وحركات اجتماعية تسعى دائما الى الخلاص من ربة الظلم، وتحاول ان تزيل وضعا شاذًا صوره الامام الاباضي - عبدالله بن يحيى الكندي - ضد الخلافة الاموية عام ١٢٩ هـ بقوله: رأيت باليمن جورا ظاهرا وعسفا شديدا وسيرة في الناس قبيحة.. وناشد قومه بأنه لا يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا البصر عليه^(١٦)، وادى هذا الامر الى اعلان امامة الظهور باليمن.

اعلان امامة الظهور الأولى في الجزيرة العربية عام ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م
تزامت شبام عام ١٢٩ هـ/ ٧٤٦ م الاباضية في اليمن، وفي ثورة عارمة ضد الخلافة الاموية استولى الامام عبدالله بن يحيى على حضرموت وطردها منها عامل الامويين، وعزز مركزه فيها ناشرا الامن والاستقرار، مهتما بالطبقة الاجتماعية الفقيرة... وايدته مدن ابين ولحج وصنعاء، وتحرك صوب العاصمة اليمنية صنعاء حيث دارت بينه وبين واليها الاموي معركة شرسة انتهت بهزيمة الوالي الاموي، وفتحت صنعاء زراعيها للامام الاباضي واصبحت مركزا وعاصمة له^(١٧).

ويرى المؤرخ ابن القاسم (يحيى بن الحسين المتوفى ١١٠ هـ/ ٦٨٨ م ان فترة الامام التي استمرت ستة عشر شهرا، اظهرت للعيان مزايا هذه الفترة، وان عبدالله بن يحيى قد سار بالناس سيرة حسنة وظهر العدل^(١٨). كما اظهر لب الجانب فاستطاع بذلك ان يمتلك قلوب اهله اليمنيين واكد انه لا اختلاف بين مذهب الشرا والاباضية ومذهب اهل السنة والجماعة في الجوهر^(١٩).

ولم تكن عمان بعيدة عن هذا الدور الاباضي الاول في جنوب الجزيرة العربية، اذ يشير العوتبي الى العلاقة اليمنية العمانية المتينة التي ادت الى التمكن للمذهب الاباضي في اليمن وعمان قائلا: ومن كندة عبدالله بن يحيى الشاري المسمى بطالب الحق، وهو الذي وجه الى ابي حمزة المختار بن عوف الازدي فسار اليه ابو حمزة من عمان ثم خرج ابو حمزة من عنده بالعساكر الى الحجاز فغلب على مكة والمدينة، وكانت له وقعة بقديد حتى دخل المدينة وملكها وخطب على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته العجيبة المشهورة، وملك عبدالله بن يحيى اليمن كلها.. واخرج عمال بني امية منها^(٢٠).

ويصور ابو حمزة تماسك الاباضية تحت قيادة عبدالله بن يحيى قائلا: سمعنا مناديا ينادي للحق والي طريق مستقيم فاقبلنا من قبائل شتى، نفر منا على بعير واحد، عليه زاهم وانفسهم، يتعاورون لحافا واحدا، قليلون مستضعفون في الارض^(٢١).

وتستشف من خلال الخطب البليغة التي القاها عبدالله بن يحيى الكندي وقائده العسكري ابوحزمة المختار الازدي الذي استولي على مكة والمدينة^(٢٣). تستشف الرغبة الاكيدة في تحمل المسؤولية الكبيرة الملقاة على عاتقهم، حيث يقول عبدالله: ان من رحمة الله ان جعل في كل فترة بقايا من اهل العلم يدعون من ضل الى الهدى ويصبرون على الالم ويقتلون على الحق في سالف الدهر، شهداء^(٢٤).

ويكشف ابو حمزة المختار سياسة الامويين لكونهم اتخذوا عباد الله خولا، ومال الله دولا، وانهم فرقة ظلاله، وبطشهم بطش جبرية يأخذون بالظنة ويقضون بالهوى ويقتلون على الغضب، ويأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير اهلها^(٢٥) وفي عهدهم «زاد الغني غنى وزاد الفقير فقرا»^(٢٥) ويوضح المختار غرضهم من الثورة قائلا: اننا لم نخرج من ديارنا واموالنا اشرا ولا بطرا ولا عبثا ولا لهوا ولا لطلب ملك نريد ان نخوض فيه.. ولكننا لما راينا مصابيح الحق قد عطلت، وعنف القائل بالحق وقتل القائم بالقسط ضاقت علينا الارض بما رحبت^(٢٦).

ويضيف ان ثورتهم ذات طابع سياسي تقف ضد جور وظلم الائمة والملوك... حيث يقول مخاطبا اهل المدينة: يا اهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلا كافرا مشركا عابدا وثن، او كافرا من اهل الكتاب، او اماما جائرا»^(٢٧) موضعا برنامجهم اللاحق قائلا: «لئن ظفرنا لنعطين كل ذي حق حقه»^(٢٨).

ورغم الاهداف السامية والمطالب العادلة والنبيلة للثوار، فان ثورتهم قد سقطت تحت سناك خيل السلطة الاموي، واجهت الارض اليمنية تبعاً لذلك اشرس هجمة عسكرية مضادة في تاريخ القمع الاموي.

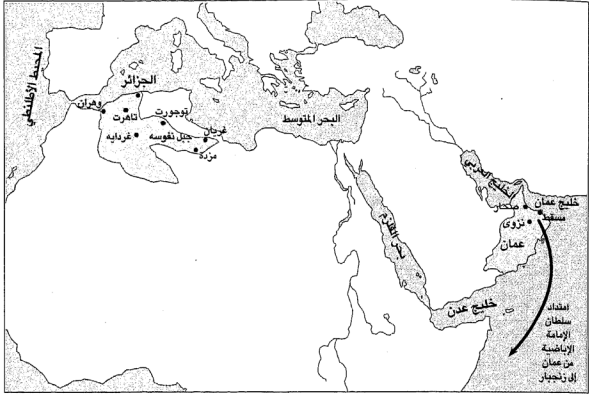
حيث هزمت طلائع الاباضية في وادي القرى، ولجأ من تبقى منهم الى المدينة ومنها الى مكة... وعندما تحركت قوات عبدالله بن يحيى من صنعاء لدعم المدافعين عن مكة كانت معركة مكة قد انتهت بهزيمة الاباضية وقتل قائدهم الفذ المختار^(٢٩)... وعسكر عبدالله بن يحيى بقواته في منطقة وسط بين تبالة وبيشة وجرش، حيث دارت معركة شرسة بينه وبين القوات الاموية، انزاع عبدالله على اثرها الى مدينة جرش حيث قاتل ببسالة حتى آخر رجل في قواته وسقط شهيدا ليتوغل القائد الاموي ابن عطية السعدي بعد ذلك جنوبا^(٣٠).

وقاومت الاراضى اليمنية الجيش الاموي في صنعاء والجند والمعافر ولحج وابين ورغم وصول الجيش حتى حضرموت، إلا ان المقاومة وصمود شبام بموقعها الحربي الممتاز، جعل من الصعب على القوات الاموية اقتحامها.. ولهذا طلب القائد الاموي الصلح مع الامام الاباضى الجديد عبدالله بن سعيد، وهو الذى خلف عبدالله بن يحيى بعد مقتله عام ١٣٠هـ / ٧٤٧م^(٣١).

ولعل الاخطاء التكتيكية التي ارتكبها عبدالله بن يحيى الكندي سهلت للجيش الاموي الانتصار في معارك متفرقة، وكان الاخرى بعيد الله ان يقوم بسحب قواته من وادي القرى والمدينة ومكة الى منطقة يستطيع ان يوافيها في ساعة الضرورة.

بل ان سحب قواته بقيادة المختار من مكة، بعد هزيمة وادي القرى - الى بيشه او جرش، كان سيوحد المقاومة ضد الامويين مما سيكون له انعكاس على سير المعركة اللاحقة ونتائجها.

واعتقد ابن عطية السعدي - قائد الجيش الاموي - ان جرائمه ستقمر دون



الإمامة الإباضية في
عمان وشمال أفريقيا

حساب، وعندما جئى عند اقدام أسريه اليمنيين في الجوف (٢٢)، طامعا في الحياة طالبا ان يظل اسيرا لديهم، ذكروه بجرائمه قائلين: او تطمع في الحياة وقد قتلت طالب الحق وابا حمزة وبلجا وابرهة ولم يلبثوا ان قتلوه وبعثوا برأسه الى حضرموت وعلقت رأسه في شبام (٢٣)، لتتذكر مجد انتصاراتها ولتعلن انها قادرة على ان تكون محور الدعوة الاسلامية الاباضية القادرة على البقاء والصمود، رغم بطش الباطشين وجبروت الجبابرة.

ومهما تكن النتائج فان الثورة الاباضية عام (١٢٩-١٣٠هـ/٧٤٦-٧٤٧م) قد استطاعت ان تدق المسمار قبل الاخير في نعش الخلافة الاموية، مما ادى الى سقوطها بعد ذلك بعامين.

واذا كانت الدعوة الاباضية قد نجحت وكما رأينا في كل من عمان واليمن، حتى قامت في كل منها دولة اباضية، تمكن بنو امية من القضاء عليها الى حين، فان هذه الدعوة حققت ايضا نجاحا كبيرا في شمال افريقيا وتوجت بقيام دولة كبيرة هي الدولة الرسمية في عام ١٦٠هـ/٧٧٦م، اقامت علاقة قوية مع عمان، فياترى ما هي العوامل التي ادت الى انتشار المذهب الاباضى في شمال افريقيا؟ وما هي قصة هذه العلاقة التي اقامتها الدولة الرسمية مع عمان؟

الاباضية في شمال افريقيا وعلاقتهم بعمان:

أ- العوامل التي ادت الى انتشار المذهب الاباضى في المغرب العربي:
اشرت دعوة الاباضية تأثيرا كبيرا في البربر وذلك لتعلقهم بالعدل والمساواة وحبهم للحرية.

فقد كانت الظروف في بلاد المغرب مهيأة لتقبل المذهب الإباضي، إذ كانت بلاد المغرب، كغيرها من البلاد الإسلامية، تعاني من الفتن السياسية الناجمة عن الخصومات القبلية بين القيسية واليمينية، فعرب الفتح الذين استقروا في المغرب كانوا من اليمينية وهم الذين أزرأوا موسى بن نصير خلال ولايته التي استمرت حتى عام ٩٦هـ/ ٧١٤م... وعندما عزل الخليفة سليمان بن عبد الله الملك (٣٤)، موسى بن نصير، ولي يزيد بن محمد القرشي وكان قيسيا، فقام هذا الوالي - وبتحريض من الخليفة - بتصفية آل موسى، حيث تتبّعهم وبطش بهم وأستولى على أموالهم، وأودع عبد الله بن موسى السجن وفرض عليه ما لا يطيق من المغارم وعذبه حتى مات (٣٥).

ثم عاد نفوذ اليمينية في ولاية يزيد بن أبي مسلم (١٠١-١٢٥هـ/ ٧١٩-٧٢١م)، فسجن يزيد بن محمد وعذبه، انتقاما لما لقيته اليمينية علي يديه من عسف واضطهاد، وبعد موت يزيد بن أبي مسلم تولى بشر بن صفوان (٣٧)، وكان من غلاة اليمينية، فاستمر في اضطهاد القيسية وقام قبل موته بتعيين نقاش بن قرط الكلبي المغربي، أمعانا في اذلال القيسية.

وحين ولي الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٣-٧٤٢م) عبيدة بن الرحمن القيسي ولاية المغرب قام بتتبع عمال موسى بن نصير حتى استأصل شأقتهم واستمرت المحنة في عهد عبيد الله بن الحبحاب الذي تقلد ولاية المغرب سنة ١١٦هـ/ ٧٢٤م.

وبالإضافة إلى انشغال الولاة بالخصومات القبلية فقد تنافسوا على جمع الأموال ارضاء للخلافة من جهة، وكسبا للانصار واشباعا لثمتهم من جهة أخرى، فأرسلوا الحملات إلى أطراف المغرب بهدف السلب والنهب، وكان البربر يشكلون غالبية تلك الجيوش.

وقد عانى البربر من سوء معاملة عمال الأمويين لهم، وأرهاقهم بالمغارم والجبايات إلى درجة أن اعتبر بعضهم بلاد المغرب دار حرب، حتى بعد اعتناقهم الإسلام جريا على سياسة الخلافة الأموية في سائر الأمصار الإسلامية (٣٧) ولما تولى عمر بن العزيز الخلافة (٩٩-١٠١هـ/ ٧١٧-٧١٩م) ولي المغرب اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم (٣٨)، في محاولة منه لوضع حد لتسلط الولاة، واستعادة ثقة البربر في الخلافة الإسلامية.

أمر الخليفة عمر اسماعيل بن عبيد الله بإسقاط الجزية عن من أسلم من البربر وتحرير من أسرق من نسائهم، كما أمره بإقرار القرى في يد غناتها، بعد أخذ الخمس لتؤول الأرض إلى أصحابها فيجنون ثمارها، ويدفعون عنها خراجها المعلوم، كما حرص الخليفة على أن يجمع اسماعيل بن عبيد الله بين أعباء الإدارة والحرب، إلى جانب جمع الخراج والصدقات ليحول دون جور الجباة واستبدادهم، لكن هذه السياسة انتهت بوفاته (٣٩).

فعندما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة (٤٠)، ولي يزيد بن أبي مسلم سنة (١٠٢هـ/ ٧٢٠م) فاستبد بالبربر، وقضى على الإصلاحات التي أنجزها سلفه، فأعاد فرض الجزية على من أسلم من الموالي ليتسنى للخلافة الحصول على مزيد من الأموال والتوصل من دفع مزيد من الاعطيات للجند المسلمين من الموالي، واشتط في معاملة البربر، لدرجة أنه كان يشم «بكسر الشين» حرسه من البربر على أيديهم، فكان

يشم الرجل في يده اليمنى باسمه، وفي اليسرى بكلمة حرسى^(٤١)، وجرى عبيدة بن عبد الرحمن على سياسة العنف هذه.

وتفاقت الأحوال وازدادت سوءاً خلال ولاية عبيد الله بن الحبحاب^(٤٢) الذى اسرف في سياسته فجند الجيوش لسلط البربر وسيبهم في اقاصى المغرب، ونشر الهلع والرعب في تلك المناطق وعين ابنه اسماعيل على طنجة، وجعل معه عمر بن عبدالله المرادى فاساء السيرة، واعتبر عمر البربر فيثاً - اسلموا ام لم يسلموا - وعاملهم معاملة الرقيق.

وهكذا تسبب الولاة الامويون في المغرب في اثاره مشاعر الحقد والكراهية عند البربر على الولاة والخلفاء على السواء مما اوجد مناخاً ملائماً لانتشار المذهب الاباضى^(٤٣)، ولذلك سار الاباضيون في اتجاهين يكمل احدهما الآخر:

الاتجاه الاول: علمى سياسى يهدف الى توضيح ميادئهم، وتمثل ذلك في تبادل الرسائل بين ابن اباض والمخالفين لاراء الاباضية، يبين فيها موقف الاباضية من المخالفين لهم وفلسفتهم وفكرهم السياسى.

وبعد ابن اباض يظهر هذا الاتجاه في مدرسة البصرة الاباضية، برغمائها الذين عكفوا على تعليم المذهب لاهل جماعاتهم، والتأليف فيه.

امما الاتجاه الثانى فهو الاتجاه العملي، الذى تمثل في الخروج على الامويين ومحاولة ايجاد سلطان فعلى لهم يعلنون به مذهبهم، ويحملون المجتمع على العمل بمبادئه وكان هذا الاتجاه تحت رعاية الاتجاه الاول^(٤٤).

وفعلاً فقد استطاع اباضية شمال افريقيا ان يقيموا لانفهم مجتمعات اباضية تحولت الى دول اباضية، كان من اشهرها الدولة الرستمية، تلك الدولة التى ظهرت في تاهرت عام ١٦٠ هـ/ ٧٧٦ م، وضمت معظم بلدان المغربين الأدنى والأوسط، وكان من الطبيعى ان تقوم علاقة بين اباضية شمال افريقيا وبين عمان قبل ان تقوم دولتهم في تاهرت، ثم تشدد هذه العلاقة وتتوطد اركانها اثناء عصر هذه الدولة التى استمر وجودها مائة وستة وثلاثين عاماً هجرية، ورغم زوال هذه الدولة الاباضية في عام ٢٩٦ هـ/ ٩٠٨ م إلا ان علاقة عمان باباضية شمال افريقيا لم تنقطع، وظلت لها مظاهرها وآثارها، فيا ترى ما هى قصة هذه العلاقة؟

العلاقة بين عمان واباضية شمال افريقيا:

نشأة هذه العلاقة^(٤٥):

انطلق نور الهداية من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هى إلا سنوات قلائل حتى برق هذا النور في اطراف العالم آنذاك من الخليج وما بعد الخليج الى المحيط، وما فوق المحيط، انها معجزة رسالة الاسلام.

وما هى إلا عقود ثلاثة حتى بدت بوادر الافتراق في صفوف الامة الواحدة وفي هذا الخضم المتلاطم انبثقت جماعة تعرف نفسها بجماعة المسلمين او اهل الاستقامة او اهل الدعوة وما فتى معاصروها حتى نسبوها الى احد ائمتها المدافعين عنها وهو عبدالله بن اباض المتوفى قبل (٨٦ هـ/ ٧٠٥ م)^(٤٦) وقالوا انها الفرقة الاباضية.

وتتفق المصادر الاباضية على ان الاسام عبدالله بن اباض انما كان يصدر رأيه عن أسس الجماعة ودعامتها وهو الامام جابر بن زيد الأزدي العماني (٩٣ هـ/ ٧١١ م)^(٤٧).

ومع أن الامام جابر بن زيد عماني المنشأ إلا أن المصادر تذكر أنه اختار البصرة مستقراً، وبها أرسى أسس دعوته، لذلك إذا قلنا بالبصرة في هذه المرحلة المبكرة بما فيها من أحياء الأزدية والتمييزين فكاننا نقول بعمان، لأن كل علماء عمان إنما كانوا بين عمان والبصرة والحرمين... وكذا أهل المغرب، وإنما كانت صلتهم بالحرمين الشريفين وبالبصرة، إلى أن يأفل نجم البصرة لتقوم مقامها عمان وغيرهما من مراكز الاباضية كحضر موت وخراسان في المشرق.

والقضية التي نثيرها في هذا الصدد، تتمثل في التساؤل عن امكانية اتصال بعض أهل المغرب بالامام جابر بن زيد، هذا الداعية الذي لم يسعفا الزمن بنسخة من مراسلاته مع دعائه إلا في إحدى خزائن مكتبات شمال افريقيا ألا وهي المكتبة البارونية بجزيرة جربة (٤٨).

ولسوء الحظ لايسعف تحليل هذه الرسائل القليلة الباقية من رسائل هذا الامام (٤٩) بأدنى إشارة من هذا القبيل، وكذا ما بين أيدينا من بقية المصادر الاباضية وغير الاباضية التي ترجمت للامام جابر بن زيد.

وهذا يرجع بدون شك إلى المرحلة السرية الدقيقة التي كانت تجتازها نشأة الحركة الاباضية التي كانت محاصرة من الدولة الاموية وعمالها، كزياد بن أبيه وابنه والحجاج محاصرة شديدة.

ولا نستبعد أن تكون هناك اتصالات بين الامام جابر وبين أهل المغرب عسى أن يوجد الزمن ببعض مما تلاشى من النصوص مما قد يزيد توضيح ما اكتنف هذه المرحلة من سرية وكتمان.

وافترضنا هذا يستند إلى ما شهدته العلاقة من قفزة قوية في المرحلة الاولى من تولي الامام الثاني أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة مسؤولية الدعوة بالبصرة، اثر خروجه من سجن الحجاج بعد موت الحجاج (٩٥هـ / ٧١٤م) ومثل هذه القفزة يصعب أن تكون بدون تهديد سابق.

ومعلوم أن كل الفرق الاسلامية تنفست نسيم الحرية زمن خلافة خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبدالعزيز (٩٩-١٠١هـ / ٧١٩-٧٢٠م) وسارع الاباضية بإرسال وفدهم إليه وكان هذا الوفد يتكون من الرعيل الاول الذي عاصر الامام جابر بن زيد، وهم جعفر بن السماك وأبو الحر علي بن الحصين العنبري والחסات بن الكاتب، والحباب بن كليب، وأبو سفيان قنبر البصري وسالم بن زكوان^(٥٠).

وفي هذا الظرف تنوه المصادر الاباضية برحلة أول مغربي إلى مركز الدعوة بالبصرة، وإنه له أن يعرف أخبار الدعوة لولا وصول أخبارها إليه من قبل، خاصة وأن مصر هي الأخرى نالت نصيبها من ثر الدعوة الاباضية، وأول من يذكره الشماخي من مشايخ مصر ابن اليسع من أهل مصر وأبا إسحاق إبراهيم المصري وعيسى بن علقمة المصري^(٥١).

وهذا المنوه برحلته هو ابن مغطير النقوس الجنائني ويقول صاحب السير في شأنه أنه كان شيخاً فاضلاً فقيهاً مفتياً، كان ممن أخذ عن أبي عبيدة مسلم، ثم قدم بعده الخمسة المذكورون فانتقل عن الفتيا^(٥٢).

واضح أن رحلة ابن مغطير كانت سابقة لرحلة سلمة بن سعد الذي تعتبره المصادر الاباضية أول من جاء يدعو إلى الاباضية بالمغرب، والراجع أن هذه الرحلة

كانت على رأس القرن الاول لهجرة الرسول ﷺ.

ويصعب ان نحدد تاريخا مضبوطا لهذه الرحلة، وهي لا شك كانت بعد سنة ٧١٤م/ ٩٥هـ وهي سنة خروج الامام ابي عبيدة من السجن لان المصادر لاتذكر انه ادرك الامام جابر بن زيد.

وواضح من خلال ما يرويه الشماخي عن تورع ابن مغطير عن الفتوى بعد وصول طلبة العلم، على اساس انه اخذ عن ابي عبيدة قبل ان يحرر المسائل بينما اخذوا عنه بعد ان استقرت عديد من اجتهاداته (٥٣)، ان الرحلة كانت من وقت مبكر، اي حال تولى الامام ابي عبيدة مسؤولية الدعوة.

ومن سراديب البصرة وبتأييد من الازديين العمانيين، يستقر الامر مع ابي عبيدة على السعي الى تركيز الدعاة في اطراف دولة الخلافة الاموية، كبلاد اليمن وعمان وبلاد المغرب، خاصة وان دولة بني امية بدأت تسير في طريق الانهيار.

وفعلا ينطلق سلمة بن سعد بحماس الداعية المؤمن بقضيته ونشر لواء العدالة حيثما مر، ولا شك انه تعاون مع ابن مغطير لنشر اساس الدعوة في جبل نفوسة، وواصل مسيرة ليحط الرحال بمدينة القيروان قسبة افريقية وهناك يعمل على تكوين بعتة علمية منظمة تنهل العلم من منابعه ويلبى الدعوة اربعة: عبدالرحمن بن رستم «فارسي الاصل» ساقته الاقدار الى القيروان مع زوج امه وعاصم السدراتي من سدراته غربي اوراس وابو داود القبلي النفزاوي من نفزاوة جنوب افريقية، وابو درار اسماعيل ابن درار الغدامسي من غدامس جنوب طرابلس وانضم الى هؤلاء في البصرة ابو الخطاب عبدالاعلى المعافري وهو عربي من اليمن هؤلاء هم حملة العلم الى المغرب كما تجمع على ذلك المصادر الاباضية.

وفعلا لقد كان لامنية سلمة بن سعد بن علي بن اسد الحضرمي اليمني: بأن تظهر الدعوة الاباضية بالمغرب ولو يوما واحدا من غدوه الى الزوال وانه لا يبالي ان ضربت عنقه بعد ذلك (٥٤)، اثرها الفعال في اوساط البربر ووجدت اذانا صاغية من اطراف متباعدة، يدل على ذلك تركيبة جماعة حملة العلم، اذ ضمت طالبا من المغرب الاوسط، وثانيا من المغرب الادنى، وثالثا من البلاد الليبية، مع ابن رستم وهو فارسي الاصل قيرواني المنشأ.

وقبل ان يصل حملة العلم هؤلاء الى تنفيذ خطة امامهم، بدت بوادر تأثير مدرسة ابي عبيدة في قيام عبدالله بن مسعود التجيبي زعيم الاباضية ورئيسهم في طرابلس، بالثورة على الياس بن حبيب والي طرابلس من قبل اخيه عبدالرحمن بن حبيب والي القيروان، وتمكن الياس من قتل التجيبي سنة ١٢٧هـ/ ٧٤٥م.

ولم يخمد هؤلاء الاباضية فما لبثوا ان قدموا عليهم الحارث بن تليد الحضرمي ١٣١هـ/ ٧٤٩م مع قاضيه عبدالجبار بن قيس المرادي وكانا قد وقدا الى بلاد المغرب من اليمن بعد ان قضى على ثورة طالب الحق سنة ١٣٠هـ/ ٧٤٨م، ولكن سرعان ما احس عبدالرحمن بن حبيب بما تمثله هذه الامامة من خطر على ملكه، فلجأ الى الحيلة عندما لم يفلح في استعمال القوة، وتمثلت هذه الحيلة في دس من يقتل الرجلين على ان يضع سيف هذا في جثة الآخر وذلك في سنة ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، وفعلا قد اثارت هذه الحيلة فتنة في صفوف الشراة بين من يرى التبرؤ من الرجلين ومن يرى التوفيق فيهما، ومن يرى توليها.

ولما اشتد الخلاف بين اهل طرابلس، رأوا أن يستشيروا امام دعوتهم بالشرق، وان كنا لم نثر على نص الرسالة المرسلة في هذا الشأن ولا على اسم من حمل القضية الى الامام ابي عبيدة، إلا ان القدر اسعفنا برسالة الرد الواردة من البصرة^(٥٥) وهى رسالة جاءت طافحة بعبارات المودة والاخاء بين الطرفين، ذلك ان اهل المغرب عندما احتاروا في امرهم لم يترددوا في ارسال وفد من قبلهم الى امامهم، لانه قطب الرchy والمرجع الذى لايرفض الجميع له قولاً^(٥٦)، كما انالامام ابو عبيدة لم يتخلف عن توجيه النصيحة وتحليل القضية من جميع وجوها، بما يقره المذهب من وجوه السولية والبراء والوقوف، مع التعبير الصادق عن تالم جماعة المشرق لالام اهل المغرب، وفرحهم لفرحهم ونجاحهم^(٥٧).

كما ان رسالة ابي عبيدة لاهل المغرب ما فتئت تذكر بأن عوامل النصر لنشر الدعوة في بلاد المغرب، انما تتمثل في نبذ كل ما من شأنه ان يفرق، والتمسك بكل ما يقرب بين افراد الجماعة، ولذا اثبت الامام ان الراى الصواب في القضية يتمثل في الدعوة الى السكوت في الظاهر، مع عذر من يريد ان يتبرأ في السر، لما ثبت له من البينة، واعتبار ان الانحراف عن هذا الموقف ضرب من الغلو والزيع عن سبيل المسلمين: (وهو الذى نريد منكم ونطلبه اليكم بأن تكونوا من الرجلين على علم، ولا يظهر احد منكم على احد براءة، ولكن في ما بينه وبين الله، فارجعوا الى ما كنتم عليه، ودعوا ذكرهما، فان في ستركما لما في انفسكما بلاغا ومتاعة لكم، واحذروا الغلو والزيع عن سبيل المسلمين، وان يقول القائل منكم، اذا كنت عند الله محققا، لم ابال، فان الله لايرضى ان يخالف حكمه، لان الله نهاكم من ان تعرضوا انفسكم للبراءة، فبالله توفيقنا واياكم عصمنا الله واياكم بالتقوى^(٥٨)).

وفعلا تصل الرسالة الى اهل المغرب، ويسدل الستار على هذه القضية، ومعنى ذلك انها فعلت فعلها، والفث بين القلوب، وتعود الجماعة الى رابطتها لتنتخب اماما آخر وهو اسماعيل بن زياد النفوسى سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م ولكن في نفس السنة تستطيع قوات عبدالرحمن بن حبيب ان تنتقم من الاباضية شر انتقام، ويقتل الامام، وتعود الجماعة الى الكتمان من جديد.

وفي هذه الاثناء تقوم امامة الجلندى بن مسعود بن جيفر في عمان سنة ١٣٢-١٣٤هـ / ٧٥٠-٧٥٢م باذن من الامام ابي عبيدة، وهناك مراسلة جرت بينهما تؤكد ذلك^(٥٩)، ولكن لا تسعفنا المصادر بصدى هذه الامامة في المغرب، والذى لانشك فيه انها كانت دافعا قويا للتفكير في امامة اخرى، خاصة وان حملة العلم في الفترة اللاحقة بالضبط كانوا في جنبات مدينة البصرة، وان صحت الروايات فان اقامتهم كانت هنالك بين سنة ١٣٥هـ / ٧٦٣م و ١٤٠هـ / ٧٥٨م.

وفعلا ينجح التخطيط الاباضى في تنسيقه بين المشرق والمغرب، فان اقل نجم الامامة في عمان وغطت دولة الجبابرة هناك، فان بامكان المغرب في هذه المرحلة الحرجة من سقوط الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية ان يعلن امامة الظهور. ويامر من الامام ابي عبيدة قامت امامة ابي الخطاب عبدالاعلى المعافرى سنة ١٤٠-١٤٤هـ / ٧٥٨ / ٧٦٢م في طرابلس، واستطاعت ان تنشر لواء العدل وان تنصر المظلومين وكان للحدث صداه، وكانت فرحة الاباضية بالشرق عارمة اذ كان الامل عريضا في تحقيق امامة المسلمين قاطبة انطلاقا من المغرب.

ولا شك ان الرسل كانت تتوالى، وكذلك الرسائل بين مركز الدعوة ومركز الامامة بطرابلس وبين مختلف مراكز الاباضية في عمان، وفي اليمن، وخراسان، ولكن انى لمثل هذه الوثائق ان تقدر على مصارعة الزمن، خاصة وان عمر امامة ابي الخطاب كان قصيرا، فما قيمة اربع سنوات تنتهى بهجمة شرسة من العباسيين لم تنق من جيل نفوسه واهله إلا ما تقدر اليه سبيلا، وكان هذا الجيل المعقل الرئيسى للاباضية في ليبيا. ومع ذلك احتفظ لنا القدر بنص الرسالة في الزكاة وجهها الامام ابو عبيدة الى اهل المغرب اجابة على رسالة وصلته من الشيخ اسماعيل بن سليمان المغربي ولعله احد عمال الامام ابي الخطاب.

واكتفى بنقل الفقرات الاولى من هذه الرسالة لانها جاءت معبرة تعبيرا صريحا عن اواصر المودة بين الامام في البصرة وبين اهل المغرب.

اتانا كتابكم تذكرون فيه عظيم ما من الله عليكم من جمع كلمتكم واتتلاف امركم، في كثرة من بحضرتكم من اهل الخلاف لكم، ولعمري ما كثرتهم وان كثروا باكثر ممن كان قبلهم على من كان قبلكم من سلفكم، فاقصدوا بهم تهن عليكم كثرتهم على خلافكم نسأل الله العون والتوفيق لكم في جميع اموركهم، وان يكفينا وايّاكم بأسهم، وان يجعل لنا ولكم ولجميع المسلمين الدائرة عليهم، ويشفى صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم.

فلعمري لقد سرني ما انتهيتم اليه من امركم وان كان ذلك لم يخف عنا، غير اننا لم نظن الذي كتبتم به الينا والله سيتم لكم الخير كله بعونه وتوفيقه.

اتانا كتابكم بمسائل فمناها ما رأيت ان اجيبكم ومنها ما رأيت ان اجيبكم فيها من غير هوان ولا تقصير إلا الذي رأيت اصلح لجماعتكم واقوم لشأنكم واعطف لقلوبكم، واجمع لاموركم، وما توفيقى إلا بالله، وفقنا الله وايّاكم لما يحبه ويرضاه (١٠).

ولا يحتاج النص الى كبير تعليق على تضمنه من التعبير عن المحبة الصادقة، والاعجاب بما وصل اليه اهل المغرب من نصر مبین، هو اوسع بكثير مما كان يتصور الامام نفسه، ولذلك انتخب من الاسئلة ما هو اقرب للتألف، واهل البقية لانه رأى فيها ما يثير اشجانا، لعلها تفرق بدل ان تقرب.

استمرار العلاقة بين عمان واباضية شمال افريقيا عبر القرون:

القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي:

بعد موت ابي عبيدة مسلم قام الربيع بن حبيب (٧٥-١٧٥هـ/ ٦٩٥-٧٩٢م) مقامه في البصرة وتستمر الاحوال على ما هي عليه من سيطرة الجابرية في عمان وتقوم في المغرب امامة دفاع سنة ١٤٥هـ/ ٧٦٣م ينتخب لها ابو حاتم المزوزي، وتستمر المعارك ضارية بينه وبين العباسيين الى ان قتل سنة ١٥٥هـ/ ٧٧٢م وقتل مؤازرة له من حملة العلم عاصم السدراتي.

وتسكت المصادر سكوتا تاما عن العلاقات بين المشرق والمغرب، ذلك ان الكل يقاسى نفس الالام من اجل اقامة العدل، والاطاحة بدولة العباسيين التى ابت إلا ان تبقى لها السيادة على اطراف دولة الخلافة التى استأصلت منها بنى امية.

وليس معنى هذا السكوت ان العلاقة قد انقطعت بين الطرفين وانما هو التاريخ الذى يعرف من الثغرات الكثير، خاصة بالنسبة الى الحركات الثورية التى كانت

تستأصل نصوصها كلما تغلب عليها اعداؤها.

وما ان حلت سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٧م حتى بدأ عهد جديد في بلاد المغرب الاوسط على يدي عبدالرحمن بن رستم الذي مكنه الامام ابو عبيدة عند عودته مع حملة العلم من ان يفتي بما سمع منه وبما لم يسمع، بينما امر ابا الخطاب ان يفتي بما سمعه منه فحسب، ودعا ابا درار بالألا يفتي تماما لا بما سمع من الامام ولا بما لم يسمع (٦١). وما ان استقامت هذه الامامة حتى طرب لذلك المشاركة اى طرب، وجاء التأييد المادي والمعنوي، ومن رواه الايدي العمانية التي حرمت من ذلك في عمان، فجاء مددها من قبل الربيع العماني، وتتفق المصادر على وصول مدد مادي، قرر اصحابه ألا يوصلوه إلا اذ ثبت لديهم حسن سيرة عبدالرحمن فلما وجدوه على سطح بيته يصلح ما به من ضرر، علموا انه على مسلك الخلفاء الراشدين والائمة الصالحين، قوافوه بما جاؤوا به من مال فقوى به امر الدولة (٦٢)، ثم افاه اهل المشرق بقدر آخر من المال فلم يكن منه إلا ان رده اليهم قائلا: ارجعوا بمالكم فان اربابه احوج اليه منا لانا في ارض قد استولى عليها العدل، وهم في بلد غلب عليهم الجور، يدارون به علي انفسهم ومالهم ودينهم (٦٣).

وقد زاد هذا الموقف اهل المشرق اعجابا بالامام عبدالرحمن فتعجبوا من زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة واعترف كل اباضي بامامته ووصلوه بكتبهم ووصاياهم (٦٤). ويكفي نص الشماخي في تبيان الصلة الايمانية بين المشرق والمغرب، حيث اعترف كل اباضي بامامته ولاشك ان صدق هذا الحدث دوي في عمان، وبين كبار شيوخوا الذين كانوا ائمة الدعوة بالبحرة، فكان له الاثر الطيب خاصة وان الاوضاع كانت ما تزال متردية هناك.

وقد ذاع صيت عبدالرحمن في المشرق الى حد ان قائلا من العلماء المشاركة قال: لا اعلم بمن يخرج دماء اهل القبلة في زماننا هذا إلا عبدالرحمن بن رستم بالمغرب، واما يزيد الخوارزمي، ويعلق الشماخي على الخبر قائلا: يعنى والله اعلم انك لا تتقدم على سفك الدماء إلا بفتيا احد الرجلين من غزارة علمهما، وورعهما، وتحفظهما (٦٥). ثم يموت الامام عبدالرحمن بن رستم سنة ١٧١ هـ / ٧٨٨م ليتقم مجلس الشورى على انتخاب ابنه عبدالوهاب اماما لتوفر شروط الامامة فيه، وهنا تقوم فتنة النكار الذين انكروا امامة هذا الامام معتمدين على شبهتين وتتمثل الاولى في ان الامام لا حق له ان يقطع امرا دون مشورة المسلمين، وتتمثل الثانية في انه لا تجوز امامة رجل اذا كان في المسلمين من هو اعلم منه (٦٦).

وهنا ياتي اللجوء الى اهل المشرق لطلامثنان برايهم والعمل بنصيحته فواصلح جماعة المسلمين ومن لا يريد الافتراق وشق العصا مع ابن فندين (٦٧) ان يكتبوا الى اخوانهم وعلمائهم بالمشرق فيعملون بموجب ما يرونه ويجيبونهم به (٦٨). وفعلا بلغ الرسل الى مكة المكرمة، وطرحوا القضية على الامام الربيع بن حبيب ومن كان معه، فما كان منهم إلا ان اثبتوا بالدليل ان الامامة تامة والشرط باطل، وقد عابوا على الامام اشياء اثبتت لهم انه لم يفعلها (٦٩).

وليس لنا ان نحلل ما حدث بعد ذلك من فتنة النكار، ورغبة شعيب بن المعروف في معاضدة هؤلاء بعد ان افتى هو نفسه الامام عبدالوهاب بجوان امامة الامام مع وجود من هو اعلم منه، وبأن الامامة تامة والشرط باطل مما ادى الى ان اعلن الربيع البراءة منه (٧٠).

وتستمر العلاقة وطيدة زمن الامام عبدالوهاب مع مركز الدعوة بالشرق، ولما بدا لهذا الامام، وهو بجبل نفوسة، ان يؤدي فريضة الحج اعترض عليه علماءها، فلما راوا الحاجة في الطلب اشاروا عليه بأن يستشير اهل المشرق، فارسل رجلا نفوسيا من اهل تمزدا (٧١) الى الربيع بن حبيب، والي ابن عباد المصري (٧٢)، وكان مرجع امور المسلمين، فاجابه الربيع من كان مثلك في العناء بامور المسلمين وحمل امانتهم وخاف على نفسه من المسودة ان يبعث بحجة وهو حى واجابه ابن عباد ان من كان على هذه الصفة فلا حج عليه لان من شرط الحج امان الطريق (٧٣).

وفعل لم يكن من الامام على سعة علمه إلا ان عزز رأى علماء نفوسة برأى مصدر الفتوى في مركزي الدعوة بالشرق، وبذلك اناب عنه من ادعى فريضة الحج. وتتم الصلات والهدايا بين الطرفين فهذا الامام عبدالوهاب يرسل هدية للربيع قدرها اثنا عشر الف درهم او دينار.

وتصل الهدية الى الربيع فيشترى بها جهازا، ويرسل به اخاه الى تاهرت، فيامر الامام تجار المدينة ليشتروا له حوائجه وفعلوا تم ذلك، وانصرف الاخ بسلام (٧٤). ومع كل هذه الوفود تكون المراسلات والفتاوى وما الى ذلك مما يعود على المسلمين بالنفع العميم.

ولا يفوتنا ان نذكر بوثوق الصلة العلمية، والرغبة في توفير الكتاب، ذلك ان الامام عبدالوهاب ارسل الف دينار الى اخوانه بالبصرة كي يشتروا له بها كتبا، فلما وصلهم الالف اشتروا بها ورقا ونسخوا له فيها وقرأ اربعين حملا كتابا (٧٥).

كما وفد في زمانه ابو غانم بشر بن غانم الخراساني (ق ٨/٢)، وان لم يكن عمانيا فهو من اقطاب المشاركة، اذ درس بالبصرة واخذ من تلاميذ ابي عبيدة، وعنهم دون كتبه، واهمها المدونة التي دون فيها اقوال تلاميذ ابي عبيدة في الفقه ورواياتهم واختلافاتهم.

وفي رحلته هذه الى تاهرت روي مدونته هذه هنالك بعد ان استودع نسخة منها عند عمرو بن فنسجها، وهي النسخة التي بقيت بالمغرب بعد ان احترقت المكتبة المعروفة بالمعصومة بما فيها في تاهرت (٧٦).

وهكذا تزدان تاهرت ومكتبتها المعصومة بهذا السيل من الكتب المشرقية لتتضم الى تفسير الامام عبدالرحمن وفتاواه، وفتاوى الامام عبدالوهاب نفسه، مع رصيد المراسلات والنصوص الاخرى، وما كان هؤلاء ممن يحتكرون العلم بل اقبلت الايدي بالنسخ لهذه الكتب، ورغم ان المعصومة احترقت فيما بعد، فان بقايا هذه النسخ لاتزال متناثرة هنا وهناك، ولا يزال الزمان يوجد بشيء منها من حين لآخر.

كما تكثر الوافدون على عاصمة امامة الظهور في تاهرت، اما للاطلاع والاستفادة او المراقبة والاحتساب، ومن ذلك ما تورده المصادر ناقلة عن كتاب سير نفوسة لمقرن البيطوري (ق ١٢/٦) (٧٧) من ان «رجالا من اهل المشرق قدموا زائرين زمان الامام عبدالوهاب فاختراروا من تاهرت الامام ووزيره ابا عبدالاعلى السمع، واختراروا من نفوسة ابا مرداس» (٧٨).

وان لم نعلم من اى المواطن كان هذا الوفد فان الغرض من الزيارة كان يتمثل في الاطلاع على مستويات علماء اهل المغرب، مما مكن هؤلاء من المفاضلة بين المغاربة واختيار من اختاروا، وذلك لا يمكن ان يتم لهم إلا بعد الاطلاع والتحصيل والمقارنات. ومما يدل على ان حلقات العلم بالمغرب في تلك الفترة قل ان تخلو من حضور بعض

اهل المشرق، ما يرويه الشماخي من «ان مشايخ نفوسه يقبلون على الامام «عبدالوهاب» فيجلسون اليه حين كان بالجيل، فاذا قدم ابومرداس «معاصر السدراتي» قام اليه الامام وكان قصيرا، فقال رجل من اهل المشرق لم يعظم الامام هذا؟ فقال حين سمع كيف لا اجل من تجله الملائكة، ولا اعرف في الدنيا مثل هذا إلا رجلا بالمشرق، وهذا ارجح منه يسيرا... وبعد محاوراة اقر الحاضرون بأنهم لا يعلمون احدا بالمشرق ولا بالمغرب مثل هذا العالم(٧٩).

وهذا ما تمكنا من توثيقه مما بين ايدينا من المصادر عن علاقة المغرب بعمان زمن امامة الامام عبدالوهاب، ولا شك ان ما لم يصلنا اكثر بكثير، ذلك انه في زمن هذا الامام حدثت احداث بالمشرق ابرزها وفاة الامام الربيع رحمه الله، ولم نجد لذكرها اثرا في محيط اهل المغرب، كما عادت الامامة العادلة الى عمان من ١٧٧ الى ٢٠٨هـ / ٧٩٤-٨٤٤م، فقد توالي عليها الامام محمد بن ابي عفان (١٧٧-١٧٩هـ / ٧٩٤-٧٩٦م) وان خلع هذا الامام لانه لم يحسن السيرة في آخر امره، فقد نوهت كتب السير العمانية بخلفه الامام الوارث بن كعب الخروصي (١٧٩-١٩٢هـ / ٧٩٦-٨٠٨م) ولم تذكر من جاء بعده إلا بالخير وهو الامام غسان بن عبدالله الفجحي (١٩٢-٢٠٨هـ / ٨٠٨-٨٢٤م)(٨٠).

القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي:

وبموت الامام عبدالوهاب سنة ٢٠٨هـ - ٨٢٤م، خلفه ابنه افلق بن عبدالوهاب لمدة نصف قرن الى سنة ٢٥٨هـ - ٨٧٢م، وقد عرفت الدولة الرستمية اوج عزها في هذه الحقبة من الزمن.

وقد زامنت امامته عهد الائمة التالي ذكرهم في عمان:

- الامام عبدالمك بن حميد (٢٠٨-٢٢٦هـ / ٨٢٤-٨٤١م).
- والامام المهنا بن جيفر اليمحيدي (٢٢٦-٢٣٧هـ / ٨٤١-٨٥٢م).
- والامام الصلت بن مالك (٢٣٧-٢٧٣هـ / ٨٥٢-٨٨٧م)(٨١).

وقد برز اقطاب من اهل العلم هنا وهناك عم صدى مناظراتهم وحماسهم وكتاباتهم المغرب وعمان.

ويبدو ان ابرز حدث يتمثل في استجلاب نفاث بن نصر النفوسي، تلميذ افلق ديوان جابر بن زيد امام الاباضية الى المغرب، بعد ان استنسخه بذكاء نادر من النسخة الفريدة الموجودة آنذاك في خزنة الخليفة العباسي(٨٢).

لكن من سوء الحظ بعد هذا الجهد الجهد لم يكن منه إلا ان حفر حفرة لهذا الديوان ودفنه، ذلك لما كان بينه وبين الامام من خلاف توعده بسببه، ويقول ابو زكريا بأنه دفن الديوان «لحسد وبغى وسوء عاقبة»(٨٣).

وتورد المصادر الى جانب هذا الخبر دعوة الامام افلق الى دراسة كتب اهل الدعوة عامة مع تخصيص كتاب ابي سفيان محبوب بن الرحيل العماني «النصف الثاني من ٢هـ / النصف الثاني ق٨م»: «عليكم بدراسة كتب اهل الدعوة، ولا سيما كتاب ابي سفيان العماني»(٨٤).

ولا يخفى على أي باحث في السير الاباضية ان كتاب ابي سفيان هذا، كان عمدة المغاربة والمشاركة في التعريف بنشأة المذهب ويعلمائه الاول، لانه من الرعيل الذي اخذ عن ابي عبيدة، وعن الربيع وانا لنرجو ان يسعف الزمن به..

وقد لعب محبوب هذا دورا عظيما في الربط بين المشرق والمغرب، وقد اورد ابن سلام ما يفيد ذلك حين قال: ودار محبوب بمكة، وله خيامات تسمى مضارب محبوب بمنى ايام الحج بمقامهم بمنى ثلاثة ايام التشريق خلف الجمرة الكبيرة التي يرميها الحجاج اول ما يقدمون من المزدلفة غربى منى، وغربى الجمار الثلاث خلف عقبة منى وهى مضارب خيامات فيها مورد حجاج اهل عمان وجماعتهم ايام التشريق بعد عيد الاضحية.

كما يذكر ابن سلام ايضا ان المجاورين (٨٥) بمكة خمسون ومائة رجل، منهم خمسة وعشرون من اهل عمان.

واستمر هذا الرباط وثيقا مع ابنه محمد بن محبوب بن الرحيل (٣ محرم ٢٦٠هـ / ٢٩ اكتوبر ٨٧٣م)، ذاك الذى كان رأس علماء الاباضية بعد ابيه، وكانت اقامته بمكة، وبها التقى بعمرس بن فتح من علماء نفوسه (٢٨٣هـ / ٨٩٦م)، هذا اللقاء الذى ما فتئت مصادر الاباضية تنوء بقيمته العلمية حيث تقول: وذكرنا ان عمروسا واصحابه توجهوا الى بلاد المشرق حجاجا، فلما نزلوا مكة وجدوا بها محمد بن محبوب رحمه الله فدخلوا عليه في مجلس فوجدوه مع اصحابه فسلموا عليه فهش لهم وقربهم اجلالا لهم، دون معرفة الاشخاص فلما تبوأوا مقاعد المذاكرة سال عمروس ابا عبدالله عن مسألة فقال ابن محبوب: ان كان ابو حفص في شئ من هذه البلاد فلا يصدر هذا السؤال إلا عنه، ولا يرد إلا منه، فقالوا له: انه هو السؤال فرفع ابن محبوب مجلس عمروس لما عرفه، وزاد دنوه في مجلسه ثم جعل عمروس يسأل في مسائل الدماء عن مسألة بعد مسألة، حتى قال له ابن محبوب: هذا من مكنون العلم لا يعلن به في قوم جهال، فعند ذلك قال عمروس لاصحابه: احفظوا السؤال واحفظ لكم الجواب، حتى نقدم على اخواننا فنخبرهم بما حفظنا ففعلوا، فلما قدموا بلادهم قال لهم عمروس: «هلم ما تكلفتم به» فقالوا له: لم نحفظ شيئا سوى قوله: احفظوا المسائل لنرد بها على اخواننا، ثم ان عمروسا اعادها مسألة، فمسألة، عن آخرها (٨٦). ولا تحتاج هذه الحادثة الى تعليق كبير لاثبات غزارة علم القطبين والتلاقي الحضاري المتواصل بين اباضية المغرب واباضية المشرق.

وبعد اقامته بمكة ينتقل محمد بن محبوب الى عمان ليتصدى لنشر العلم ولإيعاش احوال الائمة هناك، ويقف مواقفهم بوضوح فالولاية لمن تحقق له وإلا فالبراءة، وكان ابرز عناصر المشورة لعقد البيعة للامام الصلت بن مالك سنة ٢٣٧هـ / ٨٥٢م وقد تولى له القضاء بصحار موطن آل الرحيل من سنة ٢٤٩هـ / ٨٦٤م الى ان توفى ٢٦٠هـ / ٨٧٣م، وينسب اليه من الكتب كتاب في الفقه في سبعين جزءا وسيرته الى اهل المغرب، وهي مخطوطة تقع في ست وعشرين صفحة من الحجم المتوسط ويخط مشرقى واضح وقد عالجت هذه السيرة ثلاثا وخمسين مسألة موجبة من اهل المغرب للشيخ محمد بن محبوب، وقد جاء الجواب عن هذه المسائل واحدة واحدة بعد ان دعا الامة الى الالتزام بمسالك التقوى في خطبة السيرة، وبين فيها حسن احوال الجماعة بالمشرق والمغرب: «كتبت اليكم رحمتنا الله واياكم، وانا ومن قبلي من الخاصة والعامة من المسلمين بأحسن حال واتم نعمة، واجمع كلمة، ونحمد على ذلك وعلى كل حال».

وقد وصل كتابكم بالسار لي من خبر سلامتكم وحالك، وجميل صنع الله لكم وآلئه عنديكم، فحمدت الله على ذلك، وسألته المزيد لنا ولكم من كل فضل عتيق، ان ربنا واسع مجيب (٨٧)، ثم اخذ يجيب عن المسائل التي ارسلوا بها اليه.

والسيرة في حد ذاتها تحتاج الى دراسة تحليلية ضافية، لما طرحته من القضايا السياسية والفقهية العملية التي يعتمد فيها صاحبها على الكتاب والسنة، وعلى مواقف أئمة الإباضية وعلمائهم.

هذا عن ابن محبوب وسيرته في اهل المغرب، اما عمرو بن ابن فتح فقد واصل نشاطه العلمي، وقد علمنا من قبل انه حرص على نسخ مدونة ابي غانم عندما اودعها صاحبها عنده وقد تصدى بغزارة علمه مع يابى مهدى النفوسى لأراء نفاث المخالفة ذاك الذى علمنا انه دفن ديوان الامام جابر، وقد تولى هو الآخر القضاء لوالى الامام عبدالوهاب، وهو ابو منصور الياس، وكان حازما في امره، وقد قتله الاغالبية صبرا في واقعة مانو سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م، ولم يصلنا مما ينسب اليه من مؤلفات إلا كتاب الدينونة الصافية وقد ثبت لدي عند احدى رحلاتى الى وادى ميزاب ان هذا الكتاب هو القسم الاول من كتاب في الفقه حسب المخطوطة المودعة في مكتبة دار التلاميذ بمدينة العطف^(٨٨).

والى جانب هذا يروى الشيخ الناصر المرمورى^(٨٩)، عن الشيخ ابي اسحاق ابراهيم اطفيش (١٣٨٦ / ١٩٦٦م)^(٩٠)، انه تكونت بعثة من الطلبة المغاربة من سبعين طالبا كانوا يدرسون على الشيخ ابي محمد عبدالله بن محمد بن بركة (ق ٩ / ٣)^(٩١)، صاحب كتاب الجامع في الفقه^(٩٢)، ولذلك كانوا يسمونه بشيخ المغاربة، وقد كان هؤلاء الطلبة من جهات المغرب سوى وادى ميزاب لانها كانت لاتزال على منهج الاعتزال آنذاك^(٩٣).

ونورد السيرة التى وجهها بعض فقهاء المسلمين الى الامام الصلت بن مالك (٢٣٧-٢٧٧ / ٨٥٢-٨٨٧) ونرجع مع واضع فهرست السير العمانية، انها من اهل المغرب.

رغم ان اصحابها ذكروا صراحة انهم اخفقوا اسماءهم حتى تبقى النصيحة خالصة لله، ولا تشوبها شائبة: «ولم يمنعا ان نعرفكم امكنتنا ونسمى لكم بأسمائنا إلا خوفا ان يقع في قلوب منكم ما تحمله معرفة ذلك على الانكار له، والرد لصوابه»^(٩٤) وذلك لدقة ماجاء فيها من الاحتجاج في قضية مخالفة النكار للامام عبدالوهاب.

ومهما يكن مصدر الرسالة فهي معبرة عن التلاحم بين اطراف المحيط الاباضى، ذلك لانها جاءت فياضة بالدعوة الى الائتلاف، لشعور اصحاب الرسالة ان الامة على وشك الافتراق، وفي ذلك تحذير من تبرص المتربصين لهم حيثما كانوا: واحذروا التنازع والفتنة والتدابير والاختلاف والتشاجر.

كما انها بينت حدود الامام واجباته، وخاصة احكام الولاية والبراءة والوقوف في شأنه كما انها اثبتت المفارقة بين النبى، والامام والمسلمين في درجة الحجة، ومع ذلك يبقى المسلمون حجة.

وفي النهاية عبر اصحاب الرسالة عن استعدادهم للخروج اليهم ان لم تنفع الرسالة وانما اردنا بذلك الجزاء من الله على ما قد علم من رغبتنا، واعزاز الاسلام واهله، واعلاء كلمته في داركم ومصركم فان تم هذا فيكم وواعز عن الفتنة والرجعة الى ما كتبنا به اليكم احد منك «كذا» فان لنا رأيا في الخروج اليكم، والنزول عليكم ان كنا لذلك اهلا، ولا قوة إلا بالله^(٩٥).

وهذه الخاتمة تتم بوضوح عن صدق نية اصحاب الرسالة في اصلاح ذات البين والتقريب بين المتخالفين.

وتبدأ الاحوال في الاضطراب بعد موت الامام أفلح الى أن يأفل نجم الامامة الرستمية على يدي العبيديين سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م وتتداخل الامور في عمان بعد امامة كل من الامام راشد بن النظر اليمحمدي (٢٧٣ - ٢٧٧هـ / ٨٨٧ - ٨٩١م) والامام عزان بن تميم الخروصي (٢٧٧ - ٢٨٠هـ / ٨٩١ - ٨٩٤م)، ونقل الاخبار عن العلاقة بين أهل المغرب وأهل المشرق سوى ما ذكر من رحلة أبي القبطان الى الحج متسترا، وانتباه العباسيين لذلك، وسجنهم له في بغداد، واطلاقهم سراحه فيما بعد ليتولى الامامة (٢٦١ - ٢٨١هـ / ٨٧٥ - ٨٩٥)، وهو يحمل معه كثيرا من قضايا العقيدة أهمها رسالته في خلق القرآن التي نقلها البرادي في كتاب الجواهر^(٩١).

كما أن الشماخي لا يغفل عن المقارنة بين نكبتين نزلتا بالاباضية فيقول: «ووقعة مانو بعد وقعة ابن ثور بأهل عمان، وقد خرج عليهم من البحرين عام ثمانين ومائتين، وكان عاملا للمعتضد، وخليفة أهل عمان عزان بن تميم»^(٩٢).

تلك هي أصداء الحوادث الجلي التي زعزت كيان الاباضية شرقا وغربا، وإن استطاع أهل عمان أن يعودوا الى امامة الظهور فيما بعد، فقد استمر اباضية المغرب في الكتمان الى يومنا هذا، بعد أن ثاروا عدة ثورات باءت بالفشل، وكادت تستأصلهم. وفعلًا قام نظام العزابة بالمغرب مقام الامامة، وعن طريقه تواصل الاتصال بالاباضية في المشرق، هؤلاء الذين انحسر كسيانهم بعمان، بعد أن انقرضوا من البصرة والكوفة ومكة والمدينة وخراسان ومصر.

وتضن علينا المصادر بأخبار هذه العلاقات في القرون اللاحقة سوى بعض الشذرات البثوثة هنا وهناك، والتي بقيت معبرة عن أواصر المحبة بين بلاد عمان وأطراف بلاد المغرب التي انحسر فيها المذهب، وهي جبل نفوسة، وجزيرة جربة، ووادي ميزاب، ووارجلان.

وسنورد هذه الاخبار القليلة حسب تسلسلها الزمني عبر القرون عسى أن تتكشف نصوص تزيد الموضوع وضوحا، إذ لا يعقل ألا يتم اللقاء واحد في قرن كامل، مع العلم بأن الاباضية كانوا كغيرهم من المسلمين لا يتخلفون عن الحج.

ومن ذلك ماترويه المصادر من أن أهل جبل نفوسة كانوا أكثر الناس حجا، بحيث انهم كانوا يحجون بنسائهم وذرائعهم، حتى قيل أنه ولد لهم في ركب واحد ثلاثمائة مولود ذكر، فضلا عن المواليد الاناث أو النساء السلائي لم يلدن، أو عدد الرجال المرافقين لهؤلاء النسوة «ويعلق بحازن ابراهيم على هذه الرواية بقوله: «لا تدل هذه الرواية أن صحت الا على اهتمام الناس بالحج»^(٩٣).

القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي:

ثم تضطرب الامور في القرن الرابع الهجري ويشن الاباضية ثورتين على العبيديين، وهما ثورة أبي يزيد مغل بن كيداد سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٧م وثورة أبي خزريغلا بن زلتاف سنة ٣٥٨هـ / ٩٦٩م، وكادت الثورة الأولى خاصة أن تطيح بعرش العبيديين، وفشلت الثانية. وقد سطع نجم أبي خزريغلا بن زلتاف (ت ٢٨٠هـ / ٩٩١م) وأبي نوح سعيد بن زنگيل (ق ٤هـ / ١٠م) المتبحرين في علم الكلام، وقد اصطحب المعز لدين الله الفاطمي (٣١٩ - ٣٦٥هـ / ٩٣١ - ٩٧٥م) أولهما الى مصر خشية منه، واحتفاء بعلمه.

ولا تذكر المصادر أية صلة بين المغرب وعمان في هذه الفترة، ذلك أن الامر كان مضطربا أيضا أشد الاضطراب هناك، باستثناء امامة سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب (٣٢٠ - ٣٢٨ هـ / ٩٣٢ - ٩٣٩ م) حيث استبد الجبابرة مرة أخرى بالحكم في عمان.

ولاشك ان الصلات كانت قليلة، وكان يغلب عليها الكتمان، ولم يرد الا خبر واحد، فيما وصلت اليه مطالعاتنا، يذكر أن ابن الجمع الذي كان من مشايخ المسلمين أقبل من الشرق تاجرا غزير العلم فنزل توزر فخدمه، أبو الربيع سليمان بن زرقون (ق ٤ هـ / ١٠ م)، ثم انتقل الى سجلماسة فانقل معه، ومكث معه سنين، فتعلم عنده العلوم رفقة أبي يزيد مخلد بن كيداد، وقد توفي ابن الجمع هنالك.

فمن هو ابن الجمع؟ ومن أي بلاد المشرق هو؟ ذلك ما لم تسعفنا به المصادر، بل لم تسعفنا حتى باسمه كاملا، وهذه نهاية في التستّر وشدة الحذر، إذ ظل ابن الجمع يتظاهر بالتجارة رغم غزارة علمه، ومما يحمل معه من كتب تذكر النصوص انه أوصى بها لأبي الربيع عندما حضرته المنية^(٩٩).

القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي:

ثم نعلم من تطور الاحداث أن الشيخ فصيل بن أبي مسور (ق ٥ هـ / ١١ م) عندما أتقن من عدم امكانية احياء امامة الظهور في القرن الخامس الهجري دعا تلميذه أبا عبدالله ابن أبي بكر الفرسطائي (٤٤٠ هـ / ١٠٤٩ م) الى تبني مبدأ الكتمان واقامة نظام الحلقة، ذاك النظام الذي عرف فيما بعد بنظام العزابة.

وقد نشط أبو عبدالله في ذلك، بعد تردد في بداية الامر، وأرسى قواعد نظام يسميه الاباضية الامامة الصغرى، ذاك انه ينظم حياة الاباضية تنظيمًا متكاملًا لا ينقصه الا اقامة الحدود، مع التركيز على احياء العلوم، وتقوية الرابطة الایمانية بين افراد الامّة^(١٠٠).

ورغم اضطراب الاحوال فقد حافظت المكتبة الاباضية على تراثها، من ذلك ماجاء في الخبر التالي عن أبي العباس احمد بن بكر محمد بن بكر الفرسطائي (ت ٥٠٤ هـ / ١١١١ م) من انه قال: «كنت أقرأ على الشيخ سعدون فجازت مسألة بديحة الأقف، قال في أكلها قولان فلم ينسبها، فدخلت الى الديوان، وكان بجبل نفوسه ديوان اشتمل على تأليف كثيرة، فلازمت الدرس أربعة لا اثنان الا في مابين اذان الصبح الى صلاة الفجر، فتأملت مافيه من تأليف أهل المشرق فاذا هي تقرب من ثلاثة وثلاثين ألف جزء كلها لأهل المذهب، فتخبرت أكثرها فائدة فقرأتها»^(١٠١).

واضح من هذا الخبر أنه، وإن قلت الزيارات، فقد بقيت التأليف أحسن رباط بين أهل المشرق وأهل المغرب، إذ ظل أبو العباس يبحث عن ضالته في التراث الاباضي المشرقي والمغربي، ولعله كان أكثر استئناسا بتأليف المشاركة لانها في الاغلب على شكل جوامع لا تتواءم في ايراد مختلف الآراء، وإن تناقضت، حول القضية الواحدة، بينما يجنح أهل المغرب الى الترتيب والاختيار والاختصار.

ورغم اضطراب الأحوال أيضا بعمان باستثناء امامة الخليل بن شاذان (٤٠٧ - ٤٢٥ هـ / ١٠١٧ - ١٠٣٤ م)، وامامة راشد بن سعيد اليمحمدي (٤٢٥ - ٤٤٢ هـ / ١٠٣٤ - ١٠٥٤ م)، وهي امامة شراء، فإن اللقاء بين المغاربة والمشاركة كان يتم كما هو مألوف في الحرمين الشريفين، ومن ذلك ما ورد عن نصر بن سجميمان النفوسي

من «انه التقى بأئمة عمان بمكة فسألهم عن السخط والرضا، هو وصاحب له نفوسي، فقالوا: فعلان، فسألهم عن القرآن. فقالوا غير مخلوق».

ويعلق الشماخي على الخبر فيقول أن: «هذا يدل على أن الوهبية مغربا ومشرقا مجمعون على أن السخط والرضا فعلان، الا من خالف اجماعهم. كما أجمعوا على خلق القرآن الا من خالف اجماعهم - فبعض أهل عمان خالف في خلق القرآن، ودون أهل العراق ومصر، ودون أهل مكة والمغرب، وسائر الاباضية وبعض أهل المغرب خالف في السخط والرضا»^(١٠٢).

ويتضح من هذا الخبر ان أهل المشرق يمكن أن يختلفوا مع أهل المغرب الا انهم يعذرون بعضهم البعض، لكن يبقى في الخبر غموض بالنسبة الى موضوعنا اذ من هم أئمة عمان هؤلاء؟ وفي أي تاريخ بالضبط تم هذا اللقاء؟ ويصعب أن نفترض أي افتراض بل أن نصل الى اليقين، لكن المهم في توفر اللقاء ومستوى الحوار بين الطرفين، اذ عولجت قضايا كلامية دقيقة تتعلق باعتبار السخط والرضا من صفات الذات أو من صفات الفعل وهي قضية حيرت علماء الكلام، أما قضية خلق القرآن وقدمه فقد أثارت محنا في البيئة الاسلامية وامتحن فيها من امتحن بالنسبة الى الطرفين. ومع وجود الموقفين بالنسبة الى القضيتين المذكورتين في اطار المدرسة الاباضية فان ذلك لم يثر أي تشنج بين أهل المشرق وأهل المغرب، وذلك لما لاقوا من المحبة من متانة بينهم.

القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد:

ثم تزدهر وارجلان في القرن السادس للهجرة وتحفل بعدد وافر من العلماء أبرزهم أبوعمار عبدالكافي (قبل ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م)، وأبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الوارجلاني (ت ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م)، وأبو يعقوب يوسف بن خلفون، وغيرهم كثير^(١٠٣).

ولم يرد في سير هؤلاء ذكر اتصالات بأهل عمان، ولعل ذلك يرجع الى أن عمان كانت خاضعة لجور النباهنة في فترة حكمهم الاولى.

وكم وددنا لو حدثنا أبويعقوب الوارجلاني في حجازيته التي بلغ عدد أبياتها خمسة عشر ومائتي بيت عن لقائه في موسم الحج ببعض أهل عمان؛ لكنه لم يعرج على ذلك لا من قريب ولا من بعيد^(١٠٤). ورغم كثرة ترحاله لم نعلم أنه زار بلاد عمان، وكذلك شيخه أبوعمار، فانه اكتفى بالحياة في تونس مدة طلبه للعلم، ولم نعلم أنه زار عمان، أو زارهم أحد العمانيين.

الا أن أبا يعقوب الوارجلاني شارك مشاركة فعالة في ترتيب أثر مشرقى له قيمة عظيمة في الفكر الاباضي بل هو عمدة الاباضية في الحديث، اذ يعتبرونه اصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، وهذا الاثر هو مسند الربيع بن حبيب الفراهيدي العماني. وقد كانت الاحاديث فيه غير مبوبة، فعمل أبويعقوب على ترتيبها حسب أبواب الفقه وبذلك تحول المسند الى جامع صحيح، ومثل هذا العمل يدل دلالة واضحة على التكامل بين جناحي المدرسة الاباضية.

أما ابن خلفون فناننا نعلم انه كانت هناك جفوة بينه وبين فقهاء عصره لأنه متهم بكثرة ميله الى مطالعة كتب المخالفين، وتذكر المصادر انه عمر عن توبته في لقاء له في طريق الحج بالشيخ يخلق التميمي جدي الدرجيني صاحب الطبقات «فكلما عد عليه شيئا تاب واعتذر».

والأساس في بقية الرحلة كما يوردها الشماخي بسندها مايلى: «فسرنا معا الى بيت

الله الحرام، وأدركنا هناك اخواننا أهل عمان، ومعهم فقيهيهم الذي حج بهم ناجية بن ناجية. فحججنا حجة لم يحجها احد قبلنا ولا بعدنا من أهل المغرب. فكلما نزلت به مسالة في مسكنه أو غيره يجد واحدا من الفقهاء الثلاثة فيسأله فيجد عنده الشفاء. ورجعنا وأبويعقوب راض مرضي عنه»^(١٠٥).

وان كنا لانعرف عن الفقيه ناجية بن ناجية شيئا، ولا عما كان بين الوفيدين من المحاورات ومع ذلك فاننا على يقين من انه تم بينهما خير كثير، أهمه تبادل كثير من الكتب والتعرف على كثير من الاخبار، وهذا شأن جميع اللقاءات في موسم الحج وفي غيره من المناسبات والاماكن.

القرن السابع الهجري / الثالث عشر للميلاد:

وتستمر الاحوال على ماهي عليه هنا وهناك في القرن السابع الهجري، وتدرج وارجلان نحو الافول، ولا نعلم في هذا القرن عن العلاقة بين الطرفين سوى خبر واحد كان له بعيد الاثر في تدوين سير الاباضية بالمغرب وربطها بأصالتها المشرقية في نشأتها الاولى، والخبر يتمثل في سبب تأليف كتاب طبقات الدرجيني، اذ لم يكن في نية الرجل أن يكتب كتابا في السير، لولا ما امن الله به عليه من توفر المصادر وترشيح أهل جربه له نزولا عند رغبة اخوانهم من أهل عمان، وقد جاءت قصة الكتاب، عند البرادي حيث قال في جواهره: «ذكر لي بعض العزابة أن سبب تأليف أبي العباس هذا الكتاب، لما وصل الحاج عيسى بن زكريا من بلاد عمان بما معه من الكتب كحل ابن صاف، وجامع الشيخ أبي الحسن، وجامع ابن جعفر»^(١٠٦). وغيره، فكان مما رغب اليه فيه اخوانه أن قالوا له: وجهوا لنا كتابا يتضمن سير اوائلنا ومناقب أسلافنا من أهل المغرب، من لدن وقع فيه مذهبا الى هلم جرا، فانه قد عميت علينا انبأؤهم وغابت عنا آثارهم من بعد الشقة، وعظم المشقة، فشاوور من بجرية يومئذ من العزابة والفقهاء، ومن يشار بالبلدان اليه من الحذاق والنبهاء، وقرر طلبه اخوانهم اليهم، ووصف لهم الكتاب المشروط عليهم فنظروا.. فلم يروا لهذا التصنيف غير أبي العباس «الدرجيني» فعندها طلبه الحاج المذكور وهو السائل الذي وجبت طاعته^(١٠٧).

ويصعب تحديد أسماء مشايخ عمان في هذه الفترة لانها غير محددة، خاصة واننا لانعرف عن الحاج عيسى بن زكريا شيئا سوى اننا نستنتج من السياق انه من جزيرة جربة، وانه ليس من العلماء، وانما من المشجعين على نشر العلم، اذ تحمل عبء هذه المسؤولية كاملا، والراجع أن الامر كان زمن الشيوخ اللذين ملأ القرن السابع الهجري في جزيرة جربة، وهما صالح بن نجم المغراوي، وأبومحمد عبدالله الصديقياني^(١٠٨). وبعد استشارة هذين الشيوخ ومن معهما من أهل العلم بالجزيرة، وقع الاختيار على أبي العباس أحمد الدرجيني، وهو من الذين درسوا بالجزيرة، فلم يكن من الحاج عيسى المذكور الا أن أوصل له ماتوفر لديه مما جاء به من عمان، ومما جمع لهذا الغرض من جربة لانجاز الكتاب.

وفعلا فقد كان ومايزال كتاب طبقات الدرجيني جامعا لسير مشايخ الاباضية، ولايستطيع أن يستغني عنه باحث في هذا المضمار، وقد جاء الكتاب في لغة أدبية راقية خلصت ماعرفه كتاب السيرة وأخبار الاثمة لابي زكريا يحيى ابن ابي بكر الوارجلاني (ق ١٢٦هـ / ١٢م) من رطانة في الاسلوب، وأضاف اليه اضافات حميدة. وهذه صورة أخرى من صور التعاون الثقافي بين اباضية عمان واباضية المغرب،

رغبة منهم في الحفاظ على سير السلف لأن فيها عبر لمن يريد أن يعتبر، وبذلك دونت أخبار جاءت معبرة عن مسيرة أمة. وما أخال أنه اللقاء الوحيد بين الطرفين طيلة القرن السابع الهجري، ولكن ذلك ماجاءت به النصوص.

القرن الثامن الهجري / الرابع عشر للميلاد:

وفي بداية الثلث الثاني من القرن الثامن وبالضبط في ٢٧ ذي القعدة ٧٣١هـ/ ١ سبتمبر ١٣٣١م حل بعمان الرحالة المغربي الشهير ابن بطوطة ليذكر غرائب ما لاحظته من أحداث، وقد أورد السالمي في تحفة الأعيان خبر الرحلة مع تعليقات، أبرزها تعبيره عن أسفه لوصول ابن بطوطة إلى عمان في هذه المرحلة التي سيطر فيها الجور إذ يقول: «وكان قدومه على عمان في أيام بني نبهان فذكر عنهم غير الجميل، وليته دخلها أيام الاثمة العادلين حتى يرى غير ما رأى وينظر السيرة النبوية والحق الواضح ومكارم الاخلاق ومعالي الصفات ومقامات الكمال وعواطف الاحسان والافضال»^(١٠٩).

ولا أراني مضطرا بأن أحلل ماورد في الرحلة لأنه يبعد عن وجهة موضوعنا في الحديث عن الرابطة الاباضية، واكتفى بذكر المحاضرة التي القاها الاستاذ عبدالهادي التازي بعمان سنة ١٩٧٨م بعنوان «الصلوات التاريخية بين المغرب وعمان» (ويقصد المغرب الأقصى بالخصوص)، وإن كان لنا عليها بعض التحفظ لما جاء فيها من المبالغات في بعض الأحيان^(١١٠).

وفي النصف الثاني من هذا القرن يهتم الشيخ أبو القاسم البرادي باحصاء تأليف الاباضية، ويثبت بذلك ثراء المحيط المغربي بالكتب العمانية والمشرقية عامة، ومما جاء ذكره من كتب في هذه الرسالة بعنوان: «ومن ذلك تاليف أصحابنا المشاركة»:

كتاب المسند وهو حديث الربيع، وجامع الشيخ أبي الحسن وهو من جملة الكتب التي وصل بها الشيخ أبو موسى عيسى بن زكريا البراسني من عمان إلى الجزيرة^(١١١)، يقصد جزيرة جربة، وكتاب الدعائم الاصل، ويعلق عليه قائلا: ذكر لي بعض اصحابنا العمانيين بمكة شرفها الله سنة خمس وسبعين مما شاهد أن عدة القصائد المثبتة عندهم في هذا الكتاب بعمان، فيبقى حينئذ ما في أيدينا^(١١٢).

كما يذكر كتابا آخر قائلا عنه: «ويذكرون من تأليف أهل العصر عندهم كتابا يعرف بكشف الغمة في اختلاف الامة، لم ير لاهل الدعوة مثله في فنه، وكنت كلقت بعض اصحابنا من مكة على استنساخه فأتى به من قابل، فلم يصادف هناك من له اهتبال بشيء فطلب المحتمل أجرت فلم يجدها، فرده من هناك، فلا قوة الا بالله..».

واضح ان هذه الرسالة من الاهمية بمكان في تحديد العلاقة بين أهل المغرب وأهل عمان وأهل المشرق عامة، ذاك أنها تثبت أن المحاورة مستمرة بين الطرفين، والكل ينتمي إلى مدرسة واحدة، ويسعى إلى إثرائها بتوفير الكتاب أو تأليفه أو شرحه أو اتمامه ان لم يتمه صاحبه.

وتتجلى شفافية البرادي المؤرخ إذ حاول بقدر الامكان التعريف بكل ماوقع بين يديه من التأليف مميّزا تصنيف وترتيب بين تأليف أهل المشرق وأهل جبل نفوسة وأهل المغرب، وهذا وضوح منهجي في العرض يسهل الأمر لدى القاري، وفي كل ذلك يذكر بكل موضوعية ما عرف اسمه من هذه الكتب ولم يقف عليه، وماوقف عليه.

ونراه يأسف شديد الأسف لعدم وصول كتاب كشف الغمة رغم تكليف العمانيين بإرساله له في موسم الحج لسنة ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م إذ حج هو سنة

٧٧٥هـ/ ١٣٧٤م، ونحن نعلم من المخطوطة البارونية لهذا الكتاب انه وصل فيما بعد الى جربة وقد خط في أوله مايلى: «ثم أن هذا الكتاب الذي هو كشف الغمة من تأليف المتأخرين من أصحابنا أهل عمان يعثنا فيه اليهم من مكة شرفها الله سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٤م وقد تعلقت به قلوبنا»^(١١٣).

ومن ذكر عنوان الكتاب نتبين أنه غير كتاب سرحان بن سعيد الأزكوي الموسوم بكتاب كشف الغمة الجامعة لأخبار الامة (ق ١٢هـ/ ١٨م)، ويظهر انهما يتفقان في الموضوع اذ جاء قسم كبير من كتاب الأزكوي مفصلاً الحديث عن اختلاف الامة، ولاشك انه استقى من الاول. ويبقى افتراضنا هذا محل نظر نقره الدراسة المقارنة أو تنفيها. والحقيقة التي لا ينبغي أن نغفل عنها هنا، هي ضرورة اقامة دراسة مقارنة دقيقة بين التأليف المشرقية والمغربية لتبين ما بينهما من تكامل، لانها كلها تقوم على أسس دينية واحدة.

القرنين التاسع والعاشر للهجرة/ الخامس عشر والسادس عشر للميلاد:

وهناك سكوت مطلق فيما نعلم عن العلاقات في القرن التاسع للهجرة، لتطالعنا قصيدة مهمة في القرن العاشر من نظم الشاعر العماني محمد بن عبدالله الأغبري تضم اربعة وثمانين بيتاً أرسلها تحية الى أهل المغرب في جربة وجبل نفوسة ووارجلان ووادي ميزاب، يذكر فيها بعض المواطن وبعض العلماء، وهي تدل على اطلاع واسع على أحوال المغرب، وقرى الإباضية بها، ونرجح أن الرجل على اطلاع واسع على كتب السير، أو أنه تمكن من زيارة هذه الربوع لانه يذكرها ذكر عارف خبير، ولعل زيارته كانت لجبل نفوسة لانه أطنب فيها المقال بينما اختصر البقية. وتعتبر هذه المنظومة وثيقة تاريخية^(١١٤). هامة للتعرف على مدى اطلاع أهل عمان على سير أهل المغرب، وحبهم الجم لهم، ووددنا لو أن هذا الناظم عرج على بعض شيوخ عمان في تلك الفترة، وعبر عن شوقهم لأهل المغرب، وصلتهم بهم. وفي نفس القرن سنة ٩٧٣هـ/ ١٥٦٦م يكتب الشيخ عبدالله بن عمر بن زياد بن أحمد البهلوي العماني بمخمس^(١١٥). يضم اثنين وسبعين ومائتي بيت لأخوانه من أهل المغرب، تحدث فيها عن أشياء كثيرة منها:

ذكر فضل الإباضية وعلمائهم الاول بالشرق والمغرب مع التنويه بخصالهم، وذكر لميزات المذهب الإباضي بالمقارنة مع المذاهب الاخرى مع تحديد بعض المسائل الخلافية في الاصول والفروع.

ومع أن الخمس يبدو مهلهل اللغة في بعض الاحيان الا أنه جاء معبرا عن رغبة صاحبه في تثبيت أهل المغرب على المذهب، وذلك بالتذكير بتاريخه المجيد، وبتعاون أئمته على ارساء أسسه الجوهرية والاصولية والفقهية على قواعد قرآنية وسنية ثابتة لايزعزعها الزمن، وتبدو نفحة الرجل مخلصة أشد الاخلاص في الوفاء للرعيل الاول من أئمة المذهب في المشرق والمغرب.

القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر للميلاد:

ونصل الى القرن الحادي عشر للهجرة حيث تنتهي دولة بني نبهان الثانية لنقوم مقامها امامة اليعاربة العادلة، فتهتز لها جنبات المغرب، ويسعفنا القدر بالعثور على نسخة من الرسالة التي بعث بها أهل المغرب مهئين اخوتهم العمانيين بنصب الامام ناصر بن مرشد اليعربي (١٠٢٤ - ١٠٥٠هـ/ ١٦١٦ - ١٦٤١م)^(١١٦). وقد أرسل

هذه الرسالة الى عمان العالم المغربي ابراهيم بن عبدالله الشماخي اليفرنى الاباضي. وتقتطف من هذه الرسالة شيئا من المحور المعبر عن المحبة والشوق اذ يقول صاحبها في هذا الصدد:

«فاهتزمت نحوكم أعطافنا، وتحركت بذكركم أطيافنا، وهامت لملاقاتكم أرواحنا، فكيف لا وقد قال الله سبحانه وتعالى: (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) (١٩ مريم ٩٦). وقال عليه السلام: (المتحابون في الله على منابر مسك في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله). وقال: (من أحب قوما فهو معهم يوم القيامة)، وماسرنا حديث مثل هذا الحديث. فلا جرم ان كانت أشواقنا اليكم تتبرح بتعاقب الايام، ومحبتنا اليكم تتأكد على مر الشهور والاعوام، وتتجدد مع الاناء والاحيان، بل لا يصفها لسان، ولا يفي بالتعبير عنها انسان، فحالت بيننا وبينكم السباسب والعجم، والمياه والاجم، والبحار اللجج، والرعاع الهمج، فالتقت علينا مخاوف مانعة، وعوائق عارضة، وعلائق ماسكة، ولو وجدنا سبيلا الى تهنتكم بالولاية المبرورة، والنعمة المشكورة، والمنحة المغبوة لاسرعنا طائرنا بلا اقدام، ولا استغنيا بمشاهدة الكرام، ونقول لعل الزمان يكشف القناع عن وجه جميل فسرفل في اكرامكم، ونشر ديننا بفضلكم وانعامكم، وتتمتع الارواح حيث العز مضروب، وقائم منصوب». وان جاء سجع هذه الرسالة متكلفا فانها تبقى معبرة عن اعتزاز أهل المغرب بما يقع في عمان من أحداث.

وينتشر العدل في عمان مع اليعاربة ويتولى الامامة بلعرب بن سلطان (١٠٩١ - ١١٠٤هـ/ ١٦٨١ - ١٦٩٣م) ويسير الله زيارة أحد المغاربة لهذه الربوع، ألا وهو الشيخ عمر بن سعيد بن محمد بن زكريا الجربي الاباضي، فيطرب لما رأى من ظهور العدل، وأحياء السنن، وامانة البدع، لكنه لاحظ أن الاهتمام بمجالس العلم قليل، فلم يكن منه الا اسداء النصيحة، وتحريض الامام على أن يولي موضوع العلم والتعلم أكبر اهتمام.

وقد نقل الشيخ السالمي هذه النصيحة في تحفة الاعيان^(١١٧)، وهي وثيقة تاريخية مهمة بينت اعجاب هذا المغربي بأحوال الاباضية في عمان، وذكرت بما لمدارس العلم من أثر طيب في الحفاظ على كيان الامة، مع ضرب المثل بوفرة هذه المدارس في جربة رغم ضعف الاحوال، وضبطت أن عالم العصر بجربة هو الشيخ أبو زيد بن أحمد بن أبي ستة^(١١٨)، وعرفت بأهم اطوار بعض أهل نفوسة، وبعض أهل جربة، وبني مصعب وحرضت على اقامة مدارس علمية في كل حصن من حصون البلاد مع رعاية المعلمين والمتعلمين أحسن رعاية لانهم ذخرا للامة.

وفعلا يذكر السالمي انه كان لهذه النصيحة عظيم الاثر، وكانت منطلقا لنهضة علمية تولي أمرها الامام بنفسه في حصن جرين، «فيقال انه خرج من هذه المدرسة.. خمسون عالما كلهم أهل اجتهاد وأهل افتاء بالرأي»^(١١٩)، كما أمر بالتعليم في جميع أطراف البلاد.

ويفرض علينا ضيق الوقت أن نقف عند هذا الحد، رجاء أن نعود الى تحليل ماتوفر بين أيدينا من نصوص تسمح القرون اللاحقة، ونخص منها بالذكر ما بين القرن الثالث عشر والرابع عشر حيث ازدهرت المراسلة ازدهارا قويا مع قطب الاثمة الشيخ محمد اطفيش (١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م) وهذه المراسلات وحدها في حاجة الى بحث مستقل^(١٢٠).

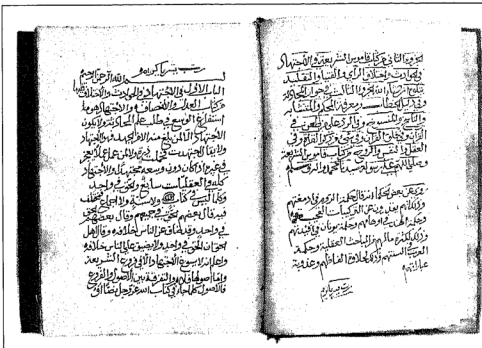
الفصل الثاني

الحركة الثقافية والعلمية في عمان

منذ ظهور الاسلام

ساهمت عمان في بناء صرح الحضارة الاسلامية طوال عصور التاريخ، وكان لها نشاط واضح ملموس في مختلف ألوان النشاط البشري في ميادين العلم والسياسة والاقتصاد، ولا ريب أن أبرز جوانب الحضارة الاسلامية العظيمة هو تدوين العلم، لأن هذا العمل الجليل حفظ للأمة الاسلامية فكرها، وكان عاملا على ازدياد وعيها. والدارس للحضارة الانسانية بعامة يدرك أن الأمة الاسلامية بخاصة كانت ولا تزال في مقدمة الأمم اسهاما في البحث العلمي والدليل على ذلك المؤلفات العلمية القيمة الكثيرة التي ألفها علماء المسلمين في جميع فنون العلم والمعرفة. ولقد كان لأهل عمان نصيب وافر فيما تركته الأمة الاسلامية من كنوز علمية، لأن العمانيين اهتموا بالتأليف في وقت مبكر جدا في العهد الاسلامي، بل من الحق أن نقول انهم أول من اعتنى بالتأليف في علوم الدين واللغة وفي مختلف أنواع العلوم والفنون والآداب، ونهضوا مع العلماء في سائر ديار الاسلام لارساء قواعد الحضارة الاسلامية الاصيلية، ولتطوير تلك الحضارة التي غذت العالم أجمع وأمدت العالم كله بالعلم والمعرفة ووسائل النهوض بالحياة وبالفكر البشري وبالانسان عامة. انطلق العمانيون في الفكر والبحث، ولم تكن هناك حواجز جغرافية أو مذهبية بين العلماء العمانيين وبين سائر علماء ديار الاسلام، أو بينهم وبين هؤلاء الذين ينتمون

مخطوطة عمانية
(قاموس للشريعة)



الى بلاد غير اسلامية.

وان الباحث في التراث العماني ليجب من كثرة العلماء والباحثين والمؤلفين العمانيين، ومن كثرة المصادر التي يشيرون اليها سواء أكانت المصادر عمانية أو غير عمانية، فضلا عن استشهداهم دائما بالقرآن الكريم وبالأحاديث النبوية الشريفة. وقام العمانيون في البصرة في القرون الاولى للاسلام بدور بارز وأساسي بين علماء العالم الاسلامي من حيث الانتاج الفكري والاتصال بأنحاء العالم الاسلامي. وقد شبهوا العلم «بطائر باض بالمدينة وفرخ بالبصرة وطار الى عمان»^(١).

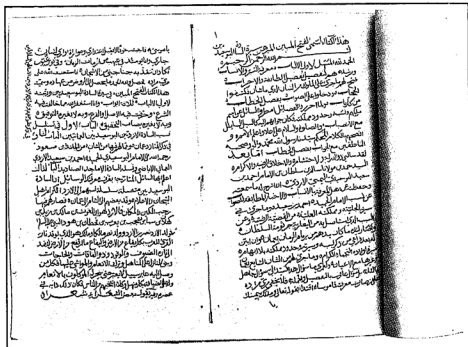
وتشير كتب المؤرخين والادباء وكتب الطبقات والتراجم الى كثير من علماء عمان وخطبائها وأدبائها الذين كتبوا وألفوا الكثير من الكتب التي لازال كثير منها باقيا حتى الآن. وقد شمل هذا التأليف ميادين كثيرة نخص منها ميدان الفقه والحديث وميدان اللغة والادب، وميدان التاريخ والسير، وفي هذه المجالات ظهرت مدارس متميزة قامت بدور كبير في اثراء الفكر والعلم والثقافة في عمان وفي غير عمان من بلدان العالم الاسلامي.

مدرسة العلوم الدينية العمانية:

تدل الآثار الباقية عن علماء المسلمين منذ شروق شمس الاسلام حتى العصر الحديث دلالة قاطعة على أن العمانيين ألقوا في ميدان الفقه والحديث منذ القرن الاول الهجري (السابع الميلادي) مما يدل على أنهم كانوا سباقين في هذا الميدان، وعلى أن العلم كان راسخا في عمان منذ فجر الاسلام، وفيما يلي عرض سريع لأهم المدارس والمؤلفات العمانية عبر القرون المتعاقبة في هذا المجال:

ففي القرن الاول الهجري كانت صلة عمان العلمية بالمدينة المنورة قوية وكان معظم أهل المدينة من الأزد يتصلون بأزد عمان في الأنساب، ولذلك كانت العلاقات والصلات مستمرة بين البلدين، ونزح الى المدينة كثير من العمانيين ونعموا بصحة

مخطوطة عمانية
(الفتح المبين في سيرة
السادة البوسعيديين)



رسول الله صلى الله عليه وسلم. من هؤلاء الصحابة العمانيين صحار بن العباس العبدى الذي ذكره ابن النديم في كتابه الفهرست، وذكر أنه له صحبة وأنه روى ثلاثة أحاديث، كما ذكره ابن حجر في كتابه «الاصابة في تمييز الصحابة»، وقد دون صحار كتاباً في الأمثال ذكر ابن النديم أنه من الكتب الرائدة في فن الأمثال.

وفي النصف الثاني من القرن الأول للهجرة ظهرت مدرسة جابر بن زيد الأزدي العمانى، وكانت أول مدرسة نشطة قامت في البصرة حيث نزح إليها العمانيون وتلقوا العلم على يد شيخها الجليل وعادوا إلى بلادهم ينشرون العلم والمعرفة والفقه والدين.

وقد ولد جابر بن زيد كما هو معروف قبيل نهاية خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين سنتي ١٨ و ٢٢ هـ (٦٣٩ و ٦٤٢ م) في بلدة فرق من ولاية نزوى في عمان.

وجابر من ولد عمرو بن الحجد، وهي قبيلة من القبائل الأزدية البارزة في عمان، ومنها بنو خروص المشهورون في تاريخ عمان.

وكان جابر بن زيد يكنى بابنته (الشعثةاء) التي لا يزال قبرها معروفاً في فرق إلى الآن. وتلقى جابر بن زيد بداية تعليمه في وطنه عمان، ثم رحل إلى البصرة للاستزادة من العلم والفقه، وكانت البصرة آنذاك إحدى المراكز العلمية الهامة في الدولة الإسلامية، كما كانت تتصل اتصالاً وثيقاً بعمان جغرافياً وثقافياً وبشرياً منذ أن اختطها عتبة بن غزوان في عهد عمر بن الخطاب.

وجابر بن زيد كما أشرنا من كبار التابعين، وكان عبدالله بن العباس - أو البحر - من أعظم أساتذة جابر، وكان يفخر بتلميذه الذي تعمق في دراسة القرآن الكريم والحديث الشريف وعلوم الشريعة الإسلامية. كذلك أخذ جابر العلم عن السيدة عائشة أم المؤمنين، وعن أنس بن مالك، وعن عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعن غيرهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبالرغم من أن أبا الشعثةاء قضى حياته العلمية في البصرة وفي عصر سلطان الأمويين، وحيث كانت يد الحجاج تبطش بكل مناوئء لسياسة الدولة، إلا أنه التزم برسائلته الدينية العلمية، وكان يحض تلاميذه على قيام الإمامة العادلة المبنية على الأصول الإسلامية. وألف جابر موسوعته العلمية النفيسة التي عرفت باسم الديوان أو «ديوان جابر» وذلك في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وقيل أن عبداً ملك بن مروان وبنه استولوا على «ديوان جابر» وحرّموا دراسته ونشره بين الناس، وروى أن العباسيين حرّموا على الناس استنساخه^(١)، وكان هذا الديوان كبير الحجم، وقد سجل فيه جابر ماسمعه من الصحابة من أحاديث نبوية شريفة ودون فيه آراءه في التفسير والفقه.

وفي فترة نفى الحجاج بن يوسف، الإمام أبا الشعثةاء إلى وطنه عمان، ولا ننتبين من المصادر متى نفى الإمام جابر إلى عمان ومتى عاد إلى البصرة. وتوفي جابر بن زيد في البصرة في سنة ٩٣ هـ (٧١١ م) بعد أن انتفع بعلمه الكثيرون الذين حملوا رسالته من بعده^(٢)، وعادوا إلى أوطانهم منهم الطلبة العمانيون الذين كانوا قد هاجروا إلى البصرة للاتحاق بمدرسته أو للانضمام إلى مجالس علمه، فنهلوا من علومه ورجعوا إلى بلادهم عملاً بقوله تعالى: ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾، صدق الله العظيم، حيث كان عملهم وسيرهم تنطبق عليه هذه الآية الكريمة، فقد عادوا إلى عمان لنشر العلم وتدريسه فيها فجاءوا

بلبنة العلم وشيدوا صروح المعرفة، أولهم العلامة بشير بن المنذر النزوي من عقر نزوى ويلقب بالشيخ الكبير وهو من بني نافع، من سامه بن لؤي القرطيني وهو جد بني زياد الموجودين بعمان، والثاني المنذر بن النذر الجعلاني الريامي من بني حضرمي الريامي، والثالث موسى بن أبي جابر الأزكوي من بني ضبه نسبه أيضا من بني سامه بن لؤي، وكان على رأس العلماء الذين عقدوا البيعة للإمام الوارث بن كعب الخروصي، والرابع محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة ويكنى بأبي سفيان وهو من بني مخزوم قرشي عماني، والخامس محمد بن المعلل الكندي من أهل فسخ من وادي السحتن من أعمال الرستاق عرضوا عليه بيعة الإمامة فأبى تعففا.

ولم يكن صحار العبدى أو جابر بن زيد هما العالمان الوحيدان اللذان كتبوا في الفقه في القرن الأول للهجرة انما كان هناك في ذلك القرن من العمانيين من كتب أيضا في علوم الفقه والدين. فقد ألف سالم بن زكوان الهلالي رسالة سجل فيها آراءه في الولاية وفي كثير من المسائل الفقهية، وكان سالم بن زكوان الهلالي من تلاميذ جابر ومن العلماء الثقات المجتهدين.

وإذا انتقلنا الى القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي نجد العديد من العلماء العمانيين الذين برزوا في مجال الحديث والفقه واللغة، نذكر منهم على سبيل المثال الربيع بن حبيب الفراهيدي الأزدي العماني البصري.

وكان الربيع من منطقة الباطنة من عمان ثم خرج الى البصرة لطلب العلم، وكانت البصرة آنذاك عمانية برجالها الافاضل العلماء. وكان الربيع شابا حين التقى بالإمام أبي الشعثاء جابر بن زيد، وكان يقول: أخذت الفقه من ثلاثة: «أبي عبيدة وأبي نوح وضمام بن السائب الأزدي العماني».

وقضى الربيع بن حبيب معظم حياته في البصرة طالبا للعلم ثم معلما له، وعاد في آخريات حياته الى وطنه في عمان. وقد عكف الإمام الربيع بن حبيب على كتابة مسنده في البصرة. وكانت وفاته في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري^(٥)، وبالتحديد في عام ١٧٠هـ/٧٨٦م، أما كتابه الجامع الصحيح فقد نشر مرات عديدة احداها في مدينة القدس في سنة ١٢٨١هـ (١٩٦١م). وفي دار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة «مسند الربيع» تحت رقم ٢١٥٨٢ ب. وقد رتب الجامع الصحيح، أبويعقوب يوسف بن ابراهيم الوريجلاني^(٦) وهو من علماء شمال افريقيا في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي). ثم قام على شرحه في العصر الحديث العلامة نورالدين السالمي، ويعتبر هذا الكتاب عمدة أهل المذهب الاباضي في الحديث النبوي الشريف.

ومن علماء القرن الثاني الهجري كذلك أبو صفرة عبد الملك بن أبي صفرة، وقد ألف كتابا من الكتب الجامعة المعروفة هو «جامع أبي صفرة» ويحتوي هذا الجامع على أحاديث تتأكد على الإمام التابعي جابر بن زيد، وقد كانت رواية أبي صفرة عن شيخه الربيع بن حبيب عن ضمام بن السائب عن جابر بن زيد.

وكان أبو صفرة هذا ضمن مدرسة علمية فقهية نمت في صحار ترأسها الشيخ العلامة محبوب بن الرحيل وهو أحد حملة العلم الى عمان ممن سبقت الاشارة اليهم، وقد تهافت الى مدرسة محبوب الطلاب من أنحاء عمان لتلقي العلم على يديه، وكثر تلاميذه وانتشروا في داخل عمان، منهم ابنه محبر ومحمد، وأبو صفرة عبد الملك بن صفرة الذي تحدثنا عنه، وموسى بن علي، وعزان بن الصقر وحفيده عبدالله ابن محمد بن محبوب، وأبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي وأصبح هؤلاء كلهم من كبار

العلماء رحمة الله عليهم جميعا وغيرهم الكثير ممن لم يذكرهم التاريخ على التفصيل. وإذا انتقلنا الى القرن الثالث للهجرة نجد ازدهارا للفقه ومدارسه في عمان، فقد ظهرت في هذا القرن مدرسة العلامة موسى بن أبي جابر بمدينة ازكي، حيث زخرت هذه المدينة بالعلم والعلماء، وتخرج منها علماء أجلاء من بلدتي نزوى وسيجا، منهم العلامة بن غيلان السيجاني وسليمان بن عثمان العقري النزوي وغيرهم من العلماء، كما ظهرت مؤلفات عديدة في الفقه والدين، نذكر منها على سبيل المثال:

أ - الكتاب الذي ألفه الشيخ موسى بن علي ويسمى «جامع أبي علي في الفقه» وهو يقع في مجلدين، ويعد من كتب الفقه المعتمدة.

ب - ونذكر كتابا في أصول الفقه ألفه الشيخ محمد بن محبوب الرحيلي في سبعين جزءا، وقد ذكره وأشاد به أبو القاسم البرادي في كتابه «الجواهر» وكان البرادي من علماء القرن الثامن الهجري وقال انه وقف على جزء واحد من كتاب الشيخ الرحيلي في الأصول والفقه وأثنى عليه.

ج - ثم نذكر الكتب التي ألفها الشيخ بشير بن محمد بن محبوب وهي أربعة كتب على النحو التالي:

١ - الخزانة وهو في سبعين مجلدا.

٢ - المحاربة.

٣ - كتاب في التوحيد.

٤ - البستان.

وهي كتب قيمة في الفقه والعقيدة.

د - ومن علماء القرن الثالث - كذلك - الشيخ أبو المؤثر الصلت بن خميس الخروصي وله كتابان مشهوران أحدهما في الفقه والآخر في التاريخ، أما كتابه في الفقه فيسمى البيان والبرهان، وهو كتاب قيم في الفقه وواضح من عنوانه أن المؤلف يناقش مسائل الفقه بالشرح والتوضيح والاستدلال.

هـ - ومن علماء القرن الثالث الهجري أيضا الشيخ أبو الازهر بن محمد بن جعفر الأركوبي، وله كتاب جليل معروف بجامع ابن جعفر وهو كتاب قيم شامل متعدد الأجزاء، وقد طبعت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان الطبعة الاولى منه في ثلاثة أجزاء.

ز - ومن علماء القرن الثالث الهجري - كذلك - أبو الحواري ونذكر من مؤلفاته الكتب التالية:

١ - جامع أبي الحواري، ويقع في مجلدين كبيرين، وهو مطبوع الآن في خمسة مجلدات.

٢ - الدراية في تفسير خمسمائة آية، وهو كتاب مطبوع الآن وهو تفسير لخمسمائة آية في الأحكام.

٣ - رسالة أجاب فيها أباضية حزموت على مسائل في الفقه.

٤ - وله كتاب في الفقه، غير أنه مفقود، وليس في متناول الدارسين.

ح - كما ظهر التأليف الجماعي في هذه الفترة، مما يدل على أن العمانيين هم أول من قام بتأليف الموسوعات تأليفا جماعيا، وكان ذلك في عهد الامام غسان بن عبدالله (١٩٢ - ٢٠٧هـ / ٨٠٨ - ٨٢٢م) أي أن العمانيين كانوا سباقين في فن التأليف الجماعي. وأفضل مثال للتأليف الجماعي كتاب الاشياخ الذي ألفه عدد من مشايخ العلم اثناء اقامتهم في معسكر المسلمين في دما (السيب حاليا) وهو كتاب يقع في عدة

مجلدات ضاع بعضها، وبقي البعض الآخر وهو على غرار الموسوعات التي تُولف في العصر الحديث.

وإذا انتقلنا إلى القرن الرابع للهجرة نجد العديد من المدارس العلمية والفقهية في عمان، منها مدرسة الصرح بمدينة بهلا وكانت مدرسة عامرة بالعلم والعلماء أنشأها العلامة أبو محمد عبدالله بن محمد بن بركة السليم البهلوي وأنفق عليها من خالص ماله وتخرج منها أجل علماء عمان في ذلك العصر، منهم أبو الحسن البسيوي ومن طلبة المغاربة أربعون عالما وفقهيا. وكان من أساتذة ابن بركة علماء فطاحل منهم أبو مالك غسان بن محمد بن الخضر الصلاني وأبومروان سليمان بن محمد بن حبيب والإمام سعيد بن عبدالله بن محمد بن محبوب، مما يدل على أن مدارس العلم كانت متصلة. وإزاء هذا النشاط العلمي المكثف فقد ازدهرت المكتبة العمانية وواصلت تزويدها للمكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب القيمة في الفقه والمعاملات والفتاوي والاحكام، وكانت مؤلفات ابن بركة على رأس هذه الكتب، وهي:

- ١ - الجامع في أصول الفقه وفروعه وهو كتاب في مجلدين من أهم الكتب المتخصصة في علم الفقه وقد طبع مرات عديدة.
- ٢ - التقييد وقد قيد فيه ماسمعه من شيوخه أبي مالك الصلاني، ويتضمن تعريفا لمبادئ الامم المختلفة وفلسقاتها.
- ٣ - التعارف وهو كتاب في المعاملات وقد شرح فيه ماتعارف عليه الناس في التعامل.
- ٤ - شرح كتاب الجامع لابن جعفر.
- ٥ - كتاب الموازنة.
- ٦ - كتاب المفسدات.
- ٧ - كتاب منثورة أبي محمد.
- ٨ - كتاب الاقليد.

وقد اغتنت المكتبة العمانية أيضا بمؤلفات عالم آخر هو الشيخ أبوسعيد محمد بن سعيد الكدسي الناعبي الذي ألف كتابا كثيرة منها:

- ١ - كتاب الاستقامة في الولاية والبراءة وهو كتاب مطبوع.
- ٢ - كتاب المعبر في الفقه وهو كتاب يقع في تسعة أجزاء ويعد موسوعة في الفقه، ومما يؤسف له أنه لم يتبق الا جزءان فقط من هذا الكتاب الموسوعي القيم بعد أن ضاعت منه سبعة أجزاء، وقد طبعت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان ما بقي من هذا الكتاب.
- ٣ - كتاب الجامع المفيد وهو مجموعة فتاوي في مجلدين، وقد قامت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان بطبعه كذلك في أربعة مجلدات.
- ٤ - كتاب زيادات الأشراف وهو كتاب مخطوط يقع في أربعة مجلدات تعقب المؤلف فيه كتاب الأشراف لابن المنذر النيسابوري، وهو من أمهات الكتب القيمة في موضوعه. وكان العلامة أبي سعيد الكدسي عالما كبيرا ومدرسة كانت تفتح أبوابها لتلقي طلبة العلم وتدرسه وتأليفه وقد ناقش بنظره الشاقب قضية الخلافات والآراء المتضاربة حول امامة راشد بن النضر وعزل الامام الصلت بن مالك، وما نتج عن ذلك من انقسام الناس إلى طائفتين نزوانية ورستاقية، واستطاع الامام أبوسعيد بحكم آرائه أن يقف أمام الطائفتين وأن يسوى ما بينهما من خلافات وأن يقضي على هذا النزاع، مما يدل على آرائه ثبوت قدمه على صرح العلم وعلى سياسته المقنعة التي

ناقشت تلك النزعة التي مضت عليها فترة من الزمن والناس في صراع مرير، وقد عالج هذه المسألة في كتاب ألفه يسمى كتاب الاستقامة فانسد باب الفتنة بين الفرقتين الرستاقية والزوانية.

ومن علماء تلك الفترة أيضا أبو قحطان بن خالد بن قحطان الهجاري الذي ألف كتابا في أصول الدين والفقه ويقع هذا الكتاب في مجلدين واسمه «الجامع في أصول الدين والفقه» وهو من الكتب المشهورة المعتمدة في هذا الموضوع.

وإذا انتقلنا إلى القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي نجده زاخرا - كذلك - بالعلماء النابهين الذين كانت لهم مدارسهم الفقهية وقدموا للمكتبة العمانية وللدراسات الاسلامية العديد من الكتب القيمة، ومن أشهر هؤلاء العلماء:

أبو الحسن البسيوي، وقد ألف الكتب التالية:

- ١ - جامع أبي الحسن البسيوي، وهو في أربعة أجزاء وهو من الكتب التي طبعتها وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان وهو على طريقة جامع أبي محمد في الأصول والقواعد.
- ٢ - مختصر البسيوي وقد طبعته وزارة التراث أيضا.
- ٣ - سيوغ النعم وهو مازال مخطوطا.
- ٤ - كتاب المقتصد في الاديان والاحكام.
- ٥ - كتاب السيرة الكبيرة.
- ٦ - وله رسائل أخرى صغيرة عديدة.

أبو زكريا يحيى بن سعيد:

وقد ألف كتاب الايضاح في أحكام القضاء وهو من الكتب القيمة المعتمدة في أحكام القضاء، وقد طبعته وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان في أربعة مجلدات.

نجاد بن ابراهيم المنحى، وله الكتب التالية:

- ١ - حقائق الأدلة في خمسة أجزاء.
- ٢ - الارشاد.
- ٣ - الحوالة.
- ٤ - كتاب السيرة.

سعيد بن قريش:

وله كتاب الايضاح وهو يقع في ثلاثة مجلدات.

محمد بن ابراهيم الكندي، وله ثلاثة كتب هي:

- ١ - بيان الشرع وهو مؤلف كبير يقع في اثنين وسبعين جزءا في علم الكلام وعلوم الشريعة فهو موسوعة شاملة تضم أقوال العلماء المتقدمين في هذه العلوم الشرعية، وقد نقل الكندي هذه الأقوال بدقة وأمانة، وقدمها في كتابه الموسوعي القيم ليزود المكتبة العمانية والاسلامية بمصدر قيم لا غنى عنه للدارسين، وقد طبعته وزارة التراث القومي والثقافة.
- ٢ - العبرية، وهي قصيدة شعرية طويلة في الزهد والمواعظ، ووصف الجنة والترغيب إليها، وقد شرح هذه القصيدة محمد بن يوسف اطفيش.
- ٣ - كتاب النعمة، وهو أرجوزة.

وقد كان العلامة محمد بن ابراهيم الكندي تلميذا في مدرسة علمية فقهية كبيرة ازدهرت في أيامه هي مدرسة أبي علي الحسن بن أحمد بن محمد النزوي من أهل العقر، وكان هذا العالم الكبير من أهل الغنى واليسار، وأشهر من تخرج من مدرسة ذلك العالم الذي أشرنا اليه وغيره من العلماء الذين ازدهر بهم عصره. وبجوار هذه المدرسة كانت هناك مدرسة أخرى هي مدرسة الشيخ صالح بن وضاح مؤلف كتاب البصرة. وقد تخرج على يد هذا العلامة كثير من العلماء الأجلاء، منهم العلامة الكبير محمد بن علي بن عبد الباقي العقري النزوي، والعلامة أحمد بن خليل السيجاني مؤلف كتاب الايجاز وغيرهم من الفقهاء الاعلام الذين صرفوا همتهم الى التأليف المتعددة، وتحملوا القضاء في عصرهم.

وفي القرن الخامس للهجرة وجدت مدرسة ثالثة هي مدرسة أبي علي قاضي الامام خليل بن شاذان الذي تولى حكم عمان حوالي عام ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م. أنشأ أبو علي القاضي مدرسة للعلم والتعليم بمحلة العقر من نزوى وكانت هذه المدرسة تغص بالطلبة والدارسين، وكان عالما زاهدا، وقد تقدم اليه بعض الطلبة بمعونة مالية فلم يقبل منهم معونتهم، وقد تخرج الكثير من هذه المدرسة من الفقهاء والعلماء والقضاة وذلك في عصر خليل بن شاذان.

ولم ينقطع ظهور مدارس العلم والفقه في عمان بعد القرن الخامس للهجرة، اذ ظهر فيها علماء عديدون في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، كانت لهم مدارسهم، وكان لهم طلابهم ومريدوهم، وكانت لهم مؤلفاتهم العديدة، وأشهر هؤلاء العلماء:

محمد بن موسى الكندي:

وقد ألف كتابا اسمه «الكفاية» ويقع في واحد وخمسين مجلدا غير أن الكتاب مفقود، كما أن له كتابا آخر في الزهد والوعظ اسمه «جلاء البصائر».

أحمد بن عبدالله الكندي، وله الكتب التالية:

- ١ - المصنف وهو في اثنين وأربعين مجلدا، وقد قامت وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان بطبعه.
- ٢ - الجوهرى المختصر في علم المنطق والفلسفة.
- ٣ - التخصيص في الولاية والبراءة.
- ٤ - التسهيل في الفرائض.
- ٥ - الاهتداء في الأحداث التي وقعت بعمان.
- ٦ - التيسير في النحو.
- ٧ - الذخيرة في علم الكلام.
- ٨ - وله رسائل أخرى في فنون متنوعة، مما يدل على استمرار العطاء وعلى غنى المكتبة العمانية.

واذا انتقلنا الى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي نجد زاهرا أيضا بالعديد من العلماء العمانيين الذين زودوا المكتبة العمانية والاسلامية بكثير من المؤلفات القيمة ومن أبرز هؤلاء العلماء:

عثمان بن عبدالله الأصم، وله الكتب التالية:

- ١ - التاج وهو كتاب قيم في الفقه يقع في واحد وخمسين جزءا، ومما يؤسف له أن

الكتاب مفقود.

٢ - النور في علم التوحيد.

٣ - البصيرة وهو كتاب في العبادات والمعاملات.

٤ - كتاب الأحكام.

٥ - كتاب الأنوار في الأصول.

محمد بن سعيد القلھاتي:

وله كتاب الكشف والبيان ويقع في مجلدين وهو مطبوع.

وقد توالى ظهور مدارس الفقه وعلوم الدين الأخرى في عمان بعد القرن السابع للهجرة وحتى الوقت الحاضر، وأشهر هذه المدارس مدرسة الدولة اليعربية التي نشأت في حصن جبرين أيام الامام بلعرب بن سلطان اليعربي في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر للميلاد وتخرج من هذه المدرسة أكثر علماء عصرهم يومئذ، وعلى رأسهم العلامة خلف بن سنان الغافري، والعلامة محمد بن عبدالله بن جمعة بن عبيدان، والشاعر الأديب الحبسي راشد بن خميس. وإذا قلنا أن عصر هذه المدرسة في دولة اليعاربة يعد الجوهرة النفيسة في تاج هذه الدولة بعد الامام ناصر بن مرشد فلا نكون مبالغين، وخاصة أن أشار هذه المدرسة لاتزال قائمة حتى الآن، وكانت تضم العشرات من الطلبة آنذاك لما كان عليه الناس من اقبال على العلم والتعليم.

وكذلك توالى ظهور هذا النوع من المدارس الفقهية والدينية في عهد الدولة البوسعيدية. ففي عهد هذه الدولة ظهرت مدرسة العلامة الضير حبيب بن سالم بن محمد البوسعيد الذي كان قد طلب العلم في سن متقدمة، وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء والقضاة وكان ممن عقد الامامة للامام أحمد بن سعيد البوسعيد وكانت مدرسته بمحلة العقر في نزوى، وبجانب هذه المدرسة ظهرت مدرسة أخرى هي مدرسة العلامة أبي نيهان جاعد بن خميس بن مبارك الخلي الخروصي، وقد خصص هذا العالم الكبير مسجده المعروف بمسجد الحشاه للتدريس لطلابه الذين كان ينفق عليهم لأنه كان غنيا موسرا، ومن ثم هاجر اليه الطلبة من البلدان والقرى ليتلقوا على يديه الدروس والعلوم المختلفة، وكان ينتقل أحيانا الى القرى المجاورة لبلدته كالعلياء وبدي والعوابي، وتخرج الكثير من العلماء على يديه، وكان من أجل تلامذته ابنه العلامة ناصر بن أبي نيهان الذي عرف بعلمه وزهده، والشيخ العلامة سعيد بن محمد بن راشد بن بشير الخروصي، وحسن درويش الفلكي المشهور بعلم الفلك وهو من أسرة الشح، والشيخ الضير منصور بن محمد بن نار بن خميس الخروصي شارح لأمية ابن النظر في مناسك الحكم مما يدل على غزارة علمه وبلاغته في الفقه واللغة والأدب.

وإذا كان تلاميذ العلامة أبي نيهان بن جاعد بن خميس الخروصي هكذا كثيرون، فإن كتبه ومؤلفاته كانت أيضا كثيرة أغنت المكتبة العمانية وأثرت بها. وتشمل هذه المؤلفات كتابا هامة في مختلف العلوم والفنون، وهي كالآتي:

كتاب الدقائق وكتاب المساجد والمدارس وكتاب في البيوع وكتاب في الصوم والبيوع وايضاح البيان فيما يحل ويحرم من الحيوان ونزهة العقول في الرمل وأشكاله ومجموعة فقهية سؤال وجواب وشرح لقصيدته حياة المهج في السلوك وموسوعة فقهية من الاثر في الاصول ومسائل فقه الدين واحكامه وخلاصة النهج في مناسك

الحج وكتاب في الطهارة وكتاب سيرة ملوك الزمان مقتضى النصح والارشاد وكتاب مقاليد التنزيل لادراك حقائقه بالتأويل، وهو موسوعة تشتمل على الكثير من الأبواب، وهذا الكتاب يوجد بمكتبة وزارة التراث القومي والثقافة بخط يد المؤلف، وله أيضا كتب أخرى منها: كتاب في صناعة الكيمياء وكتاب في أحكام البيوت المحصنة وكتاب المغانم في الخلاص من المظالم بخط يد المؤلف في مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدى وكتاب في الطب وله قصائد مجموعة في كتاب نفائس العقبان في مجموعة أشعار أبي نيهان وكتاب في النحو وكتاب في الصرف وعلم الكلام.

وفي القرن الثالث عشر للهجرة / التاسع عشر للميلاد ظهرت في عمان مدرسة فقهية علمية كبيرة هي مدرسة الشيخ ناصر بن أبي نيهان وذلك بعد حوادث جرت على قرية والده الشيخ أبي نيهان أحرقت فيها مكتبته القيمة ونهبت كتبه التي كان لا يقل عدد أسفارها عن ستة آلاف كتاب، ولم يعثر منها الا على القليل. وازاء هذه الاوضاع وتلك الظروف عزم الشيخ ناصر بن أبي نيهان على الرحلة ليكون مقره بمسقط حيث أقام مدرسته هناك بدارسيت ثم بوشر، وهاجر اليه الطلبة وعرف عنه نشر العلم وبذله لأهله بجميع فنونه وأصنافه التي أتاه الله إياها أيام دولة السلطان سعيد بن سلطان، فخرج على يديه أجلة العلماء الفضلاء، منهم العلامة المحقق سعيد بن خلفان بن أحمد ابن صالح الخليلى، والسيد العلامة الضرير مهنا بن خلفان بن محمد البوسعيدى، والشاعر المؤرخ الفقيه حميد بن محمد بن رزيق وكان صديقا له لا يفارقه، ولا شك أن كثر حملة العلم في زمانه وأيامه التي عاشها بمسقط، ثم رحل الى زنجبار بمعية السلطان سعيد بن سلطان وقام هناك بالتدريس وأنفع الجم الغفير من علومه ومعارفه، ولم يلبث أن توفي بزنجبار في عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م. وكان هذا العالم الكبير وأفر العلم كوالده، وكان لذلك وأفر التأليف له كتب ومؤلفات كثيرة وعديدة منها:

كتاب حق اليقين وهو في خمسة أجزاء وكتاب الجواب وكتاب الاخلاص لنور العلم والخلاص (مكتبة محمد بن أحمد البوسعيدى)، كتاب نظم السلوك الى ملك الملوك شرح الثائية لابن الفاراض، كتاب فك الأنوار ومحك الأشعار، كتاب مبدأ الأسفار، كتاب التهذيب، كتاب الكشف في علم الحرق، كتاب الصف المصفى، كتاب غاية المنى، كتاب المعارف في الزيارج، كتاب الرسائل المصونة في الأسرار المكنونة، كتاب الرسالة المكنونة في الأشكال المصونة، كتاب مستغرق الأشواق في علم الأوفاق، كتاب روضة العلوم في علم الحروف والنجوم، كتاب درة الآفاق في علم الحروف والأوفاق، كتاب نيل الاشراف على الحروف والأوفاق، كتاب عجائب الآفاق في غرائب الاوفاق، كتاب قيس الأنوار وجامع الأسرار، كتاب الكنز الباهر في شرح حروف الملك الظاهر، كتاب منتهى الكرامات في أسرار الرياضات، كتاب المعارف، كتاب رسالة الأوضاع، كتاب طرف الألفاظ، كتاب السر الخفي في الشكل الألفي، كتاب السر العلي في خواص النبات بالتدبير السواحلي، كتاب السر المعظم، كتب التنبيه، كتاب رسالة الفوز، كتاب الرسالة المديدية، كتاب سلامة الحال.

وفي ذلك القرن توالى ظهور المدارس العلمية والفقهية، من ذلك مدرسة الشيخ العلامة سعيد بن خلفان الخليلى الذي ترك لنا ستة كتب من تأليفه، منها كتاب مقاليد الصرف وهو كتاب كبير في علم الصرف.

وقد درس بمدرسة هذا الشيخ المحقق كثير من حملة العلم، منهم الامام عزان بن قيس البوسعيدى، وابنه الشيخ أحمد بن سعيد، والشيخ جمعه بن خصيف الهنائي، والشيخ

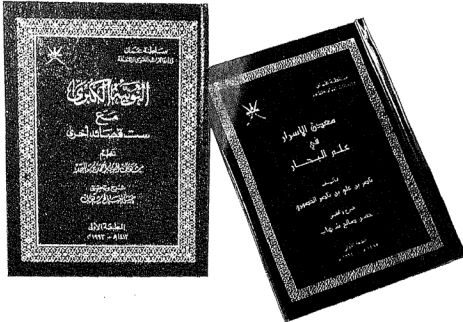
راشد بن عزيز الخصيبي الذي أدرك الشيخ سعيد وابنه أحمد، وتلقى العلم في جامع سمائل الذي كان مدرسة العصر في اوانه، ولاشك ان سمائل لا تخل من العلماء الذين نشروا العلم والمعرفة في ربوع ملك المدينة وتخرج من مدرستها العلماء والفقهاء والادباء. ومن أبرز المدارس الفقهية والعلمية في مطلع القرن الرابع عشر للهجرة مدرسة الشيخ نورالدين السالمي الذي صرف معظم وقته في بذل العلم والمعرفة حتى أصبح أستاذا للأمة جميعا، اذ وقد اليه أعداد كبيرة من الطلبة من مختلف أنحاء عمان بحثا عن العلم والمعرفة فبذل جهده الأكبر في تأليف العلوم وتصنيفها، وتعليم الطلبة الذين نهلوا من بحر علمه وتخرج على يديه الكثير من فحول العلماء مما يبين أثر مدرسته الكبير رغم عمره القصير.

وقد ترك هذا العالم الجليل ذخيرة من الكتب والمؤلفات تزخر بها المكتبة العمانية، والتي غطت الكثير من مجالات العلوم كأصول الدين والفقه، والتاريخ واللغة العربية، ومن أبرز هذه المؤلفات:

مدارج الكمال ومعارج الآمال نظما وشرحا (١٨ مجلدا)، أنوار العقول في أصول الدين، بهجة الأنوار شرح أنوار العقول، مشارق الأنوار شرح أنوار العقول، شرح الجامع الصحيح (ثلاثة أجزاء)، جوهر النظام (نظما في جزئين)، تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان (في جزئين)، المنهل الصافي في العروض والقوافي، تلقين الصبيان فيما يلزم الانسان، بلوغ الأمل في النحو.

ومسك الختام في القرن الرابع عشر للهجرة مدرسة الامام محمد بن عبدالله الخليلي في نزوى، ونزوى هي المدرسة الكبرى التي تخرج منها أكثر من أربعين قاضيا غير الفقهاء والادباء والكتاب والنساخ وحملة العلم، ومن الولايات التي أقيمت فيها المعاهد العلمية التي تأسست على هذه المدرسة بهلا والحمراء والريستاق والعوابي ووادي المعاول ونخل وسمائل وابراء والقابل وبديه والمضيبي وسناو.

وهكذا زخرت الدولتان العربية والبوسعيدية بالوافر من العلماء والمدارس والمؤلفات، ولم يكن مازكرناه هو كل مظهر في عصر هاتين الدولتين، فهناك الكثير



والكثير مما لم نذكره خوفاً للتطويل، من ذلك على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر: الإيجاز في الفقه ومؤلفه أحمد بن خليل السيجاني، وكتاب مفتاح الشريعة في الفقه ومؤلفه محمد بن إبراهيم الشجبي، وكتاب مراهق القلوب في مناجاة المحبوب ومؤلفه محمد بن إبراهيم الشجبي الكندي كذلك وهو كتاب في المواعظ، وكتاب مصباح الظلام للرقيشي، وكتاب الحل والاصابة لابن وصاف، وكتاب منهج الطالبين للشيخ الشقصي في واحد وعشرين مجلداً، وقد طبعته وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان، وكتاب جواهر الآثار للشيخ جمعه بن علي الصائفي ويقع في أربعة عشر مجلداً من الحجم الكبير، وكتاب قاموس الشريعة ويقع في اثنين وتسعين جزءاً، وتقوم - حالياً وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان بطبعه ليستفيد الدارسون منه، وكتاب الدعائم للشيخ أحمد بن النظر الذي ألف كتاباً في التوحيد والفقه والتاريخ والأدب غير أن الكتب تعرضت للحرق في حكم النباهنة على يد أحد حكامهم بعد أن تعرض المؤلف نفسه للقتل على يد أحد حكامهم فلم يبق من مؤلفاته العديدة القيمة غير كتاب الدعائم، وكتاب جامع أركان الاسلام للشيخ سيف بن ناصر بن سليمان الخروصي العريق، وكتاب الجواهر للشيخ سالم بن سعيد الصايغي ويقع في خمسة عشر جزءاً، وكتاب لباب الآثار للشيخ مهنا بن خلفان البوسعيدى وقد طبع منه أربعة عشر جزءاً، وكتاب الأخبار والآثار للشيخ سالم بن عبدالله بن راشد البوسعيدى، ويقع في جزئين، وكتاب تذكرة الحكام في معنى الدعاوي والأحكام للشيخ سليمان بن مبارك بن علي البوسعيدى. وهناك علماء آخرون كثيرون لهم مؤلفات عديدة منهم:

الشيخ ناصر بن سالم بن عديم الرواحي صاحب المؤلفات الكثيرة، منها:

كتاب نثار الجوهر في الاثر وكتاب النشأة المحمدية وكتاب النور المحمدي وكتاب النفس الرحمانى وكتاب الفتوحات الصمدية وكتاب السؤالات وكتاب العقيدة الوهية وكتاب في التوحيد وكتاب المنظوم في السلوك والالهيات والتوسلات وجزء آخر في المراتي والاخوانيات وجزء من نظمه في الاستنهاض بحقوق الله تعالى وهو من الشعراء العلماء الفطاحل رحمة الله عليه.

وهناك أيضاً الشيخ منصور بن ناصر بن محمد بن سيف بن محمد بن عدي بن فارس الفارسي الفنجائي قاضي الامام الخليلى وصاحب المؤلفات الكثيرة التي تشتمل على كتاب الدرر المنثورة شرح المقصورة التي للشيخ ناصر بن سالم وكتاب رياض الازهار والدرر البهية وتقريب الاذهان والغاية القصوى وغاية الاوطان وصموت الغرايد وغاية الاجتهاد مدح خير العباد وهداية الرحمن في ثبوت خلق القرآن ومنة الرحمن في اقامة الجمعة في عهد السلطان والنصائح في أحكام الجوائح والدر النضيد في معرفة التوحيد.

وهذه المؤلفات التي ذكرناها على سبيل المثال ان دلت على شيء فانما تدل على ماكان لعمان من عظمة علمية، كما تدل على رسوخ العلم في عمان منذ فجر الاسلام وحتى الآن، فقد بزغ نجم علماء عمان في سماء العلم منذ القرن الاول الهجري فظهرت المكتبة العمانية، وهي تضم العديد من أمهات الكتب العلمية في الحديث والتفسير والفقه والتاريخ والأدب ومختلف العلوم والفنون بصورة لم يكن لها مثيل في الاقطار الاسلامية المختلفة، بحيث يجدر بكل دارس للحضارة الاسلامية الراقية وللثقافة الاسلامية الرفيعة أن يدرس المكتبة العمانية ويتقصى كل مايتعلق بنشاطاتها وتاريخها وتطورها منذ شروق شمس الاسلام حتى يومنا هذا، ليقف على ماقدمه

علماء عمان للثقافة الاسلامية من خدمات عن طريق مؤلفاتهم القيمة الرائدة في مختلف ألوان العلم والمعرفة، لأن الأمانة العلمية تقضي باسناد الفضل لأهله.

وليس من شك في أن الباحث يستطيع أن يدرك غزارة التراث العماني وفورته وتبوعه من أسماء المصادر العمانية التي استند اليها العلماء الذين الفوا في كل علم وفن والتي عرضنا للكثير منها. وبالرغم من ضياع الشيء الكثير من التراث العماني بسبب ماتعرضت له عمان والديار الاسلامية من الفتن والحروب. وبالرغم من أن خصوم الاباضية الاقوياء من الامويين والعباسيين والفاطميين، قد فتكوا بمصادر وتراث الاباضية العظيم بقدر استطاعتهم، فإن المصادر الاباضية التي حفظت من يد العيب والضياع لازال معظمها مخطوطا أو غير معروف للباحثين.

والحق ان عمان منذ فجر الاسلام كانت تزخر بالادباء والعلماء والفقهاء، وأهل الفتيا، وأهل الفكر والسياسة، وأهل الحرب والتجارة.

وظلت عمان تعطي وتأخذ العلوم حتى وقتنا الحاضر، باستثناء الفترات التي غلبت فيها الفتن، أو تلك التي حاول فيها المغتصبون سلب سيادتها. ولم يكن عطاء عمان قاصرا على عمان وديار الاسلام بل اتسع العطاء الى الشرق الاقصى شرقا وإلى افريقيا غربا.

ولايسعنا في هذا المقام إلا أن نذكر أن عمان منذ اسلامها وهي حصن للدين ورمز للاخوة الاسلامية والعربية وقلعة أمامية للعروبة والاسلام.

مدرسة اللغة العربية وعلومها وأدائها (*) :

وإذا كان العمانيون قد ضربوا بسهم وافر في القرن الثاني الهجري في ميدان الحديث والفقه، فقد برزوا على غيرهم في ميدان آخر الا وهو ميدان اللغة، وذلك على يد عبقرية العرب والمسلمين جميعا الخليل بن احمد الفراهيدي الأزدي العماني (١٠٠ - ١٧٠هـ / ٧١٨ - ٧٨٦م).

نشأ الخليل بن احمد في ودام الساحل بالمصنعة بساحل الباطنة في عمان، ورحل الى البصرة واصبح نجمها المتألق، فابتكر علم العروض ومعجم العين والميزان الصرفي وصار أستاذًا للغة في بلاد العراق، والف في علوم كثيرة برز فيها غيره، مما يدل على أن العمانيين كانوا سباقين في ميدان التأليف في مختلف العلوم والفنون^(٧).

وفي القرن الثالث للهجرة بزغ من عمان عالمان كبيران أحدهما شاعر فحل هو ابوبكر محمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣ - ٣٢١هـ / ٨٢٨ - ٩٣٣م). نشأ ابن دريد بعمان وتنقل بين البصرة وفارس وبغداد، وكان أعلم الناس في زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وانسابها، وانتهى في اللغة الى مقام الخليل بن احمد فيها، وأورد أشياء لم توجد في كتب المتقدمين، وكان يقال انه أعلم الشعراء وأشعر العلماء، ولما مات قيل مات علم اللغة، ومع أنه عاش معظم أيام حياته في العراق ومات فيه، إلا أن المسعودي لم ينس أن يصفه بأنه عماني وقد ألف ابن دريد كتبًا كثيرة منها كتاب الجمهرة في اللغة وكتاب الاشتقاق في اللغة وهو من أهم المصادر في هذا الميدان الى غير ذلك من الكتب النافعة^(٨).

أما العالم العماني الثاني فهو الاديب الكبير أبو العباس المبرد (٢١٠ - ٢٨٦هـ / ٨٢٥ - ٨٩٩م). نشأ المبرد في بلدة مقاعس التي تقع بين صحم والخابورة بساحل

الباطنة في عمان، ثم رحل الى العراق وأصبح اساميا في النحو واللغة، والف فيها كتباً كثيرة منها كتابه الشهير الكامل في الادب، وكتاب الروضة، وكتاب المقتضب وغير ذلك مما برز فيه اقرانه وأهل زمانه^(٩).

واستمر العمانيون في التأليف في علوم اللغة بعد ذلك حيث نرى أبا المنذر سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري ألف أربع كتب منها كتاب في اللغة العربية يسمى (كتاب الابانة) وهو من الكتب المعتمدة والمفيدة في علوم اللغة العربية.

أما في الشعر فقد زحرت عمان بالشعراء منذ العصر الجاهلي، مثال ذلك مالك بن فهم وأولاده وغيرهم من أهل عمان^(١٠). وكان من شعرائهم الذين عاشوا في اواخر العصر ثم لحقوا عصر البعثة النبوية، مازن بن غضوبة السعدي السمائي الطائي العماني الذي قال شعرا دونته المصادر التاريخية^(١١). ورحل الى المدينة المنورة حيث أسلم وعاد الى عمان ينشر فيها الاسلام مما سبق الحديث عنه.

وفي غمرة الاحداث التاريخية التي تعرضت لها عمان في عصر بني أمية وعصر بن العباس ضاع الكثير من الشعر الذي قاله العمانيون، ومع ذلك فقد بقي منه ما أثبتته كتب التاريخ والادب من ذلك ما قاله المهالبة من الشعر^(١٢). ومقاله ثابت قطنة العتكي^(١٣). وقد سبقت الاشارة الى أن ابن دريد كان شاعرا وأديبا عبر عن الاحداث التي وقعت في عمان، من ذلك قصيدتان قالهما اثر وقعة الروضة بتتوف التي حدثت أبان الصراع بين العمانيين بعضهم البعض عقب عزل الامام الصلت بن مالك عام ٢٧٣هـ / ٨٨٦م، وقد اورد العوتبي وعنه اخذ السالمي هاتين القصيدتين^(١٤).

وفي تلك الفترة او في ذلك القرن لم يكن قول الشعر قاصرا على الرجال من العمانيين وحدهم، بل كان بضاعة اشترك فيها النساء من العمانيات ايضا، من ذلك قصيدة طويلة قالتها امرأة تسمى (الزهراء) مستغنية بامام عمان الصلت بن مالك من هجوم الاحباش على وطنها سقطره، فأغاثها هذا الامام باسطول وجيش جرار استرد الجزيرة وقضى على الغزاة المعتدين^(١٥).

وكان هناك من الائمة من يقول الشعر، مثال ذلك الامام راشد بن سعيد اليمحمدي الذي تولى الإمامة بعد موت الخليل بن شاذان في عام ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م، وقد اورد صاحب كتاب الأنساب وعنه اخذ نورالدين السالمي ماقاله هذا الامام من شعر في قصيدة طويلة يصف فيها الاحداث التي نجمت عن تمرد بعض القبائل ضده^(١٦).

وعندما انتقلت الدولة الى النبهانيين ارتفع شأن الشعر وراجت بضاعته، فقد كان كثير من ملوك النباهنة شعراء، مثل ذلك سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني، صاحب الديوان الغزلي الحماسي وغيره من ملوكهم ولذلك ظهر شعراء مجيدون قالوا الشعر في مدح النباهنة، مثال ذلك الشاعر ابوبكر احمد بن سعيد الستالي الذي ألف ديوانا ضخما في هذا الميدان^(١٧).

اما في عهد اليعاربة فقد ازدهر الشعر ازدهارا عظيما بعد ان حقق اليعاربة انتصارات كبيرة على البرتغاليين وطردهم من البلاد وتعقبهم في افريقيا وفي المحيط الهندي، فقام الشعراء يعربون عن هذه الانتصارات، من هؤلاء الشعراء خلف بن سنان بن خلفان بن عثيم الغافري الذي وصف انتصارات وفتوحات الامام سلطان بن سيف في قصيدة طويلة اوردها السالمي في تحفته^(١٨). وقال ايضا واليه الشيخ

محمد بن مسعود الصارمي في قصيدة طويلة عبر فيها عن مسير هذا الامام الى بته (بات) وفتحها^(١٩).

وفي عهد الامام بلعرب بن سلطان بن سيف ظهر شاعر مجيد هو راشد بن خميس الحبسي الذي ولد بقرية (عين بني صارخ) من قرى الظاهرة في عمان في عام ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م، واصيب بالعمى وهو طفل صغير، ثم انتقل الى قرية جبرين بعد وفاة والديه حيث ربه الامام بلعرب واحسن اليه، فتعلم القرآن والنحو والصرف واللغة واصبح شاعرا مجيدا حاذقا، وعاش زمنا طويلا وانتهى به المقام في نزوى وقال شعرا كثيرا في مدح بلعرب وفي اخيه الامام سيف بن سلطان الذي تولى بعده وفي وصف حصن جبرين وغير ذلك من الاغراض التي تطرق اليها^(٢٠). وكان الامام بلعرب بن سلطان يقول الشعر، ومن ثم كان تشجيعه للشعر والشعراء^(٢١).

واستمر الشعراء في عهد اليعاربة يقولون الشعر في المدح والوصف والرشاء، فعندما مات الامام سيف بن سلطان قيد الارض رثاه الشعراء بقصائد طويلة منها قصيدة قالها محمد بن صالح المنتفقي البصري ساكن الصير في هذا المعنى، اوردها السالمي الذي يقول انه لم يظفر بجمعيتها وانما وجد منها قطعة كبيرة بلغت ابياتها اربعة وستين بيتا وصفها السالمي بانها جيدة بليغة المعاني^(٢٢).

واستمر الشعر في الازدهار في عصر الدولة البوسعيدية، وكان بعض السلاطين البوسعديين يقولون الشعر، ولذلك شجعوا الشعر والادب. من هؤلاء السيد سعيد بن الامام احمد بن سعيد الذي تولى حكم عمان بعد وفاة ابيه وقال شعرا اثبتته السالمي في تحفته^(٢٣). وكذلك السيد هلال بن الامام احمد بن سعيد (ت ١٢٣٦ هـ). أما الشعراء الذين ظهروا في عهدهم فعددهم كبير منهم على سبيل المثال الشيخ عمرو بن عدي بن عمرو بن محمد البطاشي (ت ١٢١٧ هـ / ١٨٩٩ م) والشيخ سعيد بن مسلم بن سالم البحري السمائي (ت ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م) والشيخ سليمان ابن سعيد بن ناصر الكندي النزوي (ت ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م) والشاعر حمود بن محمد بن سعيد الخروصي (ت ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م) والشيخ جمعه بن سليم بن هاشل الخنجري الحارثي (ت ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م) والشيخ الاديب عبدالرحمن بن ناصر بن عامر الريامي الازكري (ت ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م)، والشيخ محمد بن سيف بن عبدالله السعدي السمائي (ت ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م) والشيخ عبدالله بن سليمان بن عبدالله بن سعد الله النبهاني (ت ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م) والطبيب الماهر سعيد بن راشد بن مسلم الفارسي السمائي (ت ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧ م) والشيخ سيف بن سالم بن هاشل المسكري (ت ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ م) والشيخ احمد بن عبدالله بن احمد بن صالح الحارثي (ت ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م) والشيخ الاديب محمد بن عيسى بن صالح بن علي الحارثي (ت ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٦ م) والشيخ العلامة احمد بن سعيد بن خلفان الخلي السمائي (ت ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦ م) والشيخ سعيد بن حمد بن عامر بن خلفان الراشدي السنائي (ت ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م) الى غير ذلك من الشعراء الذين لا يمكن حصرهم والذين تركوا لنا دواوين عديدة في الشعر، مثل ديوان المعولي وديوان النبهاني والبهلاني وابن شيخان والخليبي وابن رزيق وابن عرابية، وهي دواوين مطبوعة كلها، وهناك غيرها مما لم يطبع بعد، مما يدل على نهضة ادبية كبيرة غمرت عمان منذ ظهور الاسلام وحتى القرن العشرين.

المدرسة التاريخية العمانية مناهجها واتجاهاتها:

لم يكن للعمانيين في عصور الاسلام الاولى اهتمام بالتاريخ كاهتمامهم بعلوم الدين واللغة، ولذلك ندرت الكتابات التاريخية لديهم في تلك العصور. ففي القرون الخمسة الاولى للهجرة لانجد الا كتابا واحدا الفه سلمة بن مسلم العوتبي الصحاري، وهو كتاب في الانساب وليس في صميم التاريخ، فهو لا يتحدث الا عن انساب عرب الجنوب وخاصة ازد عمان وعن استقرارهم في عمان ودورهم في تطور الامامة فيها، ويشد من ازر كتاب الانساب هذا، بعض السير والتراجم العمانية التي كتبت في تلك الفترة مثل سيرة شبيب بن عطية العماني الذي عاش في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة، وكان من ائمة الاباضية بعد سقوط الامامة الاباضية الاولى عام ١٣٤هـ/ ٧٥١م على يد العباسيين، ومثل سيرة ابي المؤثر الصلت بن خميس الذي عاصر مهنا بن جيفر (ت ٢٣٧هـ/ ٨٥١م)، وشهد بيعة الصلت بن مالك (٢٣٧ - ٢٧٣هـ/ ٨٥١ - ٨٨٦م)، ومثل سيرة ابي الحسن بن محمد البسيوي الذي عاش في القرن الثالث الهجري ايضا وشهد سقوطه الامامة الاباضية الثانية عام ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م، والف في ذلك سيرة سماها (الحجة على من ابطال السؤال في الحدث الواقع بعمان)، هذا وان كانت هذه السير والتراجم مفيدة بالنسبة لتاريخ عمان الا انها قليلة ولا تغطي الا جانبا محدودا جدا في هذا التاريخ^(٢٤).

وقد ذكر الشيخ مهنا بن خلفان الخروصي عضو لجنة مراجعة هذا الكتاب عددا آخر من السير لياس به، ولكن معظم هذه السير لاتفيد كثيرا في كتابة تاريخ عمان، لانها لا تهتم مثل السير الاخرى الا بالحديث عن الجوانب المذهبية والفقهية وعن الاحداث المتعلقة بالامامة والائمة وماشجر بين العمانيين من خلافات بسبب هذا الموضوع، اما النظم والجوانب الحضارية فلم تهتم بها على الاطلاق. وهذه السير التي جمعها الشيخ مهنا في غالبها رسائل أرسلها بعض العلماء الى الائمة لتصحيحهم في امور معينة، او لتبيان بعض قواعد المذهب فيما اشكل من امور تتعلق بتطبيقه في ناحية من النواحي او في امر من امور الحكم والسياسة والدين. وبعض هذه السير كانت عبارة عن رسائل ارسلت الى الجماعات الاباضية التي كانت تعيش خارج عمان مثل حضرموت واليمن وشمال افريقيا لنفس الاغراض السابقة الذكر.

والائمة على هذه السير كثيرة منها سيرة المنير بن النير الجعلاني الى الامام غسان، وسيرة ابي سفيان محبوب بن الرحيل الى أهل عمان في أمر هارون بن اليماني الشيعي، وسيرة ابي سفيان محبوب بن الرحيل الى أهل حضرموت، وسيرة هارون اليماني الشيعي الى الامام مهنا بن جيفر في أمر محبوب، وسيرة ابي الحواري محمد بن الحواري الى أهل حضرموت وسيرته أيضا الى أهل عمان، وسيرة ابي بكر احمد بن عمر في احكام الحاربة، وسيرة هاشم بن غيلان الى الامام عبدالمك بن حميد، وسيرة لوائل بن أيوب فيما يتعلق بأمور المذهب وسيرة أحمد بن محمد بن صالح في أحداث نزوى.

أما في القرون الخمسة التالية والتي تبدأ من السادس وتنتهي بنهاية العاشر للهجرة، لم يترك العمانيون القدامى شيئا تقريبا في مجال التاريخ، وليس لدينا عن تلك الفترة الا كتابات اخوانهم من الاباضية في شمال افريقيا، مثل كتاب سير الائمة واخبارهم المعروف بتاريخ ابي زكريا (ت ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م)، وكتاب السيرة واخبار الائمة للورجلاني (٥٧٠هـ/ ١١١٤م) وطبقات الاباضية للدرجيني (ت حوالي

٦٧٠هـ/ ١٢٧١م) وكتاب الجواهر المنتقاء في اتمام ما اخل به الطبقات للبرادي «قرن ٨هـ» وكتاب (السير) للشماخي (ت ٩٢٨هـ/ ١٥٢١م). وهي كتب وكما نرى ترجم لرجال المذهب الاباضي في البصرة وفي شمال افريقيا، وبعضها يتحدث بأسهاب عن صراع الاباضية مع الأمويين والعباسيين، وهي لا تهتم كثيرا بتاريخ عمان ولا تذكر الا ما هو خاص ببعض علمائها واثمتها، وكان الاولى بالعمانيين القدامى ان يكتبوا لنا بالتفصيل عن تاريخ بلدهم وتاريخ حكامهم وحضارتهم، ولكنهم لم يفعلوا، ويفسر لنا الشيخ نورالدين السالمي رحمه الله هذا الامر في تحفته في عبارات مقتضبة وان كانت واضحة ومفيدة فيما نذهب اليه، فقد أشار الى أن «التاريخ لم يكن من شغل الأصحاب، بل كان اشتغالهم بإقامة العدل وتأثير العلوم الدينية، وبيان ما لابد من بيانه للناس، أخذا بالآهم فالآهم، فذلك لاتجد لهم سيرة مجتمعة، ولا تاريخا شاملا»^(٢٥).

ومعنى ذلك أن كتاب عمان القدامى اهتموا أثناء حكم الأئمة بالتدوين في علوم الدين والفقه، ولذلك تركوا لنا تراثا كبيرا وغزيرا في هذا المجال. وفي غير هذه الجوانب، لم يتركوا لنا الكثير كما سبق القول، وكانت قلة كتاباتهم التاريخية تعود الى عامل آخر، هو أن حكم الأئمة لم يكن مستمرا ومتصلا، فقد كانت القوى الداخلية الأخرى أو الخارجية تسيطر على الحكم وتقيم دولا حاكمة في عمان، حينئذ كان الأئمة ومؤيدوهم يعتبرون هؤلاء الحكام حكاما جبابرة غير عدول، ولذلك لم يكتبوا تاريخا لعمان يذكر هذه العصور أو يتناول حكم هؤلاء الحكام^(٢٦)، وربما استغرق حكم الدولة الواحدة قرونا عديدة ولكن كتاب عمان القدامى لم يعطونا شيئا مفيدا عنها أو عن تاريخها، والمثال على ذلك دولة بني نبهان التي حكمت عمان حوالي الخمسة قرون من الزمان، ورغم ذلك لم يتصد لذكرهم الا شاعرهم الستالي في ديوانه، حيث أشار الى بعض أسمائهم وبعض أعمالهم^(٢٧).

وعلى ذلك فإن العمانيين القدامى لم يدونوا تاريخ الأئمة تدوينا يذكر أخبارهم بالتفصيل، ويعطينا سلسلة متصلة الحلقات لحكم هؤلاء الأئمة ولم يعطونا تاريخا حضاريا لعمان في تلك الفترة من التاريخ الاسلامي الوسيط، كما أنهم لم يفعلوا نفس الشيء بالنسبة لغير الحكام من الأئمة، لاسيما وقد اعتبروهم جبابرة مثل النبهانيين وغيرهم ممن حكموا عمان في تلك العصور الغابرة^(٢٨)، وربما يكون العمانيون في العصور الاسلامية التي نقصدها بالحديث قد كتبوا، ولكن هذه الكتابات لم تصل الينا، ولا الى من تصدى لكتابة تاريخ عمان كابن رزيق وصاحب كشف الغمة، والسالمي، والسيابي وغيرهم في العصر الحديث، ولا شك أن أحداث الزمان وقيام الفتن الداخلية والحروب المحلية، والهجمات الخارجية التي تعرضت لها عمان في كثير من الأحيان، وما صاحب ذلك كله من تخريب ودمار وقتل واحراق هو السبب المسؤول عن ضياع هذه الكتابات، ويكفي ماتشير اليه بعض الروايات من أن حريقا شب في مدينة الرستاق فالتهم تسعة آلاف كتاب^(٢٩).

وقد نتج عن ذلك كله ندرة في المصادر والمراجع التاريخية القديمة التي اعتنت بتاريخ عمان وحضارتها، وكانت هذه الندرة سببا واضحا في ذلك القصور الذي نراه في الكتابات التاريخية التي كتبت على يد العمانيين في العصر الحديث، ونقصد بالقصور هنا أمرين: الأول هو عدم وجود تاريخ متصل لحكام عمان سواء كانوا أئمة أم سلاطين منذ ظهور الاسلام وحتى قدوم البرتغاليين، والثاني عدم تدوين التاريخ الحضاري لعمان تدوينا شاملا بحيث يغطي كافة الجوانب الحضارية المختلفة،

تلك الجوانب التي كان لابد من تدوينها حتى يبرز تاريخ هذا الشعب وحضارته بروزا كاملا وواضحا ومفيدا^(٣٠).

الا ان العمانيين قد نشطوا منذ عهد البعارة في تقصي تاريخهم وفي تدوينه، ونتج عن ذلك ظهور كتابات ومدونات تاريخية عديدة، يرجع بعضها الى بداية القرن الحادي عشر للهجرة / القرن السابع عشر للميلاد، وازداد عدد تلك الكتب في القرون التالية، بحيث أصبحت تشكل ثروة تاريخية هائلة لا غنى عنها للباحث في التاريخ العماني الحديث، بيد أن كثيرا من المؤلفات العمانية قد أُلغيت أو أُحرقَت بسبب الحروب الاهلية القبلية التي وقعت في عمان - بخاصة خلال القرن الثامن عشر - وهذا ما أكدّه الازكوي - أحد مؤرخي القرن المذكور - حيث قال: «واحترقت كتب كثيرة لم يكن لها نظير في عمان»^(٣١). ويقدر عدد الكتب المحروقة آنذاك بحوالي تسعة الاف وثلاثة وسبعين مخطوطا^(٣٢).

على أن سالتقى من كتب التاريخ العماني مايزال كثيرا، وإن ظل مبعثرا في شكل مخطوطات في مكتبات العالم المختلفة من جهة، وفي عمان من جهة أخرى، حتى ظهرت في السنوات الاخيرة اهتمامات كبيرة لجمع شتات التراث العماني وحيائه ونشره، وأصبح كثير من المخطوطات التاريخية العمانية المعروفة متوفرة بين أيدي الباحثين الآن. ومن خلال ما نشر عن هذه المخطوطات سستقوم دراستنا على طباعة المؤلفات العمانية ونهجها التاريخي.

ولعل المتمعن في دراسة تاريخ عمان الحديث يجد أن هناك مدرسة فكرية واحدة، وهذه المدرسة تقوم على تدوين الاحداث التاريخية حسب مفهوم المذهب الاباضي، وهو المذهب السائد في عمان منذ فجر الاسلام وحتى الآن. ووفقا لهذا المذهب فقد حظي عالم الدين بمكانة كبيرة لم يعطه اياها أي مذهب ديني آخر. وبفضل هذه المكانة التي تبوأها علماء الدين في المذهب الاباضي، فقد استطاعوا أن يرسموا الاطار العام الذي ظهرت فيه كتب التراث العماني عامة وكتب التاريخ على وجه الخصوص. لقد ظهرت كتب التاريخ العماني، على الرغم من تعددها واختلاف زمن تأليفها، محدودة الاطار في تسجيل وقائع وأحداث مجتمع الاباضية في عمان، أو حسبما أوردته تلك الكتب «تاريخ وجود الجماعة الاسلامية» نفسها في جنوب شرقي الجزيرة العربية، وهذا ما يجعل النشاط القبلي في عمان مثلا يكتب بشيء كثير من التخصيص، لأن هذا التاريخ مرتبط بشكل مباشر بتلك الجماعة، أما ما عدا ذلك فهو غير مهم وليس هناك مبرر لتسجيله.

وعني هذا الأمر أن المؤرخين العمانيين لم يدونوا من تاريخ عمان الا ماكان له علاقة بالمنطقة التي تشغلها الاسامة. فعلى سبيل المثال، فإن أي حدث يقع على المنطقة الساحلية من عمان - بخاصة ابان الغزو البرتغالي للاحياء الساحلية - لا يجد من يتصدى له من هؤلاء المؤرخين. أما ما يحدث خارج عمان، حتى ولو كانت له علاقة بما يجري داخلها فأنه لم يكن يهم المؤرخين العمانيين في شيء، فلم يشيروا اليه الا باقتضاب شديد وربما كانوا يتغافلون عن الإشارة اليه^(٣٣).

وعندما نطالع الكتب التاريخية العمانية طوال العصور الحديثة، ونبحث عن الدوافع التي دعت الى تأليفها - شخصية كانت أم عامة، أو في النهج الذي اتبعته، فأننا نجد كلها جميعا تدون من وجهة نظر المذهب الاباضي، سواء تلك التي ألفت في القرن

السابع عشر أو حتى في اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. فهذا عبداً بن خلفان بن سليمان المعروف بابن قيصر، صاحب كتاب (سيرة الامام ناصر بن مرشد)، كان قد بدأ كتابه بناء على طلب من بعض الشيوخ والعلماء مثل الشيخ محمد بن سيف الوالي والشيخ ناصر بن ثاني بن جمعة بن هلال، حيث سألاه أن «يشرع لهما في ابتداء سيرة الامام، وأشرع في تحصيلها موجزاً للألفاظ الكلام، واذكر فيها حصر سيرته المرضية على التمام، فأجبتهما الى ماطلبا وأحببت لما هما فيه رغبا»^(٢٤).

وواضح من تأليف هذا الكتاب، الذي يعد من أقدم المؤلفات التاريخية العمانية عهداً في العصر الحديث، لأنه السلف في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) بأنه قد وضع بناء على توجيه بعض علماء الدين، وذلك لحفظ سيرة الامام ناصر بن مرشد اليعربي (١٦٢٤ - ١٦٤٩)، الذي عرف بجهاد الطويل ضد البرتغاليين، ودأبه على تحرير عمان منهم، وعمله على تعزيز قوتها ووحدتها.

وعلى الرغم من ذلك فقد تمتع الكتاب بأهمية كبيرة، ذلك لأنه زدنا بمعلومات قيمة عن الامام ناصر بن مرشد، خصوصاً وانها وضعت في زمن هذا الامام. وقد استفاد كثير من المؤرخين العمانيين الذين جاءوا بعد ابن قيصر من ماله المذكور، وهذا مانجده واضحاً عند المقارنة بينه وبين مؤلفات الازكوي وابن رزيق. ولكن مما يؤخذ على كتاب ابن قيصر «سيرة الامام ناصر بن مرشد» انه لم يتطرق الا لما الى ذكر حروب الامام ناصر بن مرشد ضد البرتغاليين، وهو في هذا يتبع سبيل كتب التاريخ العمانية التي لم تكن تعني الا

بالبوائع الداخلية، أو بالأحرى الوقائع التي تحدث فقط في المناطق التي كانت تخضع لسيطرة الامامة الاباضية^(٢٥).

أما كتاب (كشف الغمة الجامع لآخبار الامة) المنسوب لسرحان بن سعيد الازكوي، الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي، فقد أشار في صفحته الاولى الى الهدف من تأليف هذا الكتاب حيث جاء فيه:

«قد دعنتني الهمة الى جمع هذا الكتاب وتأليفه وتلخيص معانيه وتصنيفه فليبتها أهلاً وسهلاً، وإن لم أكن أنا للتأليف

أهلاً، وذلك لما رايت أكثر أهل زماننا قد غفلوا عن أصل مذهبهم الشريف... ورغبت أنفسهم عن قراءة الكتب التي خلقها السلف»^(٢٦). وواضح أن المؤلف أراد من وضع هذا الكتاب الحفاظ على المذهب الاباضي وتراثه التاريخي في عمان، وذلك بسبب نقص الكتب المتداولة حوله بين الناس، وقلة من يهتم به من أهل العلم... وقد كرر الازكوي قوله هذا في موضع آخر حيث يقول: «ولم يبق - لأهل عمان - الا ذكر أخبارهم وماذكروه في سيرهم وأثارهم، وآل العلم والعلماء الى النقصان والامر الى النسيان»^(٢٧).



والكتاب (كشف الغمة) ظاهرة كتاب تاريخ، وهو يشمل تاريخ العرب قبيل الاسلام وبعد ظهوره حتى انتهاء أحداثه فجأة بعام ١٧٢٨، وبهذا فهو يعد المصدر الرئيسي أن لم يكن الاول للتاريخ العماني، وعنه نقل من جاء بعده من المؤرخين، لكن الغرض الأهم الذي قصد اليه مؤلف الكتاب هو الدعوة الى مذهبه الاباضي ودفن الشبهات عنه، وليس أدل على ذلك من قوله في المقدمة:

«فصنفت هذا الكتاب، وبيّنت فيه عذر أولى الألباب، وجعلت ظاهرة في القصص والأخبار، وباطنه في المذهب المختار، لأن الناس لقراءة الاثر لا يستمعون، ولاستماع القصص عن اللغو يبتغون، فملت الى رغبتهم لكي يكونوا مستمعين، عسى أنهم لأصول المذهب يعرفون ولأهل الحق بالحق يعترفون»^(٢٨).

والواقع أن الازكوي - كما أوضح في النص - قد أطمأ اللثام عن قصده في تأليف الكتاب، وهو البحث والتعريف بالمذهب الاباضي، ولكنه استند الى الاسلوب القصصي في الكتابة التاريخية، لأنه - حسب رأيه - أكثر قبولا وحفظا من قبل الناس.

وعلى أية حال، فقد استمدت كتب التاريخ العماني التي تلت (كشف الغمة) معلوماتها منه، مثل (قصص وأخبار جرت في عمان) للمعولي، و(الفتح المبين) لابن رزّيق، و(تحفة الاعيان) للسالمي.

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد أن هناك كتابين في تاريخ عمان يكادان يكونان صورة طبق الاصل لكتاب (كشف الغمة). والكتاب الاول هو كتاب(قصص وأخبار جرت في عمان) لمؤلفه ابي سليمان محمد بن عامر بن راشد المعولي، والكتاب الثاني هو (تاريخ أهل عمان) لمؤلف مجهول، وكل الفرق بين هذه الكتب الثلاثة هو أن (كشف الغمة) يقف في أخباره عند العام ١١٤٠هـ (١٧٢٨م)، في حين يمتد كتاب (قصص وأخبار) الى أبعد من هذا قليلا فيصل الى عام ١١٥٩هـ (١٧٤٦م)، ويستمر تاريخ المؤلف المجهول الى أبعد من ذلك ليصل بأخباره حتى نهاية القرن الثامن عشر، وإلى أيام السيد سلطان بن الامام أحمد بن سعيد، أي حوالي سنة ١٢١٥هـ (١٨٠٠م)^(٢٩).

على أن هذا التشابه بين هذه الكتب الثلاثة يعود الى أن كلا من المعولي والمؤلف المجهول كانا قد استقيا معلوماتهما بصورة رئيسية من (كشف الغمة) للازكوي، بل انهما ينقلان نقلا حرفيا تقريبا الاخبار المتعلقة بتاريخ عمان حتى انتهاء كتاب (كشف الغمة) بعام ١٧٢٨، أما ما بعد ذلك فانهما يضيفان معلومات جديدة يبدو أنها مستمدة من مصادر أخرى.

أما كتب (الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين) الذي ألفه حميد بن محمد بن رزّيق، فقد كان استجابة منه لسؤال السيد حمد بن سالم بن سلطان بن الامام أحمد بن سعيد البوسعدي، في أن يشرح له ابن رزّيق ماسمعه وحفظه عن نسب الامام أحمد بن سعيد، وسيرته، ومملكته، وسيرة أولاده، وما كان لهم من شأن في عمان وغيرها^(٣٠). وقد رتب ابن رزّيق كتابه في ثلاثة أبواب، الباب الأول: في تسلسل نسب السادة الازديين البوسعيديين العمانيين، والباب الثاني: في ذكر طوائفهم ودراريهم، والباب الثالث: في ذكر أئمة أزد عمان، ومالهم فيها من الشأن، من الجلندي بن مسعود، الى الامام البوسعدي الحميد، أحمد بن سعيد الازدي العماني الاباضي^(٣١). ويقول ابن رزّيق في موضع آخر: «فاننا وإن كان غرضنا في هذا الكتاب سيرة الامام أحمد بن سعيد ونسله، فالأليق أن نذكر أئمة عمان عموما، ليزداد الفهم وليعلم من لا يعلم، أن للآزد اليمنيين العمانيين شأنًا عظيمًا»^(٣٢).

وأنه ليتبين مما ذكره ابن رزيق بأن هدفه لم يكن التعرض لسيرة الامام أحمد بن سعيد فقط، ولكن أيضا ايراد تاريخ الأئمة الاباضيين في عمان، شأنه في ذلك شأن كل المؤرخين العمانيين الآخرين، الذين يمثلون المدرسة التاريخية العمانية الحديثة.

ويعد كتاب (الفتح المبين)... المصدر الأول لتاريخ البوسعيد، في الفترة ما بين ١٧٤١ و ١٨٥٦، ذلك لأن مؤلفه ابن رزيق قد أرخ لفترة عاشها وعاصرها، إذ ولد في أواخر القرن الثامن عشر ومات عام ١٨٧٥، وكانت له ولاسرتة صلة قوية بأسرة البوسعديين، مما جعله أكثر دراية وعلمًا بتاريخها وبالوقائع المشهورة التي حدثت على أيام حكامها. ومما يزيد من أهمية الكتاب، على خلاف المؤلفات التي سبقته، أنه يورد بعض نصوص المعاهدات التي عقدت بين الامام ناصر بن مرشد والبرتغاليين، والرسائل المتبادلة بينهم، وهو أمر ذو قيمة تاريخية كبيرة، لأن مثل تلك المعلومات الوثائقية كان يجري التعرف عليها من خلال المؤلفات البرتغالية وحدها.

وقد ألف ابن رزيق العديد من الكتب في تاريخ عمان، إلا أن ما يهمننا منها بشكل خاص، فضلا عن كتابه (الفتح المبين)، كتابه الآخر المعروف باسم (الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان)^(٤٣)، ذلك لأن هذا الكتاب قد أعطانا المنهج التاريخي الذي سار عليه ابن رزيق، ومقدار تأثيره بعلماء المذهب الاباضي، الذي كان هو أحدهم، إذ يقول:

«أما بعد فقد سألني بعض الاخوان في الدين أن أنظم قصيدة في أسماء أئمة عمان الصالحين.. وأن أشرحها شرحا مختصرا مفيدا أو شرحا بسيطا لا يطلب العارف له مزيدا، فاجبته امتثالاً لأمره وانخفاضاً مني لارتفاع قدره»^(٤٤).

وهكذا فإن الكتاب في الواقع ماهو الا مجموعة قصائد أو أبيات شعرية نظمها المؤلف، وشرح من خلالها الأحداث التاريخية في عمان، ومن بينها تاريخ أئمة المذهب الاباضي، وذلك ابتداء من الامام الجلندي بن مسعود وحتى زمن الامام سلطان بن مرشد اليعربي.

أما كتاب (تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان) لنورالدين عبدالله بن حميد السالمي، فإنه يعد من المصادر الاساسية في عداد المدرسة التاريخية العمانية الحديثة. وعلى الرغم من أن المؤلف قد فقد بصره وهو في سن الثانية عشرة من عمره ولم يكن قد تجاوز الاربعين عند وفاته سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م، فإن كتابه المذكور يعد من أكثر الأعمال أهمية في التاريخ العماني، وقد ألف السالمي أكثر من اثنين وعشرين كتابا، بعضها لا يقل أهمية بالنسبة للفقهاء الاباضي عن (تحفة الاعيان) بالنسبة للتاريخ.

كما كان لهذا العالم نشاط ملحوظ، لاسيما وأنه ورث عن أسلافه، قيما وموروثات أصيلة تعد من الثوابت في الفكر العماني ممن عاصروا القرن التاسع عشر من علماء الاباضية. وعلى أية حال، فإذا ما وضعنا هذه الخلفية المتميزة في الاعتبار عند دراستنا أو تقييمنا لأفكار السالمي وأعماله، فأننا نجد أن معظمها يرمي الى غاية واحدة: هي بعث وتعميق الروح القديمة للفكر الاباضي بين العمانيين^(٤٥).

وقد أشار السالمي في مقدمة كتابه (تحفة الاعيان)، الى الهدف من تدوينه لهذا الكتاب، وإلى النهج التاريخي والفكري الذي اتبعه حيث يقول:

«... ولما لم يكن التاريخ من شغل الاصحاب، بل كان اشتغالهم باقامة العدل وتأثير العلوم الدينية وبيان ما لابد من بيانه للناس أخذاً بالمهم فالاهم، فلذلك لا تجد

لهم أهل عمان سيرة مجتمعة، ولا تاريخاً شاملاً، فكتبت ما أمكنني تتبعه من كتب السير والآثار والتاريخ وكتبت ما أمكنني أن أكتبه عن أحوال عمان وأئمتها»^(٤٦).

ومن خلال تتبع هذا النص وتحصيله، فضلاً عن نصوص أخرى وردت عرضاً في الكتاب، نورد الحقائق الآتية:

١ - الاعراض عن تدوين بعض القضايا المتعلقة بتاريخ عمان، ذلك لأن أهل عمان - على حد قوله - «لا يعتنون بالتاريخ فلذلك غابت عنا أكثر أخبار الأئمة فكيف بأخبار غيرهم»^(٤٧).

٢ - أن تدوين الأحداث التاريخية لم يأت بصورة مستقلة، وإنما جاء عرضاً في سير الأئمة ومناقشة القضايا الدينية كالأحكام وغيرها.

٣ - أن القضايا الدينية، وخاصة تلك التي تتعلق بتاريخ الإباضية وأئمتها، قد وجدت اهتماماً خاصاً من قبل السالمي، الذي كان هو نفسه على المذهب الإباضي، فيقول: «وحيث كان العدل وسيرة الفضل في عمان أكثر وجوداً تشوقت نفسي إلى كتابة ما أمكنني الوقوف عليه من آثار أئمة الهدى، ليعرف سيرتهم الجاهل بهم، وليقتدي بها الطالب لأثرهم، مع قلة المادة في هذا الباب»^(٤٨).

٤ - التزام السالمي، بمنهج علمي في جمع المادة التاريخية وتصنيفها... فقد جاب الأرض العمانية من أقصاها إلى أقصاها بحثاً عن كل شذره من شذرات المعلومات التاريخية، ليضمنها مؤلفاته مما يعد شهادة على دقة معلوماته وأهميتها في دراسة التاريخ العماني الحديث.

ومهما قيل في كتاب (تحفة الاعيان) للسالمي فإنه يبقى أهم كتاب في تاريخ عمان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ذلك لأنه أضاف معلومات جديدة إلى المؤلفات السابقة، وإن كان لا يختلف عنها من حيث مسابرتها - بل وتمثيلة - للمدرسة التاريخية العمانية الحديثة، المتأثرة بالمذهب الإباضي وأفكاره الفقهية، في تدوين المادة التاريخية واتجاهاتها.

التوجهات الرئيسية في الكتابات التاريخية العمانية الحديثة:

لم يكن لعلماء الدين في المذهب الإباضي تأثير في كتابة التراث العماني فحسب، وإنما كان لهم تأثير كبير في سياسة الدولة طوال العصور الإسلامية. وقد مرت الدولة العمانية بفترات عصبية في تاريخها، منها ما كان بسبب الاضطرابات الداخلية، ومنها ما كان بسبب تعرض البلاد لغزو خارجي. فما هو موقف المؤرخين العمانيين من هذه التطورات؟ الواقع أن هناك عدداً من الاتجاهات الأساسية التي سلكها هؤلاء المؤرخون، وهي تنحصر مابين النكوص عن الكتابة التاريخية في مجالات معينة، والاسهاب في مجالات أخرى، وهذا ما سنحاول التعرض له في هذا الجزء من الدراسة في مجالات ثلاثة:

الموقف من الأحداث الداخلية والحروب الأهلية في عمان:

بلغت الامامة ذروتها من القوة في عمان خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر، بيد أنه أعقب ذلك فترة من الاضطراب السياسي، تمخضت عن مجيء قبيلة بني نبهان التي فرضت سيطرتها على عمان في نهاية القرن الثاني عشر للميلاد. وحين يأتي المؤرخ إلى تاريخ عمان خلال الفترة النبهانية بين القرن الثالث عشر والقرن الخامس

عشر لايجد أي مصدر تاريخي معروف. وعلى أية حال، فإن عدم وجود تاريخ مدون لتلك الحقبة من تاريخ عمان، لا يعني أن تاريخ أولئك الحكام لا يحظى بأية أهمية، غير أن النبهانيين كانوا يحكمون عمان بأساليب مختلفة، ولهذا فقد اعتبروا «جبابرة» ولم يشر اليهم مؤرخو عمان الاياضيون سواء المعاصرين لتلك الفترة، أو أولئك الذين جاءوا في القرون التالية^(٤٩).

وقد تجددت المحاولات لحياء الامامة في عمان خلال القرن الخامس عشر، غير أن تلك المحاولات كانت سابقة لأوانها، إذ جند الملوك النبهانيون قبيلة بني هلال بغية المحافظة على نفوذهم، غير أن القبائل العمانية التفتت حول الامام ناصر بن مرشد، الذي انتخب من أحد الفروع القبلية من النبهانيين، وهو الفرع اليعربي، وذلك لطرد الدخلاء والقضاء على النبهانيين المتحالفين معهم^(٥٠).

وهكذا ابتداء من القرن الخامس عشر توفرت مصادر جديدة لالقاء الضوء على عودة الامامة الاباضية في عمان، بيد أن تلك المصادر أخذت تأخذ منحى آخر، لم يعد يركز على مسألة الامامة وحدها، وإنما أخذ يبحث عن الصيغ الجديدة للوحدة الوطنية في اطار مؤسسات الامامة نفسها، وهذا مانجده في كتابات ابن قيصر، الذي كتب عن الامام ناصر بن مرشد في النصف الأول من القرن السابع عشر، ثم أعقبه مؤرخون عمانيون آخرون كتبوا في التاريخ المحلي وفي التراجم والسير.

وعندما نأتي لموقف المصادر العمانية من الأحداث الداخلية في عهد النباهنة والحروب الاهلية، في عهد اليعاربة فإننا نجد أنها وبدون استثناء تفصل في هذه الحروب، وتظهر أسفها لما أوقعت في البلاد من أضرار كبيرة، فبسببها - كما يقول الازكوي - «اصيب كثير من اهل عمان ومن فقهائهم ومشايخهم وأهل الورع والزهة والعلم»^(٥١)، ولكن الازكوي عند معالجته لهذا الموضوع المهم لا يفرّد حيناً هاماً من كتابه (كشف الغمة) للأحداث الفعلية التي أدت الى نشوب الحرب الاهلية، وينطبق هذا الرأي على ابن رزيق أيضاً الذي يسر على غرار الازكوي، الى جانب اضافته بعض المعلومات التي استقاهها من المصادر الأخرى.

أما السالمي فربما يكون المؤرخ العماني الوحيد الذي حاول الوقوف على أسباب الحرب الاهلية، وذلك عندما عزا هذا الأمر الى طريقة انتخاب الأئمة في عمان دونما مؤهلات، على خلاف ما درجت عليه المباديء الاباضية حيث يقول:

«انتفض الشر في عمان وجرت فيهم العصبية والحمية وأرادت الرؤساء أن تجعل الدولة ميراثاً خالفت أمر أهل العلم والفضل، ونسوا رد الأمر الى أهله فمشت العصبية في القلوب»^(٥٢).

النظرة لعمليات الغزو البرتغالي والفارسي:

اختلفت مواقف المؤلفات العمانية من الغزو البرتغالي ولم يحدث هذا بالنسبة للغزو الفارسي. فبينما تغافلت هذه المؤلفات عن أخبار الغزو البرتغالي لعمان، ولم تفصله تفصيلاً، فإنها على العكس من ذلك أوردت وبصورة مفصلة أحداث الغزو الفارسي للبلاد، فما هو سبب هذا الاختلاف ودواعيه، وهل يعني شيئاً في اطار دراستنا للمدرسة التاريخية العمانية الحديثة؟

الواقع أن الغزو البرتغالي كان قد وقع في مطلع القرن السادس عشر، أي قبل ما يقرب من قرن ونصف من الزمن على بداية كتابة أول مؤلف عماني حديث، إذا ما

أخذنا في الاعتبار كتاب (سيرة الامام ناصر بن مرشد) لابن قيصر. ويعني هذا أن المؤرخين العمانيين حينما جاءوا لتدوين وقائع الغزو البرتغالي، لم يجدوا فيها ما يشرّف هذه الأمة، خصوصاً وأن البرتغاليين كانوا قد حققوا انتصارات سريعة في منطقة الخليج العربي - ومن بينها عمان - وذلك لتفوقهم العسكري، في مجال استخدام السفن والأسلحة الحديثة، ومن هذا المنطلق أعرضوا عن تدوينه عمداً^(٩٢). بخاصة وأن الامامة كانت في حالة انهيار في الفترة التي نحن بصدها.

أما بالنسبة للغزو الفارسي فقد وقع حوالي منتصف القرن الثامن عشر، وكانت أحداثه معاصرة أو قريبة لكثير من المؤرخين العمانيين الذين وجدوا فيه ما يدعو الى الجهاد لطرد الغزاة المحتلين في عمان، ولتوحيد البلاد.

وتمشياً مع هذا الاتجاه، نلاحظ أن المؤرخين العمانيين يتحاشون الدخول في تفاصيل فترات طويلة من تاريخ البلاد، قد تمتد بضعة قرون، وذلك تجنباً لكتابة ما لايجب كتابته في تاريخ عمان وأهلها، كما حدث بالنسبة لحالة الغزو البرتغالي لسلواحل عمان. ومن ناحية أخرى فإن هؤلاء المؤرخين كثيراً ما يلقون العنان لأقلامهم، ليعربوا عن أحاسيسهم ومشاعرهم تجاه حالات أخرى، كانت تعكس حالة الالم والأسى إزاء ما كان يحدث أحياناً من اشتداد الخلافات بين زعماء البلاد، مما يعرضها لخطر الغزو الاجنبي.

ولما كانت فترات الاحتلال تمثل دائماً حلقات معتمة في التاريخ، وهي كظاهرة تاريخية لا تقتصر على بلد دون آخر، أو على حقبة معينة من العصور دون أخرى، وإنما هي ظاهرة عامة مشتركة، لذلك فإن المؤرخين العمانيين لم يتركوا الفرصة للتدنيـد بحالة الاحتلال أو ادانة أي حالة أخرى تتسبب في وجود هذا الاحتمال أو تؤدي الى استمراره. من ذلك ماحدث في الربع الأول من القرن السابع عشر، حيث اشتدت فيه النزاعات العائلية والخلافات القبلية، الى الحد الذي دعا عمير بن حمير عام ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م الى الاستعانة بالبرتغاليين في هـرمز ضد أبناء وطنه. ولأشك أن هذا العمل يدل على قصر نظر وعدم شعور بالمسؤولية، إذ استغله البرتغاليون في أقرب فرصة، حيث أنزلوا أسطولهم على الشواطئ العمانية وبدأوا يقصفونها بأسلحتهم النارية، مما مكّنتهم من احتلال صحار، وكان في هذا الامر تدعيم للمركز العسكري والتجاري للبرتغاليين في مسقط، وذلك لأن صحار كانت تمثل أبرز منافس تجاري لمسقط في عهدهم^(٩٣).

ومثال ذلك يقال عن استنـجاد سيف بن سلطان بالفرس عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م ضد منافسيه في الامامة، وقد عرض هذا الامر الخطير للبلاد للغزو الفارسي، ذلك لأن نادرشاه، الذي تربع على عرش فارس آنذاك، كانت له أطماع توسعية في الخليج العربي من جهة، كما كانت له نوايا عدائية لعمان التي امتلكت أسطولا بحرياً قوياً في المنطقة، من جهة ثانية فوجدها فرصة سانحة للتحكم في الخليج العربي ولغزو عمان. ولما كانت الغزوات الفارسية لا تحقق أهدافها في السيطرة على البلاد وذلك بفعل حالة المقاومة والتصدي البطولية التي أبدتها العمانيون، لهذا فإنها تكررت لعدة مرات ما بين عامي ١١٥٠ و ١١٥٧هـ/ ١٧٣٧ و ١٧٤٤م، وفي خلال ذلك تحدثنا المصادر العمانية عما قامت به القوات الفارسية من دمار وتكنيل بالسكان^(٩٤). وأن الجيش الفارسي الذي جاء البلاد مساعداً ومعيناً لسيف بن سلطان ضد خصومه قد شدد

قبضته على الأمور في البلاد، ولم يتورع عن غزو مسقط، وسعى لغزو عمان جميعها وإخضاعها لسيطرته. وهكذا فإن استعانة سيف بن سلطان بالفرس، لتحقيق مصالحه الشخصية، كان موضع استنكار من جميع المؤرخين العمانيين. إذ يقول السالمي في هذا الصدد: «ولم يسلم من أهل نزوى إلا القليل، وسيف بن سلطان من ذلك النصيب الأوفر من الوزر حيث قاد اليهم الأعداء ونسى مواقع فيهم من أبائه، وظن أنهم ينصحون وهم أعداؤه»^(٥٦).

على أن أبرز مثال نسوقه على حالة التنديد والإنكار التي حملها المؤرخون العمانيون هو إحدى الرسائل المجهولة التي أوردها ابن رزيق في كتابه (الفتح المبين)^(٥٧). وهي موجّهة إلى سيف بن سلطان بعد اتصاله بالفرس لطلب النصرة منهم حيث جاء فيها:

«لقد وصلنا بأن بعض العجم وصلوا بمن معهم من سفهاء قومهم إلى خورفكان ولعل بعضهم وصل إلى عمان ونزل من نزل منهم بناحية خورفكان. فهذه مصيبة علينا وعليكم، ما أعظمها، ورزية ما أشأمها، فإن ظفروا طغوا... وإن تكاثروا عليكم ليسومكم سوء العذاب، يذبحون أبناءكم، ويستحيون نساءكم، فسبحان الله، أأنت نائم أم يقظان، أم استولى على قلبك الشيطان، وتبعث كتبك رسلا قاصدة منك اليهم، وتدعوهم إلى حضرتك، وترجوهم لنصرتك. أجهلت أم علمت ففعلت بما حل منهم في جزيرة البحرين من قتل رجالهم، وأخذ سفنهم قسرا، مالكم كيف تحكمون فبئس الرأي الذي رأيتم، والأمر الذي حاولتم وعليه عولتم».

وإذا كانت فترات الاحتلال الأجنبي لعمان تمثل جوانب مظلمة، فإن هناك جوانب هامة في تاريخ عمان اتفقت المصادر العمانية على أهميتها وعلى تسجيلها، وهذه الجوانب تمثل صفحات مجيدة في تاريخ هذه البلاد، بحيث لا نجد من يحيد عنها من المؤرخين العمانيين. فاختيار الإمام ناصر بن مرشد للإمامة عام ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م، وجهوده في تقليم أظافر النفوذ البرتغالي في عمان، وهي الجهود التي كانت النواة في القضاء على هذا النفوذ نهائيا عام ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م، والمقاومة البطولية التي أبدتها العمانيون ضد القوات الفارسية الغازية لعمان عام ١١٥٠هـ / ١٧٢٧م وطردهم منها على يد الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، كل هذه المواقف استأثرت باهتمام المؤرخين العمانيين ولقيت منهم النظرة نفسها، على الرغم من اختلاف ميولهم وأهوائهم تجاهها.

فقد اختير ناصر بن مرشد اماما لعمان عام ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م، وذلك بعد فترة مخاض طويلة قضتها عمان في حروب داخلية عنيفة بين أطراف مختلفة، وقد استطاع هذا الإمام بعد جهود مضيئة أن يوحد البلاد تحت قيادته وأن يسير بها لمناوشة البرتغاليين القابعين آنذاك في موانئ البلاد وسواحلها، فنال منهم الشيء الكثير واستخلص منهم ميناوي قلها وصحار، وحاصر ميناء مسقط، ولكن الأجل المحتوم وافاه قبل أن يستطيع إجلاء المحتلين عن كل البلاد.

وهذه المنجزات التي حققها ناصر بن مرشد على طريق الوحدة والازدهار لعمان، والانتصارات التي أحرزها على البرتغاليين، هي التي دعت بعض المؤرخين العمانيين، وبالأخص ابن قيصر في كتابه (سيرة الإمام ناصر بن مرشد)، إلى الكتابة عن هذه الانتصارات، والأطناط في وصفها.

ولا يختلف المؤرخون العمانيون الآخرون الذين أعقبوا ابن قيصر، كالزكوي وابن رزيق والسالمي، في نظراتهم الى الامام ناصر بن مرشد، باستثناء انهم حاولوا أن يقللوا من طابع المبالغة والتمجيد الذي جاءت به روايات ابن قيصر لسيرة هذا الامام، مما جعلها أكثر قبولا وقربا من الواقع الذي حكم فيه الامام.

ومع اننا قد قلنا أن المؤرخين العمانيين أغفلوا تدوين الاحداث التاريخية التي مرت بعمان ابان فترة الغزو البرتغالي، الا أنهم منذ أيام الامام ناصر بن مرشد بدأوا في تدوين هذه الاحداث بصورة مسهية لأنها أصبحت موضعا للاعتزاز، حيث انهم لم يتابعوا أخبار ملاحقة البرتغاليين والانتصار عليهم في الخليج العربي وانما تابعوها اثناء ملاحقتهم في الهند وشرق افريقيا^(٥٨).

فقد شعر المؤرخون العمانيون بحالة الانتصار والتفوق التي كانت عليه بلادهم فراحوا يدونون كل ما هو جدير بالتدوين. فعلى سبيل المثال، نقل لنا السالمي رسالة من البرتغاليين الى الامام سيف بن سلطان عام ١١٠٩هـ/ ١٦٩٧م، وهذه الرسالة تتضمن تهديدا ووعدا للامام الذي رد على هذه الرسالة بأعنف منها غير مبال بتهديداتهم، حيث جاء في رسالة البرتغاليين:

«أعلم بأننا جنود الله مخلوقون من سخطه، مسيطرون على من يحل عليه غضبه، لانرق لشاكي ولا نرحم عيرة لباكي، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل الويل لمن لايمتثل لأوامرنا... أما جواب الامام لهم فقد كان على النحو الآتي:

«لقد حصل الوقوف على هذه الكتب الشاهرة، لقد نزع الله الرحمة من قلوبكم فهذا اقبح عيوبكم... من تعلق بالاصول فلا يبال بالفروع، نحن المؤمنون حقاً لا يبعدنا عنكم عيب ولا يدخلنا شك ولا ريب... فخيولنا برية بحرية، وهمتنا سامية عليه... وقواكم قلوبكم كالجبال وعددكم كالرمال: الجزار لا يبال لكثرة الغنم... ان عشنا عشنا سعداء، وان متنا متنا شهداء»^(٥٩).

ومما يدخل في عداد الجوانب المشرفة مقاومة العمانيين لعمليات الغزو الفارسي لبلادهم ما بين ١١٥٠ - ١١٥٧هـ/ ١٧٣٧ - ١٧٤٤م، وتحقيق الانتصار الحاسم عليهم، على يد الامام أحمد بن سعيد البوسعيدي، الذي نجح في طرد الفرس من عمان، فاستحق بذلك انتخابه اماما للبلاد عام ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م.

لقد كان الامام أحمد بن سعيد والياً على صحار عندما وقع الغزو الفارسي لعمان، فأنار هذا الغزو ثائرة اهل عمان وشعورهم القومي ضده وجعلهم يتطلعون الى قائد قوي ينقذهم والبلاد من غائلة الجيش الفارسي الغازي، فكان ان التفوا حول الامام أحمد بن سعيد في صحار التي أصبحت مركزاً للجمع الوطني في عمان، واستطاعت بقيادته أن تصمد أمام الفرس وأن تظل على صمودها هذا حتى تحقق الانتصار النهائي لها، وعلى هذا فيكون ظهور الامام أحمد بن سعيد نقطة مشرقة في تاريخ عمان، اولاهما المؤرخون العمانيون كل اهتمام، بخاصة ابن رزيق الذي كتب كتابه (الفتح المبين) تمجيذا لذلك.

وقد يكون من المناسب في هذا المجال الاستشهاد بقول سعيد رودولف روت الألماني الذي عمل في عمان للاستدلال على مدى تعلق العرب بقاتلهم ومنحهم الولاء حينما يشعرون باخلاصهم ووطنيتهم وبطولتهم حيث يقول: «ومن طابع العرب البارزة اعجابهم بالطولة وتقدير الرجال الابطال منهم، ولهذا لم يتورعوا

عن الالتفاف حول زعمائهم واسباغ صفة الامامة عليهم، ومن ثم الانفضاض عنهم وتجاهل مقامهم الديني الذي اضعفوه عليهم ونقل ولائهم دون ماندم أو وخز ضمير الى من هم أقدر على تحقيق أهدافهم الوطنية، ولذلك لم يكن بالمستغرب أن يغدو أحمد بن سعيد، وهو محاصر في صحار سيد عمان وأن يعترف له الجميع بالزعامة والقيادة»^(٦٠).

المؤرخون العمانيون وأحداث المصير العربي:

وعلى الرغم مما قلناه من اهتمام المؤرخين العمانيين بتدوين الأحداث الداخلية بخاصة تلك التي تتعلق بأخبار أئمة المذهب الإباضي فانهم لم يغفلوا - أحيانا - تدوين أخبارهم خارج عمان، ولعل من الاخبار الجديرة بالتدوين المساعدات التي قدمها الامام أحمد بن سعيد للبصرة، اثناء حصارها من قبل كريم خان عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م، وتخليصها من هذا الحصار .

ونظرا لما كان لهذه المساعدة من اثر طيب في النفوس، فقد تقرر دفع اعانة سنوية من خزانة البصرة للامام احمد.. وظلت هذه الاعانة - كما يقول ابن رزيق - تدفع حتى عهد السيد سعيد بن سلطان^(٦١).

وهكذا يتضح من الاستعراض السابق كيف ان معظم التأليف في عمان قد تأثر بالمذهب الإباضي وفقهه، وهذا ما جعل المؤلفات التاريخية العمانية الحديثة تأخذ شكل مدرسة تاريخية راسخة في منهجها واتجاهها. كما جعل المؤلفات الأخرى في ميادين العلوم الدينية واللغوية والأدبية تأخذ شكل مدرسة أو مدارس كانت لاتقل رسوخا في منهجها واتجاهها سبق أن بيناه وتحدثنا عنه من قبل بتفصيل كبير، مما يدل على اصالة الفكر والثقافة لدى عمان وأهلها وعلى غزارة التراث العلمي الذي جاء به العمانيون منذ ظهور الاسلام وحتى الآن.

الفصل الثالث

العمارة والتحصينات العمانية

ان قصة العمارة والتحصينات في عمان قصة جديرة بالبحث والدراسة لأن معرفتنا بهذا اللون من ألوان الحضارة يضع يدنا على مفاتيح التاريخ العماني برمته منذ أقدم العصور وحتى الآن. ذلك أن العمارة المدنية العمانية من قصور ومساجد ومدارس، والعمارة الحربية العمانية من قلاع وحصون وأبراج كانت وليدة التاريخ والجغرافيا وعوامل أخرى كثيرة نتجت عن طبيعة البيئة العمانية.

وقد سبق أن تحدثنا في القسم التاريخي من هذا الكتاب عن موقع عمان وأهميته، وأن هذا الموقع جعل عمان تقع على الطرق التجارية البحرية الشرقية وكان همزة الوصل بين شبه الجزيرة العربية من جهة وبين أفريقيا والهند وغيرها من جهة أخرى. وقد أغرى هذا الموقع سكانها على احتراف الملاحة لدرجة أن ملاحها كانوا معروفين في موانئ العالم البعيدة، وكان تجارها على اتصال دائم بتجار البحار عموماً، ولم تكن عمان همزة للوصل فقط بل كانت ملتقى للتجار من مختلف أنحاء العالم لعقد الصفقات التجارية فيها ولتبادل السلع والبضائع^(١)، حتى قيل (من أراد التجارة فعليه بعدن أو عمان أو مصر)^(٢).

وبقيت عمان ومنطقة الخليج عموماً تعيش عصراً ذهبياً طيلة ازدهار الملاحة الإسلامية حتى القرن الخامس عشر الميلادي عندما اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح الذي أوصلهم إلى المحيط الهندي وخليج عمان^(٣).

وقد أدت سياسة البرتغاليين في هذه المنطقة إلى إشعال كثير من الفتن والحروب التي ساعدتهم على تفكيك الوحدة الوطنية والسيطرة على السواحل العمانية مايزيد على قرن ونصف القرن من الزمان إلا أن هذه السيطرة اذكت الروح القومية لدى العمانيين وكانت عاملاً مهماً في وحدتهم وطرد المعتدين من أراضيهم سنة ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م، كما أسقطوا أيضاً قلاعهم خارج عمان سنة ١١٠٠هـ / ١٦٨٩م^(٤).

يضاف إلى ذلك أن عمان تعد ثاني أكبر دولة في منطقة شبه الجزيرة العربية وتشتهر بسهولها الساحلية التي تمتد ألفاً وسبعمائة كيلومتر، إلى جانب الواحات والقرى الداخلية المنتشرة بين الجبال، كما أن مناخها يتنوع بين حار جاف في الداخل، وحار رطب في الساحل، ومعتدل في منطقة الجبل الأخضر، كما تمتاز المنطقة الجنوبية بجبالها الخضراء والأمطار الموسمية المنتظمة.

وكانت لهذه العوامل مجتمعة أثرها الكبير في بناء المجتمع العماني وعلاقاته بالعالم من حوله وتطوره وتقدمه وكان لها أثرها على طبيعة العمران التي أنشئت فيه على مر العصور^(٥).

كما أن كون عمان عرضة للأطماع منذ تاريخها القديم وكونها تدخل في لعبة الصراع الدولي بغض النظر عن التوفيق بالظفر أو عدمه كان لابد أن يؤدي بعمان إلى أن تكون لها مؤسساتها العسكرية وأن تكون لها تحصيناتها البنائية المتميزة^(٦).

وهكذا كان لهذا المجتمع الذي كان على قدر كبير من التحضر والوعي، مؤسسته العسكرية التي يقع عليها واجب الدفاع عن مكتسباته، وبالتالي فإنه ازاء ذلك لابد أن يكون قد أنشأ تحصيناته التي مكنته من صد الأخطار المحدقة به، خاصة إذا ما عرفنا أن صناعة مواد البناء كانت مزدهرة، وأن عمليات التحجير كانت منتشرة، وأن منتجاتها على مستوى من الجودة، وأن نشوء مثل هذه الصناعة يستتبعها توافر عمالة وأعية بمقتضيات عملها ومدربة على ممارسته، وربما كان من بينها المتخصصون في الأعمال المتعلقة بها كالبنائين والنجارين والجصاصين والحدادين والمهندسين وغيرهم مما يقتضيه تنوع أساليب البناء.

نستنتج من ذلك أن عملية البناء والتشييد ومنها القلاع والحصون في عمان يدعمها ارث حضاري ضخم تمتد جذوره الأولى الى ما قبل التاريخ الميلادي، وما زال هذا الموروث يتفاعل مع تطور حركة العمران بحسب الظروف والأحوال التي تكتنف الواقع العماني. وهذا الموروث يشكل المرتكزات التي تتمحور عليها ديناميكية الحركة بغض النظر عن مدى قوة الدفع التي تعتبر مؤشرا هاما وحيويا في نشاطها وازدهارها.

وهذه الحركة لم تتوقف في عمان منذ القديم وحتى القرن العشرين، وإن مرت عليها فترات كانت فيها قوة الضخ اقل بكثير عن مستوى المأمول، فضلا عن مستوى الطموح، إلا أن هذه الفترات كانت تشكل حركة موجبة متراوحة في قوتها أو ضعفها، وفي مستوى انتشارها أو حداثتها، وكذلك في قدرة اتصالها أو بلوغها، وفي كل مرة كان الانسان العماني يحاول أن يجد الوسائل المناسبة لنوع هذه الحركة أو أن يخترعها لكي يتمكن من المشاركة ولو من بعيد عن طريق التعرف على المجريات أو الاحساس بها، فضلا عن تمكنه أحيانا من المشاركة الفعلية.

وقد شجعت محاولاته تلك لأن يكون في قلب التاريخ أخذًا وعطاء، وهذا ما أفصحت عنه الكشف سواء تلك التي وجدت في عمان أو التي عثر عليها في مناطق أخرى مختلفة. وبالرجوع الى الحضارات التي قامت على أرض عمان في الأزمنة المختلفة، ووقوعها في دائرة اطماع الحضارات الأخرى التي ركزت قصارى جهدها على استغلال الحضارات القائمة في عمان من خلال ادخالها الى حلبة الصراع التي دارت رحاها بين سمرهم وشبوه كما بينتها النقوش الأثرية^(٨)، أو صراع مجان مع الأشوريين^(٩) والصراع مع الفرس وغيرهم^(١٠). كل ذلك كان دافعا للعمانيين الى انشاء تحصينات قوية لدرء الأخطار التي كانت تهددهم، مما أدى الى ظفرهم بأعدائهم وانتصارهم عليهم، والتاريخ العماني مليء بالشواهد على ذلك في القديم والحديث.

وعلى هذا الأساس كانت عملية التحصين لدى الانسان العماني أمرا بالغ الأهمية، وكان التحصين من الركائز الهامة التي ارتكزت عليها حركة التعمير في المستوطنات القديمة، ومن ثم فقد احتلت القلعة أو الحصن مكانا بارزا في مخططات المدن، ادراكا بقيمة الدور الذي تتميز به عن باقي أنواع العمران في تأمين مصالح البلاد، وكسر حدة الرغبة لدى المناوئين، ومنعا للتفكير في سهولة امكانية تحقيق مآربهم.

وقد دلت الاكتشافات في منطقة بات من عبري على وجود أبنية ذات تحصينات مختلفة، بعضها على شكل دائري أو على شكل خلية النحل، وبعضها الآخر عبارة عن تحصينات دفاعية يرجع تاريخها الى الألف الثالثة قبل الميلاد، وهذه التحصينات كانت على شكل برج يصل قطره الى عشرين مترا، ويرى الأثريون أنه ربما كان

ارتفاعه في حدود عشرة أمتار^(١١).

وقد استخدم العمانيون الحجارة في بنائهم القديم وخاصة في تشييد التحصينات، وتعود هذه الفكرة في استخدام هذا النوع من البناء الى عصور متقدمة، وقد أظهرت آثار الفينيقيين في قرطاج عن تبنيهم نفس فكرة استخدام الأحجار في بنائهم التحصينية التي كانت تبني بالأحجار الضخمة ذات الزوايا المربعة حيث ترصف بعضها فوق بعض بدون ملاط، وقد نقلوا هذه الطريقة الى مدن أخرى كانت خاضعة لسيطرة الفينيقيين مثل صقلية وصور، وهذه الفكرة البنائية مطابقة تماما لتلك التي وجدت في بات من عريي بعمان^(١٢).

هذا ولم تكن الأحجار المستخدمة في بناء التحصينات في بات أحجارا عشوائية، وانما كانت دليلا على قيام صناعة التحجير في عمان ذلك ان المقاسات التي بينتها الاكتشافات الأثرية ودونها الأثريون وهي (١ × ١ × ٨، متر)، ومقاس (٢,٥ × ٢ × ٥، متر) تضيف بما يدفع الى اليقين ان تكنولوجيا البناء قد بلغت مستوى ربما تبينه الاكتشافات الجديدة بوضوح أكثر، خاصة اذا ما عولنا على صناعة مواد البناء من الأخشاب والأحجار والرخام التي كانت تصدرها مجان الى بلاد سومر وكوني، وعلى ذلك فليس غريبا ان يرجع تاريخ التحصينات العمانية من القلاع والحصون والاسوار الى عصر ما قبل التاريخ الميلادي مروراً بالعصر الجاهلي فعصر الخلافة الاسلامية ثم وصولا الى عهد النباهة والعبارة وانتقالا الى العصر الحديث^(١٣).

وفي هذه العهود كلها ونتيجة للظروف السابقة من طبيعية واجتماعية واقتصادية عمد العمانيون الى انشاء القلاع والحصون في طول البلاد وعرضها فكانت قلاعهم من أعظم الآثار المعمارية القائمة فيها ومازالت شامخة تعكس عراقة هذا الشعب العظيم ذي التقاليد المجيدة والتاريخ المشرف.

ولا تكاد بقعة من ارضها الشاسعة تخلو من قلعة هنا وحصن هناك، ولكل قلعة وحصن حكاية تروي ما خلفه هذا البلد من حضارة وتراث عربي اسلامي أصيل. ففي عمان مايزيد عن خمسمائة برج وحصن دفاعي تعود الى العصر الاسلامي عدا قلعتي الرستاق وبهلا اللتين شيدهما قبل الاسلام، وهناك ثلاث فقط بناها البرتغاليون، أما البقية فهي من بناء العمانيين انفسهم وليس كما يدعي الكثيرون من ان البرتغاليين هم الذين بنوها^(١٤).

وأشهر القلاع القائمة في عمان في الوقت الحاضر حصن جبرين الذي بناه الامام بلعرب بن سلطان في اواخر القرن السابع عشر على بعد ٢٠٨ كم من مسقط، وقلعة الحزم التي بناها الامام سيف بن سلطان بن سيف اليعربي في أوائل القرن الثامن عشر على بعد ١٥٩ كم من مسقط، وهاتان القلعتان من المباني المتميزة بهندستها الرائعة وبتصميمهما وعناصرها الدفاعية وزخارفها التي تحملها الجدران والسقوف والفتحات في كلا البناءين^(١٥).

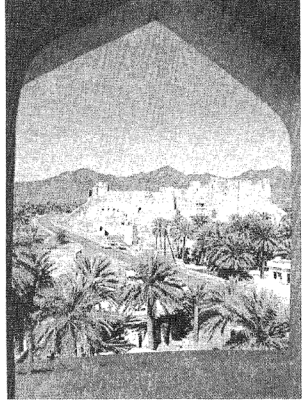
وقد انشأ العمانيون في العصر الاسلامي عمائر كثيرة من مساجد ودور حكم اضافة الى القلاع والحصون وغيرها، وما بقي من تلك العمائر ظل شامخا الى يومنا هذا ويعتبر شاهدا ثابتا على رقي العمانيين وتقدمهم وطول باعهم في هذا الميدان. وكان تنوع تلك العمائر وفقا للحاجات وللظروف الطبيعية والاجتماعية والسياسية، اذ كان على المعماريين والمهندسين وضع الحلول الناجحة للمشكلة المعمارية ومعالجتها بما

يلائم تلك الظروف والحالات.

وحتى نتبين شموخ العمارة والتحصينات العمانية ونضع أيدينا على فن البناء والعمارة لدى العمانيين وعلى كيفية توظيفها بما يتناسب مع بيئتهم وظروف حياتهم وتاريخهم، لابد أن نلقي نظرة على بعض القلاع والحصون والأبراج التي شيدها وحسب أقدمها. وفي هذا الصدد يشير المؤرخون الى أن أقدم القلاع العمانية هي قلعة بهلا.

قلعة بهلا :

يرى بعض المؤرخين ان قلعة بهلا التي ترتفع ١٥٠ مترا فوق السهل من داخلية عمان قد شيدت عام ١٥٠٠ قبل الاسلام، وهذا يعني انها شيدت في الألف الأولى قبل الميلاد، كما يذهبون الى ابعد من ذلك فيقررون أن نبوخذ نصر هو الذي شيدها قبل رحيله الى بلاد الرافدين لتأسيس امبراطوريته^(١٦). واذ ما قبلنا بتاريخ التشييد المشار اليه لأسباب يدعمها قرب منطقة بهلا من منطقة بات ووقوعها في نطاق تأثيرها الحضاري، فان فترة حكم نبوخذ نصر لاتعطينا مجالا كي ننسب اليه تشييد هذه القلعة، وهناك رأي ثان يذهب الى انها شيدت في عهد مالك بن فهم الأزدي^(١٧)، ويرى آخرون أن الجزء الشمالي الشرقي من القلعة هو الذي يعود تاريخ بنائه الى ما قبل الاسلام وقد يكون هذا الرأي منطقيا، ذلك أن عمان كانت قبل الاسلام مجتمعا مستقرا حول منابع المياه ومجاري الوديان منذ الهجرة العربية الأولى^(١٨)، ولذلك فان هذا الطرح لا يتناقى مع الطرح بتاريخ بنائها حيث ان الهجرات العربية بدأت قبل الميلاد واستمرت

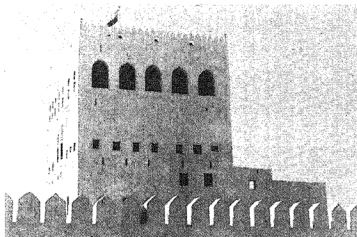


قلعة بهلا

متدفقة بعده الى المناطق المختلفة^(١٩).

ومن المسلم به ان هذه القلعة لم تحتفظ بصورتها التي انشئت عليها، ولم تتمسك بطابعها الذي وجدت عليه قبل الاسلام، وانما ادخلت عليها عدة تعديلات واضافات. اذ يقال بأن القصبه الشرقية الجنوبية قد شيدها النباهنة في اول عهدهم في القرن الثامن الهجري، وهذا الرأي ذو شقين فقد يلقى الشق الاول قبولا تؤيده الظواهر التاريخية والأحداث التي دارت رحاها في المنطقة، ولا يلقى الشق الثاني منه وهو المتعلق بالتاريخ (القرن الثامن الهجري) ميلا لانتفاء الأسباب التي تؤيده، حيث ان النباهنة قد تولوا الامور قبل ذلك بقرنين على الأقل^(٢٠).

أما بيت الجبل الكائن في الزاوية القريبة من الشمال فقد بني في الفترة الأخيرة من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، أي في عهد الأئمة البوسعيدين، في حين أن البيت الحديث الكائن في الزاوية الغربية الجنوبية قد شيد في منتصف القرن الثالث عشر للهجرة / التاسع عشر للميلاد^(٢١).



حصن صحر

حصن صحر:

تنسب بعض الاخبار التاريخية بناء حصن صحر الى عهد عمان بن قحطان وبعضها تنسبه الى عهد مالك بن فهم الاندي^(٢٢). وتعتبره من آثاره، أما البعض الآخر فينسب تشييده الى الجندى بن المستكر، وان هذا الحصن كان يعرف بقصبة صحر، وفي هذا إشارة الى انه قد بني قبل الاسلام، ويمكن الاستجابة الى هذا الرأي خاصة اذا رجعنا الى الذاكرة التاريخية لمدينة

صحر من حيث كونها حاضرة هامة على ساحل عمان ومن حيث كونها أحد أسواق العرب الشهيرة في الجاهلية^(٢٣). وكذلك اذا تدبرنا موقعها بالنسبة للامبراطورية الفارسية من قبل، فضلا عن ان عبدا وجيفرا ابني الجندى كانا يجعلان منها الى جانب توام مركزا للحكم، وبالتالي لا بد من وجود رمز بنائي يمثل في هذا الحصن الذي قيل انها استقبلا فيه عمرو بن العاص مبعوث الرسول محمد صلى الله عليه وسلم عام ٩هـ / ٦٣٠م. هذا ويرى آخرون ان الامام الوارث بن كعب الخروصي قد بناء على انقاض حصن قديم في عام ١٧٩هـ / ٧٥٠م، وهذا يسند الرأي السابق^(٢٤).

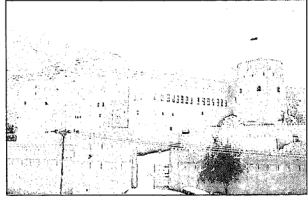
وقد دلت الاكتشافات الأثرية في الحصن (عام ٢٧٣هـ / ٩٨٢هـ) على وجود حضارة مزدهرة في هذه المنطقة^(٢٥)، وذكر المؤرخ الهمداني حصن غراب في ظفار في معرض حديثه عن سواحل عمان على انه شيد قبل الاسلام، مما يقوي الاعتقاد بانشاء هذه الحصون سواء كان حصن صحر أم حصن غراب قبل الاسلام^(٢٦).

الا ان البعض يرى ان البرتغاليين هم الذين شيّدوا هذا الحصن بعد احتلالهم لعمان^(٢٧). في حين يذهب رأي آخر الى أن الهرمزيين هم الذين شيّدوه قبلهم، ذلك لأن صحر كانت ضمن مدن الساحل التي وقعت تحت سيطرتهم... وقد يكون هذا الرأي الثاني به شيء من الاثر الاسلامي من عهد الوارث بن كعب الى عهد الهرمزيين... اما فيما يتعلق بالرأي الاول فانه يصعب الالتفات اليه، ذلك لان صحر كانت تحت حكم او سيطرة محمد بن مهنا الهديفي البوسعيدى، وقد قاوم في هذا الحصن بالاشتراك مع النباهنة محاولة احتلاله من قبل البرتغاليين^(٢٨).

ويبدو ان هذا الحصن قد ادخلت عليه عدة تعديلات وازافات من قبل العرب والبرتغاليين^(٢٩)، ولعل تصميم الحصن كان الركيزة التي اعتمد عليها البرتغاليون في ابنتهم الحربية في منطقة الخليج^(٣٠)، ويعتبر البرج الشمالي الغربي الوحيد الذي يحتفظ بشكله الاصيل، وقد ادخل الامام ناصر بن مرشد اليعربي على هذا الحصن عدة تعديلات عام ١٠٢٤هـ / ١٦٤٠م لم يشر الى نوعها وموقعها، أما الامام احمد بن سعيد فقد اضاف اليه ابراجا اخرى عام ١١٤٧هـ / ١٧٤٧م، وجدهه الوالي محمد بن احمد بن هلال عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م. كما تم تجديده في عهد السلطان سعيد بن تيمور عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م ورسم في عهد جلالة السلطان قابوس بن سعيد حفظه الله.

قلعة الرستاق :

يعتقد بأن هذه القلعة قد شيدت في العهد الساساني دون التمكن من تحديد تاريخ البناء^(٣١)، ويستدل على ذلك بأنه سميت قلعة كسرى. والحقيقة ان هذه اللفظة جاءت من التحريف في النطق حيث ان هذه القلعة بنيت في منطقة (قصرى) ولفظت كما في بعض اللهجات العمانية وخاصة الشمالية كسرى باستبدال القاف بالكاف، ولذلك فان القول بأنها شيدت في العهد الساساني لا يقوم على ركيزة منطقية

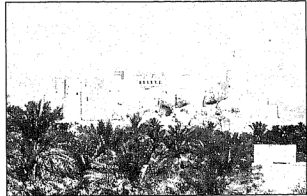


قلعة الرستاق

يمكن قبولها، ذلك ان عمان كانت تتمتع بقدر من الحرية السياسية لم تكن بموجبه خاضعة للسيطرة الفارسية، الامر الذي مكن العمانيين من الدخول في الاسلام دون الالتفات الى اهمية سيطرة الفرس، بل اخذوا يدعونهم للدخول فيه، اللهم الا اذا كان هذا الرأي يستند الى مكانة الفرس باعتبارها امبراطورية امتد نفوذها الى اليمن، بغض النظر عن مكانة العرب واهميتهم. وهذا الرأي يمكن الاعتداد به ذلك لان عمان كانت تحت حكم عبد وجبفر ابني الجلندى بن المستكر قبل دخولها الاسلام^(٣٢)، كما ان القلعة جددت عام ٥٠٠هـ / ٦٧٠م وأضاف إليها اليعاربة بناء برج الريح وبرج الأحمر وزادوا من ارتفاعها في عهد الامام سيف بن سلطان اليعربي عام ١١٠٤هـ / ١٦٦٨م، كما اضاف إليها الامام احمد بن سعيد برج الحديث والصور وتحصينات عدة وقد شارك في الاضافة السيد سعيد بن ابراهيم عام ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م، ثم رمت في عهد السلطان فيصل بن تركي عام ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦.

حصن نخل :

بني هذا الحصن على ربوة جبلية بارتفاع ٢٠٠ قدم، وترجع بعض الآراء الى أن ببناءه يعود الى فترة ما قبل الاسلام. والذي يدفعنا الى الاستئناس بهذا الرأي الذي يشير الى أن الحصن قد جدد في عهد اليحامي عام ٢٠٠هـ / ٨١٥م تأكيداً على أسبقية وجوده وهذا يعود ببنيائه الى فترة حصن الرستاق وربما صحار أيضاً^(٣٣).



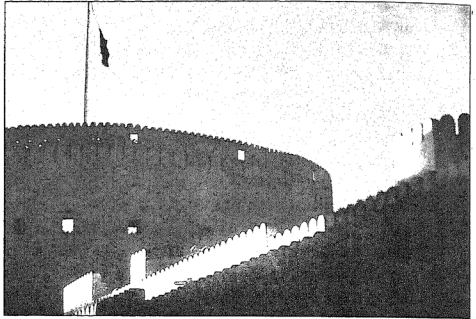
حصن نخل

وهناك رأي آخر ينسب بناءه الى الامام الصلت بن مالك^(٣٤) الذي تولى الامامة في عمان لمدة ٣٥ عاما في الفترة من (٢٣٧ - ٢٧٣هـ / ٨٥١ - ٨٨٦م) وهذا يعني ان الحصن شيد قبل توليه الامامة وهي نتيجة تضاف الى سابقتها^(٣٥).

وقد خضع هذا الحصن لعدة ترميمات واضافات من قبل حكام عمان على مر العصور. فقد قام النباهنة بتجديده ابان فترة حكمهم، وكذلك فعل اليعاربة عام ١٠٠٠هـ / ١٥٩١م، كما اضاف اليه السلطان سعيد بن سلطان بناء السور والبرج والباب القائم وذلك عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤^(٣٦).

حصن وقلعة نزوى

شيد هذا الحصن في منطقة العقر من نزوى عام ٢٢٥هـ / ٨٤٥م^(٣٧)، وقيل ان الذي شيده هو الامام الصلت بن مالك عام ٢٣٧هـ / ٨٥١م، وكان بناؤه بقرب



قلعة نزوى

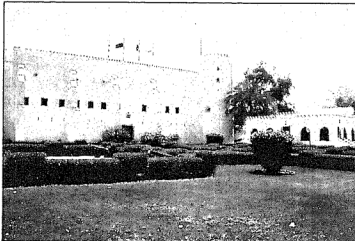
المسجد الجامع القديم.

وبالنظر الى التاريخين نرى ان الحصن قد شيد قبل تولي الامام الصلت بن مالك مقاليد الامامة في عمان بحوالي اثني عشر عاما، اما بالنظر الى مرجعية التاريخ العماني منذ مالك بن فهم، نرى أن هذه المدينة قد شهدت كغيرها من مدن عمان الهامة احداثا مصيرية في سيرة عمان التاريخية، وعلى هذا فان من المرجح ان يكون هذا الحصن قد شيد في عهد أسبق للتاريخ المذكور، وربما يمتد الى عصر ما قبل الاسلام.

وقد جدد هذا الحصن في عهد الامام ناصر بن مرشد اليعربي عام ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م، أما الامام سلطان بن سيف اليعربي فقد بنى القلعة الكبيرة الفريدة في عمارة التحصينات في عمان وربما في المنطقة كلها، ويعود تاريخ بناء هذه القلعة الى الفترة (١٠٥٩ - ١٠٧٩هـ / ١٦٤٩ - ١٦٦٨م) ^(٣٨) ... واستغرق بناؤها اثني عشر عاما.

ويشير تاريخ آخر الى أن تاريخ البناء يعود الى عام ١٠٦٢هـ / ١٦٥١م في عهد

حصن بيت الفلج



الامام سلطان بن سيف بن مالك ^(٣٩)، كما يذكر بأنه شيد في الفترة من عام ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م الى عام ١٠٧٤هـ / ١٦٦٣م ^(٤٠)، ورأي آخر يشير الى زمن لاحق مما ذكرته الآراء السابقة حيث يذهب الى أن بناءه تم في الفترة (١٠٨١ - ١٠٩١هـ / ١٦٧٠ - ١٦٨٠م) ^(٤١).

حصن بيت الفلج :

يعتبر بيت الفلج أحد نماذج القصور الحصنة ذات الشكل الرباعي المحوري القطري أي انه يحتوي على برجين ركنيين متقابلين على مسار محوري

قطري يمتد من الركن الشمالي الغربي الى الركن الجنوبي الغربي. ويعتقد انه شيد على أنقاض حصن عربي، قديم قبل قيام دولة اليعاربة^(٤٢)، ولا يمكن القطع بتاريخ بنائه حيث ان هذا التحصين قد شهد أحداثا هامة في تاريخ عمان، ومن أهمها تلك التي وقعت بين العمانيين والفرس في عام ١١٥٦هـ/ ١٧٤٣م بقيادة سيف بن حمد اليعربي والي الامام سلطان بن مرشد اليعربي^(٤٣). كما ان محمد بن خلفان والي مسقط في عهد الامام سعيد بن أحمد قد اتخذ مقره له بعد وفاة السيد حمد بن الامام سعيد عام ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م^(٤٤).

غير اننا نميل الى أن هذا التحصين ربما كانت ركيزته المعمارية هو الحصن العربي القديم الذي أشرنا اليه. ومن ثم أدخلت عليه تعديلات عدة لتتناسب مع الرؤية الاستراتيجية للحكام المتعاقبين من اليعاربة واليوسعديين. وبالتالي فإن تشييده لم يكن مستحدا كقلعة روي والبرج المثلث بحصن بركاء وقد بناهما السيد حمد بن سعيد^(٤٥) وقلعة الراوية التي بناها السيد سلطان بن أحمد^(٤٦). كما انه لم يكن من منجزات اليعاربة، ويرجح أن تاريخ بنائه يعود الى عهود سابقة.

وقد استخدم هذا الحصن للأغراض الدفاعية وقد يشفع له موقعه في ذلك حيث يعتبر قاعدة متقدمة بالنسبة لمطرح ودارسيت على نحو أخص، وكذلك بالنسبة لمسقط والطرق المؤدية اليها على نحو أعم. وهذا ما تسنده الوقائع الحربية التي دارت رحاها كما يؤكد تصميم المبنى نفسه، حيث توجد الأبراج والفتحات لاطلاق النار وكذلك منصات المدافع.

وقد استخدم الحصن أيضا للأغراض السكنية حيث اتخذ السيد سعيد بن سلطان منزلا ريفيا^(٤٧)، وهذا الرأي يجد له سندا قويا ينبثق من تصميم المبنى الذي اشتمل على غرف للنوم وأخرى للاستقبال وغيرها، مما يعتبر دليلا على استخدامه للأغراض السكنية، شأنه في ذلك شأن كثير من البيوت أو القصور المحصنة في عمان كجبرين والحزم وبيت النعمان والفليج وغيرها.

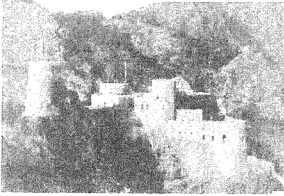
وقد حظي هذا الحصن باهتمام الحكام فسعوا الى اضافة اللمسات المعمارية العربية عليه من حيث معالجة جدرانه بأعمال الزخرفة المجصصة، وكذلك معالجة الأسقف من خلال الاعتناء بطلائها وتزيينها، ومعالجة العوارض الخشبية التي يستلقي عليها السقف من خلال النقوش، فضلا عن الأبواب المنقوشة والشبابيك الخشبية وعقودها الخارجية ولعل تزاوج المسمى بيت الفلج مع المسمى حصن بيت الفلج جاء نتيجة للعلاقة الازدواجية في وظيفتيه الحربية والسكنية.

هذا وقد أثرت النظرة الاستراتيجية على بناء هذا التحصين، ان جعلته خاضعا للتعديلات والتغييرات على فترات مختلفة، وكان في استخدامه للدفاع أكبر الأثر في ازدياد أهميته، حيث اتخذ مقرا لقيادة قوات السلطان المسلحة حتى عام ١٢٩٨هـ/ ١٩٧٨م^(٤٨).

وقد بدأت بعد ذلك عملية تحويله الى متحف لهذه القوات وافتتح رسميا تحت رعاية جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم في ديسمبر ١٩٨٨م.

قلعة الجلالي: الكوت الشرقي:

يطلق عليها أحيانا كوت الجلالي أو الكوت الشرقي، ويرجح البعض إلى أن لهذه الكلمة أصل غير عربي، إذ انهم ينسبونها الى اللغة البرتغالية حيث اشتقت من الكلمة



قلعة الجلابي

البرتغالية (فورت - Fort) وكان البرتغاليون يطلقون على القلعة الغربية (المرايني) لفظة (فورت كابيتان) أي مقر القائد ويقال أنها عرفت في الأصل (سان خو) ولعلها اكتسبت اسمها بنسبتها إلى أحد قادتها^(٤٩) وربما ترجع إلى اللفظة الانجليزية (كورت Court) مكان القضاء أو المحكمة، أو أنها مشتقة من كلمة (كورتين وول - Curtain Wall) وتعني الجدار الساتر، ثم جرى عليها التحريف في النطق، كما حدث أن نطقت (قصرى) كسرى كما أشرنا من قبل، وربما

جاءت من اللفظة العربية (كوث) على سبيل الاستعارة وهي تعني النبات ذات الأربع أوراق^(٥٠)، حيث أنه بهذه القلعة عدة أبراج ثم جرى التحريف في النطق، وهذا وارد، فنطقت (كوت) بدلا من (كوث)... إلا أننا لا نميل إلى هذا الاستنتاج كثيرا، وإذا قبلنا استعارته للشكل فلا يمكن الركون إلى قبول استعارته للوظيفة الدفاعية بالدرجة الأولى، ونرى أن نسبتها إلى الألفاظ الغربية أقرب إلى الاطمئنان، ولكن اللفظة العربية (كود) وتعني الكوم تكون الأرجح عند مقارنتها بلفظة كوت بعد تحريف نطقها العربي.

وقد اختلفت الآراء حول انشاء القلعة وسبب بنائها، فمنهم من يرى أنها شيدت عام ٩٩٥هـ/ ١٥٨٧م في أعقاب استرداد البرتغاليين لمسقط بغرض السيطرة التامة على عمان من خلال احكام القبض على الثغور^(٥١). أما لفظة الجلابي فيقال انه جاءت نتيجة لاحتلال القلعة من قبل القائد الفارسي خلال عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م، والرأي الثاني يعود بتاريخ تشييدها إلى عام ٩٩٤هـ/ ١٥٨٦م، ورأي ثالث يفيد بأنها شيدت عام ٩٩٧هـ/ ١٥٨٨م^(٥٢).

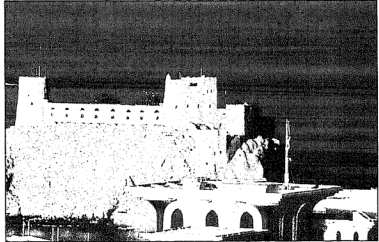
وعلى أية حال فقد شيدت هذه القلعة على أنقاض بناء قديم يعتقد بأنه كان عدة مراصد، وربما كانت هذه المراصد في شكل أبراج أقامها أهل مسقط، أو ربما كان حصنا منيعا هدمته نيران البوكيرك الذي وصف المدينة بأنها «كانت عامرة جدا بالسكان» وأن العمران يستلزم أمنا واستقرارا يتوفر من خلال وجود المعازل التي تحمي استمراريتها، كما أن البوكيرك لم يقدم على هذه الخطوة إلا بعد فشل المفاوضات^(٥٣)، وهذا يدعو إلى الاطمئنان بقبول أنها شيدت على أنقاض بناء قديم، وقيام المفاوضات ثم فشلها يعود إلى وجود قوة رافضة لها كانت ترى في نفسها ندية للمهاجمين وقدرة على مقارعتهم بما توفر لها من أسباب القوة والمنعة ومنها القلاع والحصون، ولذا فانه من المرجح أن يكون البرتغاليون قد أعادوا تشييد مادمروه احساسا منهم بقيمة هذا الأثر الاستراتيجي وأهميته الدفاعية واستعانوا على إعادة التشييد بتصاميم قلعة صحار^(٥٤) مستفيدين من خبرتهم العسكرية الطويلة والتي طبعت نفسها على معمار القلعة.

وقد حظيت هذه القلعة باهتمام كبير من حكام عمان، فقد حافظ عليها البعارة وقاموا بتجديدها في الفترة ما بين عام (١٠٦٨ - ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٧ - ١٦٥٩م) أي في فترة حكم الأمام سلطان بن سيف بن مالك البعري المتوفى عام ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م^(٥٥)، كما أن الوالي خلفان بن عبدالله في عهد الأمام أحمد بن سعيد قام بتجديدها عام ١١٦٨ - ١١٧٠هـ/ ١٧٥٤ - ١٧٥٦م)، أي بعد مائة عام

تقريباً^(٥٦) ورممها السلطان تركي بن سعيد عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م، وأضاف إليها الغرف الغربية^(٥٧) وقد جددت مرة أخرى في عهد جلالة السلطان قابوس بن سعيد بما يحفظ لها امتداد قوتها ومتانتها مع الزيادات التي أدخلت عليها عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

قلعة الميراني (الكوت الغربي):

وكما ثار الشك حول تسمية قلعة الجلاي فانه يلقي بظلاله على هذه القلعة التي يقال انها نسبت الى (الاميرال) البرتغالي^(٥٨)، ويقال ان البرتغاليين يطلقون عليها (فورت كبتان)، والرأي السائد انها كسابقتها قد أطلق عليها (الميراني) نسبة الى أحد قواد الفرس الذين احتلوا مسقط عام ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧م اثر استنجاد سيف بن سلطان اليعربي بهم^(٥٩).



قلعة الميراني

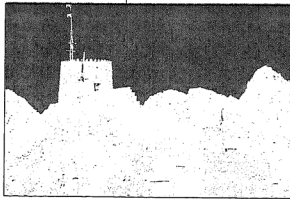
ويعتقد بأن هذه القلعة شيدت على أنقاض بناء قديم وانها كانت مرصدا لحماية المدينة شأنها في ذلك شأن قلعة الجلاي، وان الملك فيليب الاسباني - الذي استولى على البرتغال عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م أو عام ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م حسبما تذكر الدكتور سعد ماهر - أمر ببنائها حيث اكتمل عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م^(٦٠)، وقيل أنها شيدت على أنقاض حصن قديم^(٦١) وقام البرتغاليون بتطويره، وهذا يعني انها ليست بناء مبتكرا وانما هي بناء مطور عن بناء آخر أقدم منه ربما لم يكن مناسبا لمستجدات الظروف، ولذلك طبعَت الشخصية المعمارية العسكرية على هذا البناء الذي طور ليلائم احتياجاتها.

وهكذا كان تاريخ بنائها مثار خلاف بين المؤرخين فمنهم من يرى انها بنيت عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٨م^(٦٢)، ومنهم من ذهب الى انها شيدت عام ٩٩٨هـ/ ١٥٩٠م^(٦٣) فالاختلاف في التاريخ الهجري والميلادي اختلاف طفيف لا يشكل أكثر من عامين ويمكن الرضا به، ونرى أن مرجعه الى المطابع واختلاف التدوين. وكما حظيت قلعة الجلاي بال العناية والرعاية من قبل اليعاربة فقد نالت هذه القلعة نصيبها من الاهتمام والتقدير من قبلهم أيضا، فجددت عام ١٠٨٠هـ أي في عهد الامام سلطان بن سيف اعترافا من قبله بمضمونها المعماري واكبارا لدورها الدفاعي، وتقديرا لقيمتها الاستراتيجية.

كما أمر الامام أحمد بن سعيد واليه الوالي خلفان بن عبدالله الوكيل بتجديدها في الفترة من ١١٦٨هـ الى ١١٧٠هـ (١٧٥٤ - ١٧٥٦م) وهي نفس الفترة التي تم فيها تجديد قلعة الجلاي^(٦٤) وذلك ضمن خطة لصيانة بعض القلاع والحصون في عمان، ويتضح ذلك في جهود الامام أحمد بن سعيد في أعمال الترميم والتجديد في بعض القلاع المشهورة.

وبناء على أوامر جلالة السلطان قابوس بن سعيد فقد جددت القلعة وزيد في مرافقها عام ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م^(٦٥).

واجهة قلعة
مطرح تبين كيفية
تناسق الموقع مع
التصميم



قلعة مطرح

قلعة مطرح :

يطلق عليها احيانا لفظ كوت مطرح اقتداء بما اطلق على قلعتي الجلاي والميراني وحيانا تسمى الحصن البرتغالي^(٦٦). وفي هذا انتساب واضح الى البرتغاليين، ويبدو أن وضعها ربما كان مماثلا لوضع القلعتين الآخرين في مسقط.

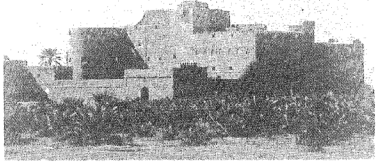
كما ان البرتغاليين كانوا يطلقون على مطرح اسم (مكارا)، ويحتمل اللفظ تأويله الى (مغارة) و(مقار)، والتأويل الثاني اقرب الى القبول من حيث وضع الحصن كمقر وهذا التأويل يحمل معنى عربيا، والكلمة تصبح جمعا لكلمة (مقر)، وبالتالي فان هذا الاطلاق في المعنى يحتمل الشمول بمعنى مطرح، والتقييد بمعنى القلعة، ولعلمهم سموه من السكان.

ويعتقد انها شيدت عام ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م وهذا يعني اسبقية بنائها على قلعة الميراني^(٦٧) بمدة عشرة اعوام وعلى قلعة الجلاي بمدة احد عشر عاما، واسبقية البناء يفهم منها ان مطرح وقلعتها كانتا اكثر اهمية من مسقط مما أدى الى الالتفات الى تحصينها، غير أننا نرى انها شيدت وقلعة الميراني في عام واحد بغرض تقوية معاقلم، وان الفارق في تاريخ البناء مرده الى خطأ في النقل، وربما كان التاريخ ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م وهو العام الذي اكتمل فيه بناء قلعة الجلاي، او لعل البناء بدأ في ذلك العام واكتمل في عام ٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م، كما ان مطرح لم تظهر في يوم من الايام اهم من مسقط لدى البرتغاليين من الناحية الاستراتيجية ويستدل على ذلك من كمية التحصينات ونوعها في مسقط وتوضيحها الرسوم التي وضعت في ذلك العهد^(٦٨).

وعلى أية حال فقد حظيت هذه القلعة بالعناية كغيرها من قلاع عمان وحصونها، ذلك ان مطرح كانت من المراكز التجارية الهامة في عمان، وكان الحفاظ على القلعة بالترميم والتجديد امرا ملحا وضروريا استدعته مقتضيات الأمن والدفاع، فاعتنى بها حكام عمان من اليعاربة والبويسعديين، وتنفيذا لأمر جلالة السلطان قابوس بن سعيد قامت وزارة التراث القومي والثقافة بترميمها عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠ - ١٩٨١م^(٦٩).

حصن جبرين :

تعتبر بلدة جبرين حالياً من أعمال ولاية بهلا من داخلية عمان، وجبرين وجبرائيل بمعنى الجبر اضيف الى ايل أو اين^(٧٠)، ويفهم من هذا ان الحصن قد انشيء للفرص ذاته حيث ان الجبر ضد الاختيار فيكون المفهوم منه المنعة، وحيث ان الجبر ضد الكسر فيكون المفهوم منه الوثام، وحيث ان الجبر - بكسر الجيم - تعني الكبر فيكون المفهوم منه الشموخ والعظمة.



حصن جبرين

ولان بلدة جبرين عامرة بالمرزوعات وخاصة القمح والحبوب، وبها المياه التي تجلبها الافلاج، فان مفهوم الجبر بمعنى الوثام والسلام والدعة هو الأقرب الى الركون اليه، كما ان الحصن او القصر المحصن كان من بين اهداف انشائه الاقامة أو السكن فضلاً عن الاهداف الحربية وهو يتفق مع المفهوم الذي اشرنا اليه. وبهذا المعنى فان العلاقة وثيقة بين بلدة جبرين وحصنها وهي علاقة تشابكية فلا تذكر الا وذكر ولا يذكر هو الا وذكر هي، فربما سميت باسمه، ولكن الأرجح انه نسب اليها، ويدعم ذلك القول بأنه شديد على انقراض بناء قديم^(٧١).

هذا وتجمع المراجع على أن بانيه هو الامام بلعرب بن سلطان اليعربي، الا انها تختلف في تحديد فترة بنائه الزمنية، فمنها من يرى انه بني عام ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م أو في عام ١٠٨٢هـ / ١٦٧١م^(٧٢)، ومنها من يرى انه شيد في عام ١٠٨٦هـ / ١٦٧٥م استناداً الى التاريخ الموجود على القوس المزخرف الذي يؤدي الى الدرج المضي الى القبو^(٧٣). وبعضهم يرى ان تاريخ بنائه في عام ١٠٨١هـ / ١٦٧٠م^(٧٤)، ومنهم اشارة الى ان الامام بلعرب قد اضاف اليه جناحاً في عام ١١١٢هـ / ١٧٠٠م^(٧٥) والجدير بالذكر ان بعض المراجع تشير الى ان الامام بلعرب حكم في الفترة من (١٠٩١ - ١١٠٤هـ / ١٦٨٠ - ١٦٩٢)^(٧٦)، ويذكر الشيخ نور الدين السالمي ان الامام نُصَّب عام ١٠٩١هـ / ١٦٨٠^(٧٧)، في حين يشير آخر الى عام ١٠٩٠هـ / ١٦٧٩م^(٧٨).

ويعود هذا اللبس الكبير في التسجيل التاريخي بالدرجة الاولى الى عدم دقة التدوين والتقدير، فضلاً عن الخلط في تحديد مدة الحكم وبدايته، وكذلك في وفاة الامام أو نهاية الحكم. وإذا قارنا بين ما ذكره نور الدين الشيخ عبدالله بن حميد السالمي عن تاريخ توليه الحكم من (١٠٩١ - ١١٠٤هـ / ١٦٨٠ - ١٦٩٢)، وما ذكره اي دريكو من ان البناء تم في عام ١١١٢هـ / ١٧٠٠م لوجدنا ان الفارق بين تاريخ الوفاة (١١٠٤هـ / ١٦٩٢م) وزمن البناء (١١١٢هـ / ١٧٠٠م) مقداره ثماني سنوات، وهذا يعني ان البناء قد تم بعد موت الامام، في حين تجمع المراجع على ان حصن جبرين بناه الامام بلعرب.

ومقارنة مع تاريخ البناء الذي ذكره دونالد هولي ١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م نرى ان الفارق بينه وبين نور الدين السالمي مقداره أحد عشر عاماً، وهذا يعني ان الحصن قد بني قبل توليه الامامة بهذا العدد من السنوات، ولكن مقارنة مع ما ذكر في كشف الغمة يعطينا ايضاحاً بأن الحصن قد بني قبل ذلك بحوالي ثلاثين عاماً. ومما لاشك فيه ان

النظرة التصويبية الى تواريخ الاحداث والمنشآت والانجازات ينبغي ان تسلط عليها الاضواء، وان تعالج بعناية تتبع سيرتها في كافة المراجع واجراء المقارنات والتغيرات الصحيحة منعا للخلط ودفعاً للشك وابتعاداً عن التسويف.

هذا ويبدو ان الحصن قد اجريت عليه عدة تعديلات، اذ افترض المؤرخون وبخاصة الآثاريون أن تصميمه كان مغايراً لواقعته الحالي، وأنه تعرض لعدة عمليات بنائية مرحلية، وهو ما أطلقوا عليه نظرية تعاقب البناء^(٧٩)، حيث يفترضون ان جزءاً منه اضيف اليه فيما بعد ليلام الأغراض الدفاعية، الا ان آخرين يذهبون الى انه لم يجر عليه التعديل في البناء الاساسي وربما حدثت اضافات خارجية في داخل نطاق السور، والقبول بالرأي الاول يعطينا بعداً على مدى تطور الفكر المعماري في التخطيط المرحلي وهو ما تأخذ به النظريات الحديثة في تصاميم المدن والبناء، كما أن مبدأ الاضافات والزيادات وارد في الابنية العمانية فمن تتبعنا لبناء التحصينات في قلاع الرستاق وصحار والجلالي وبهلا وكذلك في البيوت المحصنة كبيت النعمان وغيره وجدنا ان هذه الظاهرة طبيعية، ولكن مما يثير الفخر في عملية البناء هو عدم تأثر واجهاتها من حيث التناسق الكتلي فتشكل وحدة واحدة.

وينسب بعض المؤرخين الى ان سببية بنائه انطلقت من أهمية وجوده كمقر للسكن فضلاً عن كونه معقلاً لصد هجمات المغيرين^(٨٠). ومن المرجح أن تكون فكرة البناء قائمة على أساس أهمية وجود قواعد متقدمة ومنتشرة في منتصف البلاد كما هو الحال بالنسبة لحصن الحزم وغيره.

ومما يذكر أن الامام بلعرب بن سلطان قد مَوَّل هذا الحصن من أمواله الخاصة كما فعل الامام سلطان بن سيف عند بنائه حصن الحزم... وقد انتهت وزارة التراث القومي والثقافة من ترميمه عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.

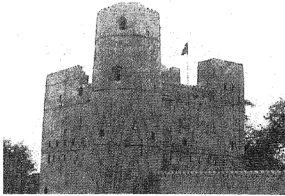
بيت النعمان:

شيد بيت النعمان على أنقاض بناء قديم كان مقراً للولاة السابقين^(٨١)، وينسب الفضل في بنائه الى الامام سيف بن سلطان (قيد الأرض) حوالي ١١٠٣ - ١١٠٤هـ / ١٦٩١ - ١٦٩٢م^(٨٢)، ولكن هذا التاريخ يشير الى العامين الأخيرين من فترة حكم أخيه الامام بلعرب بن سلطان المتوفى عام ١١٠٤هـ / ١٦٩٢م، مما يفيد بأن هذا الامام هو الذي بنى هذا البيت، وأن أخاه سيف بن سلطان (قيد الأرض) قام بغرس عدد كبير من الأشجار فيه.

حيث غرس ٣٠٠ فسيلة من النخيل، و ٦٠٠ شجرة من جوز الهند (التارجيل)^(٨٣).

ومن المحتمل أن عملية التشييد لم تتم في عهد الامام بلعرب كعملية كاملة، وانما اضيف اليه بعض الأسوار والأبراج واكتفى بأعمال الترميم والتجديد، لانه يفهم من كلمة أنقاض أن البناء السابق تعرض للتخريب اما بفعل العوامل الطبيعية او بفعل الانسان. ويفهم أن اجزاء منه ربما كانت صالحة سواء كانت الحيطان أو الأساسات او غيرها وتمت عملية الترميم والاضافات على اثر ذلك.

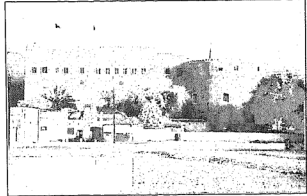
وقد قام الامام أحمد بن سعيد بتجديده، أيضاً كما أنه زاد فيه بروجاً أخرى وزاد



في السور، ويفهم من الزيادة الاضافة، فبالنسبة للسور ربما تكون الزيادة طولية بمعنى الامتداد اوراسية بمعنى الارتفاع، كما أنه عمر حدائقه، وهو مايفهم منه الاضافة الى القديم منها واحياؤها^(٨٤).

حصن الحزم:

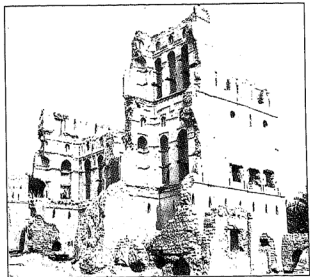
الحزم لغة الضبط او الشدة، وحزم الشيء شدة^(٨٥)، فلعل اسم الحزم أريد به أن يحمل ذات المضمون ، بمعنى أن يكون منيعا في وجه الأعداء، حازما في الدفاع غير متهاون صعب المراس، ولعل ما يؤيد ذلك خصوصية التصميم الذي امتاز به، ووجود التحصينات الدفاعية التي زود بها من أبراج ومسالك سرية وأسوار منيعة وكوى ومنصات وغيرها.



حصن الحزم

وثمة علاقة ارتباطية بين الحصن والقرية من حيث شكلية الاسم ومضمونه، ذلك أن القرية تحمل نفس الاسم قرية الحزم، ولعله قد سمي بها أن كانت سابقة له، أو سميت به أن كانت لاحقة عليه، فضلا عن كونه أثرا معماريا بارزا يضيف دليلا على ارتفاع ذوق الانسان العماني وتقدم فكره المعماري وتطور بنائه الهندسي، وتكاد تجمع المراجع على أن بانيه هو الامام سلطان بن سيف الذي تولى الامامة في الفترة من عام (١١٢٣هـ/ ١٧١١م - ١١٣١هـ/ ١٧١٨م)^(٨٦)، وقد أنفق الكثير^(٨٧) من الأموال على العمران، وعمران هذا الحصن بالذات، وترجع بعض المراجع تاريخ تشييده الى عام ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م^(٨٨). وبعضها تعود بتاريخ بنائه الى عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م الذي اشار بأن هذا التاريخ مأخوذ من كتابة وجدت على ابواب المدخل الرئيسي، وتذهب بعض المراجع الى ان بناءه تم في عام (١١٢١هـ/ ١٧٠٩م)^(٨٩). وأخرى تشير الى تاريخ بنائه الميلادي عام ١٧٠٨م^(٩٠)، فإذا كانت فترة حكم الامام مدة سبع سنوات^(٩١) ابتدأت من عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م وانتهت عام ١١٣١هـ/ ١٧١٨م حسب اجماع المراجع العمانية فانه لا يمكن الركون الى القول بأن الحصن بني في عام ١١٢٠هـ/ ١٧٠٨م أو عام ١١٢١هـ/ ١٧٠٩م، كما ان عدم الدقة في تحديد التاريخ الميلادي المعادل للهجري واضح فيما اوردته المراجع، غير ان اغلبها اكد ان الحصن بني في عام ١١٢٦هـ/ ١٧١٤م وهو ما يمكن الاعتداد به. ويقال ان الامام سلطان بن سيف قد مول بناءه من امواله الخاصة ومن اوقافه كما انه دفن بداخله.

فتح البوسعيد



هذا وقد حدثت في هذا الحصن بعض الاضافات شأنه في ذلك شأن كثير من هذه الابنية كبيت النعمان وحصن جبرين وغيرهما، اذ اضاف اليه ابراهيم بن قيس بعض الابنية الطينية عام ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م^(٩٢)، وتحتاج مانهندسة هذا الحصن المعمارية الى دراسة مستفيضة من كافة جوانبها لانه يمثل نموذجا جيدا يمكن من خلاله

التعرف على كثير من الجوانب الفكرية التي صاغته وارست دعائمه وظيفيا وشكليا.

حصن البريمي - قصر الخندق / حصن الخندق:

يسمى هذا الحصن بـ حصن البريمي لانه واقع في ولاية البريمي، وهو من الحصون الامامية لعمان التي كان لها دور بارز في التاريخ الحربي، واما تسميته بـ حصن الخندق فلأن خندقا واسعا عرضه ٧,٥ م وعمقه حوالي ٣ م كان يحيط به، بالإضافة الى تحصينه بالمنايريس، وتعزى تسميته بقصر الخندق الى انه ربما كان يستخدم كقصر للسكن شأنه في ذلك شأن بقية القصور كجبرين وبيت النعمان والحزم وغيرها من المباني التي شيدت لتكون قصورا محصنة تمارس من خلالها ايضا المهام الرسمية. ويعتقد بان السلطان سعيد بن سلطان هو الذي شيده، ويستدل على ذلك من وجود المدافع التي نقش عليها اسمه عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م^(٩٢).

هذا عن حصن البريمي وغيره من الحصون والقلاع التي تحدثنا عنها حتى الآن، وهي كما أشرنا قليل من كثير مما تزخر به عمان، واذا كنا قد استعرضنا تاريخ انشاء هذه الحصون والقلاع وبيننا بعض الصفات والملامح المعمارية التي تتميز بها، فان هذه الصفات وتلك الملامح لابد وأن تقودنا الى الحديث عن الأسس التي قامت عليها هذه العمارة الحربية العمانية.

أسس العمارة الحربية عند العمانيين:

قامت نظرية الدفاع الحربية العمانية على مرتكزات عدة وعلى موروثات تمتد في تاريخها الى ما قبل الاسلام، وعلى الاخص الى ما قبل الالف الرابع الميلادي مروراً بالعصر الجاهلي وانتقالاً الى عهد الخلافة وتعريجا الى القرن السادس عشر والسابع عشر ووصولاً الى القرن العشرين.

وانطلقت تلك الموروثات من أبعادها المختلفة وشكلت فيما بينها نسج النظرية الاستراتيجية الدفاعية، وأكدت على أن هذه النظرية لم تعمل على عامل منفرد ومحدد بذاته، وانما تشابكت في تشكيلها كافة العناصر اللازمة والضرورية لاعطاء كلمة (القوة) التي اوردها رب العزة في القرآن الكريم المعنى الذي دعت اليه، باختلاف الحقب الزمنية، وباختلاف وسائل القتال وتعدد انماط التحصينات، وباختلاف المستوى الحضاري للمجتمع، فضلا عن القدرة الاتصالية بحركة الزمن في المحيط الدولي وعن كيفية التفاعل معها والتعامل بمنطقها.

أما العناصر التي شكلت أسس العمارة الحربية لدى العمانيين فهي عديدة، أولها التاريخ العماني ذلك أن التاريخ العماني يعتبر أحد المراكز الحيوية التي اعتمدت عليها نظرية الدفاع اذ انه يحتل مساحة واسعة استوطنتها خبرة حربية عميقة وهامة انضجتها شتى انواع الحروب التي دارت رحاها على ارض عمان في داخلها، وسهلها وساحلها وصحرائها وبحرها وحتى في المناطق التي خضعت لها. فالخبرة التي تمتد الى حضارة أم النار، والتي ابانت عن بعض جوانبها التحصينات الاثرية القديمة التي عثر عليها في منطقة بات بولاية عبرى الحالية، والتي يعود تاريخها الى الالف الرابعة قبل الميلاد، كما ان تنوعها من قلعة الى سور الى حصن دل على وجود الخبرة المكتسبة في هذا المجال. ثم ان الحرب التي خاضها الملك نارم سن ملك سومر ضد الملك مانويوم ملك مجان^(٩٣)، والاحداث التي وقعت بين ملك شبووه وملك سمهرم، وحروب الأزد مع الفرس في عهد مالك بن فهم ومن بعده^(٩٤)، وصولاً الى العصر الاسلامي الذي برز فيه

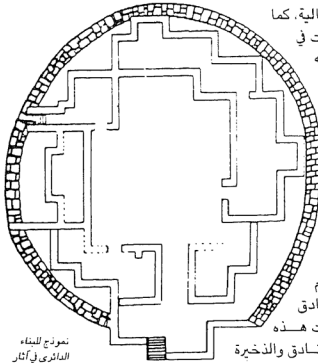
العمانيون كمقاتلين في صفوف الجيش الاسلامي^(٩٦)، وكقادة أوكلت اليهم مسؤولية محاربة المناوئين للدولة الاسلامية كالمهلب بن ابي صفرة وأولاده^(٩٧)، وكأئمة رفضوا تسلط الأمويين على عمان مثل الجندي بن مسعود^(٩٨) وقاموا أعمال القرصنة في البحر مثل الامام غسان^(٩٩)، وتصدوا للعباسيين في احدى المعارك الكبيرة بقرب حصن دما «السيب» عام ٢٨٠هـ/٨٩٣م في عهد امامة عزان بن تميم الخروصي^(١٠٠)، وكذلك محاربتهم في الهند ايام الامام الصلت بن مالك نصره للمسلمين هناك، ثم صدهم الفرس عن صحار قبل الاحتلال البرتغالي، ثم عدم التسليم للبرتغاليين عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م الا بعد مقاومة عنيفة ابدتها المدن العمانية صحار ومسقط وصور وقريات^(١٠١)، ثم تاجبت روح المقاومة المتوثبة التي مكنت العمانيين من تجاوز^(١٠٢)، البرتغاليين والانتصار عليهم وملاحقتهم في شتى المناطق، ثم تمكنهم من بناء اسطولهم الذي مكنتهم من مقاومة الفرس في الخليج^(١٠٣)، وكذلك محاولة الدول الاجنبية الاخرى كفرنسا وبريطانيا وهولندا لاقامة علاقات مع عمان^(١٠٤).

لقد كان قتال العمانيين ومحاربتهم غيرهم من الغزاة ناتجا عن ايمانهم بعدم القبول بالظلم أيا كان نوعه سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا، كما ان قتالهم لبعضهم في صورة حروب اهلية شهدت عليه مسيرة التاريخ العماني على نحو اخص في مواضع مختلفة وفي حقب زمنية متباعدة واخرى متقاربة، نابع من مقاومتهم للأعداء وذهم للشر فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه.

وهذا القتال وتلك الحروب التي خاض العمانيون غمارها أنتجت كما قلنا خبرة حربية عميقة كانت الركيزة الأولى لقيام نظرية دفاعية عمانية أثرت بدورها في قيام وتشكيل عدد كبير من القلاع والحصون والأسوار والأبراج.

أما العنصر الثاني الذي أدى الى هذه النتيجة أيضا فهو الدين الاسلامي. ذلك أن الدين الاسلامي كان من أهم المرتكزات التي اعتمدت عليها النظرية الدفاعية او الحربية وانطلقت منها عملية (الروع)^(١٠٥) من حيث العدة والاستعداد واشعال روح المقاومة ضد الغزاة، ذلك ان الدين يشكل الباعث الرئيسي لديناميكية الحركة عند الانسان العماني، وخاصة حركة المقاومة التي برزت في مقاومة الامويين والعباسيين والفرس والبرتغاليين وغيرهم. وتأتي الوطنية كعامل ثالث يعتبر الى هذا اليوم من اخطر العوامل التي تقوم عليها النظرية الحربية. وقد كان للوطنية اثرها الفعال في بلورة الاهداف الحربية والالتفاف حول القيادة العليا، كالتفاف العمانيين حول الامام ناصر بن مرشد الذي انتهج سياسة الوحدة الوطنية وسخر كافة الوسائل من أجلها.

أما المستوى الفكري والحضاري فهو عنصر لا غنى عنه في تشكيل النظرية الدفاعية العمانية ذلك انه ينبعث من الارث التاريخي الضخم للمجتمع العماني معتمدا على أساسيات نهجه الرئيسي، وهو الذي هيأ الاسباب للعمانيين لايجاد الوسائل التي مكنتهم من امتلاك امرهم من خلال توافر المعرفة بكيفية تعاملهم مع الأحداث وسيلة وحركة وهدفا. ولولا توافر المكونات الفكرية والحضارية لما استطاع الانسان في عمان ان يتقدم خطوة واحدة الى الامام، ولما استطاع استيعاب تأثير الصدمات وردود افعالها، ولما استطاع تجاوزها بعد ذلك الى مجالات أرحب. وقد أشار عديد من الرحالة الى ذلك، منهم ابن جبير^(١٠٦) وابن بطوطة^(١٠٧) وماركو بولو وكورفيكو ديما فارينما، ومن قبلهم ذكرت بعض المظاهر الحضارية كتب الجغرافيين العرب كالمقدسي والكلبى وياقوت وغيرهم. وتذكر الدول الحديثة أهمية ذلك في عملية استيعاب الميكنة الحربية



فتسعى بشتى الطرق لرفع القدرة والكفاءة القتالية. كما يعتبر الاتصال الدولي من العوامل الهامة التي اثرت في نظرية الدفاع أو الحرب، فلقد تمكنت عمان بفضلها من التعرف على الوسائل القتالية التي يتعامل بها العالم في مختلف مناطقها وعلى امتداد ازمنتها فعلاقة عمان بالهند وفارس والدول الغربية^(١٠٨) اتاحت لها الفرصة لكي تطلع عن كثب الى ما لديهم من تقنية في صنع السلاح وكذلك امكانية استيراده والاستفادة منه. وبالتالي حدث تطور في استخدام الوسائل من سهام الى بنادق، ومن مجانيق الى مدافع، وقد اثر ذلك على العمارة الحربية والابنية الدفاعية، فبدلا من المزاغل لرمي السهام استحدثت الفتحات لاطلاق النيران من البنادق وكذلك استحدثت منصات المدافع، وروعت هذه الاساسيات في قيام صناعة حربية للمدافع والبنادق والذخيرة وكذلك السفن الحربية.

وفي هذا الصدد لا يمكن ان ننسب الخبرة الحربية المكتسبة لدى العمانيين الى البرتغاليين كما اشار الكاتب^(١٠٩) اي . دريكو كما انه في نفس الوقت لا يمكن ان نغفل لمسانتهم وتأثيرهم، وهذا امر طبيعي، حيث ان الظروف التي كانت تمر بها عمان استدعت العمانيين الى ان يتعاملوا معهم بنفس الاساليب وعلى نفس القدر، وهو ما يمكن ان نطلق عليه ميزان القوى في الاصطلاح الحديث وبالطبع فان هذا الميزان يخضع لمبدأ التأثير، بمعنى العطاء للغير، والتأثر، بمعنى الاخذ من الغير، ويرى دونالد هولي ان الكتاب الغربيين يخطئون كثيرا في نسبتهم بناء القلاع والحصون في عمان الى البرتغاليين مع انهم لم يقوموا الا ببناء القليل جدا منها وان اغلبها بناه العمانيون بانفسهم^(١١٠)، في حين ترى الدكتورة سعاد ماهر ان البرتغاليين استفادوا من تصميمات الحصون القديمة كحصن صحر اثناء احتلالهم لعمان^(١١١)، ويشير بيرون بيج الى ان الغربيين استفادوا من عمارة الأبراج الشرقية العربية في الاندلس اثناء الحملة الصليبية^(١١٢)، ولقد دخلت الشواهد التي استعرضناها انفا وسقناها في معرض هذا الحديث على انهم اخذوا اولاً من العمانيين كما ان العمانيين اخذوا منهم ومن غيرهم ايضاً ولا غضاضة في ذلك^(١١٣).

وبالتالي فان النظرة الحربية او الدفاعية العمانية قامت على ثوابت تتمثل في التاريخ والدين والعصبية، واخرى متغيرة تتمثل في المستوى الحضاري والفكري وكذلك الاتصال الدولي. ونعتقد ان هناك امورا اخرى تفصيلية تنبثق من الثوابت والمتغيرات المشار اليها، وان هذه العوامل جميعها لعبت دورا هاما وبارزا في تخطيط التحصينات وفي اختيار مواقعها وفي عملية بنائها وهيكلية انشائها وتنوع انماطها واختلاف اشكالها.

والناظر الى خارطة عمان تتكشف له حقيقة واضحة المعالم مردها ان على الساحل تنتشر عديد من المدن والحوضر العمانية في اقصى الشمال مروراً بالشرق وانتهاء

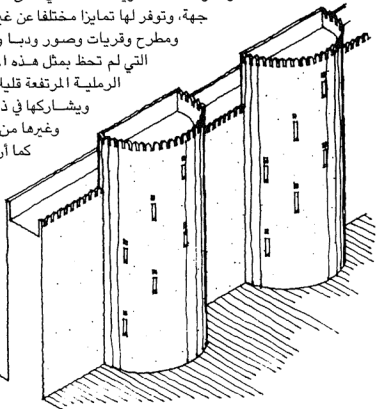
بالجنوب، وهذه المدن تعتبر بمثابة ثغور عمان من جهة البحر، وتختلف اهميتها باختلاف موقعها من مسرح الأحداث. ومن ضمن هذه المدن على سبيل المثال لا الحصر صحار وصور وقريات وخصب وبركا ومرباط وصلالة ومسقط وغيرها، وكلها ثغور بحرية.

كما انه توجد الثغور الاخرى في الجانب الغربي والشمال الغربي وهي ثغور برية وأهمها على الإطلاق البريمي وعبري، ولذا فإن ثغور الساحل اكبر عددا من ثغور الداخل نظرا لطول ساحل عمان الكبير، ولانه مصدر الاتصالات مع الحضارات الاخرى منذ القديم، كما ان الجانبين الغربي والشمال الغربي من حدود عمان تغلب عليهما الصحراء وتقل عليهما مظاهر الاستيطان، ولعل الاكتشافات الاثرية في المستقبل تكشف عن حضارات قامت في هذه المناطق^(١١٤).

ويرى اللواء جمال محفوظ أن فكرة بناء الثغور تعود في تاريخها الى ايام خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث امر بانشاء عدد من المدن لاقامة المسلمين مع اسرهم في ظل اتساع الفتوح الاسلامية^(١١٥)، وسار على هذا النهج الامويون والعباسيون ولكن المدن العمانية يمتد تاريخها الى ما قبل الاسلام، وبالتالي فهي ليست وليدة ذات الفكرة، لان حضارات عديدة قامت عليها سابقا، بيد انها بجانب نشاطها الاقتصادي تبقى ثغورا هامة لداخلية عمان من الناحية العسكرية، وهي بمثابة قواعد استراتيجية متقدمة ولا بد من تحصينها بالقلاع والحصون لتمكينها من صد اعدائها والمحافظة على قوة تماسكها، ومن ثم كان لطبوغرافيتها الاثر الاكبر في اختيار مواقع بناء التحصينات فيها. ولذا فقد شيدت القلاع والحصون على الجبال والنتوءات الصخرية المتقدمة في المدن الساحلية التي كانت تحيط بها الجبال من جهة، وتوفر لها تمايزا مختلفا عن غيرها في عملية الدفاع والسيطرة مثل مسقط ومطرح وقريات وصور ودبا وغيرها. في حين ان المدن الساحلية الاخرى التي لم تحظ بمثل هذه المزية كانت تقيم تحصيناتها على التلال الرملية المرتفعة قليلا عن سطح البحر مثل صحار والسويق، ويشاركها في ذلك الى حد ما بركا والمصنعة وصلالة وغيرها من القلاع المنتشرة في مدن الساحل وللايات، كما أن بعضها قد شيد على رؤوس بحرية والسنة ارضية ممثلة في البحر كقلعة رأس الحد وقلعة ريسوت.

والقول بأن الاستحكامات الساحلية معظمها تقع على قمم الجبال^(١١٦) فيه شيء من المغالاة ويكتنفه عدم الوضوح، وقد استخدمت رؤوس الجبال والنتوءات الصخرية كمواقع لبناء التحصينات في المدن الداخلية من عمان، سواء كانت في المنطقة الشرقية كإبرامثلا والمضرب، أو في المنطقة الداخلية كسمائل وبهلا وغيرها، وقد ظهر ذلك

اسوار المدن
التحصينة



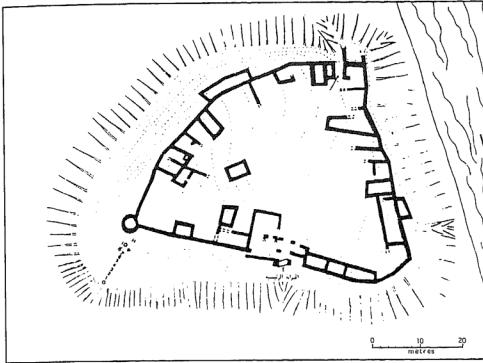
واضحاً في آثار بات القديمة. كما أن عاملاً هاماً في اختيار مواقع التحصينات يتعلق بنقاط تلاقي الطرق في مناطق حيوية، ولذلك فقد شيدت على هذه النقاط قلاع وحصون نزوى وقلعة نزوى وقلعة بركة الموز وحصن العوابي وغيرها. وكذلك استفاد العمانيون من منحدرات الجبال في بناء التحصينات كاستفادتهم منها في النواحي الزراعية، وبالتالي هياً ذلك لظهور عمارة شبه تحصينية أو حربية تكاد تنفرد بها عمان دون غيرها من بلدان المنطقة على الأقل، وظهرت تلك العمارة في بناء تحصينات مدرجة على شكل بيوت في الجبل الأخضر على نحو أخص، غير أننا نميل إلى أن استخدام هذه العمارة للأغراض السكنية كان أكثر منه كاستحكامات حربية^(١١٧). وتخضع عملية اختيار مواقع التحصينات إلى ضرورة حماية مراكز المدن وحدودها في جعلان فضلاً عن الوظائف الأخرى التي تؤديها، ولذا فإنه قد شيدت بعض القلاع والحصون في جعلان بني بوحسن وجعلان بني بوعلوي والقابل وازكي والبريمي وعبري. والمدينتان الأخيرتان تعتبران من ثغور عمان الهامة في حدودها الغربية والشمالية الغربية.

ولا تقل منابع المياه ومجاري الوديان أهمية من غيرها من العوامل التي تعرضنا إليها آنفاً ذلك أن هذا العامل كان من أخطر العوامل في اختيار مواقع بناء التحصينات، وضرورة المحافظة عليه إذ ظلت المياه أكثر الحاحا على مدى الأزمان وإلى يومنا هذا. وقد تجلت أهميته بالنسبة للمسلمين في غزوة بدر التي جعلته مبدأ هاماً في النظرة الاستراتيجية، وهذه النظرة تأصلت في الأولويات الاستراتيجية في القرن العشرين ونرى أن جميع الدول تسعى جاهدة لتوفير المياه والحصول عليها، ولذا فقد شيدت بعض القلاع والحصون في عمان بالقرب من منابع المياه ومجاري الوديان، كقلعة العوامر الواقعة على وادي حلفين في المنطقة الشرقية^(١١٨)، وحصن مضاء الواقع على ملتقى وادي صحنة وادي مضاء، وحصن بسديد الواقع على رأس وادي سمائل، وحصن الراوية وغيرها^(١١٩).

وهناك بعض التحصينات التي اختيرت مواقعها بعيداً عن فكرة استغلال الطوبوغرافيا لتوفير الحماية للمدن ومواردها القومية، وإنما شيدت في مناطق وسطية لتكون بمثابة قواعد استراتيجية متقدمة بغرض تقصير خطوط الامداد وتقصير خطوط مواصلات الجيش الذي يحارب في الثغور مثلاً بعيداً عن القاعدة الرئيسية، وهي العاصمة كالرستاق أو نزوى أو غيرها. كذلك فإن وجود هذه القواعد يعتبر خط دفاع متقدم يهدف إلى امتصاص قوة العدو ومعرفة حجمها، ومن ثم توفير ظروف أفضل للجيش الرئيسي المدافع عن المدينة، وهو مبدأ تأخذ به العسكرية الحديثة، فنرى تعدد الخطوط من أول إلى ثان إلى ثالث وهكذا نعتقد أن حصني الحزم وجبرين وغيرها من الحصون المماثلة شيدت لهذا الغرض، ذلك أن حصن الحزم يقع في منطقة وسطية تخدم شمال الباطنة ممثلة في صحار من جهة، وتخدم جنوب الباطنة ممثلة في بركاء والمصنعة وغيرها. وكذلك فإن حصن جبرين يخدم منطقة الظاهرة من جهة والداخلية من جهة أخرى، وقد تمتد جذور هذه الفكرة الحربية إلى العصر الإسلامي^(١٢٠).

وتكاد تنحصر الأشكال التي انتظمت فيها التحصينات العمانية في نماذج محدودة ومألوفة في جميع الأبنية، إذ ألقت بظلالها على الأبنية المحلية الأخرى كالمساكن والمساجد والمدارس القديمة ومكاتب الجمارك (القرضة) في السابق وغيرها.

فمن خلال الدراسة التي أجريتها على عدد لا بأس به من أبنية التحصينات في



نموذج تحصين
مثلك الشكل من
أثار عمان القديمة

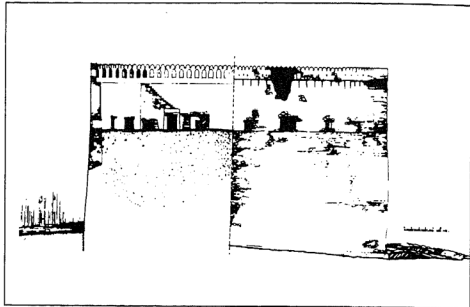
مختلف المناطق العمانية، اتضح لنا ان الاشكال المتداولة لالتعدي الخمسة منها المستطيل مثل (قلعة بركة الموز والراوية، والعراقي الخ...)، ومنها المربع، مثل (قريات ورأس الحد وبديد، الخ...) ومنها الدائري واشهرها قلعة نزوى، ومنها البيضوي ويظهر ذلك واضحا في مبنى البرج الرئيسي في قلعة الرستاق (القلعة)، ثم الثلاثي الشكل الذي يظهر في حصن السيب حيث يعتقد انه برتغالي^(١٢١). كما ان الاكتشافات الاثرية في بات قد قدمت لنا نموذجين من التحصينات ربما كانا سائدين، وهما الشكل الثلاثي او المثلث، والشكل الدائري في صورة برج ضخمة^(١٢٢). ونعتقد ان جغرافية الموقع وطبوغرافية الارض قد لعبت دورا في تحديد شكل المبنى الى حد ما، وهذا امر متعارف عليه في علم هندسة البناء وفي النواحي المعمارية والانشائية، وان القول بأن التوفير في التكلفة هو الذي ساهم في نشوء التحصين الثلاثي على نحو اخص ارى ان مبرره لا يرقى الى مستوى اعتباره، ذلك لانه من البديهي ان تنفق الاموال بغرض انشاء تحصينات قوية ايا كان نوعها ووفق عصرها، وهذا ما تعتمد الدول الحديثة في مختلف انحاء العالم.

فبالاضافة الى الاشكال التي مكنتنا الدراسة من استقراءها ومن ثم استنباط نماذج منها وتصنيفها على نحو ما قدمناه، فان انواعا من التحصينات انتظمت في انماط من الابنية والخنادق والاسوار يمكن ادراجها على سبيل المثال على النحو التالي:

- **القللاع:** قلعتي الجلاي والميراني وقللاع مطرح وبهلا وعبري ونخل والرستاق وصحار، الخ...

- **الابراج:** كبرج قلعة نزوى وابراج ابراء والمضرب ومسقط، الخ... وبعضها كان زوايا او بيضاويا او مربعا، واخرى كانت مضلعة شكلت في معظم الاحيان جزءا اساسيا من القلعة او الحصن وغيرها.

- **الحصون:** كحصن العوابي وحصن الخندق بالبريمي وحصن بركة الموز ... الخ.



واحدة قلعة نزوى
نموذج للبيضا،
الدائري الانفرادي

● **القصور المحصنة:** كجبرين والحزم وبيت النعمان وبيت الجريزا وبيت الفلج وبيت سمائل السفلى والقليج.. الخ.

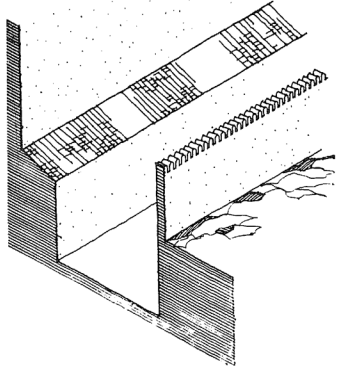
● **البيوت المحصنة:** مثل البيت الكبير وبيوت اخرى في ابراء العليا، وبيت الصدور وبيت بومة وغيرها في ابراء السفلى، وبيت حبر في وادي المعاول وكذلك البيوت الموجودة في الجبل الاخضر والمنطقة الجنوبية وصور والمضرب والقابل وغيرها من مناطق عمان^(١٢٣).

● **الاسوار:** فمنها ما احاط بالمدن (كسور مسقط وسور صحار.. الخ...)، ومنها ما احاط بالقلاع والحصون وهذه منتشرة في معظم الابنية التحصينية، ومنها ما وجد لذاته وحصن بأبراج في اركانه او ركنية واحيانا في ركن واحد وزود بمخازن للعتاد، وتكاد منطقة الباطنة أن تكون اكثر استحواذا على هذه الاسوار^(١٢٤). وبعض الاسوار تشكل جزءا تحصينيا من بناء القلعة او الحصن او القصر او البيت المحصن، ولا تكاد تبلغ ارتفاعاتها اكثر من ثلثي ارتفاع الابراج المقامة عليها ولكن عروضها تتفاوت فتصل احيانا الى مترين، بينما تختلف طبيعة بنائها والمواد المستخدمة وكذلك تصميمها.

● **الخنفاق:** وقد استخدمت الخنادق قديما في تحصين مدينة صحار، كما استخدمت في تحصين مدينة مسقط. ولعل فكرة الخندق كانت معروفة لدى العمانيين قبل الاسلام، وربما اكتسبوها من الفرس، ذلك ان العرب في مكة على نحو اخص والمدينة لم يعلموا بهذه الفكرة وهذا واضح في مشورة سلمان الفارسي للرسول ﷺ في غزوة احد^(١٢٥)، ولكن العرب الجنوبيين وفي اليمن بالذات قد عرفوا مثل هذه التحصينات، ومن ثم فانه بالإضافة الى اكتساب العمانيين هذه الفكرة فانها كانت متصلة لديهم كموروث حضاري عربي حملوه من اليمن اثناء هجرتهم لعمان.

واذا كانت الخنادق قد استخدمت لتحصين بعض المدن العمانية فانها استخدمت أيضا كتحصين للقلاع والحصون، ويعتبر حصن الريمي المعروف بحصن الخندق من اشهرها، وتختلف طريقة انشائها من حيث العمق والعرض، وكذلك من حيث المواد المستخدمة في تبطينها، كل حسب الوظيفة المحددة لها وحسب اهمية الموقع ومدى توفر مواد البناء.

ويلاحظ أن التحصينات التي لم تشيد على رؤوس جبال أو مرتفعات جبلية قد استعاضت عن ذلك بالارتفاعات الكبيرة التي تمكنها من السيطرة على المحيط الذي تدافع عنه، وقد تصل هذه الارتفاعات أحيانا إلى ٣٠م كما في صلالة وإلى ٢٢م كما في جبرين، وبحوالي ١٢م كما في الحزم وغيرها من القلاع والحصون في ولايات الباطنة وجعلان والقابل وولايات الظاهرة، وتكاد تختفي هذه الظاهرة في الداخلية نظرا لتوافر المرتفعات، وقد تمت معالجة ذلك تصميميا من خلال عدة وسائل فنية وهندسية، منها استخدام اختلاف مستويات الأرضيات في الطوابق، وكذلك زيادة ارتفاعاتها، وقد وفر ذلك الارتفاع المطلوب لكشف المنطقة محل السيطرة عليها، ثم ساعد في تخفيف درجات الحرارة التي تسخن الهواء في الغرفة، إذ يجد هذا الهواء ارتفاعا كافيا يتعالى فيه ومنتسعا فسيحا يمتد خلاله فتهدئ شدة الحرارة.



الخنادق التحصينية

ويلاحظ أن معظم التحصينات المشيدة تضم أبراجا إما في أركانها الأربعة كحصن (مضاء) وقلعة رأس الحد... الخ)، أو ركنين متقابلين على خط محوري (كحصن جبرين والعبوابي وبركة الموز... الخ...) أو في ركنين على خط واجهة واحدة (كحصن بدبد)، أو في ثلاثة أركان أي في الحصن الثلاثي (كحصن السيب المدعو بالحصن البرتغالي وحصن بركا القديم)، كما تقتصر بعض الحصون على برج واحد وغالبا ما يكون ركنيا (كحصن العراقي... الخ)، وتنفرد قلعة نزوى في تصميمها كحالة خاصة حيث أنها برج ضخم قائم بذاته.

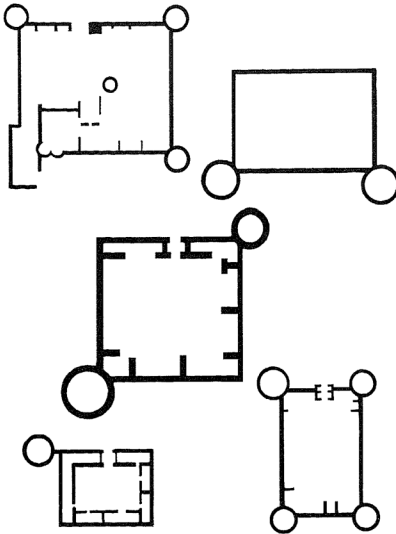
غير أن الحصون المشيدة على رؤوس جبال أو نتوءات صخرية تتحكم من حيث طبوغرافيا الموقع في وضع أبراجها إلى حد ما، وتعطينا قلاع مسقط ومطرح والجالي والميراني أكبر دليل على ذلك.

وتتفق بعض الأسوار المحصنة مع الأنماط المشار إليها، إلا أن بعضا منها له خاصيته المتميزة ويظهر ذلك في الأسوار المحيطة بالمدن حيث نجدها تضم أبراجا على طول محيط السور بمسافات متباعدة، بالإضافة إلى الأبراج الركنية، ويعتبر السور المحيط بصحار أحد النماذج على ذلك.

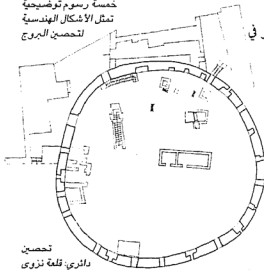
هذا ويمكن أن نستنتج من هذا الحديث الذي سقناه حتى الآن عن التحصينات العمانية، الأساليب والسمات المعمارية التي اتبعها العمانيون في إقامة وتشيد هذه التحصينات حتى تقي بالأغراض المحددة لها.

من هذه الأساليب والسمات إنشاء الحصون والقلاع المستديرة بما تحتويه من ظواهر معمارية معينة مثل السقاعات والمزاغل.

وتعد قلعة نزوى من أشهر القلاع المستديرة في عمان وقد سبق أن أشرنا إلى أن الامام



خمسة رسوم توضيحية
تمثل الأشكال الهندسية
لتحصين البروج



تحصين
دائري: قلعة نزوى
المنطقة الداخلية

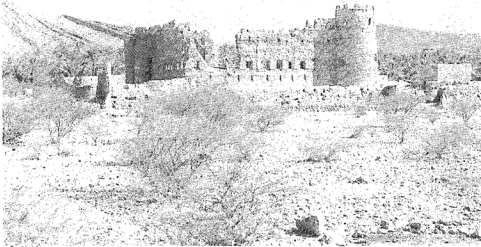
سلطان بن سيف بن مالك اليعربي (١٠٥٩هـ - ١٦٤٩هـ / ١٦٨٨م) هو الذي بناها واستغرق بناؤها اثني عشر عاماً في موقع استراتيجي يسيطر على المدينة وأطرافها سيطرة تامة، ويبلغ قطرها سبعة وعشرين متراً ويبلغ ارتفاعها أربعة وثلاثين متراً، ولها سبعة أبواب، وجدرانها مزودة بمزاغل وسقاطات لرمي السهام والقذائف والسوائل المحرقة، وتحتوي في الداخل على مخازن للذخيرة والمؤن^(١٢٦).

وسر أقبال المهندسين والبنائين على بناء القلاع والحصون المستديرة يكمن في ملائمتها للدفاع وصد الأعداء، فانعدام الزوايا في هذا البناء يسهل مهمة الحراس لعدم وجود حائل يعترض مدى رؤيتهم، كما أن هذا النوع من البناء أكثر مقاومة للرياح التي تتلاشى عند اصطدامها به، إضافة إلى الاقتصاد في مواد البناء. وقد عرف العمانيون هذه المزايا في الحصون والقلاع قبل الإسلام فبنوها في مدنهم منذ الألف الثالثة قبل الميلاد^(١٢٧)، وقد أضيف

لهذه القلاع أبراج اسطوانية كبيرة بارزة عن مستوى الجدار في إحدى زواياها لتؤدي الوظيفة ذاتها، وقد يكون هناك أكثر من برج واحد لتتم السيطرة على كافة الجهات كما في حصن جبرين، إذ أضيف برجان كبيران في زاويتين متقابلتين منه وبذلك تمت السيطرة عليه من جهاته الأربع^(١٢٨).

وعندما نتكلم عن قلعة نزوى لا بد أن نشير إلى ظاهرتين هامتين في عمارة الحصون والقلاع، وهما ما يطلق عليها السقاطات والمزاغل، وهاتان الظاهرتان منفذتان في قلعة نزوى وفي غيرها من التحصينات داخل عمان وخارجها^(١٢٩).

فالسقاطة عبارة عن شرفة صغيرة تعلو المدخل بصورة خاصة محاطة بجدران ومحمولة على دعائم، وفي أرضية هذه



بيت الرديدة
(قبل الترميم)

الشرفة وجدرانها فتحات لرمي السوائل المحرقة والسهام على المهاجمين، ويرجع ان هذا العنصر عربي عرف في بلاد الشام قبل الاسلام ومنها انتقل الى العمائر الأخرى، وأقدم أمثلته في العصر الاسلامي موجود في قصر الحيرة العربي في بداية القرن الثاني الهجري^(١٣٠).

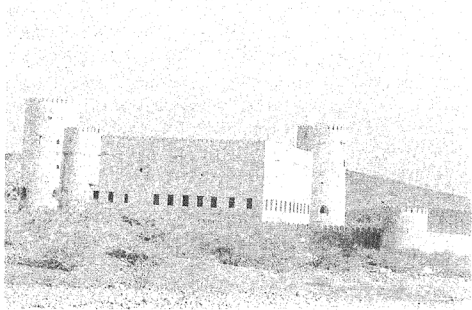
واستمر استخدام هذا العنصر فوق ابواب القلاع والحصون والاسوار في العصر الاسلامي وتأثرت به العمائر التي انشئت في اوروبا في مختلف العصور. أما المزاغل فهي فتحات عمودية في الجدران لرمي السهام والقذائف كما تفتح في السقوف (افقية) لسكب السوائل المحرقة.

وتصميم المزاغل العمودية من الداخل على شكل حنايا كبيرة وعلى شكل سقوف مستطيلة ضيقة من الخارج كما في حصن الاخضر في العراق، يتيح للمدافع حرية الحركة خلفها دون ان تصيبه قذائف العدو من الخارج. وبعض هذه الفتحات مزورة لتزيين من صعوبة نفاذ القذائف الى الداخل، وهي في قلعة نزوى ذات ارضية مائلة الى الخارج لتقرب نظر المدافع من قاعدة السور، وهي ظاهرة موجودة في قلاع اسلامية أخرى.

أما المزاغل الأفقية فتفتح في سقوف المداخل بصورة عامة وتصب منها السوائل المحرقة على المهاجمين، وإلى جانب مدخل قلعة الحزم خزان للماء يستعمل لاختفاء الحرائق التي قد يشعلها العدو في الباب الخشبي.

الفناء المكشوف:

الصحن المكشوف الذي تطل عليه الوحدات البنائية يعتبر من اهم الميزات البارزة في بناء المساجد والبيوت والقلاع في عمان. وقد جُسد هذا النمط من التخطيط في حصن جبرين الذي بناه بلعرب بن سلطان بن سيف (١١٠٠ - ١١٢٣ هـ/ ١٦٨٨ - ١٧١١ م)، وهو من اجمل الحصون والقلاع العمانية^(١٣١)، والفناء الداخلي فيه تطل عليه وحدات البناء المحيطة به فهو المتنفس الرئيسي لهذه الوحدات وهو مصدر الضوء والانارة كما جسد ايضا في قلعة بركة الموز^(١٣٢) وفي كثير من مساجد نزوى^(١٣٣).



بيت الرديدة
(بعد الترميم)

وقد اعتمد عنصر الصحن المكشوف في مختلف عمائر الشرق منذ أقدم العصور^(١٣٤) كرد سليم على البيئة القاسية بحرارتها وبرودتها، فهو مركز الحركة والتوزيع للوحدات البنائية، وهو مخزن طبيعي يتجمع فيه الهواء البارد ليلا على شكل طبقات متعاقبة تنديد تدريجيا خلال النهار، فإذا اقبل الليل ثانية تجمت فيه طبقات اخرى مكانها لتتسرب في اليوم التالي، وهكذا تبقى دورة الهواء البارد مستمرة لتحفظ للبناء درجة حرارة مستقرة طيلة ساعات الليل والنهار. وللصحن المكشوف أهميته في تخفيف حدة الضوء المنتشر في وحدات البناء، والتقليل من شدة الضوضاء الخارجية، كما انه يعمل كمرشح طبيعي للأتربة العالقة في الهواء. وقد توزعت وحدات البناء حول الصحن بمجموعتين تُسكن احدهما صيفا والاخرى شتاء حسب طبيعة الرياح المواجهة للمجموعتين^(١٣٥).

السقوف الخشبية:

ومن الظواهر البارزة في عمائر عمان في العصر الاسلامي سقوفها الخشبية. فقد اقبل المسلمون في العصور الوسطى على التسقيف بالخشب لتوفره وخفته وسهولة الحصول عليه واستخدامه، وقد حول الفنان العماني هذه السقوف الى ألوان زخرفية فنية ابرز فيها مهارته وبراعته.

وزخرفة السقوف الخشبية ظاهرة بارزة في بيوت عمان وبعض قلاعها ومنفذة بطريقة الرسم او الحفر. والأشكال الزهرية والتصاميم الهندسية تميز في الحفر على الخشب في عمان ولا يزال صناعها يستخدمون الآلات البسيطة لانجاز أجمل القطع الفنية وادقها^(١٣٦).

وقد نفذت الزخارف على معظم السقوف الخشبية بأسلوب الرسم بالألوان الزاهية الجذابة المتناسقة، وأجمل أمثلة لهذه السقوف موجودة في حصن جبرين المشهور، فالزخارف فيه منفذة بدقة كبيرة بأسلوب الحفر على الأبواب الخشبية، والرسم على السقوف بألوان جذابة متناسقة، وسقف المسجد وغرفة الامام أجمل ما في هذا الحصن من زخارف، وكذلك سقف إحدى قاعات الاستقبال^(١٣٧) ولم يقتصر الأمر على

العناصر البنائية والهندسية في الزخرفة، فقد كان للخط العربي نصيب وافر بارز فيها وكلها تدل على دقة ومهارة وتفتح في انجازها.

الستائر الجصية والخشبية:

ونظرا لظروف عمان المناخية القاسية فقد عمد أهلها الى ابتكار وسائل متنوعة تخفف عنهم جور طبيعتهم وتخلصهم من عناء العيش تحت هذه الظروف. ومن هذه الوسائل فتح نوافذ كثيرة في جدران البناء تسمح بمرور أكبر كمية من الهواء لتلطيف الجو ولتخفيف حدة الحرارة، كما وضعت على نوافذ البيوت والنوافذ الداخلية في القلاع ستائر جصية وخشبية ذات ثقب لتخفيف حدة الضوء ولتنظيم مرور الهواء الداخل إليها.

وتصاميم هذه الستائر ماهي الا اختبار لبراعة الفنان العربي العماني وذكائه، فقد اتخذها ميدانا يعرض فيه فنه ومهارته بأشكال من الزخارف النباتية والهندسية، والكتابات التي تضيء على المكان جمالا وشاعرية وتغمر الجالس بالبهجة والراحة والانشراح، خاصة عندما تكون تلك الستائر مطعمة بقطع الزجاج المتعدد الألوان. وقد ثبت حديثا ما للألوان من فوائد ومزايا في شفاء بعض الأمراض، فاستخدام القدامى للألوان يدل على فطرتهم السليمة، وعلى بعد نظرهم ومعرفتهم للنظريات التي ظهرت حديثا.

ونتيجة لدراسة الزخارف العربية الإسلامية تبين ان التصاميم الزخرفية المنفذة على الستائر لم تكن من فراغ، بل كانت قائمة على دراسات وأسس هندسية عميقة سبقت تنفيذها وتركيبها^(١٣٨).

هذا وقد حصل العمانيون على الأخشاب اللازمة لصناعة الستائر الخشبية من الأرض العمانية التي تمت في تربتها انواع من الأخشاب الصلبة الصالحة لهذا الميدان، كما حصلوا عليها من الهند وإفريقيا عن طريق البحر مما ساعد في الحفاظ على تقاليد عمانية في حفر الخشب ظلت مشهورة لمئات السنين^(١٣٩).

وتثبت الستائر الخشبية أو الجصية بصورة عامة في القسم العلوي من نوافذ الطوابق العليا من الأبنية، لأنها أكثر عرضة لأشعة الشمس وحرارتها، أما القسم السفلي فيكسوه زجاج أبيض شفاف مغطى بأبواب خشبية صغيرة ذات زخارف جميلة، وفي بعض الأحيان تبنى فوقها نافذة صغيرة دائرية الشكل شبيهة بالنظام الذي نجده في بعض نوافذ البنيان اليمني. وهناك تنوع كبير في أشكال الستائر الخشبية التي نفذها التجارون بتصاميم جميلة يبدو عليها التأثير بالأساليب الهندية والمغولية والإفريقية في بعض المناطق العمانية^(١٤٠). ومن هذه الستائر ماهو دائري الشكل أو نصف دائري أو على شكل عقد مدبب أو معضض كما نرى في حصن جبرين^(١٤١).

وقد تكون هذه الستائر على شكل طبقات متعددة فوق النافذة بحيث تفتح إحدى هذه الطبقات عند الحاجة للسيطرة على التهوية وعلى أشعة الشمس الداخلة. وفي عصر متأخر استخدمت مشبكات خشبية تتقدم النوافذ الخارجية على شكل قفص بارز منشوري الشكل يبدأ عريضا عند القاعدة^(١٤٢).

وكل هذه الستائر تعبر عن جمال الزخرفة وعمق جذورها في الصناعة والنماذج المتبقية منها وتحديثا عن نوايغ فنانينا وأماجد أجدادنا وعنايتهم بالكمال في جميع نواحي الحياة^(١٤٣).

وفي العراق ومصر وبلاد الجزيرة وغيرها ازدهرت صناعة الستائر الخشبية المتقبة التي اطلق عليها في العراق (شناسيل) وفي مصر (مشربيات) لتؤدي غرض الستائر الجصية والحجرية العمانية ولتعمل كمرشح للهواء من الاتربة العالقة ولتساعد على تلطيف الجو.

وقد تأثر معماريو الغرب بظاهرة الستائر المعمارية لجمالها وأناققتها^(١٤٤)، الا أنهم عجزوا عن تفهم عمق تلك الحلول واقتبسوا اشكالها دون جوهرها.

المساجد والمآذن:

يغلب على المساجد العمانية بصورة عامة طابع البساطة في تخطيطها وفي عناصرها المعمارية والزخرفية، فهي على العموم ذات صحن مكشوف^(١٤٥) تحيطه الأروقة كغيره من المساجد، وعناصره المعمارية بسيطة لا تخرجه عن هذا الطابع الا في النادر، فقد اشار ابن بطوطة في رحلته بان مسجد قلعات (حيطانه بالقاشاني شبه الزليج)^(١٤٦).

ومن الظواهر المعمارية البارزة في مساجد عمان مآذنها فهي ذات طراز معماري متميز عن غيرها من المآذن القائمة في الاقطار الاسلامية الأخرى. فهي في عمان وخاصة السواحل ذات شكل يتميز ببساطته ولا يتعدى أن يكون بناء صغيراً مربع الشكل او مستديراً قليل الارتفاع، جدرانه مفتحة بنوافذ بطابقين على الأكثر، ويقف المؤذن لبنادي بالاذان داخله، وسقف المئذنة قبة بيضاوية الشكل مدببة^(١٤٧). وهو شكل يذكركنا بمئذنة الجيوشي التي بناها الفاطميون في القاهرة.

وقد يتم النداء للصلاة من أعلى سطح مجاور للمسجد أو من فوق مجموعة من الدرجات بنيت فوق الجدار الخارجي للمسجد، كما كان عليه الحال في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وفي المساجد التي بنيت في الأيام الأولى للإسلام^(١٤٨).

الشرفات:

وهناك وسائل أخرى لاستيعاب البيئة في تصميم المباني العربية الاسلامية سواء في مادة البناء ام في اضافة عناصر جديدة.

فالشرفات Crenellations عناصر معمارية زخرفية توجت بها جدران الأبنية الدينية والسكنية والتحصينات العسكرية على حد سواء، وهي تدل على نهاية البناء وهي نهاية جميلة لأي بناء، وقد تبلور تصميمها فأصبحت تبني على شكل مدرج ومسفن ومورق ومستطيل أو مربع ذي رأس مثلث أو مدور وغيرها من الأشكال.

وقد ارتبطت الشرفات ارتباطاً وثيقاً بالتحصينات والمساجد بصورة خاصة حتى سميت بـ(عراس السماء)^(١٤٩). فنجدها تعلو جدران بعض القلاع والمساجد في عمان، وهي ذات شكل مربع ضلعه العلوي على شكل مثلث أو مستدير، وقد تغطي هذه الشرفات بطبقة من الجص والألوان، ويتوزع هذا العنصر فوق الجدران بأسلوب زخرفي جميل نراه فوق حصن جبرين بصورة خاصة، اضافة الى القلاع والحصون الأخرى المنتشرة في طول البلاد وعرضها، كما نراه تعلو جدران المساجد والمآذن والابرار والبيوت وغيرها، وهي بشكل جديد يختلف عن الأشكال الأخرى المعروفة في البلاد الاسلامية عموماً.

وكان استخدام الشرفات يتم لأغراض زخرفية وقد تكون لحماية المدافعين من سلاح المهاجمين، وقد تكون اضافتها لضرورة مناخية بحتة، إذ انها تساعد على انتشار الهواء الداخل الى القلعة أو المسجد.

وبطبيعة الحال فإن هذه السمات وتلك المظاهر التي تميزت بها العمارة والتحصينات العمانية في العصور القديمة والإسلامية، قد نالها شيء من التغيير والتطور في العصور الحديثة.

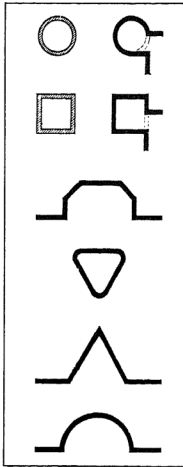
ذلك أن التطور الفكري الحربي لدى العمانيين كان لا يبد أن يحدث أثره في التحصينات التي شيدت في مختلف مناطق عمان، سواء في سماتها أو في هيكليتها بنائها، وما عمليات التجديد والإضافات التي أدخلت عليها كما حدث في قلاع صحار والرسناق والجلالي والميراني، إلا تعبيرا عن الإدراك والإيمان بضرورة وحتمية التطور في هذا المجال. وقد تنبه حكام عمان منذ عهد اليعاربة إلى هذا الجانب، فأجروا كثيرا من التعديلات والإضافات في التحصينات. وقد جاءت هذه الإضافات وتلك التعديلات وليدة الخبرة المكتسبة، وتطور الأساليب القتالية ووسائلها من البنادق والمدافع وغيرها، دون الاستغناء عن الوسائل التقليدية من سهام ومجانيق وسيوف وغيرها، ذلك أن الوسائل المستجدة لم تلغ سابقتها كليا وإنما ظل هناك ما يشبه التزاوج في استخدامها معا، وبدأ التخلي عن الوسائل التقليدية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، غير أن عددا يسيرا تمثل في السيوف والخنजर ظل يستعمل محليا على نطاق ضيق وبعيد عن الشكل الرسمي.

ولذا فإننا نلاحظ في بعض التحصينات العمانية وجود المزاغل التي تستخدم في رمي السهام بجانب فتحات طلقات البنادق التي كان يتخذ لها أماكن متفرقة من البناء التحصيني فوق المداخل وبعضها داخل نطاق السور (كحصن جبرين والجزم وصحار ... الخ)، ثم وجود الأبواب المتعددة ذات المستويات الارتفاعية المختلفة والعروض المتفاوتة وما يتبعها من دهاليز وممرات سرية، فضلا عن وجود فتحات لصب المحروقات على المهاجمين كما في حصن الجزم وقلعة نزوى، وذلك بجانب الكوة والمراقب اللتين تطلق منهما النيران وبخاصة نيران البنادق.

وامتازت بعض التحصينات بتفرداها المتطور عن غيرها بحيث تركز بناؤها على إمكانية قدرتها على تحمل قذائف المدفعية كقلاع مسقط (الجلالي والميراني ومطرح ... الخ) وبالتالي ظهرت فيها منصات المدافع وفتحات وكوى لإطلاق نيران البنادق، ونرى أن هذه الميزة قد توفرت أيضا في قلعة نزوى، وروعي ذلك عند تخطيطها وإنشائها، كما تم تدعيم القلاع القديمة (كالرسناق وصحار ونخل ... الخ) لتأخذ نفس الفرصة فيظل وجودها ديناميكي الحركة والنشاط.

وخضعت الأسوار أيضا إلى مثل هذا التطور أما بتعديل القديم أو بإنشاء الجديد وفق المستجدات الحربية، فاختلقت سماكة جدرانها وارتفاعاتها بحيث أصبحت صالحة لسير الجنود وممرات يمارسون إطلاق النيران من فوقها، واستخدمت ذات الفكرة في الحواط العلوية للأبراج الكبيرة كقلعة نزوى، وتطورت بعض الأسوار إلى أن زودت بأبراج متقدمة على امتداد السور، وفي أغلب الأحيان يكون تصميمها نصف دائري وذلك بغرض جعل قوس النار أكثر انتشارا في محيط الإطلاق، ويمثل هذا النمط من الأسوار سور صحار وسور جعلان بني بوحسن.

واشتركت التحصينات من المباني مع الأسوار في الاستفادة من الشرفات والمتاريس وكذلك الأبراج المقامة فوق المداخل كما هو الحال في حصن جبرين، وأسوار قلعة الرسناق وبركة الموز وسور مسقط ... الخ) حيث تجاوزت هذه التحصينات مع متطلبات الوسائل القتالية الحديثة.



اشكال الابراج وكيفية
اتصالها بالتحصينات

وتطورت أماكن تخزين العتاد من مخازن بسيطة للأسلحة التقليدية إلى مبانٍ يخزن فيها عتاد من الذخائر الحربية للمدافع والبنادق، مما استدعى مراعاة ذلك أثناء التفكير في تعديل القديم أو إنشاء الجديد كي يتلاءم المبنى مع الوسيلة المخزنة.

وكما اختلفت أشكال الأبراج فقد اختلفت أيضاً أقطارها حسب النوع التحصيني وموقعه، فمنها ما بلغ قطر برجها ٦ أمتار (كحصن إفي) ومنها ٧ أمتار (بيت الفلج)، وغيرها ٩,٦ متر (كحصن العوابي)، ومنها ١١,٩ متر (كقلعة الرستاق)، وتعد قلعة نزوى أضخم برج إذ وصل قطرها إلى ما يزيد عن ٣٧ متراً^(١٥٠). لقد أوردنا ذلك على سبيل المثال للتدليل على التطور في استخدام الأبراج حسب الوظائف المستجدة عليها، إذ ترتب على الاختلاف في أقطارها اختلاف في سماكة أسقفها وكبر دعائمها، وهذا أمر معروف في علم هندسة الانشاءات^(١٥١)، فكلما كان بحر السقف كبيراً كلما زادت سماكته وكذلك كبره وعدد دعائمه، والعكس صحيح، وهذا مرتبط أيضاً بحساب الانتقال والاحمال فضلاً عن الاهتزازات التي تحدثها طلاقات القذائف المدفعية، وهذا التشكيل البنائي قد عرفه العمانيون منذ الألف الثالثة قبل الميلاد كما عرفه العرب في الأندلس^(١٥٢).

أما الخنادق فلا تكاد نلمح عليها تطورا ملموسا كمثل الذي اتخذته الرشيد في تحصين بغداد حيث إنه كان يفصل الخنادق عن بعضها بأسوار عالية، ومن قبله فعل الأمويون ذلك^(١٥٣). وقد اتخذت الخنادق شكلها البدائي فيما عدا تلك التي حفرت حول حصن الخندق بالبريمي حيث بطنت بالحجارة وكذلك خندق مسقط^(١٥٤).

أما مواد البناء التي استخدمها العمانيون في بناء وتشديد عمارتهم وتحصيناتهم فهي عديدة. وتشير الكشوف الأثرية إلى أن الإنسان في القديم قد عرف أنواعاً من مواد البناء واستخدمها في تشديد تحصيناته، منها الحجارة الضخمة المنتظمة ذات المقاسات المختلفة (١ × ٨ × ٠ متر) والتي كان يوضع بعضها فوق البعض بدون ملاط يربطها^(١٥٥). وقد شاعت مثل هذه الطريقة عند الفينيقيين وظهرت في آثارهم بمدينة قرطاج^(١٥٦). كما استخدم العمانيون أنواعاً من الطوب المشوي أو الطوب الأحمر ذي الأشكال المتعددة منها المربع والمخروطي والمستطيل ويبدو أن الطوب المخروطي (المقطوع) كان يستخدم أكثر في المباني الدائرية وفي الأقواس لتناسبه مع ذات التشكيل، بعكس الطوب المربع الذي يتلاءم مع المباني الركنية ذات الزوايا الحادة، غير أن الطوب المستطيل يتميز بإمكانية الاستخدام في التشكيلين الدائري والركني.

ويلاحظ أن الأسوار التحصينية في الباطنة على وجه الخصوص شيدت بالطوب اللبن، في حين أن أبراجها شيدت بالحجارة والصاروج^(١٥٧). ويشترك سور بهلا في نفس مواد البناء وطريقة الانشاء فضلاً عن التحصينات في جعلان.

واستخدام الأحجار ذات الاحجام الصغيرة اقتضى في المقابل استخدام كميات أكبر من الملاط، وكذلك بالنسبة للطوب بمقاساته المختلفة وأنواعه المتعددة، لأن الملاط قد تراوح بين الطين اللين والصاروج، مع امكانية كسبه بالحصص أحيانا للأسطح او بالطين اللين نفسه وكان الصاروج يستخدم بالإضافة الى ذلك كمادة عازلة للأسطح من المياه حيث تتوفر فيه خاصية عدم التسريب. وهناك بعض مواد البناء الأخرى التي استخدمها الانسان العماني من خلال عطاء البيئة له مثل الخشب. ويعتبر الخشب من جذوع النخل وأشجار السمر والسدر والجوز وغيرها من العناصر الهامة التي دخلت في تشييد الأسقف وصناعة الابواب والشبابيك والمثريبات، واستخدمت كعوارض او جسور تعرض فوقها الأسقف بمساحاتها المختلفة، كما استخدم كاعتاب للابواب والشبابيك وكفواصل للجدران وكدعائم للأقواس والعقود، كما استخدمت البسط والسميم^(٤٨). وسعف النخل في تهيئة أرضية الأسقف ومن ثم زخرفتها ايضا.. ويستخدم الجص كمادة واقية تطل بها الجدران من الخارج وأحيانا من الداخل، ثم استخدم في أعمال الزخرفة الفنية كالمشبيكات والمزريات فوق العقود والمقرنصات وغيرها.

ويلاحظ ايضا ان القصور والبيوت المحصنة كجبرين والحزم والبيت الكبير في ابرا وبيت السيد نادر وغيرها، هي التي تظهر عليها مظاهر الجمال والذوق الرفيع من خلال ما تتميز به من زخارف ونقوش على جدرانها وأسقفها وشبابيكها، وهي بالتالي بالرغم من محاولة جعلها صارمة الملاصح الا أن الرقة والفخامة تطفئ عليها، في حين أن القلاع والحصون الأخرى كنزوى والرسناق والجلالي ومطرح وغيرها تمتاز بالصرامة والقوة، ومرد ذلك في اعتقادنا الى الوظائف المخصصة لكل منها. ويرى بعض الباحثين ان تأثير العمارة الصفوية كان باديا للعيان في حصن جبرين^(٤٩) من خلال الاقواس المدببة المستخدمة داخل وخارج المبنى، وكذلك من خلال العوارض الخشبية التي تربط بين الأعمدة، ويرى آخرون أن تأثيرا مغوليا يوجد في بيوت ابرا ومسقط ويعزون ذلك الى الاتصالات بين عمان والامبراطورية المغولية في الهند، ومع احترامنا لهذا الرأي إلا أننا لا نميل إليه ولربما جاء القول الأول باعتبار أن الدولة الصفوية قامت عام ٨٨٨هـ/ ١٤٨٣م^(٥٠)، وأن الدولة اليعربية قامت بعدها بفترة طويلة تصل الى قرن تقريبا. وبالرجوع الى تاريخ العمارة العربية في الأندلس على وجه الخصوص نجد ان مثل هذه الاقواس قد استخدمت في مسجد قرطبة^(٥١). وكذلك العوارض قد استخدمت في الجامع الأزهر بالإضافة الى قرطبة، وان المقرنصات والمشبيكات والمزريات وغيرها، كلها عناصر معمارية ناسجة عن الحضارة الاسلامية^(٥٢)، وان هذه الحضارة هي نتاج الفكر الاسلامي الذي امتزج فيه العربي بالأعجمي، وهذا الفكر كانت له منطلقات ثابتة ومشارب واحدة اتفق عليها جميع المسلمين أخذًا وعطاء. مما يفسر لنا تشابه أنماط التشكيل والتصميم المعماري، والا كيف نفسر وجود قوس مغربي في نقش على باب في صور^(٥٣)، وكيف نفسر النقوش والزخارف على شبابيك وابواب المباني في محافظة ظفار فعملية الابتكار هنا قائمة على معادلة موضوعية ألا وهي الفكر الاسلامي روحا ومعنى وشكلا وجوها، ولذلك فإن القول بأن أساليب البناء تعرضت لتأثيرات غربية وافريقية، وان التصميمات حاكت بيوت البرتغاليين فيه شيء من الاجحاف، ذلك اننا نقبل مبدأ التأثير والتأثر الخاضع لطبيعة الاتصالات الدولية، ولكن لا يمكن ان نطلق على تصميمات عربية شكلا

ومضمونا انها نسخة من البيوت البرتغالية.

وتجدر الاشارة الى ان الحصون والقلاع العمانية قد مارست عدة وظائف بالإضافة الى وظيفتها الرئيسية. فبعضها اتخذ مدارس تعليمية، وبعضها اتخذ مراكز ادارية حكومية كمراكز للولاء، وبعضها مواقع لممارسة القضاء، وبعضها للسكن سواء للقائد وحاشيته، أو للموظفين من المواطنين واحيانا للمواطنين انفسهم اثناء الازمات، وبعضها استخدمت كتكنات عسكرية.

وعلى اية حال فاننا نخلص من ذلك الى ان بعضها مختلف الوظيفة ومتشعب الاستخدام، كجبرين والحزم والرسناق التي استخدمت كمدارس وسكن وكذلك كتكنات عسكرية للدفاع، بالإضافة الى كونها مراكز حكم ادارية، وبعضها كانت وظيفته حربية بحتة كقلعتي الجلال والمراني وكالأسوار المحصنة في الباطنة وجعلان وغيرها. وهذا يسوقنا لطرح قضية الشكل والوظيفة في العمارة الحديثة^(١٦٤)، وعودا الى ما برز من مظاهر الفخامة والترف والثراء في جبرين والحزم وكذلك في بيت السيد نادر وبيت النعمان وغيرها من القصور المحصنة، نرى أن وظائف هذه الحصون الرئيسية التي مارستها كانت وظائف سلمية انسانية، وان زخرفتها دليل على ذلك ثم ان تخطيطها من الوجهة التصميمية كان معدا للغرض ذاته، وبالتالي جاء منسجما مع وظيفته، وقد أبرز ذلك تناسق كتلتها مما هيا لها واجهات متنسقة معها.

بيد أن القلاع ذات الوظائف الحربية كالجلال ونزوى والمراني ومطرح وغيرها قد تعاضدت وظيفتها مع شكلها، فلم تظهر فيها أعمال الزخرفة، ولو ظهر ذلك لكان مناقضا لما هي عليه من صرامة وحدة وجلال وهيبة، ولكانت أيضا تلك الزخارف متعارضة مع تشكيلها الكتلي واتساق واجهاتها، وبالتالي جاءت مخططاتها من حيث التصميم متناسبة مع الوظيفة المخصصة لها، ودراسة الحركة داخل هذه المباني وبين مكوناتها يعزز ما أوضحناه من تمازج الوظيفة مع الشكل وتناسقها وانسجامها معا. ولا بد أيضا أن نشير هنا الى البيئة العمانية التي امدت هذه التحصينات بكثير من الميزات جعلتها صامدة في وجه الزمن، عن طريق مواد البناء المحلية المتعايشة مع البيئة في حرها وبردها، وفي جذبها وخصبها، وكذلك من حيث تشكيل الطوبوغرافيا من جبال وهضاب وودية وتلال شكلت واجهات هذه التحصينات وجعلتها جزءا لا يتجزأ منها، وخير دليل على ذلك قلعة نخل التي تتعانق مع الطبيعة في تشكيل فني رائع جميل.

كما ان الطوبوغرافيا الصخرية منحت أيضا هذه القلاع والحصون القوة والصلابة والصرامة، بنفس القدر الذي منحت الأراضي المفتوحة مزيدا من الفخامة والجلال لقصور جبرين والحزم وبيت النعمان... الخ وقد كانت عمليات التهوية والاضاءة متوفرة من خلال الشباك والكوة والمراق، وكذلك من خلال الافنية التي تحيط بها الاروقة كحصن الفليج وبيت الفلج وبيت حبرا وغيرها من المباني التي تعرضنا لها سابقا، فضلا عن أن هذه المباني كانت جميعها مزودة بالمياه اما بواسطة فلج يتخللها كحصون وقلاع المنطقة الداخلية، أو من خلال آبار ارتوازية كالتي توجد في منطقة الباطنة. وقد نادت النظريات الحديثة بوجود اعتبار البيئة كعامل رئيسي ومؤثر في التصميم المعماري، ويرى (ميس فان دوروه) رائد العمارة الموضوعية ان المبني يجب ان يكون منتميا الى عصره ومتعلقا به اكثر من تعلقه بالقيم الجمالية^(١٦٥)، وقد لبثت هذه التحصينات الى حد ما تلك النظرة التي كان يرى من خلالها هذا المعماري مباني عصره، وهذا يعني ان التحصينات العمانية قد وفرت حلولاً واضحة لثوابت ومتغيرات

النظرية الحربية، ومن هنا جاءت وظيفتها منسجمة مع شكلها ليتعانق الاثنان مع البيئة المحلية العمانية.

وهكذا ومن خلال تتبعنا لمسيرة عمان العمرانية في تاريخها الطويل، والاستدلال ببعض شواهد الحضارات القديمة التي قامت على هذه الأرض، أو تلك التي ارتبطت بها بعلاقات ايا كان نوعها بغرض التدليل على ان حركة التعمير ورحلة البناء لم تكن وليدة الفراغ، وانما يستند ارضها من التراث العماني الضخم الذي تظهر ملامحه على ابنية التحصينات المختلفة، التي اخترنا منها عينات مشهورة ومعروفة، تسهيلا لتصور القاري ومتابعته، وقد سعيننا من خلال استقراؤنا لتواريخ تشييد التحصينات العمانية من القلاع والحصون والبيوت والقصور والأسوار وغيرها، الى التأكيد بأنه من الغبن أن ننسبها الى عهد معين أو فترة حكم معينة، وانما هي ارض حضاري مشترك تفاعلت وتعاضدت في انجازها كافة الحضارات التي تجسدت على أرض عمان، فهي ليست حكرًا لحضارة أم النار أو سومر أو الفينيقيين، وهي كذلك ليست من عمل الفرس دون سواهم من العرب الجندانيين الأزدية^(١٦٦)، فضلا عن ان امتداد حركة بناء التحصينات قد استمرت بعد الاسلام، فيقدر ما أولاه الاثمة اهتمامهم كالوارث بن كعب والصلت بن مالك وغسان بن عبدالله وغيرهم، نرى انها استحوذت على اهتمام النباهة أيضا^(١٦٧)، ولكنها ليست من انجازهم وحدهم وانما شاركهم في ذلك اليعاربة^(١٦٨)، كما عضد هذه المشاركة الاثمة والسلطين البوسعيديون من بعدهم، وتحظى في عهدنا المعاصر بالاهتمام والرعاية من خلال عمليات الترميم واعادة البناء، وحيث ان كل تحصين يحكي تاريخا مليئا بالاحداث في عمان فانه يمكن اعتباره مدخلا جيدا لتناول التاريخ العماني ودراسته.

وهكذا تكشف من خلال هذا العرض ماهية نظرية بناء التحصينات الحربية العمانية والثوابت التي ارتكزت عليها، والمتغيرات التي تعاملت معها على امتداد فترة تاريخها الطويل، ومدى تأثيرها في عمليات الانشاء وبناء هيكليتها. ومما لاشك فيه ان عمليات الانشاء المختلفة التي يمتاز بها كل تحصين عن غيره، تحتاج منا الى وقفة متأنية ودراسة تفصيلية لكيفية تركيبها وبنيتها المعمارية، من خلال دراسة طرق التخطيط وطرق البناء والمواد المستخدمة التي احترمت صمودها البيئة المحلية لانها منها واليها، مما سيتيح لنا فرصة الاستفادة منها في مسيرة التعمير والبناء على الصعيد الرسمي أو المحلي.

واذا كانت عمان قد برزت على هذا النحو في مجال العمارة والتحصينات، استجابة لظروفها ولتاريخها الطويل المليء بالاحداث والتحديات، وكان هذا البروز وهذا التفوق مرتبطا وكما رأينا بالعديد من القلاع والحصون والابراج التي شيدت في المدن العمانية، فان هذه المدن لم تكن كلها على هذا المستوى من الاهمية، أو بالاحرى لم تكن على مستوى واحد من الاهمية، فبعضها كانت ذات أهمية من الناحية التجارية، وأخرى كانت ذات أهمية من الناحية العلمية، وثالثة كانت أهميتها من الناحية السياسية. وقد سبق الحديث عن المدن ذات الصيغة العلمية والثقافية. أما النوع الثالث من المدن التي كانت لها أهمية سياسية بالإضافة الى أهميتها العلمية والتجارية ايضا فهي عديدة، وترجع هذه الاهمية السياسية الى أنها عواصم لعمان في العصور التاريخية المتعاقبة. وهذا يقودنا الى الحديث عن هذه العواصم السياسية العمانية.

الفصل الرابع

العواصم السياسية العُمانية

تعددت العواصم في عدة أقطار من عهد الى عهد، ففي العراق كانت (الكوفة) أول عاصمة للدولة العباسية ثم انتقل العباسيون الى (الحيرة) وجعلوها عاصمتهم ثم الى (الأنبار) (الهاشمية) وبقوا بها حتى بنوا (بغداد)، ومع ما وصلت إليه بغداد من الشهرة والعظمة فقد انتقل منها المعتصم إلى عاصمة جديدة هي (سامراء).

وفي مصر كانت أول عاصمة إسلامية هي (الفسطاط) وفي عهد الخلافة العباسية بنى العباسيون مدينة (العسكر) وجعلوها عاصمة لمصر، ثم أنشأ أحمد بن طولون عندما تولى السلطة في مصر مدينة (القطائع) وجعلها عاصمة له... فلما قامت الدولة الفاطمية انشئت (القاهرة) وأصبحت العاصمة.

وبالنسبة لعمان يحدثنا ابن رزيق^(١) فيقول: انه عندما بويع الامام ناصر بن مرشد كان يمتلك نخل سلطان بن أبي العرب، ويملك سمائل مانع بن سنان ويملك سمد الشان علي بن قطن الهلالي، وكان ملك ابراء محمد بن جعفر وكانت ازكي بيد بني عزة ونزوى بيد أهل العقر.

وتفرقت البلاد مرة أخرى في نهاية عهد اليعاربة، فلما بويع أحمد بن سعيد اماما على عمان كانت هناك عواصم متعددة لمقاطعات كانت كل منها مستقلة فمضى أحمد بن سعيد الى الرستاق ففتح حصنها، ومضى الى سمائل فاستخلصها، ثم الى ازكي فأنعنت له ثم الى نزوى فسلمت له الأمر، ثم الى بهلاء فأطاعته^(٢).

وأحيانا كان الامام يتخذ عاصمة يمكن أن يطلق عليها العاصمة الدينية، وفي نفس الوقت كان ملوك النباهنة يتخذون لهم عاصمة أو عواصم أخرى.

ولما كان الأمر كذلك، فقد رأينا أن نتحدث عن العواصم السياسية في عمان منذ عهدها القديم وحتى العصور الحديثة لنبرز دور هذه العواصم في تاريخ عمان وحضارتها. وأول هذه العواصم مدينة قلهاة.

قلهاة :

قلهاة مدينة قديمة تقع على ساحل بحر عمان شمالي مدينة صور العمانية بقليل، ويقول عنها ياقوت في كتابه معجم البلدان: أنها كانت مرفأ لاكثر سفن الهند وأنها في عهده «فرضة تلك البلاد وأمثل أعمال أهل عمان، عامرة أهلة»^(٣)، ويقول عنها ابن بطوطة التي زارها أنها مدينة حسنة الأسواق وان مسجدها من أحسن المساجد فجدرانه مزينة بالقاشاني، وارتفاعه كبير اذ ينظر منه الناظر الى البحر والمرسى. وذكر ابن بطوطة شهرة قلهاة كمدينة تجارية فأشار الى ان اهلها أهل تجارة، وتتوقف حياتهم على التجارة القادمة اليهم من البحر الهندي، ولذلك فانهم يفرحون أشد الفرح عندما تصل سفينة تجارية الى مدينتهم. ولم ينس ابن بطوطة

ان يشيد بأسماك قلها قال: انه أكل بهذه المدينة سمكا لم يأكل مثله في أي اقليم من الأقاليم، وانه كان يفضل على جميع اللحوم، كما لم ينس أن يشيد بأخلاق أميرها، فقال عنه انه رجل فاضل حسن الأخلاق وانه أقام عنده ضيفا ستة أيام^(٤).

وأهمية هذه المدينة لاتكمن في أهميتها التجارية فقط، ولكن تكمن في أنها أول عاصمة عمانية عرفها التاريخ قبل ظهور الاسلام بعدة قرون. ذلك أن مالك بن فهم عندما هاجر هو وقومه من الأزدي إلى عمان من بلاد اليمن قرب نهاية القرن الثاني للميلاد إثر انهيار لسد مأرب، اتخذ من قلها عاصمة ومستقرا له لأسباب عديدة، منها أنها تقع على البحر وفي منطقة وسط من البلاد العمانية وذلك بالتالي يسهل ممالك الاتصال ببلاد اليمن التي هاجر منها والتي يسكنها بقية قومه ولتقطع امداداتهم له اذا طلب مساعدتهم في النزاع المرتقب بينه وبين الفرس.

كما أن موقع هذه المدينة بالقرب من الجزء الشمالي من عمان الذي كان الفرس يحكمونه ويتخذون من صحار مقرا لحكمهم ولنغوذهم، مكن مالكا من ان يستطلع أحوالهم عن طريق الاتصال البحري الذي كان يربط قلها بصحار وغيرها من الموانئ التي تقع على الساحل العماني^(٥).

يضاف الى ذلك أن قلها في حد ذاتها كورة منيعة يسهل الاتصال بها عن طريق البحر، كما انها وكما أشرنا كانت محطة هامة من محطات التجارة، فكانت تغد إليها السفن القادمة من بلاد الهند، وكذلك السفن القادمة من بلاد اليمن وظفار عن طريق بحر العرب، مما أدى الى انتعاش أحوالها المالية والعيشية الى حد كبير، ولذلك فان مالك بن فهم فضلها لتكون مقرا له ولم يتوغل في داخلية عمان حتى يصفى حسابه مع الفرس أولا.

وربما يكون مالك بن فهم قد اتخذ من قلها مقرا لحكمه بسبب آخر، وهو أن هذه المنطقة من عمان كانت لاتخضع للنفوذ الفارسي، ولذلك فان أهلها وكذلك القبائل التي تسكن بالقرب منها كانوا غير خاضعين لأي سيطرة فارسية، ومن ثم يمكنهم بأن يلتفوا حوله وأن يقدموا له العون والمساعدة لتخليص بقية بلادهم من الناحية الشمالية من النفوذ الفارسي، وهذا ما حدث بالفعل، لأن مالكا وكما تحكي كتب التاريخ قدم من اليمن في عدد من أهله لاييزيد عن ستة آلاف وانتصر على الفرس الذين كان جيشهم لا يقل عن أربعين ألفا^(٦). ومع الاعتراف بشجاعة مالك وقومه الا ان هذا النصر لا يمكن أن يتم الا بفضل المساعدة التي لقيها من سكان البلاد الذين جاءوا واستقروا فيها قبل قدومه، وهم عرب مثله.

لكل هذه العوامل والأسباب اتخذ مالك بن فهم مدينة قلها مستقرا له وعاصمة للملك، بعد أن رأى الفرس يسيطرون على الجزء الشمالي من عمان، «فأنزل بها من كان معه من الحشم والعيال والنساء والأثقال... ليكون أمنع لهم، وترك عندهم من الخيل والرحال ما يحفظونه ثم سار هو ببقية عساكره وصناديد رجاله» للقاء الفرس الذين انتصر عليهم انتصارا ساحقا في صحراء سلوت قرب نزوى وأجبرهم على التقهقر الى



قلها، إحدى العواصم العمانية

صحار، حيث عقدوا معه هدنة على أساس أن يمهلهم عاما يعودون بعده الى بلادهم «وأعطوه على ذلك عهدا وجزية» فاستجاب مالك لطلبهم وعاد الى قلهات (٧).

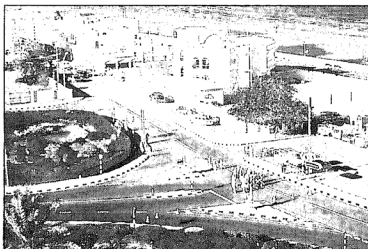
وعندما نقض الفرس الهدنة بتأثير ملكهم دارا الذي غضب من العهد الذي أبرمه نائبه في عمان مع مالك بن فهم، وأرسل قوات كبيرة الى عمان، انقض ممالك على هذه القوات من قلهات ودحرها وفر الفرس الى بلادهم هاربين، واستولى مالك على بقية عمان وما يليها من الأطراف وساس الناس سياسة حسنة «وكان ينزل الى شاطئ قلهات وينتقل الى غيرها» (٨) ويحدد الشيخ نورالدين السالمي مقر اقامته تحديدا أدق فيقول انه «كان ينزل ما بين عمان الى ناحية اليمن، وكان أكثر نزوله بشاطئ قلهات من شط عمان، وينتقل منها الى غيرها» (٩).

ومعنى ذلك ان مالك بن فهم ماتخذ من قلهات مستقرا له وعاصمة دائمة للملك، ولكنه كان مع ذلك ينتقل منها الى غيرها من المدن لتفقد أحوال مملكته، ثم لا يلبث أن يعود الى قلهات لأن أكثر نزوله وإقامته كان بها كما قال السالمي.

وهكذا اتخذ ممالك بن فهم في البداية من قلهات قاعدة عسكرية برز منها لقتال الفرس وتحرير البلاد من احتلالهم لها، وبعد انتصاره عليهم عاد الى قلهات واستقر فيها واتخذ منها عاصمة له.

وعلى ذلك فإن هذه المدينة تعتبر أول عاصمة عربية لعمان يتخذها ملك عربي في تاريخ عمان القديم، ومع ذلك فربما كانت هناك عواصم أخرى سبقتها، وربما كان هناك ملوك آخرون سبقوا مالك بن فهم واتخذوا عواصم للمكهم، وهذا امر طبيعي، ولكن كتب التاريخ لانت بالوصمت ولم تنبئنا بشيء عن هذه العواصم. ولذلك فإن قلهات تفوز بسبق الحديث كأول عاصمة عربية لملك عربي ولأول دولة عربية قامت في عمان قرب نهاية القرن الثاني للميلاد، واستمرت قلهات عاصمة للبلاد حتى انتقل الحكم من بني مالك بن فهم الى بني الجلندي الذين نقلوا كرسى الحكم الى توام ثم اتخذوا من صحار عاصمة لهم ربما لاعتبارات سياسية وتجارية، وعند ظهور الاسلام كانت هذه المدينة (صحار) مقرا لحكام عمان من بني الجلندي فيما تحدثنا كتب التاريخ. ولذلك فإن صحار تعتبر أول عاصمة لعمان في العصر الاسلامي، كما كانت قلهات أول عاصمة لها في عهدها القديم.

منظر صحار
من ناحية البحر

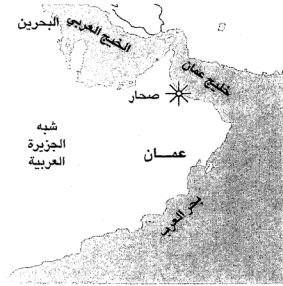


صحار:

تقع صحار الى الشمال الغربي من مسقط وبين صحار ومسقط مائة وأربعة وخمسون ميلا (١٠) ويقول عنها ابن حوقل (١١) انها قصبة عمان وتقع على البحر وبها من التجارة والتجار مالا يحصى كثرة. وذكر الاصطخري (١٢) ان صحار أعمر مدن عمان وأكثرها مالا، ولا تكاد تعرف على شاطئ بحر فارس مدينة أكثر عماره ومالا منها.

ويذكر المقدسي ان صحار مدينة طيبة الهواء كثيرة الخيرات والفاكهة، واسعة ليس في تلك النواحي مثلها، وهي قصبة عمان، بلد عامر أهل، حسن، طيب نزه، ذو يسار وتجار وفاكهة، أسواقه عجيبة، والجامع على الساحل له منارة حسنة، والبلدة بها أبار عذبة وقناة حلوة، وأهلها في سعة من كل شيء^(١٣).

وبالإضافة الى موقع صحار وأهميته يذكر الباحثون ان النحاس استخرج من مكان يقع بالقرب من صحار، وكان ذلك في الألف الرابعة قبل الميلاد^(١٤). واستمر استخراج النحاس بعد ذلك، وترتب على هذا ان قامت في مشارف صحار صناعة صهر النحاس عند الطريق المتجه الى الداخل، وكان عمال النحاس يشغلون حيزا كبيرا في المدينة^(١٥).



صحار، إحدى العواصم العمانية

ومع صناعة النحاس كانت صحار دائما المركز الطبيعي للتطور الزراعي في اقليم الباطنة الساحلي، وهي تنتج فائضا كبيرا من المنتجات الزراعية وبخاصة البلح والفواكه شبه الاستوائية، ويصف بعض الكتاب الحالة الزراعية في صحار خلال فترة ازدهارها بأنها كانت تنتج كميات هائلة من البلح بالإضافة الى الموز والتين، وكان الزراع يتوسعون في زراعتها^(١٦).

وازدهار الصناعة في مشارف صحار واازدهار الزراعة حولها مع موقعها الساحلي الممتاز، كل هذا هيا (صحار) لتلعب دورا كبيرا في مجال التجارة، فقد نشطت تجارتها الى الهند والى شرق افريقيا، وقد ذكر عنها الاصلطيحي وابن حوقل في هذا المجال انها كانت مستودع العالم، ولا توجد مدينة في جميع أنحاء العالم تضاهي صحار في ثراء تجارتها، وان جميع منتجات الشرق والغرب والجنوب والشمال تصب في هذه المدينة، وتخرج منها الى جميع المراكز التجارية في العالم^(١٧).

هذا عن موقع صحار وأهميتها الاقتصادية، أما دورها السياسي والحضاري وجهود العمانيين لدفع الاحتلال عنها، فحديث يطول، وأول ما نذكره في هذا الصدد كتابين وردا من الرسول ﷺ أحدهما الى أهل عمان بوجه عام والثاني الى (عبد) و(جيفر) ابني (الجلندي) بوجه خاص وكانت لهما السيادة على عمان وكانا يقيماني في مدينة صحار. ونص الكتاب الأول هو:

(من محمد رسول الله الى أهل عمان، أما بعد فأدعوكم أن تقروا أن لا اله الا الله واني رسول الله، وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة، وأن تعمروا المساجد).

ونص الكتاب الثاني هو:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى جيفر وعبد ابني الجلندي، أما بعد أدعوكما لدين الاسلام، أسلما تسلما، فاني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحيي القول على الكافرين) ... الخ^(١٨).

وحمل هذه الرسالة عمرو بن العاص وقابل (عبدا) وهو أحكم الرجلين فأوصله الى أخيه جيفر، وإيجاز القول هنا أنهما أسلما وتبعهما قومهما، ورفض الفرس الذين كانوا يقيمون بعمان أن يدخلوا الاسلام فاشتعلت الحرب بين المسلمين والفرس،

وغلّب الفرس وطلبوا الصلح على أن يخرجوا من البلاد. وهكذا حظيت صحار بأنها كانت العاصمة الأولى في عمان ترحب بالاسلام وتدخله طوعية، ثم حظيت بشرف طرد الأجانب منها. وكان يقيم بصحار الوالي الذي عينه الرسول ﷺ والخلفاء من بعده، وفي عهد الدولة الأسورية تعرضت عمان لهجوم جرى من بعض الخلفاء الأمويين، ولكن عمان عادت فحصلت على استقلالها إبان العهد العباسي، وبدأ بذلك العصر الذهبي لصحار بالبيعة للامام الجلندي بن مسعود في سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م الذي يعد أول امام لعمان (١٩). ولم تلبث صحار ان تخلت عن مركزها السياسي كعاصمة لعمان منذ عهد الامامة الثانية التي قامت في عمان في عام ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م الى مدينة أخرى هي مدينة نزوى، واحتفظت صحار بأهميتها التجارية العظيمة مستفيدة من موقعها على بحر عمان، وظلت تمثل العاصمة التجارية لعمان ان صح هذا القول لقرون عديدة حتى سقطت في يد البرتغاليين.

صحار تحت سلطة البرتغال :

ففي مطلع القرن السادس عشر زحف الاستعمار البرتغالي الى ارض عمان بعد ان نجح فاسكودي جاما في الدوران حول افريقيا، فيما عرف بطريق رأس الرجاء الصالح، وبفتح هذا الطريق تحولت تجارة الشرق من الطرق البرية - البحرية الى هذا الطريق البحري المتصل، وحاول البرتغاليون ان يقيموا مراكز للتأمين والحراسة على طول الطريق، فأتجهوا الى عمان واحتلوا صور وقريات ثم مسقط وصحار عام ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م، واتجه القائد الجائر البوكريك الى تدمير السفن العمانية واقامة القواعد والقلاع ليدعم مركزه ويقوي سيطرته على تلك المنطقة الاستراتيجية ذات الموقع الملاحى الممتاز (٢٠).

اليعاربية يحررون صحار :

وقامت دولة اليعاربية، وأعلن مؤسسها الامام ناصر بن مرشد الحرب على البرتغاليين وفي عام ١٠٦٠ هـ / ١٦٥٠ م تمكن الامام سلطان بن سيف من تحرير مسقط من البرتغاليين، وإثر ذلك تم جلاء البرتغاليين عن صحار بعد ان وحد البلاد، وكانت أجزاء من عمان خاضعة لهرمز، وبالتالي خضعت للبرتغال التي احتلت هرمز، ولما تحررت هرمز بجهود مشتركة سنة ١٠٧٣ هـ / ١٦٢٢ م وأصبحت تابعة للفرس حاول الفرس أن يسيطروا على المناطق العمانية التي كانت تابعة لهرمز وأهمها صحار، ولكن الامام ناصر بن مرشد خاض حرباً ضد الفرس ونجح في تخليص صحار وجلفار (رأس الخيمة) (٢١) من السيطرة الفارسية.

وهكذا عادت الحرية لصحار بعد نضال طويل، وأدى ذلك الى توجيه حملات نحو صور وقرريات، فاستطاع الامام تحريرها أيضاً من البرتغاليين (٢٢)، وكانت صحار قلعة المقاومة ضد الفرس وضد قوات العدوان على العموم.

وكانت صحار مقراً لولاية احمد بن سعيد مؤسس الدولة البوسعيدية والذي كان الامام سيف بن سلطان قد ولاه اياها قبيل نهاية دولة اليعاربية، وعقب نهاية اليعاربية آل الأمر لاحمد بن سعيد حيث اتخذ من صحار مركزاً حرر منه مسقط وغيرها من الموانئ...

مكانة صحار العالمية :

وهكذا كانت صحار مركزاً للدفاع عن عمان كلما اتجه أعداء عمان إليها بسوء،

وكانت في الوقت نفسه تحظى بمكانة عالمية في مجال التجارة البحرية، ونعمت صحار بموقع فريد فتجمعت لها خصائص لم تجتمع لسواها، ونعید في هذا المجال قول الاصطخري بأنها كانت مستودع العالم، وأن جميع منتجات الشرق والغرب والشمال والجنوب كانت تصب في هذه المدينة وتخرج منها الى جميع المراكز التجارية في العالم.

وظلت صحار عاصمة لعمان فترة طويلة كما ذكرنا، وكانت تمثل موقعا مهما للإدارة والحكم، وظلت صحار تحتفظ بصلات وثيقة مع الخارج كالبحرة والهند وخراسان، ولهذا فعندما تحولت السلطة السياسية عن صحار احتفظت صحار بطابعها الدولي كعاصمة اقتصادية لعمان.

وتشتهر صحار بقلعتها التاريخية الشامخ، ومن صحار انطلقت السفن العمانية تجوب البحار والمحيطات متجهة للصين وغيرها من موانئ الشرق والغرب.

وفي صحار الحديثة معالم نهضة وتطور، منها مزارع شمس عمان التي أنشئت سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م وهذه المزارع تتسع أنشطتها لتشمل أنشطة صناعية وزراعية وحيوانية. ومن معالمها الحديثة كذلك التتقيب عن النحاس الذي قام على اثره مصنع النحاس. وفي صحار الحديثة مؤسسات تعليمية وصحية رائدة.

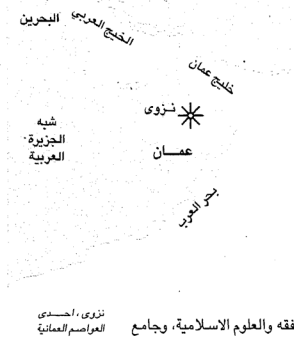
نزوى :

تقع نزوى في المنطقة الداخلية بعمان، على بعد ١٨٠ كيلومترا من مسقط، وهذه المنطقة مهمة جدا، وذلك لما تزدهان به من مساجد، ولما قدمته للمجتمع العماني من



منظر لنزوى من
ناحية السوق والقلعة

أساطين العلماء، ثم لأن هذه المنطقة بها حصون فخمة تتيه بجلالها، وبعض هذه الحصون شملت معاهد عليا ترعى العلوم والمعارف، ولذلك فأننا قبل أن نتحدث عن نزوى كاحدى العواصم العمانية يجدر بنا أن نتحدث عن نزوى مدينة العلماء ونزوى منطقة الحصون.



نزوى مدينة العلماء :

حظيت نزوى بأن أطلق عليها العمانيون (بيضة الاسلام) وذلك لوجود مدارس لفقهاء الاسلام بها، وعكوف العلماء والمريدين فيها على الدراسة والتأليف في كل جوانب الدراسات الاسلامية. وقد تخرج من معاهد نزوى مجموعة من العلماء انسبوا في نواحي عمان يحملون العلوم والمعارف، وقد كان مناخها المعتدل من الاسباب التي جذبت حلقات العلم لاتخاذ نزوى مركزاً للدراسة.

ونزوى من أوائل بلدان عمان التي احتضنت الاسلام، ولذلك نجد مساجد نزوى في عمارتها بين القديم والحديث، وعلى سبيل المثال مسجد الشواذنة المنسوب لعيسى بن عبدالله بن شاذان، هو أول مسجد في المنطقة وقد أعيد تجديده سنة ١٠٧٠هـ / ٧٢٥م.

وفي نزوى أيضاً الجامع الذي لايزال مقراً لدراسة الفقه والعلوم الاسلامية، وجامع سمد الذي يقال انه بني في السنة الثامنة للهجرة، ويوجد بنزوى كذلك مسجد العين ومسجد الشيخ. وقد تخرج العديد من العلماء الفطاحل من مساجد نزوى، ومن هؤلاء الامام جابر بن زيد أبو الشعثاء، والامام الصلت بن مالك الخروصي، والشيخ محمد بن ابراهيم الكندي مؤلف كتاب (بيان الشرع)، والشيخ العلامة بشير بن المنذر، والشيخ أحمد بن عبدالله بن موسى الكندي مؤلف كتاب المصنف وغيرهم كثيرون.

نزوى بلدة الحصون :

وتشتهر نزوى بالحصون والقلاع، ومن أهمها قلعتها التاريخية التي بناها الامام سلطان بن سيف (١٠٥٩ - ١٠٧٩هـ / ١٦٤٩ - ١٦٦٨م)، وقد استغرق بناء هذه القلعة اثني عشر عاماً، ويزيد طول قطر برجها الدائري الضخم عن ٣٧ متراً، وهي تضم تحصينات متينة منيعة كما تضم ابراجاً محصنة. ويوجد بهذه القلعة أماكن للتعبد والصلاة والادارة الحكومية وسبعة آبار للمياه العذبة.

وتتعدد الحصون في نزوى فمنها حصن (تنوف) الذي يقع على سفح الجبل الأخضر وتحيط به ثلاثة أبراج. وهناك حصن الرديدة وله موقع استراتيجي ويتحكم في مدخل الوادي المؤدي الى الجبل الأخضر، ويخترقه بركة الموز (٢٣) وقد بناه محمد بن الامام أحمد بن سعيد وولده هلال (٢٤).

أشياء أخرى تشتهر بها نزوى :

وتشتهر نزوى أيضاً بصناعة الحلوى العمانية التي برع فيها العمانيون بعامه وأهل نزوى بصفة خاصة، وقد ساعد على ذلك توافر السكر الأحمر بنزوى الذي تصنع به هذه الحلوى.

وتشتهر نزوى كذلك بصناعة دبغ الجلود وتصنيع هذه الجلود بعد دبغها، كما تشتهر بالمشغولات الذهبية والفضية والخناجر وحلي الأعراس والسيوف وغيرها من المشغولات التي تزدان بالنقوش البديعة.

وقد اتخذ أئمة عمان منذ امامة الامام محمد بن أبي عفان سنة ١٧٧هـ / ٧٩٣م

نزوى عاصمة لهم، وهكذا صارت منذ ذلك الحين عاصمة لعُمان، ويذكر العلامة الشيخ سالم بن حمود السيابي نزوى بالكثير من التقدير والجلال فيقول: «تعرضت عُمان من الفرس وقراصنة الهند، الى هجمات متعددة، فرأى المسلمون تحويل عاصمة الامامة من صحار الى نزوى، ورأى ذوو الشأن ان نزوى أمنع لهم وأحصن لزعامتهم وأقر لسلطانهم، فاتفق نظرهم الى ان يكون الامام بها، ولا يخرج منها الا ليمد أو لداع يستدعي. وأصبحت نزوى كرسى الامامة في عُمان، وكان مقام الامام في الحصن، وفي عهد الامام غسان سميت نزوى تخت ملك العرب، كما سميت ببيضة الاسلام».

الرسـتاق :

كانت الرستاق عاصمة بعض الأئمة حيث عقدت الامامة للامام ناصر بن مرشد بالرستاق سنة ١٠٢٤هـ / ١٦٢٤م، وبدأت بذلك دولة اليعاربة (٢٠) في هذه العاصمة.

ومن الرستاق انطلق الامام ناصر بن مرشد ليوحد البلاد، وبعدها انتقل لمحاربة البرتغاليين والفرس وأحرز انتصارات واسعة، وفي أواخر عهد اليعاربة شهدت الرستاق صراعا مريرا بين افراد هذه الأسرة، مما أدى الى لجوء أحد المتنافسين (سيف بن سلطان بن سيف) سنة ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م الى نادر شاه ملك الفرس يطلب عونه، وانتهز نادر شاه الفرصة فدخل عُمان بجيشه، وسرعان ما ظهر انه لايعمل لحساب سيف بن سلطان بل يعمل لحساب نفسه.

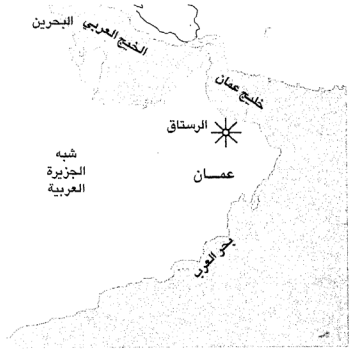
وقد مات بالرستاق آخر أئمة اليعاربة

وعند موته كانت فارس تحتل بعض المناطق ومنها مسقط.

واستقبلت الرستاق علما جديدا من أعلام السياسة والحرب، هو الامام احمد بن سعيد الذي انتخب اماما لعُمان سنة ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، وهو رأس الأسرة البوسعيدية التي لاتزال تحكم البلاد حتى الآن، واستطاع حكم البلاد من عاصمته الرستاق، وأعاد للبلاد استقلالها بعد ان خلعها من الاحتلال الفارسي، وكانت الرستاق في عهده عاصمة سياسية واقتصادية مهمة، اذ عمل أحمد بن سعيد على تنشيط التجارة وازدهار المال، وأقام توازنا بين الساحل والداخل، وشجع التجارة وحقق الأمن والاستقرار للبلاد. وبعد وفاته تولى ابنه سعيد بن أحمد بن سعيد مقاليد الحكم وظلت الرستاق عاصمة له (٢١).

وتشتهر الرستاق بقلعتها العظيمة وكذلك بقلعة الحزم وجامع البياضة الذي تخرج منه عدد من علماء عُمان وأئمتها الأفاضل، وتشتهر الرستاق كذلك بعين (الكسفة) التي تتدفق منها مياه حارة نقية.

وكانت الرستاق فيما مضى مركزا تجاريا مهما يعرض منتجات الجبل الأخضر من المشمش والرمان والخوخ والتين والعنب، وكانت الدواب تتوافد على الرستاق



الرستاق، إحدى العواصم العمانية

تحمل هذه الفواكه من الجبل الأخضر، كما كان أهل الباطنة يقدون اليها يحملون انتاجهم من الأسماك والموز والليمون، فكانت الرستاق بذلك نقطة التقاء اقتصادي كما كانت نقطة التقاء سياسي.

ومن الصناعات التي برزت في الرستاق صناعة الحلوى العمانية، وصناعة المصنوعات الفضية، وتحظى الخناجر الرستاقية بشهرة بالغة، إذ يضع الصائغ العماني في الرستاق بصماته الدقيقة على هذه التحفة الفضية الرائعة.

ومن الصناعات التي حظيت بالاهتمام في الرستاق صناعة تعليب التمور، وهناك بالرستاق مصنع للتمور، تختار فيه أجود أنواع التمور وتمر بمراحل مهمة لتعليب تعليبا رائعا، مما جعل تمور عمان من أرقى أنواع التمور في العالم.

مسقط :

يقول ابن الفقيه الهمداني (ت ٩٠٢م) عن مسقط: انها تقع على بعد مائتي فرسخ من (سيراف)، وهي ميناء تبجر منها السفن الى الهند^(٢٧). ويتحدث ابن بطوطة عنها فيقول: انها بلدة بها السمك الكثير المعروف بقلب الماس^(٢٨).

أما المؤرخ العماني الشيخ سالم بن حمود فقد كتب عن مسقط كلمات قصيرة أيضا بدأها بتصحيح ما ذكره عنها الحموي، ثم أضاف يقول: «إن مسقط مدينة من أهم المدن على البحر العربي، علا شأنها وعظم مكانها منذ القرن الحادي عشر الهجري حين حل بها البرتغاليون، وبنوا فيها حصنا لهم بل حصونا وسورها من ناحية الجبال بأسوار مكيئة حتى صار ملك عمان بأيدي بني نبهان، واستمر الحال أيام العيارية الأجلاء الذين يقتخر بهم الدين، وتبتهج بهم الدنيا، ثم اتخذها البوسعيديون عاصمتهم الوحيدة، وهكذا تطور وقتها حتى الآن^(٢٩)».

وكان لمسقط دور في التجارة العالمية بجوار صحار منذ القرن الثاني الهجري مع الاعتراف بأن دور صحار كان هو الدور الرئيسي.

أما أحمد بن ماجد ذلك البحارة الشهير فقد كتب عن مسقط يقول: «انها ميناء



قصر العلم أحد
الشواهد التاريخية
الحية لمدينة مسقط

شهير لا مثيل له في العالم، وفيه أمور وأشياء لا يجدها المرء في أي مكان آخر، وفي رأس الميناء صخرة عالية يراها القاصي والداني، ويهتدي بها المسافر أينما كان، ويستطيع أن يراها المسافر إلى الهند أو السند أو هرمز أو مكران أو الغرب، وتوجد إلى الغرب من الشمال الغربي جزيرة حمراء عالية اسمها (الفحل) وهي ظاهرة بارزة برورا كافيا حتى يمكن للجاهل أن يهتدي بها ليلا ونهارا.

ويستمر قائلا: «إن مسقط هي الميناء الأول لعمان، وتأتي إليه السفن وتنمو فيه، وفي مسقط تباع الأقمشة والخضراوات والزيت والحبوب، ثم إن السفن حين تقصد مسقط تكون في مكان آمن من كل ربح، وفي مسقط المياه العذبة وسكانها كرام لطفاء يحبون الغرباء» (٢٠).

وهكذا تشتمل مسقط على كثير من خصائص عمان، فهي تطل على البحر الذي يمتد امتدادا طويلا مع بلاد عمان، وبها الصخور السوداء الفاحمة التي تنتشر في عمان، وتصلها طرق إلى أمكنة الخصوبة حولها، وعلى هذا فمسقط تتمثل فيها

الخصوبة والبحر والجبال، وتلك هي أبرز مظاهر الحياة في عمان. أما منظر مسقط من البحر أو الجو فهو منظر رائع، إذ يمتد صف فوق صف من الجبال الجرداء مسافات طويلة، وتقع في الخليج الصغير الذي يلتقي عنده البحر بالجبل مدينة مسورة تطل عليها قلعتها القديمتان، وقلما يوجد ركن في مسقط لا يمكن رؤية هاتين القلعتين منه.

أما مسقط الحديثة التي تنمو نموا مضطربا فهي فسيحة الشوارع ضخمة المباني، وتعد مسقط الآن أعظم مرفأ على خليج عمان بنشاطها التجاري.



مسقط،
العاصمة الحالية

سلطان بن سيف يستعيد مسقط :

وعندما بويع سلطان بن سيف إماما لعمان عقب وفاة ابن عمه ناصر، وجه اهتمامه لاستكمال ما بدأه ابن عمه، فاتجه للصراع ضد البرتغاليين واستطاع بذلك أن يستعيد منهم ما تبقى في أيديهم فطردهم سنة ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م من مسقط ومطرح.

ولدينا وصف دقيق يقدمه ابن رزيق عن المعركة التي دارت بين سلطان بن سيف وبين البرتغاليين، إذ يقول ابن رزيق في هذا الصدد:

«إن الامام سلطان بن سيف لما توفي ابن عمه وخلصت له الامامة لم يلبث إلا أياما معدودة ثم أسرع الوثبة لحرب النصارى الذين في يدهم زمام بلدة مسقط ومطرح وهم المسمون (البرتوكيس) أي البرتغاليين.

مسقط عاصمة عمان :

ولما قامت الدولة البوسعيدية، اتخذ مؤسسها الامام أحمد بن سعيد من الرستاق عاصمة له، وكانت حياته بين صحرار العاصمة الأولى لعمان والتي كان الامام أحمد واليا عليها قبل أن يصبح اماما، وبين الرستاق موطن الأئمة وعاصمة عمان في ذلك التاريخ، وفي عهد حفيده حمد بن سعيد (١١٩٣ - ١٢٠٧ هـ / ١٧٧٩ - ١٧٩٢ م) نقلت العاصمة من مدينة الرستاق إلى مسقط، ومنذ ذلك التاريخ ظلت مسقط عاصمة البلاد وواجهتها. وقد زارها بعض الرحالة والعلماء الأجانب وتحدثوا عنها وعن اقتصادها.

اقتصاد مسقط :

وقد زار السير باتر فرير مسقط وشاهد الأسواق تعج بالحركة حيث تعرض السلع والمنتجات على اختلاف أنواعها مثل المنسوجات والأقطان والحرير والمجوهرات وأدوات المائدة واللحوم والأسماك. كما قال كارستان في كتابه (رحلات عبر الجزيرة العربية) «ان مسقط تنتج الجبن والشعير والعدس والعنب وتصدر كميات هائلة من البلح الى الخارج». وذكر G.T. RINAL انها تصدر اللبان والمر والفضة والصمغ^(٣١). وأهم دور اقتصادي قامت به مسقط هو أنها كانت محطة تجارية ومركزا لتوزيع البضائع وشحنها، فالخليج يتوسط شبكة من الطرق البحرية التي تربط الهند وجنوب شرقي آسيا والشرق الأقصى وأفريقيا، وكانت مسقط تمثل أهم ميناء بين موانئ هذا الخليج بموقعها الاستراتيجي الممتاز، وكان هذا الموقع يدر ربحا عظيما على البلاد وعلى العمال العمانيين.

وعلى هذا فمنتجات مسقط وموقعها الجغرافي جلبا لها عبر التاريخ مكانة اقتصادية مرموقة، ولذلك كان يقال ان نفوذ مسقط في الخليج نفوذ غير منازع^(٣٢). وقد دعم هذا النفوذ ما تمتاز به هذه المدينة من حصانة وتحصين نظرا لكثرة قلاعها وأبراجها.

مسقط: مدينة الأبراج والقلاع :

ذلك أن الأبراج والحصون والقلاع تكثر في عمان، وتقوم عادة على التلال البارزة ومهمتها الحراسة والدفاع عن مداخل المدن. وكذلك الحال في مسقط عاصمة البلاد. إذ يوجد بها مجموعة من الأبراج والحصون والقلاع تشرف على المدينة من ناحية البحر، فمسقط كانت دائما تخشى أن تضرب من البحر.

وفي مسقط قلعتان عظيمتان: القلعة الغربية تسمى (الميراني) ولعلها أخذت اسمها من الأدميرال البرتغالي، وكان البرتغاليون يطلقون عليها في الأصل (فورت كابييتان) اذ كانت مقرا للقائد البرتغالي. أما القلعة الشرقية فتسمى (الجلالي) ولعل اسمها مقبوس من اسم القادة الذين ارتبطوا بها.

وكانت القلاع والأبراج بصفة عامة منازل للحكام، وأحيانا كانت توجد بداخلها مدارس ومكتبات، ومكان للمساجين السياسيين حتى يكونوا تحت سمع الحاكم وبصره.

مسقط المعاصرة :

أما الحديث عن مسقط المعاصرة فيحتاج الى دراسة طويلة لا تتسع لها هذه العجالة، ويكفي أن نذكر أن عهد جلالة السلطان قابوس أقام جسرا هائلا بين الماضي والحاضر والمستقبل، فقد اتجهت عمان المعاصرة الى المحافظة على القيم الأصيلة والتقاليد العربية مع تطعيمها بما يزيدها بهجة وجمالا دون تغيير في جذورها، ثم اتجهت عمان الى الحضارة الحديثة فأخذت منها قسطا كبيرا بحيث لا يتناقض هذا



منظر حديث
لمطرح الكبرى

القسط مع القيم والآداب العربية والإسلامية، وقد زخرت مسقط بكثير من صور ومظاهر هذه الحضارة، ونذكر منها:

- الشريط الساحلي الذي يمتد من مسقط إلى مطرح، ويحس فيه السائر بروعة الطبيعة وقدرة الحضارة الحديثة.
 - الطرق التي شقت في الجبال الصلدة بحيث قربت المسافات إلى حد كبير وربطت بين أحياء العاصمة في سهولة ويسر.
 - ظهور مدن جديدة أو ما يسمى بالضواحي لمسقط، ومن هذه المدن أو الضواحي مدينة السلطان قابوس الفاخرة، ومدينة الإعلام التي تحوي محطة الإذاعة والتليفزيون ونادي الصحافة ومساكن العاملين بوزارة الإعلام، والمدينة الدبلوماسية لرجال السلك السياسي ولسفاراتهم.
 - المنطقة الصناعية بكل ما تحتويه من أجهزة ومعدات.
 - مجموعة من الفنادق الضخمة العالمية، أشهرها فندق قصر البستان الذي يعد مفخرة للعمارة الإسلامية الحديثة في عمان.
 - المستشفيات التي أعدت أروع أعداد لاستقبال المرضى وعلاجهم، من أشهرها المستشفى السلطاني ومستشفى جامعة السلطان قابوس، وقد بنيا على أحدث نظام وجهاً بأحدث الأجهزة في العالم.
 - مطار دولي يستقبل أضخم الطائرات.
 - ميناء السلطان قابوس الذي يستقبل السفن بمختلف أحجامها وحمولاتها.
 - جامعة السلطان قابوس وهي مفخرة عظيمة للعلم والمعرفة، وقد بنيت هذه الجامعة أيضاً على أحدث ما عرفه العصر وجهزت بأحدث الأجهزة التي تعين الباحث والقارئ وطالب العلم.
 - المجسمات التي تزدان بها الميادين الرائعة المختلفة في العاصمة، والتي تعبر عن التراث العماني وأصالته، وعن الحفاظ على هذا التراث.
- وهذا قليل من كثير مما تزخر به مسقط من مظاهر حضارية الكثير منها مستمد من التراث الحضاري الإسلامي بصفة عامة وتراث عمان الحضاري بصفة خاصة.

الفصل الخامس

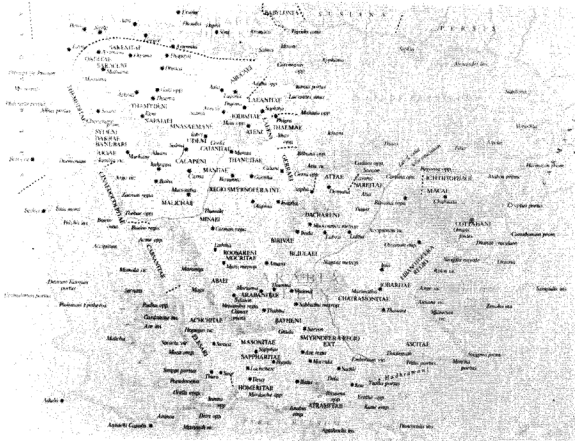
الملاحة والملاحون العمانيون

جهود العمانيين البحرية قبل الإسلام :

كان للعمانيين نشاط بحري كبير قبل ظهور الاسلام بزمن طويل، وكان للموقع الجغرافي الهام الذي تشغله عمان في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة العرب أعظم الأثر فيما أحرزه الملاحون العمانيون منذ أقدم العصور التاريخية من شهرة بحرية، ذلك أن هذا الموقع مابين مخرج الخليج العربي ومدخل بحر الهند الأعظم، على الطريق التجاري البحري الرئيسي المؤدي غربا الى السواحل الشرقية لأفريقيا، وشرقا الى الهند وماليزيا والصين، ولصعوبة الاتصال البري بينها وبين المناطق المجاورة لها كالحرين وحضرموت، دفع أهلها الى التطلع نحو البحر.

ورغم صعوبة رسم صورة واضحة للبحرية العمانية ونشاطها عبر الفترات التاريخية المتعاقبة والمختلفة، وذلك لندرة المصادر التي تعيننا على ذلك وخاصة ما

خارطة شبه الجزيرة
العربية كما رسمها
بطليموس ١٥٠ م



يتعلق منها بالعصور القديمة، إلا أن نثار المعلومات الواردة هنا وهناك تمكننا من رسم صورة مقبولة للبحرية العمانية. ناهيك عن أن المفهوم الجغرافي السياسي لعمان قد تبدل بفعل الظروف السياسية الداخلية والخارجية التي أحاطت به.

وأيما كان الأمر فقد سعى العمانيون للحصول على الرزق من أرضهم ومن البحار المحيطة بهم ومن اليابسة التي تقع على شواطئ المحيط الهندي والبحر الأحمر، فقاموا بارتداد البحار سعياً وراء التبادل التجاري مع الشعوب المجاورة. وشكل البحارة العمانيون طليعة رواد المحيطات في العالم على مر العصور، يأخذون من الشعوب التي اتصلوا بها ويعطونها، ومن المؤكد أن العمانيين هم من أوائل الشعوب القديمة التي استخدمت الصاري والشرع.

وتعتبر المعلومات الواردة في اللوحات السومرية والأكادية المعروفة في بلاد ما بين النهرين والتي تعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد من الأدلة المؤشقة على وجود تجارة لهم بعيدة المدى مع بلاد ما بين النهرين، وربما سبقوا شعوب بلاد ما بين النهرين ومصر في ارتداد البحار، وتوغلوا فيها إلى مسافات شاسعة، ووصلوا إلى مناطق كانت مجهولة ومحفوفة بالمخاطر سعياً وراء الكسب والرزق.

ولا غرابة إذا ما سمي أبناء عمان برواد الملاحة البحرية، وكان يطلق السومريون على بلاد عمان قبل أربعة آلاف سنة اسم مجان^(١) كما ورد ذكر لبناني السفن فيها في عهد شلجي (SHULGI) حوالي ٢٠٥٠ ق.م وربما كانت مجان تستورد الخشب من الهند لتقوم بتصديره من جديد.

ولعب موقع عمان الجغرافي^(٢) الهام دوراً بارزاً في نشاطها البحري، وفي اهتمام بلاد ما بين النهرين بها. وكانت عمان في هذه الفترة ما بين (٢٨٠٠ - ١٨٠٠ ق.م) في حال ازدهار حضاري^(٣) ولقد أسهم أيضاً نشاطها البحري في ذلك إضافة إلى عوامل أخرى، واستمر ازدهارها في عصر المينيين والسبثيين في الألف الأول قبل الميلاد، بفعل نشاطها البحري.

وما أن أزف القرن الثالث قبل الميلاد حتى كانت عمان تملك ثاني أسطول بعد قرطبة وطيره، وربما كان أسطولها أقوى أسطول بحري في العالم أو أكثر عدداً^(٤)، وكان بلا ريب الوسيلة الوحيدة لنقل حضارة ميناء وبابل وسوسة إلى الهند، فعن تلك الحضارات أخذ الهنود علوم الفلك والفلسفة والرياضيات والتنجم وكل معالم الحضارة والتقدم الفكري، وكان ذلك قبل العصور الهلنستية بعدة قرون^(٥). وكان لموقع عمان الجغرافي أثر بالغ الأهمية، فعمان واسطة العقد بين المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر وشرق أفريقيا وداخل بلاد العرب، وحيث أن جبال عمان كانت تشكل صعوبة في الاتصال بين داخل عمان وسهولها الساحلية، تلك السهول التي لم تسد احتياجات السكان من الرزق، الأمر الذي دفع بهم نحو البحر بحثاً فيه، سواء في جوفه أو على متنه أو ما وراءه، كما فعل الفينيقيون على شواطئ البحر الأبيض المتوسط، في العصور القديمة.

ولهذا نرى أن معظم التجمعات البشرية التي نشأت على سواحل عمان كانت معتمدة في رزقها على البحر بالدرجة الأولى، وكان لا بد من وجود بحرية كبيرة للعمانيين تقي بأغراضهم، ولهذا شكلت البحرية العمانية ومنذ البداية العمود الفقري للحياة الاقتصادية في عمان. وأكلت إليه مهام عديدة، كصيد الأسماك والآلياء والنقل والتجارة وحماية الوطن وأبنائه (على اليابسة وعلى ظهر سفنهم)، ولعلنا لانجانب

الحقيقة كثيرا، خاصة عندما نطلق أحكاما عامة في هذا المجال. اذ ما قلنا ان قوة عمان من قوة بحريتها والعكس بالعكس.

ولعل اجل المعلومات عن البحرية العمانية في العصور القديمة، تأتينا مع الفتوحات الكبرى لالاسكندر المقدوني (٣٥٦ - ٣٢٢ ق.م)، التي أدت الى تغييرات عميقة في الطابع السياسي والحضاري لغرب آسيا رغم قصرها، وبالرغم من اعتماد الاسكندر على البحارة الفينقيين في البحر الأحمر والخليج العربي، الا ان العمانيين لعبوا دورا أساسيا وإيجابيا في النشاط البحري في المحيط الهندي وبحر الصين في هذه الفترة. فقد ورد في كتابات أجاتاسيدس الذي عاش في مصر ١٢٠ ق.م: «ان العمانيين قد وصلوا الى شواطئ الهند، وبالرغم من ندرة المعلومات التي وردت في كتاب بطليموس عن عمان قديما الا انه يذكر ان مجد عمان وشهرتها التي كانت مصدر فخرها، انما جاءت عن طريق ما كانت تقوم به من نشاط بحري وملاحي، وليس عن طريق النشاط البري، وان الكوشيين في عمان، كانوا يعتمدون الى حد كبير على النشاط الخارجي، وانهم بحكم كونهم رواد الملاحة في المحيط الهندي، فانهم استطاعوا ان ينقلوا مختلف أدوات ومنتجات الشرق الهامة الى العالم العربي عبر المحيط وبذلك النشاط أسهموا في تطوير الحضارة^(٧).

أما عن اتصال البحرية العمانية بالصين قديما، فتوجد بعض الاشارات في الكتابات الصينية حول هذا النشاط وذلك ما بين عام ٢٠٦ ق.م و٩٧ ق.م، اذ وصل العمانيون الى شواطئ الصين الجنوبية، كما يذكر مؤلف بريبلوس (PRIPLUS) ان ثمة ميناء بعيدا تسمى عمانه، وربما هو ميناء في عمان مثل: (صحار أو مسقط أو غيرها)، وكذلك هناك اشارات الى مدينة تسمى اكليك بالقرب من رأس مسندم، وربما هو ميناء قلهاث قرب رأس الحد^(٨)، ويمكن تفسير ذلك بأن العمانيين قد تمتعوا بعزيمة قوية مكنتهم من ركوب هذه المخاطر وتحدي الصعاب التي كانت تكتنف رحلاتهم الطويلة، ناهيك عن معرفتهم الواسعة بعلم الملاحة والفلك، فنقلوا بلا شك، حضارة بلادهم الى تلك البلدان في فترة مبكرة من التاريخ، ناهيك عن اعتمادهم على سفن كبيرة ذات حمولات كبيرة، مما يدل على مقدرتهم في صناعة السفن كما سيتجلى لنا فيما بعد.

ومن جهة اخرى فان الفرس سعوا لمناقسة العمانيين في الفترة السابقة للاجتياح المقدوني، وبشكل خاص في عهد دارا الكبير ملك الفرس الاخميني (٥٢١ - ٤٨٥ ق.م). ولم يكتف الفرس بذلك، بل حاولوا فصل العمانيين عن البحر، الا ان العمانيين بما اتصفوا به من عزيمة وتصميم، مالبثوا ان استعادوا دورهم البحري الدولي في عام ١٠٠ ق.م، فكانت سفنهم تجر من الخليج الى الهند، كما لم يؤثر على نشاطهم البحري اكتشاف ملك مصر الهليني بطليموس السابع للطريق البحري المباشر بين مصر والهند اعتمادا على الرياح الموسمية.

وعندما برز الرومان كقوة دولية ما بين عام ٥٠ وحتى ٢٠٠م، شاهد العالم توسعا في النشاط البحري الدولي على ايديهم، خاصة ما بين الشرق والغرب، ولم يؤثر ذلك كثيرا على نشاط البحرية العمانية بل على العكس من ذلك، فقد زاد العمانيون من نشاطهم البحري، وقاموا بتغيير طرقهم البحرية المعهودة من قبل، ليسايروا شواطئ فارس والسند وصولا الى الهند متحاشين بذلك الاصطدام مع السفن المعادية لهم.

وفي عام ٢٢٥م سقطت دولة الفرتيين في فارس، وحلت محلها دولة جديدة هي الدولة الساسانية التي سلكت سياسة مغايرة للفرتيين وذلك بتشجيعها النقل البحري في الخليج، مما أدخلها في منافسة مع البحرية العمانية ذلك ان الساسانيين اسسوا اسطولا قويا في الخليج واحتلوا به اجزاء من مشرق وجنوب الجزيرة العربية ومنها عمان، الا ان بحارة عمان من قبيلة الازد تصدوا لهم بعد ان استعادوا قوتهم ونشاطهم البحري التجاري، ثم قاموا بغزو فارس واحتلوا السواحل والمناطق الجنوبية منها، بعد معارك متعددة وطاحنة.

ولقد امتدت الفترة التي غلب فيها العرب على هذه السواحل، فاستغرقت شطرا من القرن الثاني الميلادي، والقرن الثالث كله، وجزءا من القرن الرابع، وكانت تجارة الخليج والبحر المحيط طوال هذه الفترة في حوزة العرب^(٨).

أما الساحل الغربي للخليج فقد أنشأ فيه الفرس بعض المراكز العسكرية الفارسية^(٩). وعلى الرغم من قيام هذه المراكز العسكرية الفارسية على الساحل الا ان ذلك لم يؤثر على غلبة العناصر العربية التي سرعان ما اصطدمت بالعناصر الفارسية، ففي منتصف القرن السادس الميلادي، شهدت عمان قدوم موجة عربية جديدة من أزد اليمن، الامر الذي أدى الى انحسار الوجود الفارسي في السواحل وشطوط البحر، بينما تمكن العرب الأزد من السيطرة على البادية والجبال وأطراف عمان، وأصبحت كل الأمور منطاة بهم^(١٠)، بينما أتاح بقاء الفرس في السواحل القيام ببعض النشاط التجاري البحري في الخليج، طوال القرن السادس الهجري. الا ان الصراعات الدولية في ذلك القرن على الطرق والمنافذ البحرية التجارية خلق صعوبات جديدة أمام العمانيين، فقد ازدادت المنافسة بين مملكة اكسوم والفرس في الربع الاول من القرن السادس الميلادي وبالتالي ازداد نفوذ بيزنطة لتعاونها مع اكسوم ضد الفرس، ووجد العمانيون أنفسهم امام قوى كبرى تتصارع على منطقة جنوب الجزيرة العربية وشرقها، الا انهم قاموا بنشاطهم البحري المتداخل بين هذه الدول.

وفي بقية القرن السادس للميلاد قامت قوى بحرية مؤلفة من الفرس والاحباش واليونان والصومال بمنافسة العمانيين في النشاط البحري. وبدأت سفن هذه القوى تظهر في أعالي البحار، مما دفع بالعمانيين اعتمادا على اسطولهم البحري للتصدي لهذه القوى وخاصة قوى الاحباش الذين كانوا يحتلون اليمن^(١١). كما تصدوا أيضا للنشاط الفارسي، ولذلك لم يتمكن الفرس من التفوق على العرب في مجال تجارة الخليج، فقبل ظهور الاسلام نشطت الحركة التجارية التي كان روادها عرب عمان من الازد مع سواحل افريقيا الشرقية، وازدهرت دبا على ساحل عمان بحيث أصبحت احدى أسواق العرب الشهيرة^(١٢)، كما اشتهرت مواقع عديدة على امتداد سيف البحرين وعمان عرفت باسم الخط^(١٣)، وكانت تستورد الرماح والقنا من الهند، وتقوم بتصنيعها وبيعها للعرب، ونسبت هذه الرماح الى تلك المنطقة، فعرفت بالرماح الخطية^(١٤). وهذا يعني ان الغلبة السكانية في عمان قبل الاسلام كانت للأزد، وكان الوجود الفارسي بها يكاد يكون معدوما بحيث ان البلاذري في روايته عن دخول عمان في الاسلام في السنة الثامنة للهجرة لم يشر الى وجود عناصر فارسية بها^(١٥)، غير ان الطبري يشير في رواية أوردتها الى ان النبي ﷺ بعد دخول عمان في الاسلام أخذ الجزية من المجوس بها^(١٦).

ومع ذلك فان هؤلاء المجوس الذين يعينهم الطبري وهم الفرس كانوا يمثلون أقلية

ضئيلة تعيش في عمان شأنها شأن أهل الذمة بكل الأقطار الاسلامية، ولم يكن لها أي نفوذ سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي بحيث أن عمان وقت ظهور الاسلام كانت بلدا عربيا مستقلا، يحكمه اثنان من آل الجلندی العرب هما جيفر وعبد^(١٧)، وذلك نستطيع أن نؤكد ان الفضل في تفوق عمان البحري وسيادتها على مياه الخليج العربي إنما يرجع الى ابتائها العرب الأحرار الذين كانوا سادة الخليج العربي والمحيط الهندي.

جهود العمانيين البحرية في العصور الاسلامية :

كان للبحرية العربية والعمانية دور كبير في فتح بلاد فارس في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، مما يثبت تفوق العمانيين في مجال البحر، وإن السيادة في مياه الخليج العربي كانت للعرب العمانيين على وجه الخصوص، فقد أقدم العلاء بن الحضرمي والي عمان والبحرين على عبور الخليج الى أرض فارس في بداية عصر الفتوحات، غير أن ذلك أغضب الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عليه، ودفعه غضبه على اقدمه على فتح جزيرة اللار المقابلة لسيف عمارة، والهجوم على جزيرة خرج فيما يقرب من عام ١٦هـ / ٦٣٧م الى تلويمه^(١٨)، لأنه خرج بدون إذنه^(١٩) ولأنه عرض أرواح المسلمين لمغامرة بحرية قد تنتهي بكارثة في هذه الأونة المبكرة.

وانتهى الأمر بعزل العلاء عن البحرين وتولية عثمان بن أبي العاص الثقفي سنة ١٧هـ / ٦٣٨م بدلا منه على عمان والبحرين، ومنذ ذلك التاريخ تبدأ المرحلة الحقيقية لفتوحات اقليم فارس من عمان، فقد طلب الخليفة عمر من عثمان بن أبي العاص أن يقطع البحر لمحاربة كسرى فارس، فخرج ومعه ثلاثة آلاف محارب أو ألفان وستمئة من الأزد وناجية وعبد القيس^(٢٠)، وعبر بهم من جلفار بعمان الى جزيرة ابن كاوان، وهي جزيرة عربية نسبة الى كاوان وهو لقب تلقب به الحارث بن امرئ القيس ابن حجر بن عامر من بني عبد القيس^(٢١)، وربما كان اختيار عثمان لهذه الجزيرة يرجع الى كثرة العرب بها وبالأسياف القريبة منها، هذا بالإضافة الى أهمية موقعها الاستراتيجي، إذ كانت تتحكم في الطرق البحرية المؤدية الى رأس الخليج من جهة والمحيط الهندي وسفالة الزنج من جهة أخرى، كما أنها كانت تعتبر محطة لتجمع القوات العسكرية، فضلا عن بعدها عن مراكز الاحتشادات العسكرية الفارسية الواقعة شمالي وشمال شرقي الخليج العربي.

ووفق عثمان الثقفي بمساعدة قواته البرية والبحرية من أهل عمان والبحرين من فتح جزيرة ابن كاوان بعد فترة، فيما يقرب من سنة ١٩هـ / ٦٤٠م وبنى بها مسجدا، ومن ثم نزلها العرب^(٢٢)، وكان عثمان الثقفي أثناء ذلك قد اشتبك مع جيوش الفرس بقيادة شهرک في جزيري القسم، وتمكن بفضل العمانيين من التغلب على الفرس والاستيلاء على هذه الجزيرة وقتل القائد الفارسي شهرک^(٢٣).

ويبدو أن الخليفة عمر بن الخطاب، أدرك ببعد نظره ضرورة التنسيق العسكري بين قاعدة البصرة في العراق، وقواعد عثمان بن أبي العاص الثقفي في عمان والبحرين وتم ذلك على نحو تجاوز كل تقدير. فقد انتقل عدد كبير من أبناء عمان بسفنهم الى البصرة بهدف المشاركة في فتح فارس من جهة البصرة وبدأت بشائر النصر عندما سقطت اصطخر في سنة ٢٩هـ / ٦٤٩م في أيدي بني بكر بن وائل وعبد القيس وبني سامة^(٢٤) الذين ينتمون الى الأصل الى عمان والبحرين.

كذلك كان لعثمان الثقفي وقواته العمانية الفضل في اضعاف مركز المقاومة الفارسية في كرمان التي تم فتحها في خلافة عثمان بن عفان^(٢٥).

لم تكن فارس هي الهدف الوحيد للبحرية العمانية في عصر الفتوحات، فقد كان لهم دور متميز أيضا في فتح بلاد السند، فقد أغار عثمان بن أبي العاص الثقفي بسفنه العمانية على سواحل الهند عند تانه بالقرب من بومباي، كما وجه أخاه المغيرة الى خور الديبل عند مصب نهر السند في سنة ١٥هـ / ٦٣٦م^(٢٦)، كذلك كان لعمان دور مرموق في مواجهة اعتداءات القراصنة الهنود في العصر الأموي، فقد أمر الحجاج بن يوسف الثقفي قائد عمان أن يرد على غارات القراصنة الهنود^(٢٧).

وإذا كان العمانيون ومعظمهم من الأزدي قد شاركوا في هذه الأنشطة البحرية ذات الطابع الحربي، فانهم شاركوا أيضا في الفتوحات الاسلامية في الجناح الغربي من العالم الاسلامي، اذ تروي لنا كتب التاريخ أن الأزدي شاركوا في فتوح المغرب والأندلس وأبلوا فيها بلاء حسنا، وقد أفاد معاوية بن أبي سفيان عند شروعه في انشاء اسطول اسلامي، من خبراتهم القديمة في قيادة السفن: فمن المعروف ان اهل عمان اشتهروا قبل الاسلام بمهارتهم في الملاحة في المحيط الهندي والبحر الحبشي، وبقدراتهم العالية في ركوب السفن الى الهند^(٢٨)، وكانت لنواخذتهم براعة لاحدود لها في قيادة السفن المعروفة بالترماهيية الى الهند، وفي خوض مياه بحر الزنج وقطع الخليج البربري الى جزيرة قنبلو من بحر الزنج^(٢٩)، وهذا يفسر السبب في اعتماد معاوية بن أبي سفيان على الأزدي في قيادة اسطول المسلمين في عهده، فظهرت شخصية جناح بن أبي أمية الأزدي الذي غزا قبرص ورودس وأرواد وأقريطش^(٣٠)، وسفيان بن مجيب الأزدي الذي حاصر طرابلس الشام من البحر وتمكن من افتتاحها في سنة ست وعشرين للهجرة^(٣١).

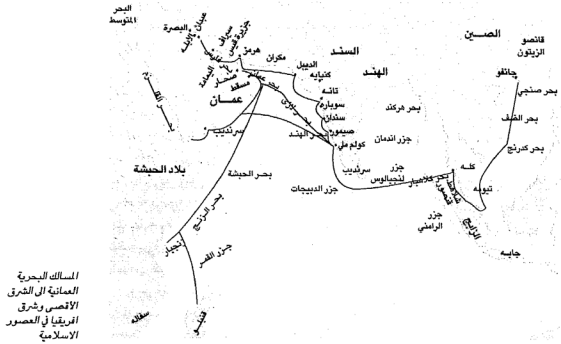
كذلك يرجع الى الأزدي الفضل الأعظم في انشاء أول قوة بحرية اسلامية في الأندلس تشغل لحسابها الخاص بالجهاد البحري أو بالتجارة ما بين بلاد المغرب والأندلس، في وقت لم تكن الدولة الأموية في الأندلس قد اصطنعت بعد سياسة بحرية على نحو رسمي، فقد كان معظم طوائف البحريين الذين ينتجعون رباطات السواحل الشرقية للأندلس ما بين طرطوشة في الشمال والمرية في الجنوب ويفغزون في البحر التيراني، ينتسبون الى الأزدي ومنهم بنو الأسود: عمر بن أسود^(٣٢) الذي مصر اقليم بجانة، وقائد البحر سعيد بن أسود^(٣٣) والأدهم بن مخلد الغساني^(٣٤).

وإذا كان للبحرية العمانية وللعمانيين من الأزدي وغيرهم من أهلها، دورهم الرائد في مجال الفتوحات الاسلامية على هذا النحو، فقد كان لها ولهم أيضا دورهم الكبير في مجال الملاحة والتجارة. وللحديث عن هذا الدور لا بد أن نتحدث أولا عن المسالك البحرية والطرق التجارية البحرية التي سلكتها السفن العمانية، ثم عن أهم السلع التي كان يتجر فيها العمانيون، الى غير ذلك من الأمور التي تتصل بهذا الموضوع، ونبدأ بالنقطة الأولى وهي المسالك البحرية التي سلكتها السفن العمانية.

المسالك البحرية للبحرية التجارية العمانية:

وأول هذه المسالك هو الخليج العربي، ويعد هذا الخليج شعبة من بحر الهند العظيم أو المحيط الهندي كما نطلق عليه اليوم، وقد اشتهل قديما على ثلاثة بحار، بحر فارس، بحر البحرين، وبحر عمان. ويتصل الخليج العربي شرقا ببحر لاروي، أكبر

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية



بحار بحر الهند أو المحيط الهندي، ويطل على بحر لاروي بلاد صيمور وسوبار، وتابه وسندان وكتبايه وغيرها من السند والهند^(٣٥)، ثم بحر هركدند^(٣٦) الذي يفصله عن بحر لاروي عدة جزر تعرف بالديبجات، آخرها جزيرة سرنديب، يليها شرقاً جزيرة الراين ثم لنجبالوس، ثم بحر كلاهبار في شبه جزيرة الملايو يليه بحر شلاط، فبحر كردنج فبحر الصنف الذي ينتهي ببحر الصين أو بحر صنجي المائي بالجزر^(٣٧).

هذه هي المسالك البحرية التي كانت تسلكها البحرية العمانية في طريقها إلى بلاد الصين. ولأبد من تفصيل في الحديث عن هذه المسالك. وكما أشرنا فإن أولها هو الخليج العربي الذي اشتمل على بحار ثلاثة، كان أولها بحر فارس، وأهم موانئ هذا البحر الأبله، والبصرة، وسيراف. وكانت السفن التجارية العمانية تتوقف عند مراسي هذه المدن ثم تبدأ رحلاتها سواء إلى الشرق الأقصى نحو الصين أو غرباً إلى سواحل شرق أفريقيا. وكانت السفن العمانية تجتاز هذه المسافة البحرية في رحلتها بارشاد الخشببات والنواظير، مستفيدة من المد ووقته، ويصف الأصبخري تلك الخشببات التي كانت بمثابة علامات للبحارة والملاحين في بحر فارس من الخليج العربي بقوله: «بحر فارس، وهو عريض البطن جداً وفيه هوارات كثيرة ومعاطف صعبة ومن أشدها مابين جنابة والبصرة، فإنه مكان يسمى هور جنابة، وهو مكان مخوف لاتكاد تسلم منه سفينة عند هيجان البحر، وبها مكان يعرف بالخشببات من عبادات على نحو ستة أميال، على جري ماء دجلة في البحر، ويرق الماء حتى يخاف على السفن الكبار، إن سلكته أن تجلس على الأرض إلا في وقت المد، وبهذا الموضع خشببات منصوبة قد بني عليها مربق يسكنه ناظور، يوقد بالليل ليهتدى به، ويعلم به المدخل إلى دجلة...»^(٣٨).

ويضيف المسعودي في وصفه لتلك الخشببات بعض التفاصيل منها: «أن في أول بحر فارس خشببات البصرة والموضع المعروف بالكفلاء، وهي علامات منصوبة من خشب في البحر مغروسة علامات للمراكب إلى عمان مسافة ثلاثمائة فرسخ، وعلى ذلك ساحل فارس وبلاد البحرين...»^(٣٩).

ويتبين لنا من خلال وصف الاصطخري لبحر فارس أنه كان مليئاً بالهوارث والمعاطف الصعبة التي طالما تعرضت بسببها كثير من السفن التجارية للغرق، هذا بالإضافة إلى كثرة أمواج هذا البحر وعنفها. وقد عرف العمانيون أسرار بحر فارس، فقد كان يهدأ في فترات معينة من السنة، وكان لهدوئه ارتباط بتغيرات تطرأ على المحيط الهندي، وكان أيضاً يخضع في هدوئه وعنفه لقواعد فلكية استوعبها الملاحون العمانيون الذين كانوا على دراية تامة بأحوال البحار والمد والجزر منذ أقدم العصور، وقد أسرف الجغرافيون العرب في الإشارة إلى ذلك ومنهم ابن الفقيه الهمداني، وابن رسته، والمسعودي، ويعبر المسعودي عن ذلك بقوله: «بحر فارس تكثر أمواجه ويلين بحر فارس وتقل أمواجه ويسهل ركوبه عند ارتجاج بحر الهند واضطراب أمواجه وظلمته وصعوبة مركبه، فأول ما يتبدىء صعوبة بحر فارس عند دخول الشمس السنبلة وقرب الاستواء الخريفي، ولا يزال في كل يوم تكثر أمواجه إلى أن يصير الشمس إلى برج الحوت فأشد ما يكون ذلك في آخر الخريف عند كون الشمس في القوس، ثم يلين إلى أن تعود الشمس إلى السنبلة»^(٤٠).

ومن المظاهر الأخرى لخطورة بحر فارس، كثرة المضائق الجبلية به خاصة بالقرب من عمان، وعلى الرغم من خطورة هذه المنطقة الجبلية، فإن العمانيين بحكم مهارتهم الملاحية تمرسوا على اجتياز المضيق الجبلي الخطير الذي يقع بالقرب من عمان وكان يعرف بالدردور، بينما عجز الملاحون الصينيون في عبوره بسفنهم. ويصف ابن الفقيه هذا المضيق الجبلي عند عمان بقوله: «وفي غربي هذه البحار، جبال عمان وفيها الموضع الذي يسمى دردور، وهو مضيق بين جبلين تسلكه السفن الصغار ولا تسلك فيه السفن الصينية، وفيه جبل كسير وعوير، فإذا جاوزت الجبال صرت إلى موضع يقال له صحار عمان...»^(٤١). كما يذكر المقدسي أن الخليج العربي قليل العرض فيما بين عمان وعبادان، وكان ذلك المضيق إحدى المشاكل التي تمرس على مواجهتها العمانيون^(٤٢).

ويلى ذلك من بحار المحيط الهندي العظيم الذي كان يعبره العمانيون بسفنهم في رحلاتهم التجارية إلى الشرق الأقصى، بحر لاروي، وهو أكبر بحار هذا المحيط^(٤٣)، ولم يتمكن البحريون من حصر امتداده طولاً وعرضاً أو معرفة مدى عمقه، وعرف بحر لاروي بقلة عنبره، فقد ورد في كتابي سلسلة القوارىخ، ومروج الذهب أن العنبر ببحر لاروي قليل، ذلك أن العنبر يقع أكثره في سواحل بلاد الزنج وساحل الشحر من أرض العرب^(٤٤).

وبين هذا البحر الثاني لاروي، والبحر الثالث بحر هر كند، مجموعة من الجزر تبلغ نحو ألف وسبعمائة جزيرة، كانت مأهولة بالسكان، وقيل ألفاً جزيرة^(٤٥)، وقيل ألف وتسعمائة. وكانت تتولى هذه الجزر كلها امرأة، لها جيوش كثيفة لاتعد ولا تحصى. وكانت هذه الجزر تعرف بالديباحات^(٤٦) وأخرها جزيرة سرنديب (سيلان)^(٤٧) التي تقع عند حد بحر هر كند، وفي هذه الجزيرة جبل قيل أنه الجبل الذي هبط عليه آدم عليه السلام، وذكروا أن عليه أثر قدمه.

ويلى جزيرة سرنديب جزائر أخرى عرفها العمانيون في بحر هر كند تبعد نحواً من ألف فرسخ أهمها جزيرة تعرف بالرامين^(٤٨) أو الرامني^(٤٩)، وهي جزيرة معمورة يكثر بها الذهب، ويكثر بأرضها الكافور، والنارجيل (جوز الهند)، وبها من الحيوانات الفيل والكركدن والجواميس، وتبلغ مساحة جزيرة الرامني ثمانمائة فرسخ^(٥٠).

وبلي الرامي في بحر هركنند، بلاد قنصور ويزرع بها الكافور الشهير بالكافور القنصوري^(٥١)، ويلبها جزر انجبالوس^(٥٢)، أو انجبالوس^(٥٣) وكان أهلها من الشعوب البدائية في نظر المسعودي ويصفهم بقوله: «وهي أمم عجيبة الصور عرا يخرجون في القوارب عند اجتياز المراكب بهم...»^(٥٤).

وليس من شك في أن العمانيين وصلوا بسفنهم التجارية الى الجزائر التي تلي لنجبالوس وتعرف بجزائر اندامان، وكان سكانها سود الوجه عجيبي الشكل مغلفي الشعر تتميز أقدامهم بالطول، لآخرة لهم في ركوب البحر^(٥٥) وتعتبر جزر اندامان آخر حدود بحر هركنند، وتبدأ بعدها حدود البحر الرابع، وهو بحر كلاهبار.

وكان العمانيون بحكم ترددهم على بحر هركنند يدركون ثروات جزره وما اختصت به من معادن وزروع ولآليء وعنبر، فكانوا يسعون إليها ليحصلوا عليها ويتاجروا فيها، وفي ذلك يقول ابن الفقيه: «وفي هذا البحر جزيرة سرنديب، وفي هذه الجزيرة الجبل الذي هبط عليه آدم وعليه أثر قدم آدم، وهو عظيم طويل وعليه أنواع الافاوية والطيب وفار المسك، وفي بحره مغاص اللؤلؤ...»^(٥٦).

وردد في كتاب سلسلة التواريخ: «وأخبرني غير واحد من نواخذة السرافيين والعمانيين بعمان وسيراف وغيرها من التجار ممن كان يختلف الى هذه الجزائر، أن العنبر ينبت في قعر هذا البحر (هركنند) ويتكون فيه أنواع الفطر من الأبيض والأسود والكماة والمغاريذ، ونحوها، فإذا خبث البحر واشتد قذف من قعره الصخور والأحجار وقطع العنبر...»^(٥٧).

وفي موضع آخر من نفس الكتاب أن «سرنديب مغاص اللؤلؤ، وفي أرضها جبل يدعى الرهون... وحول هذا الجبل معدن الجواهر، والياقوت الأحمر والأصفر...»^(٥٨). وعلى هذا النحو يتبين لنا أن هذه الجزر اشتهرت بالعنبر واللؤلؤ والياقوت بأنواعه وبالذهب ومعادن الفضة، وكذلك بشجر النارجيل.

يلي هذه البحار، بحر كلاهبار، أو بحر كله^(٥٩)، وكله جزيرة في ذلك البحر المحيط تقع في منتصف الطريق بين عمان والصين في طرف خط الاستواء، ويصفها ياقوت بأنها قرصة الهند^(٦٠).

ويتسم بحر كله هذا بقلة مياهه فهو كثير الجزائر والصرادي، (واحداه صرد)، وذلك أن أهل المراكب يسمون ما بين الخليجين إذا كان طريقهم فيه الصرد... وبهذا البحر أنواع من الجزائر والجبال عجيبة...»^(٦١).

ويذكر ابن الفقيه أن بين بحر هركنند وبحر كلاهبار مجموعة من الجزر يسكنها قوم يعرفون باسم «لنج» وكانوا على حد وصفه «لايعرفون لغة ولايلبسون الثياب، لم ير منهم امرأة، يبيعون العنبر بقطع الحديد، ويخرجون الى التجار من الجزيرة في زوارق ومعهم النارجيل، وشراب النارجيل يكون أبيض، فإذا شرب منه فهو حلو كالعسل، فإذا ترك يوما صار مسكرا فان بقي أياما حمض...»^(٦٢).

وكانت جزيرة كله وبحرها يدخلان في نطاق مملكة (الزايج) التي تقع على يمين بلاد الهند^(٦٣) وكان يطلق على ملك الزايج اسم (المهراج) أو ملك الملوك^(٦٤).

أما بحر شلاط أو سلاط فهو بحر عظيم فيه جزيرة دورها (محيطها) ثمانمائة فرسخ^(٦٥)، وربما كان يطلق عليها اسم شلاط فقط، وذكر ابن رسته أن بجزيرة شلاط العنبر الكثير، الذي ليس في البحر أجود منه^(٦٦).

ويبدو أن خطأ ملاحيا مباشرا كان يربط ما بين بحر شلاط وعمان، فقد ذكر ابن

الفقيه أن بحر فارس قد يركب في كل أوقات السنة بخلاف بحر الهند الذي كان لا يركبه الناس عند هياجه لصعوبته: «فمن أراد الصين أو عدن أو شلاط أخذ من ناحية المغرب على اليمامة وعمان، ومن أراد السند أخذ من ناحية فارس على سيراغ...» (٦٧).

ويلي بحر شلاط بحر الكردنج الذي كان كثير الجبال والجزائر، وهو لذلك قليل الماء رغم كثرة الأمطار في هذه المنطقة الموسمية، وكان يعيش في هذه الجزر على حد قول المسعودي أقوام يقال لها (الفنجب) يتميزون بشعورهم المفلطلة وصورهم العجيبة، وكانوا «يتعرضون بقوارب لهم لطاف، للمراكب إذا اجتازت بهم، ويرمون بنوع من السهام عجيبة قد سقيت بالسهم...» (٦٨).

ويلي بحر الكردنج بحر يعرف ببحر الصنف به مجموعة من الجزر أطلق على ملكها اسم المهراج، وفي أطراف تلك الجزر جبال شاهقة، يغلب على الظن أنها كانت بركانية، فقد وصفها المسعودي بقوله: «تظهر من جبالهم النار بالليل والنهار، فنهارها حمراء، وبالليل تسود، وتلحق بعنان السماء لعلوها وذهابها في الجو تقذف بأشد ما يكون من صوت الرعد والصواعق...» (٦٩).

ويعتبر المسعودي جزيرتي الرامني والزايغ من جزر هذا البحر (بحر الصنف) بينما يخالفه ابن الفقيه الذي يذكر جزيرة الرامني على أنها بعد سرنديب بين بحري هركند وشلاط (٧٠) أما مملكة الزايغ فقد اعتبرها ابن الفقيه من جزر وممالك بحر كله أو كلاهما (٧١).

ومن جزر الصنف كذلك جزيرة سريرة، وكل هذه الجزر كانت تتبع مملكة المهراج في بحر الصنف.

وينتهي بحر الصنف ببحر الصين أو بحر صنجي، وتصف المصادر العربية هذا البحر بأنه شديد الموج وفيه جبال كثيرة. وتؤكد هذه المصادر أن التجار العمانيين كانوا يصلون بسفنهم إلى هذا البحر، ومن ذلك قول المسعودي أن: «أهل المراكب والتجار من أهل البصرة وسيراغ وعمان وغيرهم ممن قطع هذا البحر وما ذكرناه عنهم فممكن غير ممتنع» (٧٢).

هذا فيما يتعلق بأمر البحار الشرقية التي خاض العمانيون بسفنهم مياهها، والتي تؤكد خطورتها وكثرة أمواجها ومضايقتها الجبلية على أمر واحد، هو مهارة العمانيين البحرية وسيادتهم في عالم التجارة البحرية في العصر الإسلامي.

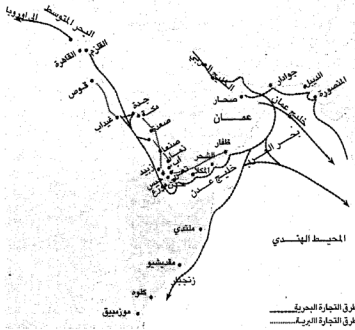
أما من الجهة الغربية، فقد كان الخليج العربي يتصل بالبحر البربري أو بحر الزنج الذي ينتهي جنوباً بجزيرة قنبلو، وبلاد سفالة، والواق واق من أقاصي أرض الزنج.

وقد وصل العمانيون بسفنهم التجارية إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، واعتادوا الإبحار في البحر البربري، وفي ذلك يقول المسعودي: «وأهل المراكب من العمانيين يقطعون هذا الخليج إلى جزيرة قنبلو من بحر الزنج، وفي هذه المدينة مسلمون بين الكفار من الزنج، والعمانيون الذين ذكرنا من أرباب المراكب، يزعمون أن هذا الخليج المعروف بالبربري وهم يعرفونه ببحر بربري وبلاد جفوني» (٧٣).

وفي موضع آخر من «مروج الذهب» يقول المسعودي: «وهؤلاء القوم الذين يركبون هذا البحر (بحر الزنج) من أهل عمان عرب من الأزدي، فإذا توسطوا هذا البحر ودخلوا بين مآذركناه من الأمواج ترفعهم وتخفضهم فيرتجون ويقولون:

بربري وجفوني وموجك المجنون
جفوني وبربري وموجها كما ترى» (٧٤).

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية



دور عُمان كوسيط
تجاري بين الشرق
والغرب في العصور
الإسلامية

ومن الجدير بالذكر أن المسعودي ركب هذا البحر في إحدى رحلاته من صحار (سنجار) قسبة عمان مع جماعة من البحريين، كما ركب إحدى السفن في عام ٣٠٤ هـ من جزيرة قنبلو في طريق عودتها إلى عمان، وكان حاكم عمان آنذاك أحمد بن هلال^(٧٥). ويؤكد المسعودي في أكثر من موضع من كتابه «مروج الذهب» على مهارة نواخذة عمان وعلى سيادتهم في بحر الصين والهند والسند والزنج والفلزم والحبيشة^(٧٦).

ويرجع بعض الباحثين أن قنبلو التي وصل إليها العمانيون هي مدغشقر الحالية، وإن كان فريق منهم يرجح أن تكون إحدى جزر القمر^(٧٧). وكان يربط بين قنبلو وصحار مباشرة طريق

ملاحي هو نفس الطريق الذي سلكه المسعودي في رحلته التي تحدثنا عنها، وكانت الرياح تدفع السفن أحياناً بعيداً عن قنبلو فتتجه رأساً إلى الساحل الأفريقي^(٧٨).

الطرق التجارية البحرية التي سلكها العمانيون في العصر الإسلامي:

كانت هناك طرق عديدة سلكها البحارة والتجار العمانيون أهمها طريقان:

الطريق البحري إلى بلاد الشرق الأقصى:

ذلك أن الحرير كان السلعة الصينية الرئيسية في تجارة الصين مع العالم الغربي، كما كانت التوابل والأفاوية والعنبر، هي السلع الرئيسية في تجارة الهند وجزر جنوب شرق آسيا. وكان هناك طريقان لنقل الحرير من الصين إلى المشرق الإسلامي ومن هناك إلى الغرب الأوروبي. أما الطريق الأول فبري^(٧٩)، وأما الطريق الثاني فأعني به الطريق البحري، وهو ما يتعلق بدراستنا هذه.

وهذا الطريق البحري هو الذي كان يسلكه التجار العمانيون ذهاباً وإياباً وأصبحوا ينقلهم للحرير وسائر سلع الشرق الأقصى، همزة الوصل بين عالمين مختلفين: عالم الشرق وعالم الغرب.

ومن المسلم به أن العمانيين تمرسوا في سلوك هذا الطريق البحري، وأصبحوا سادته والعارفين بكل أسرارته، وتوصلوا إلى التعرف على مواطن الضعف فيه، ومواسم مده وجزره، وأوقات هبوب الرياح والعواصف وأفادوا من ذلك كل الفائدة، وخصصوا في جزره محطات ومراسي للتموين والاستراحة.

وتسوق المصادر العربية تفاصيل إضافية في وصف محطات هذا الطريق البحري الذي كان يسلكه العمانيون في المحيط الهندي، وأكثر من زودنا بتفاصيل وصفية عن هذا الطريق ابن خرداذبة في كتابه «المسالك والممالك»^(٨٠)، وابن الفقيه في كتابه «مختصر كتاب البلدان»^(٨١)، وكذلك صاحب كتاب «سلسلة التواريخ»^(٨٢).

وبفضل هذه النصوص أمكننا أن نقدم عرضاً مختصراً للرحلة البحرية التي كان يقوم بها التجار العمانيون إلى الهند والصين. فقد كانت السفن الصغيرة تبحر من البصرة إلى سيراف حيث تفرغ شحناتها في سفن أكبر يمكنها أن تتحمل مياه المحيط الهندي بأمواجه العاتية أحياناً أو ضحالة مياهه أحياناً أخرى، وتتجه السفن بعد ذلك إلى صحار قسبة عمان ومنها إلى مسقط وكانت المسافة بين سيراف ومسقط مائتي فرسخ. وفي مسقط كانت السفن تتزود بالمياه العذبة من بئرها المشهورة، ثم تبحر منها إلى كولم ملي الواقعة جنوب ساحل المليار بالهند. وكانت السفن التجارية تقطع المسافة من مسقط إلى كولم ملي في نحو شهر.. ومن كولم ملي تتابع السفن رحلتها إلى جزيرة سرنديب فتغادر بذلك بحر لاروي، (بحر الهند) وتبدأ بعد ذلك في الدخول في مياه بحر هركند (خليج البنغال)، فإذا اجتازت السفن مياهه، فإنها تصل إلى جزر لنجبالوس، وكان أهلها لا يعرفون اللغة العربية، فكانوا يتفاهمون مع التجار العمانيين بالإشارة. ثم تنطلق السفن إلى كله على الساحل الغربي بشبه جزيرة الملايو، حيث تتزود بالماء من الإبار العذبة، ثم تواصل السفن إبحارها إلى موضع يقال له بتومه (٨٢) يتوفر فيه ماء عذب، وكانت السفن التجارية تقطع المسافة من كله إلى بتومه فيما يقرب من عشرة أيام، ثم تعبر بعد ذلك مضيق شلاهط، ومن هناك إلى بلاد الصنف حيث تكثر المياه العذبة، والعود الصنفي، ومن الصنف تبحر السفن إلى موضع يقال له صندر قولات، وهي جزيرة بالبحر بينها وبين بلاد الصنف مسافة كبيرة كانت السفن تقطعها في نحو عشرة أيام، وبالوصول إلى بحر صنجي أو بحر الصين تقترب الرحلة العمانية من النهاية حيث ترسو في مدينة خانفو (٨٤).

كان ذلك هو الخط الملاحي التجاري الرئيسي من الخليج العربي إلى الشرق الأقصى، وإن كان يتفرع منه خط يبدأ من جزيرة كله إلى جزيرة الزابج وجاوة. هذا بخلاف الخط الملاحي المباشر الذي كان يربط مدن الخليج العربي، بالدليل وبلاد السند.

وكان هذا الخط الملاحي الممتد ما بين عمان والخليج العربي وبين بلاد الشرق الأقصى يتعرض لبعض الاضطرابات والتغيرات تبعاً للظروف السياسية في البلاد التي يمر بها الطريق. فالمسعودي مثلاً يذكر أن السفن الصينية (٨٥) اعتادت أن تصل إلى الخليج العربي إلى أن اضطرب أمر الصين، وعندئذ بدأ الصينيون يتجهون إلى كله التي كانت تقع في منتصف الطريق بينها وبين عمان، وهناك كانوا يلتقون بالتجار المسلمين والعُمانيين، ويعبر المسعودي عن ذلك بقوله: «بلاد كله وهص النصف من طريق الصين أو نحو ذلك، واليه تنتهي مراكب أهل الإسلام من السيرافيين والعُمانيين في هذا الوقت، فيجتمعون مع من يرد من أرض الصين في مراكبهم، وقد كان في بدء الزمان بخلاف ذلك، وذلك أن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والأبلة والبصرة، وكذلك كانت المراكب تختلف عن المواضع المذكورة إلى هناك، فلما عدم العدل، وقسدت النيات، وكان من أمر الصين ما وصفنا التقى الفريقان جميعاً في هذا النصف، ثم ركب هذا التاجر من مدينة كله في مراكب الصينيين إلى مدينة خانفو» (٨٦).

والمقصود بمقولة المسعودي «اضطراب أمر الصين» الفوضى السياسية التي شملت الصين في أواخر عهد أسرة تانج (٦١٩ - ٩٠٧ م). وتذكر المصادر الصينية أن ملوك هذه الأسرة اعتادوا طوال قرنين من الزمان أن يشجعوا العلاقات التجارية بين بلادهم، وبين بلاد غرب آسيا وأوروبا وإفريقيا وفارس وبلاد العرب (التأزي كما

كانوا يسمونها^(٨٧)، والدولة البيزنطية^(٨٨). كما تذكر المصادر الصينية ان أكثر من ثلاثين سفارة عربية وصلت الصين خلال الفترة مابين أعوام (٣١هـ / ١٨٢هـ) (٦٥١ - ٧٩٨م).

من المعروف أن المدن الصينية كانت تعج في عهد أسرة تانج بالتجار والفنانين العرب الذين اهتموا بالاتجار في الحرير والجواهر والياقوت، وكان في مدينة «YANG ZHOU، قانصو»^(٨٩)، وحدها حوالي ألف تاجر مسلم وعربي^(٩٠). أما مدينة الزيتون GUANG ZHOU فقد كان بها أكثر من عشرة آلاف مسلم.

وتؤكد المصادر الصينية ان الاسلام انتشر انتشارا واسعا في الصين زمن أسرة تانج، كذلك تؤكد ان طريقة صناعة الورق (الكاغد) وحياسة الحرير عرفتها افريقيا وأوروبا عن طريق العرب عبر الخط الملاحي التجاري العربي^(٩١).

ولكن سرعان ما دبت الفوضى في جسد هذه الأسرة الحاكمة، وبدأت سلسلة من الاضطرابات العسكرية والاجتماعية في الصين في أواخر عهد أسرة تانج^(٩٢) منذ سنة ٢٦٤هـ / (٨٧٧م) فقد اندلعت بالصين نيران ثورة اجتماعية كبيرة كانت بمثابة انتفاضة قام بها العامة، وأعلن زعيمهم نفسه امبراطورا واستولى على أهم مدن الصين التجارية^(٩٣).

ويصف المسعودي تفاصيل هذه الثورة بقوله: «ان نابغا فيها من غير بيت الملك كان في بعض مدائن الصين يقال له يانشو، وكان شريرا يطلب الفتنة ويجتمع اليه أهل الدعارة والشر، فلحق الملك وأرباب التدبير غفلة عنه، لخمول ذكره وانه ممن لايبالي به، فاشتد امره، ونما ذكره وكثر عتوه وقويت شوكته وقطع أهل الشر مسافات نحوه»^(٩٤).

وقد أساء يانشو الى التجار العرب والعمانيين الذين كانوا يقيمون بمدن الصين التجارية، فعندما استولى يانشو وآتباعه على خانفو غوة^(٩٥)، وكانت اكبر مركز تجاري في الصين تجمع فيه العرب، قتل من أهلها خلقا لا يحصون كثرة وأحصى من المسلمين والنصارى واليهود والمجوس ممن قتل وغرق خوف السيف فكان مائتي ألف^(٩٦). ومضى هذا التأثير يفتتح مدينة بعد أخرى ثم قصد كلا من مدينتي انموا، ومد بالقرب من التبت، وانتهى أمره بأن اخفى عقب إحدى المعارك، وقيل قتل، وقيل أحرق^(٩٧).

وترتب على هذه الأحداث المضطربة التي مرت بها الصين، أن عدل العمانيون والنواخذة العرب عن الابحار الى الصين وموانئها التجارية الهامة لفترة مؤقتة الى ان تهدأ الأمور، وأصبحت (كله) المحطة التجارية التي يلتقي فيها تجار عمان والعرب، مع تجار الصين والهند حيث كان يتم تبادل السلع والمتاجر، ثم مالبت الأمور ان استقرت في عهد أسرة سانج الصينية (٣٤٩ - ٦٧٨هـ) (٩٦٠ - ١٢٧٩م)^(٩٨).

وقبل ان ننهي الحديث عن أسرة تانج علينا ان نسلط بعض الضوء على تجارة عمان على وجه الخصوص مع الصين خلال الفترة المستقرة من حكم هذه الأسرة.

تنصف المصادر الصينية الى حد كبير في الحديث عن الدور الذي قام به عرب عمان في التجارة البحرية مع الصين في النصف الاول من القرن الثاني للهجرة (العصر الاموي)، فقد ورد في تلك النصوص ذكر تاجر عربي من عمان اشترك مع عدد من التجار في رحلة تجارية الى الصين بهدف نقل شحنة كبيرة من الأخشاب. كما اشارت المصادر الصينية أيضا الى قيام تاجر عماني آخر في النصف الثاني من القرن الثاني

للهجرة برحلة من البصرة الى الصين^(١٩). ويصل سوفاجيه الى نتيجة غاية في الأهمية، وهي ان العرب الاوائل الذين استقروا في الصين كانوا يرجعون بأصولهم الاولى الى عمان التي كانت اهم قاعدة للنشاط البحري التجاري الى الهند^(٢٠).

أما في عهد أسرة سانش الصينية، فقد عادت السفن العربية والعمانية الى الابحار الى موانئ الصين للتجارة وتبادل السلع. وقد أوردت المصادر الصينية التي أرخت لأحداث هذه الأسرة أوصاف العديد من المدن والموانئ العربية من خلال ما ذكره التجار العرب الذين كانوا قد وصلوا الى الصين. ومن بين المدن والبلاد التي ورد ذكرها في تلك المصادر والسجلات الصينية الشحر، مهرة، عمان، مكران، البحرين، عراق، بغداد، كاش، الموصل، خوارزم، مكة، الصومال، زنجبار، قنبلو، بجاية ومصر^(٢١).

وتتضمن المدونة الصينية الخاصة بأسرة سانش والمعروفة بسانج - ش أو (تاريخ أسرة سانش) أوصافا عامة للبلاد العربي، وقد ورد ذكر مزون MA-JUN باللغة الصينية، وكذلك القطيف YA-ra-ha-chi. وتقرر هذه المدونات أن مزون (عمان) سیرت سفارتين عمانيتين لأسرة سانش، الاولى في عام ٤٠٢هـ (١٠١١م) والثانية في عام ٤٦٥هـ (١٠٧٢م). وفي السفارة الاولى، زارت سفينة عمانية يقودها قائد اسمه ابوالقاسم، عاصمة أسرة سانش^(٢٢).

أما السفارة العمانية الثانية فقد كا يتولاها شخص اسمه هاشم بن عبدالله الذي أهدى ملك الصين هدية تشمل مجموعة آلىء وتمور وماء ورد وأقمشة وأشياء أخرى، وقد رد ملك الصين على تلك السفارة العمانية بهديا قيمة^(٢٣). واستمرت العلاقات التجارية بين مدن الصين الجنوبية زمن أسرة سانش وبين عمان ومدن الخليج العربي حتى بعد التغيرات السياسية والاقتصادية التي أعقبت التغير في الخلافة في المشرق الإسلامي.

وفي عهد أسرة مينج الصينية (٧٧٠ - ١٠٥٤هـ) (١٣٦٨ - ١٦٤٤م) ازدادت الصلات التجارية توثقا بين عمان والصين. وتسجل بعض الكتابات الأباضية المتأخرة رحلة تاجر عماني يدعي ابو عبيدة الى الصين في منتصف القرن الثامن الهجري، وقد اشترى من الصين بعض خشب النذ^(٢٤).

كما تذكر سجلات أسرة مينج الصينية أن الصينيين عادوا يترددون على بلاد العرب في رحلات تجارية، ومن ذلك رحلة تاجر صيني مسلم أوفده الإمبراطور شينج - زو CHENG-ZU (٨٠٥ - ٨٢٨هـ) (١٤٠٢ - ١٤٢٤م) والإمبراطور شوان زونج XUAN ZONG (٨٢٩ - ٨٣٩هـ) (١٤٢٥ - ١٤٣٥م) في سفارتين الى مدن الخليج العربي ومن بينها عمان بطبيعة الحال^(٢٥)، مما أدى الى توثيق العلاقات التجارية بين الصين وعمان في العصور الإسلامية.

وبقي أن نذكر أن كثيرا من المحطات التجارية التي يتوقف بها العمانيون وتبادلوا فيها السلع التجارية، كانت تتغير أهميتها ومكانتها بمرور الزمن، من ذلك على سبيل المثال ميناء سیراف التي كانت تقع على الساحل الشرقي للخليج والتي كان التجار العرب من عمان والبصرة يصلون اليها بتجاراتهم ويرحلون منها الى بلاد الهند والصين. هذه المدينة التجارية الهامة، بدأت تفقد مكانتها التجارية عندما وقعت تحت سيطرة أهل جزيرة قيس، فانقلبت الأهمية التجارية لجزيرة قيس كما سبق أن ذكرنا^(٢٦).

وقيس نفسها ازدهرت اقتصاديا وتجاريا خلال فترة لاتزيد على قرن من الزمان، ثم بدأت تضمحل لتفسح مكانها لهرمز، ويصف ابن بطوطة هرمز ومكانتها التجارية

التي قضت بها على شهرة جزيرة قيس.

ومن الملاحظ أن مدن عمان وحدها هي التي احتفظت بشهرتها ومكانتها التجارية عبر كل العصور. ولم تذكر المصادر مثلاً أن صحار في عمان قد اضمحلت وتنازلت عن مكانتها، لغرها من المدن. بل وصفتها كل المصادر الجغرافية بدءاً من ابن خرداذبة، وحتى ابن بطوطة بأنها ذات بيوت جميلة وأسواق حسنة ومساجد عظيمة (١٠٧).

الطريق البحري الى شرق أفريقيا :

كان النواخذة العمانيون عندما يبحرون بسفنهم التجارية (١٠٨) من صحار أو مسقط متجهين الى سواحل شرق أفريقيا، يلزمون الساحل ولا يتعمقون داخل مياه المحيط بهدف التنقل بين أكبر عدد ممكن من الجزر المتناثرة قبالة الساحل الشرقي لأفريقيا سعياً لتبادل السلع معها (١٠٩).

وكان أقصى المناطق التي تصل اليها الرحلة العمانية، أرض سفالة، وفي ذلك يقول المسعودي: «سفالة وهي أقاصي بلاد الزنج واليه تقصد مراكب العمانيين والسيرافيين وهي غاية مقاصدهم في أسافل بحر الزنج...» (١١٠).

وربما يرجع السبب في توقف العمانيين في رحلاتهم جنوباً على طول الساحل الأفريقي فيما يلي بلاد سفالة عند هذا الحد، الى توقف الرياح الموسمية عن الهبوب الجنوبي رأس كورينتس CORRIENTS الذي عرفوه بجبل الندامة، وكذلك الى اشتداد التيارات المائية وعنف الزوابع.

ومن الجزر التي وصل اليها العمانيون في رحلاتهم التجارية بحراً الى شرق أفريقيا جزيرة قبلو التي سبق أن تحدثنا عنها. كذلك وصلوا الى جزيرة زنجبار (١١١) وكان العمانيون يقيمون مستوطنات عمانية في هذه الجزر الأفريقية المقابلة لساحل أفريقيا الشرقية لحماية مصالحهم التجارية.

أهم السلع التي كان يتجر فيها العمانيون :

كان النواخذة العمانيون يملأون سفنهم التجارية المتجهة الى أفريقيا بسلع متنوعة من منتجات الجزيرة العربية والهند وما يليها من بلاد الشرق الأقصى، في حين كانوا يحملون معهم الى الشرق الأقصى الكثير من منتجات بلادهم، وسفالة الزنج.

وأهم هذه الصادرات العربية التي كان العمانيون يتجرون فيها (١١٢) اللؤلؤ العماني. ويذكر الجاحظ أن حيز اللؤلؤ الصافي، العماني المستوى الجسد الشديد التحرج. وهناك أيضاً اللؤلؤ الذي كان يستخرج من بحر البحرين (١١٣)، وكان يسمى باللؤلؤ القطري (١١٤)، هذا بخلاف اللؤلؤ الذي كان يستخرج من مغاصات دهلك بين بر اليمن وبر الحبشة، ومن مغاص الشرجة باليمن (١١٥)، ومن كيش وأوال وخارك (١١٦)، واللؤلؤ الذي يصاد من جزيرة بالقرب من جبل ابن جريش بين سواكن وعيذاب (١١٧).

كذلك كان العمانيون يجلبون العنبر من شحر عمان (١١٨)، ومن عدن الى مخا ومن زليح (١١٩)، أما التمر فكانت تجلب من عمان نفسها ومن البصرة (١٢٠) واللبان والكندر من حضرموت (١٢١)، هذا الى جانب الجلود المجلوبة من مدابع عدن واليمن من «البقري والملمع والأدم الثقيل...» (١٢٢)، والقني العمانية (١٢٣) والعقيق من مخاليف صنعاء «وأجوده ما أتى به من معدن يسمى مقري، وقرية أخرى تسمى

الهام، وجبل يقال له قساس، فيعمل بعضه باليمن ويحمل بعضه إلى البصرة»^(١٢٤).

كذلك اتجر العمانيون في النحاس العماني^(١٢٥)، والشب اليماني الأبيض والورس اليميني^(١٢٦)، كما كانوا يجلبون الزمرد من مصر^(١٢٧)، والخيول من عمان^(١٢٨).

أما فيما يتعلق بالمنتجات الصينية التي كان يستوردها العمانيون، بواسطة سفنهم إلى بلاد العرب وشرق إفريقيا، فهي وفقاً لما أورده ابن خرداذبة^(١٢٩)، وابن الفقيه الهمداني^(١٣٠) الحرير والمسك والعود والسروج والسمور والغضار والدارسيني والخوانجان. ويضيف صاحب سلسلة التواريخ أن الذهب والفضة واللؤلؤ والديباج كان من أهم منتجات الصين وصادراتها^(١٣١).

كذلك كان العمانيون يستوردون المنتجات الهندية من القطن والذهب والفضة والعود والصندل والكافور والقرنفل والقاقلة والনারجيل (جوز الهند)^(١٣٢)، وأنياب الفيل والطيب والجواهر كاليواقيت والماس والعنبر والساج والقلفل^(١٣٣). وكانوا يجلبون الرصاص القلعي والعود والكافور والصندل والعاج والأبنوس والبقم والأفانيه، من جزيرة كله^(١٣٤).

ويشير المسعودي إلى توافر الكافور الجيد والعود والقرنفل والصندل والجوز والبساسة والقاقلة والكباتر في جزر الصنف مما كان يحمل نواخذة عمان في سفنهم إلى بلادهم^(١٣٥). وتتمثل منتجات جزيرة يوتمة التي تقع في الطريق إلى الصين في العود والكافور وفي قمار العود المعروف بالقماري^(١٣٦).

أما سرنديب فمن أشهر منتجاتها اللؤلؤ والجواهر والياقوت والذهب والفضة والكافور^(١٣٧)، كما اشتهرت جزيرة الكلب من جزر بحر هرند بالذهب والনারجيل وبقصور بالكافور الفنصوري^(١٣٨). واشتهرت جزر الديباجات بالعنبر والনারجيل.

أما فيما يتعلق بمنتجات البلاد الأفريقية التي كان يستوردها النواخذة العمانيون وينقلونها إلى الشرق الأقصى، فمنها العاج، وكان يجهز على حد قول المسعودي: «من بلاد عمان إلى أرض الصين والهند، وذلك أنها تحمل من بلاد الزنج إلى عمان، ومن عمان إلى حيث ذكرنا»^(١٣٩). وكان ملوك الصين وأمراؤها وقوادها يتخذون الأعمدة من العاج، كما استخدم الهنود العاج في نصب الخناجر، وقوائم السيوف وفي اعداد صور الشطرنج والترد.

كذلك كان العمانيون يحملون الصبر من جزيرة سقطرى التي تقع قريباً من بلاد الزنج وبلاد العرب، ويعرف بالصبر الاسقوطري^(١٤٠). ويذكر صاحب كتاب عجائب الهند أن أحمد بن هلال حاكم عمان، أهدى إلى الخليفة العباسي المعتضد بالله سنة ٣٠٦ هـ سلحفاة، كان قد أتى بها من بلاد الزنج^(١٤١)، كما ورد في السجلات الصينية أنه كان يجلب إلى الصين قرن وحيد القرن من مناطق مختلفة من آسيا، ولكن أفضل ما كان يرد على الصين منه ما كان يأتي عن طريق النواخذة العرب من جزيرة زنجبار^(١٤٢). وكان بيع هذه السلع وشراؤها يتم في بداية الأمر عن طريق المقايضة، وقد تطورت الأمور فبدأ التجار العمانيون في استخدام المسكوكات المعدنية، ثم استبدلت بالعملات الورقية، فقد كانت الصين أول بلاد العالم في استخدام العملة الورقية من الكاغد الصيني في حجم كف اليد، وكان كل خمسة وعشرين كاغداً يساوي ديناراً^(١٤٣).

واستمر الملاحون من عرب عمان والبحرين يحتفظون بتفوقهم في قيادة السفن في المحيط الهندي وبحر العرب، ويقلعون بها شرقا الى الهند أو غربا الى سواحل افريقيا الشرقية وسفالة الزنج، بحيث ظلوا حتى طليعة القرن التاسع الهجري سادة البحار الجنوبية وزعماء التجارة البحرية في المحيط الهندي، ولكن هذه الزعامة لم تلبث ان انتهت بظهور البرتغاليين في مياه المحيط الهندي^(١٤٤)، فكان ابن ماجد دليل فاسكو دي جاما في رحلته من ملنדה الواقعة على ساحل الزنج الى قليقوت على ساحل مليبار، ودله في هذه الرحلة البحرية على الطرق الآمنة الى الهند وان كان الدكتور انور عبدالعليم ينكر ذلك ويستعده تماما ويرجح أن يكون دليل دي جاما شخصا آخر غير ابن ماجد هو المعلم كاناكا^(١٤٥).

ومهما كان الأمر، فقد كان العمانيون سادة البحار الشرقية قبل ظهور البرتغاليين، وكما سبق القول، فقد كانوا سادة البحار الشرقية، وكان لنشاطهم البحري والتجاري آثار كبيرة.

الآثار المترتبة على اشتغال العمانيين بالملاحة والتجارة:

كان للدور الكبير الذي قام به العمانيون في مجال التجارة البحرية كوسطاء رئيسيين بين الشرق والغرب آثار عظمية، فالى جانب هذا الاسهام الحضاري الرائع، الذي قام به العمانيون في مجال التجارة العالمية، فانهم أسدوا للاسلام وحضارته أجل الخدمات، وضربوا أروع المثل لأهالي البلاد الذين كانوا يتعاملون معهم تجاريا، فيفضل معاملاتهم السمحة وتمسكهم بمبادئ الاسلام الحنيف تمكنوا من كسب قلوب من كانوا يتعاملون معهم، واجتذبوهم الى اعتناق الاسلام طواعية، فلم يلبث أن انتشر بفصلهم بين شعوب جنوب شرق آسيا والصين وشرق أفريقيا.

كما ترتب على قيام العمانيين بدور الوسيط التجاري أن ازدهرت تجارة مصر في العصور الاسلامية المختلفة، خاصة منذ العصر الفاطمي، وعلى الأخص في العصر المملوكي فقد اعتمدت مصر في تجارتها على التوابل التي قام العمانيون بنقلها من مواطنها وتوصيلها الى سفن مصر في بحر القلزم. وقد وفر العمانيون بذلك لمصر الاسلامية، فرصة الحصول على حاجتها من البهار والتوابل للاستهلاك المحلي وللتصدير، واعتمد الاقتصاد المصري اعتمادا خاصا على التجارة في هذه السلع على يد جماعة من التجار كانوا يعرفون بالكارمية، كذلك كان قيام العمانيين بدور حلقة الوصل بين الشرق والغرب، سببا في وفود أعداد كبيرة من علماء الأندلس وتجاره الى عمان ومنها الى سائر الموانئ المطلة على الخليج العربي مثل الأبله والبصرة والبحرين، وبهذا يكون لابناء عمان الفضل الأعظم في الاسهام في حركة التواصل والتكامل الحضاري بين أبناء العالم الاسلامي مشرقه ومغربه، فجمهور غفير من تجار الأندلس ومفكره رحل بعد زيارته لعمان الى الهند والشرق الأقصى طلبا للعلم والرزق.

كما كان لتفوق العمانيين في مجال التجارة البحرية وتسيدهم على غيهم من الشعوب أكبر الأثر في نبوغ أبناء عمان في علوم الملاحة والفلك والجغرافيا وظهور أفراد منهم كان لهم السبق في التوصل الى أحدث النظريات والآلات العلمية في ذلك العصر، وستحدث عن هذه الآثار بشيء من التفصيل:

الانتشار السلمي للاسلام في الصين وجنوب شرق آسيا :

ورد ذكر العرب المسلمين لأول مرة في المصادر الصينية في عهد أسرة تانج (٦١٨ -

٩٠٧م). وتشير هذه المصادر الى أن أخبار قيام دولة الرسول ﷺ في المدينة في القرن السابع الميلادي وصلت الى الصين.

ويذكر بعض الباحثين أن الاسلام دخل الصين في عهد الرسول ﷺ، إذ أن بعثة اسلامية تتألف من ثلاثة أشخاص وفدوا على الصين زمن النبي ﷺ توفي منهم اثنان، أما الثالث فقد أسس أول مسجد جامع في الصين عرف بجامع «الذكرى» لايزال قائما حتى يومنا هذا^(١٤٦) كما أقيم في خانفو أول مسجد سنة ٦هـ (٦٢٧م) كان يسمى مسجد «المئارة المنورة» أو «كوانج تا» وبذلك يكون قد انشئ بعد مسجد قباء بالمدينة المنورة، بخمس سنوات.

ويذكر الصينيون أن بداية انتشار الاسلام بينهم حدثت في عهد الملك الصيني «تاي تسونج» ٦هـ - ٣٠هـ (٦٢٧ - ٦٥٠م) فقد دخل الى الصين في عهده رجل من آل البيت كان ابنا لحزمة عم الرسول ﷺ يصحب معه ثلاثة آلاف مهاجر، ولحق بهم عدد من المسلمين، أما المجموعة الأولى فقد سلكت الطريق البري بينما سلكت المجموعة الثانية طريق البحر.

ويقال انه كانت هناك علاقات سياسية بين عثمان بن عفان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين وبين امبراطور الصين، وأن الخليفة عثمان أرسل سفارة عربية الى الصين في سنة ٣١هـ (٦٥١م) استقبلها الامبراطور الصيني بكل حفاوة وترحاب^(١٤٧).

من هذا العرض الموجز يتبين لنا ان الاسلام عرف طريقه الى الصين منذ بداية قيام الدولة الاسلامية في المدينة، ولكن الفضل الأعظم في نشر الاسلام انما يرجع الى التجار العمانيين في القرون الأولى من الهجرة، إذ ان الجالية العمانية في الصين كانت كبيرة العدد، قوامها التجار المقيمون هناك، فقد ارتبط الاسلام بالتجارة وارتبطت التجارة بالدين، وكان التجار العماني يخرج في سفينته ويغيب سنوات عديدة الى أن يعود الى بلاده مرة ثانية^(١٤٨)، وأثناء ذلك كان يقيم في المناطق التي ارتبطت مصالحه التجارية بها، ومن هذه المناطق مدن الصين مثل بكين وخانفو (كانتون).

وقد وصلتنا أسماء بعض التجار العمانيين الذين ارتحلوا الى الصين في وقت مبكر وكانوا من طبقة تابعي التابعين، ومن هؤلاء أبو عبيدة عبدالله بن القاسم الذي عاش في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة، وقد ارتحل الى الصين للتجارة في العود، وعاش بالصين سنوات طويلة الى أن عاد الى عمان.

ثم وصل الى الصين بعده بقليل رجل عماني آخر هو النضر بن ميمون، كان يعيش قبل ذلك في البصرة، وليس من شك في أن هؤلاء التجار العمانيين من تابعي التابعين كان لهم اعظم الفضل في نشر الاسلام في الصين^(١٤٩)، ذلك أنهم بجانب نشاطهم التجاري اعتادوا التزوج من سيدات صينيات، فنتج عن هذه المصاهرة جيل مولد من الصينيين المسلمين، مما ساعد على انتشار الاسلام، ومن مظاهر ذلك، التوسع في بناء المساجد مثل المسجد الجامع بمدينة زيتون الصينية، والتي تشير نقوشه الى أنه بني سنة ٤٠٠هـ (١٠٠٩م)^(١٥٠).

أما فيما يتعلق بالهند فقد شارك العمانيون وكما سبق القول في فتحها بحرا منذ منتصف العقد الثاني للهجرة فقد قادهم عثمان بن أبي العاص الثقفي والي عمان والبحرين وأغار على سواحل الهند عند تائه كما وجه أخاه المغيرة الى خور الديبل عند مصب السند في سنة ١٥هـ (٧٥١)، كذلك قام العمانيون بالتصدي للقرصانة الهنود على السواحل الاسلامية^(١٥٢).

ويذكر ابن رسته أنه بالملتان (١٥٣) بالهند قوم يزعمون انهم من بني سامة بن لؤي يقال لهم بنو منبه، وانهم الملوك على الهند، وربما يرجع الى بني منبه الفضل في التوسع في نشر الاسلام في الملتان. وعن أهل الملتان وحكامها يقول الحميري: «والغالب على أهل الملتان أنهم مسلمون والحكم فيهم لأهل الاسلام، ورئيسهم مسلم» (١٥٤)، وقد تعرض بنو منبه في كثير من الأحيان لغزو ملوك الهند، ويذكر ابن رسته ان ملوك الملتان من بني منبه كانوا ينتصرون عليهم ليسارهم وقوتهم وكثرة أموالهم (١٥٥).

ومن أرباض الملتان وضواحيها ربض جندراون، وكان هذا الربض كثير البيوت والمباني، وكان به مقر الأمير الحاكم، أما المسجد الجامع فقد كان بالملتان نفسها، وفي يوم الجمعة كان الأمير يخرج من جندراون راكباً الفيل الى الملتان لأداء فريضة الصلاة في مسجدتها الجامع. ويحدثنا المسعودي الذي زار مدينة صيمور بالهند سنة ٣٠٤هـ أنه التقى هناك بجالية عربية تبلغ نحو (من عشرة آلاف قاطنين بياسرة وسيرافين وعمانيين وبصريين وبغداديين). ويؤكد الادريسي أن أكثرهم من أهل عمان. وكان هؤلاء التجار محل تقدير ملوك الهند (١٥٦).

وإذا انتقلنا للحديث عن انتشار الاسلام في جنوب شرق آسيا بفضل التجار والنواخذة العمانيين، نجد أن هؤلاء التجار كان لهم شرف نشر الاسلام في أرخبيل الملايو خاصة في كله (١٥٧)، وفي ميناء (ملقا). وقد نشأت (ملقا) نتيجة استقرار التجار العرب هناك وذاعت شهرتها التجارية منذ العصور الأولى للإسلام، فأصبحت منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا المركز التجاري الرئيسي على الساحل الغربي من شبه جزيرة الملايو (٢٥٨).

وكان هؤلاء التجار العرب والعمانيون يقيمون في المدن الكبرى والمراكز التجارية الهامة فاحتكوا احتكاكاً مباشراً بالأهالي مما أدى الى نشر الاسلام في تلك المراكز الحيوية الهامة. وكان التاجر المسلم يجمع بين التعليم والتجارة، فإذا ما استقر به المقام، كان ينشئ المدارس الدينية لتعليم أهالي البلاد قواعد الاسلام، ولتحفيظهم القرآن الكريم، في نفس الوقت الذي كانوا يمارسون فيه تجاراتهم (١٥٩).

ولم ينشر التجار العمانيون الاسلام في أرخبيل الملايو فحسب، وإنما وصلوا بتجاراتهم وإسلامهم الى جزر الهند الشرقية، وتذكر المصادر أن شيخاً عمانياً عاش في بلاد الزاباج (سومطرة) وتمكن بحكمته وذكائه وبعد نظره أن يجبر ملكها على أن يعامل المسلمين معاملة خاصة، وأسلم ملوك الزاباج زمن الرحالة ابن بطوطة (١٦٠).

وقد عثر في شبه جزيرة الملايو وفي جاوة على مقابر قديمة للمسلمين لها شواهد قبور تحمل نقوشاً كتابية عربية، من ذلك قبر لسيدة بمدينة جريسك GRESIK بجاوة يرجع تاريخ وفاتها الى سنة ٤٧٥هـ (١٠٨٢م).

أما المليبار فقد عرفت الاسلام عن طريق جماعة من التجار المسلمين في عام ٢٠٠هـ، وقد أسلم ملكها وتوفي أثناء عودته لبلادته من رحلة الى الحجاز ودفن بظفار (١٦١). ويذكر ابن بطوطة انه شاهد أثناء زيارته لمدينة فندرينا بالمليار سنة ٧٤٢هـ / ١٣٤١م ثلاثة مساجد مقامة بها، وكان قاضيها وصاحب الصلاة فيها رجل من أهل عمان (١٦٢). وكما انتشر الاسلام في هذه البلدان على يد تجار كان أغلبهم من التجار العمانيين، فإنه انتشر أيضاً في شرق أفريقيا بنفس الأسلوب.

انتشار الإسلام على أيدي العمانيين في شرق أفريقيا:

وكما سبق القول فقد ارتبطت عمان بشرق أفريقيا تجارياً منذ عصر ما قبل الإسلام، وقد توثقت تلك العلاقات بحكم التبادل التجاري الذي ترتب عليه قيام مراكز ساحلية أسسها العمانيون لخدمة الأغراض التجارية، وعن هذه الفترة المبكرة في تاريخ العلاقات العمانية / الأفريقية يؤكد مؤلف الدليل الملاحى للبحر الأريتري PERIPLUS WARIS ERYTHRAEI كثرة تردد السفن العربية القادمة من أقطار شبه الجزيرة العربية ومن بينها عمان على الساحل الشرقي لأفريقيا، كما يتحدث عن اختلاط العرب وتزويجهم من القبائل الأفريقية^(١٦٣). وعلى مدى التاريخ الطويل نظر أبناء تلك المنطقة من شرق أفريقيا إلى عمان على أنها الدولة الأم بطبيعة الحال.

ولقد ساعدت الظروف المناخية السائدة بالمحيط الهندي على نشاط الملاحة بين شرق أفريقيا وعمان كما سبق أن ذكرنا، فكثر ما دفعت الرياح الموسمية الشمالية في فترات هبوبها على منطقة الخليج في فصل الشتاء السفن العمانية من سواحل عمان إلى الساحل الشرقي لأفريقيا، كذلك كانت الرياح الموسمية الجنوبية الغربية تدفع نفس تلك السفن في طريق عودتها عبر مياه المحيط الهندي إلى عمان في فصل الصيف^(١٦٤). ولم يتوغل العمانيون كثيراً قبل ظهور الإسلام داخل أفريقيا فقد اكتفوا بالاستقرار على سواحلها الشرقية، وإقامة مراكز تجارية بها، وعملوا على مقايضة الأفارقة فكانوا يحملون اليهم منتجات الهند والصين في مقابل العاج والذهب^(١٦٥). وظل الأمر كذلك إلى أن ظهر الإسلام، وقامت الدولة العربية الإسلامية، وتغير الوضع تغيراً كبيراً، فقد مر أهل عمان في العصرين الأموي والعباسي بظروف سياسية قاسية دفعتهم إلى الهجرة إلى شرق أفريقيا، والاستقرار هناك استقراراً دائماً وبناء أمارات عمانية إسلامية.

ومن المعروف أن الرسول ﷺ ولى عمرو بن العاص على عمان^(١٦٦). وعندما تولى أبو بكر الصديق الخلافة ترك عمان بيد أهلها، وظل الأمر على هذا النحو حتى عصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الذي ولى على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي، وإلى هذا العهد ترجع أقدم وأول الهجرات العمانية إلى شرق أفريقيا، فقد طمع الحجاج في فرض سيطرته ونفوذه على عمان فسير إليها حملات متتالية، ولكن سليمان وسعيد ولدي عباد بن عبد بن الجندى اللذين كانا يحكما عمان تمكنا من التصدي لهذه الحملات، وحققا انتصاراً باهراً على أحد قادته، وهو القاسم بن شعوه المزني عند قرية حطاط الساحلية بالقرب من مسقط^(١٦٧).

وعلى الرغم من هذه الهزائم التي أوقعها العمانيون بقواته، فقد واصل الحجاج توجيه الحملات إلى عمان، وفي سنة ٧٦هـ (٦٩٥م) وجه الحجاج جيشاً كثيفاً إلى عمان، لم يتمكن كل من سليمان وسعيد من مواجهته والتصدي له^(١٦٨)، فخرج مهاجرين مع ذويهما وأتباعهما من عمان إلى شرق أفريقيا، وأخذت أعداد كبيرة من القبائل العمانية من الأزد تتبعهما إلى هناك، ويبدو أنهم استقروا حول منطقة أرخبيل لامو^(١٦٩)، وفي جزيرة مافيا، المواجهة لمصب نهر الروفيجي RUFJI في جزيرة بات PATE في الشمال^(١٧٠). ولم تكن هذه الهجرة العمانية الأولى والأخيرة.

ففي العصر العباسي، طمع العباسيون في فرض سيطرتهم على عمان واشتدت حملاتهم عليها في عهد كل من أبي العباس السفاح، وهارون الرشيد ثم في عهد المعتضد العباسي، وكانت الجيوش العباسية في كل مرة تهاجم فيها عمان تعيثُ فساداً

وترتكب الكثير من أعمال التخريب والتدمير في المدن العمانية، من تلك المذابح التي ارتكبتها محمد بن نور قائد الخليفة العباسي المعتضد في مدينة نزوى، الأمر الذي دفع القبائل العمانية إلى الهجرة إلى شرق أفريقيا^(١٧١).

ويسجل مطلع القرن السابع الهجري هجرة عمانية جديدة إلى الساحل الشرقي لأفريقيا كان لها أكبر الأثر في تاريخ هذه المنطقة، وقاد هذه الهجرة العمانية الكبيرة التي تعد من أكبر الهجرات العربية إلى أفريقيا، سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني صاحب عمان، واستقبله العرب في بات استقبالا رائعا. وقد تزوج سليمان من أميرة سواحيلية، هي ابنة الملك اسحاق من سلالة الشيرازيين في مملكة كلوه. وبعد اتمام مراسيم الزواج تنازل اسحاق عن الحكم لسليمان الذي أصبح أول حكام أسرة بني نبهان في الساحل الشرقي لأفريقيا. واستطاعت هذه الأسرة النبهانية أن تضم إلى حكمها معظم الساحل الشرقي لأفريقيا في أواخر القرن السابع الهجري فضمت قسمايو، وبرابو، ومقديشو، وظلت هذه الأسرة تحكم حتى عام ١١٥٨ هـ (١٧٤٥ م)^(١٧٢).

وبفضل نزول العمانيين في السواحل الشرقية لأفريقيا انتشر الاسلام تدريجيا بين الأفارقة. ويسجل التاريخ للعمانيين الفضل الأعظم في صهر الأجناس المتعددة التي كان يتكون منها المجتمع في ساحل شرق أفريقيا في بوتقة الحضارة الإسلامية، فبتزاوج العمانيين المهاجرين وأهل البلاد الأفارقة امتزجت الدماء والنظم والأذواق امتزاجا ظهرت آثاره في أجيال يتسم أفرادها بسمات عقلية وجسمانية قريبة الشبه بالسمات العمانية، وعرف هذا العنصر الجديد، بالعنصر السواحيلي الذي كان يتكلم باللغة السواحيلية، ويدين بالاسلام الذي وحد بين هذه الشعوب المختلفة^(١٧٣).

ومن الجدير بالذكر أن دراسات عديدة صدرت عن اللغة السواحيلية، ولجاتها وعلاقتها باللغات الأفريقية واللغة العربية^(١٧٤). ومن هذه الدراسات يتأكد لنا ارتباط السواحيلية ارتباطا وثيقا باللغة العربية منذ نشأتها الأولى، ونستطيع أن نتبين هذا الارتباط الوثيق من الطريقة التي نشأت بها اللغة السواحيلية ويتمثل ذلك في قاموسها، وكذلك في بعض تراكيبها، هذا وقد قام العرب والعمانيون بدور هام في نشر اللغة السواحيلية داخل القارة وعلى امتداد ساحلها الشرقي.

ويرى بعض الباحثين أن العرب المستقرين في سواحل شرق أفريقيا ومنهم العمانيون بطبيعة الحال، مالوا إلى استخدام اللغة السواحيلية رغم انتشار اللغة العربية بين الصفوة، وظلت اللغة السواحيلية تكتب بالحروف العربية قرونا عديدة^(١٧٥).

وإذا كانت الهجرات العربية بوجه عام والعمانية بوجه خاص لم تتوغل كثيرا داخل القارة الأفريقية في عصر ما قبل الاسلام، واكتفت باقامة بعض المراكز التجارية على الساحل الشرقي من القارة كما سبق أن ذكرنا، فإن هذه الهجرات في العصر الاسلامي امتدت في عمق القارة الأفريقية المتاخمة للساحل، وانتشر الاسلام نتيجة ذلك بين قبائل الجالا Galla الذين استوطنوا الحبشة، كما انتشر الاسلام بين قبائل الصومال، وقد ساعد على انتشاره أن التجار العمانيين والعرب من حضرموت والبحرين واليمن كانوا يبثون بين أبناء البلاد تعاليم هذا الدين الحنيف بالحجة والاقناع^(١٧٦).

وازدهرت الدويلات والممالك التي أسسها العمانيون في الساحل الشرقي لأفريقيا اقتصاديا واجتماعيا، ويسجل البرتغاليون أنفسهم تلك المظاهر الحضارية الرائعة التي وجدوها في الشرق الافريقي (الذي اسلم بفضل العمانيين) أثناء حركاتهم الاستكشافية الكبرى التي قاموا بها في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي وأوائل

القرن السادس عشر.

ويصف الرحالة البرتغالي دوراث باربوسا تلك المظاهر الحضارية بقوله: «ما ان وصلت سفن فاسكو دي جاما الى سفالة حتى فوجئت مفاجأة لم تكن تتوقعها فقد لقي البرتغاليون مالم يكن في حساباتهم، لقوا مواني تطن كخلايا النحل ومدنا ساحلية عامرة بالناس، وعالمًا تجاريًا أوسع من عالمهم.. كما وجدوا من البجارة العرب رجالا عبروا المحيط الهندي مرات عديدة ويعرفون من أجل ذلك دقائق مرافقه، وسجلوا هذه الدقائق في خرائط متقنة لاتقل فائدة عما كانوا يتعلمونه في أوروبا...» (١٧٧).

وإذا كان انتشار الاسلام هو أهم الآثار والنتائج المترتبة على الهجرات العمانية الى الساحل الشرقي لأفريقيا، فهناك أثار أخرى ظهرت في مختلف مجالات حياة السكان، ففي المجالين الاقتصادي والاجتماعي، قام العمانيون بنقل حاصلات المنطقة كما سبق ان ذكرنا عند حديثنا عن أهم السلع التي كان يتجر فيها التجار العرب، كما ان السكان قدموا الى التجار العرب الرقيق من أسرى الحروب الوطنية، فشكّل الزنج عنصرا هاما من عناصر السكان في الدولة العربية الاسلامية ولعبوا دورا خطيرا في حياة الدولة، فمنهم من أصبح من القواد العظام في الدولة مثل مؤسس الخادم في العراق أو من كبار الشخصيات في التاريخ ككافور الأخشيدي في مصر. كما ان الكثير منهم شاروا على الدولة العباسية كثورة الزنج التي قامت في العراق (١٧٨) في القرن الثالث الهجري بالقرب من البصرة، وكان معظم الثوار فيها يرجعون الى أصول من الصومال وزنجبار، واستمرت ثورتهم على الدولة العباسية نحوًا من أربعة عشر عاما.

ونضيف الى ما سبق ان العرب استغلوا المناجم في الساحل الشرقي لأفريقيا فاستخرجوا الذهب والفضة والنحاس والحديد، وكانت كميات كبيرة من الذهب ترد الى العالم الاسلامي من سفالة الى حد أنها سميت بسفالة الذهب.

هذا، وقد شاعت الطرز الفنية الاسلامية في بلاد شرق أفريقيا، وتتمثل في المنشآت المعمارية، وفي الزخارف المنقوشة على الأبواب والجدران وفي مختلف فنون النقش والحفر والنحت (١٧٩). ومن الملاحظ ان حركة انتشار الاسلام في المناطق الداخلية المصاحبة لسواحل شرق أفريقيا ازدادت قوة في نهاية العصور الوسطى عندما بدأ الخطر البرتغالي في الظهور، فقد ترك المسلمون السواحل أمام الاعتداءات المتكررة عليها ولجأوا الى الداخل، مما أدى الى المزيد من التوسع في نشر الاسلام بين القبائل الأفريقية المختلفة (١٨٠). وإذا كان هذا أثر التجار العمانيين في البلاد المطلة على المحيط الهندي، فقد كان لهم أيضا أثرهم في البلاد المطلة على البحر المتوسط مثل مصر وبلاد المغرب والأندلس.

تجارة عمان وأثرها على تجارة وسياسة مصر في العصور الاسلامية :

كان التجار العمانيون يقومون بدور الوسيط التجاري بين الهند والصين وجنوب شرق آسيا من جهة وبين الشرق الأدنى الاسلامي والغرب الأوروبي من جهة أخرى. وكانت مصر بحكم موقعها الجغرافي المتوسط من العالم حلقة الاتصال التجاري بين الشرق والغرب وقامت بدور رئيسي في نقل تجارة التوابل والبهار (الكارم) الآتية من الشرق الأقصى عن طريق التجار العرب والعمانيين الى الغرب الأوروبي.

وقد اعتمدت مصر في ازدهارها الاقتصادي منذ العصر الفاطمي على هذه التجارة وفقدت مصر ازدهارها الاقتصادي وبدأت حضارتها في الانحدار في أواخر عصر دولة

الممالك الجراكسة عندما اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح واحتكروا تجارة التوابل عبر البحر الأحمر وعبر موانئها الهامة كالقلمز والفرما والاسكندرية ودمياط الى الغرب الأوروبي^(١٨١).

وهكذا يرجع الى العمانيين الفضل الأعظم في جلب سلع الشرق وإهمها التوابل الى المراكز التجارية في الخليج العربي أو إلى بندر عدن لتحملها سفن الكارمية عبر البحر الأحمر الى مصر، وهم لذلك أسهموا بقدر كبير في الازدهار والرواج الاقتصادي الذي نعمت به مصر منذ القرن الخامس الهجري حتى نهاية القرن التاسع، وكانت التوابل المجلوبة من الهند وماليزيا تحمل في السفن العمانية والعربية لتصل الى أيدي التجار المصريين في السفن المصرية في البحر الأحمر عن طريقين:

أما الطريق الأول، فهو أن تبحر السفن العمانية الى ميناء عدن الذي كان طوال العصور الوسطى الإسلامية^(١٨٢)، ملتقى للسفارات، فكانت سفن الهند والصين وسيلان وقاليقوت وفارس وعمان والبحرين والحبشة تلتقي هناك في عدن، ومن عدن تصل التجارة الى مصر. أما عن طريق البحر أو البر^(١٨٣)، فكانت السفن تخرج من ميناء الشحر في طريقها الى عدن، وكان الطريق من الشحر الى عدن يتفرع فرعين: طريق بري جبلي يخترق الهضبة اليمنية مارا بتعز وأب وذمار وصنعاء وصعدة، ومنها الى مكة، وطريق سهلي ينقسم بدوره الى فرعين أيضا: أولهما بحري يسير بمحاذاة الساحل ويربط بين الموانئ اليمنية التي تمتد على طول ساحل البحر الأحمر حتى جيزان شمالا، وثانيهما الى داخل تهامة ويمر بالمدن التهامية الهامة مثل موزع وحيس وزبيد ومور ثم يلتقي بالطريق الساحلي عند جيزان، ومن هناك يواصل الطريق امتداده الى الساحل حتى يصل الى موانئ البحر الأحمر حيث كانت السفن المصرية ترسو انتظارا لوصول هذه التوابل^(١٨٤).

ويذكر بعض الباحثين أن المسلمين في الحبشة قاموا بدور بارز في نقل تجارة الشرق الأقصى الى مصر، فكانوا يحملون المتاجر التي ينقلها العرب بحرا من عدن الى زيلع وعدل، ويرا الى الشمال الى عيذاب حيث ينتظرها التجار لنقلها الى قوص فالقاهرة. هذا الى جانب أن بعض التجار كانوا يسرون مع الطريق السابق الى سواكن فقط ومنها يخترقون السهل السوداني الى النيل النوبي حيث يصعدون بها برا إلى القاهرة^(١٨٥).

أما الطريق الثاني، فهو في تصورها أما ان تواصل السفن العمانية المحملة بالتوابل طريقها في المحيط الهندي حتى تصل الى مراكزها التجارية على الساحل الشرقي لأفريقيا ومن هناك تصعد سفنها حتى تصل الى البحر الأحمر حيث تلتقي بالسفن المصرية فتحمل السفن المصرية بالتوابل وتبدأ رحلتها التجارية منذ تلك اللحظة^(١٨٦)، أو أن تواصل السفن العمانية والعربية التي تتولى نقل التوابل من جزر الهند الشرقية الى مصر، الابحار في مياه البحر الأحمر بمحاذاة ساحله نهرا حتى تتجنب الشعاب المرجانية الى أن تصل الى القزم^(١٨٧). أو عيذاب التي أصبحت بداية من العصر الفاطمي المركز الرئيسي في البحر الأحمر لتجارة الهند واليمن والحبشة.

أثر التفوق التجاري لعمان على علاقتها بالمغرب والأندلس:

ذاع صيت العمانيين وتفوقهم التجاري في عالم المحيط الهندي، حتى بلغ أسماء أهل المغرب والأندلس الذين كانوا يحكم تطرف بلادهم يتوقون الى زيارة المشرق الاسلامي مهد الحضارة الاسلامية ومصدر السلع النادرة والتحف النفيسة. ومن

هنا بدأت الرحلة الى المشرق، وكانت عمان من أهم أهدافها. وتتمثل علاقة المغرب الوثيقة بعمان فيما وصفها به كل من الجغرافي الشهير الشريف الإدريسي، وابن بطوطة الطنجي عقب زيارته لها في رحلته الشهيرة^(١٨٨). فالإدريسي أسهب في وصف عمان وأورد في خريطته ذكر ظفار ومسقط ونزوى وصحار وجلفار. والمطلع على كتاب نزهة المشتاق يتبين له مدى اهتمامه بعمان، خاصة إذا عرفنا أن بعض المعلومات التي سجلها الإدريسي عن عمان كانت تصله أثناء تأليفه لكتابه. أما ابن بطوطة فقد زار عمان بنفسه فجاءت أوصافه لها دقيقة ومفصلة. ويرى بعض الباحثين أن ثمة تشابها قويا بين أهل المغرب وأهل عمان بدليل أن في المغرب بعض الأسر التي تنتمي إلى أصول عمانية أمثال أسرة الغساني والحارثي والزيدي والسالمي^(١٨٩).

أما بالنسبة للأندلس، فقد كانت الرحلة المشرقية من أهم الأهداف التي كان يضعها العلماء والتجار وطلاب العلم نصب أعينهم، وكتب التراجم تزخر بأسماء العديد من علماء الأندلس وتجارها الذين رحلوا إلى الشرق الإسلامي طلبا للعلم أو بهدف التكسب من التجارة^(١٩٠) وكانت عمان ومدها من بين المناطق التي كانوا يمررون عليها وينزلون بها.

وقد كانت الرحلة الأندلسية إلى المشرق الإسلامي تتم بحرا من ثغور الأندلس الجنوبية الشرقية، مثل دانية والمرية ولقنت إلى الاسكندرية، ومن الاسكندرية عبر خليجها بالسفن النهرية إلى نهر النيل جنوبا حتى يصلوا إلى قوص ثم يتجهون شرقا حتى يصلوا إلى عيذاب المطلة على بحر القلزم، ثم تنقلهم السفن إلى عدن فعمان فالأبلة والبصرة عبر الخليج العربي، أو يستكملون الرحلة إلى الهند والصين. وقد يسلكون الطريق البري من دمشق إلى العراق، ومن هناك إلى الخليج وبحر الهند^(١٩١) وكانت الاسكندرية في نظر أهل المغرب والأندلس باب المغرب كما كانوا ينظرون إلى صحار قسبة عمان على أنها دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوة اليمن^(١٩٢).

ومن أشهر منتجات الأندلس التي كانت تجلب إلى المشرق الإسلامي وبلدان الشرق الأقصى زيت الزيتون^(١٩٣). ومن المعادن الزئبق والكبريت الأحمر وحجر المرقيشينا الذهبية ومعدن الكحل ومن الأصباغ القرمز والمغرة، ومن المنسوجات الثياب السندسية التي كانت تصدر إلى الهند والمنسوجات الحريرية إلى اليمن. كما راجت تجارة الرقيق الأبيض من الصقالبة والجلالقة على أيدي اليهود. أما التجار العمانيون فكانوا يحملون إلى الأندلس السلع المشرقية التي سبق أن تحدثنا عنها كاليواقيت والجواهر والآلات والحريير الصيني والغضار والتوابل والبهار^(١٩٤).

وهكذا فإن تفوق العمانيين في التجارة والملاحة البحرية، أدى إلى نبوغهم في علم الملاحة وفي كل ما يتصل به من استخدام أو اختراع آلات أو تدوين مرشدات فلكية وبحرية.

أما فيما يتعلق بالآلات الفلكية المساعدة على الملاحة والارشادات التي يستعين بها نواخذة عمان في قيادة سفنهم سواء ما يتعلق بمسار الرياح ومصادر هبوبها أو التيارات البحرية المواتية للاقلاع وحركات المد والجزر، فقد كانت متوافرة دوما لدى النواخذة والملاحين العرب منذ عصر مبكر، فمن المعروف أن علماء الفلك المسلمين أمثال محمد بن موسى الخوارزمي والبتاني والبيروني قد فاقوا علماء اليونان القدماء، وكان الملاحون العمانيون والسرافيون يستخدمون بيت الأبرة والبوصلة

الملاحية^(١١٥) ووردة الرياح أو دفاتر الارشادات البحرية التي كانت تعرف باسم رهماني، وتتضمن معلومات اضافية عن الرياح ومصادر هبوبها، وعن السواحل والشعاب والجدول الفلكية والملاحية ومواسم السفر. وقد شاهد المقدسي امثال هذه الدفاتر مع بعض مشايخ البحرين، وعلق على ذلك بقوله (اما انا فسرته فيه «أي البحر الكبير المعروف بالهندي» نحو ألفي فرسخ، ودرت على الجزيرة كلها من القلزم الى عبادان سوى ما توهت بنا المراكب الى جزائره ولججه، وصاحبت مشايخ فيه ولدوا ونشأوا من ربانيين وأشامة ورياضيين ووكلاء وتجار، ورايتهم من أبصر الناس به وبمراسيه وأرياحه وجزائره، فسألتهم عنه وعن أسبابه وحدوده، ورأيت معهم دفاتر في ذلك يتدارسونها ويعولون عليها ويعملون بما فيها، فعلقته من ذلك صدرا صالحا بعدما ميزت وتدبرته ثم قابلته بالصور (أي بالخرايط الملاحية) التي ذكرت^(١١٦). ومن أمثلة هذه الدفاتر كتاب الفوائد لابن ماجد^(١١٧) الذي صحح فيه الكثير من اخطاء سابقيه، وسجل فيه خبراته وتجاربه التي اكتسبها من خلال اشتغاله ربانا لسنين طويلة وكتاب المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر لسليمان المهري. ومن أشهر المرشدين من قدامى الملاحين العرب المعلم خواشير بن يوسف الازكي الذي أقبل فيما يقرب من عام ٤٠٠ هـ على سفينة هندية وسار على امتداد الساحل الشرقي والجنوبي الشرقي لأفريقيا.

ونبتين من خلال ما سجله نواخذة بحر الهند والصين وأرباب المراكب العمانية في كتب الارشاد الملاحي والدفاتر، انه كان يتعين على الملاح أو قائد السفينة ان يكون ملما الماما تاما بالظواهر البحرية، كالمد والجزر والتيارات البحرية الموسمية والصاعدة والدوامات المائية في المضائق (الدردور)، وحركات الرياح الموسمية وما يتبعها من تحرك مياه البحر.

وهكذا كان الملاحون العمانيون ملمين تماما بكل ما يتعلق بركوب البحر، وكانوا أمهر الناس في ذلك بشهادة الكتاب والمؤرخين قدامى ومحدثين، كما مهروا في صنع الآلات والادوات التي تلزم لتأمين رحلاتهم والوصول بسفنهم الى أقصى البلدان التي تطل على المحيط الهندي وبحر الزنج والصين. وطبيعي أنهم لن يصلوا الى هذه البلدان الا على متن سفن أسطولهم البحري، ومن ثم وجب الحديث بتفصيل عن هذا الاسطول.

الفصل السادس

الأسطول العماني ودوره في تاريخ عُمان

كان لموقع عمان وإطلالها على بحار واسعة، واشتغال معظم أهلها بالتجارة والملاحة والصيد، أثر كبير في نشأة الأسطول العماني وفي بناء السفن. وإذا كان بناء السفن قد خصصنا له الفصل التالي، فأننا في هذا الفصل سنلقي الضوء على الأسطول العماني ودوره في تاريخ عمان وخاصة في العصور الإسلامية وما تلاها.

ومعروف أن أهل عمان كانوا من الأوائل الذين اعتنقوا الإسلام في الجزيرة العربية وأخلصوا له كل الاخلاص، ولذلك فإنهم لم ييخلوا بجهودهم في سبيل نصرته وفي القيام على توسيع نطاق دولته، ومن ثم نراهم يضعون أسطولهم البحري تحت تصرف المسلمين من أجل الفتوحات الإسلامية ونشر راية الإسلام متى اقتضى منهم الأمر ذلك^(١).

غير أن الظروف السياسية المستجدة على الساحة العربية الإسلامية بنشوب الخلاف بين علي ومعاوية، وبرزو الشراة فيما بعد، ونصرهم الحق بالبد أولاً، وقد كفهم الشيء الكثير من المال والرجال، فأصبحوا محط غضب الأمويين ثم العباسيين، مما أثر بدوره على أوضاع عمان الداخلية وبالتالي على بحريتها بشكل عام، فاضطر عدد كبير منهم للهجرة إلى شرق أفريقيا وغيرها من المناطق^(٢).

فمثلاً في عهد عبد الملك بن مروان، الذي عين الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق، أرسل الأخير قوة بحرية لاختضاع أهل عمان، فمرست تلك القوة بالقرب من الجصة على ساحل عمان، وتمكنت من مفاجأة العمانيين، بمجيئها من ورائهم، وجرت معركة وادي حطاط، إلا أن العمانيين مالبشوا أن استعادوا زمام المبادرة معتمدين على قواتهم البحرية والبرية، فقتلوا قائد الجيش الأموي ولان من بقي حياً من قواته بالفرار عن طريق البحر، وحاول الأمويون غزو عمان مرات عدة إلى أن تمكنوا أخيراً من هزيمة سعيد بن عباد الجلندي، فلجأ إلى الجبل الأخضر، واستطاع أن يحسم الصراع في البحر، حيث استطاعت القوات العمانية البحرية تدمير الأسطول الأموي في مياه عمان، ولان من بقي منهم ساءلاً بالفرار.

وعندما نقل العباسيون عاصمة الخلافة الإسلامية من دمشق إلى بغداد، أثر ذلك على البحرية العمانية بشكل ايجابي - ووصلت البحرية العمانية إلى ذروة قوتها في عهد هارون الرشيد - إذ امتنع أهل عمان عن دفع الضريبة له، فأرسل قوات بحرية ضخمة لاختضاع عمان وذلك في عام ١٨٧هـ / ٨٠٢م. إلا أن البحرية العمانية قد استطاعت بالتعاون مع القوات البرية أن تتغلب على القوات العباسية وتقتل قائدها، فاستشاط هارون الرشيد غضباً وحاول الانتقام لهزيمة قواته، فعاجلته المنية، واستشرى الخلاف بين ولديه الأمين والمأمون، مما شغل العباسيين عن شؤون عمان، فنهض الامام غسان

بن عبدالله اليمحي بشؤون بحرية عمان، الامر الذي وفر لها الامن والرخاء، ولم يعكر صفو ذلك سوى الخلافات القبلية (النزارية القحطانية) بين أبناء عمان. وتصدى ائمة عمان للقراصنة الهنود الذين نشطوا ضد سفن عمان وغيرها في عرض البحر وضد ثغورها (مثل دبا وجلفار وما حولها). فشكّلوا اسطولا خاصا من السفن الصغيرة والسريعة للتصدي للقراصنة، وكان معظمها مكونا من (الزوارق والشذاءات)، ولما كان العمانيون أقدر من الهنود في الشؤون الملاحية، فقد نجحوا في حملاتهم التأديبية وتعقبهم الى شواطئ الهند^(٣).

وفي عهد الامام المهنا بن جعفر اليمحي الخروصي (٨٣٩ - ٨٤١ م) اجتمعت له القوات البحرية والبرية وازدهرت التجارة ازدهارا كبيرا، وكان الاسطول العماني في عهده يتكون من ثلاثمائة مركب للعمليات الحربية ولرد كيد العدو الخارجي^(٤). وكان الاسطول العماني بالمرصاد لكل عدو يحاول تدنيس الارض العمانية او الاعتداء على سواحلها وممتلكاتها، ففي عهد الامام الصلت بن مالك الخروصي (٢٣٧ - ٢٧٣ هـ / ٨٥٧ - ٨٨١ م) هاجم الاحباش جزيرة سقطرى التي كانت تابعة لعمان واحتلوها، وقتلوا الوالي العماني عليها، فجهر الامام اسطولا ضخما بلغ تعداده أكثر من مائة سفينة ونازل الاحباش وانتصر عليهم انتصارا ساحقا وحرر تلك الجزيرة^(٥). وبلغ تعداد سفن الاسطول في عهد هذا الامام نيفا وثلاثمائة بارجة حربية مسلحة بالسلاح العصري في ذلك الحين ناهيك عن القوات البرية والقوات التي كانت ترابط في الثغور العمانية^(٦).

وعندما سيطر القرامطة على الخليج في عام ٣٢١ هـ / ٩٤٢ م، نازل الاسطول العماني الاسطول القرمطي، واستطاع الاسطول العماني ان يتصدى للاسطول القرمطي وان يدمره تدميرا كاملا، بعد ان اتبع استراتيجية جديدة في قتاله البحري^(٧) مكنته من الانتصار وبسبب الصراع بين القرامطة والبويهيين على أرض عمان أرسل البويهيين اسطولا ضخما الى عمان في عام ٣٥٥ هـ / ٩٦٥ م. فهاجمت تلك السفن الاسطول العماني وباغتته ودمرت ثمان وتسعين سفينة من أصل سفن الاسطول. واستغل بنو بويه تلك الفرصة فحاولوا احتلال اراض عمانية، ولكن البحرية العمانية لعبت دورا في طردهم، وتحقيق الانتصار، وانتهى الاحتلال البويهي لعمان في ٤٣١ هـ / ١٠١٩ م^(٨).

وفي عام ١٢٥٠ هـ / ١٢٥٢ م أصيب الاسطول العماني بنوع من الضعف، فخرج أمير هرمز المسمى محمود بن أحمد الكوستي فوصل الى قتلها، وطلب من أهل عمان الخراج، فاعتذر كهلان قائلا: (ان أهل عمان ضعفاء لا يملكون ما يسلمونه له، فغضب أمير هرمز، وهاجم ظفار، ونهب أموال أهلها وحمل الغنائم على مراكبه)^(٩).

ورغم الضعف الذي أصاب الاسطول العماني في هذه الفترة فقد بقي يسعى في المياه العربية والدولية، ولم يجابه بمنافسة قوية ذات شأن الى ان ظهرت السفن الأوروبية في المياه العربية، فبدأ التحدي الخطير والجاد لأول مرة، وكان على الاسطول العماني ان يصمد لهذه الهجمة الضارية، المتمثلة بالاسطول البرتغالي المتفوق من حيث العدد والتسليح، وكان يحكم عمان الامام محمد بن اسماعيل الذي بدأ حكمه في ٩٠٦ هـ / ١٥٠٠ م، حيث ظهر الاسطول المذكور بقيادة الفونسو البوكيرك البرتغالي، واستطاع الاخير ان يحيل المنطقة الواقعة ما بين رأس الحد ورأس مسندم الى حطام^(١٠).

وقد حاول المماليك والعثمانيون وغيرهم من المتضررين من الاسطول البرتغالي في

مياه المحيط الهندي والبحر الاحمر والخليج، التصدي له في عام ٩١٤هـ / ١٥٠٨م، الا ان الاسطول البرتغالي تغلب عليهم جميعا وأدى ذلك الى تغيير مسار التجارة الدولية، وانقلبت الأساليب التجارية القديمة رأسا على عقب وتحول مسارها عن الخليج والبحر الأحمر الى رأس الرجاء الصالح.

ولم يكتف البرتغاليون بذلك بل قاموا بضرب السفن والموانئ العمانية وأحرقوا مدنها. ففي ٩١٣هـ / ١٥٠٧م وجه الاسطول البرتغالي ضربة الى السفن العمانية في خور جراما وأغرقها، ثم هاجم ميناء قلهاة وقريات فأباد أهلها ودمر فيها حوالي ٨٣ سفينة، ثم هاجم مسقط ودمرها وأحرق سفنها^(١١). ناهيك عن أعمال الإبادة الجماعية وتشويه الاحياء، كل ذلك أضعف العمانيين فانتهك اسطولهم واقتصادهم، بعد ان انتزعت منهم معظم مراكزهم التجارية، ولذلك اصبح العمانيون بين خيارين اما مجابهة المعتدي بكل ما يملكون أو الاستسلام. وهذا معناه الموت المحقق.

وقد حسم العمانيون الأمر وقرروا التصدي للمعتدين، وحمل راية القيادة فيهم الامام ناصر بن مرشد اليعربي في مطلع القرن الحادي عشر للهجرة (١٠٣٤هـ / ١٦٢٤هـ)، وحشد القوات البرية تساندها القوات البحرية العمانية واستطاع ان يسترد سواحل عمان من الغاصبين مابين جلفار وظفار^(١٢). ففي ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م قام العمانيون بمهاجمة البرتغاليين في مسقط وفر من نجا منهم الى سفنهم بعد أن أسر ٧٠٠ برتغالي، وقام الامام بمهاجمة مستودعات الذخيرة والأسلحة البرتغالية في المدينة واستولى عليها^(١٣).

وعلى اية حال فقد تعلم العمانيون من احتكاكهم بالبرتغاليين دروسا هامة، وأدركوا نقاط ضعف بحريتهم، ونقاط القوة في بحرية العدو، ولهذا سعوا الى مضاعفة حجم سفنهم للوقوف على قدم المساواة مع سفن العدو البرتغالية. ومع بداية القرن السابع عشر سقطت الاسرة النبهانية التي كانت تحكم عمان وجاء الى سدة السلطة الاسرة اليعربية.

ومن البداية ادرك اليعاربة ان قوة عمان ومنعتها تكمنان في قوة بحريتها وتماسك جبهتها الداخلية، ولذلك سعى الامام سيف بن سلطان اليعربي لاعداد اسطول بحري قوي يتصدى به للاسطول البرتغالي كما ادرك انه لن يتم له ذلك دون تحقيق تماسك جبهته الداخلية واستطاع ان يحقق الامرين معا. ففي ١٠٦٠هـ / ١٥٦٠م وبعد تحرير مسقط من البرتغاليين، بدأت مرحلة جديدة من تاريخ البحرية العمانية ومن النفوذ العماني في الخليج التي امتدت زهاء قرنين من الزمن، واستطاعت عمان ان تتحول الى مركز تجاري وملاحي وسياسي هام بالمقاييس العالمية، وأخذ العمانيون في توسيع نفوذهم السياسي والاقتصادي الى ما وراء البحار، اعتمادا على اسطولهم، وامتد صراعهم مع البرتغاليين الى الاجزاء الغربية من المحيط الهندي.

وساعد العمانيين في ذلك تسلحهم بنوع جديد من السفن الحربية الحديثة، وزيادة عدد قوة المدافع فيها، وتخلوا الى حد كبير عن سفنهم التقليدية واستخدموا سفنا كبيرة الحجم من الطراز الأوروبي، بني معظمها في الهند. وزودت بالمدفعية الحديثة^(١٤).

وقد تابع سلطان بن سيف (١٠٥٩هـ / ١٠٩١هـ / ١٦٤٩ - ١٦٨٠م) سياسة سلفه بلا ملحقه البرتغاليين وضربهم في جزيرة ممباسا ووصل الى موزمبيق (١٠٨٠هـ / ١٦٦٩م)^(١٥)، وشكل انتزاع قلعة يسوع على الشواطئ الافريقية، اكبر ضربة للبرتغاليين وذلك في ١١١٠هـ / ١٦٩٨م، ومازال الاسطول العماني يتحرك

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

هنا وهناك ضد البرتغاليين، زارعا الرعب في قلوبهم، منتزعا منهم الموقع تلو الآخر، ونتيجة لتصاعد القوة الهولندية في الخليج فقد سعت لارث الهيمنة البرتغالية، ولكن العمانيين لم يكونوا على استعداد لاستبدال بالسيادة البرتغالية السيادة الهولندية، وبدأ الصدام بينهما في ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م وما بعدها، فأخذت البحرية العمانية تهاجم السفن الهولندية في الخليج ومياه المحيط الهندي، وتقاوم الامر بانتقال الصراع الى مابين العرب والفرس، مما دفع بالبحارة العرب الذين كانوا يعملون على سفن فارسية الى القضاء على قادتهم الفرس، واستيلائهم على السفن، وفشل الهولنديون في نجدة الفرس^(١٦)، ويمكن تفسير ذلك بأن البحرية العمانية كانت من القوة بحيث تصدت للهولنديين والفرس وتغلبت عليهما.

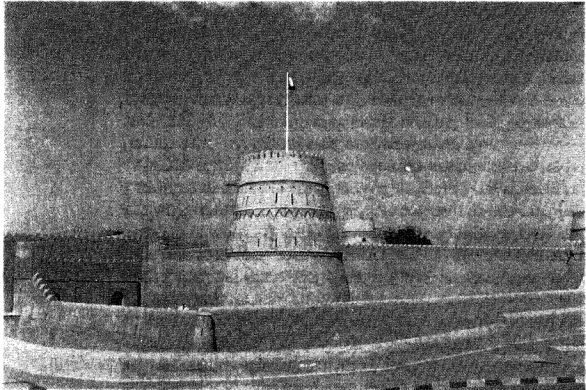
واستغل العمانيون انشغال القوى الأوروبية بتوطيد نفوذها في الهند، فوطدوا مراكزهم في شواطئ افريقيا الشرقية وجزر المحيط الهندي، وحاولوا توطيد علاقاتهم مع الدول والشعوب الاخرى، واقامة علاقات بحرية وتجارية واسعة.

وهكذا أصبح امام عمان في ١١١٢هـ / ١٧٠٠م يسيطر على قوة اقتصادية وبحرية تسيطر بدورها على منطقة تمتد آلاف الأميال عبر المحيط الهندي^(١٧).

وازداد الاسطول العماني عدة وعددا وتسليحا في أوائل القرن الثامن عشر. ويذكر لنا هاملتون: «ان قوة الامام البحرية سنة ١١٢٧هـ / ١٧١٥م كانت تتكون من سفينة بها سبعون مدفعا، وسفينتين في كل منهما ستون مدفعا، وسفينة اخرى تحمل خمسين مدفعا، وثمانية عشرة سفينة اخرى في كل منها ما بين ١٢ - ٢٢ مدفعا، وبعض الزوارق بها من ٤ الى ٨ مدافع، وان الامام قد نشر الرعب في صفوف الغزاة واساطيلهم في الساحل حتى البحر الاحمر^(١٨)».

ويقول مايلز: انه «على الرغم من تضخم الاسطول العماني الا اننا لانعرف تعداد

حصن الخندق
بالبريمي



سفنه ولكن ما نعرفه عنه ان بعضها قد بني على الطراز الاوروبي والبعض الآخر على الطراز العربي او الشرقي، ولكن بلا جدال كانت مسلحة تسليحا ممتازا ومعدة اعدادا رائعا وتحقق هدفان في وقت واحد، الهدف الحربي والهدف الاقتصادي (تجارة - نقل - صيد الخ).

وكانت اسرة البصارية كما رأينا هي التي قادت عملية تحرير مسقط من البرتغاليين، وبنت أعظم اسطول لدولة غير أوروبية في المحيط الهندي، وامتدت سلطتها على طول الشاطئ الافريقي، ففي ١١٢٣هـ / ١٧٢٠م سيطرت على مقديشو ومباسا وجزر زنجبار وبمبا، وسيطرت على الخليج العربي وبحر العرب، ومشارف وادي الاندس وسواحل الهند الغربية^(١٩). وهكذا شكل الاسطول العماني اليد الطولى، فسيطر على تلك الممتلكات المترامية الأطراف وضرب أية قوة كانت تسعى للتمرد او الاتصال باقليم ما من اقاليم الدولة^(٢٠).

وفي عهد الدولة البوسعيدية اولى مؤسسها الامام احمد بن سعيد البحرية العمانية اهتماما كبيرا^(٢١). واستطاع الاسطول العماني في ١١٧٠هـ / ١٧٧٥م ان يلحق هزيمة بالفرس، وتمكن الطراد (الرحماني) من ان يطمح سلسلة الحديد الفارسية في مدخل شط العرب، والوصول الى البصرة، واستطاع الاسطول العماني ان يطارد القراصنة الى سواحل مالابار ويقضي عليهم^(٢٢). ووصل عدد جيش الامام احمد بن سعيد في وقت الحرب من ١٥ - ٢٠ ألف مقاتل من المشاة وألفا من الفرسان^(٢٣).

وسيطرت البحرية العمانية على التجارة في افريقيا، وتحولت البحرية العمانية بيد الامام الى قوة يحسب حسابها في المحيط الهندي^(٢٤). وسيطرت على سواحل افريقيا الشرقية ومدنيتي مكران وشوذبارة على شواطئ فارس، ثم جزيرة قشم في مياه الخليج وقامت بنقل جميع السلع التجارية من الجزر الفرنسية في المحيط الهندي الى الخليج، وجنت عمان من ذلك أرباحا كبيرة من خلال تعاملها مع فرنسا.

وعلى الرغم من الاضطرابات السياسية التي عكرت صفو الأوضاع في عمان في بعض الأحيان فقد استطاعت اسرة البوسعيد ان تنشط الملاحة العمانية اعتمادا على اسطولها الذي كان يجوب المحيط الهندي، ودعمها لحركة التجارة خاصة في مسقط، ثم تنشيط الملاحة والتجارة في الخليج ما بين ١١٦٤ - ١٢١٥هـ / ١٧٥٠ - ١٨٠٠م، وقامت بتسيير الدوريات البحرية لتوفير الحماية، للأسطول العماني من القراصنة، واتصالها بالموانئ الأوروبية وغيرها مثل لندن وأمستردام ونيويورك^(٢٥).

والحقيقة فان وجود اسطول قوي كان امرا تفرضه العلاقات التجارية وظروفها في تلك الأزمنة فقد كانت حالة التنافر والصراع بل الحرب والقرصنة هي السائدة بين جميع القوى المحلية منها والأوروبية. وقد وصف تاجر تلك الايام بأنه مغامر يحمل سلطته في احدى يديه ويحمل سلاحه بيده الاخرى، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى لم تكن هناك سمات فاصلة تماما بين تلك السفن الحربية وبين سواها من السفن، اذ ان جميع السفن كانت مسلحة بشكل أو بآخر، وفي الوقت نفسه كانت السفن الحربية تقوم بشحن السلع وتساهم في عمليات تجارية بحتة.

وتمدنا وثائق شركة الهند الشرقية الانجليزية ومشاهدات الرحالة الاوروبيين معلومات قيمة وكثيرة عن سفن عمان التجارية وعن أسطولها الحربي فمن الرسائل التي بعثت بها شركة الهند الشرقية الى الحكومة البريطانية، رسالة وصفت هذه الأوضاع التي كانت سائدة في الخليج العربي في أواخر الستينات من القرن الثامن

عشر، وذكرت القدرة البحرية لكل من القوى المحلية، في الخليج وجاء فيها ان امام مسقط يمتلك خمس او ست بوارج وغرابا^(٣٦)، يحمل بين ١٤ - ٢٠ مدفعا، كما يمتلك عددا من السفن الصغيرة والمسلحة^(٣٧)، ووصفت هذه الرسالة اسطول عمان التجاري في عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م بأنه يضم خمسين سفينة ما بين كبيرة وصغيرة^(٣٨). وباستطاعته القيام برحلات سنوية الى مختلف مواني الشرق من البصرة غربا الى ملقا شرقا وان من بين الرحلات لهذا الاسطول التي اكتسبت شهرة وسمعة هي رحلة «اسطول البن» السنوية، اذ يأتي ذلك الاسطول بالبن من اليمن ويتجه به الى البصرة حيث يتم توزيعه من هناك الى مختلف انحاء الشرق الأدنى. ويصف «كرستين نيبور الذي زار المنطقة في عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م، العمانيين والملاحه يرسلون سنويا خمسين سفينة من صنف الترانكي» الى البصرة وهي مجهزة بالبن^(٣٩)، وفي ذلك الوقت بالذات، وصف الاسطول الحربي العماني بأنه يضم اربع سفن كبيرة وثماني سفن صغيرة، وتقوم السفن الكبيرة في أوقات السلم بالتجارة مع شرق افريقيا، بينما تبقى السفن الصغيرة لحماية شواطئ عمان وموانئها^(٤٠).

وخلال العقود الثلاثة التالية حدثت زيادة هائلة في عدد السفن التجارية العمانية وفي قوة اسطول عمان الحربي. كما اخذ الاثر الاوربي يظهر في بناء وتسليح السفن العمانية. ولذلك نلاحظ تردد هذه العبارة عند وصف السفن العمانية خلال القرن الثامن عشر «بأنها بنيت على الطريقة الأوروبية» كما ان كثرة المدافع وقوة التسليح كانا مؤشرين آخرين على الاثر الاوربي.

وكانت تلك التطورات في صناعة السفن العمانية وفي تسليحها أكثر وضوحا خلال العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر. وقد صاحب تلك التطورات زيادة هائلة في عدد السفن العمانية الحربية منها والتجارية، فنشطت صناعة بناء السفن وكثرت وتوسعت الموانئ العمانية التي كانت تبني فيها مثل مسقط وصحار وصور، وازداد استيراد الأخشاب الصالحة للبناء من الهند الى الموانئ العمانية زيادة هائلة، ولم يكتف العمانيون بما كانت تقدمه لهم صناعتهم المحلية من سفن بل عمدوا الى شراء السفن الاوربية من التجار وأصحاب السفن الاوروبيين العاملين في المياه الاسيوية. وبالإضافة الى كل ما سبق، لجأ العمانيون الى بناء سفنهم في الموانئ الهندية ذات السمعة المتميزة في هذا المجال مثل ميناءي بومباي وصورات.

وكان الرحالة ابراهيم برسنز في مسقط في صيف عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م وقد رأى الاسطول الحربي العماني رابضا في ذلك الميناء، لياخذ كامل استعداداته ضمن سلسلة من التجهيزات العسكرية ورفع الكفاءة الحربية للاسطول قبيل توجهه الى العراق لفتح الحصار الفارسي عن البصرة.

ويقول برسنز عن ذلك الاسطول الحربي بأنه كان يضم ما لا يقل عن اربع وثلاثين سفينة، أربع منها كانت قد بنيت في بومباي، تحمل كل واحدة منها أربعة وأربعين مدفعا كما كان يضم خمس فرقاطات «FRIGATES»، تحمل الواحدة منها ما بين ثمانية عشر وأربعة وعشرين مدفعا، أما بقية قطع الاسطول فكانت «كثش KETCHES» و«كاليوت GALLIOTS».

وكانت كل سفينة من سفن هذا الاسطول تحمل عددا من المدافع يتراوح ما بين ثمانية وأربعة عشر مدفعا^(٤١)، ولعل عهد السيد سلطان بن أحمد (١٢٠٧ -

١٢١٩هـ / ١٧٩٢ - ١٨٠٤م) خير شاهد على كل التطورات الآفة الذكر، من حيث نوعية السفن وبنائها وعددها وقوتها. وقد وصف الاسطول التجاري في عهده بأنه كان يضم خمس عشرة سفينة كبيرة تتراوح حمولة الواحدة منها بين اربعمائة وسبعمائة طن، وإلى جانب ذلك كانت هناك مئات ومئات من السفن الاخرى المختلفة الأحجام والأصناف (٣٢) وكانت السفن الكبيرة تذهب إلى سواحل الملبار وملقا وباتافيا، والسفن المتوسطة الاخرى تذهب إلى شرق افريقيا، والسفن الصغيرة تجوب مواني الخليج العربي والبحر الأحمر.

أما أسطول السيد سلطان بن أحمد الحربي فكان على جانب كبير من القوة والكفاءة، فسفينة القيادة فيه هي البارجة المسماة جنجانا كانت ذات حمولة ١٠٠٠ طن، وسفينة يمثل هذه الحمولة تعتبر في ذلك الوقت ضخمة جدا بالنسبة إلى كل أحجام السفن الآسيوية والأوروبية على حد سواء. وكانت هذه البارجة تحمل اثنين وثلاثين مدفعا كما كان الاسطول يضم ثلاث سفن اصغر من هذه البارجة تحمل الواحدة منها عشرين مدفعا، وكل هذه السفن المذكورة بنيت على الطريقة الأوروبية (٣٣)، وكان يوجد إلى جانبها عدد كبير من السفن الاخرى الأصغر حجما وكانت كلها مسلحة تسليحا جيدا.

وقد دعت قوة هذا الاسطول وحاجة البلاد إلى موارد مالية إلى قيام السيد سلطان بن أحمد بفرض رسم على السفن العابرة لمضيق هرمز إلى الخليج وعلى خروجها منه، مما أدى إلى إشعال نار الحرب سافرة بين عمان وبين الامارات الناشئة، ولم تكن الحركة الوهابية بعيدة عن دعم الامارات، وساعد العمانيين على التخلص من الضغط الوهابي، اجتياح قوات محمد علي باشا المصري الدرعية والاستيلاء عليها في عام ١٢٣٤هـ / ١٨١٨م، ولم يلبث أن تطور الاهتمام بالاسطول العماني إلى حد كبير في القرن التاسع عشر للميلاد.

ومن غير شك فقد بلغت قوة عمان البحرية اقصاها في عهد السلطان سعيد بن سلطان (١٢١٩ - ١٢٧٣هـ / ١٨٠٤ - ١٨٥٦م)، ولعل الجدول التالي يعطي فكرة جيدة عن الاسطول العماني خلال فترة من فترات حكم سعيد بن سلطان (٣٤).

السنة	الاسم	الوصف	المدفع	الحمولة بالطن
١٢١٧هـ / ١٨٠٢م	تاج بكس	مركب	—	٧٣٧
١٢٢٩هـ / ١٨١٤م	كارولين	فرقاطة	٣٦	٥٧٥
١٢٣٤هـ / ١٨١٩م	شاه علم	فرقاطة (١٨١ قدما و ٣ بوصات ٤١ × قدما و ٥ بوصات)	٥٦	١١١١
١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م	نوسري	درجة ثالثة	—	١٦٤
١٢٤١هـ / ١٨٢٦م	ليفربول	١٨٠ قدما × ٤٨ بوصات و ٨ بوصات	٧٤	١٧١٥
١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م	سلطانة	مركب	١٢	٣١٢
١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م	تاجه	—	١٢	٢٠٢٥
١٢٥١هـ / ١٨٣٥م	نوسري	—	—	١٧٩

وهكذا شهد عهد السيد سعيد بن سلطان اهتماما كبيرا ببناء الاسطول التجاري والحربي، وكانت الموانئ العمانية مثل مطرح ومسقط وصور وشناص تشمل أهم أحواض بناء السفن من الأخشاب المستوردة من الهند وجاوة علاوة على الأخشاب العمانية الى جانب استخدام أشجار النخيل لبناء السفن الصغيرة.

وقد أمر السيد سعيد بن سلطان ببناء العديد من السفن التجارية والحربية في أحواض السفن في الهند وخصوصا في بومباي، ومن أبرز هذه السفن في تاريخ الاسطول العماني الحربي ما ذكرناه في الجدول السالف الذكر، وخاصة سفينة (تاج بكس) و(كارولين) و(شاه علم) و(ليفربول) و(سلطانة) و(تاجة). وقد أهدى السيد سعيد البارجة ليفربول الى الملك البريطاني وليام الرابع عام ١٨٢٤م. وأطلق عليها الأخير اسم (الامام) تكريما لمهديها السيد سعيد بن سلطان.

اما السفينة الحربية سلطنة فقد كانت من أهم قطع الحربية العمانية، وقد أرسلت الى ميناء نيويورك في الولايات المتحدة تحمّل هدايا للرئيس الأمريكي.

وكان الاسطول العماني الحربي والتجاري في الخليج العربي والمحيط الهندي خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ثاني اكبر اسطول على الإطلاق ويأتي في المرتبة الثانية بعد الاسطول البريطاني، وكان لهذا الاسطول الضخم قواعد رئيسية على الساحل الشرقي للخليج العربي في مواني بندر عباس وجاسك وشامل وسياب ولنجة وجزر قشم وهرمز ولاراك، وكانت قواعده على الساحل العماني مواني مسقط ومطرح وجزيرة مصيرة. اما على الساحل الافريقي فكان لعمان قواعد بحرية في ممباسا ولامو وكوة ومركة ومقديشو وزنجبار. وكان السيد سعيد بن سلطان - سلطان عمان الذي حكم أكثر من نصف قرن دولة واسعة في الخليج العربي والمحيط الهندي - ينتقل بين ممتلكاته في عمان والساحل الافريقي، وكان يقضي فترة طويلة على ظهر السفن يتفقد بلدان هذه الدولة الشاسعة الاطراف، وفي السنوات الاخيرة من حكمه كان يفضل قضاء اطول مدة ممكنة في زنجبار يشرف على الممتلكات العمانية على ساحل افريقيا، وكانت له علاقات واسعة جدا مع زعماء القبائل الافريقية وملوك المقاطعات والجزر العديدة مثل مدغشقر وساعد على ذلك قوة أسطوله.

ومن أجل اعطاء صورة لقوة الاسطول العماني في عهده فقد ذكر احد التجار الامريكيين الذي زار زنجبار في بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، ان السيد سعيد وصل البلاد على رأس قوة تتألف من سفينة مزودة بأربعة وستين مدفعا، وثلاث فرقاطات مزودة لكل منها بستة وثلاثين مدفعا، وسفينتين مزودتين كل منهما بأربعة عشر مدفعا، وحوالي مائة مركب نقل عليها ستة الاف مقاتل. ورغم بعد الممتلكات العمانية في افريقيا عن عمان بأكثر من ألف ميل الا ان الاسطول العماني كان من القوة بحيث استطاع ان يحرس هذه الممتلكات الشاسعة الممتدة بين بندر عباس وزنجبار، كما استطاع ان يحرس عشرات الموانئ الواقعة على السواحل العربية والافريقية وعشرات الجزر المتناثرة في الخليج العربي والمحيط الهندي. وهكذا كانت مئات من السفن التجارية تجر ما بين الهند وجنوب جزيرة العرب

وأفريقيا بسلام.

وكان السيد سعيد بن سلطان قد أرسل سفينة عمانية في بعثة تجارية الى نيويورك عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م، وكانت تلك السفينة التي تسمى (سلطنة) نقل سفيره أحمد بن النعمان الكعبي الذي كان اول مبعوث عربي يصل الولايات المتحدة. وقد زارت السفينة ذاتها لندن عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م تحمل السفير علي بن ناصر الى الملكة فيكتوريا، وتشير الوثائق التاريخية الى ان السفينة الحربية العمانية كارولين المزودة بستة وثلاثين مدفعا قد زارت مرسيليا عام ١٢٦٦هـ / ١٨٤٩م زيارة مجاملة حاملة الكثير من بضائع الشرق، وفي منتصف القرن التاسع عشر كان الاسطول العماني التجاري المسلح يتكون مما لا يقل عن مائة سفينة متعددة الحمولة، وكانت هذه السفن مزودة بمدافع يتراوح تعداد كل منها من عشرة مدافع الى اربعة وسبعين مدفعا هذا بالإضافة الى مئات المراكب التجارية الصغيرة.

ومن الجدير بالذكر ان السيد سعيد بن سلطان قضى ايامه الاخيرة يحيط المحيط الهندي على ظهر السفينة (فكتوريا) عائدا من مسقط، وقد توفي عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م على ظهرها وكانت بالقرب من جزيرة سيشل.

ولابد أن تتوارد الكثير من الأسئلة عن سر عظمة الاسطول العماني ابان عصر السيد سعيد. والاجابة ليست صعبة في ضوء التطور الكبير الذي تحقق ابان عهده في حقل العلوم الملاحية، وكانت معظم هذه العلوم عمانية عربية أصلا، فقد مخر الملاحون العمانيون المحيط الهندي منذ قرون قديمة واكتشفوا معظم السواحل الآسيوية والأفريقية قبل البرتغاليين والهولنديين والانجليز والفرنسيين والألمان. وقد ألف اساتذة العلوم البحرية العمانية العديد من الكتب في علوم الملاحة وفنونها، وقد ظلت كتب ومؤلفات العالم العربي الكبير أحمد بن ماجد والملاح العماني سليمان المهري دليل عمل لكل من اشتغل في قيادة السفن.

وكان الملاحون العمانيون الذين ورثوا هذه الخبرة الملاحية منذ قديم العصور على نوعين، فمنهم من ورث الملاحة عن أبيه وجده، ومنهم من درس العلوم البحرية إما في الموانئ العربية او في الهند، وكانت هناك اتصالات علمية بحرية بين عمان والامارات الهندية الساحلية، كما كان هناك تعاون وثيق في بناء السفن. وقد عمد السيد سعيد بن سلطان الى استقدام خبراء من بريطانيا وهولندا والبرتغال وفرنسا لتفقد السفن المصنوعة له في ترسانات صناعة السفن في بومباي.

وكانت الموانئ العمانية مهياة لاستقبال السفن التجارية المختلفة من الدول الصديقة التي ترتبط معها عمان بعلاقات تجارية، والمؤلفات التي كتبها القناصل وقادة الأساطيل البريطانية والأمريكية والهولندية والفرنسية والألمانية خلال تلك الحقبة، تشير الى التسهيلات الكبيرة التي كانت تقدمها سلطات الموانئ الى تلك الاساطيل، وقد اثنوا جميعا على ما لاقوه من مساعدة وضيافة من قبل السيد سعيد بن سلطان وأولاده وممثليه.

ومن أجل اعطاء مثل عن حجم الاساطيل الأجنبية التي كانت تزور الموانئ العمانية خلال فترة عهد السيد سعيد بن سلطان نذكر ان عدد السفن الأمريكية التي

زارت ميناء زنجبار عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م فقط كان ثلاثين سفينة تجارية، وقد أسست الولايات المتحدة قنصلية في زنجبار قبل اربع سنوات من تأسيس أول قنصلية بريطانية فيها.

وعند وفاة السيد سعيد بن سلطان عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م على ظهر السفينة (فكتوريا) قبالة شاطئ سيشل. كانت الدولة العمانية الشاسعة تملك اكبر اسطول تجاري وحربي في المنطقة الممتدة ما بين الخليج العربي وجزيرة مدغشقر، وكان لذلك الاسطول تواجد مهم في البحر الاحمر، كما كانت له علاقة وثيقة مع مواني بحر الصين ومواني بحر البنغال.

وإذا كان لأسطول عمان كل هذا القدر من الأهمية في تاريخها السياسي والاقتصادي، فإنه بالضرورة لابد أن نتحدث عن صناعة السفن التي حققت لهذا الاسطول كل هذه الأهمية، وحققت له كل هذه القدرة وهذا التفوق الذي تميز به على مر عصور التاريخ.

الفصل السابع

صناعة السفن في عُمان

يكاد المؤرخون يجمعون على صعوبة تقديم سجل تاريخي متسلسل يوضح تطور صناعة السفن العمانية قبل وصول البرتغاليين الى مياه المحيط الهندي، ويرون ان الاعتماد في ذلك انما يكون على أنواع المراكب التي تخلفت في عمان من العهود السابقة على وصول البرتغاليين، ومن بعض الاشارات التاريخية والأدبية المتفرقة في التراثين العربي والاسلامي لتطور أنواع المراكب العمانية التي كانت تستخدم قبل الاسلام وبعده، فضلاً عن الاستعانة بقرائن من مناطق أخرى من المحيط الهندي في غير عمان والخليج^(١). فالنصف الغربي من المحيط الهندي، من سيلان حتى شرقي أفريقيا، يكون وحدة ثقافية يجب تناولها كلا واحداً، فالأنماط التقليدية للسفن ترعى الحدود دائماً بين البلاد، والأدلة التي تأتي من غرب الهند قد تضارع في الأهمية تلك الواردة من الخليج العربي^(٢).

وعلى أية حال فاننا نستطيع أن نحدد دراستنا مكانياً بوضع حد فاصل بين سفن البحر الأبيض المتوسط وسفن غربي المحيط الهندي، كما اننا زمانياً نعرض للسفن العمانية قبل مجيء البرتغاليين ثم بعد مجيئهم، وأن كان هناك تداخل باستمرار للأنماط الأولى، وسنتناول في هذه الدراسة التطور التاريخي لبناء السفن العمانية، ثم نتحدث عن أسماء هذه السفن وأنماطها وأنواعها، الى غير ذلك من الأمور التي تتصل بهذه الصناعة.

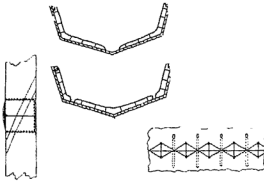
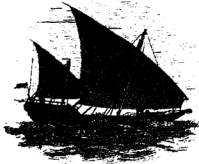
تطور صناعة السفن العمانية :

لعل الخصائص المميزة للسفن العربية في المحيط الهندي قبل التأثيرات الأوروبية كانت:

- استخدام الألياف في ربط أجزاء المراكب بدل المسامير.
- الشراع المثلث الممتد من المقدمة الى المؤخرة بدل الشراع العريض المربع.
- تشابه طرقي جسم المركب.

وهذه الخصائص الثلاث موجودة في بقايا السفن التقليدية العمانية مثل البوم والزوارق والبدن، وأن كانت لا تجتمع في طراز معين من المراكب الا السنبوق^(٣).

وكان هيكل السفينة أو بدننها يصنع من خشب الساج^(٤). وكان هذا الخشب يستورد من الهند، وهو خشب شديد الاحتمال فاذا اتصل بالحديد لا يضره الحديد ولا يتضرر منه، كما انه مرن يسهل استعماله، وقد أشار اليه تيوفراستوس THEOPHRASTUS الذي عاش حوالي ٣٠٠ قبل الميلاد حيث قال: ان في جزيرة تيلوس (أي البحرين) تجاه الساحل العربي نوعاً من الخشب يبنون به سفنهم، وأنه يكاد يمتنع على البلي اذا القى في ماء البحر، فهو يبقى اكثر من مائتي سنة اذا ظل في الماء، فاذا أخرج كان اسرع الى التلف وأن لم يتطرق اليه الا بعد حين. ويعلق جورج فضل حوراني على ذلك بقوله: ولما لم يكن في منطقة الخليج العربي مثل هذا الخشب الطويل



سفينة عمانية شرعية

البقاء، فمن المؤكد انه ساج مستورد من الهند^(٩). وكذلك النارجيل أو جوز الهند، فقد كان العرب يستوردونه من الهند وجزرها أو يذهبون الى موطنه نفسها لبناء سفنهم فيها. وكانت جزر ملديف ولاكديف مسرحا لنشاط بالغ في بناء السفن^(١٠)، وقد جاء في الجزء الثاني من أخبار الهند والصين الذي أضافه أبوزيد حسن السرياني والمدون على الأرجح في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، «ان بالهند عبادا في شرائعهم يقصدون الجزاير التي تحدث في البحر فيغرسون بها النارجيل ويستنبطون الحياة، وبعمان من يقصد الى هذه الجزاير التي فيها النارجيل ومعهم آلات النجارة وغيرها، فيقطعون من خشب النارجيل ما ارادوا فاذا جف قطع الواح، ويتكون من ليف النارجيل ما يخرزون به ذلك الخشب ويستعملون منه مركبا ويحتون أدقلا (جمع دقل وهو الصاري)، وينسجون من خوصه شرعا ومن ليفه خرابات وهي القلوس عندنا (أي الحبال)، فاذا فرغوا من جميعه شحنت المراكب بالنارجيل فقصدها بها عمان فبيع وعظمت بركته ومنفعته»^(١١).

كما كان من الأخشاب الداخلة في صناعة المراكب العمانية القرط والسدر (وهما نوعان من شجر

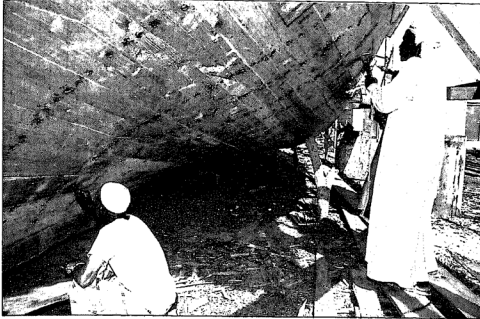
السنط) وهي أخشاب صلبة، ولهذا فان صناعة المراكب في عمان كانت تعتمد اعتمادا كبيرا على أخشاب تنمو في عمان نفسها على عكس هذه الصناعة في بقية الخليج^(٨).

وكان الهيكل يثبت على أبسط وجه ممكن، فتوضع العارضة أولا على الأرض ثم تربط اليها ألواح أفقية على كلا الجانبين بحبال من ليف، وتشد هذه الألواح الى بعضها بهذه الحبال ايضا. وكانت ألواح الجانبين متلاصقة الأطراف CARVEL BUILT لأن السفن التي تتركب فيها الألواح الخارجية بحيث تغطي أطرافها بعضها بعضا CLINKER - BUILT وليدة مياه شمال اوربا، ولم تعرف في المحيط الهندي قبل القرن السادس عشر^(١٢).

وكانت الخيوط تغرز خلال ثقوب تدق على أبعاد معينة قرب أطراف الألواح المتجاورة، وكانت الألواح تثبت بالخيوط وليس بالمسامير. وقد ذكر أبوزيد السرياني مراكب العرب المخيطة في الجزء الثاني من كتاب أخبار الهند منذ أكثر من أحد عشر قرنا^(١٣).

وهناك أكثر من تبرير لاستخدام الحبال بدل المسامير في تثبيت ألواح هيكل السفينة في النصف الغربي من المحيط الهندي قبل القرن الخامس عشر أو السادس عشر، منها تبريرات عقلية وأخرى اسطورية.

فالمرخ البيزنطي بروكبيوس يشير الى انتشار هذه الطريقة في القرن السادس الميلادي ويعلمها بأن التكاليف والجهد اللذين تتطلبهما الطريقة اليونانية والرومانية (أي استخدام المسامير الحديدية) جعلت العمانيين يفضلون طريقة الحبال المصنوعة من اليااف كانت موادها متوافرة وتكاليها أقل^(١٤)، ويحاول المرخ البيزنطي ان يعل



صناعة السفن في
صور إحدى
الصناعات القديمة

نشأتها بقوله: لعلها انبثقت عن القوارب المصنوعة من ألياف القصب المشدودة والتي كانت معروفة في سومر خلال الألف الثالثة قبل الميلاد^(١٢).

ومع ان بروكبيوس يذكر ان صناعة الحديد كانت بالرغم من هذا - متقدمة في ايران والهند خلال العهود اليونانية والرومانية مثلما كانت في اليونان بل لعلها تتفوق عليه، الا ان الرحالة الشهير ماركو بولو عندما زار هرمز القديمة بعد ذلك بسبعة قرون علل استخدام المسامير في السفن بعدم وجود حديد لصنعها، ولهذا كانوا يستعملون مساند خشبية^(١٣)، وفي رواية اخرى له ان صلاحية الخشب المستخدم في بناء السفن يتشقق اذا دقت فيه مسامير الحديد، ويرد على ذلك حوراني بقوله: ان خشب الساج طبع الى حد بالغ^(١٤).

وقد أشار إلى هذه الظاهرة أيضا جغرافيو العرب وحاولوا أن يعللوا كالأدريسي (٤٩٣ - ٥٦٠ هـ / ١١٠٠ - ١١٦٥ م) وابن جبير (٥٤٠ - ٦١٤ هـ / ١١٤٥ - ١٢١٧ م) اللذين رأيا أن المراكب المخططة بالليف ذات القيعان المفلطحة أكثر مرونة وأمنًا اذا أصابت قاعا قريبا فاصطدمت بالصخور أو جلست عليها، مما لو كانت مثبتة بمسامير حديدية. فالشعاب المرجانية بالبحر الأحمر - في رأيهما - من أسباب تفضيل استخدام حبال الليف على المسامير.

ويرى السعودي (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) سببا آخر لعدم استعمال المسامير في البحر الأحمر، إذ أن ماء يذيب الحديد فترق فتضعف فاتخذ أهله الخياطة بدلا منها وطلبت بالشحم والنورة. ويرى الدكتور أنور عبدالعليم أنه ربما كان هذا تعليلا مقبولا إذ ان اشتداد الرطوبة في البحر تسبب سرعة صدأ المسامير الحديدية، ولهذا كانت مراكب اليونان القديمة تستخدم وقاية من الرصاص تصب فوق رؤوس المسامير لحفظها، كما أن بعض المراكب اليونانية والرومانية التي انتشلت مؤخرا من البحر المتوسط كانت تستخدم مسامير النحاس، أما قدماء المصريين فقد استخدموا طريقة تعشيق الخشب ببعضه ببعض أو استعمال خوابير خشبية لهذا الغرض

بالإضافة الى شد الألواح بالحبال^(١٥).

ويقال أن بهوجا BHOJA الكاتب السنسكريتي القديم، أول من قال ان في البحر صخورا من المغناطيس تجذب السفن المثبتة بالحديد الى حلقها، ثم تظهر هذه الاسطورة بعد ذلك في أكثر من كتاب، حاول بعض مؤلفيها انفسهم الذين أوردوها أن يحضوها^(١٦). وقد استغل القصاص الشعبي هذه الفكرة في حكاياته، ففي كتاب ألف ليلة وليلة تحكي شهر زاد في الليلة الثالثة والخمسين حسب النص الذي ترجم عنه جالان ألف ليلة وليلة الى الفرنسية، والليلة الرابعة عشرة طبقا للنص المنشور بمطبعة القاهرة قصة الحمال مع بنات بغداد وفيها اشارة الى جبال المغناطيس التي تجتذب اليها مسامير السفن فتفكك ألواحها وتغرق^(١٧).

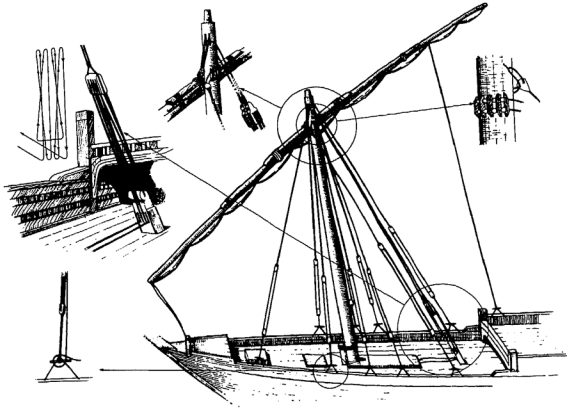
ويعلل الدكتور حسين فوزي قصة جبل المغناطيس بالتيارات البحرية المجهولة التي كانت تدفع السفن فجأة الى شاطئ صخري وتحطمها، فيعزو الملاحون، أو ربما كان المسافرين مسؤولين عن الخطأ في التفسير، هذه الحوادث الى صفات في صخور الشاطئ نفسها، لا الى قوة التيار الذي كذف بسفنهم الى البر^(١٨).

وبعد تركيب الهيكل وتثبيت ألواح الخيوط كان لابد من مضاعفة صموده أمام تأثير البحر وعوامل الزمن، ولهذا تأتي عملية القفلطة (أي سد خروز السفينة) وذلك بمزيج من القار أو الراتنج ودهن الحوت^(١٩)، أو الشحوم والنورة وهي عجينة من الجير^(٢٠) وفي ذلك يقول ابوزيد السيرا في تكملته لكتاب أخبار الهند والصين «والصيادون اذا ظفروا بها (أي بصوت من الحيتان) طرحوها في الشمس وقطعوا لحمها وحفروا لها حفرا يجتمع فيها الودك (أي الدهن) ويغرف من عينها اذا أنابت الشمس بالحرارة، ويجتمع فيباع على أرباب المراكب ويخلط بأخلاق لهم يمسح بها مركب البحر يسد خرزها ويسد أيضا ما ينفتق من خرزها فيباع ودك الحوت بجملة من المال»^(٢١).

ويقول الادريسي وهو يصف الحيتان في المحيط الهندي «وذكروا (أي الربابنة) ايضا انهم يتصيدون ما صغر منها، فيطبخونها في القدور، فيذوب جميع لحمها ويعود شحما مذابا... وهذا الدهن مشهور في بلاد اليمن وعدن وفارس وبحر الهند والصين، وهو عمدتهم في سد خروق المراكب»، وكان الغرض أيضا حماية القاع من دودة السفينة^(٢٢). وقد قام العمانيون بأطول رحلاتهم البحرية وأعظمها بهذه السفن المخيطة، لكن كثيرا من هذه السفن كانت سريعة التدهار سريعة الغرق اذا بدأت احداها تهبط في الماء، وحتى اذا لم تغرق السفينة، كان لابد من كذف الماء من بطنها، لأن ألواحها كانت تسمح بتسرب الماء لأنه لم يكن لها ظهر^(٢٣)، ولهذا نقرأ في كتاب مثل كتاب عجائب الهند الذي ألفه برزك شهريار الناخذة الرام هرزي في القرن الرابع الهجري قصصا كثيرة تدور حول سفن تغرق، وما رحلات السندباد السبع في كتاب ألف ليلة وليلة الا مستوحاة من مثل هذه الحوادث فهي سبع سفن غارقة.

وبمجيء السفن الأوروبية الى المنطقة في أوائل القرن السادس عشر تطور بناء كثير من السفن بحيث أخذ الحديد يحل شيئا فشيئا محل الخيوط، وإن ظلت بعض السفن تستخدم الخيوط في بنائها على السواحل التي تأخر تأثرها بالتطورات الحضارية الحديثة.

وفي الحاليتين: حالة السفن المخيطة والسفن ذات المسامير، كان صانع السفن



رسم ايضا حي
لاجزاء سفينة

العماني يستخدم أدواته البسيطة مثل الأزميل والمثقاب اليدوي والمطرقة والقديم والمناشير بأنواعها والمسحج (الفارة) وحديد القلفطة، وكان هذا الصانع لا يستعين بأية تصميمات أو رسوم عند بنائه السفينة، بل يعتمد على خبرته ومهارته وتعلمه من أسلافه، ولهذا فإن حرفة صناعة السفن في ميناء مثل صور كانت ذات طابع عائلي^(٢٤).

والمركب ذات الطرفين المتشابهين، والجهاز الموجه بالحبال، والتي تدخل الخيوط في بناء بعض أجزائها، كانت طرازاً منتشراً في المياه العمانية منذ حوالي مائتي عام. ومن الجائز أن تكون هذه المجموعة تمثل طرازاً حافظ على هذه الخصائص دون أن تمسها المؤثرات الأوروبية الواقعة. ولم ينس صناع السفن العمانيون اضافة لمسة جمالية على مقدمات سفنهم ومؤخراتها، وذلك بحفر أشكال زخرفية حفراً دقيقاً كالأهلة والنجوم أو الزهور وأوراق الشجر، حتى لقد كان هناك متخصصون في هذه العملية الجمالية ممن يجيدون فن الحفر وطرزه المختلفة، وهو فن لم يقتصر على السفن وحدها بل امتد الى الأبواب والنوافذ الخشبية أيضاً.

وكانت الدفة الجانبية أو مجداف التوجيه هي النوع الوحيد من الدفات الذي عرفه العالم القديم والعالم الوسيط. وفي القرن الثالث عشر الميلادي ظهرت دفة المؤخرة في أوروبا والخليج في وقت واحد، ولعل العرب قد ابتكروا في ذلك الوقت دفة المؤخرة التي تتحرك بجهاز التوجيه بالحبال على النحو الذي كان موجوداً في وادي النيل خلال القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، والذي ظل موجوداً في مركبي

البدن والبقارة العمانيين^(٢٥).

أما الصاري أو الدقل ومعناه في الأصل جذع النخلة دلالة على المادة الأصلية للصاري حول سواحل الجزيرة العربية، فقد كان يصنع في القرون الوسطى من شجر جوز الهند أو خشب الساج.. ويبدو أن الصواري كانت أطوالها تصل إلى ارتفاع بعيد بالنسبة إلى أطوال السفن كما هو الحال في المراكب العربية الحديثة، إذ يذكر صاحب كتاب عجائب الهند سارياطوله خمسون ذراعاً^(٢٦).. ونستنتج من ذلك أيضاً أكثر من إشارة وردت في التراث البحري العربي للمحيط الهندي^(٢٧).

أما الأشرعة فكانت تصنع إما من سعف النخيل أو سعف التارجيل أو القطن. وفي القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي كان في صحار ومجيس على ساحل الباطنة زراعة مزدهرة في عمان وربما.. كانت في عمان قبل البرتغاليين - لنسيج القماش الذي كانت تصنع منه الأشرعة، والا فان الأقمشة كانت تستورد من الهند. وكان المركب يحمل شرعاًين، شرعاً لليل والجو العاصف، وشرعاً للنهار والجو المعتدل، ولم تكن هناك وسيلة لطى الأشرعة عندما يكفهر الجو وتقليل مساحتها^(٢٨).

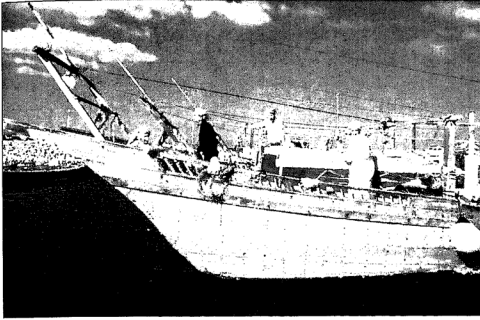
وقد اختلفت السفن العربية بالشرع المثلث الشكل، ويشبه كثير من كتاب التراث البحري الشرع بأجنحة السمك أو زعانفه مما يوحي بأن الشرع مثلث^(٢٩)، وهو شرع بطول السفينة يتم تثبيته في المقدمة والمؤخرة، هذا بينما كان الشرع المستخدم في البحر الأبيض بوجه عام هو الشرع المربع ذو الحبال المربعة، كما كانت السفن الهندية تستخدم في القرن السابع للميلاد الشرع المربع أيضاً. ومعنى ذلك أن أهل الجزيرة العربية كان لهم دور في تطوير الشرع.

ويتفق المؤرخون على مرور الشرع بأربع مراحل في تطوره:

— الشرع المربع: وكان هذا الشرع يكاد يكون عاماً في العالم القديم، وقد ظل يستعمل حتى عهد قريب على السناييق في عدن إلى جانب استعمال الأشرعة المثلثة وبقي استعماله في المياه العمانية حتى وقت متأخر من عام ١٢١٠هـ / ١٩٧٦م^(٣٠)، ويمتاز الشرع المربع بقدرته على الرسوخ والثبات على السفن الكبيرة وتأمين استقرار المركب في البحار المضطربة، إلا أنه يصعب التحكم فيه إذا كانت الرياح معاكسة.

ولهذا كان من الطبيعي التفكير في شرع متطور يكون أقدر على الإبحار في الاتجاه المعاكس للرياح، وعند تحويل مجرى السفينة في الانهيار ومجاري المياه الضيقة. وقد تم ذلك بتركيب شرع مربع يمتد من المقدمة إلى المؤخرة مع إمالة طرف مقدمته إلى الأسفل، وهذا هو الشرع المربع المائل BALANCE - LUG. وقد شاع استخدام هذا الشرع بوجه خاص في بلاد الملاحة النهرية حيث المجرى محدود بخلاف الإبحار في المحيطات.

— الخطوة التالية تقصر مقدمة الشرع ورفع مؤخرته حتى يزداد امتداده الخلفي وبالتالي تزداد قدراته على استقبال الرياح، ونشأ عن هذا التطور الشرع المثلث LA-TEEN الذي نجده منتشراً في النصف الغربي من المحيط الهندي، ويرجع جورج حوراني أن العرب جاؤوا بالشرع المثلث إلى البحر المتوسط وأنه أنصح هذا عد من أياديهم الجلييلة على الحضارة، فلولا الشرع المثلث لما تمت رحلات المحيط التي قام بها المكتشفون العظام^(٣١). ويقول كلاوز في كتابه «السفن الشراعية» أنه في عام ٨٠٢هـ / ١٤٠٠م، كانت السفن في الشمال تعتمد اعتماداً تاماً على الريح المواتية، وكانت عاجزة كل العجز على أن تمضي قدماً في وجه الريح المضادة، بل إنهم لم تحاول ذلك



مركب البغلة

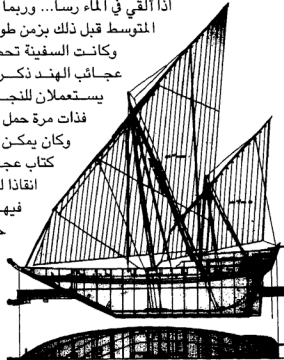
أبداً، ولكنها استطاعت قبل عام ٩٠٥هـ / ١٥٠٠م أن تقطع رحلات المحيط الطويلة التي أسفرت عن اكتشاف كولومبس لأمريكا، ومروور دياز DIAZ حول رأس الرجاء الصالح، وفتح فاسكودي جاما أبواب التجارة مع الهند (٣٢).
— ثم حدثت التعديلات الأخيرة على الشراع قبل عام ٢٨٧هـ / ٩٠٠م، وهو تصميم الجزء الأمامي للمركب بشكل مدبب وبهذا التعديل أصبح الشراع تام التثلث TRIANGLER.

وكان الأنجر أو المرساة يصنع إما من حجر في وسطه ثقب للحبال، أو من خشب يتم تفريغه ثم يصب في الفراغ رصاص مذاب فيصبح كالصخرة إذا ألقي في الماء رسا... وربما عرفت المراسي المعدنية كما عرفت في البحر المتوسط قبل ذلك بزمان طويل (٣٣).

رسم لقارب البغلة

وكانت السفينة تحمل على ظهرها مراكب صغيرة، ففي كتاب عجائب الهند ذكر للقارب وللدونج أي الزورق، وكانا يستعملان للنجاة. ويبدو أن القارب كان أكبر من الدونج، فذات مرة حمل خمسة عشر رجلاً مقابل أربعة في الدونج، وكان يمكن أن يحمل ثلاثة وثلاثين. ويروي صاحب كتاب عجائب الهند أن القارب استخدم لجر مركب انقازا لها من الفرق بعد أن قذف بحارتها بكل ما فيها إلى الماء ماعدا الركاب والزاد ليخفف حملها (٣٤).

كما كان العرب يحملون معهم على ظهور سفنهم مراكب صغيرة للبيع، بل أن بحار السفينة كان يصنعها فوق ظهر السفينة أو كانت تصنع على الشاطئ كالسفن



المخيطية المحلية التي كانت عمان تصدرها الى اليمن في زمن برييلوس^(٢٥)، أي في القرن الأول للميلاد.

وقد حرص الملاحون العرب على معاينة المركب بعد صنعها وقبل ان تنزل البحر لضمان سلامة الركاب، وخير مثال على ذلك ما تركه ابن ماجد في مؤلفاته وأراجيزه... فهو يقول: تأمل السفينة فوق الأرض واكتب جميع خللها^(٢٦).

وكذلك كان ينبغي تفقد آلات السفينة وأدواتها الملاحية التي تتوقف عليها سلامتها وسلامة ركابها وشحنتها. ومن أهم هذه الأدوات: الراهانج (أو المرشد الملاحي)، والحقبة (بيت الأبرة)، والفانوس والبلد (آلة سبر الأعماق)، وأدوات القياس التي يرصد بها ارتفاع النجوم. ويوضح ذلك ابن ماجد في بيتين من كتابه حاوية الاختصار:

وجدد الآلة قبل السفر كحقبة أو قياس أو حجر
والبلد والفانوس والرهانج وإن تكن سافرت كمن حجج

وعن بيت الأبرة يقول: «المغناطيس الذي عليه المعتمد ولا تتم هذه الصنعة الا به وهو دليل على القطبين»، وينوه بضرورة معاينة المكان المختص لها خشية أن يكون صانع السفينة قد أدخل بالقاعدة التي تحكم اتزان هذه الآلة فيقول: «ولس الحقبة في مكانها، وتفقد كل التفقد أولا في نصب الحقبة، لأن من المراكب ما يكون في نجارته خلل فيعدي عن مجراها فاستدرك الأمر بأوله».

كما يعد من أدوات السفينة الأنجر وهو المخطاف أو الهلب أو المرساة الذي يثبت المركب بالقاع أو الشاطئ، وعند اشتداد الرياح وهياج البحر يوصي ابن ماجد باستخدام السلاسل مما يدل على أن الربابنة في عهده كانوا يستخدمون سلاسل الحديد لتثبيت الأنجر.

كما يهتم بسكان السفينة أي بدفتها اهتماما كبيرا فيقول: «تأمل جميع الآلات خصوصاً السكان في كل حين وساعة»، وفي موضع آخر يقول: «وما صنفت هذا الكتاب الا بعد أن وقف لي خمسين سنة، وما تركت فيه صاحب السكان الا أن أكون على رأسه أو من يقوم مقامه».

ثم ينصح الربابنة بالعناية بالسفينة وبصيانتها في جميع الاوقات لايهملون خلا أصابها ولو بسيطا لثلا يتفاقم بل يسارعون إلى معالجته، كما ينهى عن شحن السفينة بما يزيد عن حمولتها طمعا في مزيد من الريح، فلا ينتج عن ذلك سوى الهلاك في عرض البحر، وفي ذلك يقول: «ولا تر خلا في السفينة وتهمله الى وقت آخر الا عند ضرورة أشد مما أنت فيه (أي الا بسبب أقوى) وجود الموسم (أي اختر الموسم الجيد الملائم للسفر)، واختصر الشحنة واحسب حسابات العارفين»^(٢٧).

ويجب أن نشير أخيراً إلى أن العادة قد جرت أن تجرى بعض الطقوس التقليدية عند الانتهاء من صنع سفينة، فمع بداية العمل تذبح عنزة، وعند الاقتراب من نهايته تقام احتفالات الرقص الشعبي لأبناء الحرفة الواحدة، يشترك في ذلك الرجال والنساء، وتقوم النسوة بعمل قلادة حبال قطنية تسلم للرجال لتثبيتها بين المسامير منعا لتسرب المياه الى داخل السفينة^(٢٨). وهي طقوس استمرت ومورست حتى عام ١٩٨٠م، وبطبيعة الحال لم يعرف العمانيون صناعة نوع واحد من السفن، بل أنهم

تفوقوا في ذلك كل التفوق، فتعددت لديهم الأنواع والأشكال والأنماط المختلفة من السفن، وذلك حسب الغرض أو العمل الذي كان يتوخاه الربابنة أو النواخذة من هذه السفن المتنوعة. ولا يمكن معرفة ذلك بوضوح إلا إذا تحدثنا عن أنواع السفن العمانية وأشكالها وأسمائها.

أنواع السفن العمانية :

السفن العمانية كثيرة الأنواع مختلفة الأغراض، منها عابرة المحيطات ومنها كان يستخدم لصيد الأسماك، منها ما كان قاصرا على الخليج ومنها ما هو مشترك بين عمان وجنوب الجزيرة العربية، ومنها ما هو قاصر على عمان وحدها مما يبرهن على أن عمان كانت تشكل نقطة ارتكاز في تاريخ الملاحة في منطقتي الخليج والمحيط الهندي، ومنها ما لم يعد يستخدم، ومنها ما يزال مستخدما على حاله أو بعد تطويره كإخصال المحركات الآلية بعد إعادة تصميمها بما يتناسب وذلك التطوير.. ومن هذه الأنواع^(٣٩):

١ - البغلة وتسمى أيضا الشويبي، وقد كانت خلال القرن الثالث عشر الهجري أو التاسع عشر الميلادي، والنصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري أو العشرين الميلادي أكثر أنواع مراكب النقل العمانية والخليجية استعمالا، وكانت حمولة البغلة تتراوح ما بين مائة وخمسين وأربعمائة طن، ويبلغ طولها مائة وخمسة وثلاثين قدما، والكبيرة منها ذات قاعدة نحاسية، ولها ثلاثة صوار، كما كانت تتميز بالسطح العالي والممرات والفتحات الخمس الموجودة بها، وغالبا ما تكون مزخرفة بحفريات ونقوش دقيقة، ويقال إن آخر مركب من هذا الطراز تم بناؤه في صور عام ١٢٧١ هـ / ١٩٥٢ م. ويعتبر هذا النوع من السفن من أكثر المراكب العمانية استعمالا وكان مخصصا للسفارات البعيدة.

٢ - مركب القنجة وهو يشبه إلى حد كبير مركب البغلة، لكنه متأثر في تصميمه بالأسلوب الهندي وإن كان يتميز بالنقوش والزخرفة في المقدمة، وهي عبارة عن نتوء صغير مستدير حفرت به دوائر متحدة المركز يعلوها عرف ثلاثي الأوراق، وبهذا النتوء حلقة من حديد، وهذا العرف الثلاثي علامة مميزة للقنجة. وتشترك القنجة مع البغلة في أن لها مؤخرة مربعة، وإن كانت أقل زخرفة ونقوشا، كما أنها مزودة مثل البغلة بثلاث صوار، وقد اشتهرت مدينة صور بصناعة مركب القنجة، وقد اندثر هذا الطراز من المراكب ولم يبق منه إلا مركبان يرسان في مطرح وصور.

أما حمولة القنجة فأنها بين مائة وخمسين وثلاثمائة طن، وكان طولها يتراوح بين خمسة وسبعين ومائة وعشرين قدما، وكانت تستخدم في التجارة عبر المحيط كالبغلة.

٣ - البوم : وفي هذا القرن حل البوم تدريجيا محل البغلة، وأصبح المركب الرئيسي لنقل البضائع والمراكب في المحيط الهندي عند العمانيين، وهو متشابه الطرفين، وتكاليف صنعه أقل من كل من البغلة والقنجة، وقد ظل البوم ذو الطرفين المتشابهين محتفظا بشكله كما كان قبل دخول البرتغاليين المنطقة في القرن السادس عشر الميلادي، وتراوح حمولة البوم بين أربعة وسبعين وأربعمائة طن،

كما يتراوح طوله بين خمسين ومائة وعشرين قدماً، وعرضه بين خمسة عشر وثلاثين قدماً، وهو يتميز بمقدمته المستقيمة، وتوجد على أطرافه عادة رسوم بسيطة تطل باللونين الأبيض والأسود، وهي رسوم ربما تشبه في أصولها صورة العين التي كانت موجودة على كثير من المراكب القديمة، وقد تحل مقدمة اليوم بوردة محفورة أو رسوم، أما دفة اليوم فيتم تحريكها بألة توجيه معينة.. ويضاف الى الشارع الكبير المائل في معظم مراكب اليوم شارع آخر في المؤخرة.

٤ - السنبوق : كان السنبوق من أشهر المراكب العربية في الخليج وعمان والبحر الأحمر، وهو من أكثر المراكب العمانية عراقاً وقدماء، فقد وجد في ظفار، ويتميز هذا المركب بمقدمته المنخفضة المحفورة ذات الشكل المنحني ومؤخرته العالية مما يضيف عليه شكلاً جميلاً، وكان السنبوق من المراكب المشهورة في صور حيث ظلت صناعته قائمة حتى عام ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م، وهو يمتاز بأكبر حجمه على عكس سنايق الخليج الصغيرة، وكان يستخدم في الرحلات التجارية البعيدة، وتتراوح حمولته من ٢٠ طناً الى حوالي ١٥٠ طناً، كما يبلغ طوله نحو ٨٠ قدماً. وسنبوق صور لا يتميز بأية زخارف فيما عدا حلية مطلية باللونين الأبيض والأسود على مؤخرته.

وكان من الشائع استخدام السنبوق في الخليج كمركب لصيد اللؤلؤ، لكنه استعمل فيما بعد في الشحن ونقل الركاب، ومن الخصائص التي بقيت فيه من أيام استخدامه في البحث عن اللؤلؤ طول خشبة المقدمة الممتدة تحت الماء وما ترتب على ذلك من قصر قاعدة المركب، وهو امر كان يتيح للمركب سهولة تحركها قرب الشاطئ.

أما السنبوق المحيط فلعله أهم المراكب العمانية لعراقته في القدم... وهو يوجد في ظفار، ويتميز بتشابه طرفيه وعدم استخدام المسامير الا في حاجز المؤخرة، كما انه يستخدم الشارع المربع القديم، فهو اذن النوع الوحيد الذي تجتمع فيه خصائص المركب التي كانت موجودة خلال الفترة السابقة على مجيء البرتغاليين. والسنابيق المخططة جميلة الشكل دقيقة الصنع ألواحها من خشب النعبة، وعرضها وسمكها متناسقان، ومعدل طول السنبوق من ٢٥ الى ٤٠ قدماً، وله دفة صغيرة ومجاديف وصار واحد، ويستعمل لصيد الأسماك، ويعمل عليه طاقم من أربعة رجال الى ثمانية.

٥ - الجلبوت أو الجلبوت، ويتميز الجالبوت بمقدمته العمودية ومؤخرته العريضة مما يدل على تأثره بالتصميم الأوروبي، ويشبه القوارب الأوروبية المسماة (جولي - بوت) التي كانت تستخدم في البحرية البريطانية، ويمكن ارجاع تسميته الى المركب الساحلي الهندي (جلبوتي) وهو اسم مشتق بدوره من التسمية البرتغالية (جالبوت). وكان شائع الاستعمال في الخليج لصيد اللؤلؤ، اما في عمان فكان يستخدم في التجارة البحرية لاسيما في صور، وربما استخدم أحياناً لصيد السمك لكن استخدامه مؤخر يقتصر بوجه عام على النقل الساحلي.

ويبلغ طول الجالبوت حوالي خمسين قدماً، وتتراوح حمولته بين أربعين وخمسة وسبعين طناً، وهو مزود بصاري واحد، طوله ما بين ٤٠ - ٧٥ قدماً اما الدفة فهي مثبتة في موضع غير مألوف، لأن مفصلاتها مثبتة في المؤخرة مباشرة وليس في

خشبة منفصلة توصل بعمود المؤخرة كما هو الحال في الأنواع الأخرى.

٦ - أبو بوز: وهو مركب شحن بسيط يشبه السنبوق الكبير في حجمه.. وهو طراز حديث من المراكب ذات المحركات الآلية نشأ عن تأثر العمانيين بالأساليب الأوروبية في صنع المراكب الشراعية.. ولم يتم بناء مثل هذا النوع من المراكب في صور منذ أكثر من ربع قرن.

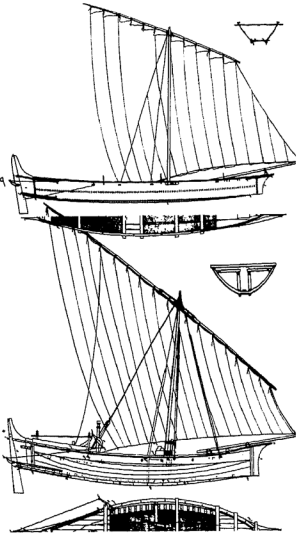
٧ - الشوعي أو الشويجي: واسمه عبارة عن لفظة هندية، محرفة لاسم أحد قوارب الصيد الهندية ويوضع على ظهر سفينة البغلة للتنقل والانقاذ عند الحاجة، وهو لا يكاد يختلف عن السنبوق الخليجي الصغير الا في حجمه، فحمولته قلما تتجاوز ١٥ طنا، ومقدمته مستقيمة بصفة عامة بعكس خشبة المقدمة المنحنية التي ينتهي رأسها أحيانا بانحناءة مزدوجة محدبة، وهو مركب ساحلي يصلح لكل الأغراض.

٨ - البدن: وهو أكثر المراكب العمانية شهرة ولا يزال يستعمل حتى الآن في صيد الأسماك والنقل الساحلي في جميع أنحاء عمان لأنه يتناسب مع الاحتياجات المحلية.. وتصميمه منخفض مستقيم، كما يمكن تمييزه بالصدر البارز والمؤخرة العالية التي تثبت عليها الدفة بالحبال. والبدن ليس له سطح لكنه يبطن بحصير من سعف النخل، وهو مسطح الشكل خفيف الوزن عند المؤخرة، ويصنع من القصب وسعف النخل ويزود عادة بصاري عمودي فريد في طريقة تثبيته. وفي أوائل هذا القرن حل استخدام المسامير في تثبيت ألواح بدل الخيوط، مما يبدل على أنه عريق موغل في القدم، وكثيرا ما يتم صنعه بقاعدة مزدوجة تيسر سحبه الى الشاطئ في وضع أفقي، وتلك ميزة هائلة في هذا النوع من المراكب.

٩ - البتيل: كان البتيل شائع الاستعمال حتى أوائل هذا القرن في تجارة النقل الساحلي وهو صغير الغاطس، عليه نقوش دقيقة ويتميز بسرعته، ولهذا كان يستخدم في الأغراض الحربية عند بعض سكان الخليج حتى انه زود في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي بالمدافع، وهو من أكثر المراكب العمانية - بل العربية - جمالا لمقدمته الشبيهة برأس الكمان ومؤخرته المرتفعة المزخرفة بالنقوش الجميلة الزاهية، وكان له طرفان في النهاية، وقد تصل حمولته حتى مائتي طن، كما ان طوله قد يزيد على ٧٥ قدما... وكان للبتيل صاريان وأحيانا ثلاثة، ولم تعد مراكب البتيل تشاهد في عمان.

١٠ - الهوري: أما الهوري فهو قارب صغير منحوت من جذوع الأشجار يتراوح طوله عادة بين ١٠ و ٢٠ قدما، ويصنع من خشب العنبة المستورد من ساحل المليبار، ويستخدم في صيد الأسماك ونقل السلع الى مسافات قصيرة، ويستخدم المجداف لتحريكه، لكن قد يستعان

رسم لمركب شحن
من نوع بدن

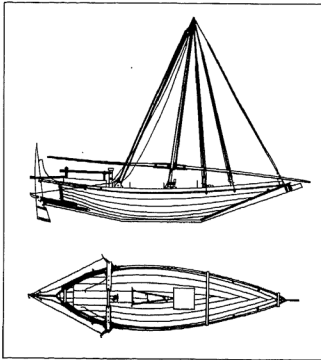


بالشراع أو المحرك البخاري... وهيكلة الضيق يساعده على السير في الماء وإن كان الصيادون يخشون تعرضه للانقلاب في حالة هياج البحر. والهوري لفظة هندية الأصل، وتطلق كلمة هوري في منطقة الباطنة من عمان على القوارب الصغيرة.

١١ - الشاشة: وهو مركب صيد صغير بدائي من سعف النخيل ولحاء شجر النخيل وأغصانه وألياف جوز الهند مما يساعده على الطفو، ويتسع لشخص أو شخصين على الأكثر وعمره قصير لا يزيد على ثلاث سنوات، وطوله عشرة أقدام ولا يعمر طويلا.

١٢ - الماشوه: ورغم عدم شهرة هذا النوع من السفن في عمان فإنه اسم يستعمل للدلالة على قوارب مستطيلة صغيرة طولها عادة حوالي ٢٥ قدما تستخدم لأغراض كثيرة، وبها مؤخرات عريضة ومقدمات مستقيمة أو منحنية أو عمودية وليست لها أسطح، وهي تتحرك عادة بالمجاديف مثل الهوري، وقد تزود بشراع وصار.

وقد يستعمل لفظ (ماشوه) استعمالا عاما للدلالة على جميع القوارب الصغيرة العريضة المؤخرة والتي بدون أسطح، كما قد يستعمل للدلالة على المراكب المصنوعة من الألومنيوم بهذا الشكل.



رسم لمركب البقارة

١٣ - البقارة: والبقارة أو الشاحوف لا يختلف عن البتيل كثيرا إلا في صدره ومؤخرته، فهو يتميز عنه بمقدمته المستقيمة على عكس مقدمة البتيل المدببة، كما أنها تحل بالنقوش والألوان، أما المؤخرة فهي عالية كمؤخرة البتيل لكنها ليست بارزة... وهو بصفة عامة أصغر من البتيل ولا يزال يستخدم في عمان حيث يحتفظ الكثيرون في رأس مسندم بأنواع ممتازة منه تستخدم في صيد الأسماك، كما لا تزال تستخدم الخيوط في صنعه، ويبلغ طول البقارة عادة من ٢٥ إلى ٣٥ قدما.

١٤ - الرمث أو الرمس: والرمث نوع من الصنادل كان يستخدمه صائدو الأسماك في ساحل الباطنة كما كان أهل جزيرة سوقطرة يستخدمونه في رحلاتهم إلى مسقط والباطنة في موسم صيد

الأسماك... وهو يصنع من ثلاثة جذوع أشجار تتراوح أطوالها بين ستة أقدام وتسعة، تربط إلى بعضها بالحبال، وكان الجذع الأوسط أطولها، ويتحرك الرمث بمجداف مزدوج.

١٥ - العويسية: وهو كالبدن، ولكنه استخدم في التجارة عبر البحار، وزود بصاريين ويحمل ما بين ٣٠ - ١٠٠ طن، طولها ٤٥ قدما، وعرضه ١٠ أقدام. وقد اختفى من الوجود الآن وما زالت آثاره في منطقة الباطنة من عمان.

١٦ - الزبيا : وهو من السفن الساحلية وهو كبير كالبتيل، ولكنه أقل أهمية منه.
١٧ - الزاروق : أطلقت هذه التسمية على مجموعة من المراكب العمانية مثل (البدن - البتيل - البقارة - الشاحوف)، وأطلق عليه بعض الغربيين الذين زاروا عمان اسم (جاروكه) وهذا الاسم تحريف للكلمة الأصل، ويستخدم لصيد السمك وللأعمال الحربية.

١٨ - الداو : من أكبر السفن.

١٩ - العبرة : قارب عادي ذو مجاديف.

٢٠ - الجنك : هو نوع من المراكب كان يسافر من عمان الى الهند في القرن الرابع الهجري، وشاهده ابن بطوطة في شواطئ الهند.

٢١ - الدنجة : مركب هندي الصنع، له مقدمة من نوع خاص، على عكس اليوم.

٢٢ - الغراب : (وتجمع على أغربة وغربان)، لونها اسود لطلائها بالقار وغيره، وهي من أقدم السفن الحربية، ورد ذكرها على لسان الكتاب الأوروبيين، وصنعت من الخيوط، وتعتبر نوعا من الزاروقه.

٢٣ - الزعاميم أو الزعيمات: وهو نوع من السفن العمانية القديمة انقرض مع الزمن.
٢٤ - البرشه : منها الصغير ومنها الكبير، من أصل ايطالي (BARCA)، وكانت تحمل الأموال والزاد والمدافع، وتجمع على برشات وبرش، وتعمل بالمجاديف.

٢٥ - الشذاء والغرف: وهما نوعان متشابهان استخدمتا في التصدي لغزو القرصان البحري في العصور الوسطى والسفن من هذا النوع سريعة الحركة.

وهكذا تعددت أنواع السفن المصنوعة في عمان، وكان معظمها يصنع حسب الطرق التقليدية القديمة التي أشرنا إليها.

وبقي الحال كذلك الى مجيء السفن الأوروبية الى مياه بحر العرب والخليج وبدا للعبان تفوقها من حيث تسليحها وحمولتها نظرا لاستخدام المسامير في بنائها، عند ذلك ادرك العمانيون والعرب سر تفوقها فقلدوها باستخدامهم المسامير في بناء سفنهم. وأسهم ذلك في جعل العمانيين يبنون سفنا أكبر حجما، مما كان لهم من قبل وأكثر تسليحا، جابها بها سفن البرتغاليين المستعمرين (٤٠) وقلدوا في ذلك النماذج الأوروبية. وما ان حل القرن الثامن عشر حتى كانت جميع الأساطيل البحرية والعمانية تضم سفنا من الطراز الأوروبي، وزودت بمدفعية حديثة، بني بعضها في الموانئ العمانية كمطرح وصور وبعضها الآخر في موانئ الهند، في ترسانات لايعرف عنها شيء^(٤١).

وكانت عملية بناء السفن تتم بحسب الغرض المطلوب منها أداؤه، كالشحن، والتجارة الساحلية والخارجية وعبور المحيطات، والصيد واستخراج اللؤلؤ، ولنقل الركاب، أو ذات أغراض مختلطة فبعضها كان يعمل في التجارة والقتال مثلاً، وهذه المهمة متشعبة بدورها، فمنها: المطاردة والتصدي للقرصنة، والدخول في معارك مع البحرية المعادية، والانزالات البحرية على السواحل، وضرب القلاع والتحصينات الساحلية، وامداد السفن البحرية... الخ.

وقد اختلف ركب كل سفينة (سدنتها وبحارتها) بحسب مهامها وحجمها وتسليحها وحمولتها، فمثلا المراكب العابرة للمحيطات، كان طاقمها مكونا من ٢٥ -

٤٠ بحارا، ومن هؤلاء النواخذة أو الربان، ثم المعلم (ملاح أو مرشد) ثم الكراني (وهو كاتب ماسك لدفاترها) والساهانج (مساعد ربان) والسكاني (موجه السكان أو الدفة)، وكان في السفينة من ٢ - ٣ سكاني، ثم من ١٠ - ١٥ بحارا، ثم الباتيلي (وهو مراقب القوارب)، ثم من ٢ - ٣ ولد (وهم خدم على ظهر السفينة).
ويلاحظ مما سبق ذكره ان معظم تسميات ركب السفينة (طاقمها) فارسية أو هندية، ولقد استخدم العمانيون الفاظا فارسية أخرى للدلالة على افراد واشياء وأدوات في السفينة، مثل: البلنج (مشتقة من كلمة بلنك الفارسية التي تعني حجرة)، ثم الدفتر (وتعني صحن الارشادات الملاحية)، والديديبان (وتعني الرقيب والطليعة) والخن (تعني النقطة في البوصلة) ثم الرهماني (وهو دفتر ارشادات الملاحة).

وأطلق البحارة العمانيون اصطلاح المعلم على أمهر الملاحين في قيادة المراكب الشراعية سواء على الخطوط في أعالي البحار أو المسابرة للبرور، ودرجته أعلى من درجة الربان، ويسمى المعلم أحيانا بالاستاذ أو الرئيس.

وكما سبق القول فإن معظم المعلمين في البحر الهندي كانوا من العمانيين أو من عرب الخليج أو من الهرامزة والهندو والشوليان والزنوج^(٤٢). وكانت السفن تحتاج لإدارة معقدة، فكان فيها النواخذة وعاملو المجداف والمصلحون، والنواخذة، وهم اما ملاك للسفن أو وكلاء لهم. وعمل نواخذة عمانيون على ظهر سفن مخرت عباب بحر الصين والهند والسند واليمن والقلزم والحبشة والزنج والخليج. ولم يكن الملاحون الأوائل العمانيون يبتعدون كثيرا عن الشواطئ للدرجة التي يغيب فيها عن بصرهم، ثم بدأوا بعد ذلك يرسمون طرقهم على هدى النجوم المعروفة، وكان لا بد لهم لقطع المحيط من معرفة كبيرة بالفلك، ونظرا لتطور علم الفلك في عهد المامون وما بعده تطورا سريعا^(٤٣) فقد استفاد العمانيون من ذلك كله، واستفادوا ايضا من البوصلة التي قسموها الى اثنان أي منازل سميت باسم مطلع ومغيب ١٥ نجما ثابتا، مع اضافة الشمال والجنوب، وقد أخذت أسماء كثيرة عن الفارسية، كقطب الجاه (كاه أي موضع)، ثم استخدم الرهماني (خطوط عرض كل ميناء ورأس، سجلت في دفاتر الارشاد البحرية)، وضمت معلومات عن الرياح والسواحل والشعاب وكل ما يحتاجه الربان^(٤٤).

ويذكر لنا التاريخ عددا من البحارة العمانيين الذين برعوا في هذه العلوم التي ذكرناها في قيادة السفن للأساطيل البحرية المختلفة سواء في العصور الوسطى أو الحديثة. وقد سبق الحديث عن هؤلاء البحارة وعن ريادتهم للعالم في هذا المجال.

ولقد تدرج ملاحو المراكب العمانية في وظائفها على امتداد سنين طويلة من الخدمة عليه، الامر الذي اكسب الواحد منهم خبرة من خلال المران والمواظبة في معظم الوظائف والأعمال التي يقوم بها على ظهر السفينة من أبسطها الى أكثرها تعقيدا، الى ان يصل في النهاية بعض هؤلاء البحارة الى قيادة السفينة (ناخوذة).

وهناك سؤال يطرح نفسه علينا بعد كل ما تقدم من حديث عن البحرية العمانية وهو: هل اعتمدت هذه البحرية على التجارة والنقل فقط، ام انها سلكت سبلا أخرى بحثا عن الرزق؟

والحق أنها سلكت اضافة الى ذلك طريق صيد محار اللؤلؤ من اعماق مياه الخليج، ثم صيد الاسماك كغذاء اساسي للانسان، ولسد حاجات أخرى لديه.

أما صيد اللؤلؤ، فإن معلوماتنا عنه في العصور القديمة قليلة وكذلك في العصور الوسطى رغم شهرة الخليج بهذه الحرفة بشكل عام. أما المعلومات عن ذلك في العصور الحديثة فهي واضحة، فهناك حوض مائي شكل مركزاً لنشاط صيادي اللؤلؤ، امتد من الكويت الى الساحل العماني على امتداد ٣٣٠ ميلاً تقريباً، ويبدو ان هذا الحوض كان واغر الانتاج منذ فجر التاريخ.

وقد قدر عدد المراكب التي تشترك في عمليات صيد محار اللؤلؤ في الخليج العربي ما بين ٣٠٠٠ — ٥٠٠٠ مركب، وعدد أفرادها من ٣٧ — ٤٠ ألف رجل، وأغنى أحواض محار اللؤلؤ كان يقع بالقرب من جزر البحرين، ثم تأتي بعدها السواحل العمانية ويعبئ أصحابها حوالي ١٥٠٠ مركب لهذا الغرض.

وكان الغواصون يغوصون الى اعماق ٢٥ — ٥٠ قدماً وحتى ١٠٠ قدماً. واللؤلؤ ثلاثة اصناف أجودها المهلي، وإذا عدنا الى مذكرات بارسونز ١٨٨٩ هـ / ١٧٧٥ م، نلاحظ أن عمليات صيد اللؤلؤ في الماضي كانت تتم بطرق اقل نظاماً وبرمجة من عصر جامع هذه المذكرات وهو القرن التاسع عشر (٤٥)، أما صيد السمك فقد برعوا فيه وساعدتهم على ذلك وفرة مصايد السمك ومراعيه في المياه العمانية، اضافة الى ذلك لم تحظ سواحل عمان بثروة زراعية كبيرة تغنيها عن الاسماك. ناهيك عن ان شواطئ عمان طويلة ومتنوعة وزاخرة بالحيوانات البحرية، ولهذا اعتاد العمانيون الاعتماد على البحر في الحصول على معظم غذائهم حتى اصبح صيد الاسماك من اهم الصناعات التي تشتهر بها عمان على مر العصور، وهي تمس قطاعاً كبيراً من سكانها، وحتى الاسماك في عمان من الوفرة بحيث ان السواحل العمانية كلها بمثابة احواض زاخرة بالاسماك، والصيادون يمارسون الصيد بمنتهى الحذق والخبرة العالية، وهم يصطادون كل انواعه حتى سمك القرش، ولهم في الصيد البحري أساليب وطرق متعددة:

- الأولى: مناطق البحر المفتوحة.

- الثانية: المناطق القريبة من السواحل.

- الثالثة: المناطق السطحية.

- الرابعة: أسماك الأعماق.

وهذه تختلف عن بعضها باختلاف الفصول وتحركات الاسماك، فتخرج القوارب من الصباح لتعود في المساء، وبعضها يخرج مساء يعود في الصباح، وتختلف طريقة الصيد من منطقة الى أخرى تبعاً لنوعيات الاسماك المطلوبة وطبيعة المنطقة الساحلية وعمق المياه^(٤٦).

ونظراً لعظم حجم الاسماك التي كان يصيدها العمانيون، فقد أصبح هذا السمك ومشتقاته مادة للتجارة الداخلية والخارجية، فمثلاً قبل عام ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م أرسل العمانيون قشر السمك الى الصين، ثم بعد هذا التاريخ أرسلوه الى أوروبا رأساً لصناعة الغراء، وحصلوا على العنبر من الحيتان، كما حصلوا على زيت السمك وأدخلوه في صناعاتهم المختلفة وفي تجارتهم الخارجية^(٤٧).

والخلاصة ومما تقدم من حديث عن البحرية العمانية يمكن الوصول للحقائق التالية:

- ١ - ان قوة عمان تنبع بالدرجة الاولى من قوة بحريتها، ومن تماسك جبهتها الداخلية، فبحريتها تقوى بقوة الجبهة الداخلية، وتضعف بضعفها أيضا.
 - ٢ - شكلت البحرية العمانية عبر تاريخ عمان المديد اليد الطولى والقوية لها. وكانت أداة اقتصادية هامة، أسهمت في ازدهار عمان الاقتصادي سواء عن طريق التبادل التجاري الداخلي والخارجي والنقل، أو صيد الاسماك ومحار اللؤلؤ.
 - ٣ - كان سكان الساحل العماني أكثر اتصالا مع الشعوب الاخرى مما ساعدهم على الاخذ والعطاء مع هذه الشعوب على أساس انساني منفتح.
 - ٤ - حرص العمانيون على استقلالهم والدفاع عنه بكل ما يملكون، وبرزت خلال ذلك صلابة الشراة الموهودة في دفاعهم عن المثل العليا والأرض والعرض.
 - ٥ - اتسم شعب عمان بصلابة وشجاعة نادرتين مكنتاه من التصدي للغزاة من جهة، ومن تحمل المصاعب وركوب الاخطار وغوارب البحار بحثا عن الرزق، فنسقلوا معهم قديما الحضارة العربية، والدين الاسلامي الى اصقاع لم تعرف الحضارة الراقية والاسلام من قبل، سواء في افريقيا او آسيا.
 - ٦ - بقي العمانيون لهم القدر المعلن في سيادة البحار المحيطة بهم وبخاصة المحيط الهندي الى مطلع العصور الحديثة.
 - ٧ - حقق العمانيون بامكاناتهم المتواضعة الصناعية منجزات كبيرة في مجال بناء السفن التي أرادوها للأغراض المختلفة.
 - ٨ - أسهم العمانيون في تطوير العلوم البحرية، وبرز منهم قادة أفذاذ لأساطيل بحرية عمانية وعربية وغيرها قديما وحديثا.
- وباختصار شديد يمكن القول بأن تاريخ بحرية عمان يكاد يكون تاريخ عمان السياسي والاقتصادي.

هوامش الباب الرابع

●● الفصل الأول

- (١) بكير بن سعيد: دراسات اسلامية في الاصول الاباضية، ص ١٩.
- (٢) بكير بن سعيد اعوش، دراسات اسلامية في الاصول الاباضية ص ٢٤.
- (٣) الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج ٥، ص ٥٨.
- (٤) بكير بن سعيد اعوش، المرجع السابق ص ٢٥.
- (٥) عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص ٨٢.
- (٦) شريف جيسى الامين، معجم الفرق الاسلامية، ص ١٤، البرادي: الجواهر المنتقاة ص ٢٣٤.
- (٧) السمائي: ازالة الوغناء ص ٢ - ٣.
- (٨) د. محمد رشيد العقيلي، الخليج العربي في العصور الاسلامية ص ١٢٩.
- (٩) سورة التوبة، آية ١١١.
- (١٠) الاصفهاني: الاغانى، مطبعة التقدم مصر، ١٢٢٢ هجرية ج ٢، ص ٩٧، يرى البغدادي ان دعاء المذهب الاباضى قد وصلوا اليه بعد معركة النهروان (٢٨هـ) مباشرة، انظر الفرق بين الفرق دار الافاق الجديدة، بيروت ط ٤، ١٩٨٠م، ص ٦١، انظر فلهوژن مرجع سابق ص ١٠٦ ومحمود اسماعيل مرجع سابق ص ٢٢.

- (١١) العوتبي: الانساب ووزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨١م، ص ٢٣٤.
- (١٢) المصدر السابق: ص ٣٧٨.
- (١٣) احمد عبيدي: كشف الغعة ص ١٣١.
- (١٤) ابن عبدالحكم: سيرة عمر بن عبدالعزيز ٥ ط، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٧م، ص ١٢٣.
- (١٥) فتوح البلدان: دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨، ص ٨٨.
- (١٦) الاصفهاني: الاغانى ج ٣٠ ص ٩٧، كشف الغعة، ص ٢٤٤ - ٢٤٤.
- (١٧) خلفة بن خياط: تاريخ خليفة، تحقيق اكرم ضياء، ٢ ط، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م، ص ٥٣٨، الشاطري مرجع سابق ج ١، ص ١٢٥ - ١٢٧.
- (١٨) غاية الاسمانى لى اخبار القطر اليماني، تحقيق سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٨م، ج ١ ص ١٢٤.
- (١٩) فلهوزن: مرجع سابق ص ١٠٧ لمزيد من التفاصيل عن آراء الإباضية انظر الشهر ستاني، مصدر سابق ج ١، ص ١٨٠ - ١٨٢.
- (٢٠) الانساب ص ٣٧٨.
- (٢١) ابن عبدربه الاندلسي: العقد الفريد تحقيق محمد سعيد العريان المكتبة التجارية الكبرى ١٠٥٣ ج ٢، ص ٢٠٠ نايف معروف ادبيات الخواارج في كتاب ديوان الخواارج دار المسيرة بيروت ١٩٨٢م - ص ٢٨٨
- (٢٢) تاريخ خليفة ج ٣٨، الاصفهاني الاغانى ج ٢٠ ص ٩٧ وما بعدها.
- (٢٣) الاصفهاني الاغانى ج ٢٠ ص ٩٨ نايف معروف مرجع سابق ص ٩٨.
- (٢٤) نايف معروف مرجع سابق ص ٢٨٤ - ٢٨٥.
- (٢٥) مرجع سابق ص ٢٨٧.
- (٢٦) المرجع سابق: ص ٢٨٧.
- (٢٧) المرجع نفسه، ص ٢٨٨.
- (٢٨) تاريخ خليفة ص ٣٩٧.
- (٢٩) المصدر نفسه ص ٣٩٣ - ٣٩٤.
- (٣٠) المصدر نفسه ص ٣٩٤.
- (٣١) تاريخ خليفة ص ٣٩٤ الاغانى، ج ٢٠ ص ٩٧ وما بعدها.
- (٣٢) تاريخ خليفة ص ٣٩٥.
- (٣٣) الاصفهاني: الاغانى، ج ٢٠، ص ١١٣، بلوزير: معالم تاريخ الجزيرة العربية مؤسسة الصبيان، عدن ط ١، ١٩٦٦، ص ٢٥٩.
- (٣٤) تولى الخلافة من سنة (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٤-٧١٧م)
- (٣٥) انظر الكندي: الولاة والقضاة، ص ٦٦-٦٧.
- (٣٦) ولي مصر من قبل يزيد بن عبدالمك سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م، ثم ورد اليه كتاب يزيد بتمامه عن افريقية سنة ١٠٢هـ/ ٧٢٠م ثم واه هشام بن عبدالمك على افريقية حتى تولى بالقيروان سنة ١٠٩هـ/ ٧٢٧م انظر البلاذري فتوح البلدان ص ٢٧ «مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان مصر ١٩٥٩م» الكندي الولاة والقضاة ص ٧٠-٧١.
- (٣٧) ابن عبدالحكم: فتوح افريقية والاندلس ص ١٠٦-١١٨، «الجزائر ١٩٤٢» د. سعد زغلول: تاريخ المغرب ص ٢٣٣-٢٣٤ د. محمود اسماعيل: الخلافة والخواارج ص ٢٨-٢٩، «دار العودة بيروت ١٩٧٦، محمد علي دبور: تاريخ المغرب، ج ٢، ص ١٧٠، ٢٠٧، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٣٥ (ط ١) مطبعة عيسى البسابي الحلبي وشركاه، مصر ١٩٦٤).
- (٣٨) البلاذري: فتوح البلدان ص ٢٧٣.
- (٣٩) ابن عبدالحكم: المصدر السابق ص ١٠٨، البلاذري المصدر السابق ص ٢٧٣.
- د. سعد زغلول المرجع السابق ٢٣٥ - ٢٣٨، ٢٣٦، د. محمود اسماعيل المرجع السابق، ص ٢٩-٣٠.
- (٤٠) يزيد بن عبدالمك بن مروان: ولي الخلافة بعد الخليفة عمر بن عبدالعزيز سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م وتولى سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م انظر اسويطي تاريخ الخلفاء ص ٢٤٧، تحقيق محمد مخي الدين عبدالحكيم ط ١، مصر ١٩٥٢.
- (٤١) يقول البلاذري (لما ولي يزيد بن عبدالمك ولي يزيد بن ابي مسلم مولي الحجاج بن يوسف افريقية والمغرب، فقدم افريقية في سنة الثنتين ومائة، وكان حرسه من البربر فوشم كل امرئ منهم على يده حرس فأنكروا ذلك وعملوا سريته، فذهب بعضهم الى بعض وتضافروا على قتله فخرج ذات عشية لصلاة المغرب فقتلوه في مصلاه) انظر فتوح البلدان ص ٢٧٣ - ٢٧٤.
- (٤٢) واه هشام بن عبدالمك افريقية سنة ١١٦هـ/ ٧٣٤م وقتل سنة ١٢٣هـ/ ٧٤٠م، انظر ابن عبدالحكم: فتوح افريقية والاندلس ص ١٢٠.
- (٤٣) المصدر نفسه ص ١١٨، د. محمود اسماعيل الخلافة والخواارج ص ٣٠ محمد علي دبور: تاريخ المغرب الكبير ج ٢ ص ٢١٩.
- (٤٤) السامائي إزالة الوعثة ص ٦٤، ٦٥، ٨٣، ١٠٠ السامائي الحقيقة والمجاز، ص ٤١، سلطنة عمان ١٩٨٠، رفعت فوزي عبدالمطلب: الخلافة والخواارج ص ٢٢ - ٢٣ (ط ١) القاهرة ١٩٧٣).
- (٤٥) لا تريد ان نطيل الكلام عن الاحوال السياسية إلا بقدر ما نقرضه ضرورة ترابط المعاني لانها عولجت تفصيلا في جل المراجع التي نحلل عليها.
- (٤٦) عبدالله بن اياض المتوفى (قبل ٨٦هـ/ ٧٠٥م): امام اهل التحقيق والعمدة عند شغب اولى التفریق، انفصل عن المحكمة سنة (٨٢هـ/ ٦٨٣م) بالبصرة الجعبري البعد الحضاري: ٥٢ تعليق ٤٧.
- (٤٧) جابر بن زيد (٩٣هـ/ ٧١١م): عمامي المنشأ بصري الاقامة، امام الإباضية تابعي متبحر في جميع علوم عصره الجعبري: البعد الحضاري: ٥٠ تعليق ٤٤.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- (٤٨) تقع المكتبة البارونية بحومة الحشان بجزيرة جربة تضم أحسن رصيد من التراث الإباضي.
- (٤٩) عثر الأستاذ عمرو النامي على هذه الرسائل في المكتبة البارونية وخرجها من النسخة المخطوطة ونحن الآن بصدد تحقيقها إن شاء الله تعالى.
- (٥٠) أبو العباس أحمد الشماخي ٩٢٨/١٥٢٢ كتاب سير المشايخ ط حجرية القاهرة ١٣٠١: ٩٨ و ١٢٣
- (٥١) ن.م: ١٢٢.
- (٥٢) م.م: ١٤٢.
- (٥٣) ن.م: ١٤٢ - ١٤٤.
- (٥٤) ن.م: ٩٨.
- (٥٥) نسخ الشيخ سالم بن يعقوب هذه الرسالة أثناء إقامته في البلاد المصرية دون أن يحيل على مصدره في دفتر رقم ٢، وقد خرج الأستاذ مبارك الراشدي هذه الرسالة في المحق الأول من أطروحاته ص ٦٧٤-٦٧٩.
- (٥٦) مبارك الراشدي: الامام ابو عبيدة رسالة ماجستير ص ٦٧٩.
- (٥٧) ن.م: ص ٦٧٦.
- (٥٨) ن.م: ص ٦٧٩.
- (٥٩) الراشدي: ن.م: ص ٣٢٧.
- (٦٠) ن.م: ٥٩٤ - ٥٩٥.
- (٦١) الشماخي السير: ١٢٩.
- (٦٢) ن.م: ١٤٠.
- (٦٣) ن.م: ١٤١.
- (٦٤) ن.م: ١٤١.
- (٦٥) ن.م: ١٤٦.
- (٦٦) ن.م: ١٦٢.
- (٦٧) يزيد بن فنيند (٢/٨) احد المترشحين للامامة الاباضية ضمن المجموعة التي جعل الاسم عبدالرحمن الامامة شوري بينهم ثار على الامام عبدالوهاب وتزعم حركة النكار، الجعيري: نظام العزابة: ١٥٣ و ١٥٥.
- (٦٨) ن.م: ١٤٦ - ١٤٧.
- (٦٩) ن.م: ١٤٧.
- (٧٠) ن.م: ١٤٨ فرحان الجعيري: البعد الحضاري للعقيدة الاباضية مطبعة الانوار لحدثة نشر جامعة السلطان قابوس - عمان ١٤٠٨/١٤٨٨: ١٠٦ تعليق ٤٣.
- (٧١) قصر يقع على مرتفع ٦٣٧ متر، قرية قديمة في جبل نفوسة غربي جادو وفي منطقة فاسطو... حاليا قرية تمزدا محمد حسن تحقيق سير الشماخي دكتوراه مرحلة ثالثة نوقشت بكلية الآداب قسم التاريخ بتونس ١٩٧٩ مرقومة: ٥٣٠.
- (٧٢) ابن عباد المصري: (٣/٨ م) فقيه مفت بمصر من علماء اصحابنا من تلاميذ ابي عبيدة ابن سلام: بدء الاسلام: ١١٠.
- (٧٣) الشماخي: السير: ١٥٩.
- (٧٤) ن.م: ١٦١.
- (٧٥) ن.م: ١٦٢.
- (٧٦) الشماخي: السير: ٢٢٨. الجعيري البعد الحضاري ١٠٥ تعليق ٤٠ وسنعود الى ذكر عمريه ان شاء الله.
- (٧٧) مقرن البغيطوري: ١٢/٦ من علماء جبل نفوسة الذين اعتنوا بتدوين سير الاباضية وقد اتم كتابه في سير نفوسة سنة ٥٩٩ هـ ١٢٠٣ م. كما يذكر ذلك الشماخي في السير ص ٢٤٤، ٢٤٥ وكان هذا الكتاب مفقودا حتى عثر عليه الشيخ سالم بن يعقوب وهو ما يزال مخطوطا بمكتبته.
- (٧٨) الشماخي: السير: ١٦٥.
- (٧٩) ن.م: ١٧٥.
- (٨٠) عبداللّه السامي: تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان تحقيق ابراهيم اطفيش، مطبعة الشباب ط ٢، ١٣٥٠ هـ - ج ١/٨٩٩-١٠٩٩.
- (٨١) ن.م: ص ١/١٠٩ - ١٨٠.
- (٨٢) أبو العباس احمد الدرجيني: طبقات مشايخ المغرب تحقيق ابراهيم غلاي مطبعة البعث قسنطينة الجزائر - دت / ٨١.
- (٨٣) ابو زكريا يحيى بن ابي بكر الوارجلاني: كتاب السيرة واخبار الائمة تحقيق اسماعيل العربي اصدارات المكتبة الوطنية الجزائر ١٣٠٩ هـ / ١٩٧٩ ص ٩٦.
- (٨٤) ابو القاسم البرادي: رسالة تأليف اصحابنا ملحق بكتاب الموجز لابي عمار عبدالكافي تحقيق عمار الطالبي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ٢/ ٢٨٤، وابو سفيان محبوب بن الرحيل كان حجة في السيرة لا يكاذب يشذ عنه شيء من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ولا سيرا للمسلمين من بعده، وهو ممن دون اخبار اهل الدعوة الجعيري: البعد الحضاري: ١٠٨ تعليق ٤٧.
- (٨٥) ابن سلام: بدء الاسلام: ١٠٩.
- (٨٦) الدرجيني: الطبقات: ٢/ ٢٤٢.
- (٨٧) السير العماني: ١٨٨ هـ ١٤٥ - ١٤٦.
- (٨٨) الجعيري: البعد الحضاري: ١٠٩ تعليق ٥٢.
- (٨٩) الناصر المزموري: ولد في مدينة القرارة بوادي ميزاب وبها تلمذ على الشيخ بويوض ابراهيم، ثم تصدق للتدريس وقد عاش العمانيين في القاهرة حيث كلف بالاشراف على بعثة علمية هناك، ثم في القرارة حيث ارسل العمانيون ثلة من اولادهم للتعليم بالوادي عضو في هيئة العزابة، ملم بسير السلف كثير التحال ما يزال على قيد الحياة.

- (٩٠) أبو إسحاق ابراهيم أطفيش (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م) نشأ في مدينة بسجن بوادي ميزاب، حيث درس على عمه قطب الأمانة نشط زمن الاستعمار الفرنسي فنفى إلى تونس ثم إلى القاهرة، وهناك عمل بقسم المخطوطات بدار الكتب المصرية وحقق عددا من الكتب الأمازيغية وغيرها الجعيري: البعد الحضاري: ٨٤ تعليق ١٤٧.
- (٩١) أبو عبد الله محمد بن بركة البهلوي العماني: (ق ٢هـ/٩م) ليس لدينا كثيرا من المعلومات عنه سوى أنه من علماء عمان، وينسب إليه الجامع المعروف بجامع ابن بركة، وقد سلك فيه مسلكا منهجيا واضحا في التذليل على كل المسائل الفقهية من الكتاب والسنة والبراهين وقد نشره في الجامع الأستاذ عيسى الباروني في مجلدين سنة ١٩٧١م.
- (٩٢) كتاب الجامع لابن بركة ذكرنا أنه أخرجه نسخة المخطوط الأستاذ عيسى الباروني ويطبع طبعة أولى ببيروت ١٩٧١م وعادت وزارة التراث العماني طبعه بدون تاريخ.
- (٩٣) تعرف أن قرى وادي ميزاب أسسها أبو عبد الله محمد بن بكر القرساطي (٤٤١هـ/١٠٤٩م) في مطلع القرن الخامس، انظر تعليق ١١ من هذا البحث.
- (٩٤) السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان تحقيق سيدة اسماعيل كاشف نشر وزارة التراث بعمان ط ١٩٨٦م دار الكتب العربية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م: ٢٣١/١ وتقع السيرة المذكورة من ص ١٨٦ إلى ٢٢٢. ملاحظة: اعتمدنا النسخة المخطوطة من السير العماني وتقع السيرة من ص ٢٨٠ إلى ٤٠٣. ولم نقم المحققة بتحليل الرسالة بل اكتفت بنقل النص: ١٨٦.
- (٩٥) ن.م: ٢٢٢.
- (٩٦) إيساقاس البرادي: الجواهر المنتقاة في اتمام ما حل به كتاب الطبقات (الدرجيني). ط حجرية القاهرة ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م، ١٨٣٠ - ٢٠٠.
- (٩٧) محمد حسن: تحقيق سير الشماخي: ١٦٨. وقد حلل القضية في الهوامش تحليلا وافيا.
- (٩٨) بحار ابراهيم: ن.م: ٣٩١.
- (٩٩) الشماخي: السير: ٢٢٩ - ٢٣٠.
- (١٠٠) انظر الجعيري: نظام العزاية.
- (١٠١) الشماخي: السير: ٤٢٤.
- (١٠٢) محمد بن حسن: تحقيق سير الشماخي: ٢٧٨. انظر فرائد الجعيري: البعد الحضاري: ٢٤٠ - ٢٤٤ - ٣٩٦.
- (١٠٣) عمرو خليفة الثامي: ملاحم عن الحركة العلمية في واجلان، محاضرة شارك بها في الملتقى الفكري الاسلامي بواجلان، مجلة الاصاله الجزائرية.
- (١٠٤) والشيخ سالم بن يعقوب نسخة بخطه من هذه الحجازية، ويبدو مما فيها من هوامش انه اعتمد فيها على عدة نسخ. مكتبته الخاصة بجزيرة جربة.
- (١٠٥) الدرجيني: الطبقات ٤٩٨/٢، الشماخي: السير: ٤٤٦.
- (١٠٦) هذه الكتب المذكورة تجد نسخا منها في المكتبة البارونية فان لم تكن هي بعينها فهي نسخ منسوخة عنها. وقد قامت وزارة التراث القومي والثقافة العماني بطبعها جميعها. محمد بن وصاف العماني: (ق ٧هـ/١٢م) شرح كتاب المعامير لابن النضر العماني (ق ٦هـ/١٢م) تحقيق عبدالنعم عامر. طب مطبعة عيسى البابي الحلبي. ١٩٨٢م يقع في جزائين: ابراهيم الحسن البسيوي (ق ٥هـ/١١م) جامع ابي الحسن البسيوي، مطابع جريدة عمان ١٩٨٤ في اربعة اجزاء. محمد بن جعفر الزكوي (ق ٩/٣) الجامع بن جعفر: تحقيق عبدالنعم عامر. ط عيسى البابي الحلبي. القاهرة ١٩٣٦ يقع في ثلاثة اجزاء. وكل هذه الكتب في الفقه عدا ١٤٨ الاولى فهي في العقيدة (شرح الدعاة).
- (١٠٧) البرادي: الجواهر: ١١.
- (١٠٨) فرائد الجعيري: نظام العزاية: ٢٠٣ - ٢٩٥.
- (١٠٩) السامي: التحفة: ٣١٠/١ ونص الرحلة: ٣٠٩ - ٣١٩.
- (١١٠) انظر حصاد ندوة الدراسات العماني: ٢٠٩/٢ - ٢٤٣.
- (١١١) انظر ماسبق قصة تأليف الدرجيني.
- (١١٢) أم وجبجي: بحساب الجمل.
- (١١٣) فرائد الجعيري: نظام العزاية: ٢٩٦.
- (١١٤) نسخ المنظومة الشيخ سالم بن يعقوب من خط الشيخ قاسم بن يحيى الويرانى السلاجبي الجربي رحمه الله في جمادى الاولى ١٣٥٤هـ بمصر. انظر دفتر رقم: ٢٢ - ٢٤ بمكتبته، بغزة جربة. والمنظومة من البحر البسيط.
- (١١٥) يقع في الخمس ٢٢ صفحة وقد صورته لنا مشكورا الأستاذ سليمان البكي من قرية بسجن بوادي ميزاب، وهو بخط مغربي واضح جملة ونسخة لنفسه وينسقه الحاج بن بختان بن محمد في نيف وعشرين من ذي القعدة ١١٨٠هـ.
- (١١٦) الرسالة المخطوطة نسخها الشيخ سالم بن يعقوب بمصر. دفتر رقم ٢ من ٨٤ - ٨٨ من الحجم الكبير.
- (١١٧) السامي: التحفة: ٧٩/٢ - ٨٢.
- (١١٨) فرائد الجعيري: البعد الحضاري: ١٥٧.
- (١١٩) السامي: التحفة: ٨٢/٢.
- (١٢٠) نرى لزاما علينا أن نتقدم بجزيل الشكر لاختونا في وادي ميزاب اذ حالمنا أرسلنا من يطلب منهم وثائق في شأن هذا الموضوع وافوتنا بنسخ مما يمتلكون. ولجلها نتعلق بمراسلات القطب وغيره في المرحلة التي لم نصل إلى تحليل تراثها (الباحث).

●● الفصل الثاني

- (١) السامي: تحفة الأعيان، ج ١، ص ٦٦.
- (٢) البرادي: الجواهر المنتقاة، القاهرة، سنة ١٨٨٤، ص ١٥٥.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- (٣) الشماخي: كتاب السير: ص ٧٠ (طبع القاهرة ١٣٠١هـ)، ومحمد علي دبور: تاريخ المغرب الكبير: ج ٢، ص ١٣٨ - ١٤٩ (طبع القاهرة ١٩٦٣م)، والسيابي السمان: أصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج: ص ٥٩.
- (٤) سالم السيابي: إزالة الوهات عن أتباع الشعتاء، ص ١٢ - ٢٢، وماجا فيها من مراجع.
- (٥) سيده كاشف: عمان في فجر الاسلام: ص ٦٧، وماذكرته من مراجع.
- (٦) الوريثاني: كتاب الذليل والبرهان: طبعة حجرية، المطبعة البارونية بالقاهرة: ٣ أجزاء: القاهرة ١٣٠٦هـ.
- (٧) رجب محمد عبدالحليم: العمانيون والملاحه والتجارة ونشر الاسلام، مسقط سنة ١٩٨٩، ص ٢٩، ٤٠.
- (٨) من اعداد الدكتور رجب محمد عبدالحليم.
- (٩) المرجع السابق، ص ٤٠.
- (١٠) نورالدين السالمي: تحفة الأعيان، ج ١، ٢٢، ٢٤، ٢٧، ٢٩.
- (١١) المرجع السابق، ج ١، ٥٣، ٥٥، ٥٦.
- (١٢) الطبري: تاريخه، ج ٥، ص ٦٠.
- (١٣) نورالدين السالمي: نفس المرجع، ج ١، ص ٥٩ - ٦٠.
- (١٤) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٣٤ - ٢٣٩.
- (١٥) المرجع السابق، ج ١، ص ١٦٦ - ١٦٨.
- (١٦) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٤ - ٢٠٦.
- (١٧) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٦ - ٢٧٧.
- (١٨) تحفة الأعيان، ج ٢، ص ٦١ - ٦٤.
- (١٩) المرجع السابق، ج ٢، ص ٧٢ - ٧٥.
- (٢٠) المرجع السابق، ج ٢، ص ٨٦ - ٧٨.
- (٢١) المرجع السابق، ج ٢، ص ٩٤.
- (٢٢) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٠١ - ١٠٤.
- (٢٣) المرجع السابق، ج ٢، ص ١٧٢.
- (٢٤) رجب محمد عبدالحليم: العمانيون والملاحه والتجارة ونشر الاسلام، مسقط سنة ١٩٨٩، ص ٧، ٦.
- (٢٥) نورالدين السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مسقط سنة ١٩٨١، ج ١، ص ٤.
- (٢٦) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٩٤.
- (٢٧) المرجع السابق، ج ١، ص ٣٥٢.
- (٢٨) المرجع السابق، ج ١، ص ٣٥٣.
- (٢٩) سعيد عاشور، عرض خليفات: عمان والحضارة الإسلامية، مسقط سنة ١٩٨٧م، ص ٢٢٨.
- (٣٠) رجب محمد عبدالحليم: نفس المرجع، ص ٩ - ١٠.
- (٣١) سرجان بن سعيد الأركوي: تاريخ عمان، المقتبس من كتاب كشف الغمة لاختيار الأئمة، حققه عبدالمجيد حبيب القيسي (مطابع سجل العرب، ١٩٨٠) ص ١١.
- (٣٢) محمد بن عبدالله السالمي: نهضة الأعيان بحرية عمان (القاهرة دت) ص ٤٥، انظر ايضا اف سي. ولكسون، تراجم علماء عمان من القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر الميلادي في كتاب: عمان تاريخا وعلماء، ترجمة محمد امين عبيدالله (١٩٨٠) ص ٤١.
- (٣٣) ولكسون: المصدر نفسه، ص ٣٣ - ٤٤، انظر ايضا الدكتور فاروق عمر: مقدمة في دراسة التاريخ العماني (بغداد، ١٩٧٩) ص ١٨ - ١٩.
- (٣٤) عبيدالله بن خلفان بن قيسر: سيرة الامام ناصر بن مرشد، تحقيق عبدالمجيد حبيب القيسي (١٩٧٧) ص ١٢.
- (٣٥) ابن قيسر: المصدر نفسه، مقدمة الحق، ص ٧.
- (٣٦) الأركوي: المصدر السابق، ص ٩٠.
- (٣٧) الأركوي: المصدر نفسه، ص ٩٧.
- (٣٨) المصدر نفسه، ص ٩ - ١٠.
- (٣٩) المصدر نفسه، ص ٤.
- (٤٠) حميد بن محمد بن رزيق: الفتوح المبين في سيرة السادة البوسيديين، تحقيق عبدالمنعم عامر.. محمد مرسى عبيدالله (مطابع سجل العرب، ١٩٧٧، ص ١.
- (٤١) ابن رزيق: المصدر نفسه، ص ٢.
- (٤٢) المصدر نفسه، ص ٢١٣.
- (٤٣) لقد حقق هذا الكتاب ونشره عبدالممنوع عامر (١٩٧٨).
- (٤٤) نقلا عن فاروق: المصدر السابق، ص ١٠٣.
- (٤٥) ولكسون، المصدر السابق، ص ٧٦.
- (٤٦) نورالدين عبيدالله بن حميد السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، قام بطبعه وتصحيحه والتعليق عليه أبواسحاق ابراهيم لطيف الجازي (مطبعة الشباب، القاهرة ط ٢، ١٣٥٠، ج ١، ص ٣.
- (٤٧) السالمي: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠٤.
- (٤٨) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣.
- (٤٩) ولكسون: المصدر السابق ص ٧٤ - ٥.
- (٥٠) ولكسون: المصدر نفسه، ص ٧٦، عن: المصدر السابق، ص ٢٤ - ٥.
- (٥١) الأركوي: المصدر السابق، ص ١١٢.
- (٥٢) السالمي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٢.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- (٥٣) سليمان محمد الغنام: الوجود البرتغالي في المصادر العمانية المحلية، مصادر تاريخ الجزيرة العربية (مطبعة جامعة الرياض ١٩٧٩) ج ٢ ص ١١٦.
- (٥٤) الأركوي: المصدر السابق، ص ٩١ - ٩٢، ابن رزيق: الفتح المبين، ٢٥٤ - ٥٥، انظر أيضاً عائشة على السيار: دولة البعادية في عمان وشرق أفريقيا دار القدس، بيروت، ط ١، ١٩٧٥) ص ٤١ - ٣.
- (٥٥) الأركوي: المصدر السابق، ص ١٤١، المعولي: المصدر السابق، ص ١٥٧، ابن رزيق: الفتح المبين، ص ٣٣٦ - ٧.
- (٥٦) السالي: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٤٢.
- (٥٧) ابن رزيق: الفتح المبين، ص ٣٣٥ - ٦.
- (٥٨) الأركوي: المصدر السابق، ص ١١٣.
- (٥٩) السالي: المصدر السابق، ج ٢ ص ١٠٦ - ٧.
- (٦٠) رودولف سعيد روث: سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦)، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيس (مطبعة جامعة البصرة ١٩٨٢)، ص ٤٢ - ٣.
- (٦١) المصدر نفسه، ص ٣٧٠، ٤٣٨.

●● الفصل الثالث

- (١) وزارة الاعلام بسلطنة عمان: عمان في عيون العالم (مسقط ١٩٨٧) ج ٢ - ١٨٨.
- (٢) المقدسي: احسن التقاسيم (لبن ١٩٠٦) ص ٣٥.
- (٣) درويش، مديحة أحمد: سلطنة عمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (جدة ١٩٨٢) ص ٢٤ - ٥٥.
- (٤) عمان في عيون العالم ج ١ ص ١٧١، درويش: المصدر السابق ص ٢٤ - ٢٦.
- (٥) وزارة الاعلام بسلطنة عمان: عمان ١٩٨٦ ص ١٦، عمان في عيون العالم ج ٢ ص ٢٥.
- (٦) عمان في عيون العالم ج ١ ص ١٧٠.
- (٧) عمان في الآلاف الثالثة قبل التاريخ الميلادي، سلسلة تراثا، العدد ٤١. اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (٨) هولي، دونالد: عمان، مؤسسة ستايس الدولية.
- (٩) نفس المصدر.
- (١٠) الأركوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق أحمد عبيدي، قبرص، دلون للنشر.
- (١١) مجلة الدراسات العمانية، مختبرات من الجزيرين الأول والثاني ص ١٤٥، عصفور، محمد أبوالمحسن: المدن الفينيقية، بيروت دار النهضة العربية، اصدار عام ١٩٧٥، ١٩٧٦، وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١٢) ميوان، مادلين هورس: تاريخ قرطاج، بيروت - باريس.
- (١٣) هولي دونالد: عمان.
- (١٤) عمان في عيون العالم ج ٢، ص ١٨٨.
- (١٥) عمان في عيون العالم ج ٢ - ١٩٠ - ١٩١، Hawley/ op. its. lpp. 32, 33, 124.
- (١٦) البوسعيد، الرائد هلال بن محمد بن أحمد، تاريخ الحصون والقلاع في عمان، عام ١٩٨٨م.
- (١٧) نفس المصدر.
- (١٨) السليبي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، الجزء الاول، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة عام ١٩٨٦م.
- (١٩) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة بهلا.
- (٢٠) نفس المصدر.
- (٢١) نفس المصدر.
- (٢٢) نفس المصدر.
- (٢٣) الفلقشتدي: نهاية الارب في معرفة انساب العرب، بيروت دار الكتب العالية.
- (٢٤) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥م.
- (٢٥) ماهر، د. سعاد: حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠م.
- (٢٦) نفس المصدر.
- (٢٧) نفس المصدر.
- (٢٨) الأركوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة، تحقيق أحمد عبيدي، قبرص، دلون للنشر.
- (٢٩) السالي، عبيد الله بن حميد: حفلة الاعيان، الجزء الاول، الكويت، دار الطليعة، الطبعة الخامسة ١٩٧٤م.
- (٣٠) ماهر، د. سعاد: حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠م.
- (٣١) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة صحار.
- (٣٢) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥م.
- (٣٣) نفس المصدر.
- (٣٤) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، حصن نخل.
- (٣٥) الأركوي، سرحان بن سعيد: كشف الغمة، تحقيق أحمد عبيدي، قبرص، دلون للنشر.
- (٣٦) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥م.
- (٣٧) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة نزوى.
- (٣٨) نفس المصدر.
- (٣٩) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة نزوى.
- (٤٠) البوسعيد، الرائد هلال بن محمد بن أحمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨م.
- (٤١) ماهر، د. سعاد: حصاد ندوة الدراسات العمانية، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠م.
- (٤٢) ابن رزيق: الفتح المبين في سيرة السلاسة البوسعيديين، البوسعيد، الرائد هلال بن محمد: تاريخ الحصون

- والقلاع في عمان.
(٤٣) السليمي، سالم بن حمود: عمان عبر التاريخ، البوسعيد، هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان.
(٤٤) ابن رزيق، الفتح المبین، البوسعيد، هلال بن محمد، تاريخ الحصون والقلاع في عمان.
(٤٥) ابن رزيق، الفتح المبین.
(٤٦) نورالدين السالمي، تحفة الأعيان، ج ٢، الطبعة الخامسة.
(٤٧) البوسعيد، الراشد هلال بن محمد، تاريخ الحصون والقلاع في عمان.
(٤٨) المرجع السابق.
(٤٩) هولي، دونالد، عمان، مؤسسة ستايس الدولية.
(٥٠) مجموعة مؤلفين: المعجم الوسيط، الجزء الثاني، بيروت، دار احياء التراث، الطبعة الثانية.
(٥١) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام، ١٩٧٩.
(٥٢) ماهر، د. سعاد، حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
(٥٣) السليمان، عائشة علي: دولة البعارة في عمان وشرق افريقيا، بيروت، دار القدس.
(٥٤) ماهر، د. سعاد، حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
(٥٥) الازكري، سرحان بن سعيد: كشف الغمة، تحقيق احمد عبيدي، قبرص، دلون للنشر.
(٥٦) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥.
(٥٧) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة الجلاي.
(٥٨) هولي، دونالد، عمان، مؤسسة ستايس الدولية.
(٥٩) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام، ١٩٧٩ م.
(٦٠) هولي، دونالد، عمان، مؤسسة ستايس الدولية.
(٦١) البوسعيد، الراشد هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨ م.
(٦٢) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام ١٩٧٩ م.
(٦٣) ماهر، د. سعاد، حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
(٦٤) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة الميراني.
(٦٥) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥.
(٦٦) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، حصن البريمي.
(٦٧) السالمي، محمد بن عبده + عساف، ناجي: عمان تاريخ يتكلم، دمشق، ١٩٦٣.
(٦٨) نفس المصدر.
(٦٩) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة مطرح.
(٧٠) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة دار الهلال.
(٧١) البوسعيد، الراشد هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨ م.
(٧٢) سلسلة دليل التراثين، وزارة التراث القومي والثقافة.
(٧٣) البوسعيد، الراشد هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨ م.
(٧٤) هولي، دونالد، عمان، مؤسسة ستايس الدولية.
(٧٥) مجلة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، والجزء السادس، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
(٧٦) السالمي، عبده بن حميد، عساف، ناجي: عمان تاريخ يتكلم، دمشق ١٩٦٣ م.
(٧٧) السالمي، حميد بن عبده، تحفة الأعيان، الجزء الثاني، الكويت، دار الطليعة، ١٩٦٤ م.
(٧٨) الازكري، سرحان بن سعيد: كشف الغمة، تحقيق احمد عبيدي، قبرص، دلون للنشر.
(٧٩) مجلة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، والجزء السادس، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
(٨٠) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، حصن جبرين.
(٨١) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، بيت النعمان.
(٨٢) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥ م.
(٨٣) البوسعيد، الراشد هلال بن محمد بن احمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨ م.
(٨٤) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥ م.
(٨٥) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام، ١٩٧٩.
(٨٦) ورقة وزارة التراث القومي والثقافة، قلعة مطرح.
(٨٧) الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر، مختار الصحاح، بيروت، مكتبة دار الهلال.
(٨٨) الازكري، سعيد بن سرحان، كشف الغمة، تحقيق احمد عبيدي، قبرص، دلون للنشر.
(٨٩) هولي، دونالد، عمان، مؤسسة ستايس الدولية.
(٩٠) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥.
(٩١) البوسعيد، الراشد هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.
(٩٢) دريكو، اي: مجلة الدراسات العمانية، الجزء ١/٦.
(٩٣) البوسعيد، الراشد هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، سنة ١٩٨٨.
(٩٤) السالمي، محمد بن عبده + عساف، ناجي: عمان تاريخ يتكلم، دمشق، ١٩٦٣.
(٩٥) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥.
(٩٦) ويلسون، الفكتانت كولونيل سير ارنولد: تاريخ الخليج، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
(٩٧) النعوتني، سلمه بن مسلم الانساب، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
(٩٨) العبود، د. نافع توفيق: آل المهلب بن أبي صفرة، بغداد، مطبعة الجامعة.
(٩٩) الطبري، ابوجعفر محمد بن جرير: تاريخ الملوك والامم، بيروت.

اللباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- (١٠٠) الأزكوي، سرجان بن سعيد: كشف الغمة، تحقيق أحمد عبيدي، قبرص، دلمون للنشر.
- (١٠١) نفس المصدر - السامي، عبيدة بن حميد: تحفة الأعيان، الجزء الأول، الكويت، دار المطبعة، ١٩٨٤.
- (١٠٢) نفس المصدر.
- (١٠٣) عمان وتاريخها البحري، إصدار وزارة الاعلام، ١٩٧٩.
- (١٠٤) الأزكوي، سرجان بن سعيد: كشف الغمة، تحقيق أحمد عبيدي، قبرص، دلمون للنشر، السامي، عبيدة بن حميد: تحفة الأعيان، الجزء الأول، الكويت، دار المطبعة، ١٩٦٤.
- (١٠٥) عمان وتاريخها البحري، إصدار وزارة الاعلام، ١٩٧٩.
- (١٠٦) محفوظ، اللواء جمال: فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، موسوعة الحضارة العربية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- (١٠٧) ابن بطوطة، محمد بن عبيدة اللواتي: رحلة ابن بطوطة (المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، بيروت.
- (١٠٨) بيرين، جاكين، اكتشاف جزيرة العرب، بيروت، دار الكتاب العربي.
- (١٠٩) ويلسون، لغتات كولونيل سير ارنولد، تاريخ الخليج، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١١٠) ديكو، أي: مجلة الدراسات العمانية، الجزء ٢/٦، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١١١) هولي، دونالد، عمان: مؤسسة ستايس الدولية.
- (١١٢) ماهر، د. سعاد: حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠.
- (١١٣) بيغ، بيرتون: البرج في العمارة الإسلامية العربية، كتب دار المعارف الإسلامية (٦)، (مترجم)، بيروت، دار الكتاب اللبناني.
- (١١٤) دي كاري، بياتريس: دراسة لأثار عمان، تراثا العدد ٣٩، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١١٥) محفوظ، اللواء جمال: فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- (١١٦) ماهر، د. سعاد: حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠.
- (١١٧) دي كاري، بياتريس: دراسة لأثار عمان، تراثا العدد ٣٩، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١١٨) ماهر، د. سعاد: حصاد ندوة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٠.
- (١١٩) نفس المصدر.
- (١٢٠) البوسعيد، الرائد هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.
- (١٢١) محفوظ، اللواء جمال: فن الحرب عند العرب في الجاهلية والإسلام، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- (١٢٢) البوسعيد، الرائد هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.
- (١٢٣) تراثا، العددين، ٢٣، ٢٤، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة، مجلة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١٢٤) مجلة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، والجزء السابع، إصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١٢٥) نفس المصدر.
- (١٢٦) عمان في عيون العالم ج ٢ - ١٩٠ - ١٢٤، Hawley. op. cit. p. 31.
- (١٢٧) Hawley. op. cit. p. 136.
- (١٢٨) Hawley. op. cit. p. 32.
- (١٢٩) عمان في عيون العالم ج ٢ - ص ١٩٠ - ١٩١.
- (١٣٠) Creswell, K. A. C. Fortifications in Islam before A.D 1250 Proceedings Of the British Acad-emy; no. 38, 1952 p. 91
- (١٣١) Hawley. op. cit. p. 124
- (١٣٢) Hawley. op. cit. p. 128
- (١٣٣) ابن بطوطة: رحلة (بيروت ١٩٦٤) ص ٢٧١.
- (١٣٤) مونتكا (انطوان): الفن في العراق القديم (مترجم) (بغداد ١٩٧٤) ص ٢٠٠.
- (١٣٥) محمد (غازي رجب): (تأثير الظروف البيئية على تصميم المباني عند العرب) تحت الطبع.
- (١٣٦) Hawley. op. cit. p. 160 - 161
- (١٣٧) Hawley. op. cit. p. 36 - 128
- (١٣٨) Hawley. op. cit. p. 127
- (١٣٩) Hawley. op. cit. p. 118
- (١٤٠) Hawley. op. cit. p. 121
- (١٤١) Hawley. op. cit. p. 35
- (١٤٢) Rathjens, S., Jewish Domestic Architecture in Sana'a, Jerusalem 1957 p. 42 f Hawley. op. cit. p. 112
- (١٤٣) ديماند (م-س): الفنون الإسلامية / مترجم (القاهرة ١٩٥٨) ص ١١٠، ابن كثير (ابوالغدا): البداية والنهاية (بيروت والرياض ١٩٦٦) ج ١٤ ص ٢٩٨.
- (١٤٤) بلياس (ل. ت): (الأنبياء المسيحيين البيئية على تصميم المباني عند العرب) (مدريد) ج ١ (١٩٥٢) ص ١٢٧ - ١٢٥.
- (١٤٥) ابن بطوطة: رحلة ص ٢٧١.
- (١٤٦) ابن بطوطة: رحلة ص ٢٧١.

- (١٤٧) Hawley, op. cit. ipp. 170 - 171
- (١٤٨) Hawley, op. cit. ip. 168 - 169
- (١٤٩) مؤنس (حسين) المساجد/ عالم المعرفة ٣٧ (١٩٨١) ص ١٤٥ - ١٤٧.
- (١٥٠) اليوسفيدي، الرائد هلال بن محمد تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.
- (١٥١) هولي، دونالد عمان، مؤسسة ستايس الدولية.
- (١٥٢) بيچ، بريتون البرج في العمارة الحربية الإسلامية، كتب دار المعارف الإسلامية (٦)، بيروت، دار الكتاب اللبناني.
- (١٥٣) الجنابي، د. خالد جاسم: تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر.
- (١٥٤) اليوسفيدي، الرائد هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.
- (١٥٥) مجلة الدراسات العمانية، الجزء الثاني، تراثنا، العدد ٤٢، اصدار وزارة التراث القومي والثقافة.
- (١٥٦) نفس المصدر.
- (١٥٧) الصاروج نوع من الملاط يدخل في تركيبه الجير.
- (١٥٨) السعيم، جمع سمه، والسمة نوع من الفرائش تغطي به السقوف وأرضية الحجرات ويتخذ من سعف النخيل.
- (١٥٩) ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي عصر الدولة والامارات، المجلد الخامس، القاهرة - دار الهلال.
- (١٦٠) خلاف، د. محمد عبد الوهاب: قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي - الخامس الهجري، تونس، الدار التونسية للنشر.
- (١٦١) عبدالجواد، توفيق أحمد: تاريخ العمارة والفنون (٣)، العصور المتوسطة الأوروبية والإسلامية، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة.
- (١٦٢) هولي، دونالد عمان، مؤسسة ستايس الدولية.
- (١٦٣) اليوسفيدي، الرائد هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.
- (١٦٤) زمران، د. محسن فلسفة التصميم، فن التشكيل والنقد المعماري تجاه المتغيرات المعاصرة، القاهرة، دار الهلال.
- (١٦٥) حماد، د. محمد، ميس فائد دورته: (رائد العمارة الموضوعية)، اعلام الهندسة واصمالهم (٣)، القاهرة، الطبعة الاولى.
- (١٦٦) قلاع وحصون سلطنة عمان، ١٩٨٥.
- (١٦٧) الحارثي، عبدالله بن ناصر، بنو نبهان في عمان والاضاع الاقتصادية في عصرهم، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٠.
- (١٦٨) اليوسفيدي، الرائد هلال بن محمد: تاريخ الحصون والقلاع في عمان، ١٩٨٨.

●● الفصل الرابع

- (١) حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادة اليوسفيين، مصدر سابق.
- (٢) المرجع السابق، ص ٣٤٩.
- (٣) معجم البلدان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت سنة ١٩٧٧، ج ٤، ص ٢٩٣.
- (٤) رحلة ابن بطوطة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الاولى سنة ١٩٨٧، ص ٢٨٤.
- (٥) سالم بن حمود السنيابي: عمان عبر التاريخ، مسقط، سنة ١٩٨٦، ج ١، ص ٢٢ - ٢٤.
- (٦) نور الدين السالمي: تحفة الأعيان، مسقط، بدون تاريخ، ج ١، ص ٢٢ - ٢٤.
- (٧) كشف الغمّة الجامع لأخبار الأمة، مؤلف مجهول، تحقيق أحمد عبيدي، ديلوم للنشر، قبرص، سنة ١٩٨٥، ص ٢١٢ - ٢١٧، تحفة الأعيان، ج ١، ص ٢٢ - ٢٨.
- (٨) كشف الغمّة، ص ٢١٨ - ٢٢٢.
- (٩) تحفة الأعيان، ج ١، ص ٢٣.
- (١٠) حصاد ندوة الدراسات العمانية ج ١، ص ٢٧٧.
- (١١) صورة الأرض، ص ٤٤.
- (١٢) المسالك والممالك، ص ٢٥.
- (١٣) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج ٥، ص ٢٢٨ - ٢٣٩.
- (١٤) مال الله بن علي بن حبيب: ملامح من تاريخ عمان، ص ٣.
- (١٥) اندرو ويليامسون: صحار عبر التاريخ، ص ٢٨.
- (١٦) المرجع السابق، ص ١ و ٢٢.
- (١٧) اندرو ويليامسون: صحار عبر التاريخ، ص ١٩ - ٢٢.
- (١٨) الكتائبان وردا في مخطوطة عمانية مجهولة المؤلف حققها الدكتور سعيد عاشور وجعل عناونها (تاريخ أهل عمان) ص ٤ وما بعدها، وكذلك انظر ص ١٦ من الباب الثالث من هذا الكتاب.
- (١٩) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام، ص ٢٤.
- (٢٠) Stephen and Handt Ronald: Arab Civilization p.396.
- (٢١) Bager: History of the Imams and Sayyids of Oman: The Introduction.
- (٢٢) حصاد ندوة الدراسات العمانية، ج ٢، ص ٢٨.
- (٢٣) سلطنة عمان ومسيرة الخير، المنطقة الداخلية والوسطى، ص ١٩.
- (٢٤) المرجع السابق، ص ٢٢.
- (٢٥) الشيخ سعيد بن علي المغيرة: جبهة الاخبار في تاريخ زنجبار، ص ١٩٩.
- (٢٦) مال الله بن علي: ملامح من تاريخ عمان، ص ٢٤.
- (٢٧) كتاب البلدان، ص ١١٧.
- (٢٨) رحلة ابن بطوطة، ج ٢، ص ٢١٠ - ٢١١.

- (٢٩) عمان عبر التاريخ، ج ١، ص ٦٢.
(٣٠) المرجع السابق، بنصف ص ١٢.
(٣١) عمان في صفحات التاريخ، ص ٧٤، ٣١، ٤٣، بالتوالي.
(٣٢) عمان وتاريخها البحري، ص ٧١.

الفصل الخامس

- (١) انظر عمان وتاريخها البحري، ص ٩، سلطنة عمان، وزارة الاعلام والثقافة (سابقا)، طبع ١٩٧٩.
(٢) انظر حوراني، جورج فصول: العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٢٧، ٢٨، ٢٩، ترجمة يعقوب بكر مطابع دار الكتاب بالقاهرة.
(٣) ان مياه الخليج العربي تتألف من الواقع من المياه العميقة والشواطئ المحيطة بخليجين، الخليج العربي الذي تحف به اليابسة من كل جانب وخليج عمان الذي يمتد لسانه الى داخل البحر العربي، ويؤلف هذا الخليجان، كامتداد للمحيط الهندي، حوضا يخترق قلب الشرق الاوسط، ويلتقي طرفهما الشمالي بسهل العراق والطرق المؤدية الى البحر الابيض المتوسط، بينما يفتح طرفهما الجنوبي على سواحل المحيط الهندي وأفريقيا الشرقية، وهكذا فإن عمان تعتبر ملتقى الأمم وأقدم طرق المواصلات الدولية، ولهذا تركت أثرا هائلا في تاريخ المنطقة وآسيا وأفريقيا.
(٤) انظر مايلز س.ب: الخليج ويلدانه وبقائه ص ٢٤، سلطنة عمان، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٢ م.
(٥) انظر حوراني، جورج فصول: العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٤٢، ترجمة د. يعقوب بكر، مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة، ثم انظر العائش، عبدالرحمن: دور العمانيين في الملاحه والتجارة الاسلاميه حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ص ٤، سلطنة عمان - وزارة التراث القومي والثقافة، سنة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.
(٦) انظر مايلز س.ب: المرجع السابق، ص ٢٥ و ٢٧.
(٧) انظر حوراني، جورج: المرجع السابق، ص ٤٨ و ٥٢.
(٨) عصام سخيني: الانتشار العربي في الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب، ص ٨٧.
(٩) عصام سخيني: الانتشار العربي في الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب، ص ٨٩.
(١٠) المرجع السابع، ص ٨٩.
(١١) انظر، السامي محمد بن عبدالله وتاجي عساف: عمان تاريخ يتكلم، ص ٨٠ - ٨١، دمشق ١٢٨٣ هـ.
(١٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٣٥.
(١٣) المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٧٨، وأرجع كذلك الى الحموي: الروض المعطار، ص ٢٢٠.
(١٤) عصام سخيني: المرجع السابق، ص ٩٠.
(١٥) البلاذري: فتوح البلدان، ج ١، ص ٩٢ - ٩٣.
(١٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٢، ص ١٣٩.
(١٧) فاروق عمر فوزي: الخليج العربي في العصور الاسلامية، ص ٤٤.
(١٨) فاروق عمر فوزي: انتشار العرب في اقاليم الخليج العربي الشرقية، ص ٧١.
(١٩) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٤، ص ٢١٢ - ٢١٣.
(٢٠) البلاذري: فتوح البلدان، ج ٢، ص ٤٧٦، سيده كاشف: عمان في فجر الاسلام، ص ٣٥، فاروق عمر فوزي: انتشار العرب، ص ٧٢، فاروق عمر فوزي: الخليج العربي، ص ٤٢.
(٢١) فاروق عمر فوزي: انتشار العرب، ص ٧٢، وعن جزيرة ابن كاوان التي فتحها عمرو بن العاص وبنى بها مسجده، انظر المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٠٩.
(٢٢) البلاذري: فتوح البلدان، ج ٢، ص ٤٧٦.
(٢٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ص ٢١٣ - ٢١٤.
(٢٤) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ٥٥.
(٢٥) البلاذري: فتوح البلدان، ص ٢٨٤، فاروق عمر فوزي: انتشار العرب، ص ٧٤.
(٢٦) البلاذري: فتوح البلدان، ج ٢، ص ٥٢، عبادة كحيلة: العرب والبحر، ص ٤٩.
(٢٧) البلاذري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥٢٤.
(٢٨) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، القاهرة ١٩٠٨ م، ص ٢٣٤.
(٢٩) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق الأستاذ محيي الدين عبدالحميد، ج ١، القاهرة ١٩٥٨ م، ص ١٠٧.
(٣٠) مزيد من التفاصيل عن غزو رودس عنده في سنة ٥٢ هـ / ٦٧٢ م أرجع الى البلاذري، فتوح البلدان، قسم أول، ص ٢٧٨، وعن فتح قبرطش عام ٥٥ هـ / ٦٧٥ م أرجع الى البلاذري نفس المصدر، ص ٢٧٩.
(٣١) البلاذري: المصدر السابق قسم أول، ص ١٥٠ وما يليها.
(٣٢) كانت لا تجري ببحره جارية الا عن معرفته وتحت اشرافه (ابن حيان، المقتبس من أبناء أهل الأندلس، تحقيق الدكتور محمود علي مكي، بيروت ١٩٧٢ ص ١٢٢، راجع التعليق في حاشية رقم ٤).
(٣٣) كان ولده خشخاش رئيسا لاسطول الأندلس في عهد الامير محمد، لذلك عرف بخشخاش البحري وتشر المصادر العربية الى بلده في محاربة النورمانيين عندما اغارت مراكبهم على سواحل مرسية سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م فقد صدهم خشخاش وقائد بحري آخر يدعى ابن شكور في مراكب الأندلس صدمة عنيفة انتهت باستشهاده مع بعض رجائه (ابن حيان، المقتبس تحقيق د/ محمود مكي، ص ٢٠٨، العنزي ترصيع الاخبار وتنويع الاثار، والبستان في غرائب البلدان، المسالك والممالك، تحقيق الدكتور عبدالعزيز الأهواني، مدريد ١٩٦٥، ص ١١٨، السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية الاسلامية، بيروت ١٩٦٩، ص ٣٠).
(٣٤) السيد عبدالعزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية الاسلامية، بيروت ١٩٦٩، ص ١٤٩، السيد عبدالعزيز سالم، التجارة البحرية في الخليج في صدر الاسلام، بحث مقدم الى مؤتمر قطر، سنة ١٩٧٦، ج ١، ص ٤٠٠.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- (٣٦) المسعودي: المصدر السابق، ص ١٤٩. وبحر هركنتد يقابل خليج البنغال في الوقت الحاضر.
- (٣٧) نفسه، ص ١٤٩. ويرتديب هي سريلانكا حاليا، وجزائر لنجبالوس هي نيكوبار وشلاط في بلاد الصنف هي مملكة تشابا الواقعة شرقي الصين الهندية. انظر: عبادة كحيلة، العرب والبحر، ص ٦٠.
- (٣٨) الأصطخري: المسالك والممالك، ص ٣٠.
- (٣٩) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٤٩.
- (٤٠) المصدر السابق، ص ١٤٧، وأرجع كذلك إلى ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص ٨، وابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص ٨٦، وعن المعوقات والأخطار التي واجهت حركة التجارة في شرقي الجزيرة العربية، أرجع إلى أحمد الطوخي، شرقي الجزيرة العربية، ص ٩٢ - ٩٩.
- (٤١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١١ - سلسلة التواريخ، ص ١٠٠. ويذكر المسعودي أن الدردور عرف بدردور مستندم ويكنيه البحرليون بأبي جهرة (المسعودي، مروج الذهب، ج ١، ص ١١١).
- (٤٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٨.
- (٤٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٠.
- (٤٤) سلسلة التواريخ، ص ١٨٢، المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٠.
- (٤٥) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١٢، سلسلة التواريخ، ص ٥، ص ١٨٦ - ١٨٧، المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥١، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٢.
- (٤٦) سلسلة التواريخ، ص ٧ - المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٨٨، ص ١٥٢.
- (٤٧) يرتديب أكبر جزر بحر هركنتد وأعظمها، بأقصى بلاد الهند ويتوافر فيها الباقوت الأحمر والماس ومن شواطئها يجلب العنبر واللؤلؤ والياقوت الحموي. معجم البلدان مادة يرتديب، سلسلة التواريخ، ص ١٧٢، ١٧٣، الحميري: الروض المعطر، ص ٢٢٢.
- (٤٨) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٢.
- (٤٩) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١٠.
- (٥٠) المصدر السابق، ص ١٠.
- (٥١) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٢، سلسلة التواريخ، ص ٨، ٧.
- (٥٢) المصدر السابق، ص ١٥٢.
- (٥٣) سلسلة التواريخ، ص ٩.
- (٥٤) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٢.
- (٥٥) المصدر السابق، ص ١٥٢.
- (٥٦) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١٠.
- (٥٧) سلسلة التواريخ، ص ١٨٧.
- (٥٨) المصدر السابق، ص ٧.
- (٥٩) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٣.
- (٦٠) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٧٨.
- (٦١) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٢.
- (٦٢) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١٢.
- (٦٣) المصدر السابق، ص ١٢.
- (٦٤) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص ١٢٨.
- (٦٥) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٥٧.
- (٦٦) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، ص ١٢٨.
- (٦٧) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ٨.
- (٦٨) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٢.
- (٦٩) المصدر السابق، ص ١٥٤.
- (٧٠) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١١.
- (٧١) المصدر السابق، ص ١٢.
- (٧٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٥.
- (٧٣) المصدر السابق، ص ١٠٧.
- (٧٤) نفسه، ص ١٠٨.
- (٧٥) نفسه، ص ١٠٨.
- (٧٦) نفسه، ص ١٢٨.
- (٧٧) عبادة كحيلة، العرب والبحر، ص ٥٧.
- (٧٨) عجائب الهند، ص ٣٨.
- (٧٩) لمزيد من التفاصيل عن الطريق البري انظر نقولا زيادة: الجغرافيا والرحلات عند العرب، ص ٢٢٠ وما يليها.
- (٨٠) ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ٦٤ - ٧٢.
- (٨١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١١ - ١٢.
- (٨٢) سلسلة التواريخ، ص ١٥ - ٢١.
- (٨٣) نفس المصدر، ص ١٨.
- (٨٤) عبادة كحيلة، العرب والبحر، ص ٦٠، انظر هامش ٤١، ٤٠.
- (٨٥) اثرتنا فيما سبق إلى الرأي القائل بأن تعبير السفن الصينية إنما كان يقصد به السفن التجارية العربية والإسلامية التي كانت مخصصة للرحلة إلى الصين.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

Yajima Hkoichi, Maritime Activities Of Gulf People and the India Ocean World in the 11th and 12th Century, p55-56

ويأخذ د. عياده كحيله بهذا الرأي فيما يتعلق بالتجارة العربية والإسلامية قبل الإسلام، أما بعد الإسلام فيفتق مع المسعودي في مجيئ السفن الصينية إلى الخليج العربي إلا في حالات الاضطراب التي تتعرض لها الصين (عياده كحيله، العرب والبحر، ص ٥٩ - ٦٢).

(٨٦) المسعودي: مروج الذهب، ص ١٤٠.
(٨٧) (ارجع إلى سيده كاشف: علاقة الصين بديار الإسلام، مجلة كلية الآثار، عدد ١، ١٩٧٥، ص ٢٩ - السيد عبدالعزيز سالم، التجارة البحرية في الخليج، ص ٨٠ - ٤٠٨)

(SOUVAGET, Relation De La Chine Et De L'Indonésie, pp XXXV - XXXVI)
Yajima Hkoichi, Maritime Activities, p55- China Handbook Series- History - Translated by (٨٨) Dun J. Li, p56

(٩٩) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، ص ٧٠.
China Handbook Series, History, p57 - 59, (٩٠) op. cit, p59, (٩١)

(٩٢) لمزيد من التفاصيل عن هذه الاضطرابات السياسية في أواخر عهد أسرة شانج الصينية ارجع إلى Marwyn S. Samuels, and Carmencita Samuels, Islam In The Southern Seas. The Impact Of Arabian Gulf Merchants In The South China Sea 10th - 19th Centuries, p68 - 69

بحث مقدم إلى ندوة قطر عام ١٩٩٦
(٩٣) عياده كحيله، العرب والبحر، ص ٦٢.
(٩٤) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٢٧ - ١٣٨.
(٩٥) خانفو (كانتون) مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب إلى بحر الصين وبين هذه المدينة وبين البحر مسيرة ستة أيام أو سبعة، تدخل هذا النهر سفن التجارة الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزاب والصنم وغيرها من الممالك بالامتعة والجهاز، وتقرب إلى مدينة خانفو وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ويهود ومجوس وغير ذلك من أهل الصين.. (المسعودي، مروج الذهب، ص ١٣٨).

(٩٦) المصدر السابق، ص ١٣٨.
(٩٧) نفسه، ص ١٢٩.
(٩٨) حكمت خمس أسر صينية الصين فيما بين آخر سنة ٩٠٧م (٢٩٥هـ) عندما سقطت أسرة شانج وحتى سنة ٩٦٠م (٣٤٩هـ) لينبأ عهد من الاستقرار خلال فترة حكم الأسرة الجديدة سانشي (٩٦٠ - ١٢٧٩م) (٢٤٩ - ٦٧٨هـ).
(٩٩) السيد عبدالعزيز سالم: التجارة البحرية في الخليج في صدر الإسلام، ص ٤٠٩.
(١٠٠) المرجع السابق، ص ٤٠٩، op. cit, p xxxvii.
Yajima Hkoichi, Maritime Activities p56, (١٠١) op. cit p55- 57, (١٠٢)

(١٠٣) ibid, p58. وقد أشار د. عياده كحيله نقلاً عن المصادر الصينية تفاصيل سفارة عمانية ترجع أن تكون هي نفس السفارة التي تحدثنا عنها وقد قام بها الشيخ عبدالله على حد قوله، وقد دعاه الصينيون كين ياتيو وعاش في مدينة خانفو (كانتون) سنوات طويلة في القرن الحادي عشر الميلادي، وكان مقرباً من الامباطور شين زونج Shen Zong (٤٦٠ - ٤٧٨هـ) (١٠٦٧ - ١٠٨٥م) الذي عينه رئيساً لحي الأجناب بالمدينة، ويذكر د. عياده كحيله أن الامباطور اتعم على الشيخ عبدالله العماني برتبة عسكرية كبيرة. وقد عاد الشيخ عبدالله إلى عمان سنة ١٠٧٢م (٤٦٥هـ)، وقد أعداه الامباطور جواناً أبيض اللون وسرجاً (ارجع إلى عياده كحيله: العرب والبحر، ص ٦٣ - ٦٤).
(١٠٤) السيد عبدالعزيز سالم: التجارة البحرية في الخليج، ص ٤١٠.
(١٠٥) عياده كحيله، العرب والبحر، ص ٦٦.

(١٠٦) عن قيس وزدهارها التجاري ارجع إلى ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٤، ص ٤٢٢، وانظر (أحمد الشامي: العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى، بحث مقدم إلى مؤتمر قطر، ١٩٧٦، ص ٢٢٢ - نقلاً زياده، الجغرافيا والرحلات عند العرب، ص ٢٣٥ - ٢٣٦).

(١٠٧) ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٧٣.. وهرمز تقع على الساحل إلى الامام من رأس جسر يمتد إلى الشرق من مياه الخليج العربي، وتتحكم هرمز في المدخل الجنوبي للخليج العربي، وهي ذات أهمية استراتيجية كبرى.
(١٠٨) تختلف سفن البحر المتوسط عن نظائرها في المحيط الهندي وبحار جنوبي آسيا في أن أخشاب الأولى ترتبط فيما بينها بمسامير بينما تخلو منها سفن العمانيين، فكان العمانيون يتخذون من الألياف النارجيل جبالاً تشد ألواح السفن وترتبطها فيما بينها على نحو ما كان متبعاً السفن المصرية في العصور القديمة. (ارجع إلى المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٤٧، سلسلة التواريخ، ص ١٧٦، وانظر أيضاً أحمد الشامي: العلاقات التجارية بين دول الخليج وبلدان الشرق الأقصى، ص ٢٤٣. عياده كحيله: سيده كاشف: التأثيرات المصرية في الحضارة اليمنية القديمة، بحث مقدم إلى ندوة العلاقات المصرية اليمنية، لجنة تضامن الشعوب الآسيوية/ أفريقية، ١٩٩٠، ص ١١).

(١٠٩) عياده كحيله: العرب والبحر، ص ٥٥.
(١١٠) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٧ وسفالة لفظة أصلها سامي نجهدا في اللغات العربية والعبرية، ومعناها الأرض المنخفضة. (ارجع إلى البر سيد أحمد العراقي، معالم الحضارة الإسلامية في ساحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى، مجلة دراسات أفريقية يصدرها المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم، العدد الثاني، أبريل ١٩٨٦، ص ١٠٢).
(١١١) عياده كحيله: المرجع السابق، ص ٥٥ وما يليها.
(١١٢) الجاهظ: البيان والتبيين، ج ٢ طبعة بيروت، ص ١٧.
(١١٣) سلسلة التواريخ، ص ١٤٣.

الباب الرابع - ازدهار الحضارة العمانية

- (١١٤) ابن رسته: الأعلام النفيسة، ص ٨٧، السيد عبدالعزيز سالم: التجارة البحرية في الخليج في صدر الاسلام، ص ٤١٢.
- (١١٥) المرجع السابق، ص ٤١٢.
- (١١٦) ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ٦٢، المقدسي: أحسن التقاسيم ص ١٠١.
- (١١٧) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٨.
- (١١٨) ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ٦١.
- (١١٩) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٠١.
- (١٢٠) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥٣، ٢٥٢.
- (١٢١) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٨٧.
- (١٢٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٤٩.
- (١٢٣) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١٦.
- (١٢٤) المصدر السابق، ص ٣٦.
- (١٢٥) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١١٢.
- (١٢٦) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ٣٦.
- (١٢٧) سلسلة التواريخ، ص ١٤٧.
- (١٢٨) ابن بطوطة: الرحلة، ص ٣٢٨.
- (١٢٩) المصدر السابق، ص ٢٥٩.
- (١٣٠) ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ٧١، ٧٠.
- (١٣١) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١٦، ٢٥١.
- (١٣٢) المصدر السابق، ص ٢٥.
- (١٣٣) (ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٦٢).
- (١٣٤) سلسلة التواريخ، ص ٢٩، ٣٠، ١٢٩، ١٢٨، ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ٢٥١.
- (١٣٥) سلسلة التواريخ، ص ٩٠.
- (١٣٦) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ١٥٤، وأرجع إلى سلسلة التواريخ ص ١٧٢، ١٧٣.
- (١٣٧) ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ٦٨.
- (١٣٨) المصدر السابق، ص ٦٤.
- (١٣٩) ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان، ص ١٦.
- (١٤٠) المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٨٠٧.
- (١٤١) سلسلة التواريخ، ص ١٣١، ١٣٤. اجتمع لدى جيفر اليمصدي من أئمة عمان أسطول من ٣٠٠ مركب وقد قام خليفته الصلت بن مالك الخرومي (٢٣٧هـ - ٢٧٢هـ) بإرسال أسطوله إلى جزيرة سقطري فانتزعتها من النصارى الذين كانوا قد استولوا عليها (عبادة كحيلة، العرب والبحر، ص ٤٩ عن تحفة الأعيان للسالمي وعن كتاب قصص وأخبار برت في عمان لمؤلف مجهول).
- (١٤٢) عجائب الهند، ص ٤٩.
- (١٤٣) عبادة كحيلة: العرب والبحر، ص ٥٣.
- (١٤٤) المرجع السابق، ص ٢٢٥.
- (١٤٥) أنور عبدالمعظم: الملاحه وعلوم البحار، ص ١٣٢ - ١٣٦، ومن الملاحظ أن هذا الرأي ينقله عنه الدكتور عبادة كحيلة الذي ينقل أيضا الأسانيد التي ذكرها الدكتور أنور عبدالمعظم دون أن يشير إلى صاحبها (عبادة كحيلة، عن العرب والبحر، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٧٩ - ٨٢).
- (١٤٦) ابن خردادبة: المسالك والممالك، ص ١٥٣.
- (١٤٧) بدوي عبدالمطيف عوض: دور عرب الخليج في نشر الإسلام في جنوب شرقي آسيا، بحث مقدم لشدة قطر ١٩٧٦، ص ٢٣٠.
- (١٤٨) المرجع السابق، ص ٢٢١ ومايلها.
- (١٤٩) حاول الفقهاء التغلب على مشكلة غياب التجار العمانيين فترات طويلة خارج عمان مما أدى إلى ظهور مشاكل تتعلق بدفع الزكاة، وأمر الإمام المهنا بن جيفر اليمصدي (٢٢٦هـ / ٢٢٧هـ) بأن يتولى والي صحار جمع الزكاة من التجار (عن الأوكري: عبادة كحيلة: العرب والبحر، ص ٤٦).
- (١٥٠) المرجع السابق، ص ٦٢، أحمد الطوخي: شرق الجزيرة العربية، ص ٨٨.
- (١٥١) لمزيد من التفاصيل عن مدينة الزبيتون (أرجع إلى ابن بطوطة: الرحلة، ص ٦٢٣ وما يليها).
- (١٥٢) البلاذري: فتوح البلدان، ج ٢، ص ٥٢٠. أحمد مختار العبادي: دولة سلاطين المالكيين في الهند، مجلة كلية الآداب، مجلد ٩، ١٩٥٥، ص ٦٥.
- (١٥٣) عبادة كحيلة: العرب والبحر، ص ٤٩.
- (١٥٤) اللتان، اختلفت المصادر في تحديد موضع اللتان فيبينما يرى ياقوت الحموي أنها «بلد من بلاد الهند على سمع غزنة (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٧٧). يرى الحميري أنها مدينة في آخر بلاد السند، مجاورة للهند (الحميري: الروض المططر، ص ٥٤٦). أما ابن رسته فيذكر أن اللتان تلي المنصورة من السند (ابن رسته: الأعلام النفيسة، ص ١٢٥).
- (١٥٥) الحميري: الروض المططر، ص ٥٤٦.
- (١٥٦) ابن رسته: الأعلام النفيسة، ص ١٣٥، ١٣٦.
- (١٥٧) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٢١٠.
- (١٥٨) عبادة كحيلة: العرب والبحر، ص ٦٢.
- (١٥٩) بدوي عبدالمطيف عوض: دور عرب الخليج في نشر الإسلام في جنوب شرقي آسيا، ص ٢٢٥.

- (١٦٠) المرجع السابق، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.
- (١٦١) عبادة كحيلة: العرب والبحر، ص ٦٥.
- (١٦٢) المرجع السابق، ص ٦٥.
- (١٦٣) ابن بطوطة: الرحلة، ص ٥٦٤، ولزيد من التفاصيل عن الإسلام في المليبار أرجع لنفس المصدر، ص ٥٥٦ وما يليها.
- (١٦٤) وقد يكون مؤلف هذا الكتاب هو أحد الأفريقيين الذين عاشوا في الاسكندرية في القرن الأول الميلادي، (أرجع إلى محمد أحمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، فصل من كتاب العلاقات العربية الأفريقية ١٩٧٧، نشر معهد البحوث والدراسات العربية، ص ٤٥).
- (١٦٥) عامر محمد الحجري: تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية، بحث مقدم إلى ندوة قطر (دراسات تاريخ شرق الجزيرة العربية، قطر ١٩٧٦، ج ١، ص ٧٧٤، جورج فاضلو حوراني: العرب والملاح في المحيط الهندي، ترجمة د. يعقوب بكر، ص ٢٤، جمال زكريا قاسم: استقرار العرب في ساحل شرق إفريقيا، مجلة حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، مجلد ١٠ سنة ١٩٧٦، ص ٢٨٠ - ٢٨١، محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى، فصل من كتاب العلاقات العربية الأفريقية ص ٤٤).
- (١٦٦) عامر محمد الحجري: تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية، ص ٧٧٥، عبادة كحيلة: العرب والبحر، ص ٥٣.
- (١٦٧) ابن سعد: كتاب الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٢٧، سيده كاشف: عثمان في فجر الإسلام، ص ٢٤.
- (١٦٨) عوض عبد الهادي العط: الإسلام في سواحل البحر الأحمر الغربي، مقال بمجلة دراسات إفريقية، المركز الاسلامي الافريقي بالخرطوم، العدد الثالث، أبريل ١٩٨٧، ص ٤٧، فاروق عمر فوزي: الخليج العربي في العصور الاسلامية، ص ١٢٤ - ١٢٥، عامر محمد الحجري: تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية، ص ٧٧٦.
- (١٦٩) (عامر محمد الحجري: المرجع السابق، ص ٧٧٧، فاروق عمر فوزي: الخليج العربي في العصور الاسلامية، ص ١٢٤، ١٢٥).
- (١٧٠) السر سيد أحمد العراقي: معالم الحضارة الاسلامية في ساحل شرق افريقيا في العصور الوسطى، مقال بمجلة الدراسات الافريقية، المركز الاسلامي بالخرطوم، العدد الثاني، أبريل ١٩٨٦، ص ٨٣.
- (١٧١) عبادة كحيلة: العرب والبحر، ص ٥١.
- (١٧٢) عامر محمد الحجري: المرجع السابق، ص ٧٧٧.
- (١٧٣) عبادة كحيلة: العرب والبحر، ص ٥٢ - ٥٣، محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية، ص ٤٦ - ٥٠.
- (١٧٤) سيد حامد حريز: المؤثرات العربية في الثقافة السواحيلية في شرق إفريقيا، دار الجبل، بيروت ١٩٨٨ عرض الأستاذ عبدالرحمن أحمد عثمان، مقال بمجلة دراسات إفريقية، العدد الخامس أكتوبر ١٩٨٩، ص ١٢١ وما يليها، السر سيد أحمد العراقي: معالم الحضارة الاسلامية في ساحل شرقي إفريقيا، ص ٨٥.
- (١٧٥) يذكر الباحث سيد حامد حريز أن لغة السواحيلية تنسج عشرة لهجة، وقد ذكر في كتابه أسماء شعراء كتبوا قصائد باللغة السواحيلية في العصور الحديثة مثل عبيد الله بن علي بن ناصر صاحب قصيدة (الانكشاف).
- (١٧٦) المرجع السابق، ص ١٢٩.
- (١٧٧) حسن إبراهيم حسن: انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى، ١٩٧٥، ص ٢١، الشاطر بصيلي: سونان وادي النيل والإسلام، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثاني، العدد الثاني، ١٩٤٩، ص ٣٩ وما يليها.
- (١٧٨) عامر محمد الحجري: تاريخ العلاقات العمانية الأفريقية، ص ٧٧٨.
- (١٧٩) (السعودي: مروج الذهب، ج ٤، ص ١٩٤).
- (١٨٠) محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية، ص ٥٢.
- (١٨١) المرجع السابق ص ٥٢. وعن أولاد كاهل في الأقاليم الساحلية الشرقية وعلمهم بالتجارة أرجع إلى مصطفى محمد مسعد: امتداد الإسلام والعروبة إلى وادي النيل الأوسط، المجلة التاريخية المصرية، المجلد الثامن ١٩٥٩، ص ٧٠ وما يليها.
- (١٨٢) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (واخير العصور الوسطى) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣، ص ٣٦٩ وما يليها).
- (١٨٣) Lewis, Bernard, Egypt And Syria, The Cambridge History Of Islam. 1970, vol 1 p223 وأرجع كذلك إلى نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ص ٢٢٧ راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، الطبعة الأولى ١٩٤٨، ص ٢٣٥.
- (١٨٤) عصام الدين عبدالرؤف: اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام دولة بني رسول، الطبعة الأولى ١٩٨٢، ص ٢٦٠.
- (١٨٥) عمارة اليمن، تاريخ اليمن، تحقيق د. حسن سليمان محمود، ص ٤٠ - ٤٢، فاروق عثمان أباطة: عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، ١٩٧٦، ص ٢٧. ويذكر الدكتور محمد أمين صالح أن تجار عمان والخليج كانوا يذهبون من بلادهم إلى عدن لئلا نقل البضائع من عدن إلى مكة حيث كانت تنشط تجارتهم في موسم الحج لإمداد الأسواق الحجازية ببضائع الشرق الأقصى، الذي يقوم بترائها الحجاج والتجار الذين يأتون إلى الحجاز إما للتجارة أو لأداء الفريضة (محمد أمين صالح: البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة).
- (١٨٦) محمد محمد أمين: تطور العلاقات العربية الأفريقية، ص ٤٠. ومن الممالك التي غلب عليها الإسلام في الحبشة مملكة وفات أو أوقات، وهي أوسع الممالك هناك، ومن أهم مدنها زيلع وأغلب أهلها مسلمون، وبها مقاصد الزائرين ومملكة ذلك وهي جزيرة في البحر الأحمر على طريق المسافرين من عيذاب إلى اليمن. ومملكة شوا الاسلامية التي قامت في وسط الحبشة في نهاية القرن الثالث الهجري برعاية أسرة عربية تنتسب إلى قبيلة مخزوم القرشية.
- (١٨٧) يؤكد هذا الرأي ما تذكره المصادر العربية من أن سلاطين المالكيين ومنهم السلطان قلاوون أرسل إلى نوابه بالنفور بإمرهم بحسن معاملة التجار القادمين من الشرق الأقصى لاغترابهم على جلب بضائعهم إلى موانئ مصر المطلة على البحر الأحمر.
- (١٨٨) ابن بطوطة: الرحلة، ص ٢٧١ وما يليها.

- (١٨٩) عبدالهادي التازي: الملات التاريخية بين المغرب وعمان، طبعة تراثنا (وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان) العدد ٢٢، ص ٢١.
- (١٩٠) السيد عبدالعزيز سالم: تجارة الأندلس مع العراق والخليج العربي في العصر العباسي، بحث مقدم إلى ندوة دولة الإمارات العربية، مكانة الخليج العربي في عصر الدولة العباسية سنة ١٩٩٠، ص ٦١.
- (١٩١) السيد عبدالعزيز سالم: تجارة الأندلس مع العراق والخليج العربي، ص ٦٤، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٩٢ - ٩٣.
- (١٩٢) المرجع السابق، ص ٦٥، وعن صحار وديني وشحر مهرة، كأسواق هامة من أهم أسواق العرب، أرجع إلى أظهر مباركوري: العرب والنهد في عهد الرسالة، ص ٢٨، ٢٩.
- (١٩٣) الزهري (أبوعبادة محمد): كتاب الجغرافيا، تحقيق الأستاذ محمد حاج صادق، ص ٨٩، السيد عبدالعزيز سالم: تجارة الأندلس مع العراق والخليج العربي، ص ٦٧ - ٦٨.
- (١٩٤) المرجع السابق، ص ٩٦، وما يليها.
- (١٩٥) لدراسة تاريخ البوصلة البحرية ومعرفة مزيد من التفاصيل عنها انظر: أنور عبدالعليم: ابن ماجد الملا، ص ٣٥ - ٤٠.
- (١٩٦) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ١٠ - ١١.
- (١٩٧) كتاب الفوائد في أصول البحر والقواعد، ويشتمل على ١٢ فائدة، ولابن ماجد كتاب آخر بعنوان: كتاب حاوية الاختصار في أصول علم البحار.

●● الفصل السادس

- (١) حوراني جورج فضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ١٠١ - ١٠٢، ترجمة د. يعقوب بكر، مطابع دار الكتاب بالقاهرة.
- (٢) المرجع السابق: ١٠٦ و ١٧٥.
- (٣) مايلز س. ب.: المرجع السابق، ص ٧٨ - ٨١ - ٧٢، السالمي محمد بن عبدالله وناجي غسان: عمان تاريخ يتكلم، ص ١٢٤، دمشق ١٩٨٣ هـ/ ١٩٦٣ م، السيابي، سالم بن حمود بن شامس: عمان عبر التاريخ، ٢، ص ١٤١ و ص ١٥٢ مطابع سجل العرب ٤٠١ هـ/ ١٩٨٠ م.
- (٤) السيابي، سالم بن حمود بن شامس: عمان عبر التاريخ ج ٢، ص ١٥٢، السالمي محمد بن عبدالله: المرجع السابق ص ١٣٥.
- (٥) السالمي: المرجع السابق، ص ١٢٧.
- (٦) السيابي: المرجع السابق، ج ٢، ص ١٥٢ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧.
- (٧) مايلز س. ب.: المرجع السابق ١٢٤، ص ١١٢ - ١١٣.
- (٨) نفس المرجع، ص ١١٢ و ١٢٢ و ١٢٣، ص ١٢٤.
- (٩) السالمي: المرجع السابق، ص ١٤٩.
- (١٠) مايلز س. ب.: المرجع السابق، ص ١٤٧.
- (١١) مايلز س. ب.: المرجع السابق، ص ١٤١، ١٤٢، ١٥١ - ١٥٢.
- (١٢) السعيد أمين: الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته الحديثة، ص ٣٠، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- (١٣) مايلز س. ب.: المرجع السابق، ص ١٩٢.
- (١٤) لاندن وروبرت جران: عمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصرياً، ص ٥٠ - ٥٢.
- (١٥) السيار - عائشة: المرجع السابق، ص ٨١.
- (١٦) مايلز: المرجع السابق، ص ٢١٣ - ٢١٤.
- (١٧) السالمي، محمد بن عبدالله، ناجي غسان: المرجع السابق، ١٥٤.
- (١٨) كانت مدينة مسقط وحدها ما بين ١١٦٤ - ١٢١٥ هـ/ ١٧٥٠ - ١٨٠٠ م، ١٥ سفينة من الطراز الغربي المربع الهيكلي، و ٣ سراكب صغيرة، ونحو ٢٥٠ سفينة شراعية أغلبها من سفن الشحن كبيرة الحجم والمحمولة إلى جانب ١٠٠ سفينة أخرى تزاوّل نشاطها الملاحي في ميناء صور، إضافة إلى سفن أخرى في موانئ عمان، انظر لاندن وروبرت، المرجع السابق، ص ٥٧.
- (١٩) السيار - عائشة: المرجع السابق، ص ٨١.
- (٢٠) مايلز: المرجع السابق، ص ٢١٢، ٢١٤، ص ٢٤٤.
- (٢١) ففي عهده كان الأسطول العماني يتألف من ١٥ سفينة من الطراز الأوروبي، و ٧٤ سفينة مقاتلة وخمس فرقاطات وعدد كبير من السفن غربية الطراز، وفي أوقات السلم كان الأسطول العماني يعمل على الخطوط التجارية والمشروعات المرحية، وكان بإمكان هذا الأسطول أن يحمل ٢٠٠٠ رجل، وكان الآم من قوة البحر. انظر: لاندن - روبرت: المرجع السابق، ص ٦٦.
- (٢٢) البوريي - أحمد قاسم: الإمارات السبع على الساحل الأخضر ١٢٥.
- (٢٣) بريين جاكين: اكتشاف جزيرة العرب خمسة قرون من المغامرة والعمل، ص ٢٨٤ و ص ٢٨٥، ترجمة قدري قلجي، دار الكتاب العربي - بيروت، مكتبة النهضة بـ بغداد.
- (٢٤) هولادي فرد: الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية، ص ٩٤ - ٩٥ ترجمة حازم صاغية، وسعيد محيي، بيروت، دار ابن خلدون، نيسان ١٩٨٧ م.
- (٢٥) السالمي محمد بن عبدالله، ناجي غسان: عمان تاريخ يتكلم، ص ١٦٥ و ص ١٩٤.
- (٢٦) الغراب كلمة عربية في الأصل، وكان هذا الصنف من السفن شائع الاستعمال خلال القرون: السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر على سواحل ملابار والخليج العربي والبحر الأحمر. والواقع أن هناك أنواعاً مختلفة من السفن،

- منها الصغيرة ومنها الكبيرة تعرف بهذا الاسم، ولكن العادة أن يكون (الغراب) سفينة ذات ثلاث ساريات... راجع حبيب زيات: «معجم المراكب والسفن في الاسلام» المشرق بيروت ١٩٤٩ ص ٢٥٤.
- India Office, Factory Records, Letters from Bussra, Gambroon, etc. Letters from Bussra, vol. (٢٧) 21, September 1889.
- Lorimer, op. cit. p. 416 (٢٨)
- Robert Heron) Edinburgh (٢٩) (trans. into English by)
- الترانكي: نوع من السفن كان شائع الاستعمال جدا في الخليج العربي خاصة في النصف الاول من القرن الثامن عشر وقد انقرض الآن، وكان يسير بالجناف والشراف معا ويستخدم في الحرب والتجارة.
- Lorimer op. cit. p.416-17 (٣٠)
- Parsons, op. cit (٣١) كتشر سفينة ذات ساريتين، والكاليوت سفينة أصغر من الفرقاطة.
- Lorimer op. cit. 435 (٣٢)
- Ibid (٣٣)
- (٣٤) عمان وتاريخها البحري، ص ٧٧.

●● الفصل السابع

- (١) عمان وتاريخها البحري، ص ١٠٧، جورج فضل حوراني: العرب والملاح في المحيط الهندي في العصور القديمة وأوائل العصور الوسطى، ترجمه وزاد عليه د/ السيد يعقوب بكر، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٥٨، ص ٢٤٠.
- (٢) المرجع السابق، ص ٢٤١.
- (٣) عمان وتاريخها البحري، ص ١٠٧.
- (٤) ساج بدون تعليقات الجيم: أصلها ساك في البراكرايتيه Parkrit، يقابلها في اللغات الأوروبية من Kake في الدرايفيدية Dravidian وهما لهجتان في شمال الهند ووسطها قامتا الى جانب السنسكريتية أو تفرعتا منها، انظر: العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٢٤٤.
- (٥) المرجع السابق، ص ٢٤٥.
- (٦) المرجع السابق ص ٢٤٧.
- (٧) Reinaud, Relation Des Voyages Par Les Arabes Et :les Persians Dans L'Inde et la Chine Dans Le Ixe Siecle, Paris, 1845
- (٨) عمان وتاريخها البحري، ص ١٥٦.
- (٩) العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٢٤٨.
- (١٠) أخبار الهند والصين، ص ٨٧ - ٨٨.
- (١١) عمان وتاريخها البحري، ص ١٠٨.
- (١٢) المرجع السابق، ص ١١٠.
- (١٣) المرجع السابق، ص ١٠٨.
- (١٤) العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٣٥٦.
- (١٥) أنور عبدالعليم، الملاح وعلوم البحار عند العرب، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٩، ص ٨٥ - ٨٦.
- (١٦) العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٢٥٥.
- (١٧) يوسف الشاروني، سنيباد في عمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٥٧.
- (١٨) المرجع السابق، ص ٢١٣.
- (١٩) العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ١٥٩.
- (٢٠) الملاح وعلوم البحار، ص ٨٤.
- (٢١) أخبار الهند والصين، النص العربي، ص ١٤٠ - ١٤١.
- (٢٢) مقتبس عن العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ١٥٩.
- (٢٣) العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٢٥٤.
- (٢٤) عمان وتاريخها البحري، ص ١٥٦.
- (٢٥) المرجع السابق، ص ١١٢.
- (٢٦) عجائب الهند، ص ٧٠.
- (٢٧) المصدر السابق، ص ٩١.
- (٢٨) العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٣٦٥، و«عمان وتاريخها البحري»، ص ١١٣.
- (٢٩) عجائب الهند، ص ١٠٨، مسعودي: مروج الذهب، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢، ص ٩٤، أخبار الهند والصين طبعة سواقية، النص العربي، ص ١٠.

Jean Sauvaget: Relation de la Chine et de l'Inde Redigee en 851.
Paris. Societe d'edition Les Belles Lettres, 1948

- (٣٠) عمان وتاريخها البحري، ص ١١٤.
- (٣١) العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٢٧٢.
- (٣٢) Clowes, Sailing Ships. London, 1930. p.53
- (٣٣) العرب والملاح في المحيط الهندي، ص ٦٢.
- (٣٤) برك بن شهرديار، الزمام هرمزي، عجائب الهند، تحقيق يوسف الشاروني: رياض الريس للكتب والنشر، لندن،

- ١٩٩٠، ص ٧١.
- (٣٥) العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص ٢٦٣.
- (٣٦) ابن ماجد الملاحة، ص ١٠٥، الملاحون وعلوم البحار عند العرب، ص ٢١٥.
- (٣٧) المرجعان السابقان، ص ١٠٧، ٢١٦ على التوالي، أنظر كذلك: يوسف الشاروني، سندباد في عمان، أحمد بن ماجد بحار عماني عظيم، ص ٤٩.
- (٣٨) حصاد ندوة الدراسات العمانية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٠، ج ٤، ص ١١٢.
- (٣٩) اعتمدنا في هذا الجزء الأخير من الدراسة أساساً على الفصل الرابع عشر من كتاب: عمان دولة بحرية، ص ١١٧ - ١٥٢.
- (٤٠) عائشة السيار: دولة البعارة، ص ٦٦ - ٦٧.
- (٤١) المرجع السابق، ص ٦٨.
- (٤٢) شهاب، حسن صالح: فن الملاحة عند العرب، ص ٥٢، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢ م.
- (٤٣) في القرنين الثامن والتاسع ترجمت كتب عديدة عن الفارسية والهندية واليونانية إلى العربية ووضع الأسطرلاب، وكتب علي بن عيسى رسالة عن الفلك قبل عام ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م، ثم ظهر خلال القرون المتعاقبة كبار الفلكيين المسلمين. انظر: حوراني: المرجع السابق، ص ٢٧٥ - ٢٧٦.
- (٤٤) حوراني: المرجع السابق، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.
- (٤٥) مايلز، المرجع السابق، ص ٣٤٢، ومذكرات بارسونيز، عبارة عن معلومات جمعها مايلز من وثائق ويسلون ولستد وأتيكوك وبيلي وغيرهم في القرن التاسع عشر.
- (٤٦) مايلز: المرجع السابق، ص ٣٢٧ - ٣٢٨.
- (٤٧) مايلز: المرجع السابق، ص ٣٣٠ - ٣٣٤.

الباب الخامس

عُمان في العصر الحديث

الفصل الأول : قيام دولة اليعاربة وجهود ناصر بن مرشد في توحيد البلاد.

الفصل الثاني : التفوق البحري العماني وأثره على العلاقات الخارجية في عصر اليعاربة.

الفصل الثالث : أحمد بن سعيد وقيام دولة البوسعيد.

الفصل الرابع : المؤثرات الحضارية العمانية في شرق إفريقيا في ظل دولة البوسعيدية.

الفصل الخامس : الملاحة والتجارة خلال القرن الأول من حكم دولة البوسعيد.

الفصل السادس : التنظيم الإداري في الدولة البوسعيدية.

البحوث المقدمة والمستخلص منها هذا الباب

- أولي الانتصارات العربية في العصر الحديث طرد البرتغاليين من عمان للاستاذ الدكتور محمد محمود السروجي، جامعة الإسكندرية.
- دور العمانيين في التخلص من السيطرة البرتغالية، للدكتور لطفى جعفر فرج، جامعة المستنصرية بالعراق.
- دولة اليعاربة بين الوحدة الوطنية والانتصارات الخارجية، للدكتورة محمد صابر عرب، جامعة السلطان قابوس.
- نشأة الدولة البوسعيدية، للدكتور مصطفى عقيل، جامعة قطر.
- قيام الدولة البوسعيدية... الأسباب والنتائج، للدكتور عبد اللطيف الرميحي، والدكتور فؤاد شهاب، جامعة البحرين.
- صلات عمان بشرق إفريقيا في العصور الحديثة، للدكتورة سنى محمد الطائى، إتحاد المؤرخين العرب.
- النجدة العمانية للبصرة عام ١٧٧٥ - ١٧٧٦، للدكتور طارق نافع الحمدانى، جامعة بغداد.
- العلاقات العمانية الفرنسية في النصف الثانى من القرن الثامن عشر، للدكتور صالح محمد العابد، جامعة بغداد.
- العلاقات العمانية الأمريكية في القرن التاسع عشر، للاستاذ الدكتور رأفت غنيمى الشيخ، جامعة الزقازيق بجمهورية مصر العربية.
- تطور الملاحة والتجارة العمانية في الخليج العربي والمحيط الهندي، للدكتور محمود على الداود، إتحاد المؤرخين العرب.
- بريطانيا وتقسيم سلطنة مسقط - زنجبار في ضوء الوثائق البريطانية، للاستاذ الدكتور جاد محمد طه، جامعة عين شمس.
- قراءة في كتاب تقسيم الإمبراطورية العمانية، للدكتور مصطفى عبد القادر النجار، إتحاد المؤرخين العرب.
- العلاقات الخارجية العمانية ١٨٧١ - ١٨٨٨ م، للدكتور سمير محمد طه، جامعة أسيوط بجمهورية مصر العربية.
- التفوق البحري العماني وأثره على العلاقات الخارجية في عصر اليعاربة، للاستاذ الدكتور محمد صابر عرب، جامعة الأزهر.
- المؤثرات الحضارية العمانية في شرق إفريقيا، للدكتور إبراهيم الزين صغبيون، جامعة السلطان قابوس.
- أضواء على جوانب من التأثير الحضاري العماني في شرق إفريقيا، للاستاذ الدكتور عبدالفتاح حسن أبو عليه، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض.
- التطور في مجال التجارة والملاحة خلال حكم البوسعيديين، للدكتور عبد الأمير محمد أمين، العراق.
- التنظيم الإداري في الدولة البوسعيدية، للدكتور عبدالله محمد عبدالرحمن، أستاذ مساعد بقسم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - مصر.

الفصل الأول

قيام دولة اليعاربة وجهود الإمام ناصر بن مرشد في توحيد البلاد

ظهور البرتغاليين في مياه المحيط الهندي واحتلالهم لسواحل عمان :

تعرض العالم العربي والإسلامي منذ أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر لموجة عاتية، تمثلت في طلائع الزحف الاوروبي على الشرق... هذه الموجة التي اندفعت من البرتغال عقب خروج العرب من الأندلس، وماكانت تحملها في طياتها من حقد وما كان يشوبها من تعصب... وكانت تهدف إلى تعقب العرب في كل مكان، وضربهم في عقور دارهم، وانتزاع التجارة من أيديهم... ومما يدل على النزعة الصليبية لتلك الحملات البرتغالية ما كتبه الملك عما نويل ملك البرتغال في رسالته الى البابا بولس الثاني عام ٩١١هـ / ١٥٠٥م حيث يقول : (إنه ليس عازماً على المضي في القضاء على التجارة الملوكية فقط، بل انه سيجاهد في سبيل المسيحية حتى يجعل من مكة هدفاً لمدافعه وجنوده)^(١).

والحقيقة أن الدولة العثمانية خلال العقد الأول من القرن السادس عشر كانت هي القوة المهيمنة والقادرة على مواجهة البرتغاليين، وبينما كانت تخوض حروباً ضارية على الجبهة الشرقية من أوروبا وتحرز إنتصارات متوالية كان البرتغاليون قد تسللوا الى المياه الشرقية في الوقت الذي كانت فيه القوى الإسلامية في المحيط الهندي والخليج العربي منشغلة بكثير من المشكلات الداخلية لذا فقد أخذت دولة المماليك على عاتقها عبء المواجهة على اعتبار أنها في مقدمة القوى التي اضيرت من الوجود البرتغالي، وبمساعداة عسكرية من البنادقة الذين حلت بهم خسائر اقتصادية فادحة بسبب تحول طريق التجارة الى رأس الرجاء الصالح، لذا فقد راح الاسطول المملوكي يخوض حرباً غير متكافئة على الشواطئ الهندية مما تسبب في هزيمة المماليك هزيمة ساحقة في منطقة ديو ١٥٠٩م مما دفعهم الى الإنسحاب من حلبة المواجهة ساخطين من الموقف المتخاذل للقوى الإسلامية في غرب الهند التي لم تقدم لهم يد المساعدة.

وبعد أن فتح العثمانيون مصر ورثوا فيما ورثوه من ممتلكات مصر المملوكية، خطر التهديد البرتغالي للعالم الإسلامي، وكان عليهم أن يتحركوا لمنع البرتغاليين من تطويق شبه الجزيرة العربية بعد أن سيطروا على الذراع الايمن في الخليج العربي، وتطلّعوا غرباً للسيطرة على الذراع الأيسر وهو البحر الأحمر. وياتى البحر الأحمر في إهتمامات العثمانيين الأولى حيث توجد ممتلكاتهم في مصر

والحجاز، فساروا على الإستراتيجية العسكرية التي وضعها المماليك لتأمين البحر الأحمر... على أن يستتبع ذلك تأمين الخليج.

وبعد أن ثبت البرتغاليين أقدامهم على سواحل الهند بدأوا ينفذون خططهم في تطبيق شبه الجزيرة العربية من ناحية الشرق، أى من الخليج العربي، حيث استولوا على بعض الجزر وبدأوا في مهاجمة عمان.

وكانت عمان قد مرت خلال القرن الخامس عشر بمرحلة من عدم الاستقرار، وعمت أرجاءها المنازعات بين الأمراء المحليين، مما مهد الطريق لسقوط سواحلها في أيدي الغزاة البرتغاليين الذين إتضح لهم أهمية عمان، مثلما اتضح لهم من قبل أهمية السواحل العربية الأخرى وشرق إفريقيا في طريقهم إلى الهند، وذلك بعد الرحلة التي قام بها المكتشف البرتغالي (فاسكو دى جاما) عام ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م... فبعد عشر سنوات توطن النفوذ البرتغالي في زنجبار والجزر المحيطة بها مثل (مافيا) و(بيمبا) (٢)، ووصلت إلى عمان أول حملة بقيادة الفونسو البوكيرك عام ٩١٣ هـ / ١٥٠٧ م حيث أحرقت السفن العمانية ومراكب صيد الأسماك واحتلت (مسقط) و(صحار) و(صور) و(قريات) وأقام البرتغاليون عدداً من الحصون لتوطيد نفوذهم في عمان وقاموا بإرهاب العمانيين فقتلوا وجردوا الأنوف وقطعوا الأذان لعدد كبير من وجهاء مسقط ثم أحرقوها بالنار كما أحرقوا قلهات وطيوى ودارسيت وجلفار (٣)، ثم أسس البرتغاليون مركزاً تجارياً في جوا Goa على الساحل الغربى للهند والذي أصبح منذ ٩١٥ هـ / ١٥٠٩ م قاعدة لهم الرئيسية في شبه القارة واندفعوا أكثر نحو الشرق إلى جزر التوابل (اندونيسيا والملايو) ليؤسسوا للمائة سنة التالية إحتكاراً لتجارة التوابل مع أوروبا قائماً مع (٤) المحطة التجارية الكبرى التي أسسوها في ملقا Malacca.

كان غزو عمان إذن جزءاً من خطة واسعة إمتزجت فيها الجوانب الإقتصادية والدينية، ووضعها الكابتن الفونسو البوكيرك لضرب الوجود الإسلامى في البحار الشرقية، وكسر إحتكار العرب التجاري والسيطرة على تجارة الشرق التي تمر عبر المحيط الهندي وذلك بالسيطرة على منافذه المعروفة المتمثلة بصورة خاصة في البحر الأحمر والخليج العربي ومضائق (مالقا) وتحويلها إلى طريق رأس الرجاء الصالح، ولذلك فإن الغزو البرتغالي لعمان كان خطوة تهدف منها البرتغال إلى تقوية مركزها في الخليج وتأمين التموين من مياه الشرب والمواد الغذائية للقواعد البرتغالية... ولم يستطع العمانيون صدهم في أول الأمر لأنهم جاءوا بأساطيل قوية مؤلفة من سفن كبيرة ذات أسلحة نارية فتاكة لم يكن لسكان المنطقة عهد بها من قبل، ولذلك عجزوا عن مقاومتها (٥).

وبعد غزو عمان على هذا النحو في عام ١٥٠٧ م بدأ التغلغل البرتغالي في الخليج عام ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م حيث غزا القائد البرتغالي البوكيرك Pedro Albuquerque جزيرة هرمز، وأرغم أميرها على دفع غرامة حربية، بالإضافة إلى ضريبة سنوية تقدم للسلطات البرتغالية (٦).

لما خشى البرتغاليون من محاولة الفرس السيطرة على جزيرة هرمز، وذلك للعلاقات الودية التي تربط أميرها بشاه إيران، عاود البوكيرك غزو هذه الجزيرة مرة أخرى، ورفع عليها علم بلاده، وقضى على سيطرة أمرائها على مياه المحيط

الهندي والبحر الأحمر التي إستمرت زهاء قرنين ونصف من الزمان^(٧). ولم يكتف البرتغاليون بالإستيلاء على هرمز التي تسيطر سيطرة تامة على مدخل الخليج العربي، بل وجهوا نشاطهم العسكرى الى بقية بلدان الخليج، فاحتلوا البحرين والبلدان المجاورة لها حتى الكويت^(٨). ولكن لم يلبث أن ظهر للبرتغاليين منافسون من الإنجليز والهولنديين.

النشاط الإنجليزي الهولندي في مياه الخليج وأثره في اضمحلال قوة البرتغال :

إستمرت السيطرة البرتغالية في عمان منذ بداية القرن السادس عشر وحتى عام ١٦٦٠ هـ / ١٦٥٠ م حين استطاعت أسرة اليعاربة تحرير أرض عمان بطردها البرتغاليين من معاقلمهم في مسقط ومطرح^(٩). وكان ذلك التحرير ثمرة الكفاح والإرادة العمانية التي استثمرت تنافس وصراع الإنجليز والهولنديين مع البرتغاليين لتخرج منه في النصف الأول من القرن السابع عشر أقوى قوة بحرية محلية في غرب المحيط الهندي قادرة على إنهاء السيطرة البرتغالية.

وكانت إنجلترا قد برزت منذ أواخر القرن السادس عشر كقوة بحرية ضاربة بين القوى الأوروبية، وراحت تفتش عن سبيل الوصول الى مناهل الثراء الشرقية وكسر الإحتكار البرتغالي^(١٠)، فكانت (إدوارد بانونتني Edward Banouentu) أول سفينة إنجليزية قامت بزيارة زنجبار عام ١٠٠٠ هـ / ١٥٩١ م، وظهرت نتائج زيارتها بعد تسع سنوات حين تشكلت شركة الهند الشرقية الإنجليزية^(١١) التي تأسست بموجب مرسوم ملكي صدر في ١٠٠٩ هـ / ١٦٠٠ م، والتي إقترن بها نشاط إنجلترا التجارى والبحرى فيما بعد.

بدأت شركة الهند الشرقية تمارس نشاطها بدخول منطقة الخليج العربي وكان هدفها من دخولها لهذه المنطقة، بيع الأصواف الإنجليزية في إيران مقابل الحصول على الحرير، وبذلك التقت مصالح كل من الإنجليز والفرس لمهاجمة العدو البرتغالي المشترك، وقد بلغ الخطر الإنجليزي الفارسي على مركز البرتغاليين أوجه في صفر ١٠٣٢ هـ / يناير سنة ١٦٢٢ م وذلك على إثر الهجوم المشترك الذى شنه الإنجليز والفرس على هرمز^(١٢)، كذلك تعاون الإنجليز مع الهولنديين لإزاحة المنافسة البرتغالية، فنجح أسطول إنجليزي - هولندي مؤلف من ثمان سفن في دحر الأسطول البرتغالي بالقرب من هرمز فى عام ١٠٣٥ هـ / ١٦٢٥ م^(١٣).

ومن ثم اتاحت الفرصة لظهور النشاط الهولندي في البحار الشرقية، وعلى الفور ظهر في مياه البحر العربي والخليج العربي منذ أوائل القرن السابع عشر أيضاً وناقسوا البرتغاليين منافسة شديدة كانت سببا في إضعافهم وتقليص نفوذهم^(١٤)، بل كانوا من أكثر الدول الأوروبية إسهاماً في إضعاف النفوذ البرتغالي في البحار الشرقية خلال القرن السابع عشر بعد أن أسسوا شركتهم للهند الشرقية في سنة ١٠١١ هـ / ١٦٠٢ م، وتمكنوا في خلال وقت قصير منذ ذلك التاريخ من أن يصبحوا المنافسين الرئيسيين للبرتغاليين في تجارة التوابل^(١٥).

ولم تكن المصالح التجارية للهولنديين في المحيط الهندي والخليج العربي السبب الوحيد في وقفهم في وجه البرتغاليين، فقد كان لإغلاق ميناء (الشبونة) في وجه هولندا بعد أن انضمت البرتغال الى عرش إسبانيا في ٩٨٨ هـ / ١٥٨٠ م، وكذلك

التعرض للسفن التجارية الهولندية في أوروبا، ولجوء البرتغال الى رفع أسعار البضائع الشرقية وخاصة التوابل لكي يحرّموا على الهولنديين شراءها^(١٦)، كان لذلك كله أثره في زيادة الصدام بين القوتين، وفي تعاون الهولنديين مع الإنجليز في ضرب المصالح البرتغالية.

ومع أن التعاون بين الهولنديين والإنجليز أدى بالتالي الى ضعف النفوذ البرتغالي خلال النصف الأول من القرن السابع عشر، إلا أن أيضاً منهما آنذاك لم يمتلك نفس الدرجة من النفوذ الذي تمتع به البرتغاليون في القرن السادس عشر، ويرجع سبب ذلك الى المنافسة الحادة التي ظهرت بعد وقت قصير بين هاتين القوتين^(١٧) من جهة، ونشاط ونضال القوى المحلية من جهة أخرى.

ونتيجة لذلك كله بدأ النفوذ البرتغالي يتقلص، وخرجت بلدان كثيرة من دائرة نفوذهم، وضاعت هرمز من أيديهم في عام ١٠٣٢ هـ / ١٦٢٢ م ومن ثم فقد البرتغاليون السيطرة على مياه الخليج العربي، واستغل عرب عمان هذه الفرصة وواصلوا الإعداد الجيد لطرد البرتغاليين المحتلين من البلاد.

وكان قيام دولة اليعاربة في عمان (١٠٣٤-١١٥٧ هـ / ١٦٢٤-١٧٤٤ م)^(١٨) إيذاناً باقوال نجم البرتغاليين.

٢ - قيام دولة اليعاربة وجهود الإمام ناصر بن مرشد في توحيد البلاد :

قامت دولة اليعاربة في عمان في عام ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م نتيجة لظروف عديدة، منها أن البلاد كانت تعاني الكثير والكثير من الفوضى السياسية قرب نهاية عهد النباهنة، تلك الدولة التي عمرت خمسة قرون كانت الثلاثة القرون الاولى تمثل فترة قوتها، ومع اقتراب القرن الخامس عشر بدأت عوامل الضغط تعمل في كيانها كنتاج طبيعي لانقسام الدولة الى ممالك وكيانات ضعيفة عجلت بنهائيتها.

وتشير المصادر العمانية الى أن تاريخ النباهنة لم يكن كله ضعفاً وإنما كانت هناك فترات قوة، حيث حكم عمان بعض الحكام العظام، لعل أشهرهم فلاح بن محسن^(١٩).

ولكن يبدو أن قوة الدولة في عصر النباهنة بدأت تنهار حينما اسند مناصب ولاية الاقاليم الى من اشتهد فسادهم، حيث اهدرت حقوق الناس وامتهنت كرامتهم، وانهارت قيم العدل والحق، ومن ثم سادت روح الانانية. ولعل اخطر ما أصيبت به دولة النباهنة هو تسرب روح اليأس الى نفوس الناس حيث راحوا يتطلعون الى التغيير مستشهدين بنماذج من الاثمة العظام، وكلما تضاعفت وطأة الحكام على رعيّتهم كلما تضاعف السخط بسبب الدماء التي سفكت والأموال التي أخذت ولذا فقد أجمع العمانيون على اختيار أبي الحسن بن عامر الأزدي إماماً ثم الإمام عمر بن الخطاب الخروصي وهو الذي حاز أموال النباهنة^(٢٠).

ولكن شوكة النباهنة لم تكن قد إنتهت بعد، حيث خرج سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني على الإمام عمر الخروصي ومن ثم دخلت عمان مرحلة أخرى من الحروب الأهلية الطاحنة، الى أن ظهر محمد بن إسماعيل الذي أجمع الناس على إمامته (٩٠٦-٩٣٧ هـ / ١٥٠٠-١٥٣٠ م) مما أكسبه قدراً كبيراً من الشرعية مكتسبة من القضاء على سليمان النبهاني.

إلا أن القضاء على سليمان النبهاني لم يكن كفيلاً بانهيار شوكة النباهنة تماماً،

ولذلك لم اتسقر الأوضاع وتفاقت الأحوال عموماً وانقسم الناس وفقاً لنزاعات قبلية وبعد مبايعة الإمام بركات بن محمد بن إسماعيل إماماً ظهرت معارضة مصحوبة باضطرابات وانقسامات قبلية ضاعفت من تردى الأحوال بشكل عام.

ونتيجة لهذه الاضطرابات تحولت عمان الى مجموعة من المقاطعات الصغيرة يحكمها أمراء وشيوخ، واتسمت العلاقة بينهم جميعاً بقدر كبير من التوتر. وفي هذه الأثناء اتخذ البرتغاليون هرزم قاعدة عسكرية لهم، بينما تبذرت القوة العمانية بسبب الحروب الأهلية... وفي الوقت الذي إنشغل فيه العمانيون بسبب خلافاتهم عمل البرتغاليون على مضاعفة سيطرتهم على العديد من المواقع الاستراتيجية في الخليج العربي فاستولوا على صحار ومسقط وغيرهما من الموانئ العمانية كما سبق القول، وأصبحوا يتحكمون في الخليج العربي والمحيط الهندي بأكمله، وكانت كل القوى العربية والإسلامية مستهدفة وعلى الرغم من ذلك فلم يحدث أي قدر من التنسيق لمواجهة العدو المشترك بل اتسمت العلاقات بين كل القوى العربية والإسلامية بقدر كبير من التصارع، فهام العثمانيون يواجهون الفرس ويعلنون عليهم الحرب ويستبيحون عاصمتهم، بينما المالك من قبل قد راحوا ينسقون مع البنادقة في محاولة للتصدي للبرتغاليين، أما بقية القوى العربية في الخليج كالجبور والنباهنة ومملكة هرزم فقد إتسمت علاقاتهم بقدر كبير من الصراع، بل راح كل منهم يتطلع لد نفوذه على حساب الآخر مما بدد قوة الجميع وحال دون تضامنهم.

وهكذا كان وصول البرتغاليين الى مياه الخليج وتدعيم نفوذهم في عمان بداية لحقبة تاريخية واكبتها حالة من التصدع على كل المستويات العمانية، حيث انقسمت البلاد الى كيانات ضعيفة واصبح الساحل العماني من صور الى مسقط ثم صحار وجلفار تحت السيطرة البرتغالية.

وبينما كان البرتغاليون يجهزون على كل القوى الخليجية كانت عمان تشهد مولد عهد جديد وزعامة جديدة أرسى دعائمها ناصر بن مرشد بطريقة استوعبت كل القوى العمانية.

جهود الامام ناصر بن مرشد في توحيد البلاد :

مع بداية القرن السابع عشر كانت هناك بعض المتغيرات التي حدثت في الخليج العربي لعل في مقدمتها ظهور شركة الهند الشرقية البريطانية بما تملك من امكانيات ونفوذ وقد استطاعت هذه الشركة أن تبديد قدراً من سياسة الإحتكار التي فرضها البرتغاليون على الخليج العربي، ثم دخلت كطرف أساسى في الصراع الدائر حينما تضامنت مع الشاه عباس في طرد البرتغاليين من هرزم عام ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م وفقاً لاتفاقية ميناب^(٢١) التي أبرمت بينهما.

وكان طرد البرتغاليين من هرزم نقطة تحول مما ضاعفت من مهمة العمانيين. فقد إستقر البرتغاليون على السواحل العمانية وضاعفوا من تحصيناتها وخصوصاً مسقط التي كانت تعد من أقوى معاقلمهم القوية.

ولعل من أهم المتغيرات التي حدثت في منتصف العشرينات من القرن السابع عشر، ظهور ناصر بن مرشد كأول إمام لدولة اليعاربة، وقد إستطاع هذا الإمام أن يستوعب كل أبعاد القضية، وأن يدرك المتغيرات الجارية من حوله سواء على المستوى

العماني أو على مستوى المنطقة بشكل عام، ولذا فقد أدرك ثقل المهمة وقدر كل أبعادها حيث اعتقد أن مواجهة البرتغال لا يمكن أن تكون حاسمة إلا إذا استندت إلى جبهة وطنية مترابطة ومتماسكة، وهو أمر لا يمكن تحقيقه إلا إذا خاض حروباً ضارية في سبيل توحيد كل القبائل العمانية.

وبما أن منطقة الرستاق هي التي شهدت بعث امامة ناصر بن مرشد، فقد كان عليه أن يبدأ بها، ولهذا مضى معه جمع من أنصاره نحو قلعة الرستاق وكان المالك للرستاق ابن عمه مالك بن أبي العرب اليعربي، وبعد حصار لم يدم طويلاً فتحها الإمام (٢٢).

ولم يلبث أن أدرك الإمام ناصر أن العدو القابع على السواحل العمانية يضاعف من إمكاناته يوماً بعد يوم، وأن أية محاولة لطرده مشكوك في نتائجها دون أن يصل بالبلاد إلى حد معقول من الوحدة التي أصبحت هدفاً أساسياً، فلم يكن من المعقول أن يبادر بإعلان الحرب على البرتغاليين والبلاد مقسمة (٢٣)، وكان لابد من توحيد البلاد ولا بد من ظهور مساعدات قدمها أفراد وقبائل آمنوا بهذه الوحدة.

وقد أجمعت مصادر التراث العماني على أهمية الدور الذي قام به الشيخ خميس بن سعيد الشقصي الذي كان موضع ثقة أهل الرستاق، حيث أنه ناصر الإمام في كل خطواته بدءاً من اختياره اماماً (٢٤)، وانتهاء بالجيش التي قادها في سبيل تحقيق الوحدة. ومن الصعب اغفال زعامات قبلية ودينية أمنت بقضية الوحدة مثال ذلك قبيلة الهمد التي ساندت الإمام ناصر بن مرشد مادياً وبشرياً مما كان له أكبر الأثر في تأمين الحرب في بدايتها والسيطرة على كل منطقة الرستاق... لقد وضعت القيادة العسكرية المصالح العليا للبلاد فوق كل اعتبار لدرجة أن قرية (نخل) كان مالكها سلطان بن أبي العرب اليعربي (عم الإمام ناصر بن مرشد)، وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هذه القرية في مقدمة المناطق التي حاصرتها قوات الإمام حتى تم فتحها بعد عدة أيام وعين عبدالله بن سعيد الشقصي والياً عليها (٢٥).

وقد تميزت هذه الحروب التي قامت بين الإمام وبين بعض الزعامات المحلية بقدر من الحسم والاقدام الشديدين منذ بدايتها، مما ضاعف من إيمان الناس بقضية الوحدة، حتى التقوا حول الإمام مؤمنين بدعوته، وأصبحت المنافسة والسبق في معاضدة الإمام مظهرين جذيرين بالتسجيل والملاحظة، وكلما تحقق قدر من الوحدة كلما تضاعف إيمان الناس بقضيتهم وتطلعوا إلى غد، حتماً سيتحقق فيه النصر على عدوهم.

ونظراً لعدالة القضية التي تنبأها الإمام ناصر وانتصاراته التي لفتت الأنظار، فقد بادر أهل نزوى بدعوته إلى تملكها، ولأهمية نزوى في مخططات الإمام فقد عجل بالسير إليها بنفسه، إلا أنه على ما يبدو لم تكن تلك الدعوة تمثل رغبة بعض أهلها الذين تصدوا لقدم الإمام وبادروه بالحرب، مما دفعه إلى العودة إلى الرستاق حيث جاءه وفد من سمائل برئاسة ملكها مانع بن سنان العميري معلناً ولاءه ومبايعته. وبما أن نزوى كانت موضع تفكير أساسي في ذهن الإمام، فقد توجه إليها من سمائل ودخلها وكان لعامل المباغثة أكبر الأثر في إجماع أهلها على مبايعته.

واللافت للنظر هو حرص الإمام على عدم أراقة دماء الناس، ولذا فقد كان يستخدم كل الامكانيات المتاحة من الاقتناع والحجة، وما كان يلجأ إلى الحرب إلا إذا

حتمتها الظروف وفرضتها المصلحة العامة لكافة الاهالي.

ولم يكن من الممكن أن تتحقق كل تلك الانتصارات الكبيرة الا بمعاضدة كثير من القبائل التي ناصرت الامام وهو يتأهب لفتح نزوى، التي كان بعض اهلها يضمرون له الشر كما سبق القول.

وعلى الرغم من انه وقف على نواياهم الا أنه نهى عن قتلهم مقابل اخراجهم^(٣٦) من وطنهم في العقر، فلجأ الى مانع بن سنان في سمائل، وكان مانع هذا سبق وأعطى عهدا للامام، ولكن ثبت انه لم يكن صادقا في عهده، بل كان يتحين الفرصة للنيل من الدعوة وقائدها.

ونظرا لثقل المهمة التي كان يقوم بها الامام ناصر بن مرشد واستعدادا لحروب قد تطول اكثر مما كان يتوقع، لذا فقد كان يقيم في المناطق التي كان يدخلها حصنا أو قلعة بعد ان يترك احدا من اتباعه لكي يواصل مهمته في ترسيخ مبادئه ومواصلته لدعوته التي اخذت تنساب في كل ارجاء عمان. وقد حققت هذه السياسة تعاظم نفوذ الامام اضافة الى عدالته التي كانت مضرب المثل مما دفع المترددين الى القدوم اليه طالبين بسط سلطته العادلة^(٣٧).

ومما يؤكد صعوبة المهمة التي مضى الامام في سبيل تحقيقها كثرة الممالك التي اقيمت على مقومات قبلية بحيث يصعب التمييز فيها بين القبلية والحكومة^(٣٨). ذلك ان الحكم كان بيد شيخ القبيلة الذي كان يطلق عليه تجاوزا ملكا او اميرا، اما فكرة الدولة القومية الواحدة والادارة المركزية فهي من المفاهيم التي لم تتعود عليها القبائل في تلك الفترة.

لعل الامام ناصر كان يعول اهمية كبيرة على نزوى ولذا فبمجرد ان فتحها فضل ان يترتب لبعض الوقت ويبدو انه كان يتوقع توافد القبائل عليه تجنباً لاراقة الدماء، وقد تحقق ما توقعه الامام، حيث استجاب لدعوته اهل منح وسعد الشأن وابرا وكل المنطقة الشرقية ما عدا صور وقريات، حيث كانتا تحت السيطرة البرتغالية^(٣٩).

ومن الظواهر اللافتة للنظر في سياسة الامام انه كلما حقق قدرا لا بأس به من الوحدة، راح يترتب ترقيبا لرد فعل قد يحول دون الحرب، ولعلها فرصة لاعادة ترتيب جندته ومحاولته العودة لتفقد المناطق التي دخلت في حوزته، وهي سياسة حكيمة تتعدد فوائدها على كل المستويات، ورغم ذلك فقد فوجيء الامام بتمرد منطقة الظاهرة. وقد وصل امر هذا التمرد الى حد التفكير في اغتياله، ولذا فقد استنفر هم القبائل التي لبثت دعوته، واختار الشيخ خميس بن رويشد لكي يكون قائدا للجند، وحدثت مواجهة ضارية قتل خلالها جاعد بن مرشد (شقيق الامام ناصر)^(٤٠) وتشير بعض المصادر العمانية الى ان تمرد منطقة الظاهرة كان من اصعب المواقف التي واجهها الامام، حيث قتلت اعداد كبيرة من قواته بسبب المباغثة وتراجع بعض القبائل عن تاييدها له، مما دفع الامام الى ان يتولى بنفسه قيادة العمليات العسكرية ولعل ذلك كان سببا اساسيا في السيطرة على زمام الموقف، حيث ارتفعت معنويات الجند الذين قاتلوا بشجاعة منقطعة النظير في مناطق عبري وحصن الغبي وكافة مناطق الظاهرة.. وقد تأكد للامام ان تمرد اهل الظاهرة كان مرده الى مؤامرات ناصر بن قطن، والذي حوَصر في قلعة الى ان استنجد بالامام طالبا عفوّه. وبعد ان انتهى امر الظاهرة جاء دور الجبور الذين ادركوا ان تنامي دولة الامام يتعارض بشكل او

اخر مع نفوذهم الذي كانوا يمارسونه على كثير من القبائل التي نجحوا في اثارها، بل بالتحالف مع بعضها للقضاء على الامام ودولته (٣١).

وقد نمت الى علم الامام ان الجبور يخططون لقتله شخصيا، ولعلها كانت مؤامرة اشتركت فيها بعض القبائل التي كانت قد اعلنت الحرب على الامام، ودارت معركة كانت من اشد المعارك ضراوة انهزم فيها الجبور واتباعهم بعد ان قتل اعداد كبيرة منهم. ويصف الازكوى تلك المعركة قائلا : «لقد كثر القتل في البغاة حتى قيل انهم عجزوا عن دفنهم فكانوا يجعلون السبعة والثمانية في خبة» (٣٢).

وبعد ان هزم الامام الجبور كما رأينا بدأ يأخذ بسياسة النفس الطويل، ولذا فقد اخذ يبعث بالسرايا لمناوشة خصمه في مكان ما بينما كان يبيت النية لخوض حرب كبيرة في منطقة اخرى وخصوصا حينما اوشك ان يستكمل سيطرته على معظم انحاء عمان، وتنفيذا لهذه السياسة، فقد بعث بعدة سرايا يقودها محمد بن غسان النزوى، الذي صدرت اليه الاوامر لكي يتوجه الى (الجو) ناحية الريمي لكي يفتحها تمهيدا لدخول قرية لوى والتي كان يقطنها الجبور الذين كانوا يغيرون على جيش الامام كلما سنحت لهم الفرصة (٣٣).

وكانت السيطرة على منطقة (الجو) عملية سهلة، اما لوى فقد استعصي فتحها على قوات الامام بسبب تحصيناتها وكثرة المدافعين عنها، مما اضطر محمد بن غسان النزوى الى طلب العون من القبائل القريبة من صحار، والتي كانت تتطلع الى قوات الامام وترقب انتصاراتها بهدف التعجيل للقاء الحاسم بين العُمانيين والبرتغاليين في صحار. وبعد حصار دام اسبوعا تم السيطرة على لوى، وبدأ التفكير عمليا في صحار.

وهكذا استطاع الامام ناصر بن مرشد خلال سنوات حكمه والتي امتدت حتى ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م، ان يحقق لعمان تماسكها ويؤمنها الى حد كبير من الاخطار الخارجية التي كانت تتعرض لها، وكانت محاولاته نحو الوحدة باعثة على تحقيق الامل الكبير الذي افتقرت اليه البلاد منذ زمن طويل (٣٤). وينفرد الامام ناصر بن مرشد بين ائمة اليعاربة بتصديده لهذا الكم الهائل من المشكلات حيث حارب في جبهتين (الساحل والداخل)، وعند وفاته في (ربيع الثاني ١٠٥٩ هـ / ٢٣ ابريل ١٦٤٩ م) كانت كل القبائل العمانية تحت لواء واحد، وعموما فان فترة الامام ناصر بن مرشد تعتبر من اغنى وأخصب الفترات في تاريخ اليعاربة، ويعد دوره في سبيل الوحدة الوطنية اساسا لكل الانتصارات اللاحقة ضد البرتغاليين.

واذا كانت عمان منذ ١٠٣٤ هـ ١٦٢٤ م وحتى وفاة الامام ناصر بن مرشد ١٠٥٩ هـ / ١٦٤٩ م قد واجهت حروبا اهلية طاحنة الى انها قد انتهت مرحلة التمزق والتشتت، حيث بدأت مرحلة جديدة من الوحدة في ظل حكومة مركزية وانتهى العهد الذي كانت فيه مقسمة الى دويلات صغيرة تحت رئاسة ملوك ضعاف ارتضوا ان يحكموا دويلات هزيلة، بدلا من ان تقوي بلادهم وتتحد، ويكل المقاييس فان جهاد الامام ناصر بن مرشد في سبيل الوحدة يعد صفحة ناصعة من الكفاح والبطولات.

دور اليعاربة في القضاء على النفوذ البرتغالي في عُمان وساحل شرقي أفريقيا:

اذا كان الامام ناصر بن مرشد قد انجز تحقيق الوحدة الوطنية، الا ان الوجود البرتغالي على السواحل العمانية كان في حاجة الى امكانات جديدة تفوق تلك الامكانات

التقليدية التي استخدمها اليعاربة في سبيل القضاء على الحروب الاهلية والانصياع لسلطة الدولة الموحدة... لقد وقعت كل المعارك التي خاضها الامام ناصر بن مرشد من اجل الوحدة على اليايسة، اما البرتغاليون فقد كانوا اهل بحار، وطريقتهم في الحرب اعتمدت على السفن التي شهدت طفرة كبيرة منذ الكشف الجغرافية، ولذا فان سياستهم الاستعمارية اعتمدت على احتلالهم لكثير من المدن والقلاع والحصون التي تقع في طريق البحار والمحيطات، دون اللجوء الى التعمق في اليايسة والذي لا يتناسب وامكاناتهم البشرية.

ادرك اليعاربة مقدرة عدوهم القادم من اقصى الطرف الاوروبي كدولة بحرية خاضت معارك طاحنة في سبيل الحفاظ على مكانتها، ولذا فقد كانت العناية بالاسطول وتنمية الموارد الاقتصادية من الركائز الاساسية التي اعتمد عليها اليعاربة، ولذلك فقد طوروا اسطولهم التجاري والعسكري مستفيدين من خبرة الدول الاكثر تقدما في هذا المجال وخصوصا شركة الهند الشرقية البريطانية، حيث اقاموا معها علاقات طيبة مستفيدين من تنافسها مع السياسة البرتغالية في تلك الفترة^(٣٥) قبل ان تنشأ بينهما سياسة الوفاق الجديدة.

وبمجرد أن انشأ الامام ناصر بن مرشد اسطوله وانتهى من القضاء على جميع القوى المحلية المناوئة ألقى بكل ثقله في محاربة البرتغاليين حيث انتزع منهم صور وقريات، على يد ابن عمه سلطان ابن سيف اليعربي^(٣٦).

ويبدو ان انتزاع صور وقريات لم تكن مهمة سهلة، فقد كان التباين واضحا بين حجم وكفاءة القوتين المتنافستين، اضافة الى ان الوحدة الوطنية لم تكن قد تحققت بما يتناسب واعباء المواجهة التي كانت تقضي بقدر كبير من الانسجام والتفاهم خصوصا وان البرتغاليين كانوا قد استردوا انفاسهم منذ ان طردوا من هرمز ١٦٢٢م بسبب انشغال القبائل بالحروب الاهلية وقبل كل ذلك قد استجذت على مسرح الاحداث سياسة وفاق جديدة بين البرتغال وشركة الهند الشرقية بدءا من عام ١٥٤٤هـ / ١٦٣٤م^(٣٧). تحولت الى صداقة مثينة وتعاون بين الطرفين، وخصوصا بعد ان استرد البرتغاليون استقلالهم من اسبانيا عام ١٥٠٠هـ / ١٦٤٠م^(٣٨).

وكانت هذه المتغيرات السياسية، سواء المحلية او الدولية في مقدمة عوامل كثيرة جعلت اهل عمان يناضلون في ظروف اشد قسوة، الا ان نجاحهم في تحقيق الوحدة الوطنية اضافة الى المشاعر الدينية الجياشة، التي فاقت اية مشاعر وطنية او عرقية كان من اهم العوامل التي جعلتهم يقبلون على التضحية بنفس راضية وبحماس ورغبة في الاستشهاد وهي عوامل كان يفقدها البرتغاليون المتحصنون في الثغور العمانية. ان المتتبع لحركة كفاح اليعاربة ضد البرتغال يدرك للوهلة الاولى اهمية الوحدة القومية كقضية دينية وسياسية وهو ما يؤكد ان الامام ناصر بن مرشد قد ادرك تلك الحقيقة للوهلة الاولى، وفي ظل التجزئة تنمو الخلافات وتتنامى الاحقاد الى حد يهون فيه الوطن، وتتبدد القيم الكبرى في سبيل تحقيق مصالح شخصية رخيصة.

وقد ادرك ناصر بن مرشد هذه الحقيقة بوعي شديد ورأى ان الوحدة هي العامل الحاسم في تحقيق اي عمل كبير، وبدونها تتبدد القوى وتتاح كل فرص الوقيعة والشتات لابناء الوطن الواحد والعقيدة الواحدة، ونتيجة لهذه السياسة فقد شهدت

الجبهة الداخلية تفوقا ملحوظا لقوات الامام ناصر بن مرشد ساعده في توسيع نطاق نضاله ضد البرتغاليين القابعين في المناطق الساحلية، ولعل صحار كانت محورا استراتيجيا هاما في سياسة اليعاربة حيث ضربوا عليها حصارا شديدا، بينما تحصن البرتغاليون داخل القلاع والحصون وراحوا يمحطون قوات الامام بوابل من نيران مدفيعتهم، الامر الذي اطال امد الحصار مما دفع الامام الى بناء قلعة في مواجهة القلعة البرتغالية.

ومنذ عام ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م بدأ ناصر بن مرشد يجني ثمار الوحدة الوطنية، ف بمجرد ان علمت القبائل بحصار صحار اخذت تسنفر همم شبابها الذين شاركوا في بناء القلعة، وخصوصا من مناطق لوى وبات وكافة المناطق المتاخمة لصحار، وبينما ضرب العمانيون حصارا متيعا حول صحار، كانت سرية اخرى قد وصلت الى مسقط بقيادة خميس بن سعيد الشقصي وبأمر الامام^(٢٩)، وعلى الرغم من ان تلك السرية لم تحقق نتائج حاسمة^(٣٠)، الا انها اربكت القوات البرتغالية، سواء في صحار او مسقط مما مهد لسلسلة من الهجمات العمانية الخطيرة ضد كافة المعقل البرتغالية.

ففي عام ١٠٥٣هـ / ١٦٤٣م استولى الامام ناصر بن مرشد على مدينة صحار وبني بها حصنا مقابل للحصن الذي يسيطر عليه البرتغاليون، كما نجح العمانيون في الحصول على عدد من السفن المتقدمة، وكذا الذخيرة والبارود من الانجليز مما ضاعف من حجم العمليات العسكرية ضد القواعد البرتغالية^(٣١)، وعموما فلم يصل حجم المساعدات البريطانية لعمان بما يتناسب وامكانات البرتغال مثل ما حدث في اتفاقية ميناب عام ١٠٣٢هـ / ١٦٢٢م، حيث حاربت بريطانيا بجانب الفرس لتحرير هرمز اما اليعاربة فقد حاربوا في ظروف مختلفة حيث لم يستعينوا بقوة اجنبية، اضافة الى ان البرتغال اثناء طردها من هرمز كانت في ظل التبعية الاسبانية في حين ان العمانيين قد تتضاعف جهودهم بشكل ملحوظ بعد ان استردت البرتغال استقلالها^(٣٢)، اذا كانت العلاقات العمانية البريطانية لم تحقق نتائج محددة على عهد ناصر بن مرشد، الا انها قد تطورت بشكل ملحوظ على عهد الامام سيف بن سلطان، وان كنا لا نتفق مع الرأي القائل بان الانجليز شاركوا بشكل فعال في الصراع العماني البرتغالي، وهو ما اكده احد الباحثين الاوربيين، على اعتبار ان ثمة تعاطفا انجليزيا مع العمانيين ضد البرتغاليين كما يرجع الباحث (BOXER) أسباب ذلك الى الصراعات المذهبية بين الانجليز والبرتغاليين اضافة الى سياسة الاحتكار التي مارسها البرتغاليون والتي كانت تتعارض مع مصالح شركة الهند الشرقية البريطانية^(٣٣).

ويؤكد احد الباحثين في تاريخ الخليج على عكس هذه المقولة تماما ويشير الى انزعاج الانجليز من تصاعد القوة العمانية وهو امر يتعارض مع مصالحهم على طول الخط^(٣٤) اضافة الى ان انجلترا والبرتغال كانتا قد ابرمتا معاهدة في عام ١٠٧٢هـ / ١٦٦١م^(٣٥).

وليس من المنطقي ان يشارك الانجليز في الحرب بجانب العمانيين وهم يعلمون ان قوة العمانيين تتعارض مع مصالحهم، ولعل النشاط الاقتصادي الذي تمارسه شركة الهند الشرقية البريطانية قد بدد من سياسة الاحتكار الذي كان يمارسه البرتغاليون، مما اعطي فرصة لليعاربة لكي يضاعفوا من نشاطهم التجاري والحربي، مما اتاح لهم قدرا كبيرا من المنافسة التي ادت الى تطوير سفنهم بسبب

الاحتكار الذي تعددت مجالاته سواء مع السفن الانجليزية او الهولندية او حتى مع السفن البرتغالية نفسها.

ولا شك ان التفوق البحري العماني قد اقلق الانجليز الى حد كبير، وقد عبر برانجوين Branguin وكيل شركة الهند الشرقية في بندر عباس عن هذا القلق بقوله : « ان العمانيين سيصبحون كارثة على الهند مثلما كان الجزائريون كارثة على اوروبا »^(٤٦)، بل والاكثر من ذلك فقد اخذت العلاقات تسوء بين اليعاربة والانجليز الذين اصبحت سفنهم مستهدفة من قبل اليعاربة لدرجة ان حاكم مدراس كتب الى رئاسة الشركة طالبا المزيد من السفن والجنود تحسبا لهجمات العمانيين^(٤٧) ولعل من المناسب في هذا الصدد ان طرح سؤالا؟

اذا كان اليعاربة قد أصبحوا خطرا على الانجليز فلماذا لم يتصد الانجليز لمواجهتهم ؟.

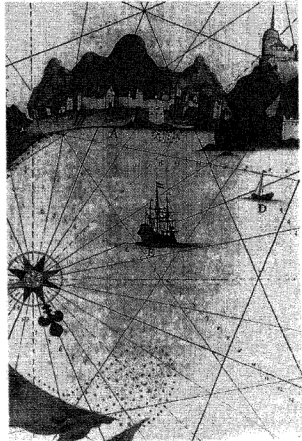
والاجابة على هذا السؤال تتلخص في ان الانجليز انشغلوا بتثبيت نفوذهم في الهند، وتضاعف انشغالهم بسبب تورطهم في حرب الوراثة الاسبانية، كما ان القوة البحرية العمانية وصلت الى درجة من القوة مع نهاية القرن السابع عشر جعلت التفكير في التصدي لها بمثابة مقامرة غير مضمونة العواقب. ومهما كان الامر فقد امتد صراع اليعاربة ضد منافسهم لفترات زمنية طويلة تباينت فيها المواقف السياسية، إلا ان اصعب الفترات واخطرها هي فترة الامام ناصر بن مرشد، حيث كان يقاتل في سبيل تحقيق وحدة وطنية قوية كبذته قادرا هائلا من الجهد والوقت كما انه استخدم كل

تخطيط لدية مسقط
في عام ١٦٦٩ من
كتاب مولندا (العالم
العربي) مكتبة لين
الجامعية.

الامكانات المتاحة بمهارة شديدة بما في ذلك المفاوضات السياسية، التي لجأ اليها في (شوال ١٠٥٨هـ / ٢١ اكتوبر ١٦٤٨ م)، وعند وفاته^(٤٨) لم يبق تحت السيطرة البرتغالية الا مسقط ومطرح وحصن لهم في صحار^(٤٩)، وقد حاول الامام ان يسترد هاتين المدينتين وبعث بمسعود بن رمضان على رأس جيش بهدف تحريرهما، وتمكن مسعود بن رمضان من الوصول الى مطرح وضرب عليها حصارا في وقت تقشى فيه مرض الطاعون واصيب البرتغاليون بهلع شديد^(٥٠).

ولم يؤد هذا الحصار الى تحرير مسقط ومطرح وانما نجم عنه ابرام هدنة جاءت معظم بنودها في صالح العمانيين^(٥١).

وكان ابرام هذه الهدنة بمثابة اختبار عملي لقوة كل من الطرفين حيث ادرك العمانيون حالة الوهن الذي وصل اليه البرتغاليون وفي الوقت نفسه كان الامام ناصر بن مرشد في اشد الحاجة لالتقاط الانفاس واعادة تقييم الموقف. ومن جانب اخر فقد شعر البرتغاليون بنوع من الارتياح خصوصا وقد سبق لهم ان ابرموا صلحا مع الانجليز، الا انهم



تورطوا في صراع جديد مع الهولنديين^(٥٢).

وقد تضاعفت طموحات العمانيين وأدركوا أنهم قاب قوسين أو أدنى من تحرير بلادهم من احتلال دام أكثر من مائة وأربعين عاماً. وبوفاة الإمام ناصر بن مرشد كان العمانيون قد وضعوا أقدامهم عند نهاية الطريق بعد رحلة طويلة من الجهاد والتضحيات وامتد جهادهم إلى جلفار (رأس الخيمة) التي كان البرتغاليون يحتلون إحدى قلاعها بينما الفرس بقيادة ناصر الدين الفارسي يحتلون القلعة الثانية^(٥٣).

وتشير كتب التراث العماني إلى أن ناصر الدين الفارسي هذا كان متحالفاً مع أعداء الإمام وعلى علاقة قوية مع مانع بن سنان وناصر بن قطن وهما من أكثر الزعامات المحلية عدواة للإمام، ولهذا كان تحرير جلفار يمثل رغبة أكيدة في مخططات اليعاربة، حيث قاد على بن أحمد حملة اعتمدت على عنصر المباغته والالتفاف بشكل سريع مما أربك الحاميات المدافعة عن جلفار وعندما ضاعفت القوات العمانية من حصارها طالب البرتغاليون السماح لهم بالانتقال إلى مسقط، وهكذا بدأت تنهوى كل القوى المناوئة لليعاربة، مع ملاحظة أن كل انتصار كان يفتح المجال لمزيد من التكبر لانتصار آخر وهكذا. استطاع سلطان بن سيف الذي يبيع بالامامة (ربيع الثاني ١٠٥٩هـ / أبريل ١٦٤٩م) بعد وفاة الإمام ناصر بن مرشد أن يواصل الجهاد، حيث سبق له أن تمرس على الأعمال الحربية، حينما كان يقود بنفسه العديد من العمليات الحربية بتوجيه من الإمام الراحل وحينما أرسل عدة مرات إلى مسقط لتسليم الجزية المستحقة على البرتغاليين، ولذا فقد كان الإمام الجديد أهلاً لتولي القيادة في وقت كانت البلاد في أشد الحاجة إلى مواصلة المسيرة التي بدأها الإمام ناصر بن مرشد.

ومن البداية أخذ الإمام الجديد يعد العدة للقضاء على البرتغاليين ، وأدرك أهمية الوقت كعامل هام في الأجهاز عليهم وخصوصاً بعد أن نما إلى علمه إن عدد جنودهم قد نقص نقصاً كبيراً بسبب حملات برتغالية كانت قد أرسلت إلى الهند^(٥٤) إعتقاداً بأن موت الإمام ناصر بن مرشد يعد سبباً كافياً لإرجاء أي نوايا عدوانية نحو مسقط ومطرح، إلا أن سلطان بن سيف لم يمكث إلا أياماً قليلة وأسرع متخذاً من طوى الرولة قاعدة للهجوم الشامل عليهم، بينما تحصن البرتغاليون بقلع وأسوار عالية، حيث رابط جنودهم بعد أن ثبتوا مدافعهم الثقيلة في كل اتجاه، وزيادة في الحيلة فقد حفروا خندقاً عميقاً حول الأسوار، كما بنوا على رؤوس الجبال المحيطة بمسقط ومطرح مجموعة أبراج ثبتوا في داخلها جنوداً أشداء أخذوا يمتطرون القوات العمانية بوابل من نيران مدافعهم^(٥٥).

وكانت الحرب سجالاً بين الفريقين، فلم تكن للبرتغاليين قدرة على مواجهة العمانيين ولم يكن للعمانيين قدرة على دخول مسقط ومطرح، وأعتمد الجيشان على القنص كلما اتحت الفرصة لذلك، وهكذا طالبت الحرب حتى كاد سلطان بن سيف أن يتراجع عن حصاره، وخصوصاً بعد أن نما إلى علمه أن بعض القبائل بدأت تفكر في التراجع عن مساندته.

ولكن حدث شيء لم يكن في الحسبان، إذ أن الإمام سلطان بن سيف قد تلقى معلومات على غاية من الأهمية من العرب القاطنين حول مسقط^(٥٦)، مكنته من دخول المدينة ولا يستبعد أن تكون هذه المعلومات كانت تعبر عن حقيقة الأوضاع داخل

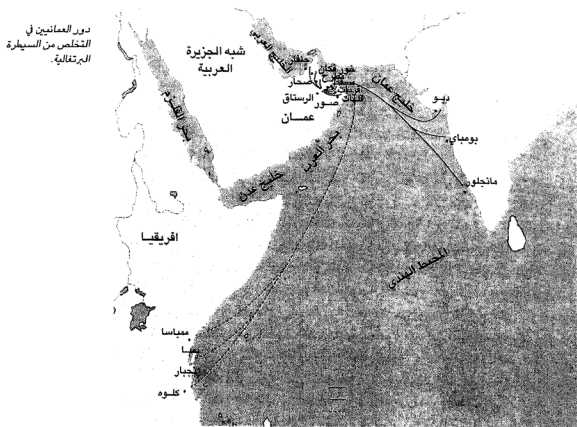
المدينة وخصوصاً عند نهاية ذي الحجة ١٠٥٩هـ / ديسمبر ١٦٤٩م وهو موعد رأس السنة الميلادية، حيث لم تكن هناك ثمة مراقبة دقيقة مما سهل على العرب مهمة التسلل الى داخل مسقط^(٥٧) وأطلعوا على أحوال البرتغاليين ونقلوا الى الإمام ما رأوه. ولم تلبث قوات الامام ان حاصرت البرتغاليين في قلعة الجلائ، وبعد ان نفذت مؤونتهم اضطروا الى التسليم وتركوا القلعة^(٥٨). وهذا ما حدث في مطرح ايضا ولم يبق للبرتغاليين غير سفينتين كانت تحاصران مسقط الا ان العمانيين تمكنوا من اسرهما، وعندما وصلت هذه الاخبار الى السلطات البرتغالية في الهند اسرعت بارسال اسطول برتغالي كبير ولكنه وصل متأخراً، فقد كانت كل القلاع وكل الحصون البرتغالية قد تهاوت وسقطت في يد العمانيين^(٥٩)، واصيب البرتغاليون بخسائر جسيمة، حيث قتل معظم جنودهم، وكل المحاولات التي قاموا بها في الهند لامداد مسقط باءت بالفشل، وبنهاية ١٠٦٣هـ / ١٦٥٢م لم يبق للبرتغاليين في الخليج الا وكالتهم في كنج على الساحل الشرقي من الخليج.

ومع ذلك فلم يفقد البرتغاليون الامل في استعادة ساحل عمان، حيث راحوا يدعمون مركزهم في كنج بل واخذوا يتفاوضون مع الفرس على السماح لهم بانشاء وكالة تجارية في جزيرة هانجام، الا ان الشروط الفارسية كان مبالغاً فيها، ولذا فقد رفض البرتغاليون العرض الفارسي^(٦٠) ويؤكد لوريير ان سبب رفض البرتغاليين للعرض الفارسي هو تطلعهم الى الساحل العربي، حيث كانت تبذل محاولات في هذا الصدد^(٦١).

وفي الوقت نفسه لم يتوقف العمانيون عن مطاردة البرتغاليين حتى، بعد ان التجأوا الى وكالتهم التجارية في كنج، والتي لم تنج من هجمات العمانيين الذين اخذوا يتعقبون عدوهم في الهند وشرق افريقيا، مما جعل خطوط الملاحه بين الوكالة التجارية للبرتغاليين في كنج وبين شرق افريقيا والهند تبدو مستحيلة في ظل السيطرة العمانية، ولذلك اضطر البرتغاليون الى الانسحاب من كنج نهائياً^(٦٢). وهكذا طرد البرتغاليون من عمان والخليج، ولاشك ان طردهم نهائياً من الخليج يعد عملاً بطولياً وصفحة مشرفة في التاريخ العماني.

لم يكتف العمانيون بطرد البرتغاليين من سواحل عمان بل شنوا عليهم حرباً تمثلت في سلسلة من الغارات ضدهم في المحيط الهندي برا وبحراً، وتعرضت المواقع البرتغالية في الهند الى تلك الهجمات... بوميبي ١٠٧٢هـ / ١٦٦١م ديو في رجب ١٠٧٩هـ / نوفمبر ١٦٦٨م وفي شوال ١٠٨٦هـ الموافق يناير ١٦٧٦م وكذلك في سنة ١٠٨١هـ الموافق ١٦٧٠م، وباسين Bassein في ١٠٨٥هـ الموافق ١٦٧٤م، وامتدت المعارك لتشمل غرب المحيط الهندي حيث خاض الطرفان صراعاً طويلاً للسيطرة على شرقي افريقيا^(٦٣). فقد اتصل سكان زنجبار الذين ربطتهم عوامل دينية وقومية مع العمانيين بالامام سلطان بن سيف من اجل تحريرهم من الاستبداد البرتغالي وبالرغم من الانتصارات التي حققها الامام سلطان بن سيف في مياه زنجبار، الا ان الجلاء البرتغالي لم يتم الا في عهد ابنه الامام سيف بن سلطان الذي وضع حجر الاساس لبحرية عمان الشهيرة التي سيطرت على جميع الساحل الافريقي الشرقي من (ممباسة) الى (كلوه) اذ سيطر العمانيون على ممباسة ١١١٠هـ / ١٦٩٨م وسيطروا على بيما وزنجبار وبته Patta وكلوه، وكانت

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث



(موزمبيق) هي الوحيدة التي قاومت الاسطول العربي العماني وبقيت بأيدي البرتغاليين الى القرن العشرين^(٦٤). وقد حاول البرتغاليون استعادة مراكزهم البحرية الضائعة وقاموا بهجوم موحد على زنجبار ومسقط في آن واحد عام ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م، ولكنهم أصيبوا بهزيمة منكرة، وبذلك انهضت آمال البرتغال في استعادة سيادتها على الخليج العربي والمحيط الهندي^(٦٥)، وامتد نفوذ عمان من جنوب الجزيرة العربية وسواحل شرقى افريقيا في الغرب الى سواحل وادي السند في الشرق. وفي هذه الفترة أصبحت مسقط تتمتع بـ (مركز التوزيع التجاري الرئيسي)، لمنطقة الخليج العربي، فاصبحت واحدة من الموانئ الرئيسية في المحيط الهندي وسواحل الخليج وايران والعراق والجزيرة العربية، وفي حدوده الغربية امتد هذا النفوذ الى البحيرات الافريقية المركزية، وفي الشرق لأمس^(٦٦) دلنا الكنج.

وهكذا ظهرت قوة عمان بعد القضاء على الهيمنة البرتغالية بشكل بات يخشاه الجميع، فقد أصبحت السفن العمانية هي التي تبحث عن سفن الاعداء في مياه الخليج العربي والمحيط الهندي^(٦٧)، واضطرت السفن الهولندية والانكليزية الى تعزيز دفاعاتها خوفاً من عرب عمان^(٦٨). وقد عبر المقيم البريطاني في بندر عباس عن مخاوفه من تنامي قوة عمان بقوله، سنة ١١٠٦هـ / ١٦٩٤م : « انهم سيثبتون انهم كارثة كبرى على الهند كالجراثيم في اوروبا »^(٦٩).

وقد اشارت السلطات الصفوية ايضا الى تفوق العمانيين في هذه الفترة من خلال مذكرة رفعتها الى الحكومة الفرنسية جاء فيها : « ان تمتعهم بموقع جغرافي مهم يتيح

لهم الفرصة للسيطرة على الخليج، وهذا يفسر قوة العُمانيين الذين يتمكنون بما يناهز الثلاثين قارباً من الاستيلاء على الغنائم» (٧٠).

ذلك ان الانتصارات التي حققها اليعاربة اثارت فارس التي كانت تتطلع الى وراثة النفوذ البرتغالي، ولذا فقد تعددت المواجهات العمانية الفارسية والتي جاءت في صالح اليعاربة، بدرجة ان التجارة الفارسية اصبحت بضرر بالغ مما دفع بالفُرس الى الاستعانة بالقوى الاوروبية بهدف القضاء على منافسة عمان لها في هذا الميدان، واتصلوا بالانجليز لتحقيق هذا الهدف (٧١).

واذا كان الانجليز لم يتحمسوا للعرض الفارسي خوفاً على مصالحهم الاقتصادية من الاسطول العماني، فقد توجهت فارس الى فرنسا على عهد لويس الرابع عشر وتمخضت الاتصالات عن توقيع معاهدة بينهما في عام ١١١٩هـ / ١٧٠٧م وكان من بين النصوص السرية التي احتوتها تلك المعاهدة ان يقوم الفرنسيون بارسال اسطول لمساعدة فارس في غزو مسقط، الا ان فرنسا ترددت قبل الاقدام على تلك الخطوة بنفس السبب الذي منع الانجليز من تضامنهم مع فارس، على الرغم من الدبلوماسية النشطة التي مارسها الفرس في محاولة للضغط على لويس الرابع عشر... وعموما فلم تسفر الاتصالات عن قيام تحالف فارسي فرنسي على الرغم من ابرام اتفاقية جديدة في عام ١١٢٧هـ / ١٧١٥م، ولعل ما حال دون اقدام فرنسا على تنفيذ بنود المعاهدة الجديدة تلك الفوضى التي اجتاحت فارس وما ترتب عليها من غزو افغاني لها في عام ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م. كانت البرتغال قد ادركت في تلك الفترة ان زمن الضعف العربي قد ذهب وان مواجهة اليعاربة في كل مراحل الصراع قد باءت بالفشل وان استمرار الوضع يعني ضياع كل الممتلكات البرتغالية على سواحل الهند وشرق افريقيا ولذا فقد راحوا ينسقون مع الفرس في محاولة لقيام تحالف عسكري يكون قادراً على ضرب اليعاربة.

وقد ادرك سلطان بن سيف خطورة هذا التحالف الجديد، ولذا فقد عجل بضرب البرتغاليين وتصفية نفوذهم، وقسم اسطوله الى قسمين احدهما توجه الى شرق افريقيا حيث نجح في انتزاع ممبسا ١١١٠هـ / ١٦٩٨م مهدداً لانتزاع الجزيرة الخضراء وكلمه (٧٢).

اما القسم الاخر من الاسطول فقد توجه الى الهند، حيث نجح في تدمير الوكالة البرتغالية في مانجالور على الساحل الهندي (٧٣).

ويعد سقوط ممبسا في يد اليعاربة نقطة تحول خطيرة في تاريخ الاسلام، فمن المعروف ان البرتغاليين قد تمكنوا من خلال تواجدهم في شرق افريقيا والهند من العمل على نشر عقيدتهم الكاثوليكية، الا ان اليعاربة كان لهم اكبر الاثر ليس في توقف هذا النشاط الكاثوليكي فقط، بل وارغام البرتغاليين على الجلاء عن جميع الساحل الذي يقع شمال خليج دلجادو.

وهكذا استطاع اليعاربة كسر شوكة البرتغاليين وانهاء سيادتهم الاحتكارية والقضاء على مراكزهم الاستراتيجية سواء على الشاطئ الافريقي او على سواحل الهند، ويقرر المؤرخ الانجليزي كوبلاند Coupland ان البحرية العمانية مع مطلع القرن السابع عشر قد وصلت الى درجة من القوة فاقت اي قوة بحرية اخرى حيث كانت الاساطيل الانجليزية والهولندية تخشاهما، ويكفي ان هذا الاسطول استطاع ان

يقوم بكل هذه العمليات الناجحة في هذه المنطقة الشاسعة وان يجعل الرعب يملأ قلوب الجميع، سواء سكان البلاد الواقعة على الخليج أو المحيط أو التجار الاوربيين^(٧٤). وبكل المقاييس فقد نجح العمانيون وحتى نهاية عهد سلطان بن سيف الثاني عام ١١٣٠هـ / ١٧١٨م في ايجاد قدر كبير من التوازن الدولي انعكست نتائجه على كل المستويات، وترك انطباعا هائلا لدى الاوربيين عن هيبة الدولة، حيث عملت العديد من القوى الاوربية على كسب ودها، ولعل الازدهار الاقتصادي الذي وصلت اليه دولة اليعاربة ومكانة اسطولها البحري كان نتاجا طبيعيا لقوة الدولة وحجم ثقلها البحري في كافة البحار الشرقية، في ظل جو مناسب من الالفة لدى عناصر السكان في عمان، حيث انعكس ذلك على كافة مشروعات التنمية الاقتصادية في شتى مناحيها وبات الناس في امن على حياتهم وارزاقهم في ظل سياج من الهيبة والعدل. وإذا كان اليعاربة قد نجحوا كل النجاح في تحقيق هذا الازدهار الذي ترتب على انهيار النفوذ البرتغالي وكسر احتكاره لتجارة المنطقة، فان من المفيد في هذا المجال ان نعترض للأسباب التي ادت الى انهيار هذا النفوذ ومكن اليعاربة من هذا النجاح. والحقيقة فان الاسباب التي عجلت بانهيار النفوذ البرتغالي في عمان والخليج العربي عديدة منها :

اولا : طبيعة الاستعمار البرتغالي للمنطقة التي كانت ترتكز على سلسلة من القواعد العسكرية الواقعة على الطريق البحري بين الهند والبرتغال، فلم يتوغل البرتغاليون في عمق البلاد التي استعمروها، وما كانوا يستطيعون ذلك لقلة عدد سكان البرتغال، ولاتساع امبراطوريتهم وكان الابقاء على تلك القواعد في ايديهم مرهون بقوة البحرية البرتغالية فلما ضعفت ضاع كل شيء.

ثانيا : كانت حركة المد البرتغالي تمثل الموجة الاستعمارية الاولى المتعشبة للغزو ونهب ثروات الشعوب وكان الميدان خاليا امامها، فلما دخلته قوة اوروبية اخرى اكثر منها قوة مثل هولندا وبريطانيا وفرنسا، ولا تقل عنها تطلعا في ان يكون لها نصيب في الغنيمة يتفق مع ثقلها السياسي والعسكري، لم تقو البرتغال على الصمود امام هذه القوى الطامعة.

ثالثا : حسن اختيار العمانيين للظروف الدولية المناسبة لتوجيه ضرباتهم القاضية ضد الوجود البرتغالي في عمان فالتنافس الذي ساد العلاقات بين البرتغاليين من جهة والفرس والهولنديين والانجليز من جهة اخرى، ورغبة الفريق الثاني في القضاء على النفوذ البرتغالي وابعادهم عن الخليج ساعد العمانيين الى الحد الكبير.

رابعا : اتبع البرتغاليون سياسة الشدة والبطش في معاملاتهم للشعوب التي حكموها وقيامهم باستنزاف ثرواتها ومواردها زاد في كراهية الشعوب لهم وجعلها تتحين الفرص المناسبة للخلاص من نيرهم.

خامسا : ازدياد قوة العمانيين وثقتهم بانفسهم وتفوقهم في الملاحة البحرية اذ ادرك العمانيون حقيقة الصراع بينهم وبين البرتغاليين انه صراع بحري اولا وقبل كل شيء... ولذا فقد اعدوا اسطولا بحريا مدربا ومنظما ومعدا احسن اعداد ومن ثم امكنهم ان يتغلبوا على اهم نقاط القوة لدى البرتغاليين. وكان من اهم العوامل التي ادت الى القضاء على النفوذ البرتغالي في عمان والمحيط الهندي.

ساسدا :الوحدة الوطنية باعتبارها الدرس الاول الذي التزم به ناصر بن مرشد، وبغير الوحدة لن تتحقق المصالح العليا للبلاد، وفي سبيل الالتزام بهذا المبدأ خاض الامام حروبا ضارية ضد انصار التجزئة كما سبق القول.

سابعا :عناية اليعاربة باستثمار كل مقومات النجاح، وكانت الزراعة في مقدمة اهتماماتهم حيث شقت الافلاج وتم جلب كثير من المحاصيل الزراعية من شرق افريقيا حيث نجحت تجربة زراعتها بشكل ملحوظ مما اوجد راجا اقتصاديا.

ثامنا :عناية اليعاربة بتوفير كل مقومات النجاح لحركة التجارة بعد ان تم القضاء على سياسة الاحتكار التي ابتدعها البرتغاليون وباتت تجارة الخليج العربي جزءا من حركة التجارة العالمية وهو ما عاد على عمان بطفرة اقتصادية هائلة.

تاسعا :العودة الى الجذور العمانية الاصلية بابرار الهوية العربية والاسلامية وفي هذا المجال نجح اليعاربة بشكل ضاعف من ترابط دولتهم وادى الى طرد عدوهم. اسباب كثيرة كما نرى ادت وساعدت على القضاء على النفوذ البرتغالي سواء في عمان او في ساحل شرقي افريقيا، بل وفي المحيط الهندي كله وكما رأينا فقد كان للعمانيين في عهد اليعاربة القبح المعلى والنصيب الاوفر في القضاء على هذا النفوذ الذي استمر قرابة قرن ونصف من الزمان.

وكما كان هنالك اسباب ادت الى القضاء على النفوذ البرتغالي، فهناك ايضا نتائج على درجة كبيرة من الاهمية ترتبت على ذلك وعلى خروجهم من عمان بالذات واثرت تأثيرا عميقا على المنطقة كلها. ويمكن اجمال هذه النتائج فيما يلي.

اولا : ان نجاح العمانيين وحدهم في اجلاء البرتغاليين من ارضهم قد رفع روحهم المعنوية واشعرهم بقوتهم وبمدى ما يمكن ان يقوموا به وهيأت لهم هذه الفرصة ان يلعبوا دورا بارزا في النشاط البحري في الخليج ولاسيما منذ منتصف القرن السابع عشر وحتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

ثانيا : افلح العمانيون في القضاء على سياسة احتكار التجارة التي انتهجها البرتغاليون وحققوا مبدأ حرية التجارة لجميع الاجناس، فعاد الانتعاش الاقتصادي اليهم وساعدهم هذا على ان يصبحوا قوة مؤثرة في منطقتهم، بل وفي شرق افريقيا كذلك.

ثالثا : تطلع الفرص في ان يحلوا محل البرتغاليين وان تكون لهم الزعامة في الخليج، وساعدتهم بريطانيا على ذلك لاسباب عديدة، منها وجود مصالح عامة لشركة الهند الشرقية الانجليزية في فارس وكذلك مساعدة الفرس للبريطانيين في القضاء على منافسة الهولنديين في الخليج اضعف الى ذلك عدم وجود تنظيمات عربية تلتفت للانتباه والدخول معها في علاقات مباشرة في ذلك الوقت... وتترتب على ذلك دخول فارس في صراع مع العمانيين، وطلبهم المساعدة من القوى الاستعمارية الطامعة في الخليج.

رابعا : ان زوال الوجود البرتغالي من عمان على وجه الخصوص ومن الخليج العربي على وجه العموم، اتاح للقوى العربية ان (تؤكد لنفسها زعامة الخليج) (٢٥) وظهرت هذه الزعامة بشكل واضح في القرن الثامن عشر.

خامسا : اعقب خروج البرتغاليين من الخليج العربي تحركات جماعية ادت الى وجود تشكيلات سياسية استقرت على السواحل الغربية للخليج، مثل العتوب في

الكويت وامتداد فروعهم في قطر والبحرين.

وهكذا نرى ان هنالك نتائج عديدة وهامة نتجت عن طرد البرتغاليين من الخليج العربي، وكانت الوحدة الوطنية التي حققها البعارة الاوائل هي محور الزوايا في هذا النجاح العظيم، وايضا في تحقيق كثيرا من الانجازات الداخلية التي تمت في عهد البعارة الاوائل، وفي عهد من خلفهم من الائمة، واولهم الامام بلعرب ابن سلطان بن سيف.

الامام بلعرب بن سلطان^(٧٦):

بويج بلعرب بن سلطان بالامامة بالاجماع يوم الجمعة ١٦ من ذي القعدة ١٠٩١ هـ / منتصف ديسمبر ١٦٨٠ م وقد سار سيرة حسنة، وكان جوادا كريما وعمر بلدة جبرين وعمق فلجها لري واستصلاح اراضيها، وقام ببناء حصن جبرين الشهير واعتنى به اعتناء كبيرا من حيث هندسة بنياته وزخرفته وتحصيناته وتقسيماته، واتخذه مقاما له ومركزا لدولته. كما انشأ فيه مدرسة اتادها الطلاب لتحصيل العلم والمعرفة.

وهكذا كانت السنوات الاولى من فترة حكم الامام بلعرب استمرارا لفترة الازدهار والاستقرار والرخاء التي نعمت بها عمان في عهد دولة ابيه الامام سلطان بن سيف، ولذلك حافظ الامام بلعرب على الدولة التي وليها بعد ابيه، واستمر في سياسة الاعمار والبناء، الا انه في السنوات الاخيرة من فترة حكمه خرج عليه اخوه سيف بن سلطان مطالبا اياه باعتزال الحكم، ومن ثم بدأت عوامل الهرم تسري في هذه الدولة منذ تلك الفترة، وبدأت الامور تسير في غير المسار الذي كانت تسير عليه بالنسبة لعملية اختيار الائمة وتوليتهم في عهد ابتي اهل عمان بخروج سيف على اخيه الامام المنتخب، الذي خرج من نزوى متجها ناحية الشمال^(٧٧)، ثم عاد الى نزوى، ولكن اهله في تلك الفترة كانوا قد انحازوا الى جانب اخيه سيف بن سلطان واحالو بينه وبين دخول المدينة، وتوجه الى جبرين حيث حاصره اخوه سيف في هذا الحصن ولما طال امد الحصار ورأى اكابر عمان عجز الامام عن التصدي لآخيه استسلموا للامر الواقع ففقدوا الامامة لآخيه سيف بن سلطان بن سيف بن مالك وقد بويج بالامامة بعد وفاة اخيه الامام بلعرب وقد واصل الامام سيرة سابقيه كما تابع سياسة مقاومة البرتغاليين بشرق افريقيا والهند. وتري المصادر التاريخية العمانية ان هذه البيعة ربما كانت تقية اي مخافة على ضياع الدولة، او مخافة وقوف سيف ضد المعارضين لامامته المنتقدين لخروجه على اخيه الامام وعليه قام سيف المعقود له بالامامة باخضاع حصون عمان ومعاقلها فدانت الاحصن جبرين الذي كان بداخله الامام بلعرب، واخذ يقصف الحصن بالمدافع وتعددت محاولات سيف لدخول هذا الحصن، فكان رجال الامام وعساكره يردونهم على اعقابهم وقتلوا عددا كبيرا من المهاجمين. ومن ثم قرر اصحاب الرأي والمشورة من الجانبين وقف القتال ومطالبة الامام بلعرب واخيه سيف بان يتنازلا اذا ارادا حلا للامر، فاذا اقتتلا وقتل احدهما الاخر صار الامر للغالب، فان ابيا المنازلة وطال امد الحصار رجعوا الى بلادهم، ولكن هذا النزال المقترح لم يتم وانتهى الامر بوفاة الامام بلعرب في سنة ١١٠٤ هـ / ١٦٩٢ م، وتولى الامامة بعده سيف بن سلطان قيد الارض.

الامام سيف بن سلطان (قيد الارض) :

هو سيف بن سلطان بن سيف بن مالك وقد بوع بالامامة بعد وفاة اخيه وقد واصل الامام سيرة سابقة كما تابع سياسة مقاومة البرتغاليين في شرق افريقيا والهند وتشير بعض الروايات العمانية انه بعد وفاة الامام بلعرب تم تجديد البيعة له بعد ان استنابه العلماء، حيث ان الشيخ السالمي يرى ان البيعة الاولى كانت غير صحيحة لان خروجه على اخيه الامام غير جائز، ومهما يكن من امر تجديد البيعة الا ان الامام سيف واصل سياسة الائمة السابقين من اليعاربة فحسنت سيرته كما تابع سياسة مقاومة البرتغاليين في شرق افريقيا والهند، ولذلك عمل على تقوية الاسطول والجيش فامتلك قوة مكنته من مقاومة البرتغاليين وغيرهم من القوى الخارجية في مختلف المناطق التي وصل اليها الوجود العماني في تلك الفترة، وقيل ان جيشه الذي دخل الهند كان يضم تسعين الف حصان، كما بلغ عدد سفن الاسطول العماني في تلك الفترة ما يزيد على مائة سفينة اشهرها الفلك والملك وكعب رأس، وكانت السفن الكبيرة في هذا الاسطول تحوي ٧٨ مدفعا بينما كانت السفن الصغيرة تحتوي على ما بين ٨-١٠ مدافع وبهذا الاسطول القوي تمكن من انتزاع الجزيرة الخضراء وبته في شرق افريقيا من البرتغاليين.

قد عمل الامام سيف على اعمار عمان حيث قام بحفر افلاج جديدة تزيد على خمسة عشر فلجا كفلج البركة وفلج البزيلي في الظاهرة وفلج الحزم وافلاج جعلان بني بوحسن، على ان بعض هذه الافلاج كانت صغيرة وغير عميقة فعمل على تعميقها وتوسع في زراعة المحاصيل كالقمح والشعير والحبلة والخضروات، كما اهتم بزراعة قصب السكر وكان يشرف بنفسه على عملية الزراعة وسيرها، كما غرس عددا كبيرا من اشجار النخيل والفواكه كالانبا (المانجو) وبعض اشجار العطور والزهور كالورس والزعفران، واستقدم من افريقيا النحل ونتيجة لهذه السياسة اتسعت الاراضي الزراعية المملوكة لبيت المال وزادت إيرادات الدولة زيادة كبيرة وتوفي الامام سيف بن سلطان في شهر رمضان سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م بعد ان وصلت عمان في عهده الى درجة كبيرة من الاستقرار والامتداد الى مناطق خارج شبه الجزيرة العربية حيث كان يمتلك قوة عسكرية ضاهت القوى الاوربية المعاصرة لها وماثلت القوى العربية الاسلامية التي كانت سابقة عليها ولذلك لقب الامام سيف بن سلطان بلقب (قيد الارض)، ويعني هذا اللقب حفاظه على الدولة وممتلكاتها وارضياتها في الداخل والخارج وما صاحب ذلك من رخاء واستقرار وما لبث ان توفي وخلفه في الامامة ابنه الامام سلطان بن سيف الثاني.

الامام سلطان بن سيف (الثاني) :

وهو سلطان ابن الامام سيف بن الامام سلطان بن سيف بن مالك بن ابي العرب اليعربي عقدت له الامامة سنة ١١٢٣ هـ / ١٧١١ م بعد وفاة ابيه مباشرة وبعد ان استنابه العلماء ذلك انه كانوا يعدون عليه بعضا من الامور التي كان قد دخل فيها والده الامام سيف بن سلطان، وربما يقصدون بذلك خروجه على اخيه الامام بلعرب بن سلطان ويبدو ان بيعة العلماء له كانت على شروط وشروطها وعهود أخذوها عليه : منها الا يقطع في امر قليل او كثير او جليل الا برأي المسلمين واستشارتهم. وقد امتثل

لهذه الشروط وقام بأعمال كثيرة منها. بناء حصن الحزم حيث نقل إليها عاصمته، وربما كان السبب في ذلك ليس محاكاة الأئمة السابقين في بناء مواقع جديدة واختيار قرى أخرى كمراكز لهم وإنما كان ذلك لظروف استدعاها هذا البناء وهو محاولة الفرس توسيع نفوذهم في الخليج على حساب الوجود العماني بعد أن زال الوجود البرتغالي في الخليج بفضل القوة العمانية. ولذلك كان بناء قرية الحزم التي تعتبر بمثابة الخط الأول في الدفاع عن المنطقة بصفة عامة وعن عمان بصفة خاصة، نظراً لقربها من السواحل العمانية.

تحرير البحرين :

ومن أجل الأعمال التي قام بها الإمام سلطان بن سيف الثاني تحرير البحرين من الفرس الذين كانوا قد إحتلوها . وقد مهد الإمام لتحقيق هذا الإنجاز بتقوية قبضته على بعض الجزر التي تقع في مدخل الخليج مثل جزيرة لاركا والقسم وهرمز. وكذلك على بعض المدن الفارسية الهامة مثل لنجة وبندر عباس ثم جهز جيشاً بقيادة الشيخ حمير بن سيف بن ماجد وزحف هذا الجيش على البحرين ودارت معركة كبيرة بين الفريقين كان النصر فيها للجيش العماني مما أدى الى خروج الفرس من البحرين وتقلص نفوذهم في الخليج. ومن أشهر الأعمال التي قام بها الإمام لتدعيم نفوذه في البحرين بناء قلعتها المشهورة والتي تسمى قلعة عراد. وقبل وفاته كان التواجد العماني قد امتد الى الخليج العربي كله والساحل الهندي وشرق إفريقيا كما كانت بعض بلاد العرب على البحر الأحمر تحت نفوذه.

وقد إنتهت حياته بوفاته في بحصن الحزم يوم الأربعاء الخامس من جمادى الآخرة سنة ١١٢١هـ/ مايو ١٧١٨م وبذلك دامت إمامته سبع سنوات وبضعة شهور. وبوفاته بدأ تصدع الوحدة الوطنية ونهاية دولة اليعاربة.

تصدع الوحدة الوطنية ونهاية دولة اليعاربة :

فقد دخلت البلاد عقب وفاة سلطان بن سيف (الثاني) في عام ١١٢١هـ/ ١٧١٨م مرحلة إتسمت بتباين الآراء وانقسم الناس الى فرقتين، إحداهما تطالب بأحقية سيف بن سلطان بن الإمام سلطان بن سيف وكان صبيّاً لم يبلغ الحلم، ونادى بذلك اليعاربة وعامة الناس، أما أهل العلم والخبرة فطالبوا بإمامة مهنا بن سلطان بن ماجد اليعربي (٧٨)، والذي كان موضع ثقة الإمام المتوفى وزوجاً لإبنته، ويقول عنه الشيخ السالمى : «لقد كان أهلاً للإمامة لكونه ذا قوة عليها ولم يكن كثير علم، ولكنه يتعلم ويسأل، ولم يقدم على أمر إلا بمشورة العلماء» (٧٩).

لقد وقع عامة الناس تحت تأثير المشاعر التي كان يحظى بها سلطان بن سيف، وعلى الرغم من أن والده سيف كان مفقداً لمقومات الإمامة خصوصاً وإن إمامته لا تجوز في الصلاة على اعتبار أنه لم يبلغ الحلم، فكيف يكون إماماً على المسلمين، إلا أن كثيراً من الناس رفضوا نصيحة العلماء واجتمعوا بسلاحهم مهديين من يقول بعكس رأيهم، فخاف العلماء وقوع الفتنة، ولما كان موقف العلماء يتعارض مع موقف العامة فانهم لم يتمكنوا من مبايعة مهنا بن سلطان علناً، وخروجاً من الموقف الذي كان يندرج بوقوع الفتنة فقد اقترح القاضي عدي بن سليمان الذهلي حلاً قد يحمل قدراً من الخديعة الجائزة في مثل تلك الظروف حيث جاءوا بالصبي (سيف) وأوقفوه امام

جمهورية المسلمين ونادى القاضي عدى،، امامكم سيف بن سلطان،،^(٨٠) وهو اعلان يمكن فهمه على انه امامكم او امام بالفتح او الكسر، واعتقد العامة انهم نصبوا سيفاً اماماً الى ان هدأت العاصفة وشعر العلماء بان لديهم من القوة ما يكفي لحسم الموقف والاعلان عن رأيهم صراحة، فجاءوا بمهنا بن سلطان وادخلوه قلعة الرستاق بحضور جمع من اهل الحل والعقد ونادوا به اماماً حقيقياً عام ١١٣١هـ / ١٧١٨م. وقد حاول الامام مهنا ان يكون عند حسن ظن العلماء به فكان لا يقدم على امر الا بمشورتهم، وحاول ان ينعش الاقتصاد العماني عن طريق الاهتمام بالتجارة ولذلك جعل من مسقط ميناء حراً حيث اعفى عملية التبادل التجاري في مسقط من الرسوم المفروضة عليها مما ساعد على ازدياد حركة التبادل فانتعشت التجارة ومن ثم الاقتصاد ولكنه لم يستمر في الحكم طويلاً حتى يمكن ان تتطور سيرته وان تظهر فعالية ادارته حيث انه فوجيء بعد سنة من عقد الامامة له بخروج العياريه واهل الرستاق عليه بقيادة يعرب بن الامام بلعرب بن سلطان الذي توجه سرا الى مسقط ودخلها دون ان يشعر به الوالي الشيخ مسعود بن محمد الصارمي الريمي، وربما يكون يعرب قد رتب هذا الامر مع اهل مسقط خاصة وان الامام مهنا كان خراج العاصمة في منطقة (البيزلي) بالظاهرة فلما بلغه الخبر رجع الى الرستاق وحاول دخول مسقط واخراج يعرب منها، ولكنه لم يجد النصرة، وقام اهل الرستاق بحربه، ولما تأكد له تخاذل الجميع عنه طلب النزول من قلعة الرستاق على ان يعطوه الامان على نفسه ومن معه وماله ولما خرج من القلعة اخذوه وقيده هو وواحد من بني عمه وبعض اصحابه ثم اتمروا عليهم فقتلوهم غدراً وبذلك انتهت امامته سنة ١١٣٣هـ / ١٧٢١م. ونظراً للجرأة التي اتسمت بها افعال يعرب ونقضه لعهد كان قد قطعه على نفسه بسلامة مهنا واتباعه ولما كان هذا الموقف من اساسه يتعارض مع رأي العلماء ورؤساء القبائل والعشائر فقد عده العلماء باغياً ومغتصباً. وقد ادرك يعرب خطورة معارضة العلماء له بسبب المكانة التي كانوا يحظون بها في المجتمع العماني، فعمل على كسب ودهم وهو امر لم يتحقق الا بعد مثوله امام القاضي عدى بن سليمان الذهلي الذي استتابه من جميع افعاله بعد ان دافع عن نفسه امام القاضي في انه كان محقاً في خروجه على الامام مهنا اعتقاداً منه بأحقية سيف بن سلطان (الصغير) في الامامة وخوفاً من اتساع دائرة الخلاف وحرصاً على جمع شمل الامة، ولم ير الشيخ عدى حرجاً في قبول مبررات يعرب ولذا فقد قبل توبته كما يقول السالمى وبايعوه سنة ١١٣٤هـ / ١٧٢١م^(٨١).

وبينما يقطع الشيخ السالمى بان العلماء قد بايعوا يعرب اماماً الا ان ابن رزيق يقول ان يعرب لم يكن اماماً بل الامامة يومئذ لسيف بن سلطان ويعرب قائم بأمره اذ كان سيف صغير السن^(٨٢). ووفقاً لاستقراء الاحداث فان يعرب كان مخولاً بالحكم وفقاً لوصايته على سيف الذي انتقل به الى مدينة نزوى ولعلها كانت فرصة مواتية لكي يباشر يعرب كافة السلطات متجاهلاً امر الوصاية، وخصوصاً فيما يتعلق بعلماء الشريعة الذين ادركوا بان يعرب قد اصبح الامام الحقيقي ولم يعد في استطاعتهم المضي في مناصرته خصوصاً وان اهل الرستاق لم يرضوا بـيعرب اماماً ولا وصياً واخذوا يرأسون بلعرب بن ناصر (خال سيف بن سلطان) مظهرين رغبتهم في امامة سيف بن سلطان.

وهكذا نجحت المحاولات في خلع يعرب بن بلعرب وبعد حروب دامية تمكن بلعرب بن ناصر من اجبار سائر القبائل المعارضة على اطاعة الامام سيف، وهكذا عادت الفتنة اشد مما كانت وتشقت شمل الامة بين مؤيد ليعرب بن بلعرب وبين مطالب بحق بلعرب بن ناصر كوصي على سيف بن سلطان. ولم تستقر الاوضاع في عمان منذ ذلك التاريخ فقد انقسم الناس الى فرقتين هناوية وغافرية وإنضم الى كل منهم مجموعة من القبائل العمانية وبويع زعيم الغافرية محمد بن ناصر الغافري اماما لعمان بعد أن قاتل يعرب بن ناصر بإسم سيف بن سلطان، وبعد مقتل محمد بن ناصر الغافري بلغ سيف بن سلطان الحلم وبويع بالامامة سنة ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م وتطلع الناس وكلهم أمل في سيف بن سلطان الذي صار شابا قويا وخصوصا وانه قد عاصر الكثير من الاحداث التي ادت الى انقسام البلاد وتشقت اهواء الناس، اما وقد بلغ السن التي تؤهله لتولي مهام الامامة فقد تعلق الناس به وانتظروا منه خيرا الا ان سيف كان ضعيفا بشكل افقده القدرة على القيام بمبادرة جادة بهدف اعادة الاستقرار وجمع الشمل، وهو أمل كان ينتظره الجميع بل وتفاقم الصراع في عهده بين العيارية انفسهم بشكل لم يسبق له مثيل (٨٣).

وتشير كتب التراث العماني الى انصراف الامام الجديد عن القيام بمهامه الجادة واقدامه على ممارسة الكثير من السلوكيات التي لا تتناسب وطبيعة منصبه، ولذا عرض نفسه لعداء كثير من العمانيين وفي مقدمتهم العلماء الذين انفضوا من حوله، وعزلوه وقدموا بلعرب بن حمير اماما وذلك سنة ١١٤٥هـ / ١٧٣٢م (٨٤).

الغزو الفارسي لعُمان :

وعندما عزل سيف بن سلطان عن الامامة وبويع مكانه بلعرب بن حمير استنجد سيف بالبلوش من مكران وحارب بهم بلعرب بن حمير الا أنهم هزموا ثم طلب سيف من الحكومة الفارسية في عهد نادر شاه ارسال قوات لمساعدته في اخضاع خصومه، ويعتبر نادر شاه أول من أسس من الحكام الفرس قوة بحرية في مياه الخليج وأسند قيادتها الى لطيف خان.

وكان هذا القائد يتطلع في توسعته الى الساحل العربي من الخليج، وأتخذ من طلب سيف بن سلطان بابا ينفذ منه الى احتلال عمان واخضاعها الى الحكومة الفارسية (٨٥)، وقد رحب نادر شاه بهذه الفكرة وأمر بتشكيل قوة بحرية وبرية للتوجه الى عمان وبذل كل ما في وسعه لانجاح هذه المهمة حيث اشرف بنفسه على اعدادها وتجهيزها، كما أمر بتشكيل هيئة لدراسة المنطقة تكون عوناً للقوات الفارسية ولتتمدها بالمعلومات اللازمة، وكان نادر شاه يهدف من ذلك الى ضم عمان والبحرين الى فارس اضافة الى طموحاته في السيطرة التامة على مياه الخليج (٨٦).

وفي منتصف ربيع الاول ١١٥٠هـ / ١٤ مارس ١٧٣٧م ابحرت القوات الفارسية المؤلفة من اربع سفن كبيرة وسفینتين متوسطتين وعدد كبير آخر من السفن والزوارق الصغيرة بقيادة لطيف خان، واكتشف سيف فيما بعد ان هذه القوات لم تأت لمساعدته وانما جاءت لاختضاع عمان للسيطرة الفارسية، وفي هذه الاثناء قام بعض رؤساء القبائل بالصلح بينه وبين بلعرب بن حمير على ان يتنازل بلعرب عن الامامة لسيف حقنا للدماء وانقاذاً لعمان من الغزو الفارسي (٨٧).

وصار سيف بن سلطان اماماً للمرة الثانية واختار الشيخ احمد بن سعيد البوسعيدى مؤسس الدولة البوسعيدية (والياله على صحار، غير ان سيف لم يلبث ان أساء السيرة وأحدث أحداثاً مخالفة للشرعية الاسلامية، فعزله المسلمون ونصبوا سلطان بن مرشد اليعربى اماماً سنة ١١٥٤هـ / ١٧٤١م الامر الذي اغاظ سيفاً فجعله يستنجد بالفرس للمرة الثانية، وقد بعث نادر شاه امدادات أخرى لقواته بقيادة محمد تقى خان، وقد وعد سيف بن سلطان الحكومة الفارسية بأنه سوف يقدم ولاء الطاعة ويعترف بالسيادة الفارسية على عمان ويدفع الضرائب والأتاوات لها اذا تمكنت من اعادته حقوقه^(٨٨)).

وعلى الرغم من التجارب السابقة لسيف بن سلطان مع القوات الفارسية التي جاءت الى عمان بزعم نصرته ولكنها ما جاءت الا لتحقيق اهداف توسعية، فانه طلب من هذه القوات مرة ثانية التدخل ضد بنى قومه^(٨٩)، وبهذا فانه فقد ثقة العمانيين ومنهم بعض اعوانه المقربين... اما الامام سلطان بن مرشد فقد سار الى صحار ليتعاون مع واليهما أحمد بن سعيد البوسعيدى لمواجهة قوات نادر شاه.

وان دلت هذه الاحداث التي جرت في عمان من الخلافات الاسرية والعصبية القبلية والتدخل الفارسى على شيء فانما تدل على ان اسرة اليعاربة التي استطاعت ان تجعل عمان تتمتع بالازدهار والنمو الاقتصادي طيلة قرن من الزمان، قد وصلت الى نهايتها بسبب مغامرات القادة الاواخر وسوء تصرفاتهم.

هذا وقد تولى الامام سلطان بن مرشد في حصن صحار حيث يوجد احمد بن سعيد نتيجة اصابته في مواجهة مع الفرس. اما سيف بن سلطان المخلوع فقد تولى بعد ذلك بقليل بعد ان لام نفسه على فعلته الشنعاء وظهر له ان الفرس لم يأتوا لمساعدته وانما للاستيلاء على عمان واصابه من ذلك هم وحزن ولكن بعد فوات الاوان، وكان على احمد بن سعيد ان يظل في الساحة في مواجهة الفرس الذين كانوا محاصرين صحار ومسقط^(٩٠).

وقد استمر حصار القوات الفارسية لمدينة صحار تسعة اشهر واستطاع واليهما احمد بن سعيد ان يقاوم الغزاة على الرغم من ان امداداته قد اوشكت على النفاد، وظلت القوات الفارسية تقذف المدينة ليلاً ونهاراً بالمدافع الثقيلة^(٩١)، فاضطر السيد احمد الى طلب الهدنة وعقدت اتفاقية بين الجانبين الفارسى والعماني في جمادى الاولى ١١٥٥هـ / يوليو ١٧٤٢م بعد ان فقد الأمل في وصول امدادات من قبل القبائل العمانية.

ولم تكن هذه الاتفاقية استسلاماً كما ذكرت بعض المصادر المحلية وغيرها، وانما كانت انتصاراً للعمانيين وكان السيد احمد بن سعيد يهدف من وراء هذه الاتفاقية الى عدة امور منها :

(١) وقف اراقة دماء المسلمين بعد ان نفذت جميع المؤن والعطاء والذخائر الحربية الموجودة في الحصن.

(٢) اعادة بناء قواته استعداداً لمواجهة الجولة الثانية بهدف التحرير الشامل.

(٣) بعد وفاة الامام سلطان بن مرشد شغل منصب الامامة حيث وجد السيد احمد بن سعيد ان اسرة اليعاربة لا يمكنها الاستمرار في ادارة الدولة فخشي ان يحتدم الصراع وتشتد الفتن في عمان نتيجة لهذا الفراغ السياسي، وخاصة اذا ما استمرت

المعارك مع الفرس.

(٤) إعادة توحيد الاقاليم والمدن العمانية التي اصبحت منقسمة الى شبه دويلات وامارات صغيرة^(٩٢) حتى يمكنه مواجهة الفرس على رأس جبهة قوية موحدة. وبذلك نجح احمد بن سعيد في توطيد مركزه وضمن تأييد القبائل العمانية، هذا الى جانب ان الحكومة الفارسية قد اعترفت رسمياً به كحاكم لعُمان حيث اصبحت الطرف الرئيسي في هذه الاتفاقية.

وهكذا تزعم السيد احمد بن سعيد حركة التحرير ضد الفرس، كما احس شيوخ عُمان ان الاوضاع قد ساءت وان عُمان بحاجة الى امام قوي يستطيع ان يوحد البلاد، ولا سيما ان المذهب الاباضي لا يجيز وجود أكثر من امام للدولة.

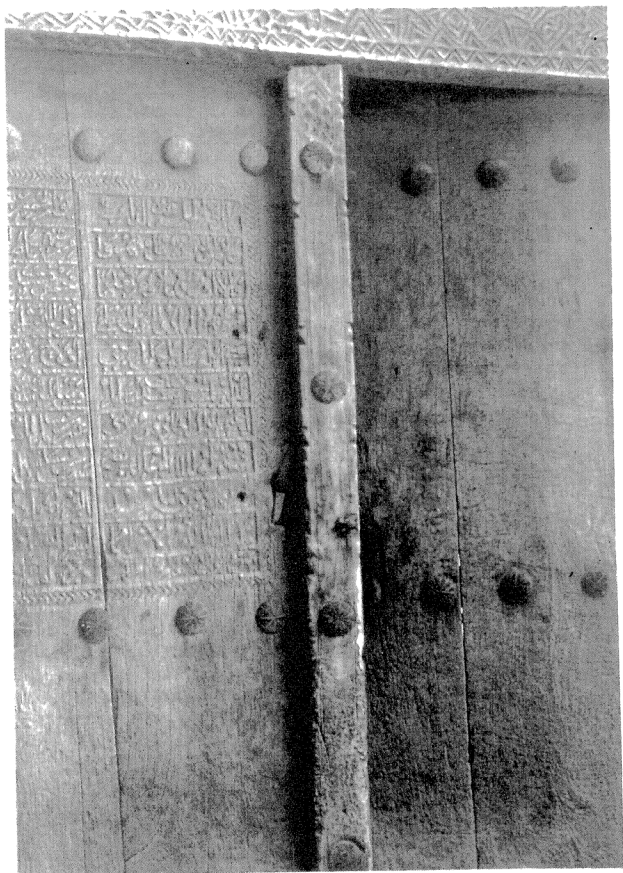
وقد حاول دعاة إحياء الدولة اليعربية إعادتها بعد وفاة سيف بن سلطان فاجتمع شيوخ وأعيان نزوى وعقدوا البيعة للسيد بلعرب بن حمير اليعربي في ربيع الآخر من عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، واعلنت مجموعة من المدن العمانية ولائها للإمام الجديد مثل بهلاء ونزوى وإزكي، بينما تحفظ البعض عن الاعتراف به، ولم يمض وقت طويل على هذا الإمام حتى انصرف عنه العُمانيون^(٩٣).

وبذلك بدأ نجم أحمد بن سعيد يعلو في عُمان، وكان محل تقدير جميع القبائل العمانية والأعيان الذين كانوا يتطلعون الى تحرير بلادهم من الغزاة وإعادة الأمن والاستقرار الى ربوع عُمان.

وفيما يتعلق بالعلاقات الفارسية العمانية فبعد وفاة سيف بن سلطان فقد الفرس نصيرهم وقلت همتهم وتعاظمت المشاكل والقلاقل الداخلية في فارس، حيث أن حكومة نادر شاه كانت مضطرة لسحب قسم من جنودها المرابطين في عُمان لمواجهة تلك المشاكل، وهذا سهل على السيد أحمد بن سعيد تحقيق طموحاته.

ومما هو جدير بالذكر أن أحمد بن سعيد كان سياسياً فطناً، وعلى الرغم من أن الكثير من العُمانيين قد إندھشوا لما كان يقوم به من إكرام الفرس، إلا أنهم أدركوا في النهاية ما كان يدبر للفرس لتحرير بلاده منهم حيث تم له ذلك في عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م^(٩٤)، مما أدى الى عقد البيعة بالإمامة له في نفس العام. وفي ذلك يقول أبن رزيق (إن أحمد بن سعيد لما آل اليه أمر عُمان كله، وعول أهلها عليه، إجتمع أكابر الرستاق وسائر أكابر عُمان، فاتفقوا على عقد الإمامة لابي هلال الإمام المعظم، الفضل المجيد، أحمد بن سعيد بن محمد السعيدى الأزدي العُماني الإستقامى الاباضي المذهب^(٩٥)، وكان ذلك في عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م.

وبهذا تمت البيعة للإمام أحمد بن سعيد بن محمد بن سعيد البوسعيدى وقامت الدولة البوسعيدية على أنقاض الدولة اليعربية التي أسسها ناصر بن مرشد اليعربي في عام ١٠٣٤هـ / ١٦٢٤م في ظروف مشابهة لقيام الدولة البوسعيدية.



الفصل الثاني التفوق البحري العُماني وأثره على العلاقات الخارجية في عهد اليعاربة

البحرية العمانية خلال عصر اليعاربة :

لقد أصبحت الإمبراطورية البرتغالية في الشرق مع بداية القرن السادس عشر تشكل قوة بحرية ضاربة، سواء من حيث إمتدادها الهائل من سواحل البرتغال الى كاليكوت على سواحل الهند الغربية أو من حيث إمتلاك أقوى الأساطيل وأشدّها بأساً. وقدر لدولتين عربيتين هما دولة اليعاربة في عمان ودولة الأشراف السعديين في مراكش أن يهما في الإجهاز على تلك القوة الإستعمارية الكبيرة، وبكل تأكيد فإن المؤرخ البريطاني روبرت لاندن Landen كان محققاً حينما ربط بين إنهيار النفوذ البرتغالي في الخليج وبين الضربة القاصمة التي لحقت بهم في وادي المخازن في أغسطس ١٥٧٨^(١).

إذا كان ثمة خاصية إستراتيجية واحدة تميزت بها دولة اليعاربة فهي يقينا كانت قوة بحرية مما أهلها لكي تكون قاعدة قوة طبيعية natural seat of power بحكم حقائق الجغرافيا، التي تعد العامل الثابت في صناعة التاريخ.

لقد كان اتجاه اليعاربة ناحية البحر ضرورة إستراتيجية فرضتها الثوابت التاريخية والجغرافية وبحكم موقع دولة اليعاربة، التي كان يحدها الخليج العربي شمالاً وبحر العرب جنوباً وخليج عمان شرقاً وصحراء الربع الخالي غرباً من هنا كانت الصحراء دائماً في (ظهر) عمان تدق باستمرار على بابها الخلفي، لذا كانت قصة عمان مع الصحراء فصلاً عادياً في التاريخ العماني بينما كان البحر بمثابة الركيزة الأساسية التي شكلت كل فصول التاريخ العماني.

لقد استطاع أئمة اليعاربة سواء في فترة قوة الدولة او حتى في فترات ضعفها ان يضعوا ايديهم على العنصر الفاعل في التاريخ العماني وهو ارتباط البحر باليابس ادراكاً منهم بخطورة الموقع وأهميته، واللافت للنظر ان الحياة في ظل الخطر ليست شراً مطلقاً بل هي كثيراً ما تعد ظاهرة صحية لانها منذ وقت مبكر شحذت الوعي القومي وارهفت الحساسية واليقظة الدينية والوطنية واستبعدت احتمالات الانغلاق على الذات واللامبالاة بالعالم الخارجي.

لقد ادرك اليعاربة ان عدواً بعينه متربصاً بعمان يدفعها بقسوة ناحية الصحراء لانه يرى فيها موطن الخطر ومكمن القوة ومفتاح المنطقة وخلال هذا الصراع او المبارزة الاستراتيجية تشكلت الثوابت الأساسية التي حددت ملامح دولة اليعاربة التي اتقنت لعبة التوازن بين كل القوى المتنافسة على الخليج او مضاربيتها ببعضها

البعض، وذلك على شكل تحالف عمان مع بعض الدول المتنافسة ضد خطر الدول الأخرى.

ونتيجة طبيعية لكل هذه الاعتبارات فقد اقترح اليعاربة حياة البحر وارتبطوا به واتخذوه ركيزة أساسية ونجحوا إلى حد هائل في تكوين قوة بحرية قادرة استطاعت مد نفوذها عبر البحار الشرقية لدرجة أن بحرية عمان في نهاية القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر أصبحت لها السيادة على المحيط الهندي^(٣).

لقد أدرك اليعاربة أهمية تطوير سفنهم خصوصاً وأن السواحل العمانية كانت دائماً بيئة بحرية مهيأة بطبيعتها لقيام موانئ بحرية ولم يكتف اليعاربة بسفنهم المحلية مثل الهوري والبغلة والسمبوق بل طوروا سفنهم مستفيدين من التقدم الهائل الذي طرأ على السفن الأوروبية ولم يكد يمضي عقد أو عقدين من القرن السادس عشر حتى أخذ العمانيون يبنون سفنهم في ملبار بواسطة المسامير ومنها انتقلت إلى أوروبا وقد أبقي العمانيون على الشراع المثلث الشكل وهو شراع يشبه أجنحة السمك أو زعانفه.

وعلى العموم فإن معظم المعارك التي خاضها العمانيون ضد البرتغاليين خلال عصر ناصر بن مرشد اقتصر في مجملها على البر كوسيلة لاستعادة المدن والسواحل العمانية وتشير إحدى الدراسات التي اعتمدت على الوثائق البرتغالية والهولندية إلى رغبة ناصر بن مرشد في السيطرة على تجارة عمان الخارجية^(٣).

ويبدو أن النشاط البحري العماني لم يملك ناصية الموقف تماماً إلا عقب تحرير مسقط حيث أخذ الأسطول العماني يتعقب الأسطول البرتغالي على السواحل الهندية والأفريقية في الوقت الذي كانت فيه الحوادث الدبلوماسية بين سلطان بن سيف من جانب والإنجليز والهولنديين من جانب آخر قائمة مما اتاح للعمانيين فرصة للاستفادة من الذخيرة والبارود والمؤن، لذا فإن كل المحاولات التي بذلها البرتغاليون لاستعادة مسقط قد منيت بهزائم ساحقة، لعل أهمها محاولة ١٦٥٢م في الوقت الذي تكبد فيه البرتغاليون خسائر أخرى حينما فقدوا قافلة من السفن التجارية تعرضت لعاصفة بحرية وهي في طريقها من ملبار إلى الشمال في الوقت الذي راجت شائعات بأن الهولنديين قد تحالفوا مع الامام سلطان بن سيف وأنهم يجمعون الضرائب عن النقل البحري في الخليج نيابة عنه، وعلى الرغم من عدم صحة تلك الشائعات إلا أنها تشير إلى أن المجتمع التجاري في الخليج قد أدرك مدى طموح العمانيين في احتلال مكانة البرتغاليين واحتمال مساندة الأوروبيين لتلك الطموحات^(٤).

والسلافت للنظر أنه بمجرد أن نجحت خطة الامام سلطان بن سيف في تحرير مسقط ١٦٤٩م انطلقت البحرية العمانية في شن هجمات مكثفة على معاقل البرتغاليين في الهند مما أربك قوة الدفاع البرتغالية وشهدت الفترة من ١٦٥٠م وحتى ١٦٥٢م نشاطاً بحرياً عمانياً أقلق الهولنديين والإنجليز وهو أمر لا يمكن تفسيره على ضوء اهتمامات سلطان بن سيف بالبحرية العمانية فقط وإنما وفقاً لإستقرار النشاطات التصديرية للامام ناصر بن مرشد على اعتبار أن الوصول بالأسطول إلى هذه القوة لابد وأن يكون قد استغرق عقداً أو عقدين من الزمان ويبدو أن الجديد في عصر الامام سلطان هو الاستعانة بعدد من السفن الأوروبية الحديثة سواء بشراء بعضها أو تأجير البعض الآخر^(٥).

والجديد الذي طرأ على البحرية العمانية في عهد الامام سلطان بن سيف هو الاعتماد الكامل على السفن الحديثة واستخدام المدافع المتطورة بنفس كفاءة المدافع الأوروبية ثم استخدام السفن كبيرة الحجم على الطراز الأوروبي بني بعضها في الهند والبعض الآخر تم شراؤه من الهولنديين بعد ان حقق اليعاربة عائداً اقتصادياً معقولاً بعد هجومهم المتكرر على مواقع البرتغاليين في الهند وكانت بومباي اهم المناطق التي شهدت هجوماً متكرراً وعنيفاً من قبل اليعاربة الذين فرضوا رسوماً جمركية قدرت بـ ١٧,٥٪ على مناطق عديدة مثل جوا وبرسالور ومتقالو وباتيكالا مما وفر لهم قدراً معقولاً من الاموال التي استخدموها في تطوير سفنهم واقتناء احدث الاسلحة المتطورة وهو ما لم يكن متوقفاً في عصر الامام ناصر بن مرشد^(٦).

لقد حدث تطور اقتصادي ملحوظ في عصر سلطان بن سيف وازدهرت التجارة ويسرت الثروة البحرية الجديدة اقامة حصون وتحصينات في نزوى وجبرين والرسطاق والحزم مما دفع بالهولنديين الى محاولة تحسين علاقاتهم بعمان لهذا بعث المدير الهولندي (هندريك فان) برسالة من بندر عباس الى امام عمان سنة ١٦٦٥م يعرض عليه نوعاً من التعاون ضد البرتغاليين واقامة مقر للشركة الهولندية في مسقط^(٧).

لقد رد الامام سلطان بن سيف على رسالة مدير الشركة الهولندية مرحباً باقامة تعاون تجاري واقتصادي وقامت الشركة بدراسة امكانية انشاء مقر لها في مسقط لكن على ما يبدو فإن ضغوطاً شديدة قد قامت بها الدوائر الفارسية بهدف الحيلولة دون قيام تعاون عماني هولندي مشترك بل وصلت طموحات فارس الى التفكير في احتلال مسقط بمساعدة الهولنديين وهو ما رفضته هولندا مفضلة عدم التورط في اعمال عسكرية ضد اليعاربة الذين حظوا بقدر كبير من الاحترام لدى الدوائر الهولندية.

اضافة الى ما يؤكد المؤرخ الانجليزي كوبلاند Coupland من ان قوة عمان البحرية قد اصبحت قوية لدرجة تخشاهم الاساطيل الانجليزية والهولندية ليس فقط في الخليج العربي وانما في المحيط الهندي ايضاً^(٨).

لقد قامت بعثة هولندية سنة ١٦٦٦م بزيارة عدد من المدن العربية وفقاً لتقرير هذه البعثة التي عنيت بشكل لافت بالتحصينات العسكرية فقد كانت مدينة مسقط من المدن التي شغلت حيزاً كبيراً في هذا التقرير حيث اضاف ان (مسقط مدينة يحيط بها سور ثبتت عليه مدافع مصوبة باتجاه الخليج، وبها ثلاثة حصون قرب الشاطئ وعلى الجانب الشرقي من المدينة حصن يدعى موغو بلوان وعلى الجانب الغربي حصن (مسقط) متصل به عند قاعدة الجبل قلعة فيها سلم حجري يؤدي الى الحصن، وفي اسفل الجبل قلعتان تدعى احدهما سانت انطوني وعلى الجبل ما بين ثمانية الى تسعة مراكز للمراقبة).

لقد كان تطور البحرية العمانية بشكل لافت من خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر مؤشراً عملياً للتطور الاقتصادي الذي حققه العمانيون خلال هذه الفترة والذي شغلت التجارة فيه حيزاً هاماً وخصوصاً وان نهاية الوجود البرتغالي في عمان تعد نهاية عملية لسياسة الاحتكار التي امت بالخليج العربي والمحيط الهندي منذ بداية القرن السادس عشر والتي نجم عنها تدهور حركة التجارة بشكل ملحوظ.

وتشير بعض المصادر الاجنبية الى ان تطور البحرية العمانية بهذه الصورة المذهلة لا يمكن ان يكون مصدرها السفن المصنوعة في عمان فقط او حتى المشتركة من الانجليز والهولنديين وانما كانت هناك وسائل اخرى حيث كانت سورات في الهند مركزا اساسيا لصناعة السفن التي استخدمها العمانيون والبعض الاخر تم بناؤه في نهر السند اضافة الى سفن اخرى تم بناؤها في اماكن لا يعرف الانجليز او الهولنديون عنها شيئا^(٩).

ويبدو ان القضية لم تكن سهلة المنال لان الوصول بالاسطول العماني الى الحد الذي تهابه السفن الاوروبية قد استغرق جهدا ووقتا شديدين وكانت عمليات التمويل في مقدمة الصعوبات اضافة الى القلاقل السياسية الداخلية والتي كانت تطل برأسها بين وقت وآخر، حتى في اشد فترات قوة الدولة.

ووفقا لاحد التقارير الهولندية التي عاصرت الاحداث وخصوصا في فترة سلطان بن سيف وتحديدًا عام ١٧٧٤م قام الاسطول البرتغالي باجراء مناورة بحرية بالقرب من مسقط ويسجل التقرير الاستعدادات العمانية ردا على هذه المناورة بانها كانت عبارة عن ثلاث او اربع سفن شراعية كبيرة مربعة وسفینتين شراعيتين وتسع او عشر سفن صغيرة وبلغ مجمل السلاح الذي تزودت به جميع تلك السفن من تسعين الى خمسة وتسعين مدفعا، معظمها من العيارات الخفيفة ويسجل التقرير انه لم يكن لدى العمانيين طاقم دائم من الملاحين للعمل على هذه السفن وانما كانوا يستدعون ملاحين من مراكب الصيد وبعض المراكب التجارية عند الحاجة اليهم اضافة الى عدد من البلوش الذين تم الاعتماد عليهم وكانوا هنودا وبحارة اقوياء^(١٠).

لقد كتب هذا التقرير ويلمسون Wilmssohn كمندوب عن الشركة الهولندية حينما اسندت اليه مهمة زيارة عمان ودراسة مجالات التعاون الاقتصادي المشترك واذا كان ويلمسون يبدي اندهاشا شديدا بسبب افتقاد العمانيين الى بحارة منقطعين للعمل على السفن العسكرية فان هذه الملاحظة لها دلالتها على اعتبار ان النشاط الاقتصادي والعسكري كانا متلازمين ففي وقت السلم ينصرف البحارة الى ممارسة نشاطهم الاقتصادي واذا ما تأزمت الاوضاع انصرفوا الى مهامهم العسكرية بعكس ما كان يحدث على السفن الاوروبية التي كان لها بحارة منقطعون للعمل في هذه المهمات فقط.

ولعل ذلك يضاعف من صعوبة المهمة التي قام بها البحارة الذين كانوا يبنون بيد ويحملون السلاح باليد الاخرى وهي ظاهرة لم تعرفها اوروبا ولذلك كانت موضع اندهاش الاوروبيين اضافة الى المقارنة بين السفن البرتغالية والسفن العمانية سواء من حيث التجهيزات او من حيث كفاءة المدافع فلقد كانت السفن البرتغالية اكثر تطورا ومدافعها اكثر كفاءة وعلى الرغم من ذلك فان العمانيين بامكاناتهم المتواضعة كانوا اكثر اقداما وتضحية من نظرائهم البرتغاليين.

ولعل هذا المعنى يمكن فهمه على ضوء الدوافع التي كان يقااتل من اجلها العمانيون حيث كان الجهاد من اجل الدين والوطن طريقا الى النصر والاستشهاد وهي دوافع نبيلة في زمن كان الدين عاملا اساسيا سواء لدى الافراد او الحكومات بعكس القوات البرتغالية التي ضللتها البابوية وتاجرت بمصائرها حكومة البرتغال.

اذا كان الامام سلطان بن سيف ١٦٤٨ - ١٦٧٩م قد تمكن بمهارة شديدة من

طرد البرتغاليين من مسقط وتعقبهم الى السواحل الهندية والفارسية وانزال هزائم ساحقة بهم الا انه قد نجح الى حد كبير في نفس الوقت في ان يجعل من عمان ركيزة اقتصادية كانت التجارة من اهم مقوماتها لدرجة ان ميناء مسقط قد اصبح محور التجارة في الخليج العربي والمحيط الهندي واصبح بمثابة منطقة حرة حيث ترسو السفن القادمة من اليمن وشرق افريقيا وسواحل الهند ثم تنقل السلع الى الحسا والبحرين وقطر والبصرة وكانت التمر والبن والمنسوجات القطنية والارز بمثابة العمود الفقري لتلك التجارة ووفقا لاحد التقارير المحايدة كانت مسقط هي المدينة التجارية المهمة في المنطقة ويؤكد نفس التقرير ان فترة حكم سلطان بن سيف كانت من اهم الضمانات التي مكنت العمانيين من احراز كل هذه النجاحات^(١١).

وبوفاة سلطان بن سيف^(١٢) تولى الامامة ابنه بلعرب بن سلطان بن سيف الذي لم يفضل الإقامة في العاصمة نزوى ونقل مقر اقامته الى جبرين ومازال حصنه قائما هناك بخطوطه ورسومات جدرانه فريدا في بنائه وشاهدها على ذوقه الرفيع، وتذكر بعض الروايات الأوروبية ان شقيقه سيف قد خرج عليه سنة ١٦٨٩ م وارجعت هذه الرواية الخلاف بين الشقيقين الى عزوف بلعرب عن الحرب وقيامه بعقد اتفاقية مع البرتغاليين وكانت شروطها مجحفة لحقوق العمانيين اذ سمح لهم بافتتاح وكالة لهم في مسقط ومنع رئيس الوكالة راتباً من قبل الامام وبناء حصن لهم في خصب اذا رغبوا في ذلك مقابل السماح للسفن العمانية بزيارة الموانئ البرتغالية في الهند وان يؤدي البرتغاليون الرسوم الجمركية في مسقط، وقد قاد سيف بن سلطان جبهة المعارضة رافضاً التعاون مع البرتغاليين واحتل حصون مسقط وجبرين وتمكن من السيطرة على زمام الموقف وحسم الموقف لصالحه بعد وفاة شقيقه بلعرب^(١٣).

اللائق للنظر ان المصادر العمانية على الرغم من انها اسهمت في الخلاف بين بلعرب وشقيقه سيف الا انها لم تذكر سبب هذا الخلاف لكن من المعروف ان بلعرب كان رجلاً محباً للسلام رافضاً للحرب ويقال انه شجع العلماء والشعراء واغدق عليهم بعطايه^(١٤).

لقد تعددت شهادات المعاصرين والمؤرخين في وصف القوة البحرية العمانية في عهد سيف بن سلطان لدرجة ان بروس Bruce كتب عنها قائلاً : (كانت قوة العرب في مسقط من حيث الشحن والقوى البشرية هائلة بدرجة تثير الرعب في نفوس الاوروبيين وكل الدلائل تؤكد انهم سيسطرون على الخليج كله)^(١٥).

ويذكر دكتور فراير الذي زار الخليج في عهد سيف بن سلطان ان العمانيين قد اكتسبوا امكانات بحرية هائلة وان نشاطهم البحري قد هدد بندر عباس لدرجة ان الفرس طلبوا من الانجليز الابقاء على الاسطول الانجليزي لحماية المدينة واجيب الى طلبهم وقد ادت هذه الاحداث الى ان يتنبأ الكاتب بران جون^(١٦) بان العمانيين قد يصبحون طاعونا في الهند كما كان المغاربة طاعونا في اوربا^(١٧).

لقد شهد العقد الاخير من القرن السابع عشر محاولات برتغالية مستمرة مستميتة لوضع قدم لهم في الخليج ففي سنة ١٦٩٠ م حاولوا عقد اتفاقية مع حكومة البصرة لكن نتائجها لم تكن مرضية وفي السنة التالية حاولوا اعداد حملة بمساندة الفرس للهجوم على مسقط لكن الفرس عاودوا وتراجعوا عن اتفاقهم ثم حاولوا احتلال هرمز واقامة علاقات وثيقة مع الفرس لكن الانجليز والهولنديين افسلوا هذه

المحاولات، وفي سنة ١٦٩٥م حاولوا احتلال هرمز بمفردهم ولكن تصدى لهم الاسطول العماني وبدد محاولاتهم^(١٨).

ويذكر لوكير lockyer في وصف دقيق لمسقط التي زارها (شاهدت في ميناء مسقط بحارة من العرب وعلمت انهم من العمانيين ولقد شاهدت واحدة من السفن العمانية وهي مجهزة بحوالي سبعين مدفعا وبندقية، كما علمت ان اقل سفينة في الحجم مجهزة بحوالي عشرين مدفعا وبندقية، ولقد علمت ان الاسطول العماني قد قام بأسر واحدة من اغنى سفن كلكتا وكانت تحت قيادة الكابتن ميرفيل Murvill وعلى الرغم من اعمال الاسطول العماني ضد السفن الانجليزية الا ان الشركات التي تمتلك هذه السفن لم تقم بعمل مضاد ضد عرب عمان^(١٩).

لقد اعتقد العمانيون ان الوجود البرتغالي على سواحل فارس فيه تهديد مباشر لعمان، لذا فان اسطولا عمانيا سنة ١٦٩٥م وصل الى بندر كنج واستولى على السفن الفارسية والبرتغالية الراسية في الميناء وليس صحيحا ان السبب في ذلك هو رغبة العمانيين في جعل مسقط محور التجارة المحلية في الخليج وانهاء دور بندر كنج وانما قد تنامي الى العمانيين ان اتفاقا فارسيا برتغاليا يتم وضع بنوده في محاولة من جانب البرتغال للسيطرة على مسقط مما دفع بسيف بن سلطان باتخاذ مبدأ الهجوم على اعتبار انه خير وسيلة للدفاع.

لقد اقتنع البرتغاليون الذين كانوا تنقصهم حكمة جيرانهم الانجليز والهولنديين باهمية التعاون مع فارس وخصوصا عقب الهجوم العماني على بندر كنج وكانت النتيجة المباشرة ان قسم العمانيون اسطولهم الى قسمين، سار احدهما نحو الساحل الافريقي حتى دمر المستوطنة البرتغالية في مبسا وانطلق الثاني الى حيث دمر الوكالة البرتغالية في مانجالور على الساحل الهندي وقد عزا البرتغاليون انتصارات اليعاربة عليهم الى امدادات واسلحة تلقوها من الانجليز في بومباي زاعمين ايضا ان السفن العمانية كان يقود معظمها ضباط انجليز وكانت ترفع العلم الانجليزي^(٢٠).

والحقيقة ان هذا الادعاء حاولت ان تروج له الادارة البرتغالية لكن لم تثبت صحته سواء من جانب الانجليز او الهولنديين ولم تشر اليه كتابات الرحالة الاجانب خلال تلك الفترة اضافة الى ان الاسطول الانجليزي نفسه كان مستهدفا من قبل البحرية العمانية وحدثت مصادمات كثيرة بين الاسطولين سواء في عصر سلطان بن سيف او سيف بن سلطان.

على الرغم من ان الاسطول البرتغالي كان اكثر كفاءة الا ان العمانيين اعتمدوا في حروبهم على عنصر المفاجأة من خلال نظام عسكري دقيق وكانوا يراقبون تحرك عدوهم بدقة وحرص شديدين.

وخلال السنوات الاخيرة من القرن السابع عشر بذلت محاولات مستميتة من قبل فارس لتكوين اسطول فارسي هولندي مشترك لغزو عمان ولان الشاه كما يقول الهولنديون كان مشغولا الى حد كبير (بزوجاته) وكانت مبرراته غير منطقية لذا فقد صرف الهولنديون النظر عن هذا الاتفاق مما نجم عنه تدهور ملحوظ في العلاقات الهولندية الفارسية لذا لقد اهتم الفرس بتوطيد علاقاتهم بالبرتغاليين مع بدايات القرن الثامن عشر وطلبوا مساندتهم في غزو عمان وفعلا وصلت ست سفن الى فارس ويبدو ان الفرس قللوا من شأن هذه المساعدة وقد عانت هذه السفن من مشكلات

كثيرة مما اضطر الكثير من ملاحياها الى التخلي عن العمل^(٢١).

وتجمع معظم المصادر التي تناولت تاريخ الخليج خلال تلك الفترة الى انه مع نهاية القرن السابع عشر وعلى وجه التحديد ابتداء من سنة ١٦٩٤م نشط الامام سيف بن سلطان في محاربة البرتغاليين في المحيط الهندي حيث هاجم قاعدة البرتغاليين في ياسين كما هاجم ساحل كجرات وميناء بومباي وكانت اكبر المعارك العسكرية معركة جزيرة سالست حيث اشتبكت القوات العمانية في صراع عنيف مع الحامية البرتغالية وانزلت بها هزائم اربكت البرتغاليين^(٢٢).

اما في سواحل شرق افريقيا فقد كان اكبر انتصار احرزهُ العُمانيون هو نجاحهم في اسقاط قلعة المسيح في ممباسا ١٦٩٨م وتبع ذلك سيطرتهم على بمبا وكلوه وزنجبار حتى تم طرد البرتغاليين من جميع قواعدهم الواقعة شمالي موزمبيق واصبحت هذه المنطقة من التوابع العمانية^(٢٣).

وفي تقديرنا ان الذي أعان اليعاربة على ذلك التفوق البحري ان سياسة الدول الاوروبية في الفترة التي تلت انهيار السيطرة البرتغالية لم تكن قائمة على سياسة الاحتكار التجاري كما كانت عليها سياسة البرتغاليين وانما انصرفت تلك الدول الى تأسيس الشركات التجارية واقامة المستعمرات وتكوين الامبراطوريات، اما في التجارة فقد افسحت المجال للعناصر المحلية التي كانت تعمل فيها من قديم لتعمل في ظل المنافسة الجديدة الى ان تنبذت تلك القوى الى ما يمكن لهذه العناصر المحلية ان تشكله من خطورة عليها، لذا حرصت بعد ذلك على تصفيتها بهدف تأمين مواصلاتها الاستعمارية الى الهند وترتب على ذلك دخولها في علاقات مع تلك القوى المحلية ولم تكن هذه العلاقات في صالحها بطبيعة الحال^(٢٤) والحقيقة ان المؤرخين والرحالة الاوروبيين قد ابدوا اهتماما ملحوظا بالتفوق الهائل الذي وصلت اليه البحرية العمانية خلال عصر سلطان بن سيف وسيف بن سلطان وراحوا يبحثون عن العوامل التي اوصلت البحرية العمانية الى هذه الدرجة من القوة ويذكر البعض ان ائمة اليعاربة قد استطاعوا بفضل صداقتهم لبعض امراء الهند ان يضمّنوا جلب الاخشاب اللازمة لبناء السفن وهناك عدة اتفاقيات عقدها اليعاربة مع حاكم مقاطعة بجو في الهند لعل ذلك ما دفع جون مالكوالم John Mal- colm الى الاعتقاد بان احسن الوسائل للقضاء على القوة البحرية العمانية هو قطع الصلة بين عمان وامراء الهند^(٢٥).

يمكن التعرف على المدى الذي وصلت اليه التجربة العمانية في عهد اليعاربة من خلال كتابات هاملتون Hamilton حيث تحدث عن البحرية العمانية وذكر انها كانت تتكون من مئات من السفن الكبيرة ذات الحمولات المختلفة من المدافع الكبيرة والصغيرة^(٢٦).

ويضيف الرحالة فريزر انه (من الضروري عدم استغزاز العُمانيين اذ اننا لن نجني من وراء ذلك سوى ضربات تكال علينا)^(٢٧).

كما كتب الرحالة بروس bruce عن احداث عام ١٦٩٥م ان عرب عمان سوف يحرزون القيادة والنفوذ في الخليج العربي، كذلك تحدث كولومب Colomb عن التفوق الذي وصلت اليه البحرية العمانية في عهد اليعاربة^(٢٨).

واذا كانت بعض هذه الكتابات تحمل قدرا من المبالغة الا انها تعكس الى حد كبير

القوة الكبيرة التي وصلت اليها البحرية العمانية في عصر اليعاربة اضافة الى ان احترام الاسطولين الانجليزي والهولندي للنشاط البحري العماني يقدم دليلاً واضحاً على القوة التي بلغتها البحرية العمانية والتي احدثت قدراً كبيراً من التوازن الدولي ليس في الخليج العربي فقط وإنما في المحيط الهندي أيضاً.

ويقرر المؤرخ الانجليزي كوبلاند Coupland أن البحرية العمانية في بداية القرن الثامن عشر قد أصبحت تفوق أي قوة بحرية أخرى لدرجة أن الاساطيل الإنجليزية والهولندية كانت تخشى مواجهة العمانيين وبكفي القول أن هذا الإسطول قد استطاع أن يحقق كل هذه العمليات الناجحة وأن يملأ قلوب الاوروبيين رعباً سواء في الخليج أو في المحيط الهندي وأبدى كوبلاند دهشته من التفوق الذي حققه العمانيون^(٢٩).

ويضيف مايلز Miles أن اليعاربة قد صارت لهم السيادة الفعلية على المحيط الهندي وأصبحت سفنهم تنشر الرعب في قلوب الاوروبيين لمدة قرن ونصف من الزمان^(٣٠).

لقد تناولت مصادر أوروبية كثيرة موضوع النشاط البحري العماني خلال عصر اليعاربة على اعتبار أنه نوع من القرصنة مع إغفالهم تماماً ما ارتكبه البرتغاليون في بحار الشرق من أعمال شاذة وممارسات غير إنسانية ولعل هذا التعامل يرجع الى عدم إعراف القوى الأوروبية بالتنظيمات السياسية العربية في الخليج ورفض إطلاق لفظ الدولة عليها ولذا فلم تفرق هذه المصادر بين كجاج اليعاربة تحقيقاً لسيادتهم وبين ما كان يمارس من قرصنة فردية والافتت للنظر أن القرصنة تعد عملاً قومياً إذا ما ارتبطت بالاوروبيين أما إذا ارتبطت بالعرب أو المسلمين فإنها قرصنة تهدف الى السلب والنهب.

لقد مارست إنجلترا نشاطاً بحرياً يعد من صميم القرصنة حين عهدت الى مغامرين بحريين من أمثال كافندش Cavendish وفرنسيس دريك Drake وغيرهما لممارسة القرصنة ضد أسبانيا والعجيب أن هؤلاء القراصنة يكرمون من قبل الملكة اليزابيث الأولى ويمنحون الألقاب التعظيمية بإعتبارهم يقومون بأعمال قومية مجيدة، وكما حفلت سواحل الأطلنطي بعمليات القرصنة شهدت بحار الهند الكثير من تلك العمليات ولكن هذه القرصنة الأوروبية لم تكن تخشاه الدول الأوروبية وإنما كانت العمليات البحرية العمانية هي التي تخيف أوروبا ولعل ذلك ما دفع الدول الأوروبية الى التكتل فيما بينها رغم ما كان بينهم من منافسات بهدف إضعاف القوة البحرية العمانية، وبالفعل وقعت عدة إتفاقيات لعل من أهمها إتفاقية سنة ١٧٠٠م بين كل من إنجلترا وفرنسا وهولندا قسمت بموجبها المناطق البحرية التي ينبغي على كل منها أن تحافظ فيها على سلامة الملاحة فاختص الفرنسيون بالخليج العربي بينما اقتص الانجليز ببحار الهند الجنوبية واختص الهولنديون بسواحل البحر الأحمر الجنوبية^(٣١).

ولعل ذلك يعد دليلاً أكيداً على ان الإنجليز لم يساعدوا العمانيين في صراعهم مع البرتغال كما ادعت بعض المصادر البرتغالية.

ومما يستدعي الإنتباه أنه بينما كانت فارس تتطلع الى وراثته النفوذ الإستعماري البرتغالي في الخليج إلا أنها وجدت نفسها في وضع المواجهة مع دولة اليعاربة ومن ناحية أخرى اخذ اليعاربة يغتنمون فرصة الإضطرابات الداخلية في فارس لكي

يؤكدوا لانفسهم السيطرة والتفوق على مياه الخليج^(٢٢).

وبينما كانت فارس تتباهى بانها القوة القادرة على شغل الفراغ بعد هزيمة البرتغاليين فانها لم تسلم من تعرض اليعاربة لمصالحها واصبحت بندر عباس هدفا عمانيا لذا فقد لجأت الى الانجليز والهولنديين طالبة المساعدة ولكن الإنجليز لم يتحمسوا للعرض الفارسي خصوصاً وأن الشركة البريطانية لم تكن لديها الرغبة في التدخل عسكرياً في شؤون الخليج بسبب حاجتها الى قواتها في تنظيم وتوطيد نفوذها في شبه القارة الهندية وفي الوقت نفسه فقد حرصت على أن تحول دون استفادة الهولنديين من تأزم الموقف العماني الفارسي.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن تجارة مسقط قد تنامت بشكل ملحوظ واصبحت السفن التجارية العمانية تجوب الخليج العربي والمحيط الهندي لدرجة أن ممثلي الشركة الإنجليزية في البصرة كتبوا الى رئاسة الشركة مؤكدين أن مسقط قد أصبحت من أبرز القوى المحلية في الخليج وأن سفنها قد أصبحت تسيطر على تجارته مما يستدعي إنشاء وكالة بريطانية في مسقط^(٢٣).

وفي الوقت نفسه فقد بذلت محاولات فارسية بهدف التنسيق مع الهولنديين لضرب المصالح العمانية في الخليج بكل الطرق بما في ذلك احتلال مسقط لكن تلك الجهود باءت بالفشل ونأت هولندا بنفسها بعيداً من التورط في عمليات عسكرية غير مضمونة العواقب.

وفي اصفهان ناقش الفرس مع السفير الفرنسي قضية الطموحات العمانية وعرضت فرنسا اقتراحاً غريباً وهو أنه إذا وافق الفرس على طرد الهولنديين والإنجليز من بلادهم فإن فرنسا سوف تملأ الفراغ الذي كان سبباً في تدهور التجارة الفارسية وسوف يغزو الفرنسيون مسقط لصالح العرش الفارسي، ونظراً لأن الفرنسيين لم تكن لديهم القوة المؤهلة لهذه المهمة فإن الفرس لم يعملوا كثيراً على العرض الفرنسي^(٢٤).

ومما يلفت النظر أن فارس سلكت كل الطرق بهدف اضعاف عمان والقضاء على قوتها البحرية وعلى الرغم من عدم جدية العرض الفرنسي الا انها قد يثست من الانجليز والهولنديين لذا فقد عاودت الاتصال بالفرنسيين وتمخضت المحادثات بينهما عن ابرام معاهدة احتوت على عدة بنود لعل من اهمها ان يقوم الفرنسيون بارسال اسطول لمساعدة فارس لاحتلال مسقط^(٢٥).

لقد بذل الشاه جهوداً مضنية لكي يحث فرنسا على الوفاء بعهودها لدرجة ان مبعوثاً فارسياً قد سافر الى فرنسا والتقى مع لويس الرابع عشر واطلعه على الصعوبات التي تتعرض لها فارس من قبل البحرية العمانية وناشده الوفاء بما ورد في نصوص المعاهدة الفرنسية الفارسية مقابل موافقة الحكومة الفارسية على استيلاء فرنسا على مسقط كما أكد على التزام فارس بالعمل بكل الطرق على طرد كل الدول المنافسة لفرنسا من بلاد فارس.

وفي اغسطس ١٧١٥ م ابرام اتفاقية اخرى نص فيها على اعفاء الفرنسيين من كافة الرسوم وعدم تحديد حجم تجارتهم بيد ان هذه الاتفاقية هي الاخرى لم توضع موضع التنفيذ لان الشاه رفض التصديق عليها لخلوها من النص على قيام تحالف فرنسي فارسي بهدف احتلال مسقط وعلقت فارس المصادقة عليها الى حين وصول

السفن الفرنسية إلى بندر عباس وفي عام ١٧٢١م تم التصديق على المعاهدة وعندما بدأت فرنسا تعيد تقييم الموقف على ضوء مصالحها الخاصة اتجهت اتجاهها معاكسا حين عملت على تطوير علاقتها بمسقط ودعم تجارتها مع عمان بسبب الفوضى التي اجتاحت فارس وما ترتب عليها من غزو الافغان لها عام ١٧٢٢م.

وعلى صعيد آخر فقد كان الوضع الدولي في المنطقة يمضي نحو مزيد من التعقيد حيث ضاعف العثمانيون من هجماتهم على السواحل الفارسية في الوقت الذي كان فيه الانجليز والهولنديون ناقلين على فارس بسبب موقفها الانتهازي ومن ثم فقد تعطلت تجارة بندر عباس وتحول الاهتمام نحو مسقط حيث لعبت الدبلوماسية العثمانية دورا هاما ولم يكن امام الشاه سلطان حسين الا معاودة التنسيق مع البرتغاليين من جديد.

لقد استفاد العثمانيون من تدهور الوضع الدولي في المنطقة وراحوا يوجهون ضربات شديدة الى المصالح الفارسية وشن العثمانيون هجوما على نطاق واسع ضد بندر عباس ودمروا المدينتين واستولوا على السفن الفارسية والبرتغالية.

لقد استغل العثمانيون تدهور الاوضاع في فارس وضاعفوا من حملاتهم على البحرين التي كان الفرس يسيطرون عليها الا ان العثمانيين تكبدوا في البداية خسائر كبيرة قدرتها الوثائق الهولندية بالف رجل^(٣٦).

وفي عام ١٧١٧م عاود العثمانيون المحاولة ثانية وتمكنوا هذه المرة من الاستيلاء على الحصن بعد حصار دام شهرا وأخضعت قواتهم حصون جزيرة القسم ولارك وسيطروا على موانئ جنوب فارس ومنعوا الفرس من ممارسة الملاحة في الخليج مما أحدث قلقا شديدا لدى الدوائر الانجليزية والهولندية وخصوصا بعد سقوط هرمز هي الاخرى في قبضة البحرية العثمانية، لذا فقد بعث الهولنديون محذرين اليغارية من مغبة تدهور تجارة بندر عباس.

وفي فبراير عام ١٧١٨م جرى اتصال بين العثمانيين والهولنديين في هرمز التي أصبحت تحت السيطرة العثمانية فقد كانت السفينة هارنجتين haringtuyn في طريقها من بتافيا إلى بندر عباس وعندما دخلت نفدت منها المواد الغذائية وقرر بعض بحارتها أن يتجهوا على مركب شراعي صغير إلى لارك لشراء شيء من هناك فاستوقفتهم إحدى السفن العثمانية اعتقادا بأنهم من البرتغاليين وتم نقل البحارة إلى المعسكر العماني في هرمز وتم عرضه على ضابط عماني أكرم وقادتهم وزودهم باحتياجاتهم من الماء والطعام.

لقد قدم هؤلاء البحارة تقريرا وافيا إلى حكومتهم عن هذا الحادث الطارئ الذي ترك انطباعا طيبا لدى الدوائر الهولندية التي فضلت التعامل مع العثمانيين ورفض كل الضغوط الفارسية الهادفة إلى إضعاف الحرية العثمانية.

ومما يستلفت النظر في هذا التقرير هذا الوصف التفصيلي للقوة العثمانية المرابطة في جزيرة هرمز والتي قدرها البحارة الهولنديون بالف رجل يتنابون على حراسة الجزيرة إضافة إلى المدافع المثبتة في كل مكان ومن خلفها رجال على درجة عالية من اليقظة والاستعداد.

لقد استنفدت فرنسا كل الوسائل الداعية لاقامة تحالف فارسي انجليزي او فارسي هولندي لضرب البحرية العثمانية والاجهاز عليها وتؤكد كتابات المعاصرين

لهذه الاحداث على سوء تقدير الفرس وتناقض مواقفهم بعكس العمانيين الذين اتسموا بصديق واحترام شديدين وخصوصا في معاملاتهم لأهل الاديان الأخرى وحرية اقامة الشعائر الدينية ويذكر هاملتون Hamilton (لقد كان عرب عمان يشنون غاراتهم ضد المستعمرين والبرتغاليين على الساحل الهندي ويدمرون المدن والقرى ولكنهم لم يهاجموا الكنائس ولم يقتلوا أعزلا ولا طفلا وكانوا يعاملون أسراهم معاملة كريمة خلاف البرتغاليين الذين كانوا يعاملون أسراهم معاملة وحشية)، ثم يضيف هاملتون (لقد كان العمانيون يمنحون أسراهم بدل أرزاق مثلما يعطون لجنودهم)^(٣٧).

وعلى ضوء كل ما تقدم فعله من المناسب أن نؤكد على عدة حقائق :
اولا : تلك العلاقة الوثيقة بين العمانيين والبحر، فكل الاعمال الكبيرة التي حققها العمانيون قد نجحت حينما استثمرت عناصر الجغرافيا الطبيعية ولعل عصر اليعاربة على الرغم من قصر مدته الا أنه مفخرة من مفاخر التاريخ العماني.
ثانيا : لقد استطاع اليعاربة استثمار مخزونهم الحضاري بحكم أن بلدهم قد لعبت دورا رائدا في حركة التاريخ الانساني ومن ثم فقد طاولوا الزمن مجدا وشموخا، لذا كان اسرارهم على تحرير بلادهم مستفيدين من كل اشكال التناقض الناتج عن المنافسات الدولية في الخليج العربي والمحيط الهندي.

ثالثا : لقد ادرك أئمة اليعاربة أهمية البحر والمحيط كعمق امني واستراتيجي، لذا راحوا يطورون سفنهم من التقدم الهائل الذي طرا على صناعة السفن الاوربية ولم يجدوا حرجا من الاستفادة من كل القوى المتنافسة ولم تقتصر وسيلتهم على الشراء او التاجير وانما قاموا بتصنيع السفن لحسابهم متخذين من ثغور الهند او مراكه بلادهم مكانا لتطوير سفنهم لدرجة اذهلت القوى الاوربية وقتئذ.

رابعا : لقد اجاد العمانيون بمهارة شديدة لعبة التوازنات الدولية واكتسبوا خبرة هائلة في التعامل مع القوى الاوربية المتنافسة مما اتاح لهم فرصة تحقيق اهدافهم الاستراتيجية ولعل ذلك كان في مقدمة العوامل التي اتاحت لهم تحقيق كل هذه الانتصارات سياسيا واقتصاديا.

خامسا : لقد إتسع مفهوم الامن القومي العماني متجاوزا الحدود الجغرافية، حيث أخذ العمانيون في توجيه ضربات عنيفة ضد أعدائهم في المحيط الهندي وعلى سواحل فارس وصولاً الى شرق إفريقيا مما أثار القوى الاوربية والمحلية وكان الصراع العماني الفارسي نتيجة طبيعية لهذا التوجه الجديد في السياسة العمانية.
سادساً : إذا كانت المدن الساحلية العمانية قد سجلت صفحة مضيئة في تاريخ عمان من خلال فترات الصراع العماني البرتغالي فإن الخليج العربي والمحيط الهندي قد سجلا كل الصفحات المشرقة التي امتدت الى ما يقرب من قرن من الزمان وهو ما يؤكد أن البحرية العمانية وبشهادة كل المؤرخين قد تطورت الى درجة أن القوى الاوربية قد أصبحت تخشاه وتجنب التصادم معها.

الدبلوماسية المرنة في عهد دولة اليعاربة :

لقد أدرك اليعاربة أهمية استثمار إمكاناتهم التقليدية بطريقة مكنتهم من مواجهة أكبر القوى البحرية في الخليج العربي والمحيط الهندي ونجح الإمام ناصر بن مرشد

في إنشاء طراز جديد من السفن ذات الهيكل الإنسيابي مستفيدا في ذلك من التطور الهائل الذي حققته البحرية الأوروبية ذات الأشعة المربعة والتي أصبحت تبنى بالواح مثبتة بالمسامير.

وتبدو إمكانات العيارة في مقدرتهم الهائلة على الإستفادة من المنافسات الدولية في بحر الشرق وإدراكهم لأهمية العلاقات المتوازنة مع الدول الأوروبية التي ظهرت في الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر.

وطبقا لما تذكره بعض المصادر فإن ناصر بن مرشد أقام علاقات مع الإنجليز سنة ١٦٤٥ م بينما كان يحكم الخناق على البرتغاليين إقتصادياً وطلب من شركة الهند الشرقية إرسال مبعوث من قبلها للتفاوض وكلفت الشركة فليب وايلد Wilde بالسفر الى صحار حيث توصل الى إبرام إتفاقية مع الإمام ناصر بن مرشد تعطي للإنجليز حق حرية التجارة في مسقط وممارسة الإنجليز لشعائهم الدينية^(٢٨).

وعلى الرغم من أن هذه المعاهدة لم تحقق النتائج المرجوة بسبب تنامي المصالح الهولندية وعجز شركة الهند الشرقية البريطانية عن المنافسة وقتئذ إلا أن هذه الإتفاقية تعد بداية عملية لسلسلة معاهدات الصداقة والتجارة، التي أبرمت بين عمان وشركة الهند الشرقية البريطانية .

وتتميز دولة العيارة بأنها قد تمكنت وبمهارة فائقة من أن تستثمر إمكاناتها الذاتية، حيث إمتزجت إمكانات البحر باليابس بطريقة متناغمة شكلت منظومة رائعة أعطت عمقاً إستراتيجياً دفع بعمان الى أن تكون القوة العربية الوحيدة في منطقة الخليج القادرة على مواجهة كافة الأطماع الأجنبية والإقليمية.

ويبدو أن أئمة العيارة قد إستشعروا حجم التحديات لدرجة أنهم أخذوا على عاتقهم مسؤولية تحرير كل الشواطئ العربية ليس من النفوذ البرتغالي فقط وإنما حتى من النفوذ الفارسي أيضاً ففي سنة ١٧١٨ م اعد سيف بن سلطان حملة بحرية لتحرير البحرين من النفوذ الفارسي، الذي كان قائماً منذ أكثر من قرن^(٢٩) وفي الوقت الذي وصل فيه التنافس الانجليزي الهولندي لدرجة كبيرة مع منتصف القرن السابع عشر استطاع العمانيون كسب ثقة القوتين المتنافستين.

لقد أدرك العيارة أهمية الاستفادة من كل القوى المتنافسة بهدف تحقيق مصالح سياسية واقتصادية ويبدو أن الامام سلطان بن سيف ١٦٤٩ - ١٦٧٩ م قد أدرك بذكاء شديد قضية التوازن الدولي لذا فلم يجد غضاضة في تنمية علاقاته بالانجليز في الوقت الذي حرصت فيه شركة الهند الشرقية البريطانية على أهمية التعاون الانجليزي واستقبل الامام سلطان بن سيف الكولونيل رينسفورد Rainsford بصفته مندوباً عن الشركة (١٦٥٩) واثمرت المفاوضات عن منح الانجليز إحدى القلاع في مسقط على ألا يزيد عدد الجند بها عن مائة وأن يتقاسم الامام مع الانجليز الإيرادات الجمركية^(٣٠).

ولكن كانت هذه الاتفاقية لم تحقق قدراً يتناسب وطموحات الانجليز في الخليج وخصوصاً انها لم توضع موضع التنفيذ بسبب الضغوط الهولندية ولعلها كانت فرصة مناسبة في التراجع من قبل سلطان بن سيف الذي أدرك خطورة التنازل عن إحدى قلاع مسقط لواحدة من أكبر القوى الأجنبية وهي سياسة حرص عليها أئمة العيارة حتى نهاية دولتهم، تقديرًا منهم لأهمية المصالح العمانية والابتعاد بها عن

حلبة المنافسات الدولية.

ولعل مما يفسر تراجع سلطان بن سيف عن تنفيذ اتفاقية ١٦٥٩م مع الانجليز ذلك التفوق الهائل الذي حققه الهولنديون على الانجليز خلال الفترة من ١٦٥٤م وحتى ١٦٨٤م حيث انتزع الهولنديون معظم النشاطات الاقتصادية في الخليج وكانت اتفاقية ١٦٥٩م مع العمانيين بمثابة عمل مضاد للأنشطة الهولندية المتنامية التي وصلت قممتها سنة ١٦٦٤م حيث أصبح للهولنديين السيطرة الاولى على التجارة في منطقة هامة بكندر عباس.

وحيثما زار الدكتور جون فراير Frayer بندر عباس ١٦٧٧م وجد الهولنديين وقد سيطروا سيطرة مطلقة على تجارة التوابل وتمكنوا بمهارة فائقة - اضررت بمصالح خصومهم الانجليز - من ان يحتكروا تجارة التوابل لدرجة انهم اضطروا في احدى المرات لان يحرقوا حمولة اربع سفن مملوكة لهم بهدف ارغام التجار الفرس على قبول الاسعار التي يحدونها لحمولة السفينتين الباقيتين، وقد قدر الدكتور فراير صادراتهم من المخمل والحريير الخام والسجاد الفارسي الى جانب الذهب والفضة كل عام بما يزيد على خمسين الف تومان^(٤١).

لقد ادركت السياسة البريطانية حجم التحديات الخطيرة التي سببها النشاط التجاري وخصوصا في فارس لذا فقد ارتكزت الدبلوماسية البريطانية على اقامة علاقات قوية مع اليعاربة ومحاولة اتخاذ احدى القلاع العمانية كمنطقة ارتكان لتهديد المصالح الهولندية في الخليج عموما، لذا فانه من الملاحظ انه كلما نمت العلاقات الايرانية الهولندية كلما اقبل الانجليز على عمان في محاولة لتحقيق نوع من التوازن الذي فرضته طبيعة المنافسات التجارية والسياسية بين الانجليز والهولنديين.

وعموما فان رفض الامام سلطان بن سيف تنفيذ اتفاقية ١٦٥٩م لم يتسبب في توتر العلاقات العمانية الانجليزية خصوصا وأن الانجليز قد استخدموا اسلوب الدبلوماسية المرنة حرصا على مصالحهم المهددة في المنطقة.

ولا يمكن تفسير الموقف البريطاني الا في ضوء حجم المصالح البريطانية في المنطقة وان كان ذلك لم يمنع وكيل الشركة البريطانية في فارس من ان يشبه نشاط اليعاربة البحرى في الخليج بحركة الجهاد العربي على الشواطىء المغربية حيث يقول (ان العمانيين سيصبحون طاعونا في الهند كما كان المغاربة طاعونا في اوروبا)^(٤٢).

واذا كان الموقف البريطاني قد حددته طبيعة المصالح البريطانية في المنطقة فان الموقف العماني ايضا قد حددته طبيعة الصراع العماني البرتغالي واذا كان اليعاربة حققوا نجاحا عسكريا ملحوظا لفت انظار القوى الاوروبية المتنافسة فان ذلك قد اعتمد على جهد فائق من الدبلوماسية العمانية في محاولة للاستفادة من كل العناصر وتأتي طبيعة العلاقات العمانية الانجليزية في تلك الفترة كأسلوب ارتضاه اليعاربة بهدف حسم الصراع مع البرتغاليين.

وقد تنامت العلاقات الانجليزية العمانية بشكل لافت على عهد الامام سلطان بن سيف (١٦٤٩ - ١٦٧٩) وفي ظل العلاقات الودية بين العمانيين من جانب والهولنديين والانجليز من جانب آخر اشتد الصراع العماني البرتغالي وراح العمانيون يطاردون عدوهم في المحيط الهندي وسواحل افريقيا وسواحل الهند لدرجة انه في سنة ١٦٩٤م كثف الامام سيف بن سلطان من عملياته العسكرية

مستغلا علاقاته القوية مع الخصمين المتنافسين (الانجليز والهولنديين) ونجح العمانيون في شن حملات مباغطة على البرتغاليين في الهند حيث هاجموا قاعدتهم في باسين كما نجحت مجموعات عمانية أخرى في شن حملات مماثلة على ساحل كجرات وميناء بومباي وكانت معركة جزيرة سالست من انجح هذه العمليات حيث نزل العمانيون على الجزيرة واشتبكوا مع الحامية البرتغالية وأنزلوا بها هزائم ساحقة^(٤٣).

وعلى الساحل الافريقي انتزع العمانيون قلعة المسيح في ممباسة ١٦٩٨م ثم تبع ذلك سيطرتهم على ممبا وكوة وزنجبار لدرجة أنهم تمكنوا من اكمال سيطرتهم على جميع القواعد البرتغالية شمال موزمبيق وأصبحت هذه المناطق جزءا من الممتلكات العمانية^(٤٤).

واللافت للنظر أن حجم الانتصارات العمانية قد أذهلت القوى الأوروبية في الخليج العربي والمحيط الهندي لدرجة دفعت البرتغاليين الى الاعتقاد بان سبب الانتصارات المتلاحقة للعمانيين يرجع الى المساعدات العسكرية الانجليزية والهولندية، بل وبالع البرتغاليون فيما هو أبعد من ذلك حيث اضافوا ان السفن العمانية كانت ترفع العلم الانجليزي وكان يقودها ضباط انجليز^(٤٥).

ولعل ادعاء السياسة البرتغالية يمكن تفسيره على ضوء مقدرة العمانيين على التعامل مع الانجليز والهولنديين، سواء من حيث نجاح البعارة في استثمار المنافسات القائمة بينهما والقدرة على تحييدهما احيانا والاستفادة من اسلحتهما المتطورة في احيان أخرى او من حيث ابراز حجم التناقضات القائمة بينهما من جانب وبين البرتغاليين من جانب آخر ومقدرة الدبلوماسية العمانية على استثمار عناصر التناقض وهي جهود لا تقل عن العمليات العسكرية في الخليج العربي والمحيط الهندي.

ويعتقد أحد الباحثين الثقاة Boxer بانه كان ثمة تعاطف انجليزي مع العمانيين أرجعه الى اسباب مذهبية بين الانجليز (الانجليكان) وبين البرتغاليين المتعصبين لمذهبهم الكاثوليكي مع الوضع في الاعتبار ما خلفه البرتغاليون من سمعة سيئة بسبب سياسة الاحتكار التي بالغوا في تطبيقها مما اضر بالمصالح البريطانية ضررا بليغا.

ويضيف Boxer ان الانجليز لم يقدموا مساعدات كبيرة للعمانيين وان كان بعض الانجليز قد عملوا على الاسطول العماني فان ذلك كان عملا فرديا لافراد بصفة شخصية، تمت الاستعانة بهم كبحارة لدى العمانيين وتم ذلك بعيدا عن شركة الهند الشرقية البريطانية ودون علم الحكومة البريطانية^(٤٦).

ومع تقديرنا لوجهة نظر Boxer الا اننا نعتقد ان التعاطف الذي ابداه الانجليز للعمانيين كان تعاطفا تكتيكيا حكمته مصالح سياسية واقتصادية يمكن فهمهما على ضوء السياق التاريخي القائم وقتئذ ويمكن فهم الموقف الانجليزي على ضوء القلق الذي انتاب الدوائر البريطانية من تصاعد القوة العمانية وتأتي اتفاقية سنة ١٦٦١م بين بريطانيا والبرتغال وهي التي توجت بزواج الملك شارل الثامن من كاترين اوف برجزا حيث نص في احدى موادها على ان يقدم الانجليز مسقط الى البرتغاليين اذا ما قدر لهم في اي وقت من السيطرة عليها، اضافة الى ان العلاقات العمانية الانجليزية

لم تكن حسنة طوال الوقت فقد اعتاد العمانيون مهاجمة السفن الانجليزية واجبار بحارتها على مشاركتهم في الهجوم على القواعد البرتغالية لدرجة ان تقريراً من الشركة الهندية البريطانية في بندر عباس قد اقر بان الاسطول العماني يعوق تجارة الشركة وقد اعترف وكيل الشركة في بندر عباس بان العمانيين يعوقون النشاط التجاري للشركة البريطانية ويسببون لها خسائر كبيرة^(٤٧).

وكثيراً ما حدثت مواجهات بين الاسطولين العماني والانجليزي، حيث كانت احدى السفن الانجليزية في طريقها الى بومباي واعترضها الاسطول العماني ووقع اشتباك نجم عنه قتل احد عشر بحاراً انجليزياً وجرح ضعف هذا العدد^(٤٨).

وفي حالات كثيرة كانت تأتي مثل هذه الاشتباكات بعيداً عن توجيهات أئمة اليعاربة ولعل معظمها كان يقع لأسباب خاصة تتعلق بكل حالة وخصوصاً وان معظم السفن مخصصاً للتجارة لم تكن تحدها علاقة خاصة، حيث كان الخليج والمحيط مجالاً حيويًا لكثير من السفن بصرف النظر عن تحديد هويتها وتشير كثير من المصادر التي تناولت تلك الفترة الى حرص أئمة اليعاربة على عدم التصادم مع الانجليز الا ان ذلك لم يمنع من وقوع حالات تصادم اثار حفيظة الانجليز الا انها لم تصل الى درجة اعلان العداء الصريح وكانت كل حادثة يتم تسويقها في ضوء علاقات التفاهم العماني الانجليزي.

وعلى الرغم من حرص سيف بن سلطان (الاول) على عدم الاعتداء على السفن الانجليزية الا ان ذلك لم يمنع بحارة عمان سنة ١٦٩٧م من اجبار السفينة الانجليزية (لندن) على مشاركتهم في احدى عملياتهم العسكرية ضد البرتغال وقد عومل من رفض هذا الاجبار من الانجليز معاملة قاسية حيث تم تقييدهم ووضعهم على ظهر احدى السفن العمانية^(٤٩).

وعندما علم الامام سيف بذلك عَنف بحارته وعلن تقديم اية ترضية للانجليز بينما كان الانجليز وبطريقة مباغتة قد اقدموا على الاستيلاء على احدى السفن العمانية مما اغضب الامام سيف وعلن مصادرة السفينة (لندن) وابدى تحديه للانجليز اذا ما حاولوا تكرار هذا العمل^(٥٠).

لقد احدثت هذه المواقف العمانية ردود فعل لدى الدوائر البريطانية لكن لم تصل العلاقات الى درجة التصادم واكتفى الانجليز بتقوية اسطولهم واعادة ترميم حصونهم في بومباي خوفاً من تكرار الهجوم العماني.

لم يكن امام الانجليز سوى الاعتماد على الدفاع بسبب انشغالهم في الهند مع القوى الاستعمارية الاخرى وحرصوا على عدم المواجهة العسكرية مع اليعاربة.

واذا كان العمانيون قد حرصوا على ايجاد علاقات متوازنة مع الانجليز فبنفس القدر كان حرصهم على ايجاد نفس العلاقات مع الهولنديين الذين ابدوا تعاطفاً ملحوظاً مع العمانيين اثناء صراعهم مع البرتغاليين في الوقت الذي كانت تتنامى فيه التجارة الهولندية وقد تزامن ذلك مع تحرير مسقط من الوجود البرتغالي ١٦٥٠م.

وتقديرًا للموقف الهولندي فقد قدم الامام سلطان بن سيف (الاول) مشروعاً يسهل للهولنديين نقل بضائعهم عبر الاراضي العمانية الى البصرة بدلاً من مجبرون وخصوصاً وان الشاه عباس الثاني قد بالغ في فرض ضرائب على التجارة الهولندية^(٥١).

وعلى الرغم من تحسن العلاقات الهولندية مع فارس وعودة جمبرون كمركز تجاري هام للهولنديين إلا أن ذلك لم يكن على حساب المصالح العمانية الهولندية التي راحت تتحسن يوما بعد يوم.

وفي الوقت الذي تمكن فيه العمانيون من تحرير مسقط ١٦٥٠م راحت المفاوضات الإيرانية البرتغالية تتركز حول تأجير إحدى القواعد الفارسية للبرتغال وعرض الشاه على البرتغاليين جزيرة هانجام^(٥٢) ولكن المفاوضات لم تحقق نتائج محددة ولعل البرتغاليين كانوا يفضلون إحدى القواعد على الساحل العربي بهدف جعلها نقطة انطلاق لعودة مسقط التي كان البرتغاليون يعولون أهمية كبيرة على بقائها في أيديهم أرضاء للملكهم الذي سبق وأن أبدى أهمية كبيرة ١٦٤٩م لابقاء مسقط تحت سيطرة قواتهم وطالب بأن توجه كل الجهود للمحافظة عليها ولا يسمح للعرب بالإقامة فيها وأوصى قواته بإقامة ميناء جديد في بندر عباس ليكون نقطة انطلاق لتأمين مسقط^(٥٣).

لقد كان من الصعب العودة إلى الوراء وكان من المستحيل أن يتراجع العمانيون عن الاستماتة في سبيل بقاء مسقط محررة وخصوصا وقد استوعبوا تجربتهم التاريخية بطريقة عملية دفعتهم إلى أن يطوروا أنفسهم يوما بعد يوم في الوقت الذي كان فيه الأسطول البرتغالي يلفظ أنفاسه الأخيرة.

لقد لاحظ الرحالة الإيطالي بييرو ديلافالي هبوط مستوى النظام في البحرية البرتغالية وتدهور معنويات الجنود ولم يستطع على الرغم من تعاطفه مع أخوانه الكاثوليك إلا أن يقارن بين هذا المستوى ومستوى النظام في السفن الانجليزية والهولندية إضافة إلى أن المؤرخين البرتغاليين أنفسهم قد لخصوا عوامل الانهيار الذي ألم بالبرتغال في عبارة قصيرة (أن دمار أحوالنا نابع من احتقار كبرائنا لصغارنا ومن طمع صغارنا طمعا اعماهم عن دعوة الوطن والشرف، أن البرتغاليين قادرون على استرداد ما يخسرون ولكنهم عاجزون عن استبقائه وذلك هو بيت القصيد)^(٥٤).

وعموما فقد اغتبط الانجليز من اختفاء البرتغاليين من حلبة المنافسة إلا أنهم ووجهوا بمنافسة الهولنديين الذين كانت تتضاعف مصالحهم يوما بعد يوم وابتداء من سنة ١٦٥٠م أخذت المنافسة الهولندية تهدد مصالح الشركة الانجليزية وخلال ١٦٥٢م - ١٦٥٣م أرسل الهولنديون ١٥ سفينة إلى بندر عباس قدرت حمولتها بمائة وعشرين ألف جنيه انجليزي واستطاعوا أن يكتسحوا التجارة الانجليزية على الرغم من اصرار الشاه على عدم تساويهم في المعاملة مع الانجليز من حيث الامتيازات التجارية.

ويبدو أن الهولنديين قد نجحوا في استعادة صلاتهم التجارية الوثيقة مع فارس حيث أعيد فتح ميناء بندر عباس للسفن الهولندية ١٦٦٤م اثر مقابلة بين الشاه وبعثة هولندية في اصفهان^(٥٥).

وإذا كان العمانيون قد نجحوا في تحييد الهولنديين بهدف الاجهاز على البرتغاليين إلا أن العلاقات العمانية الهولندية لم تصل إلى درجة التحالف بل العكس هو الصحيح، حيث شعر العمانيون بأن الهولنديين يعتزمون الانفراد بتجارة الخليج بدلا من البرتغاليين ولم يكونوا على استعداد لاستبدال النفوذ الهولندي بالنفوذ

البرتغالي خصوصاً وقد أصبح اسطولهم يجوب المحيط الهندي والخليج العربي مسبباً قدراً كبيراً من الذعر لدى الشركات الأجنبية.

ولعل مما ضاعف من قلق العمانيين هذا التقارب الذي بدا ملحوظاً بين الهولنديين والفرس، لذا فإن نهاية القرن السابع عشر قد شهدت مصادمات تمثلت في هجوم متكرر من العمانيين على السفن الهولندية التي راحت تتصدى للعمانيين الذين راحوا يشنون هجمات مباغتة على السفن الفارسية التي استنجدت بالهولنديين.

وعلى الرغم من مساندة الهولنديين للفرس في صراعهم مع اليعاربة إلا أن ذلك لم يمنع العمانيين من انزال هزائم متكررة بالفرس هددت مصالحهم التجارية في كثير من المناطق الفارسية مما دفع بالهولنديين الى تقديم مشروع اتفاقية ١٧٠٥ من نص على حماية السفن الفارسية مقابل كثير من التسهيلات التي رآها الشاه محقة بمصالحه الاقتصادية، لذا فضل التعاون مع الانجليز وعلى الرغم من كل ذلك فقد بقي الهولنديون محتفظين بمركزهم التجاري في بندر عباس، بينما راحت العلاقات الفارسية الانجليزية تتنامى بشكل ملحوظ.

لقد شعر اليعاربة بأن فارس تريد أن تحقق لنفسها مصالح اقليمية في منطقة الخليج على حساب العمانيين الذين تمكنوا بمفردهم من الاجهاز على البرتغاليين ووصل الامر الى درجة استعانة الفرس بالانجليز او الهولنديين ومما ساعد فارس على تحقيق مطامعها ان شركة الهند الشرقية البريطانية كانت تؤيد فارس بحكم مصالح الشركة في فارس اضافة الى التقارب الانجليزي الفارسي على عهد الشاه عباس الكبير الناجم عن مساعدات فارس للانجليز في صراعهم مع الهولنديين.

والسلافة للنظر انه بينما كانت فارس تتطلع الى وراثة الاستعمار البرتغالي في الخليج الا انها وجدت نفسها في وضع المواجهة مع دولة اليعاربة الذين اخذوا يغتنمون فرصة الاضطرابات الداخلية التي كانت تتعرض لها فارس لكي يؤكدوا لانفسهم السيطرة والتفوق كئمن للتضحيات التي بذلوها في صراعهم مع البرتغال^(٥٦).

ولقد انتاب الدوائر الفارسية قدر من الهلع والخوف لدرجة انها راحت تستنجد بالهولنديين وعندما تأكد لهم عدم المقدرة على حمايتهم راحوا يستجدون بالانجليز حيث طلبت الحكومة الفارسية سنة ١٦٩٥ من شركة الهند الشرقية الإنجليزية أن تشاركها الهجوم على مسقط مقابل منح الانجليز في مسقط نفس الامتيازات التي يتمتعون بها في بندر عباس^(٥٧)، ولكن الشركة لم تتحمس للعرض الفارسي لأوضاعها المتوترة في الهند إضافة الى التخوف من مغبة الدخول في صراع غير مضمون العواقب مع العمانيين.

وعلى ضوء المصادر التي تناولت تلك الفترة فإن مسقط مع نهاية القرن السابع عشر قد حققت نمواً تجارياً واقتصادياً هائلاً لدرجة أن ممثلي شركة الهند الشرقية الإنجليزية في البصرة وبغداد وبندر عباس بعثوا الى رئاسة الشركة مؤكدين أن مسقط قد أصبحت من أبرز القوى المحلية في الخليج وأن سفنها قد راحت تجوب الخليج والمحيط الهندي وحث كل من هافورد وصمويل مانيستر حكومة الشركة على ضرورة تأسيس وكالة لها في مسقط حيث كانت الشركة تكتفي حتى أوائل القرن الثامن عشر

ببعض الوطنيين الذين كانوا يمثلون الشركة في مسقط (٥٨). والملاحظ أن فارس لم تأس من محاولة الإعتدال على القوى الأوروبية بهدف إحتلال مسقط وعلى إثر فشل محاولتها مع الإنجليز والهولنديين قررت الإلتجاء إلى فرنسا على عهد لويس الرابع عشر وتضمنت كثيراً من البنود السرية، التي تقضي بمساعدة فرنسا لفارس في إحتلال مسقط (٥٩).

وعلى الرغم من إبرام هذه الإتفاقية إلا أن تنفيذها قد أجّل الى أن يحين الوقت المناسب، وأخذت فارس تضغط على فرنسا لبدء العمليات العسكرية بينما راحت فرنسا تتذرع بكثير من الحجج الى أن تمكنت الدبلوماسية العمانية في سنة ١٧٢١م من تطوير علاقاتها بفرنسا وزيادة حجم تجارتها مع فرنسا عن طريق مستعمراتها في جزيرة موريس ولعل السبب وراء ذلك هو الفوضى التي اجتاحت فارس وما ترتب عليها من غزو الأفغان لها سنة ١٧٢٢م مما تمخض عنه إنهيار واضح لمكانة فارس في الخليج العربي.

وبوصول نادر شاه الى الحكم وإلغائه الاسرة الصفوية الحاكمة أخذ على عاتقه تقوية مركز فارس في الخليج العربي من خلال إعداد أسطول لم يكن لفارس عهد به من قبل.

ورضع نادر شاه هدفاً محدداً وهو الإجهاد على قوة اليعاربة ويبدو أن أوضاع عمان في ظل إمامة سيف بن سلطان الثاني كانت مشجعة، حيث أطلت الفتنة برأسها من جديد ولم يهمل نادر شاه طلب إمام عمان العون منه.

وأبهرت الحملة الإيرانية من بندر عباس في بداية شهر أبريل ١٧٣٧م بقيادة لطيف خان وعلى ما يبدو فإن الحملة قد نزلت أولاً في رأس الخيمة وخلال عامي ١٧٣٧م و١٧٣٨م اجتاحت الإيرانيون كل عمان وسقطت مسقط (٦٠) في أيديهم. وهكذا أخذت تنهار دعائم الدولة بشكل لافت مما يمثل ظاهرة لا تتكرر كثيراً في عمر الدولة.

ولذا فإن عصر اليعاربة يمثل حالة إستثنائية في التاريخ العماني من حيث سرعة إنفراد اليعاربة بالحكم وتمكنهم من إستثمار مقومات النجاح وإعادة الوحدة الوطنية ومقدرتهم الفائقة على مقاومة خصومهم في الداخل والخارج، كل ذلك جاء في وقت قياسي لم يستغرق أكثر من عقدين من الزمان وبنفس السرعة أيضاً أخذت الدولة تتهاوى ثم أطلت الفتنة برأسها حيث إنقسم الناس بين مؤيد لهذا أو مناصر لذلك.

وهكذا شاء القدر أن يخرج من نسيج المجتمع رجل ألى على نفسه أن يتصدى لكل عوامل الضعف ولأنه كان شخصية شديدة الانضباط شديدة الجراة فقد اتخذ من صحار رمزاً للوطن الكبير ومن هذه المدينة انطلقت المقاومة التي قادها أحمد بن سعيد عن إقتدار لكي ينتهي عصر اليعاربة لكن من أجل أن تبقى وطناً أدياً وفاعلاً وحياً.

الوجود العماني في أفريقيا خلال عصر اليعاربة :

إذا كان ثمة خاصية واحدة تميزت بها عمان خلال تاريخها الطويل، سواء في فترات انتصارها أو انهزامها فتلك الخاصية أنها يقينا كانت دائماً مركز دائرة، ضاقت أو اتسعت، كانت دائماً قطب قوة وقلب اقليم، ولا شك أن هذه الصفة الجوهرية التي تنطوي على متناقضات مثيرة تردت الى جذور جغرافية أصيلة، كونت في مجملها تاريخ عمان الذي لعب دوراً فاعلاً في حركة التاريخ الانساني.

والحقيقة الثابتة في فهم تاريخ اي بلد ونقطة البدء لمعرفة تاريخ اي امة هو فهم شخصيتها الاستراتيجية، ووفقا لمقولة الجغرافي العربي الشهير جمال حمدان وهو يحدد الملامح الاستراتيجية للمناطق الجغرافية المثالية، حيث يجتمع الموقع الجغرافي الامثل مع الموضع الطبيعي المثالي وذلك في توازن تناسب المثال^(٦١).

وإعمال هذا التوصيف على الموقع الجغرافي لعمان وموضعها الطبيعي يتناسب الى حد كبير في القياس، حيث يتفاعل الناس مع بيئتهم الجغرافية بطريقة متناغمة، ويتحاور الماء واليابس ليشكلا معا منظومة متناغمة كونت في مجملها كل مراحل التاريخ الفاعل في تناسب دقيق وشبه محسوب.

والعمانيون منذ فجر التاريخ قد ركبوا البحر واتخذوه وسيلة للرزق والحياة وكان لرياح المحيط الهندي التجارية الموسمية اثر كبير في تدفق العمانيين نحو ساحل افريقيا الشرقي، فحينما تشتد الرياح الموسمية الشمالية الشرقية منذ منتصف ديسمبر، حتى نهاية فبراير من كل عام تتدافع السفن العمانية ذات الشراع المفرد الثلاثي الشكل خلال رحلة منتظمة الى الشاطئ الافريقي.

وما بين ابريل وسبتمبر تأخذ الرياح التجارية الجنوبية الغربية في الهبوب حيث تدفع بهذه السفن للعودة مرة اخرى مسافة الفي ميل من المحيط الهندي، وقد انتفع البحارة والتجار العمانيون بهذه الرياح مدة ثلاثة الاف سنة على الاقل وخلال عصور تاريخية طويلة ومن المؤكد ان الوجود العماني في شرق افريقيا مهد له رواد كثيرون وصلوا المنطقة منذ ازمة سحيقة، واسسوا المراكز التجارية واقاموا المدن وتفاعلوا مع البيئة الافريقية مما تمخض عنه مؤثرات عربية اسلامية شملت المنطقة من رأس جرد فون شمالا وحتى خليج دلجادو جنوبا وهي المنطقة التي اطلق العرب عليها ساحل الزنج.

ومن الصعب وضع بدايات محددة للوجود العماني في شرق افريقيا لكن من الثابت ان العصرين الاموي والعباسي قد حفلا بنشاط اسلامي مزدهر في شرق افريقيا مما يؤكد ان تواجدا عربيا كثيفا قد سبق هذه المرحلة، حيث قدم العمانيون فرادى وجماعات عبر فترات ممتدة لم تنقطع للاستيطان احيانا او للتجارة في احيان كثيرة ويمضي الزمن اختلطوا بالافارقة وتزوجوا من نساظهم واسسوا مراكز تجارية هامة^(٦٢).

وتشير المصادر التاريخية الى ان هجرات عمانية كثيفة قد استوطنت الساحل الافريقي خلال عصر عبدالملك بن مروان واسس العمانيون عدة مدن افريقية كمالينده وزنجبار وممباسا ولامو وكوه وبات^(٦٣).

ومع بدايات القرن السادس عشر الميلادي وباسباب تتعلق باوضاع عمان السياسية وانفصال الساحل عن الداخل بما يمثل استثناء في التاريخ العماني، شهد الساحل الشرقي لافريقيا موجات من الهجرة توجت بنهاية عصر النباهنة حيث قدم على الساحل الافريقي عدد من ملوك النباهنة (٦٠١ هـ) الذين غادروا عمان عقب انهيار دولتهم في بداية القرن السادس عشر واتخذ بعضهم من جزيرة بات وطنا جديدا لهم خصوصا وقد وجدوا في الجزيرة اعدادا كبيرة من العمانيين، الذين كانوا قد سبقوهم الى الإقامة فيها وحبوا بضيوفهم الجدد وتزوج واحد من ملوك النباهنة من ابنة حاكم الجزيرة السواحي المدعو اسحاق، الذي تنازل طواعية لصره عن حكم

الجزيرة وتعاقب النباهنة في حكم هذه الجزيرة وحققوا انتعاشا اقتصاديا هائلا مما مكنتهم من مد نفوذهم في احيان كثيرة الى مالينده وكلوه وممباسة، وفي عهدهم نشطت الحركة التجارية وتوافد على مدنها عرب وهنود وفرس الى ان قدم البرتغاليون وراحوا ينتزعون المدن الافريقية واحدة تلو الاخرى وطبقا لرواية الاخباري السواحل بوانا كيتين ان سلطان بات (محمد الرابع) بعث الى شيوخ حضرموت مستنجدا بهم ضد البرتغاليين سنة ١٥٧٤م الا ان مؤرخا عربيا متخصصا في تاريخ الخليج ينفي ذلك مؤكدا ان استنجد سلطان بات كان بائمة اليعاربة وليس بشيوخ حضرموت (٦٤).

واذا كان العمانيون قد استوطنوا الساحل الافريقي واصبحوا جزءا من نسج المجتمع فإن اللات للظر - وفقا لشهادات البحارة العرب والاجانب - هذا المستوى الحضاري والعمراني ودرجة الرقي والنظام وحركة التجارة التي وصلت اليها المدن الافريقية (لامو) و (باته) و (ملندي) و (ممباسة) و (كلوه) ويؤكد المسعودي الذي زار الساحل الافريقي في القرن الرابع الهجري ان الامارات العربية تمتد من مقديشو شمالا حتى سفالة جنوبا (٦٥).

لقد اشداد كثير من المؤرخين الاوروبيين المتخصصين في تاريخ شرق افريقيا بالموثرات الحضارية لعرب عمان سواء من حيث اساليب الحياة او نشر الثقافة العربية والاسلامية او حتى ملامح المدن، التي تؤكد هويتها العربية ويعد دورات باربوسا Barbosa واحدا من هؤلاء، حيث زار الساحل الافريقي سنة ١٥١٨م وسجل اعجاب البرتغاليين بما شاهدته من مدن عامرة ومجتمعات متحضرة، اضافة الى تجارة مزدهرة مع الشرق الاقصى والهند وبلاد فارس، كما سجل انطباعه عن التناقض الواضح بين الساحل الغربي لافريقيا والساحل الشرقي.

ولعل من المناسب ان نورد وصفا دقيقا لما شاهدته باربوسا حيث يقول (ما ان وصلت مراكب فاسكو ديجاما الى سفالة شرق افريقيا حتى فوجئت بما لم يكن متوقعا حيث البحارة يضربون عباب البحر والمراقيء تزدهم كخلايا النحل ومدن ساحلية غاية في التقدم، ورجال لديهم دراية عالية بعبور المحيط ومعرفة دقيقة بمرافئه ولديهم خرائط متقنة لا تقل فائدة عما في يد الاوروبيين ومدن عامرة لا تقل نشاطا عن مدن البرتغال وتجارة بحرية نافعة كالذهب والعاج والخرز والجلود والاقمشة القطنية...)، لقد وجد البرتغاليون عالما تجاريا اوسع من عالمهم واكثر ثراء من بلادهم حتى السفن العربية كانت اكبر من سفن البرتغال (٦٦).

وكان اول وصول للبرتغاليين الى ساحل افريقيا الشرقي في ابريل سنة ١٤٩٨م واكمل البرتغاليون سيطرتهم على الساحل الشرقي لافريقيا خلال السنوات الاولى من القرن السادس عشر وفشل المسلمون في درء خطرهم بسبب تفكك الممالك العربية على الساحل واقتتاد التعاون بين الممالك الاسلامية الكبرى كالممالك والعثمانيين.

وعند منتصف القرن السابع عشر كانت دولة اليعاربة قد اكتسبت مهارة فائقة في صراعها مع البرتغاليين مكنتها من تحرير كل الارض العمانية وبكل تأكيد فان رجلا كسلطان بن سيف (٦٧) قد وضع نصب عينيه ثلاث ركائز اساسية :

اولها : ارتباط الماء باليابس اعتمادا على حقائق جغرافية وتاريخية، حيث استوعب حقائق الجغرافيا والتاريخ التي اكدت ان انفصال اليابس عن الماء يعد استثناء في

التاريخ العماني وحينما يحدث هذا الانفصال يأتي عصر التدهور والضعف والعكس صحيح فحينما يتفاعل اليباس مع الماء تأتي مرحلة الاستنفار والانتصارات ولعل الجغرافيا قد أوجدت عند العمانيين شكلا من أشكال التحدي الذي فرضه الموقع بخصوصيته الشديدة.

ثانيها : لقد أدرك الامام سلطان بن سيف ومن قبله الامام ناصر بن مرشد أهمية الوسيلة الفاعلة التي يفرضها واقع التحدي الناجم عن الموقع وهي البحرية بالغزو الأكثر شراسة يأتي غالبا عبر الماء والعدو القادم من أوروبا وسيلته الوحيدة هي السفينة.

ومن أجل ذلك كانت السفن العمانية وتطويرها ضرورة فرضها الموقع بتحدياته الصعبة، والأكثر غرابة ان البحرية العمانية فيما لا يتجاوز ثلاثة عقود ابتداء من عصر ابن مرشد ١٦٢٤م وحتى منتصف القرن الخامس من نفس القرن قد تطورت بطريقة لفتت انظار كل القوى البحرية المتصارعة في الخليج العربي والمحيط الهندي.

لقد أدرك أئمة اليعاربة طبيعة الموقع الاستراتيجي التي نجم عنها حقيقة مؤكدة وهي ان عمان قوة برمائية تضع قدما على اليباس وقدا على الماء وتجمع بذلك بين قوة البر والبحر بدرجات متفاوتة لكن بدايتها قوة بحر بحكم الموضع ولم تلبث بحكم الموضع ان أصبحت قوة بر أيضا لكن كان نداء البحر دائما أقوى تأثيرا من جاذبية القاعدة مما جعل من العمانيين قوة دفع حضاري وكان البحر وسيلته الوحيدة لتلك الهجرات التي لم تنقطع عبر مراحل تاريخه الطويل، لذا فاننا نلاحظ ان أئمة اليعاربة قد أعادوا هذه الثوابت في التاريخ العماني، لذا فان تقاعلهم وانتصاراتهم كانت مذهلة.

ثالثها : لقد أدرك أئمة اليعاربة أن مفهوم الامن القومي يتجاوز كثيرا المفهوم التقليدي ولعل تجربتهم مع البرتغاليين أعطتهم تصورا آخر يتجاوز كثيرا حدود اليباس ولذا فان محاولاتهم الناجحة في تتبع البرتغاليين وانتزاع قلاعهم وحصونهم في سواحل فارس وغرب الهند يعد ترجمة عملية لمفهوم الامن القومي ثم كانت خطوتهم التالية الى الشاطئ الشرقي لافريقيا وانتزاع الجزر والمدن الساحلية بهدف تأمين عمان من جانب واناذا الممالك العربية خوفا على هويتها العربية والاسلامية من جانب آخر.

ومع بداية النصف الثاني من القرن السابع عشر كانت عمان قد تحررت تماما من السيطرة البرتغالية مما دفع سكان شرق افريقيا الى أن يطلبوا مساعدة بني وطنهم ودينهم وهكذا بدأت عمان تواجه الاستعمار البرتغالي في شرق افريقيا واستطاع اليعاربة القضاء على سيطرة البرتغاليين في شرق افريقيا كما قضت على هذه السيطرة في كل من عمان والخليج العربي^(٨).

وأعتقد أن الامام سلطان بن سيف، بعد أن حرر مسقط لم يكن في حاجة الى دعوة بني وطنه في شرق افريقيا حيث تشير المصادر التي تناولت هذه الفترة الى انه كان ماضيا في تعقبه للبرتغاليين، ولذا فان الدعوة التي تلقاها من اهالي مباسا تزامنت مع تأهبه للسير نحو شرق افريقيا، ولذا فان سنة ١٦٥٥م شهدت هجوما عمانيا مفاجئا على زنجبار وباتوا وتمكنت البحرية العمانية من أسر عدد كبير من البرتغاليين والسيطرة على عدة سفن عسكرية وتجارية واصبحت زنجبار على ولاء تام لعمان

وقبل حكامها دفع جزية سنوية نظير حمايتهم من البرتغاليين (٦٩).

واخذت تتوالى النجدة العمانية لشرق افريقيا، حيث صدرت الاوامر لاسطول عمانى كان يحاصر بومباي بالتقدم الى ممباسة التي استنجد سلطانها بالامام سلطان ونجح الحصار العماني في ممباسة والذي استمر ما يقارب من خمس سنوات ١٦٦٠ - ١٦٦٥ م، وعلى الرغم من تمكن البرتغاليين من التخلص من الحصار الا ان البحرية العمانية اخذت في فتح جبهات اخرى في بومباي في الوقت الذي راحت فيه السفن العمانية تتدفق نحو الساحل الافريقي مما اربك قوة الدفاع البرتغالية التي اخذت تهاجم الاهالي وتهدم اماكن عبادتهم وتدمر منازلهم وتحرق محاصيلهم بطريقة تتسم بقدر كبير من العنف والمشاعر الصليبية المدمرة.

لقد اتجه سلطان بن سيف عقب حصاره لممباسة الى جزيرتي بمبا وزنجبار وتمكن من تخليصهما من ايدي البرتغاليين الذين استبد بهم الغضب بسبب تعاون الاهالي مع العمانيين، لذا فان القائد البرتغالي كايريرو قام بمهاجمة المدنيين من سكان هاتين الجزيرتين بطريقة افترقت الى ابسط المبادئ الانسانية، وعلى الرغم من ذلك فلم يستطع مواجهة العمانيين انفسهم الذين انزلوا بالبرتغاليين عدة هزائم واستطاع العمانيون خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر تحرير كل المستعمرات البرتغالية في شرق افريقيا والتي كانت تمتد من جزيرة سقطرة شمالا وحتى دلجادوا جنوبا (٧٠).

والحقيقة ان تعاون الافارقة مع العمانيين كان وسيلة فاعلة في حسم قضية الصراع ولم يكن من قبيل المصادفة ان يرتبط سكان شرق افريقيا بالعمانيين وان ينسقوا معهم وانما كان ذلك لاسباب تاريخية، حيث خبر الافارقة طبيعة الشخصية العمانية، حيث لعب البحار العماني والتاجر العماني دورا اساسيا من خلال سلوكهم وقيمهم التي حظيت بتقدير كبير عند الافارقة، فلقد كانت القيم الحضارية، والاخلاق الرفيعة - التي ظلت تميز الشخصية العمانية من خلال الاحتكاك اليومي المباشر - سببا اكسب عمان سمعة حضارية كبيرة.

لعل عنصر المقارنة بين البرتغاليين والعمانيين كان من اهم الاسباب التي دفعت الافارقة الى الترحيب بالعمانيين الذين لم يستاثروا لانفسهم بميزة خاصة وإنما كانوا رسل حضارة تميزت بقيم إنسانية نبيلة، لذا فإن تزاوج العمانيين مع الإفريقيات جعلهم جزءاً من نسيج هذا المجتمع، لذا فقد كانت الفرصة مهيأة تماماً منذ عصر سلطان بن سيف ١٦٤٩ - ١٦٧٩ م لجعل شرق إفريقيا جزءاً من الوطن العماني، وعلى الرغم من ذلك فلم يقدم أئمة اليعاربة على هذه الخطوة (إعتقاداً منهم بأن رسالتهم إنسانية وحضارية، وتقديراً منهم للعديد من التوازنات الدولية وقتئذ).

ولا شك في أن نجاح اليعاربة قد ارتبط بعوامل كثيرة يأتي في مقدمتها الانسان العماني بسلوكه واخلاقه وقيمه ورصيده الحضاري الذي اكسبه ثقة المواطن الافريقي ثم تفوق العمانيين وقدرتهم على اكتساب مهارات البحر وتطوير سفنهم ومقدرتهم على استيعاب التقدم الذي طرأ على السفن الاوروبية، اضافة الى الظروف المختلفة التي احاطت بسياسة البرتغاليين الاستفزازية التي اخذت من الاحتكار وسيلة لقهر الشعوب الافريقية (٧١).

وبوفاة سلطان بن سيف ١٦٧٩ م خلفه ابنه بلعرب بن سلطان، الذي اقسم

ليحررن ممباسة او يموتن دونها لان البرتغاليين قد اعادوا السيطرة عليها عقب عودة سلطان بن سيف الى عمان وفي عام ١٦٨٠م اعد بلعرب بن سلطان اسطولا مكونا من ثمان وعشرين سفينة ثم فرض الحصار على ممباسة التي استعصت على العمانيين بسبب استحكاماتها القوية ولانها كانت من اقوى المراكز البرتغالية في شرق افريقيا، لذا فان بلعرب اخذ يتطلع الى نقاط برتغالية اخرى فاتجه الى موزمبيق وحاصر قلعتها الا ان الحامية البرتغالية بقيادة جيسباردي سوسه لاكيردا Gaspara de Sousa de Lacerda استطاعت الصمود في مواجهة الحصار العمانى.

ووفقا لكثير من الروايات التي تناولت هذا الموضوع فان العمانيين قد اخذوا في حفر سرداب في اسفل القلعة بهدف التسلل الى داخلها مما جعل الحامية البرتغالية تفكر في صد هذا التسلل بطريقة غير تقليدية حيث قاموا بوضع شحنات انفجرت بقوة هائلة مما اثار الذعر في نفوس المهاجمين ورفعوا الحصار عن القلعة (٧٢).

ويبدو ان الصراع بين بلعرب بن سلطان واخيه سيف بن سلطان قد انعكس على قضية الصراع العمانى البرتغالي في شرق افريقيا لدرجة ان مدنا محررة اعاد البرتغاليون سيطرتهم عليها مرة ثانية مثل مالندي وغازا وباته ولامو واستخدم البرتغاليون كل وسائل الابادة الجماعية كما اتخذ القائد البرتغالي من مسجد باته مركزا لقيادته وحول الكثير من المساجد الى قواعد عسكرية وحينما استردت عمان انفاسها بعد حسم الصراع بين الشقيقين بلعرب وسيف لصالح الاخير اعادوا نشاطهم العسكري وحققوا انتصارات هائلة لعل اهمها هو نجاحهم في اخضاع ممباسة ١٤ ديسمبر ١٦٩٨م.

لقد كانت ممباسة من اهم القلاع التي يعتمد عليها البرتغاليون، لذا فان المؤرخين الاوروبيين اعتقدوا ان سقوطها في ايدي العمانيين يعد نهاية للتفوق البرتغالي في شرق افريقيا.

ويبدو ان سيف بن سلطان قد راودته فكرة الابقاء على ممباسة كقاعدة اساسية للحفاظ على انتصاراته على البرتغاليين وهو ما فسرته البعض بان سيف كان يعتزم تأسيس امبراطورية عمانية على انقاض الامبراطورية البرتغالية ولكن ضعف مركزه في الداخل جعله يصرف النظر عن هذا المشروع وبذلك تأخر تأسيس الامبراطورية العمانية في شرق افريقيا الى مائة عام حينما قام بتأسيسها سعيد بن سلطان ١٨٠٤ - ١٨٥٦م (٧٣).

لقد كان سقوط ممباسة بداية لطرد البرتغاليين من كل الشاطئ الافريقي ففي سنة ١٦٩٦م نجح العمانيون في تحرير بمبا وكلوه وباتا وزنجبار، لقد كانت هذه الهزائم سببا لمعاودة البرتغال محاولة ضم ممباسة وجاءت حملات عسكرية من لشبونه رأسا وتكررت هذه المحاولات بداية من ١٦٩٩م وخلال ١٧٠٣م و١٧١٠م ولعل أخطر هذه المحاولات كانت سنة ١٧٢٨م حيث تمكن البرتغاليون من استعادة ممباسة لمدة عامين بسبب انشغال العمانيين بمنازعاتهم الداخلية ولكن العمانيين قد استعادوا كلمتهم مرة أخرى وتمكنوا من استعادة ممباسة.

وعموما فان اليعاربة قد اخذوا على عاتقهم مهمة القضاء على الوجود البرتغالي على طول الساحل الافريقي وما كاد القرن السابع عشر يقترب من نهايته حتى ضاعف العمانيون من تواجدهم في المحيط الهندي لدرجة ان المدن الواقعة شمال رأس

لدجادو قد تخلصت تدريجيا من الحكم البرتغالي وقد ترتب على احلال السيادة العمانية بدلا من السيطرة البرتغالية انطلاقة جديدة للاسلام بما يؤكد حقيقة هامة وهي ان تدخل عرب عمان في شرق افريقيا لم يكن عاملا هاما في القضاء على السيطرة البرتغالية في ساحل شرق افريقيا فحسب بل ان اهمية هذا التدخل تكمن في انه اتاح للدين الاسلامي المناخ الصالح دون عقبات (٧٤).

واذا وقفنا على حقيقة دوافع البرتغاليين واساليبهم في نشر مذهبهم الكاثوليكي خلال ما يقارب من قرنين اتضح لنا الدور الفاعل الذي قام به العثمانيون في التمكين للاسلام من ان ينتشر بين الافارقة ولذلك يعتبر الكثيرون سقوط قلعة ممباسا سنة ١٦٩٨ م معلما هاما لا من حيث القضاء على السيطرة البرتغالية وانما من حيث اتاحة الفرصة للملازمة لنشر الاسلام بين الافارقة (٧٥).

واذا كان اليعاربة قد حالوا دون استمرار الهيمنة البرتغالية على الشاطئ الافريقي وضحو في سبيل ذلك تضحيات رائدة فان سيطرة عمان على ساحل شرق افريقيا في اعقاب انهيار السيطرة البرتغالية لم تكن سيطرة فعلية بسبب المشكلات الداخلية التي تردت فيها دولة اليعاربة ودعوة الحرب الاهلية ومع ذلك فقد استطاع اليعاربة ان يرثوا البرتغاليين ويؤسسوا لهم سيادة عربية امتدت على الساحل الافريقي في الوقت الذي كانت فيه الدولة قد استنفدت معظم جهودها في صراعها ضد البرتغاليين بحيث لم يعد لديها القدرة على ممارسة سيطرتها على شرق افريقيا. وكان من الطبيعي ان ينتهز الحكام الذين تولوا الحكم نيابة عن اليعاربة في شرق افريقيا فرصة ضعف الدولة وحالة الفوضى والتفكك مما اتاح لهم فرصة الانفراد بحكم الولايات التي يحكمونها.

وكان لانتقال الحكم من دولة اليعاربة الى دولة آلبوسعيد رد فعل قوي بين حكام شرق افريقيا فاذا كان هؤلاء الحكام قد تولوا الحكم من قبل دولة اليعاربة فاما بمنعهم بعد ان سقطت تلك الدولة من ان يستقلوا بما تولوا عليه من مقاطعات. ولعل من المناسب ان نعرض وجهة نظر بعض المؤرخين الاوروبيين الذين قالوا بان تجارة الرقيق قد انتعشت انتعاشا كبيرا في شرق افريقيا خلال سيطرة اليعاربة على المحيط الهندي (٧٦).

نستطيع ان نقول ان تجارة الرقيق ابتكار اوروبي قامت به دول وشركات، وان العرب اذا كانوا قد مارسوا هذه التجارة فانها بجهود فردية خالصة وكان اقصى ما يصل اليه الرقيق الافريقي هو الجزيرة العربية وساحل الخليج العربي، اما تجارة الرقيق في غرب القارة - التي لم تحظ من المؤرخين الاوروبيين مثلما حظيت به شرق افريقيا - فقد كانت هذه التجارة تعتمد على خطط محكمة لاستغلال الثروة البشرية الافريقية وتأسست من اجل ذلك الكثير من المراكز التجارية التي ابرمت الاتفاقيات ووضعت الخطط ودبرت الفتن ووقعت بين القبائل الافريقية بهدف تحقيق أسوأ استغلال عرفته البشرية في تاريخها الحديث وما كان يتعرض له العنصر الافريقي من قسوة من جراء الرحلة القاسية التي كانوا يساقون فيها من غرب افريقيا الى مزارع الامريكتين عبر مياه الاطلنطي من خلال رحلة قاسية ومريرة.

وعلى الرغم من كل ذلك فان المؤرخين الاوروبيين تغافلوا عن هذه الحقيقة المؤلة وصوبوا جام غضبهم على العرب في شرق افريقيا بل ان كوبلاند coupland وغيره

حاولوا تحميل العرب وزر تجارة الرقيق في شرق افريقيا باعتبارهم الوسطاء الذين كانوا يمدون المراكز التجارية البرتغالية بالعدد اللازم من الرقيق دون ان يذكر ارقاماً او احصائيات دقيقة مقارنة بما كان يحدث في غرب افريقيا.

وهناك جانب آخر تعرضت له المصادر الاوروبية التي تناولت شرق افريقيا فقد حرص الكثيرون على التهوين من دور العرب وتأثيرهم الحضاري في عصر العياضية الذين قالوا عنهم انهم لم يهتموا بإدخال الزراعة وكان همهم هو اشباع نهمهم في تجارة الذهب والعاج والرقيق.

ولعل وجهة النظر الاوروبية هذه قد تغافلت عن حقيقة اكدها الرحالة الاوروبيون الذين زاروا شرق افريقيا عند مقدم البرتغاليين وفي مقدمتهم دورات باربوسا Bar-bosa الذي زار الساحل الافريقي سنة ١٥١٨م وسجل اعجابه بالمراكز التجارية والحضارية وبرز دور العرب في تنمية الشاطئ الافريقي وذكر العديد من المراكز الحضارية التي اثارت اهتمام البرتغاليين انفسهم (٧٧).

ومن الطبيعي أن يعتني العرب في شرق افريقيا بالتجارة بحكم انها كانت عصب الحياة الاقتصادية في نهاية العصور الوسطى واول العصور الحديثة لكن بعد ان استقرت السيادة العمانية على شرق افريقيا في بداية عهد آل بوسعيد بدأ الاهتمام بإدخال أنواع كثيرة من الحاصلات وخصوصاً في عصر السيد سعيد بن سلطان الذي حول شرق إفريقيا الى مجتمع زراعي بالدرجة الاولى، وخصوصاً زراعة القرنفل حتى أصبحت جزيرتا ممبا وزنجبار تمدان العالم بالنصيب الاوفاً من ذلك المحصول.

الفصل الثالث أحمد بن سعيد وقيام الدولة البوسعيدية

التدخل الفارسي في عمان ونهاية عصر اليعاربة :

عندما توفي سيف بن سلطان ١٧١١ خلفه ابنه سلطان بن سيف الذي واصل الحرب ضد البرتغاليين كما تابع محاربة الفرس بهدف اخراجهم من البحرين وقشم ولارك وتوفي في عام ١٧١٨م وبوفاته انتهت الوحدة التي عرفتها عمان، حيث عادت الحروب الأهلية لأكثر من ثمانية عشرة عاما وانقسمت القبائل بين مؤيد لولاية سيف بن سلطان الذي كان ما يزال صبيا صغيرا لم يبلغ بعد مبلغ الرجال وبين مبايعة مهنا بن سلطان الذي وجدوا فيه شخصا حائزا على كل الشروط التي يجب توافرها في الامام بعكس سيف الذي لا يجوز له أن يؤم الناس في الصلاة فكيف يؤمهم في شؤون الحياة؟ واعتقد البعض أن في ولايته خروجا على المألوف والشرع.

ومما يستلفت الانتباه ان العلماء لم يخرجوا عن البيعة في نطاق أسرة اليعاربة، حيث كان مهنا بن سلطان ينتمي الى تلك الأسرة ولما كان موقف العلماء يتعارض مع موقف بعض القبائل العامة فأنهم لم يجروا على مبايعة مهنا علنا وطبقا لما ذكرته بعض المصادر العمانية فإن العلماء لجأوا الى حيلة جاءوا بالصبي سيف وأوقفوه أمام جمهور المسلمين ونادوا أمامكم سيف (بفتح الهمزة) وهو اعلان يمكن تفسيره أمامكم أو أمامكم (بالفتح أو الكسر) وبهذا أمكن تفادي موقف المعارضة حتى هدأت العاصفة فعمد العلماء الى ادخال مهنا الى قلعة الرستاق ونادوا به اماما ١٧١٩م.

وعلى الرغم مما بذله من جهود كبيرة وصادقة لما فيه خير البلاد الا انه قد قوبل بمعارضة شديدة ولم يمض عام واحد على توليه الامامة حتى تمكن أحد المناوئين له وهو يعرب بن بلعرب من اجبار مهنا بن سلطان على التنازل عن الامامة وقتله عام ١٧٢٠م وعلى اثر ذلك انتقل يعرب الى مدينة نزوى مستصحباً معه الامام (الصبي) سيف بن سلطان وأصبح يعرب مسيطرا على عمان مؤكداً انه لا يطالب بالامامة لنفسه لأنها من حق سيف الذي أجمع العامة على اختياره مكتفياً بالوصاية عليه رغم انه استحوذ على السلطة متجاهلا الوصاية مما كان دافعا لخلعه من قبل بلعرب بن ناصر الذي عقد الامامة لسيف للمرة الثانية عام ١٧٢٢م وتولى أمر الوصاية عليه.

ولكن الوصي المخلوع (يعرب بن بلعرب) عقد اتفاقا مع محمد بن ناصر الغافري الذي راح يحفز كثيرا من القبائل رافعا راية المعارضة مما أدخل البلاد في حرب أهلية أجهزت على الرصيد الكبير من الامكانيات العسكرية والاقتصادية التي وفرها الأئمة العظام أمثال سلطان بن سيف وسيف بن سلطان ونظرا للأوضاع المتردية فقد لجأ سيف بن سلطان (الثاني) الى فارس حيث كتب الى نادر شاه طالبا العون

منه^(١) في الوقت الذي كان نادر شاه قد فرغ من الحاق الهزيمة بالأسطول العثماني في البصرة وقام باحتلال البحرين مما ضاعف من طموحه بهدف السيطرة على الخليج العربي كله^(٢).

وهكذا وجدها نادر شاه فرصة مواتية للسيطرة على مسقط بل والساحل العماني بأسره الذي كان حلم الفرس دائما.

واستجابة لتلك الدعوة بعث نادر شاه بحملة بحرية كبيرة الى مسقط بقيادة لطيف خان رافعة العلم الفارسي الأبيض ذا السيف الأحمر (مارس ١٧٣٧ م) وفي جلفار انضم سيف بن سلطان الى الفرس وزحفوا الى البريمي ثم عبري حيث ارتكب الفرس أعمال عنف عديدة مما أدى الى استياء سيف ابن سلطان من تصرف حلفائه، لذا فقد اتجه ناحية مسقط بمفرده^(٣).

وماكادت القوات الفارسية تتخلص من مقاومة بلعرب بن حمير حتى أعلن القائد الفارسي لطيف خان نفسه حاكما عسكريا مطلقا على عمان ولم يترك شيئا من السلطة لسيف بن سلطان الذي كان مشغولا بمقاتلة بقايا الجيوش الموالية لبلعرب بن حمير وبعد أن وصلت الأمور الى هذه الحال المتردية اجتمع حول بلعرب قي قاعدته بهلا جمع كبير من العمانيين المعارضين للتدخل الفارسي وكان من هؤلاء كثير من العلماء الذين كتبوا الى سيف بن سلطان ينددون باعتماده على الفرس^(٤).

ونظرا للمقاومة العنيفة التي قام بها العمانيون ضد الغزو الفارسي فقد اضطرت السلطات الفارسية الى طلب المساعدة من المؤسستين الانجليزية والهلندية في بندر عباس مثل الحبال والمراسي والأشربة وكذلك التجارين الأوروبيين المهرة ووفقا للتقارير الهولندية والانجليزية فإن المؤسستين الأوربيتين في بندر عباس كانتا تلبيان جميع المطالب الفارسية وتشير نفس التقارير الى ان الفرس كانوا يدفعون رشوي وأتاوات لبعض المسؤولين الانجليز والهلنديين^(٥).

وما لبث ان دب الخلاف بين الامام سيف ولطيف خان وأصبح من المؤكد ان السياسة التي اتبعها سيف لتوطيد مركزه معتمدا على اعداء بلاده لم تكن سياسة ناجحة، حيث استاء العمانيون وظهر ذلك حين فشل القائد الفارسي الجديد تقي خان من السيطرة على صحار وبعد أن حلت كارثة بالحاميات الفارسية في بهلا وأزكي حين إبادهما العمانيون في الوقت الذي ثار فيه الملاحون العرب في الاسطول الفارسي مما اضطر تقي خان الى التراجع بمن معه نحو جلفار (رأس الخيمة) ومن هناك وصلته نجات فارسية تمكن بواسطتها من احتلال منطقة الظاهرة.

وفي فبراير ١٧٣٨ م وقع اشتباك كبير بين القوات الفارسية والعربية قرب بهلا حقق فيه الفرس نصرا ساحقا وأصبح الطريق الى منطقة البريمي حيث عبر عن ندمه وأبدى استعداده لمقاومة الفرس مما أدى الى التقاف القبائل حوله لكن هذه الوحدة الوطنية لم تستمر طويلا فسرعان ما اختارت بعض القبائل سلطان بن مرشد اماما.

وفي ظل هذه الأوضاع المتدهورة حاول الفرس الاستيلاء على مسقط وتشير المصادر الهولندية الى ان عددا من السفن الهولندية قد تم الاستعانة بها للهجوم على مسقط^(٦).

وفي محاولة من سيف للتكفير عن أخطائه والقيام بعمل بطولي فقد بادر بقيادة

المقاومة العمانية التي أبدت استبسالاً شديداً وتعقبت الفرس في مياه الخليج وأعلن سيف عن تصميمه في نقل المعركة إلى داخل الأراضي الفارسية ذاتها وناشد كل القبائل العربية في الخليج تزويده بالمقاتلين مما مكنه من الوصول إلى البحرين وبندر عباس^(٧).

يبدو أن النجاح الذي أحرزه الإمام سيف قد واكب تدهور الأوضاع في فارس حين دبت الثورات في كثير من المقاطعات مما دفع نادر شاه إلى سرعة سحب قواته من الخليج لمعالجة مشاكله الداخلية وتبع ذلك انسحاب القوات الفارسية من عمان مما أدى إلى هدوء الأوضاع في عمان حيث أتيحت الفرصة لسيف لكي يعود إلى حياته الخاصة التي أغضبت غالبية العمانيين الذين ثاروا عليه وأعلنوا خلع عاقلين البيعة لسلطان بن مرشد الذي تمكن من السيطرة على مسقط ومهاجمة سيف في بركا مما اضطره إلى الفرار إلى جلفار (رأس الخيمة) حيث نزل في معسكر الفرس معاودا الاتصال بتقي خان طالباً إليه نقل رسالة إلى نادر شاه يطلب فيها عونه لتثبيتته في الحكم وإعدادا إياه بالسيادة الفارسية على جميع الأراضي العمانية.

واللافت للنظر أن سيف بن سلطان لم يستفد من تجاربه السابقة حيث ادخل بلاده في أتون حرب أهلية أضعفت من إمكانياتها معرضاً وطنه لغزو خارجي مفضلاً أن يكون أماماً في وطن محتل.

ومرة ثانية أصدر نادر شاه أوامره إلى تقي خان بإعداد حملة جديدة لغزو عمان ونجح الفرس في فرض الحصار على صحار في الوقت الذي تقدم فيه الإمام الجديد سلطان بن مرشد لمواجهة الحصار الذي استمر قرابة سبعة أشهر كلف الفرس والعمانيين الكثير من الجهود والأرواح^(٨).

وتشير بعض المصادر الأوروبية وثيقة الصلة بأحداث تلك الفترة إلى أن مساعدات هائلة قد قدمها الانجليز والهولنديون للفرس بل أن سفناً انجليزية اشتركت في حصار مسقط وعلى الرغم من سقوط المدينة في أيدي الفرس إلا أن حصونها بقيت تحت السيطرة العمانية مما كان سبباً في الحاق هزائم ساحقة بالفرس^(٩).

أحمد بن سعيد وتحرير عمان :

لقد كانت الأطماع الفارسية في عمان فرصة مناسبة لجمع القبائل نحو تحقيق هدف محدد ولعل الدرس الأول الذي وعيه العمانيون أن الجميع خاسرون ولا أمل في تحرير البلاد إلا بعودة الوحدة الوطنية والالتفاف حول حاكم قوي يستطيع أن يستثمر مقومات الوطن الكبير وأن يحفز الناس على تحرير عمان.

لقد أعد المسرح في عمان لظهور رجل قوي شديد الانضباط استطاع أن يلعب دوراً فاعلاً في تحرير وطنه من الاحتلال الفارسي وهو الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي الأزدي، الذي يعد المؤسس الأول لدولة البوسعيد، وقد كان يشغل منصب والي صحار تلك المدينة التي شاء القدر لها أن تلعب دوراً هاماً في بعث المقاومة الوطنية واستبسال حامياتها في سبيل المقاومة التي نالت من قوة الفرس وعجلت بنهايتهم.

لقد لقي أحمد بن سعيد تأييداً كبيراً من القبائل العمانية لدرجة أن هذا التأييد كان مدعماً لشكوك الإمام سيف الذي ساورته الظنون في أن مؤامرة تدبر لخلعه عن الإمامة لذلك أصدر أوامره وكان لا يزال مسيطراً على مسقط بالقبض على أحمد بن

سعيد الذي أدرك ما يدبره له سيف فأثر التراجع وهو في طريقه إلى مسقط^(١٠).

لم يلبث سيف أن أفصح عن عداوته لأحمد بن سعيد ومن أجل ذلك فقد بعث بأسطول إلى صحار التي استعصت على المهاجمين لكن أحمد بن سعيد أثر السلامة وأعلن ولاءه للإمام سيف وقبل أن يبعث بأحد أنبائه إلى مسقط ليكون رهينة لدى الإمام لكن الأحداث ما لبثت أن تطورت بشكل سريع حيث أعلن الإمام سيف انسحابه من مسرح الأحداث بعد أن أدرك ما جره على بلاده من ويلات وظل في الرستاق إلى أن وإفاه الأجل في الوقت الذي استمر فيه حصار الفرس لصحار وأصيب سلطان بن مرشد بجراحات كثيرة عجلت بوفاته هو الآخر^(١١).

وهكذا هيأت الظروف بوفاة الإمامين المتنافسين لوالي صحار أحمد بن سعيد الوصول إلى الإمامة وتبدو النظرة الثاقبة، تقديراً للظروف الداخلية والخارجية التي كانت تمر بها عمان، حين أدرك أحمد بن سعيد أن اختيار المهادة هو أفضل السبل لإعادة ترتيب البيت العماني من الداخل بعد أن دفعت البلاد ثمنًا باهظًا للانقسامات.

وتضيف بعض المصادر العمانية أن الفرس طلبوا الصلح من الإمام بهدف تأمين خروجهم من صحار بعد أن استحال عليهم احتلالها، ولكن بعض المصادر الفارسية تنفي حدوث ذلك الصلح وتؤكد أن أحمد بن سعيد قد أبدى مرونة مع الفرس مما أكسبه ثقة تقي خان الذي انسحب من صحار لكي يعد لثورة في إقليم فارسستان ضد نادر شاه الذي كان يخوض حرباً ضارية ضد الدولة العثمانية.

وسواء أكان الفرس هم الذين طلبوا رفع الحصار عن صحار أو أن أحمد بن سعيد هو الذي طالب بذلك فالنتيجة واحدة حيث انحسر الوجود الفارسي عن مدينتي مسقط ومطرح ولجأت الحاميات الفارسية إلى قلعتي الميراني والجلالي مما أتاح لأحمد بن سعيد فرصة التقاط الأنفاس تمهيداً لتحرير كل عمان من الاحتلال الفارسي.

وتجمع كل المصادر العربية والأجنبية على أن الرجل كان يتميز بقدر كبير من الحنكة والدهاء الشديدين مما مكنه من توطيد مركزه في المقاطعات الداخلية تمهيداً لإعادة الوحدة العمانية وبعد أن استوثق من إمكانات عدوه لم يلبث أن تعدد أهمل دفع الجزية المتفق عليها ثم أبقي على جنود الحامية الفارسية في الميراني والجلالي دون راتب أو إمدادات وأمعاناً في أطباق الحصار قرر إعفاء التجارة القادمة إلى بركا من الضرائب الجمركية مما أغرى السفن التجارية على التوقف في ميناء بركا بدلاً من مسقط مما ضاعف من تدهور أوضاع الحامية الفارسية سواء لنفاذ ذخيرتها أو انقطاع مؤنّها ورواتبها^(١٢).

لقد أدرك قائد الحامية الفارسية في مسقط خطورة موقفه وبعث إلى الشاه الذي خوله اتخاذ ما يراه مناسباً ووقع الاختيار على رجل يدعى ماجد بن سلطان أحد أقرباء سيف بن سلطان حليف الفرس السابق وسافر الرجل إلى تبريز حيث تقابل مع الشاه الذي وافق على أن يعهد إليه بحكم عمان تحت السيادة الفارسية^(١٣).

وتذكر بعض المصادر العمانية أن الظروف شاءت أن تقذف الرياح بالسفينة التي كان يستقلها ماجد بن سلطان وهو في طريق عودته إلى صحار، حيث قبض عليه وانتزع منه فرمان الشاه القاضي بتسليمه معاقلاً مسقط ومطرح حيث أرسل أحمد بن سعيد أحد أعوانه إلى قائد الحامية الفارسية في مسقط الذي أسلم إليه حصونها على اعتبار أنه موفد من قبل ماجد بن سلطان، ويحدد المصدر العماني تلك الخديعة على

اعتبار انها بداية عملية لعهد البوسعيد ونهاية عصر اليعاربة^(١٤).

ولا يختلف المصدر العماني عن المصادر الأوروبية الا في بعض التفاصيل لكن المصدر الأوروبي يحدد تاريخ ٢٤ يونيو ١٧٤٧م بداية لانتهاء الحماية الفارسية في مسقط حيث أشيع مقتل نادر شاه مما ضاعف من يأس الحماية الفارسية وفي أغسطس وصل الى الشاطئ الفارسي حوالي مئتي جندي فروا هاربين بعد أن نصب لهم العمانيون كمينا أباد معظم الحماية^(١٥).

وسواء أكانت إبادة الحماية الفارسية تمت في مسقط أو في بركا فالنتيجة واحدة حيث استولى احمد بن سعيد على مسقط ولم تبق الا منطقة جلفار (رأس الخيمة) التي اعتمد بها الشيخ رحمة بن مطر الذي سبق وأن اعترف به نادر شاه حاكما على هذه المدينة منذ ١٧٤٠م.

لقد اختلفت الروايات بشأن مبايعة أحمد بن سعيد بالامامة فابن رزيق لم يحدد تاريخا للامامة وأن كان يفهم من كتاباته أن عام ١٧٤١م هو العام الذي بدأ فيه أحمد بن سعيد صراعه مع الفرس ولذا فقد اعتبر ابن رزيق أن ذلك بداية عملية لاختياره اماما بينما مؤرخ مهم كالسالمي اعتبر العام الهجري ١١٠٨هـ الموافق عام ١٧٤٥م هو العام الذي ببيع فيه احمد بن سعيد اماما، وعموما فإن رواية السالمي هي الأقرب الى المنطقة على اعتبار أنه اعتبر عام ١٧٤٤م هو العام الذي تم فيه طرد الفرس من عمان ونجاح أحمد بن سعيد في التخلص من بلعرب بن حمير وهو نفس العام الذي تمت فيه مبايعة احمد بن سعيد.

وأن كان مؤرخ عماني آخر كالازكوي^(١٦) قد حدد تاريخا للمبايعة هو عام ١١٦٢هـ الموافق ١٧٤٩م، وعموما فإن احمد بن سعيد قد ببيع اماما عقب وفاة الامامين لكنه من الثابت أن احمد بن سعيد قد انفرد بحكم عمان منذ عام ١٧٤٤م وهو ما نعتبره بداية لامامته.

لقد أدرك احمد بن سعيد منذ الوهلة الأولى أهمية عودة الوحدة الوطنية، لذا فقد بذل جهدا فائقا مما مكنه من أن يعيد لعمان وحدتها وهياً لها أن تلعب دورا هاما في تاريخ الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر^(١٧).

وإذا كان الامام احمد بن سعيد قد برز في تاريخ عمان الحديث كمؤسس لدولة البوسعيد الا ان المعلومات الخاصة بحياته قبل سطوع نجمه تؤكد انه كان تاجرا أميناً صادقاً مهيباً ينحدر من أسرة عربية أصيلة يعمل معظم أفرادها بالتجارة وقد تميز بجراحة نادرة وشجاعة فائقة لفتت اليه الأنظار مما مكنه من الوصول الى ولاية صحار كوال من قبل اليعاربة.

ولاشك أن الدور الذي قام به في تثبيت دعائم الحكم قد استغرق منه الكثير من الجهد ولعل أبرز المشاكل التي واجهته في مستهل عهده ثورات اليعاربة ضده بسبب فقدانهم الحكم ثم تمرد بعض القبائل في منطقة الظاهرة الا ان احمد بن سعيد استخدم أسلوب القوة حيناً واللين في كثير من الأحيان كما عمد الى أسلوب المصاهرة بهدف التقرب مع القبائل المناوئة له ومن ذلك زواجه من أرملة سيف بن سلطان^(١٨). ومصاهرته لشيوخ بني الهلالي الذين توثقت علاقته بهم منذ أن كان والياً على صحار، كما عني بتوثيق علاقات الجوار مع القبائل العربية القاطنة في جنوب فارس ومنطقة عربستان وتحالف مع قبائل بني كعب عند شط العرب ونهر القارون

وتوطدت علاقاته مع قبائل بني معن القاطنة بالغرب من بندر عباس مما حال محاولات كريم خان الزندي السيطرة على تلك المناطق.

وامتدت علاقاته الى الهند حيث ساعد شاه علم امراطور المغول في الهند وعاونه في حربه ضد القراصنة الذين كانوا يعوقون التجارة بين مانجالور في ساحل الهند الغربية وبين مسقط وتوجت هذه العلاقة بإبرام معاهدة ١٧٦٦ التي نص فيها على استمرار علاقات الصداقة وإنشاء دار في مسقط لمبعوث الحاكم المغولي الذي أصبح يعرف ببيت نواب^(١٩).

ويمكن القول ان البلاد شهدت لأول مرة بعد أكثر من عشرين عاما نوعا من السلطة المركزية بعد أن تمكن من توحيد القبائل المتناحرة وبادر باتخاذ الاجراءات الكفيلة بترسيخ قواعد الدولة الحديثة، حيث قام باعداد قوات مسلحة تتناسب والتحديات التي تفرضها مكانة عمان ثم قيامه بتحديث الأنشطة الاقتصادية وامتلك اسطولا حربيًا وتجاريًا وفي عهده أصبحت مسقط من أهم المدن التجارية في الخليج العربي وغدا ميناءها من أهم الموانئ التجارية الذي ترتاده السفن الأوروبية^(٢٠).

لقد وصلت عمان في عهد الامام احمد بن سعيد درجة من الرقي والتقدم جعلت التقارير الهولندية والانجليزية تعترف بالسيادة العمانية على كثير من شواطئ الخليج العربي والمحيط الهندي واعترفت بفطنة وذكاء احمد بن سعيد الذي استمال اليه أبناء وطنه واتسم بالتسامح في تعامله مع الأجانب وامتد نفوذه الى شرق افريقيا، ويعترف ريسو Rissو ان عمان هي الدولة الوحيدة التي استفادت من انحدار تجارة بندر عباس وتدهور أوضاع الأوروبيين في الخليج خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر^(٢١).

ويشير تقرير هولندي صدر عام ١٧٤٩م الى ان احمد بن سعيد قد توطدت علاقاته بكل الشيوخ العرب القاطنين على السواحل الفارسية وقد تحالف هؤلاء الشيوخ الذين كانت لديهم امكانات عسكرية هائلة مع احمد بن سعيد^(٢٢).

وهكذا استطاع احمد بن سعيد أن ينقل الحرب الفارسية العمانية الى الأرض الفارسية مما اعاق حركة التجارة الفارسية وخصوصا في بندر عباس التي أخذ الهولنديون يتطلعون الى مغادرتها نهائيا.

على أية حال، وعلى الرغم من تصارع القوى الأوروبية في الخليج فان احمد بن سعيد راح يتطلع الى تحقيق المصالح العمانية بما لا يتعارض مع التنافس الدولي في الخليج.

ونستطيع أن نقول انه اذا كانت دولة اليعاربة قد وصفت بأنها (دولة بحرية حربية) فمن المناسب وصف دولة البوسعيد بأنها (دولة بحرية تجارية).

واذا كان احمد بن سعيد قد نجح في طرد الفرس من عمان فانه نجح أيضا في التغلب على المشاكل الناجمة عن الحرب الأهلية العمانية وتحقيق له الولاة من جانب العمانيين الذين أجمعوا على مبايعته اماما تقديرا للدور الذي لعبه في تحرير عمان.

ولعل أوضاع عمان عند ظهور احمد بن سعيد تشبه الى حد كبير أوضاع عمان عند قيام دولة اليعاربة فبينما تصدى ناصر بن مرشد لانصار التجزئة في الوقت الذي كان يخوض فيه حربا ضارية على السواحل العمانية ضد البرتغاليين كذلك فعل احمد ابن سعيد في بداية عهده ففي الوقت الذي أخذ يتصدى فيه لبعض القبائل التي رفعت

راية العصيان كان يخوض حرباً ضارية ضد المعتدين الفرس، وكلما تحقق الانتصار على الجبهة الداخلية كلما انعكس ذلك ايجابياً على الصراع العماني الفارسي. وبمجرد أن فرغ أحمد بن سعيد من تحرير بلاده بادر على الفور باتخاذ العديد من الاجراءات التي من شأنها أن تكفل ترسيخ قواعد الدولة في عمان، من ذلك قيامه باعداد قوات مسلحة واتجاهه نحو تعيين بعض الموظفين المدنيين للعمل على تحديث الأنشطة الاقتصادية في الدولة^(٢٣).

وتجمع المصادر العربية والأوروبية على أن الثمانين عاماً الأولى من حكم البوسعيديين تتميز بالازدهار الشديد وهناك عوامل عديدة ساعدت العمانيين على الأفراد بدور رائد تأتي في مقدمتها المهارة والخبرة الملاحية والتجارية حيث اكتسب العمانيون رصيدا ضخما من التجربة تعد محصلة للأحداث التاريخية والموقع الجغرافي والتراث العماني، ثم الاستقرار الذي شهدته عمان وتمتع به الموانئ العمانية في الوقت الذي سادت فيه الفوضى وعم الاضطراب أغلب موانئ الخليج، ثم تأتي شخصية احمد بن سعيد الذي تميز بدرجة كبيرة من الانضباط والحسم والقدرة على اتخاذ القرارات المناسبة، اضافة الى احترام القوى الأوروبية له وثقتها في سياسته التي جذبت الأجانب وحفزتهم على انشاء وكالات تجارية لهم في المدن العمانية وخصوصا مسقط التي أصبحت سنة ١٧٩٠ م من أهم المدن الآسيوية وفقا لتقرير أعدته شركة الهند الشرقية الانجليزية ويقدم التقرير دليلا موثقا على ان مسقط تمارس نشاطا تجاريا يفوق حجم التجارة في كل المدن الخليجية الأخرى^(٢٤).

العلاقات الخارجية للدولة البوسعيدية :

العلاقات بشرق افريقيا :

لم تكن السنوات الأولى لحكم الامام احمد بن سعيد سهلة، بسبب فترة الاضطراب وعدم الاستقرار التي شهدتها عمان نتيجة للصراعات الداخلية كما أسلفنا.. الا ان الامام احمد بن سعيد وجد نفسه أمام تحديات خارجية لا يمكن تجاهلها، ومن ذلك رغبة بعض الولاة التابعين لدولة اليعاربة في استغلال سقوط الدولة للإعلان عن انفصالهم التام وتكوين دولة تابعة لهم.. وهذا هو حال محمد بن عثمان المزروعى الذي أعلن استقلاله عن الدولة العمانية، متعللا في ذلك بأن ممباسة التي كانت تخضع لنفوذه بقيت على ولائها لدولة اليعاربة حتى سقطت ولا يعني ذلك أن تستمر تبعيتها لعمان حتى بعد سقوط أسرتها الحاكمة.. زد على ذلك فإن المزروعى كان يرى بأن مؤسسة الدولة الجديدة قد وصل الى الحكم بمجهود وطموح شخصي^(٢٥) بمعنى آخر اذا كان والي صحار قد استطاع بمجهود وقوة ارادته أن يفرض نفوذه على عمان فما الذي يمنح المزروعى والي اليعاربة من أن يضع ممبسة تحت دائرة نفوذه^(٢٦).

ولم يكن احمد بن سعيد في وضع يسمح له بتجاهل هذا التحدي الخطير لسلطته من جانب والي مغفور كالمزروعى، خصوصا وأن الامام احمد الذي ينحدر من أسرة تقدر قيمة العمل التجاري، كان يدرك بأن استمرار سيطرته على شرق افريقيا من شأنه أن يعطي لعمان مكانة تجارية مميزة، هو أحوج ما يكون لها من أجل توطيد حكمه على البلاد.

وعلى ضوء ما قام به المزروعى من تمرد وشروعه في وقف ارسال الزكاة

والخراج الى امام عمان الجديد، ومن واقع قنائة أحمد بن سعيد بصعوبة القيام بعمل عسكري ضد شرق أفريقيا في تلك الظروف، فقد قرر الامام احمد اللجوء الى العقل والكياسة كي يضع نهاية التمرد ويمنع انفصال ممباسة عن دائرة نفوذه.. فقام الامام احمد بارسال ستة من اتباعه المقربين برئاسة سيف بن خلف الى ممباسة، حيث قدموا أنفسهم الى المزروعي - بكل ما أوتوا من دهاء وثقة في النفس على أنهم خارجون على الامام وقالوا له ضمن ما قالوا (لقد تمردنا على الإمام وجئنا اليكم، واننا نود الانضمام الى جانبكم وأن نفعل ما تشاؤون، ويكون قدركم قدرنا)^(٢٧) وبعد أن اقتنعوا باطمئنان المزروعي لهم، طلبوا منه السماح لهم بالذهاب الى كلوة وبمبا لجمع الاتباع والمناصرين للهدف المشترك، وهو الاستقلال عن الامام احمد بن سعيد، وقبل الموعد المحدد للرحيل بيوم واحد توجهوا لزيارته بهدف التوديع حيث قابلهم في قلعته، فاستغل سيف بن خلف الفرصة وقتل المزروعي وحاشيته الموجودة في القلعة^(٢٨).

وعلى الرغم من هذا النجاح الذي حققه رجال الإمام احمد في بسط نفوذ الدولة الجديدة على ممباسة، الا ان سيطرة البوسعيدين على هذا الجزء من شرق أفريقيا لم تدم طويلا.. فسرعان ما تمكن علي بن عثمان المزروعي من الانتقام لآخيه عندما نجح في اغتيال والي الإمام على ممباسة سيف بن خلف^(٢٩)، وبنجاح علي في استعادة حكم المزروعيين على ممباسة انفرد المزاريع بحكم هذه المدينة الافريقية التي قادت حركة التمرد ضد الدولة البوسعيدية في الساحل الافريقي.. أما عن باقي المدن في شرق افريقيا، فقد بقيت بعيدة عن سيطرة الامام احمد بن سعيد فيما عدا زنجبار التي عين عبدالله بن حمد البوسعيدي واليا عليها^(٣٠). وإذا كان الامام احمد بن سعيد قد صادف نجاحا محدودا في شرق افريقيا، فانه صادف نجاحا كبيرا في التصدي لاطماع الفرس.

العلاقات بفارس :

استمرت العلاقات العمانية الفارسية انذاك بالتنافس من أجل الحصول على السيادة البحرية، فمن المعروف أن فارس قد سعت ومن خلال فترات مختلفة من تاريخها نحو تحجيم القوة البحرية العمانية، وقد حاولت فارس اضعاف البحرية العمانية تارة بالاعتماد على نفسها ومرات عديدة بالاعتماد على القوى الأوروبية^(٣١)، فبعد حصول فارس على مساعدات عسكرية من شركة الهند الشرقية البريطانية، التجأت الى فرنسا ابان حكم لويس الرابع عشر طلبا للمساعدة في هذا المجال... وقد تمخضت الاتصالات الفارسية بفرنسا عن توقيع معاهدة فارسية - فرنسية، كان أحد نصوصها السرية يقضي بمساعدة الفرنسيين للأسطول الفارسي لتمكينه من احتلال مسقط^(٣٢). وبالرغم من عدم وضع هذه الاتفاقية موضع التنفيذ، الا ان فارس لم تتوقف عن تقديم الاغراءات التي وصلت إلى درجة موافقتها على منح مسقط بكافة تحصيناتها إلى الحكومة الفرنسية، والتزمت أيضا ببذل أقصى ما في وسعها لطرد الدول الأخرى المنافسة لفرنسا في سيطرتها على طريق الهند^(٣٣). كما نصت الاتفاقية على اعفاء الواردات والصادرات من فرنسا واليها من الرسوم الجمركية ووضع حوافز واسعة لتشجيع التجارة الفرنسية مع فارس.. وقد تم التصديق على هذه الاتفاقية في عام ١١٣٤هـ / ١٧٢١م^(٣٤)، ولكن تطور الموقف في

فارس حال دون استعادة فرنسا من هذه المعاهدة حيث تزامن توقيع هذه الاتفاقية مع تعرض فارس لغزو مسلح من قبل الأفغان^(٣٥)، مما ترتب عليه ضعفها في مياه الخليج والمحيط الهندي.

وقد حاول نادر شاه بعد أن حرر بلاده من الأفغان، تدعيم مركز فارس في الخليج العربي، مستفيداً من شك من حالة التمزق التي كانت تعيشها القوة الأولى في منطقة الخليج العربي ألا وهي عمان... كما أن المساعدات التي قدمتها الدول الأوروبية كانتجلاً وهولندا لنادر شاه أسهمت دون شك في بناء أسطول فارسي قوي على أحدث طراز.

ولقد واجه الأسطول الفارسي في عهد نادر شاه مشاكل عديدة منها اعتماده بالدرجة الأولى على المساعدات الأجنبية في بنائه، وكذلك افتقاره الى وجود الخبرات المحلية المتمرس في فنون الملاحة مما دفع بقادة الفرس الى الاستعانة بالبحارة العرب لقيادة هذا الأسطول، إلا أن كثيرين من المؤرخين يجمعون على أن نادر شاه استطاع مواجهة تلك الصعوبات نتيجة لاصراره على بناء أسطول فارسي يخدم أهداف سياسته الخارجية، ولهذا فقد ارتبطت قوة الأسطول الفارسي بحياة نادر شاه الى حد بعيد. وقد تزامن اغتيال نادر شاه في عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م ببروز شخصية الامام احمد بن سعيد الذي تطلع منذ بداية حكمه الى تدعيم دور عمان في منطقة الخليج العربي، ولذلك اصطلحت سياسة الامام احمد في المنطقة بسياسة كريم خان زند الذي خلف نادر شاه على عرش فارس، حيث حاول هذا الأخير بعد أن نجح في توطيد حكمه في الداخل، السير على منتهى سلفه نادر شاه التوسعي في منطقة الخليج العربي.

ومن هذا المنطلق بعث كريم خان برسالة الى الامام أحمد طالباً منه دفع الجزية السنوية، متعللاً بما يدعيه بتبعية عمان الى فارس، ولكن الامام احمد بن سعيد رفض المطالب الفارسية بأسلوب رجال السياسة المتمرسين الذين يعرفون كيفية مخاطبة التطلعات الاستعمارية، فنجدد يعلن بأسلوب ملؤه الاصرار والثقة بالنفس بأن بلاده ترفض المطالب الفارسية جملاً وتفصيلاً، وضمن ذلك في خطاب ذي لهجة قوية أرسله الى كريم خان زند، جاء فيه بأن دولة عمان لا تدفع الجزية لأحد، مشيراً الى انه اذا ما أصر كريم خان على مطالبه فان عليه ان ينتزعها بالقوة^(٣٦).

ولم يكتف الامام أحمد برفض الطلب الفارسي بخطاب شديد اللهجة، بل شرع في التخطيط لاستخدام القوة التي قد يلجأ اليها عدوه، وذلك عن طريق عقد التحالفات مع خصوم الفرس وخاصة الأتراك^(٣٧)، وذلك بهدف ضرب قوة كريم خان الزندي، وقد لعب الإمام دوراً فعالاً في افشال الحصار الذي ضربه كريم خان الزندي على البصرة^(٣٨)، وعلى ضوء ذلك قرر السلطان العثماني مصطفى الثالث صرف مكافأة سنوية للإمام أحمد، تدفع له من خزانة البصرة^(٣٩)، تقديراً من السلطان لموقف الإمام الشجاع. وبسبب ضعف منافسي الإمام في منطقة الخليج العربي وموت كريم خان الزندي، استطاع الإمام أحمد بن سعيد استعادة مركز عمان القوي في منطقة الخليج العربي واحياء أهمية مسقط التجارية في المنطقة، وقد دفعت هذه التطورات الجديدة بالقوى الأوروبية الى بذل جهود محمومة من أجل كسب مسقط.

العلاقات بالقوى الأوروبية :

كان الصراع الدولي ولا يزال صراعاً من أجل الحصول على مناطق للنفوذ

والامتيازات، ولذلك لا غرابة من احتدام صراع الدول الكبرى آنذاك (بريطانيا العظمى وفرنسا) حول عمان ذات الموقع الاستراتيجي المتميز، من أجل ضمها الى مناطق نفوذها. ولقد فطن الامام احمد بن سعيد الى هذه التطلعات الاستعمارية الأوروبية، فرسم سياسة خارجية لعمان مرتكزة بالدرجة الأولى على مبدأ الحياد، وقد كتب لهذه السياسة كل النجاح عندما كانت العلاقات الفرنسية البريطانية تتميز بالاستقرار، ولكن هذا الحياد تعرض لبعض الهزات، خاصة عندما نشبت حرب السنوات السبع (١١٧٠ - ١١٧٧ هـ / ١٧٥٦ - ١٧٦٣ م) بين البلدين، ففي هذه الفترة بدأت سفن البلدين تطارد كل منهما الأخرى بالقرب من المياه العمانية.

وقد ظهرت أولى بوادر الاحراج لعمان عام ١١٧٥ هـ / ١٧٦١ م عندما حاول الكونت ديستان الانتقام من الانجليز بمحاولة الاضرار بتجارهم في الخليج، حيث تجاهل الكونت ديستان القوانين العمانية وحاول ملاحقة إحدى السفن البريطانية في داخل المياه الإقليمية العمانية، مما اضطر الوالي خلفان بن محمد الى اطلاق النار على الباخرة بولوني التابعة للفرنسيين واجبارها على الابتعاد، وذلك في محاولة منه لحماية الباخرة البريطانية^(٤٠).

وبالرغم من تكرار حالات الاحراج للعمانيين الذين اضطروا الى اطلاق الرصاص على السفن الفرنسية خلال عدة مناسبات، الا ان هذا التصرف العماني لا يعكس باي حال من الاحوال ترجيح عمان للكلفة البريطانية بقدر ما يعكس رغبته في الحفاظ على حيادها وسيادتها، خصوصا وان السفن البريطانية كانت عادة ما تكون داخل المياه الإقليمية لعمان... صحيح ان البريطانيين كانوا قد دعموا مركزهم في منطقة الخليج العربي عقب خروج البرتغاليين والهولنديين وكسبوا أيضا ثقة بعض القوى المحلية، لكن الامام احمد كما يبدو، وعلى الرغم من ادراكه للموقف البريطاني الخاص في المنطقة، كان مؤمنا بأهمية الصداقة مع فرنسا، حيث وردت في إحدى رسائل الامام الى الفرنسيين بعد هذه الحوادث المحرجة، العبارة الودية التالية: «انني صديق للفرنسيين»^(٤١).

والجدير بالذكر ان الإمام احمد بن سعيد كان أول من بدأ التعامل التجاري مع جزيرة موريشيوس الخاضعة لفرنسا وبعض المستعمرات الفرنسية الأخرى^(٤٢)، حيث كانت السفن تأتي محملة بالسكر وتعود وهي محملة بالسماك والملح والبن. ونتيجة لتطور العلاقات التجارية^(٤٣) بين عمان والمستعمرات الفرنسية في المحيط الهندي في تلك الفترة، فقد أبدى الامام احمد بن سعيد رغبته في أن ينشئ الفرنسيون لهم وكالة خاصة في ميناء مسقط دون مقابل، وقد أكد الإمام هذه الرغبة لأحد المسؤولين الفرنسيين قائلًا ان بلادي هي بلادكم وصداقتنا باقية كما كانت بل انها أقوى مما كانت عليه في أي وقت مضى^(٤٤) وعندما زار هذا المسؤول مسقط حظي باستقبال حافل فيها، مما دفعه الى حث حكومته في التقرير الذي رفعه لتعزيز علاقاتها بمسقط^(٤٥). ويبدو ان حكومة فرنسا لم تكن متحمسة لاقامة وكالة تجارية في مسقط وقتئذ، لكنها وتحت اصرار القنصل الفرنسي في بغداد، وكذلك حاكم موريشيوس، قررت انشاء قنصليتين احدهما في البصرة والأخرى في مسقط، وقد جاء في الكتاب الذي بعث به وزير الخارجية الفرنسي الى قنصل فرنسا في بغداد الآتي: «ان رغبة إمام عمان في اعتماد وكيل لديه، وملاحظتكم عن الفوائد التي ستعود على

رعايا صاحب الجلالة في الملاحة والتجارة، وعن تسهيل الاتصال بالهند، كل ذلك جعلنا نقرر إقامة وكالة في مسقط^(٤٦)، لكن الأوضاع التي عاشتها فرنسا قبيل إنشاء الثورة حالت دون انشاء تلك الوكالة في مسقط^(٤٧).

وهكذا نرى ان سياسة الحياد التي دفع بها الإمام أحمد بن سعيد، والتي سمح بموجبها لسفن الدول الكبرى بزيارة موانئ عمان والمتاجرة معها، أسهمت في تعزيز مكانة عمان التجارية التي انعكست دون شك على الوضع الاقتصادي للبلاد. وقد تعززت مكانتها أكثر بعد أن قدمت العون الفوري الى البصرة لانقاذها من السيطرة الفارسية.

وإذا كانت الإشارة قد سلفت الى هذه الناحية، الا انها اشارة سريعة وتحتاج الى شرح وتفصيل كبيرين، للوقوف على فضل عمان وقتذاك في الابقاء على الصفة العربية لهذا الجزء من أرض العرب.

القوى الرئيسية في الخليج العربي إبان النصف الثاني من القرن الثامن عشر:

احتلت البصرة ولعمان مكانة سياسية وتجارية مهمة في الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وذلك مقارنة بالمكانة السياسية والتجارية المتهورة التي حلت بفارس وموانئها منذ وفاة نادر شاه عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م. وعندما تسلم كريم خان الزندي العرش الفارسي (١١٦٣ - ١١٩٣هـ / ١٧٥٠ - ١٧٧٩م)، حاول استعادة ما فقدته فارس من استقرار سياسي وتجاري، الا انه وجد أن ذلك لا يمكن تحقيقه الا بالتضييق على البصرة وعمان، اللتين شهدتا حالة كبيرة من الاستقرار السياسي والتجاري في الخليج العربي على حساب الموانئ الفارسية. ووفقا لذلك فان سياسة كريم خان مع هاتين القوتين - البصرة وعمان - قد بنيت على هذا الاعتبار، واعتبارات أخرى كثيرة، سنحاول تناولها من خلال اللقاء الضوء على الامكانات السياسية والعسكرية والاقتصادية، (التجارية) التي كانت عليها هذه القوى الثلاث: البصرة وعُمان وفارس.

١ - البصرة:

حكم ولاية البصرة منذ منتصف القرن الثامن عشر، كما هو الشأن في بغداد، ولاية ممالك كان لهم بعض النفوذ المحلي، ولم يستطع الباب العالي، حتى لو أراد ذلك، أن يستغني عن خدماتهم. ذلك لأن الولاة الذين كان يعينهم الباب العالي، كما يقول أوليفيه: «كانوا لا يجسرون على المثل الى بغداد، أو كانوا يقتلون وهم في الطريق، أو كانوا يكرهون على الانسحاب بعد زمن قليل من تسلم الولاية. ولم تقلح محاولة الاطاحة بهؤلاء الممالك، لأن الذين أرسلهم السلطان لهذا الغرض فقدوا حياتهم، أو لم يتمكنوا من اتمام مهمتهم اطلاقاً»^(٤٨).

ولذلك كانت ولايتا بغداد والبصرة تحكمان بصورة شبه مستقلة عن بعضهما البعض، إلا ان التهديدات التي تعرضت لها هاتان الولايتان أيام نادر شاه، جعل ولاية بغداد يفكرون في دمجها وجعلها تحت ادارة حكومة بغداد، وهذا ما فعله أحمد باشا وخلفاؤه منذ عام ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م. اذ أصبحت بغداد والبصرة ولاية واحدة مركزها بغداد، على حين حكمت البصرة من قبل متسلمين (نواب الوالي)، يتم تعيينهم

من قبل والي بغداد نفسه. وقد تتابع على البصرة عدد من هؤلاء المتسلمين، إلا أن أبرزهم كان سليمان آغا. وعلى الرغم من استبداله بمتسلمين آخرين لفترة محدودة انتهت عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م، إلا أنه هو الذي عاصر غزو كريم خان للبصرة عام (١١٨٩ - ١١٩٠ هـ / ١٧٧٥ - ١٧٧٦ م)، وقد أبدى شجاعة فائقة في الدفاع عنها. وكانت ولاية بغداد والبصرة في تلك الفترة تعد ثاني قوة في الخليج العربي، ولا تفوقها حجما وقوة إلا فارس، ذلك لأن بإمكان والي بغداد أن يجند بسهولة جيشا مكونا من أربعين ألفا إلى خمسين ألف مقاتل، وأن يمولهم بموارد الولاية ذاتها. فإلى جانب القوات النظامية بمختلف أنواعها وصنوفها، فقد كانت هناك القبائل العربية المنتشرة في الولاية، تجهز وقت الحاجة بعشرة آلاف إلى اثني عشر ألف فارس. ولأجل أن يتم ذلك ينبغي أن تكون كل القبائل في حالة سلام مع والي، وأن يكون عنده المال الكافي لكي يدفع لهم بسخاء وانتظام^(٤٩).

وينطبق هذا الأمر بالنسبة للمتسلم البصرة الذي لم يكن بمقدوره الدفاع عن المدينة دون أن يستمد العون من القبائل العربية النازلة في أطراف المدينة، والتي كان من أشهرها قبيلة المنتفق، ولذلك كان هو الآخر ينشد ود هذه القبيلة وصداقتها^(٥٠). غير أنه من المدهش حقا أن نرى ولاية بغداد والبصرة الأقوياء، الذين نجحوا في دحر عمليات الغزو الفارسي على أطراف حدودهم الشرقية المرة تلو الأخرى، تنقصهم القوة البحرية الكافية في البصرة، وهذا ما جعل دورهم محدودا في التأثير في أحداث الخليج العربي وشؤونه.

ذلك أن أسطول البصرة كان مكونا من خمسين زورقا أو قوارب حربية صغيرة، غير أن هذه القوة البحرية لم تكن قادرة إلا على حماية الملاحاة في شط العرب ونهري دجلة والفرات، ولم توفر الحماية البحرية اللازمة للبصرة عندما أصبحت القوارب الفارسية على مشارف المدينة^(٥١).

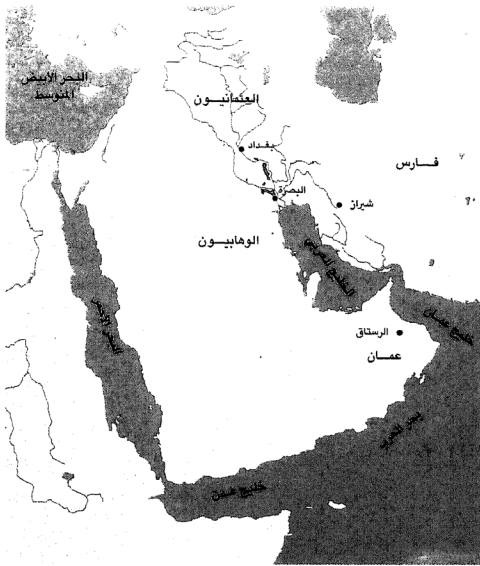
ومع ذلك فقد كانت البصرة مركزا تجاريا مهما، بل إنها كانت تعد واحدة من أهم مراكز التجارة في الشرق. فإليها كانت تصل البضائع الهندية، ومنها كانت ترسل هذه البضائع إلى فارس والجزيرة العربية والامبراطورية العثمانية وأوروبا. وفي الوقت ذاته، فقد كانت البصرة مركزا مهما لجمع كميات كبيرة من السلع وإعادة تصديرها إلى الهند^(٥٢)، والأهم من ذلك كله، فقد كانت هناك علاقة تجارية نشيطة بين البصرة والموانئ العمانية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، وهذا ما جعل كريم خان يظن بأن السيطرة على البصرة ستساعده على إخضاع التجارة العمانية، وبالتالي إخضاع عمان كلها له^(٥٣).

٢ - عُمان :

كانت القوة الأخرى ذات الوزن في الخليج العربي إلى جانب العراق وفارس تتمثل في عمان، التي كانت قد تخلصت منذ منتصف القرن الثامن عشر من وطأة الغزو الفارسي لها.

وقد تمخض هذا الغزو وكما سبق القول عن ظهور زعيم جديد للبلاد، قام ليسترد لها استقلالها وسيادتها وما ضاع من نفوذها في الخليج العربي، وليعمل على تحقيق الوحدة الوطنية. وكان هذا الزعيم هو الامام أحمد بن سعيد (١١٥٧ - ١١٩٨ هـ / ١٧٤٤ - ١٧٨٣ م)، الذي لمع اسمه في صحار، فتصدى للغزو الفارسي، وأرغم

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث



الفرس على الانسحاب من عمان عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، فكوئء على عمله هذا بانتخابه اماما للبلاد، فكانت امامته بداية لحكم البوسعيديين الذين ما يزالون يحكمون عمان حتى الآن.

وكما سبقت الاشارة فقد توجدت عمان مرة ثانية تحت حكمه، واتخذ من الرستاق عاصمة له، وسيطر على جميع المدن العمانية، وقام بنفسه بتعيين حكام لها، وحكم بيد قوية فاستطاع تحقيق الوحدة الوطنية. وعلى ذلك حاز الامام احمد باحترام رعاياه وتقديرهم، وقد خلف وراءه شهرة وصيتا ذائعين، وكان اهل صحار - بوجه خاص - مخلصين اشد الاخلاص لحاكمهم القديم، اذ طالما قدموا له العون ووقفوا الى جانبه في مختلف الازمات التي واجهها بعد تولي الإمامة^(٥٤).

وما أن تم للإمام أحمد بن سعيد توطيد دعائم الوحدة الوطنية، حتى حاول استعادة نفوذ عمان في الخليج العربي، فاتسعت دائرة نفوذه شمالا وجنوبا وشرقا. ففي الشمال أصبح نفوذ إمام عمان يمتد على طول الخليج العربي الى حدود ثلاثمائة

ميل، وفي الجنوب امتد هذا النفوذ حتى مضيق باب المندب^(٥٥)، وفي الشرق أصبح للإمام نفوذ على الساحل الشرقي للخليج العربي^(٥٦).

وكان الفرس، على أيام كريم خان، يتابعون أعمال الإمام أحمد بغيرة وحسد، وخاصة تلك الأعمال التي زادت من نفوذه ومركزه في داخل بلاده وفي الخليج العربي. ولم يدعوا فرصة إلا ونفذوها في مضايقته ومعارضته، وقد جر هذا الأمر إلى قيام نزاع مباشر بين الإمام وكريم خان، كما سنرى.

ومع انه لا تتوافر لدينا احصائيات دقيقة عن عدد قوات الإمام أحمد بن سعيد البرية، وإن أكثر ما وردنا عنها هو من باب التخمين لا التحديد، كما أكد ذلك ابن رزيق، فعندما سأل والده محمدا عن عدد الجنود في عهد الامام أحمد أجابه بقوله ان «عدددهم كثير لا يحصى»^(٥٧)، ومهما كانت عمومية هذه التقديرات لجيوش الامام البرية، إلا انها كانت تقدر بالآلاف، وهذا ما يمكن استنتاجه من التقديرات اللاحقة التي أوردها الرحالة الايطالي فينزنزو، حيث أشار الى أن بإمكان أئمة عمان، ومن بينهم السيد سعيد، أن يجندوا ما بين ١٥ إلى ٢٠ ألفا من المشاة والى حوالي الألف من الفرسان^(٥٨). وعلى أية حال، فقد كان هؤلاء الجنود، كما أشار نيبور في أثناء زيارته لمسقط عام ١١٧٩ هـ/ ١٧٦٥ م، مسلحين بالبنادق وبالسيف والبلطات، وهم يتسلمون رواتب ثابتة من الامام^(٥٩).

على أن قوات الامام البحرية كانت أساسا لشهرته وسمعته في منطقة الخليج العربي، بل انها جعلت أعداءه، يترثون في الإقدام على أي خطوة معادية له.

ومما هو جدير بالملاحظة، أن قوة الإمام البحرية، التي كانت مؤلفة من عدد كبير من السفن الكبيرة والصغيرة، كانت تستخدم في أوقات السلم للتجارة، على حين كانت السفن الكبيرة تخصص للنقل في أوقات الحروب، ومما زاد في توسع القوة البحرية، ان التجار العمانيين كانوا يساهمون في نفقات بنائها وتسليحها، لأن الإيرادات الاعتيادية لم تكن لتسد مثل هذه النفقات الاضافية الباهظة^(٦٠).

وعلى ذلك، أصبحت قوة الامام البحرية - كما يقول لوريمر - تضارع كل القوى البحرية لسائر موانئ الخليج العربي مجتمعة^(٦١). ويمكن أن ندلل على قوة الاسطول العماني بالزيادة الكبيرة التي أصبح عليها ذلك الاسطول عندما زار بارسنونز مسقط عام ١٧٧٥ حيث قال: «وكانت القوة الضاربة في الاسطول لا تقل عن أربع وثلاثين سفينة كبيرة، واعداد كثيرة من السفن الصغيرة»^(٦٢).

ومنذ منتصف القرن الثامن عشر، ازدادت النشاطات الاقتصادية لعمان، وبالذات التجارية منها، حيث أصبحت مسقط واحدة من المراكز المهمة في الخليج العربي. وتعود هذه النشاطات الى ثلاثة عوامل:

١ - ضخامة حجم الاسطول التجاري العماني، الذي تزايدت أعداده ما بين عامي ١١٧٩، ١١٨٩ هـ/ ١٧٦٥، ١٧٧٥ م، حتى ان بارسونز قد أعجب بهذا الاسطول وسجل الملاحظة الآتية: «مسقط مدينة تجارية مهمة جدا وفيها عدد كبير من المراكب تتاجر مع سورات وبومباي وجوا، على امتداد ساحل الملبار، ومع مخا وجدة في البحر الأحمر»^(٦٣).

٢ - تشجيع الامام أحمد بن سعيد رعاياه على الاتجار مع كثير من الدول الأخرى، وهذا ما أدى الى زيادة اتصالاتهم التجارية بموانئ الخليج العربي من جهة،

وبالموانئ الهندية أو تلك التي تقع في البحر الأحمر وشرق إفريقيا من جهة أخرى^(٦٤).

٣ - ازدياد مكانة مسقط التجارية على حساب الموانئ الأخرى في الخليج، مما جعل هذه المدينة تحتل مركز الصدارة في جميع السلع والبضائع الهندية وتصديرها. ولذلك ليس من المستغرب - كما يقول أحد الباحثين المتخصصين بتاريخ الخليج - «أن ترد إلى مسقط حوالي نصف مجمل التجارة بين الهند والخليج العربي، ومن هناك كانت توزع إلى أماكنها المقصودة»^(٦٥).

لقد تضاعفت عوامل أخرى كان لها أبلغ الأثر في ازدياد أهمية مسقط. فقد وجد التجار الأمن والحماية لبضائعهم في ميناء مسقط، حتى أن الرحالة الانجليزي بارسونز قد أعرب عن دهشته لما شاهده في هذا الميناء من بضائع كثيرة دون أن يمسهما الخطر حيث قال:

«أن هناك في الوقت الحاضر - عام ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م - كميات هائلة من السلع والبضائع المكسدة على الطرق من غير رقابة أو حراسة عليها. إذ لا تستوعب المخازن نصف البضائع الموجودة، ومع ذلك لم نسمع عن حادثة سرقة أو سطو على هذه السلع أياً كان»^(٦٦).

كما تعد مسقط ميناء آمناً وملائماً للملاحة البحرية، ولذلك فإن معظم السفن، وبخاصة تلك التي تعود لشركة الهند الشرقية الانجليزية، كانت تتوقف في هذا الميناء لتتزوّد بالماء والمؤن، في أثناء رحلاتها ما بين الهند والبصرة^(٦٧). ويتضح تأكيد هذه الأهمية فيما أورده الرحالة الايطالي فينيززو، الذي قال: «فليس على سواحل الخليج العربي كله مكان غير مسقط يستطيع تزويد السفن بحاجتها من الماء والغذاء، وهما الأمران الضروريان للحياة وربما يعزى تفوقها التجاري الى قدرتها هذه»^(٥٨).

٣ - فارس :

كانت فارس أبرز القوى السياسية في الخليج العربي. وقد حكم هذه الدولة في هذه الفترة كريم خان الزند (١١٦٣ - ١١٩٣هـ / ١٧٥٠ - ١٧٧٩م)، مؤسس الأسرة الزندية، في جنوب فارس.

وكان كريم خان قد استفاد كثيراً من فترة القلاقل والاضطرابات الداخلية التي اجتاحت فارس بعد وفاة نادرشاه عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، بسبب التنافس الشديد حول العرش، حيث تمكن من القضاء على منافسيه الواحد بعد الآخر، ومن ثم بسط نفوذه على البلاد جميعاً ما عدا بعض المناطق البعيدة النائية، متخذاً من شيراز عاصمة له^(٦٩).

وبعد استيلاء كريم خان على السلطة في فارس، اكتفى باتخاذ لقب وكيل (نائب الشاه)، ولكنه حكم بصورة مطلقة في حين حكم الشاه - اسماعيل الثالث - بصورة اسمية وكان محتجزاً لديه. وأمتاز عهده بنوع من الهدوء والاستقرار الداخلي قياساً بعهود من جاءوا قبله وبعده.

وعلى غرار نادرشاه فقد حاول احتلال العراق وعمان، وبهذا تكون سياسته الخارجية صورة مماثلة لسياسة نادرشاه العدوانية. غير أن مثل هذه السياسات لايمكننا أن نعزوها الا الى رغبة الحكام الفرس في إبعاد الخطر الذي كانت تتعرض له

سلطتهم في الداخل من قبل القبائل صعبة المراس، بإشغالها بالغزو والحروب التي كانت تشن عبر الحدود^(٧٠).

. ولتحقيق مثل هذه السياسات كان على حكام فارس توفير قوة عسكرية كبيرة. غير أن مثل هذه القوة، وإن توافرت، فقد كانت تعتمد أساساً على القوات التي كانت تدهاها القبائل من جهة، أو حكام الأقاليم من جهة أخرى. ويقدر بيري عدد القوات البرية على أيام كريم خان بحوالي خمسة وأربعين ألف مقاتل. ولكن مثل هذا العدد لا يمثل إلا رقماً نظرياً، ذلك لأن القوات القبلية أو المحلية التي كان يجري إعدادها وقت الحروب قد تفوق أو تقل عن هذا العدد^(٧١). ويمكن التدليل على ضخامة القوات التي كان بإمكان فارس إعدادها وقت الحرب، بأن كريم خان استطاع أن يعد جيشاً مؤلفاً من ثلاثين ألف مقاتل عند غزوه البصرة عام ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م، وكانت قواته تقوم بعمليات حربية في شمال العراق في الوقت ذاته^(٧٢).

أما بالنسبة للقوة البحرية الفارسية أيام كريم خان، فلم تكن هذه القوة ذات شأن قياساً بما كانت عليه أيام نادرشاه ذلك لأن كريم خان لم يحاول إعادة تجربة نادرشاه في بناء أسطول فارسي في الخليج العربي، ولكنه حاول الاستعانة ببعض الأساطيل المحلية الموجودة في الشاطئ الشرقي للخليج العربي، أو بسفن شركة الهند الشرقية الانجليزية، وذلك عند محاولة القيام بعملية بحرية^(٧٣). وعلى ذلك فقد استطاع كريم خان تجهيز ثلاثين سفينة حربية محملة بالمدافع عند غزوه للبصرة، وكانت هذه المدافع تستطيع ضرب المدينة من الماء، لمساندة محاولات الجنود الذين يقاتلون في البر. فدخلت هذه السفن مياه شط العرب في شهري مارس (آذار) وأبريل (نيسان) من عام ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م، ووصلت مقابل البصرة في ذات الوقت الذي وصلت فيه العساكر البرية^(٧٤)، في الوقت الذي وصل فيه امتعاض كريم خان من ازدياد قوة العراق وعمان إلى القمة.

ولم تكن التطورات السياسية في العراق وعمان سبباً وحيداً لامتعاض كريم خان وحقه. بل إن الانتعاش التجاري الذي حظيت به عمان والبصرة، على حساب الموانئ الأخرى في الخليج، كان سبباً آخر لا يقل أهمية عن نظيره السياسي. ففي الوقت الذي بدأت فيه الموانئ الفارسية تفقد مركزها السياسي في الخليج، بسبب الفوضى السياسية التي اجتاحت فارس بعد وفاة نادرشاه، أخذ وكلاء شركة الهند الشرقية الانجليزية في هذه البلاد، ينقلون مراكزهم من المدن الفارسية الواحدة تلو الأخرى إلى البصرة وعمان، بحيث نعم البلدان الأخيران بحالة نهوض تجاري كبير بفعل ما تمتع به من استقرار سياسي، وكان انتقال مركز النشاط التجاري في الخليج العربي من المدن الفارسية إلى المدن العراقية والعمانية أحد الأسباب المعروفة لسياسة كريم خان العدوانية.

سياسة كريم خان في الخليج العربي وأثرها في العلاقات العربية / الفارسية:

وقد أدت هذه السياسة إلى تدهور العلاقات العربية / الفارسية على أيام كريم خان هذا، وذلك لأن هذا الحاكم حاول أن ينفذ سياسة توسعية، ليس فقط ضد البلدان العربية في الساحل الغربي،. بخاصة عمان والبصرة، بل وضد القبائل والقوى العربية التي كانت تسيطر على الساحل الشرقي للخليج أيضاً.

سياسة كريم خان ازاء الساحل الشرقي للخليج العربي:

وقبل التحدث عن سياسة كريم خان ازاء الساحل الشرقي للخليج العربي، لابد من الإشارة الى ان هذه المنطقة كانت واقعة تحت حكم القبائل العربية، التي عرفت باتجاهها نحو البحر وركوبه. وكان أهم هذه القبائل التي ترسم الخريطة السياسية للجزء الجنوبي من بلاد فارس في العقد السابع من القرن الثامن عشر هي ثلاث قبائل، عرب بوشهر وحاكمهم آنذاك الشيخ نصر آل مذكور وهم من عرب المطاريش العمانيين، وعرب بندريق النازلون الى الشمال من بوشهر وهم ينتمون الى عرب زعاب في الساحل العماني، وكانوا يحكمون فضلا عن ذلك جزيرة خرج، الى جانب قبائل عربية أخرى في ميناء لنجة وجزيرة حبرى القريبة منه، ثم هناك عرب بنو كعب، ومركزهم الدورق^(٧٥).

وكانت هذه القبائل، ترتبط بعلاقة نسب مباشرة مع قبائل الساحل الغربي، ولذلك فكلما حاول الفرس اخضاعها لسلطتهم، انسحبت في مراكبها الى بعض الجزر المطلة على الساحل حيث تبقى هناك ريثما تسمح الظروف بعودتها الى المناطق التي جلت عنها. والأهم من ذلك، ان هذه القبائل، كما سنرى، ارتبطت بكثير من التحالفات مع عرب عمان أو القواسم ضد الحكم الفارسي، بخاصة عندما عمد كريم خان الى وضع نهاية لحكم امارات الساحل الشرقي للخليج العربي^(٧٦).

ومع ذلك فان حدود السيادة الفارسية على الساحل الشرقي من الخليج العربي لم تكن واضحة طوال القرن الثامن عشر. وعلى الرغم من محاولات نادرشاه في اخضاع قبائل المنطقة لسيادته الا انه لم يفلح في ذلك. وفي أواخر أيامه، كما يقول كيلى، فقد صمم على تجهيز سكان الساحل الشرقي إلى شواطئ بحر قزوين واستبدالههم بقبائل من تلك المنطقة، غير ان هذا المشروع لم ير النور بسبب وفاة نادرشاه^(٧٧).

ولقد حاول كريم خان، حاكم الأسرة الزندية، منذ عام ١١٧٩هـ/ ١٧٦٥م وحتى وفاته عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م، وضع حد للاستقلال الذاتي الذي كانت عليه الامارات العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي. وعلى الرغم من تمكنه من اخضاع بعض المقاطعات - بما فيها بندر عباس وبوشهر لبعض الوقت، الا ان نجاحه هذا لم يستمر لعدم امتلاكه لاسطول بحري قوي يعزز تلك المحاولات. وعند وفاته في عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م انتفضت القبائل العربية الموجودة في الساحل الشرقي على حكم شيران، وظلت خلال العشرين عاما التي أعقبت ذلك ترفض الاعتراف بسلطة أي حاكم عليها فيما عدا سلطة شيوخها القبليين^(٧٨).

ومن الجدير بالذكر ان بعض امارات الساحل الشرقي ظلت تمارس حكمها بنفسها بعيدا عن النفوذ الفارسي حتى نهاية القرن التاسع عشر. من ذلك القبائل العربية التي حكمت بوشهر وظلت سيادتها قائمة حتى عام ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م، وقبائل القواسم في لنجة التي حكمت حتى عام ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م، حينما صدر قانون في بلاد فارس وضع فيه جميع موانئ الساحل الشرقي للخليج - ومن بينها لنجة - تحت الادارة الفارسية، منها بذلك حكم القواسم في هذه المنطقة^(٧٩).

غير أن ذلك لا يعني سوى وجه واحد من سياسات كريم خان تجاه الساحل الشرقي للخليج العربي، أما الوجه الآخر فهو سياسته البحرية ازاءها، فمن المعروف ان كريم خان لم يكن يمتلك قوة برية في الخليج العربي، كما هو الشأن بالنسبة

لنادرشاه. ولذلك حاول كريم خان الاستفادة من الخبرات البحرية لسكان الساحل الشرقي للخليج العربي، أو من أساطيلهم البحرية، غير أن هؤلاء حاولوا تأكيد زعامتهم في الخليج، مفضلين إياها على مساندة كريم خان^(٨٠).

وعندما لم ينجح كريم خان في الحصول على ما يريد، فقد طلب مساعدة ممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية لتزويده بسفينة حربية أو اثنتين للحفاظ على الأمن في الخليج العربي، وذلك مقابل منح الشركة امتيازات تجارية في فارس، وفتح وكالة تجارية في بوشهر. وكانت هذه الخطوة تستهدف فرض السيطرة البحرية على الخليج العربي، على أن تعقبها خطوة أخرى لفرض السيادة الفارسية على القبائل العربية التي تقطن الساحل الشرقي للخليج ووضعها تحت إدارة فارسية مباشرة^(٨١)، واتجه بعد ذلك إلى تكريس جهده في محاولة منه لغزو عمان واحتلالها.

سياسة كريم خان إزاء عمان :

وكانت فارس قد أصابها حالة من التفكك الداخلي عقب وفاة نادرشاه عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م شغلت خلفاءه وخاصة كريم خان، الذي انصرف لمعالجة مشاكل بلاده الخاصة، بحيث ساد نوع من الهدوء على العلاقات مع عمان. وحالما تمكن من تثبيت سلطته، جدد كريم خان سياسته تجاه أقطار الخليج العربي عامة، وعمان خاصة، وعمل على الاستفادة من السفن الحربية لشركة الهند الشرقية الانجليزية وغيرها، باعتبارها السبيل الوحيد للنيل من عمان، صاحبة أقوى بحرية آنذاك. غير أن كريم خان لم يبق بشيء جوهري ضد عمان حتى عام ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م، وربما يعود الفضل في احجام كريم خان عن التعرض لعمان بعد تولي الامام أحمد بن سعيد إلى سمعة هذا الامام البحرية وضخامة موارده، أكثر من أي شيء آخر^(٨٢).

على أن المتتبع لسياسة كريم خان يجد أنه قد كرس جهوده بين سنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م وحتى وفاته عام ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م لاختضاع عمان وغزوها مرات عدة. ففي سنة ١١٨٣هـ/ ١٧٦٩م طلب كريم خان من الامام أحمد إعادة باخرة ضخمة كان قد اشتراها أخيراً من حام هرمز، باعتبار ان الباخرة تابعة للفرس، ولكن الامام رفض ذلك^(٨٣). مما أدى إلى توتر العلاقات بين البلدين.

وكان السبب الرئيسي في توتر هذه العلاقات، هو ما قام به كريم خان من المطالبة بدفع اتاوة سنوية، وما كان للامام أحمد وهو نفسه محرر عمان من الغزو الفارسي أن يستجيب لمثل ذلك الطلب، وهذا ما تعكسه رسالته الجوابية لكريم خان. إذ قال ما معناه: ان السفينة المذكورة قد تم شرائها بصورة شرعية من الشيخ عبدالله حاكم هرمز، أما بقية الادعاء حول دفع عمان اتاوة سنوية لفارس، فهو غير مشروع، وبالتالي فلماذا أصر كريم خان على طلبه هذا فلن تجيبه الا طلاقات المدافع والرصاص^(٨٤).

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت فارس وعمان في حالة توتر، فقد وقعت اشتباكات بحرية متفرقة بينهما، وحوادث اعتداء فارسية على السفن البحرية العمانية، وحتى على عمان نفسها. من ذلك ما قامت به قوة فارسية تقدر بسبعة آلاف جندي، من العبور إلى جزيرة لنجة، بقصد التعرض لعمان، وعندما علم الامام أحمد بها، يادر إلى حصار الفرس في الجزيرة، فأجبروا على الانسحاب عائدين إلى بلادهم^(٨٥). وفي هذا الوقت أيضاً، استولى الفرس على سفينتين محملتين بالبلبن وغيره كانوا في طريقهما إلى

البصرة. وترتب على هذا العمل أن قام أسطول الإمام عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م بغارة على ميناء بوشهر مطالبا بدفع ترضية كافية تعويضا عن استيلاء الفرس على السفينتين العمانيتين، وقد عاد الأسطول بعدها الى مسقط^(٨٦).

وفي نهاية عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م تجمع أسطول فارسي، بما فيه السفينة الانجليزية المغتصبة (تايجر)، للعمل ضد الإمام. الا ان كثيرا من رجال القبائل العربية الذين استدعاهم كريم خان تخلفوا عن الاشتراك في هذا العمل، لكونه موجها ضد الامام، مما أدى الى فشل الحملة البحرية الفارسية^(٨٧).

ويجدر بنا أن نعلم بأن سبب توتر العلاقات العمانية / الفارسية لا يعود إلى ما ذكرناه فحسب، ولكن الى ما أحرزته عمان من نفوذ في كثير من المناطق والجزر الواقعة في الخليج العربي وسواحلها الشرقية مثل شميل، ومينات وقشم وهرمز. هذا فضلا عن تمكن عمان من عقد كثير من التحالفات مع القوى العربية في غربي الخليج العربي وشرقيه، وخاصة عندما تتعرض مصالح هذه القوى للخطر، وقد أدت هذه التحالفات الى اضعاف محاولات كريم خان للسيطرة على مناطق الخليج العربي أو غزو عمان^(٨٨).

ففي سنة ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م حدث تحالف بين الامام أحمد بن سعيد وشيخ القواسم، بهدف مواجهة تهديدات كريم خان للساحل الغربي من الخليج العربي، وفي هذا الصدد جرى تنسيق بين الشيخ راشد، حاكم رأس الخيمة والشيخ خلفان حاكم ميناء مسقط، وتمكن الطرفان من مهاجمة ميناء بندر عباس وتدمير سفينتين في الميناء، فضلا عن تحطيم مستودع عسكري للذخيرة كان الفرس قد شيده في ميناء لنجة^(٨٩).

كما حاول حكام عمان من البوسعيد تقوية صلاتهم مع القبائل العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي في مواجهة كريم خان وتهديداته، وبالذات قبائل كعب العربية.. والشاب ان هذه القبيلة كانت قد وصلت أوج ازدهارها وقوتها أيام اماره الشيخ سلمان بن سلطان (١١٥٠ - ١١٨١هـ / ١٧٣٧ - ١٧٦٧م). ولما كان نشوء هذه الامارة ونموها قد تزامن مع الصراع الدائر بين الفرس والعمانيين حول المنطقة، ولأجل أن لا تخضع هذه الامارة لنفوذ أي من الطرفين المتصارعين، فقد سعت لتحسين العلاقة مع الدولة العربية القوية في عمان في عهد الامام احمد بن سعيد، وتقدمت بطلب المساعدة الفنية منها لبناء اسطولها الحربي وتعزيز قوتها العسكرية، بقصد المحافظة على استقلالها والوقوف بوجه الأطماع الأجنبية^(٩٠).

وقد لقي طلب الكعبيين الاستجابة السريعة من لدن إمام عمان، الذي كان يسعى جاهدا لاقامة التحالفات مع القوى العربية في الساحل الشرقي للخليج العربي. وغربيه، من أجل أن تكون صخرة صلبة أمام الأطماع الأجنبية.. وعلى ذلك فقد حصلت قبيلة كعب على خبرات عمان الفنية التي أدت دورها في تعزيز اسطول كعب وتقويته، بحيث أصبح واحدا من أهم الأساطيل الموجودة في الخليج العربي آنذاك^(٩١). لم ينس الكعبيون فضل العمانيين عليهم، وعلى ذلك يذكرنا لوريمر في هذا الصدد، بأن كريم خان عندما حاول أن يعتدي على مسقط عام ١١٨٧ - ١١٨٨هـ / ١٧٧٣ - ١٧٧٤م، فانه طلب مساعدة شيخ الكعبيين، إلا أن الأخير «خرق بعضا من سفنه، وعرضها بهذه الحالة على مندوبي الوكيل كبرهان على عدم قدرته على اطاعة

الأوامر»^(٩٢)، ومن الواضح أن شيخ الكعبيين أراد الاعتذار عن تلبية طلبات كريم خان نظرا لأنها كانت موجهة ضد عمان، التي تربطه وإياها روابط كبيرة. وعلى أية حال، فإن العلاقات الجيدة بين عمان وإمارات الساحل الشرقي للخليج العربي، وبخاصة كعب قد أثارت استياء كريم خان، الأمر الذي دعاه لضرب تحالف هذه القوى حتى قبل أن يبدأ حصاره للبصرة عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م^(٩٣). على أن انشغال كريم خان بالمنازعات الداخلية في فارس، قد جعلته يترك تصريف الشؤون البحرية للشيخ ناصر آل مدكور حاكم بوشهر الذي منحه سلطة مواصلة الحرب أو عقد الصلح مع عمان.

على أن امام عمان أظهر رغبة في السلم وانهاء الصراع بينه وبين فارس، على أن تجري المفاوضات على أساس الصداقة والود مع الفرس، وألا تكون مشروطة بشروط تمس سيادة بلاده واستقلالها، غير أن الشيخ ناصر مبعوث كريم خان، لم يكن يحمل غير الشروط السابقة التي اعتبرها الإمام مهينة لبلاده، فرفضها رفضا قاطعا^(٩٤)، وعلى ذلك أخفقت المفاوضات التي أجراها الشيخ ناصر مع امام عمان، وبخافقه تكون العلاقات العمانية / الفارسية قد عادت الى سابق عهدها. وفي تلك الظروف أيضا، حدثت اتصالات وسفارات هندية مع كل من عمان وفارس، وكان غرضها الرئيسي وضع نهاية للحرب الدائرة بين الطرفين، خاصة وانها تؤثر على حركة التجارة بين أقطار الخليج العربي والبلاد الأخرى، ومن بينها الهند، وكانت إحدى تلك السفارات قد وصلت عام ١١٨٨هـ / ١٧٧٤م، بعد الاستعدادات الضخمة التي قام بها كريم خان لغزو عمان^(٩٥).

الغزو الفارسي للبصرة والنجدة العمانية:

غزو الفرس للبصرة وحصارها :

وفي هذا المقام ليس بوجدنا أن نتقصى أسباب الغزو الفارسي للبصرة، وإن كان من المفيد أن نعرض لبعض الأسباب التي لها علاقة مباشرة بذلك الغزو عامة، وعلاقات عمان بالبصرة خاصة، لما تلقى من ضوء على طبيعة العلاقات العربية / الفارسية خلال غزو البصرة وحصارها.

فمعلوم أن النجاح التجاري الذي أحرزته البصرة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، قد أدى الى انهيار تجارة الموانئ الفارسية، وبالتالي فقد كان هذا النجاح سببا لإعلان كريم الحرب على مدينة البصرة. ولو كان هذا هو السبب الوحيد لكان من الممكن تجاوزه وتخطيه، ذلك لأن الرخاء التجاري الذي تمتعت به البصرة قد زالت معاملة كثيرا بعد حدوث مرض الطاعون المروع الذي تعرضت له هذه المدينة في عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م، حتى أن وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية قد وصف المدينة بعد عودته اليها في نهاية ذلك العام بقوله: لم يعد في المدينة «الاحامية قليلة العدد وابنية معطلة، وركود في التجارة وقليل من السكان الضعاف الذين تخطاهم المرض»^(٩٦)، غير أن الأمر كان أبعد من ذلك بكثير، طالما أن كريم خان كان يتذرع بشتى الذرائع من أجل مهاجمة البصرة واحتلالها، وهذا ما تؤكد الوقائع الآتية.

ذلك أن الهجوم الفارسي على البصرة لم يكن شيئا مفاجئا أو غير متوقع، فالهجوم على المدينة ظل التهديد به قائما لمدة سنة قبل وقوعه الفعلي، ويبدو أن السلطات

التركية الحاكمة في العراق آنذاك كانت تتوقعه كرد فعل للانتصارات التي أحرزتها على كريم خان في شمال العراق، وعندئذ أصبح معروفاً أن كريم خان سوف ينتقم لنفسه بعمل ضد بغداد أو البصرة، غير أن الثانية كانت هي أرجح الاحتمالين، غير أن الفرس بدأوا بمهاجمة شمال العراق. ولم يكن هذا الهجوم إلا جزءاً من عمليات التموية والتضليل الفارسية، ذلك لأنه في الوقت الذي جرت فيه تلك العمليات فإن استعدادات كبيرة قد اتخذت في فارس لغزو البصرة، وعلى ذلك لم تكن العمليات الفارسية في شمال العراق إلا من باب التموية وصرف الأنظار^(٩٧).

وكانت الحجة الظاهرية التي ساقها كريم خان لتبرير هذا العمل هي سوء المعاملة التي كان يلقاها الزوار الفرس والضيقة التي كانت تفرض عليهم عند مرورهم بولاية بغداد وهم في طريقهم إلى الأماكن المقدسة في النجف وكربلاء.. ويبدو أنه قدم إلى السلطات الحاكمة في العراق عروضاً لم يكن من الممكن قبولها، ولهذا لم تصادف غير الرفض، من ذلك ما أشار إليه أوليفيه بأن كريم خان قد «طلب من الباب العالي رأس عمر باشا (والي بغداد)، وهدد بأن يرسل جيشاً إلى دجلة والعراق إذا لم يلبوا طلبه، وإذا لم يلبوا الضريبة التي كان الباشا قد فرضها على كل حاج»^(٩٨).

ومن البديهي، كما يقول أوليفيه، فإنه من الصعب على الباب العالي أن يرضي بأحد كبار موظفي الدولة العثمانية في العراق لمجرد اتهامات فارسية، ولهذا لم يقبل تلك الاتهامات، فكان ذلك سبباً للقطيعة بينهما^(٩٩).

وكانت ذكريات التعاون بين البصرة وعمان سبباً آخر للقطيعة بين كريم خان وولاية بغداد والبصرة. فقد أشارت المصادر الوثيقة بأن الشاه الفارسي قد طلب من متسلم البصرة ومن ممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية في مطلع عام ١١٨٨ هـ/ ١٧٧٤ م أن يمدوه بالمساعدة البحرية لمهاجمة عمان، والا فإنه سيرسل قوة لتدمير البصرة^(١٠٠)، غير أن الاثنين قد اعتذرا عن تلبية طلب الشاه.

وقد أدت أوجبة الرفض التي أعدها متسلم البصرة وممثلوا شركة الهند الشرقية الانجليزية إلى قيام كريم خان باحتجاج بعض موظفي الشركة في شیراز، فما كان من متسلم البصرة إلا أن قام ببعض الاستعدادات تحسباً للتهديد الفارسي المذكور^(١٠١).

والواقع أن تعاون البصرة مع عمان كان نابعا من حس قومي أصيل، ذلك لأن متسلم البصرة لم يكن غير راغب في تقديم مساعدة للشاه الفارسي ضد امام عمان فحسب، بل إنه كان ينظر بعين الرضا والاعتباط إلى ازدياد قوة إمام عمان ومقدرته في الصمود أمام القوى الخارجية، كما أن وجود أسطول عماني قوي في الخليج العربي لا يعني الوقوف بوجه التحدي الأجنبي في المنطقة فحسب، بل إنه يؤدي إلى ضمان المصالح التجارية للبلدين، التي أصبح الطرفان يتقاسمان شأرها^(١٠٢).

وتذهب تقارير شركة الهند الشرقية الانجليزية في البصرة إلى أبعد من ذلك، إذ أنها تشير إلى قيام أسطول كريم خان بمحاولة التعرض لمسقط عام ١١٨٨ هـ/ ١٧٧٤ م، ولكن القطع البحرية التي كانت بحوزة متسلم البصرة قد تعرضت له وتمكنت من تشتيته^(١٠٣). وهكذا تتجلى المساعدات الجديدة بين البصرة وعمان، وإذا كانت التقارير المذكورة قد أشارت إلى هذه الحادثة وحدها فقط، فإن الحوليات الفارسية تتهم سليمان أغا متسلم البصرة والي بغداد بتقديم مساعدات غير محدودة إلى العثمانيين خلال هذه الفترة وتعتبرها الأساس لزيادة حقد كريم خان على البصرة وحققه^(١٠٤).

كان من الطبيعي والحالة كذلك، أن يقدم كريم خان على غزو البصرة، حيث أعد جيشاً كبيراً يقدر بثلاثين ألف مقاتل تحت قيادة أخيه صادق خان، فوصل المدينة في مطلع عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م.

أما البصرة فقد حمل لواء الدفاع عنها متسلمها سليمان آغا وأهل البصرة، الذين وقفوا بوجه الجيوش الفارسية الغازية لأكثر من سنة.. وكان سليمان هذا على جانب كبير من المقدرة، فلم يكد يسمع باستعدادات كريم خان لغزو البصرة، حتى عمل بسرعة على جمع المؤن والذخيرة، وسلح من يمكن تسليحه من أفراد الجيش والناس، وحاول زيادة كفاءة الاسطول في البصرة، وكان يمني نفسه أن يتمكن عن طريق هذه الاستعدادات إما أن يرفع الحصار، أو الانتظار حتى تتم أية محاولة من قبل والي بغداد عمر باشا في إرسال المعونة^(١٠٥).

إلا أن هذه الاستعدادات لم تمكن سليمان آغا وأهل البصرة سوى الصمود لأكثر من سنة واحدة بقليل، ووقفوا أثناءها بوجه الجيش الزاحف الذي أحاط بالمدينة من كل جهاتها، وراح يقذفها بكل ما في حوزته من مدافع، وتواصلت امداداته عن طريق سفن كريم خان التي دخلت الى شط العرب^(١٠٦)، وعلى الرغم من شراسة الفرس وضخامة مدفعيتهم التي كانوا يقصفون بها المدينة إلا أن المدافعين من أهل البصرة استبسلوا في الدفاع عنها، وكانوا يردون على العدو بالمثل، وظل الأمر على هذه الحال حتى استنفدت طاقتهم.

ولم يكن من المنتظر بعد مضي فترة طويلة من بدء الحصار الذي فرضه كريم خان على البصرة أن يرسل ولاية بغداد أية امدادات حربية لنجدة المدينة وقد جاءت هذه النتيجة في رسالة وجهها والي بغداد الجديد مصطفى باشا الى متسلم البصرة، أظهر فيها عجزه عن امداد البصرة بأية قوة^(١٠٧)، واتخذ ممثلو شركة الهند الشرقية الانجليزية في البصرة مثل هذا الموقف، إذ كانوا قد تعهدوا بحماية المدينة من ناحية النهر، ولكن عندما اشتد حصار الفرس لها، انسحبوا منها فجأة^(١٠٨)، وهذا الموقف المتخاذل الذي اتخذته الولاية العثمانية وكذلك الانجليز، يؤكد حقيقة واضحة وهي انه لن يدافع عن الأرض غير أبنائها من شباب العرب، وألحت هذه الظروف على أهل البصرة كي يطلبوا النجدة والعون من أخوانهم عرب عمان.

النجدة العمانية للبصرة وظروفها :

لم تكن ظروف المساعدة العمانية للبصرة في سبعينات القرن الثامن عشر مرتبطة بالأحداث المتعلقة بالغزو الفارسي لهذه المدينة عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م، بقدر ما كانت متعلقة بعوامل مبدئية كثيرة، يأتي في مقدمتها ادراك الإمام أحمد بن سعيد لأبعاد الأطماع التوسعية لكريم خان، سواء كانت متعلقة بالبصرة أو ببلادها، وأن احتلال أي منطقة منهما سيلحق بأبلغ الضرر بالأخرى، ولذلك سارع حالاً لتلبية الدعوة التي وجهت اليه بتقديم المساعدة^(١٠٩).

والذي يلفت الانتباه في هذا المجال أن المصادر المعاصرة منها والحديثة قد اختلفت في الجهة التي طلبت المساعدة من امام عمان، فقد أشار بعضها الى والي بغداد^(١١٠)، بينما أشار البعض الآخر الى متسلم البصرة^(١١١)، في حين أشارت أخرى الى أهل البصرة، وبالذات قبائل المنتفق^(١١٢).

إلا أن من يمعن النظر في هذه الروايات جميعاً، يجد ان الأخيرة منها هي أكثر دقة

ودلالة، وذلك لأن مؤلف كتاب (تاريخ عمان) الأكثر قربا من الحدث، قد أشار إلى هذا الأمر حرفيا بقوله: «فأرسل أهل البصرة إلى سيدنا الإمام يريدون منه النصرة فأمدهم بالأقوام والمراكب»^(١١٣). وأشار في موضع آخر بأن النجدة العمانية حين وصلت استقبلها ثامر بن عبدالله السعدون، شيخ المنتفق قائلا: «يا خوي (أي القائد العماني) نحن سقماء وأنتم حكماء داوونا، والمعاني هو الله»^(١١٤) وهذه الرواية تدل دلالة أخرى على العلاقة التي توطدت بين أهل البصرة وأعيانها وبين العمانيين.

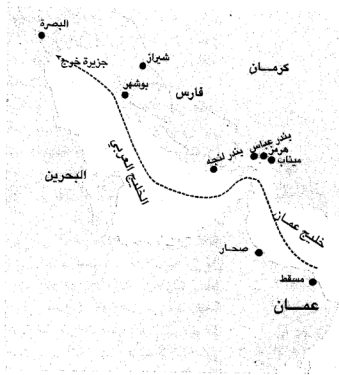
ومهما يكن من أمر، فقد أكمل الإمام أحمد بن سعيد استعدادات الأسطول العماني في منتصف أغسطس عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م، وكان من بين تلك الاستعدادات أن ضم إلى أسطوله سفينتي

والى بغداد المسلحتين (دجلة) و(الفرات) اللتين كانتا قد أسطحهما ممثل شركة الهند الشرقية الانجليزية إلى مسقط، ولكنه قام بتسليمهما إلى الإمام حاملا طلب اليه والى بغداد ذلك وقد رفع عليهما العلم العماني وأصبحتا جاهزتين للعمل^(١١٥).

وإلى جانب ذلك فقد أعد الإمام عددا غير قليل من السفن العمانية التي وصفها لنا الرحالة الانجليزي بارسوزن عندما زار مسقط وشاهد تلك الاستعدادات بنفسه حيث قال: «وكانت القوة الضاربة في الاسطول لا تقل عن أربع وثلاثين سفينة، منها أربع بنيت في بومباي تحمل أربعة وأربعين مدفعا، وخمس سفن من نوع الفرقاطة مزودة بـ (١٨ - ٢٤) مدفعا، والباقي سفن صغيرة يتراوح تسليح كل منها ما بين (٨ - ١٤) مدفعا، وقد بنيت الأخيرة في ميناء مسقط وغيره من الموانئ الأخرى»^(١١٦).

أما بالنسبة للمصادر العمانية فقد قدرت قطع الاسطول العماني بثمانين قطعة بحرية، بما فيها سفينة قيادة الإمام المسماة بـ (الرحماني)، وحمل عليها كما يقول المؤرخ العماني ابن رزيق قوة مؤلفة من عشرة آلاف رجل^(١١٧)، وقد قام بقيادة الاسطول العماني هلال بن الإمام أحمد بن سعيد يرافقه شقيقه^(١١٨). وفي الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) مر ببوشهر في طريقه إلى البصرة، وبعد بضعة أيام رسا عند مصب شط العرب.

ولما وصل الاسطول العماني إلى مصب شط العرب وجد سلسلة حديدية منصوبة على النهر، كان الفرس قد وضعوها على جهتي النهر ليحولوا دون وصول العون إلى المدينة المحاصرة عن طريق البحر، ووضعوا في المكان ذاته حامية كبيرة مزودة بالمدافع للعرض نفسه. وعلى ذلك اضطر الاسطول العماني للانتظار في ملاذ أمين حتى نهاية الشهر، دون محاولة لقطع السلسلة الحديدية، ولو حاول ذلك لكانت فرص انتصاره على كريم خان أكبر، وبخاصة وأن وصوله لم يكن متوقعا، مما أعطى



النجدة العمانية للبصرة
١٧٧٥ - ١٧٧٦ م.

الفرس فرصة الاستعداد لمواجهة^(١١٩).

لكن الاسطول العماني استطاع في النهاية حسبما يورده ابن رزيق كسر السلسلة الحديدية في مدخل شط العرب، وذلك عن طريق دفع سفينة القيادة (الرحماني) باتجاهها، حيث تمكنت من قطعها والدخول في شط العرب^(١٢٠).

وعلى الرغم من القصف المدفعي الشديد الذي قام به الفرس نحو العمانيين، فقد دخل اسطولهم بأجمعه شط العرب في منتصف رجب ١١٨٩ هـ - الرابع عشر من أكتوبر ١٧٧٥ م، وصاحب هذا الدخول فرح غامر أظهره المواطنون البصريون الذين كانوا خلف الأسوار.

ولم يكن باستطاعة قوات صادق خان ان تحول دون انزال المؤن والرجال إلى البصريين من أجل شن هجوم كبير على قوات الحصار في اليوم التالي، وفي المعركة الضارية التي دارت بين الطرفين لجأ القائد الفارسي الى منح جنوده مكافأة لشحذ همتهم في مجابهة المهاجمين العرب، فقد منح جنوده مكافأة مقدارها ثلاثة تومانات لكل شخص يقتل، وخمسة لكل أسير يعتقل، وذلك بقصد اعاقه عملية نزول الجنود العمانيين وتأمينات السفن التي كانت معهم. الا ان هذه الطريقة لم تنجح، ذلك لأن المهاجمين العرب - عمانيين وبصريين، قد حاربوا العدو بالسلح الأبيض، وتمكنوا من اجتثاث كثير من أفرادها، وهذه الشجاعة العالية التي أظهرها المقاتلون العرب هي التي أفشلت الهجوم الفارسي المضاد في التاسع عشر من أكتوبر، وكانت موضع اعجاب الباحثين في هذه القضية وتقديرهم^(١٢١).

وعلى الرغم من ذلك كله، فإن المعركة لم تكن حاسمة، بدليل استمرار الاشتباكات بين الطرفين خلال الشهور التالية، فضلاً عن تدفق المساعدات العمانية للبصرة، تلك المساعدات التي كان لها دور كبير في تخفيف الضغط العسكري الواقع على البصريين من جهة، ورفع روحهم المعنوية من جهة أخرى، وخاصة بعد أن أصبح للأسطول العماني وجود قوي في منطقة شمال الخليج والبصرة.

وكان من أبرز مظاهر وجود الاسطول العماني في البصرة، هو تمكنه من ضبط شط العرب، وتسهيل وصول التموينات الى المدينة المحاصرة منذ وصوله إليها في منتصف عام ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م، غير انه بمرور الوقت أخذت مؤن العمانيين وامداداتهم تتناقص، ولم يصل اليهم المدد لا من جانب السلطان العثماني ولا من جانب والي بغداد، هذا بينما كانت الامدادات بالمؤن والرجال تتوالى على الجانب الفارسي من شيراز^(١٢٢). وفي مثل هذه الظروف قرر قائد الاسطول العماني في أوائل عام ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م الانسحاب الى بلاده، خشية تأثير النقص الحاصل في المؤن على جنوده، واحتمال قيام كريم خان بالهجوم على عمان مستغلاً انشغال الاسطول العماني بمساعدة عرب البصرة^(١٢٣).

وعلى الرغم من أن الظروف التي أشرنا إليها لم تسمح للعمانيين بالبقاء في البصرة لفترة طويلة، فقد كان لتعاونهم الصادق في الدفاع عن المدينة اثره الطيب لدى سكان البصرة وحكامها، فتقرر أن تمنح عمان مكافأة سنوية من خزانة البصرة. وقد استمرت هذه المكافأة نافذة منذ عهد الامام احمد بن سعيد وحتى عهد السلطان سعيد بن سلطان^(١٢٤).

على ان الاتجاه الطبيعي للامام في تلك الظروف هو أن يقف الى جانب البصرة في

محتنتها، وهذا أدى الى تعزيز العلاقة بين عمان والبصرة، فما ان زال الاحتلال الفارسي عن البصرة حتى تجددت العلاقات التجارية بينهما، وبدأ أسطول البن العماني السنوي يتوارد على المدينة كما كان عليه الحال من قبل^(١٢٥).

ومهما يكن هناك من تفسير لهذا التعاون، فقد اعتبره لاندن حلفا قائما بحد ذاته بين العثمانيين والعلمانيين، حيث أشار الى ذلك بقوله: «عقد احمد بن سعيد حلفا مع العثمانيين كان يدر على خزينته مبلغا من المال كل عام، في مقابل حماية عمان للجناح الجنوبي للعراق»^(١٢٦). والحقيقة انه لم يكن هناك حلف بالمعنى المعروف بين الطرفين، بقدر ما كان ادراكهما لقيمة التعاون البحري بينهما، وهذا ما جعل أهل البصرة مستعدين لتقديم مساعدة مالية سنوية من خزانة ولايتهم، تقديرا للجهود التي بذلها العلمانيون في الدفاع عن مدينتهم أثناء حصار كريم خان لها.

ولعل هذا السبب وغيره هو الذي جعل كريم خان يتحين الظروف للسيطرة على عمان، اذ اشار لوريمر: «بأن كريم خان منذ احتلال البصرة عام ١١٩٠ هـ/ ١٧٧٦ م، طلب من قواده اعداد تقارير عن امكانية الزحف برا من البصرة الى عمان»^(١٢٧)، الامر الذي دفع الامام احمد الى البقاء بأسطوله في الخليج العربي، تحسبا لأي خطر، غير ان الخطر الفارسي قد زال بوفاة كريم خان الزند عام ١١٩٣ هـ/ ١٧٧٩ م، واضطرار الفرس إلى التقهقر داخل بلادهم في السنة ذاتها.

وهكذا حقق الامام احمد بن سعيد لعمان وحدتها، كما دفع عنها خطر الفرس، وتصدى لهم حين اعتدائهم على البصرة.

وكان كما قال الشيخ نور الدين السالمي (صاحب همة عالية ومطلب سام، وجرأة واقدام)^(١٢٨) ويعتبر هو المؤسس للدولة البوسعيدية الباني لأركانها المشيد لمعالمها الموطد لعرشها. ولم يلبث أن توفي بعد أن حقق الآمال الكبار التي كانت تنتظره، وذلك في عام ١١٨٨ هـ/ ١٧٧٨ م^(١٢٩).

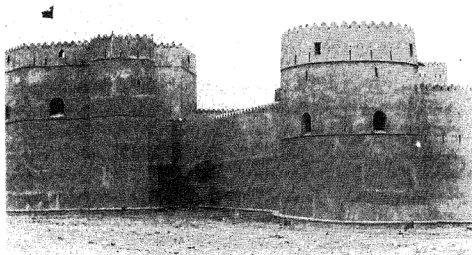
امامة سعيد بن أحمد بن سعيد (١٢٠):

كان موت الامام احمد بن سعيد خسارة كبرى بالنسبة لعمان وأهلها، وتولى الإمامة بعده ابنه سعيد بن أحمد، ولم تبين لنا كتب التاريخ الصفة التي تولى بها سعيد الامامة بعد أبيه، هل كان ذلك بولاية العهد له؟ أم باتفاق من العلماء؟^(١٣٠).

ونظرا لأن الامام سعيد كان زاهدا في الحكم والإدارة فقد تولى ابنه حمد زمام الأمور واتخذ من مسقط مقرا للحكم، بينما بقي والده سعيد في الرستاق. ومع مضي الأيام تزايدت قوة ونفوذ حمد حتى أصبحت السلطة الفعلية في يده^(١٣١).

ومن أعماله التي ذكرتها كتب التاريخ انه بنى برجاً على البحر عند المدخل إلى ميناء مسقط وزوده بمدافع كبيرة رغبة منه في تحصين هذه المدينة. كما بنى قلعة بيت الفلج في روي وقلعة بحصن بركاء زودها بمدافع ضخمة للدفاع عن المدينة ضد أي هجوم خارجي، كما أمر بصنع باخرة في زنجبار سميت باسم الرحماني التي اشتهر أمرها في عهد الدولة البوسعيدية نظرا لضخامتها وبديع صنعها^(١٣٢).

يضاف الى ذلك أن حمد بن سعيد كان ملازماً للصلاة في الجماعة، مؤديا الصلوات والنوافل منها، دارساً للقرآن، مما أدى الى ازدياد محبة الناس له، فذاع صيته وازدادت هيئته، ثم مرض ومات متأثراً بهذا المرض في الثامن من شهر رجب سنة



قلعة بركاء

١٢٠٦هـ / مارس ١٧٩٢م (١٢٤).

السيد سلطان بن أحمد بن سعيد :

وبعد موت حمد بن سعيد آلت الى السيد سلطان بن أحمد بن سعيد أمور الحكم التي كان يتولاها حمد، في نفس الوقت الذي كان لا يزال فيه سعيد قائما في الرستاق، ولم تلبث أمور البلاد أن خلصت للسيد سلطان بعد موت أخيه سعيد بن أحمد، وساس الناس سياسة محمودة وسار على وتيرة أبيه الامام احمد بن سعيد وزاد في بذل المال فكان لا يرد سائلا، ولا يدخر عن قومه شيئا يستطيع بذله لهم، فأحبه الناس ووقروه واحترموه (١٣٥).

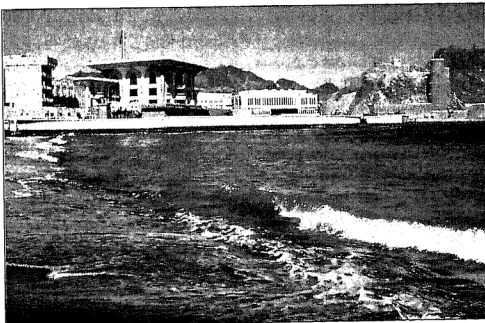
واجه السيد سلطان بن الامام أحمد بن سعيد - وهو أول من تلقب بهذا اللقب من أولاد الإمام - بعض المشاكل الداخلية والحروب القبلية ولكنه تغلب عليها بسياسته وقوة جيشه، وما لبث أن توجه الى البناء الداخلي، فقام بتحصين مدينة مسقط وذلك ببناء قلعة ضخمة على أرض الراوية لتكون حصنا لهذه المدينة، كما بنى البرج المقابل لها، والبرج الشرقي الجنوبي، وذلك في ثلاثة أشهر، وبذلك تم تحصين مدينة مسقط تحصينا كاملا (١٣٦). ثم التفت الى داخل هذه المدينة فبنى فيها قصرا ضخما وهو بيت العلم الذي بني على أرضه قصر العلم الحالي، وجعله مقره الخاص (١٣٧)، وبني حصن الفليج في الواحة المعروفة بهذا الاسم وهي واحة الفليج والتي تقع على الطريق بين بركاء ومسقط، وجعل هذا الحصن مقرا للعائلة بعيدا عن العواصف والحروب والتقلبات السياسية ولذلك أسكنه بعض أهله وكان كثيرا ما يتردد عليه ويقم فيه بعيدا عن السياسة ومشاكل الحكم (١٣٨).

اتجهت أنظار السيد سلطان بن أحمد بعد ذلك الى خارج عمان حيث راح يسترد أملاكها التي ضاعت في غفلة من الزمن، ولذلك نراه يشن حملات يستعيد بها جزائر قشم (القشم) وهرمز والبحرين (١٣٩). ويبدو ان السيد سلطان فعل ذلك اتقاء لأخطار عدة منها الخطر الفارسي والخطر الأوروبي وكذلك الخطر الوهابي الذي أطل على

عمان في تلك الفترة، وفي ذلك يذكر الشيخ سالم بن حمود السيابي أن الوهابيين غزوا عمان في تلك الايام^(١٤١)، وتحالفوا مع أهل البحرين ولذلك كان من الضروري ان يفرض السيد سلطان نفوذه على هذه الجزر، ففتحها وولى عليها الولاة، ولم يلبث أن بسط نفوذه على الموانئ الهامة في ساحل مكران واستولى على ميناءي شهيار وجوانر مما أدى الى توثيق الصلات بين عمان وبلوخستان، وازدياد هجرة البلوش الى عمان بأعداد كبيرة. وقد أمن السيد سلطان بلاده باستيلائه أيضا على ميناء بندر عباس وذلك بفضل البحرية العمانية القوية. فقد ذكرت المراجع ان أسطول عمان في عهده زاد عدد سفنه عن ٥٠٠ سفينة كانت حمولتها تتراوح بين ٢٥٠ و ١٠٠٠ طن عدا ١٠٠ سفينة أخرى يمتلكها أهل صور، ويبدو ان هذه السفن كانت سفنا تعمل في التجارة وفي القتال أيضا اذا لزم الأمر. ذلك ان المراجع أشارت الى ان السفن الكبيرة المخصصة للقتال وحده لم تزد على ثلاث^(١٤٢).

ونظرا لقوة الأسطول العماني وقوة الجيش الذي كان لا يقل عدد جنده عن ١٢ ألف مقاتل تمكن السيد سلطان بن أحمد من رد عادية الوهابيين، واسترد نفوذه في البحرين بعد أن كان أشياخها قد دبروا حيلة أخرجوا منها واليه عليها واستعانوا بالوهابيين وحالفوهم ودخلوا تحت طاعتهم^(١٤٣).

وأزاء الصراع الدولي الذي كان قائما في تلك الفترة بين الفرنسيين والانجليز في مياه المحيط الهندي والخليج، رأى السيد سلطان ان يستفيد من هذا الصراع لمصلحة بلاده خاصة وأن كلا الطرفين حاول أن يوطد علاقته بعمان ضد الطرف الآخر، وقد انتهى هذا الأمر الى إبرام اتفاقية بين السيد سلطان وبين الانجليز في جمادى الأولى ١٢١٣هـ/ أكتوبر ١٧٩٨م متخلياً عن صداقته للفرنسيين لأسباب عدة، منها اعتماد عمان على الهند التي تسيطر عليها بريطانيا في ذلك الحين في مؤونتها من الأرز - وهو الغذاء الرئيسي لمعظم سكان شبه جزيرة العرب - وتكرار اعتداءات القراصنة الفرنسيين على السفن العمانية، وأخيرا قلق امراء وحكام شبه جزيرة العرب ومنهم حكام عمان بطبيعة الحال من ازدياد النفوذ الفرنسي بعد احتلال الفرنسيين لمصر في ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م^(١٤٤).



خليج مسقط حيث يطل عليه قصر العلم.

ورغم ذلك فإن هذه المعاهدة لم توضع موضع التنفيذ الكامل في كثير من شروطها لان السيد سلطان بن أحمد لم يقطع في الواقع علاقته التجارية بالفرنسيين في جزيرة موريشيوس ولم يكن في وسعه أن يمنع أصحاب السفن العمانية من ذلك، كما أن قطع هذه العلاقات التجارية كان ضارا بمصالح رعاياه، والنتيجة الهامة التي ترتبت على هذه الاتفاقية هي قبول ممثل سياسي بريطاني في عاصمة عمان للمرة الأولى وذلك في عام ١٢١٥هـ / ١٨٠٠م^(١٤٤).

وهكذا وازن السيد سلطان بن أحمد في سياسته الخارجية بين التطلعات البريطانية والفرنسية في منطقة الخليج، كما دعم نفوذه في هذه المنطقة حرصا منه على أمن وسلامة الخليج، باعتبار بلده عمان دولة بحرية تجارية. وفي نهاية هذا الجهاد الدائم وقع السيد سلطان بن أحمد قتيلا في ١٣ شعبان ١٢١٩هـ / ٣٠ نوفمبر ١٨٠٤م على يد بعض القراصنة أثناء رحلة بحرية كان يقوم بها بين البصرة وعمان^(١٤٥). وخلفه في حكم عمان ابنه الشهير السيد سعيد بن سلطان.

وقبل أن نستعرض في الحديث عن عهد السيد سعيد بن سلطان لابد أن نقف قليلا لنعرض لتفاصيل تطور العلاقات التي كانت بين عمان وبين الفرنسيين، تلك العلاقات التي كانت طيبة وقائمة بين الطرفين منذ منتصف القرن السابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر للميلاد. ذلك أن الإشارة إلى هذه العلاقات كانت إشارة سريعة الحديث عن عهد الإمام أحمد بن سعيد وعهد ابنه السيد سلطان، ولذلك كان لابد من تخصيص حديث لهذه العلاقات فيه شيء من التفصيل والتوضيح.

العلاقات العمانية الفرنسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر

بعد أن أثبت الإمام أحمد أنه ذو ارادة قوية مكنته من توحيد القبائل العمانية وتوجيه طاقاتها نحو النشاط البحري والتجاري، وفي خلال وقت قصير، عادت عمان مركزا للنشاط الاقتصادي في خليج عمان والخليج العربي.

وفي هذا الوقت كان التنافس البريطاني الفرنسي يشتد أواره في الهند والبحار الشرقية، هذا الصراع الذي كان في واقعه امتدادا لصراع القوتين في أوروبا من أجل التفوق، وفي مثل هذه الظروف، كانت عمان بموقعها المهم مهية لتصبح مركز جذب توجهت اليه أنظار البريطانيين والفرنسيين أملا في الحصول على حليف مهم ومركز أفضلية، وأدرك الإمام أحمد بن سعيد ببعد نظره أن عليه أن يلتزم الحياد بين القوتين ويرفض باستمرار السماح بإنشاء مركز أوروبي في مسقط كما سبقت الإشارة.

وقد وجهت فرنسا اهتماما لمسقط منذ وقت مبكر، ففي سنة ١٧٧٨هـ / ١٦٦٧م، قدم المبعوث الفرنسي إلى فارس دي لالين de Lalain مقترحا على حكومته بضرورة السيطرة على مسقط والاحتفاظ بها كقاعدة بحرية مهمة^(١٤٦)، وعلى نحو أكثر وضوحا فقد كتب عدد من المذكرات ومشروعات معاهدات من المثلثين الفرنسيين في فارس (أدهم بيتر بول peter paul) من أجل عقد تحالفات، تضمنت فقرات من أجل الاستيلاء على مسقط، وقد حددت تلك الوثائق حصصا فرنسا والفوائد التي يمكن جنيها من مسقط، والسيطرة على قلعتها الميراني والجلالي^(١٤٧)، على أنه لم يتم تحقيق شيء من تلك المسودات، والمشروعات ولكن فرنسا استطاعت أن تحقق أمرا أكثر عملية باستيلائها على جزيرة موريشيوس التي أسمتها ايل دي فرانس Ile de France

France في رمضان ١١٢٧هـ / سبتمبر ١٧١٥م (١٤٨).

وكان تأسيس ايل دي فرانس (موريشيوس) كقاعدة بحرية فرنسية قد جعل من المحتّم جر مسقط الى ميدان الصراع البريطاني / الفرنسي عاجلاً أو آجلاً، وذلك لان واحدا من اهداف تلك القاعدة كان الهجوم على التجارة البريطانية من جوانبها^(١٤٩)، وإذا كان الجانب الرئيسي من تلك الجوانب هو طريق الكيب المار جنوب بورت لويس، فان الجانب الثاني المهم هو الطريق الشمالي من بومباي المتجه الى مسقط في طريقه الى الخليج أو البحر الأحمر^(١٥٠). وقد اتخذ الفرنسيون من ميناء مسقط سوقاً لغنائمهم من السفن والبضائع^(١٥١). ولهذا فان مسألة الحياذ وتقديم الحماية والمياه وغير ذلك كان من الطبيعي أن تثار، ومع ان عرب عمان حاولوا بأقصى جهدهم البقاء بعيداً عن ذلك الصراع وتجنب التورط مع أي من الطرفين، الا انهم أدركوا بأنه لا المصالح التجارية ولا تقاليد الصداقة والأعراف الدولية بإمكانها أن تحميهم من التورط على أيدي أوروبا المحاربة لأنه من الصعب العيش بسلام وسط ميدان المعركة^(١٥٢).

وهكذا سرعان ما شهدت عمان عدداً من المصادمات بين الفرنسيين والبريطانيين. وقد وقعت الحادثة الأولى في سنة ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م، حينما حاولت ثلاث سفن بريفاير^(١٥٣) فرنسية - وبدون اعتبار لحياذ عمان - قطع الطريق على سفينة تجارية بريطانية وكرهاها على الخروج من مرفأ مسقط، ولكن الوالي خلفان بن محمد استاء من ذلك العدوان فأطلق عليها نيران قلعتي مسقط (الميراني والجلالي) مما أجبرها على الانسحاب^(١٥٤)، وقام الفرنسيون بمحاولة أخرى مماثلة في سنة ١١٧٥هـ / ١٧٦١م، فقد وصلت الى مسقط سفينتا بريفاير فرنسيتان قادمتان من ايل دي فرانس (موريشيوس) وحاولتا مهاجمة سفينة بريطانية راسية هناك بتجاهل كامل لقوانين الحياذ، ولكن الوالي خلفان بن محمد بادر الى انقاذ السفينة منتقماً للإهانة التي لحقت بالعلم العماني بإطلاقه النار على السفينتين الفرنسيتين^(١٥٥). ووقعت حادثة مشابهة في سنة ١١٩٢هـ / ١٧٧٨م أفشلها الوالي نفسه، مكبداً الفرنسيين هذه المرة خمسة قتلى^(١٥٦).

وإذا كان هذا الموقف والي مسقط في الدفاع عن السفن البريطانية المحتمية بالمرفأ فان هذا الموقف يجب ألا يعتبر دليلاً على انحياز عمان لجانب دون آخر، وإنما يمكن السر في تقاليد عربية متوارثة هي حماية الدخيل أو اللاجئ حتى ولو بقوة السلاح، ولا يمنع هذه الحماية اختلاف القومية والدين، فدخل السفن البريطانية ميناء مسقط هرباً من خطر الفرنسيين هو (دخالة صريحة) ولتقاليد الدخالة فعل الغرايز عند القبائل العربية، والبريطانيون بطبيعة الحال لم يدفعوا أجراً لقاء تلك المساعدات المهمة^(١٥٧).

ومع ذلك فلم تؤد هذه الحوادث الى قيام عداة بين فرنسا وعمان، فقد كان الفرنسيون عادة يسترضون الامام عما يبدر منهم ضمن حدوده أحياناً، بما كانوا يقدمونه له من أعذار وتعويضات من ناحية^(١٥٨)، وبقيام علاقات تجارية نشطة بين عمان وايل دي فرانس (موريشيوس) طيلة النصف الثاني من القرن الثامن عشر من ناحية أخرى، وعلى ذلك فقد كانت هذه الجزيرة تصدر السكر والمنتجات الأخرى الى مسقط، وتستورد منها بالمقابل المنتجات الغذائية كالحبوب والملح والسمك والتمر والبن^(١٥٩). وكانت التجارة العمانية مع المستعمرات الفرنسية تحقق مصالح أكبر

للعُمانيين، حيث كانوا يتولون بأنفسهم نقل التجارة الى تلك المستعمرات أحيانا، وفي أحيان أخرى كان الفرنسيون يستوردون حاجاتهم من المُن بواسطة السفن العربية^(١٦٠).

على أن العلاقات العُمانية / الفرنسية تعرضت لأزمة حادة في سنة ١١٩٥ هـ / ١٧٨١ م حينما قامت قطعة من الاسطول الفرنسي مؤلفة من ثلاث سفن بقيادة الكابتن دي شيني De cheny، بأسر الفرقاطة المسماة (صالح) ذات الخمسين مدفعا بالقرب من صحار وهي محملة بالبضائع البريطانية من الهند في طريقها الى البصرة^(١٦١). وأصل الحادث أن هذه السفن الثلاث بعد أن أسرت السفينة البريطانية (بكلربك Beglerbeg) دخلت مرفأ مسقط، وهناك حاولت أن تأسر سفينة بريطانية أخرى راسية هناك، ولكنها فشلت في تحقيق هدفها لدفاع الوالي عنها، وعلى الأثر انسحبت متجهة الى أعلى الخليج حيث التقت بالسفينة العُمانية وأسرتها^(١٦٢)، وسرعان ما تهايا العُمانيون لتأكيد كرامتهم واستقلالهم بالثار من السفن الفرنسية. فبعد مرور شهرين على أسر (صالح)، اندفعت واحدة من السفن الفرنسية المذبنة (لافيليبين La philippine) عائدة الى مسقط للتموين وفي الحال أمر الامام اثنتين من سفنه بمهاجمتها، وبعد معركة دامت ساعتين أجبرت السفينة الفرنسية على الاستسلام^(١٦٣).

ولكن لم تكن هناك رغبة في مسقط ولاسيما لدى أولئك الذين تربطهم المصالح التجارية مع ايل دي فرانس، بتصعيد الصراع مع الفرنسيين، وقدر الإمام وكبار المسؤولين بأن التنازل في هذه الحالة هو الدبلوماسية الفضل، وعليه فقد أمر بارسال (لافيليبين) وبحصارها الى بورت لويس مع احتجاج شديد لحاكمها دو سويك de souillac على خرق حياد عُمان، كما كتب الامام رسالة الى الملك لويس السادس عشر مصرحا برغبته في الإبقاء على علاقات الصداقة القائمة بينه وبين فرنسا^(١٦٤). وقد لقي موقف الامام دعما قويا من حاكم دي فرانس، ولهذا قررت السلطات الفرنسية في باريس معالجة الأمر بحكمة فأبدت اعتذارها وأرسلت سفينتها (Courier de La France) تعويضا للإمام عن سفينته (صالح). ومع أن هذه السفينة الفرنسية وقعت في أسر طراد بريطاني وهي في طريقها الى مسقط، فقد عادت العلاقات حسنة بين الطرفين^(١٦٥).

والدليل على ذلك انه في ذي القعدة ١١٩٩ هـ / سبتمبر ١٧٨٥ م، وصلت قطعة من الاسطول الفرنسي بقيادة الكونت دو روزيلي (count de Roselie) مؤلفة من الفرقاطة (فينوس Venus ذات أربعة وأربعين مدفعا) والسفينتين (prevoyance) و (Amphitrite) إلى مسقط، وعقد الكونت اجتماعا مع حاكم مسقط حمد بن سعيد، وطبقا لبعض المصادر فإن حمد أذن - بالسماح الذي طال انتظاره - بتأسيس مركز فرنسي في مسقط^(١٦٦). ولكن مصادر أخرى تنفي ذلك فتذكر أن طلب الكونت بتأسيس مركز استقبال كالمطلبات السابقة بالرفض^(١٦٧).. ومهما كان الأمر فالثابت - اذا صح الأمر الأول - أن الفرنسيين لم يقوموا بإنشاء ذلك المركز.. ذلك انه بعد سنتين من تلك الحادثة لاحظ وليم فرانكلين أثناء توقيفه في مسقط سنة ١٢٠٢ هـ / ١٧٨٧ م، بأن الحظر لا يزال قائما، ولو أن شركة الهند الشرقية البريطانية كان لها وسيط أهلي في الميناء^(١٦٨)، وقد تم حصول البريطانيين على مثل ذلك الامتياز

مقابل المرونة التي أبدتها البنغال بالنسبة إلى احتكار الملح الذي كانت تمارسه حيث سمحت للسفن العمانية باستيراد كميات محدودة من كلكتا^(١٦٩).

والدليل الثاني على حسن العلاقات العمانية / الفرنسية هو تعويض السفينة (صالح) بسفينة أخرى، على أن هذا التعويض لم يتم إلا في سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م حينما أرسلت فرنسا سفينة ثانية هي (ايسكوريال Escorial) سميت (صالح) وأبحرت الى مسقط ترافقها الفرقاطة (لاتيتي La thetis) وسلمت في احتفال إلى السلطات العمانية^(١٧٠). وعلى الرغم من البطء في التعويض وكون (صالح) الجديدة كما قال حمد بن سعيد صغيرة جدا ولا تعادل ربع القديمة، إلا أن هذا التصرف ترك انطباعا عميقا بتقوية مشاعر الود نحو الفرنسيين، فلم يعرض عليهم حاكم مسقط ترحيبه بتعيين قنصل فرنسي فحسب، بل وعد بأنه سيزوده بدار إقامة رسمية بدون مقابل^(١٧١).

ولذلك فقد تطورت العلاقات العمانية / الفرنسية وقررت الحكومة الفرنسية قبل قيام الثورة الفرنسية بعام واحد ضرورة انشاء قنصلية في مسقط، وذلك لأهمية الميناء القصوى، وقد أكد روزيلي بالحاج على ذلك مشيرا إلى الروابط الوثيقة بين عمان والكيانات المحلية في الهند، معتبرا انشاء قنصلية في مسقط جزءا أساسيا للنظام البحري الفرنسي في البحار الهندية^(١٧٢).

وكانت غاية الحكومة الفرنسية من وراء ذلك تحقيق هدفين هما: اتخاذ مسقط نقطة مراقبة على النشاطات البريطانية في الهند ومصدر تموين لآيل دي فرانس في حالة تجدد الحرب مع بريطانيا عن طريق ما يحمله إليها البحارة العرب^(١٧٣)، ولكن نشوب الثورة في ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م أعاق تنفيذ ذلك الأمر بل وأدى إلى إهماله. ونلاحظ أن الفرنسيين لم ينتهزوا فرصة تسليمهم (صالح) لمسقط والعرض الذي قدمه لهم حاكمها بالمبادرة بتعيين قنصل^(١٧٤).

ولكن نشوب الحرب العامة في ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م أظهر الحاجة إلى تقوية فرنسا لنفوذها في عمان، وعليه فقد تم تبني مشروع بإنشاء قنصلية في مسقط، ذلك المشروع الذي نوقش أكثر من عشر سنوات.. وبقرار صدر في شعبان ١٢٠٩هـ / ٣ مارس ١٧٩٥ أعلنت (لجنة الأمن العام) عن تأسيس القنصلية وتعيين بوشامب M. Beau-champ وهو عالم ورحالة، لشغل ذلك المنصب^(١٧٥)، وقد ورد في التعليمات التي صدرت له في منتصف ١٢١٠هـ / أوائل ١٧٩٦م أن قنصلية مسقط إنما أنشئت للتجسس على حركة الانجليز في الهند بدراسة الأحوال الداخلية في هذه البلاد، وكذلك لدراسة الطرق التي يمكن أن يستخدمها غزو فرنسي للشرق^(١٧٦)، ولكن لم يقدر لبوشامب أن يتسلم منصبه حيث لم يصل إلى أبعد من مصر بحلول ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م^(١٧٧) حيث قام بونابرت بإرساله إلى القسطنطينية، وهناك ألقي القبض عليه وسجن^(١٧٨)، وفي الواقع فإنه لم يتم وصول قنصل فرنسي إلى مسقط إلا في سنة ١٢١٢هـ / ١٨٩٤م حينما جاء المسيو أوتافي Ottavi لتسلم مهام القنصلية فيها^(١٧٩).

وقد ثارت شكوك بريطانيا في سنة ١٢١١هـ / ١٧٩٦م من قيام حكومة عمان بالتوصل من موقفها الحيادي طبقا للتقارير التي أشارت إلى قيام سفن مسقط التجارية بنقل المعلومات عن تحركات السفن البريطانية إلى آيل دي فرانس، وإلى أن الفرنسيين كانوا يسمرون بشكل متكرر عبر مسقط وهم في طريقهم إلى فارس

والشرق الأدنى.

وعزز هذه الشكوك وأثارها، ما عرفه البرتغاليون من أن التجار العمانيين كانوا يحققون أرباحاً كبيرة من بيعهم البضائع والسفن البريطانية التي يأسرها الفرنسيون، كما أن الحصار البريطاني لجزر ايل دي فرانس وبوربون في ١٢٠٩ هـ / ١٧٩٤ م (١٨٠) قد أضعف من التزايد النشط في التجارة بين مسقط وبورت لويس (١٨١). وهذا الموقف العماني من جهة، وافتقار بريطانيا لوجود مؤسسة دائمة على ساحل عمان من جهة أخرى، قد برهن على ضعف خطر لدى الجانب البريطاني في الصراع الدائر مع فرنسا، لأنه كان يعني انه ليس بمقدور البريطانيين ان يفعلوا شيئاً لمنع استخدام مسقط كقاعدة للهجمات المدمرة لسفن الريفاتير الفرنسية على الملاحة البريطانية في المحيط الهندي، سوى محاولة استخدام القوة أو الحصول على السيطرة على ذلك الميناء، ولكن السلطات البريطانية في الهند كانت منشغلة الى أقصى حد بمشكلاتها في الهند عن التفكير في مثل تلك المغامرة التي ستورطها في سياسات الجزيرة العربية الخطرة. ولهذا فقد كان البريطانيون راضين بالمحافظة قدر الامكان على علاقات الصداقة مع حكومة عمان، التي تسهل لهم الاستخدام الاعتيادي للطرق التجارية الى الغرب والشمال.

ومع هذا ظلت عمان على حيادها واستمرت العلاقات التجارية نشطة بين الجزر الفرنسية ومسقط (١٨٢).

ولكن حكومة بومباي لم تثر الموضوع ثانية، حتى ظهر بونايرت في مصر سنة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م، وقد أضفى ظهوره على مسألة موقف سلطان عمان أهمية جديدة وملحة، فبادرت هذه الحكومة الى اتخاذ الخطوات الجدية لكبح النفوذ الفرنسي، لا في عمان فحسب، بل في أرجاء الخليج العربي الأخرى أيضاً (١٨٣). هذا في الوقت الذي كانت فيه عمان تقترب من مرحلة جديدة في تاريخها بعد أن تولى حكمها السيد سعيد بن سلطان.

السلطان السيد سعيد بن سلطان :

يعتبر عصر السيد سعيد بن سلطان وهو - حفيد مؤسس أسرة البوسعيد الحاكمة في عمان - من أزهى العصور التي مرت بعمان خلال القرن التاسع عشر ان لم يكن أكثرها ازدهاراً رغم الصعوبات الكثيرة التي واجهته في بناء الدولة، ويرى المؤرخون ان السيد سعيد بن سلطان هو بلا شك أبرز الشخصيات في أسرة البوسعيد التي لعبت دوراً في تاريخ عمان والخليج وشرق أفريقيا، ولا نكون مبالغين اذا اعتبرناه من الشخصيات الهامة جداً في تاريخ العرب الحديث والمعاصر (١٨٤).

ومنذ توليه الحكم في عمان عام ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م واجهته صعوبات شتى في الداخل كالخلافات مع بعض القبائل التي تسعى الى نبذ السلطة والتمتع بالاستقلال كما هو حال القبائل على امتداد الوطن العربي، وكذلك مناقسة القواسم من رأس الخيمة على الملاحة في الخليج العربي، الى جانب الصعوبات الخارجية التي واجهته والتي تمثلت في غزو الوهابيين لمنطقة الظاهرة في عمان واستيلائهم على واحة البريمي، الى جانب محاولة الفرس منذ الأربعينات من القرن التاسع انتزاع ميناء بندر عباس الواقع على الساحل الشرقي للخليج من الحكم العماني.

ويعتبر المؤرخون بحق عهد السيد سعيد بن سلطان بأنه الفترة الذهبية في التاريخ العماني الحديث لاعتبارات مهمة:

(١) اتساع نفوذ الدولة العمانية بشكل لم تشهده من قبل بحيث أصبحت كافة المناطق الواقعة بين بندر عباس على الساحل الشرقي للخليج العربي الى ميناء زنجبار على الساحل الشرقي لافريقيا منطقة نفوذ عمان، هذا بالإضافة الى ان العديد من الجزر الواقعة في مدخل الخليج العربي والمحاذاة للساحل الشرقي للخليج وكذلك الى جزر بحر العرب والمحيط الهندي بما فيها أرخبيل جزر القمر كانت تحت النفوذ العماني.

(٢) المركز المرموق الذي احتله السلطان السيد سعيد بن سلطان في المجال الدولي والاحترام الذي كان يتميز به بين حكام أوروبا وآسيا وأفريقيا والولايات المتحدة في ذلك العصر، هذا بالإضافة الى شعبيته الواسعة بين أفراد وطنه.

(٣) استقرار الحكم العماني رغم المطامع والمؤامرات الأجنبية، ففي الوقت الذي كانت الصراعات العربية - العربية مستمرة على سواحل الخليج العربي، وفي الوقت الذي شهدت فيه الجزيرة العربية حروباً دائمة بين محمد علي باشا والحركة السلفية، وما كان يتعرض له السيد سعيد بن سلطان من تصادم المطامع البريطانية والفرنسية والفارسية، فإن السيد سعيد عمل على المحافظة على استقلال بلاده بتوازن دقيق مستخدماً الدبلوماسية أكثر من القوة العسكرية من أجل الوصول الى أهدافه. فقد اقتضت الظروف التوقيع على اتفاقيات تجارية مع فرنسا والولايات المتحدة وهولندا والبرتغال. وكانت سياسات السيد سعيد المستندة الى البراعة الدبلوماسية والمبادئ الواقعية قد جعلت عمان من أكبر الدول العربية وأكثرها نفوذاً على الإطلاق طيلة فترة حكمه.

السلطان السيد سعيد بن سلطان

(٤) قوة الاقتصاد العماني المستندة الى تقدم وتطور التجارة العمانية التي كانت تعتمد هي الاخرى على اسطول تجاري ضخم تسانده قوة بحرية متميزة، فبالإضافة الى التجارة العمانية الواسعة مع الصين وجنوب شرق آسيا والهند وسيلان وإيران، فإن السيد سعيد بن سلطان قد طور وبشكل واسع اقتصاديات ممتلكاته في شرق افريقيا لدرجة انه في النصف الثاني من فترة حكمه كان الكثير من واردات الدولة العمانية يأتي من افريقيا.

فقد كانت هذه السفن تنقل البن من اليمن وشرق افريقيا وتنقل القرنفل من زنجبار وتنقل التيل وخيوطه من ساحل دار السلام، وفي نفس الوقت الذي كانت تصدر هذه المنتجات الى دول الشرق الأوسط وأوروبا، كانت تنقل أخشاب الهند وجزر الهند الشرقية والبهارات والحريز الى أقطار الخليج العربي وإيران والبصرة واليمن.

ومن أجل تطور المصالح الاقتصادية والتجارية



كان من الضروري أن يكون لعمان اسطول تجاري كبير واسطول حربي قوي يقوم بحماية الموانئ والسواحل العمانية. وقد قام السيد سعيد بإنشاء هذا الاسطول، وأصبح لعمان اسطول حربي قوي، واسطول تجاري ضم العديد من السفن العمانية.

الاسطول العماني :

شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر اهتماما كبيرا ببناء الاسطول التجاري والحربي في عهد السيد سعيد بن سلطان وكانت الموانئ العمانية مثل مطرح ومسقط وصور وشناص تشمل أهم أحواض بناء السفن حيث كانت تبني السفن في هذه الأحواض من الأخشاب المستوردة من الهند وجاوة علاوة على الأخشاب العمانية.. إلى جانب استخدام أشجار النخيل لبناء السفن الصغيرة.

وقد أمر السيد سعيد بن سلطان ببناء العديد من السفن التجارية والحربية في أحواض السفن في الهند وخصوصاً في بومباي، ومن أبرز هذه السفن في تاريخ الأسطول العماني الحربي السفن المعروفة باسم (تاج بكس) و(كارولين) و(شاه علم) و(ليفربول) و(سلطانة) و(تاجة). وقد أهدى السيد سعيد البارجة ليفربول إلى الملك البريطاني وليام الرابع عام ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م حيث أطلق الأخير عليها اسم (الإمام) تكريماً لمهديها السيد سعيد بن سلطان، أما السفينة الحربية سلطنة فقد كانت من أهم قطع الحربية العمانية وقد أرسلت إلى ميناء نيويورك في الولايات المتحدة تحمل هدايا للرئيس الأمريكي.

وتنتيجة لجهود السيد سعيد بن سلطان في الاهتمام بالبحرية العمانية، أصبح الاسطول العماني الحربي والتجاري في الخليج العربي والمحيط الهندي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ثاني أكبر اسطول على الإطلاق ويأتي في المرتبة الثانية بعد الاسطول البريطاني. وكان لهذا الأسطول الضخم قواعد رئيسية على الساحل الشرقي للخليج العربي في موانئ بندر عباس وحاسك وشامل وسياب ولنجة وجزر قشم وهرمز ولارك، وكانت قواعده على الساحل العماني موانئ مسقط ومطرح وجزيرة مصيرة، أما على الساحل الافريقي فكان لعمان قواعد بحرية في ممباسة ولامو وكوة ومركه ومقديشيو وزنجبار. وكان السيد سعيد بن سلطان سلطان عمان الذي حكم أكثر من نصف قرن دولة واسعة في الخليج العربي والمحيط الهندي، ينتقل بين ممتلكاته في عمان والساحل الافريقي، وكان يقضي فترة طويلة على ظهر السفن يتفقد بلدان هذه الدولة الشاسعة الأطراف، وفي السنوات الأخيرة من حكمه كان يفضل قضاء أطول مدة ممكنة في زنجبار حتى يتمكن من الاشراف على الممتلكات العمانية في ساحل افريقيا.. وكانت له علاقات واسعة جداً مع زعماء القبائل الافريقية وملوك المقاطعات والجزر العديدة التي لم يتمكن من السيطرة عليها مثل مدغشقر وغيرها.

ورغم القوة البحرية التي كانت تحت امرته فقد اتصف بالحذر الشديد، فاقصر نفوذه على السواحل ولم يغامر بالتوسع في الداخل سواء كان ذلك على الساحل الشرقي للخليج العربي أو بالنسبة للساحل الافريقي. ولكن التجار العمانيين توغلوا في داخل افريقيا ووصلوا إلى ما يعرف حالياً بأواسط كينيا والبحيرات الافريقية، وتاجروا مع الأهالي ونشروا الاسلام وكانوا أول جسر ثقافي ربط بين

العرب وافريقيا الاستوائية.

ومن أجل اعطاء صورة لقوة الأسطول العماني فقد ذكر أحد التجار الأمريكيين الذي زار زنجبار في بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، أن السيد سعيد وصل البلاد على رأس قوة تتألف من سفينة مزودة بأربعة وستين مدفعا، وثلاث فرقاطات مزودة كل منها بستة وثلاثين مدفعا، وسفيتين مزودة كل منهما بأربعة عشر مدفعا، وحوالي مائة مركب نقل عليها ستة آلاف مقاتل... ورغم بعد الممتلكات العمانية في افريقيا عن عمان بأكثر من خمسة آلاف ميل، إلا أن الأسطول العماني كان من القوة بحيث استطاع أن يحرس هذه الممتلكات الشاسعة الممتدة بين بندر عباس وزنجبار، كما استطاع أن يحرس عشرات الموانئ الواقعة على السواحل العربية والافريقية وعشرات الجزر المتناثرة في الخليج العربي والمحيط الهندي.

وإذا كان السيد سعيد بن سلطان قد استطاع أن يكون هذه الدولة الواسعة، واستطاع أن يؤسس أسطولا تجاريا وحربيا قويا تمكن من خلاله من المحافظة على هذه الدولة فانه أيضا تمكن من اقامة علاقات دولية قوية سواء مع مصر أو مع بعض الدول الأوروبية أو مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وبالنسبة لعلاقات السيد سعيد بن سلطان بمصر وحاكمها محمد علي، فقد اتصفت العلاقات بين الرجلين بالتقدير المشترك غير المنقطع، ورغم أن الرجلين كانا في مواجهة مع النشاط الوهابي في الجزيرة العربية إلا أن الرسائل المتبادلة بين السيد سعيد ومحمد علي كانت قليلة، وأن كانت قد عبرت عن إعجاب السيد سعيد بالبناء الحديث للدولة الذي أقامه محمد علي في مصر، كما عبرت عن وجود رغبة لدى السيد سعيد في اقامة علاقات أوثق مع باشا مصر (١٨٥٠).

وتشباها مع هذه العلاقة الودية بين الرجلين، وانطلاقا من تقدير محمد علي للدور الذي قام به السيد سعيد بن سلطان في مقاومة النشاط الوهابي في عمان في الفترة من عام (١٢٢١ - ١٢٣٤ هـ / ١٨٠٦ - ١٨١٨ م)، فقد أحسن محمد علي وشريف مكة يحيى بن سرور استقبال السيد سعيد عندما ذهب للحج عام ١٢٤٠ هـ / ١٨٢٤ م، إذ أرسل محمد علي مجموعة من كبار ضباطه لاستقباله وتحيته، وأطلقت المدافع في جدة حينما اقتربت السفينة العمانية (ليفربول) المقلة للسيد سعيد من الميناء، وعند عودته من الحج إلى مسقط حمل معه هدايا كثيرة من محمد علي ومن شريف مكة.

واستمرت الصلات بين الرجلين ودية رغم موقف بريطانيا العظمى المعادي للنشاط المصري في الجزيرة العربية وفي الخليج العربي بصفة خاصة، ذلك الموقف الذي لم يكن باستطاعة السيد سعيد تجاهله نظرا للعلاقة الخاصة التي ربطت بينه وبين البريطانيين الذين ساعدوه ضد أعدائه، ورغم ذلك لم يأخذ السيد سعيد من محمد علي موقفا عدائيا، بل أن الوثائق المصرية تشير إلى أن السيد سعيد بعث برسالة إلى محمد علي في عام ١٢٥٥ هـ الموافق ١٨٤٠ م طلب فيها بإلحاح سرعة إرسال أحد الجنود العاملين على المدافع الحربية (١٨٦).

وأما علاقة السيد سعيد بن سلطان بالدول الأجنبية، فقد تمثلت في ترحيبه بعقد اتفاقية تجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م، وفي ترحيبه بوجود قنصل أمريكي في السلطنة، كما تمثلت تلك العلاقات في عقد معاهدة بين السلطنة وبريطانيا في ربيع الأول ١٢٥٥ هـ / مايو ١٨٣٩ م تعلق معظم نصوصها

بتنظيم التجارة والملاحة بين البلدين، وتقديم التسهيلات البحرية للسفن البريطانية في موانئ السلطنة، الى جانب النص على اعطاء القنصل البريطاني في السلطنة الحق في الفصل في المنازعات التي تحدث بين الرعايا البريطانيين المقيمين فيها، كما يؤخذ رأيه في القضايا التي تنشأ بين الرعايا البريطانيين وبين العرب.

كما تمثلت علاقات السلطنة الخارجية كذلك في عقد معاهدة تجارية مع فرنسا عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م حصلت فرنسا بمقتضاها على نفس الامتيازات التجارية والقضائية التي نصت عليها معاهدة عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م مع بريطانيا العظمى.

ولم يرفض السيد سعيد بن سلطان طيلة فترة حكمه أي عرض تقدمت به أي دولة اقليمية أو دولية لعقد المعاهدات والاتفاقيات التجارية، فكان يفضل التجارة على أي شيء آخر، وعندما طلبت منه الدول الأوروبية وخصوصا بريطانيا تحريم تجارة العبيد في ممتلكاته والمساهمة معها في محاربة هذه التجارة في كافة أرجاء الخليج العربي والمحيط الهندي، فانه قبل بهذا العرض وحرّم تجارة العبيد التي كانت تدر على بعض التجار أرباحا هائلة، وحارب بقوة نشاطات القراصنة من مختلف الجنسيات الأوروبية الذين كانوا يمارسون تجارة العبيد. وكان لموقف السيد سعيد هذا ردود فعل ايجابية في الرأي العام العالمي يومئذ، فقد أثنت الصحف البريطانية كما أشاد مجلس العموم البريطاني بجهود السيد سعيد في مجال محاربة تجارة العبيد ومراعاته لحقوق الانسان.

واذا كان للسيد سعيد بن سلطان هذه العلاقات مع الدول التي أشرنا اليها وتحدثنا عنها، فان علاقاته بالولايات المتحدة الأمريكية كانت أوسع وأعمق، وكانت عمان نتيجة لهذه العلاقات هي أول دولة عربية في الخليج العربي والجزيرة العربية في العصر الحديث تقيم مثل هذه العلاقات مع هذه الدولة الكبرى. ولذلك كان من المفيد أن نخص هذه العلاقات (العمانية / الأمريكية) بحديث واسع ومستفيض.

العلاقات العمانية / الأمريكية في عهد السيد سعيد بن سلطان:

الولايات المتحدة وعلاقتها بالوطن العربي:

أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية استقلالها عام ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م، ومن ثم جاء اهتمامها بالأقطار العربية عامة وأقطار الخليج العربي والجزيرة العربية بصفة خاصة متأخرا عن اهتمامات الدول الأوروبية الأخرى مثل البرتغال وهولندا وفرنسا وبريطانيا.. ان جاء اهتمام أمريكا بالوطن العربي متأخرا عن غيرها من دول العالم بسبب تأخرها في حصولها على الاستقلال، ولأنها عندما حصلت على استقلالها تأثرت بسياسة مؤسسها الأول (جورج واشنطن) George Washington الداعية الى العزلة، وهي السياسة التي سارت عليها الولايات المتحدة لمدة زادت عن قرن من الزمان (١٨٧).

ونتيجة لذلك جاءت علاقة الولايات المتحدة بالوطن العربي على استحياء بما يتمشى مع امكانات الدولة الجديدة، ومع رغبتها في التفرغ للبناء الداخلي على الأرض الأمريكية دون تدخل من الغير، ودون أن تنغمس في مشكلات الآخرين كما أشار الى ذلك الرئيس جيمس مونرو James Monroe في تصريحه الشهير عام ١٢٣٩هـ / ١٨٢٣م.

ورغم ان أقطار الوطن العربي كانت مجهولة للأمريكيين فيما عدا ما قرأوه عنها

في الكتب مثل (ألف ليلة وليلة) و(تاريخ فراعنة وادي النيل)، ورغم أن سكان تلك الأقطار كانوا يجهلون كل شيء عن الأمريكيين، فإن الولايات المتحدة كانت منذ فجر استقلالها في أواخر القرن الثامن عشر راغبة في إبرام معاهدات ودية وتجارية مع دول أوروبا تفتح أبواب التجارة أمام التجار الأمريكيين في أوروبا وأقطار شمال إفريقيا العربية، وقد نجحت بالفعل في تحقيق هذا الهدف سواء في الأقطار العربية بشمال إفريقيا أو تلك الأقطار في المشرق العربي.

و كانت دولة العلويين بالمغرب الأقصى - المملكة المغربية الحالية - أول قطر عربي يعترف باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية، وقد سارت العلاقة بين الطرفين قوية وودية منذ ذلك الحين، فنجد مثلاً أن الكونجرس الأمريكي اقترح على الحكومة في عام ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م عقد معاهدة صداقة وتجارة مع المغرب الأقصى، كما أنه طلب وساطة المولى محمد بن عبدالله حاكم المغرب لدى نيابات تونس وطرابلس الغرب لوقف هجمات سفنها على السفن التجارية الأمريكية العاملة في البحر الأبيض المتوسط.

وعندما انتخب جورج واشنطن رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية عام ١٢٠٤هـ/ ١٧٨٩م، أشاد في رسالة بعث بها إلى الحكومة المغربية بالعلاقات الودية التي تربط البلدين منذ فجر الاستقلال الأمريكي، والواقع أن مراسلات المولى محمد بن عبدالله مع الكونجرس الأمريكي منذ إعلان الاستقلال الأمريكي تعتبر أول اعتراف دولي بحكومة الولايات المتحدة الأمريكية، ولن تنسى الولايات المتحدة ذلك للمغرب، وستكون القنصلية الأمريكية في مدينة طنجة المغربية التي قامت عام ١٢٢٦هـ/ ١٨٢٠م أول قنصلية أجنبية في المغرب^(١٨٨).

وإذا كانت المغرب أول قطر عربي يقيم علاقات ودية تجارية مع الولايات المتحدة الأمريكية، فإن سلطنة عمان كانت القطر الثاني الذي أقام هذه العلاقات على المستوى العربي ككل والقطر العربي الأول في منطقة الخليج والجزيرة العربية، ولعلنا نجد تشابهاً بين القطر المغربي والقطر العماني في النظر إلى الولايات المتحدة آنذاك، بإعتبارها دولة حديثة الإستقلال عن بريطانيا ذات التاريخ الإستعماري في العالم، وعن فرنسا مثيلتها، وإعتبارها تسعى لتحقيق مصالح إقتصادية وليست لها نوايا إستعمارية واضحة، هذا بالإضافة إلى أنه لم تكن للعرب معها على الأقل خيرة إستعمارية مؤلمة تجعلهم يتشككون أو يتخفون من إقامة علاقات معها، ومن ثم سعت المغرب إلى تكوين علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة في مواجهة التآمر الإستعماري الأوروبي على المغرب، كما سعت سلطنة عمان إلى إقامة علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة تحقيقاً للتوازن مع القوى الأجنبية الأخرى الطامعة في مد نفوذها على منطقة الخليج والمحيط الهندي وشرق إفريقيا.

وكانت المصالح الإقتصادية هي محور الزاوية في السياسة الأمريكية تجاه العالم العربي. وقد دعم من هذه المصالح ومهد لها ما قام به المبشرون - أو المنصرون على وجه الدقة - من نشاط. ذلك أن البعثات التنصيرية الأمريكية أخذت تزاوّل نشاطها في الأقطار العربية منذ أوائل القرن التاسع عشر حيث بدأت تنشئ مستشفيات ومدارس وكناش في كل من مصر وسوريا ومنطقة الخليج العربي منذ عام ١٢٣٥هـ/ ١٨١٩م.

ومن هنا فإن عقد إتفاقية بين عمان والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م، جاء متمشياً مع سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة العربية، بمعنى أن قيام عمان بتوقيع مثل هذه الاتفاقية لا يمكن النظر اليه باعتبار أنه عمل منفرد قامت به عمان دون غيرها من الأقطار العربية لكن عمان كان لها السبق بين هذه الأقطار في عقد إتفاق رسمي مع حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أو ماسمي بالعالم الجديد حينئذ.

الإتفاقية التجارية بين عمان والولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٣٣م :

بالنسبة للنشاط الإقتصادي الأمريكي، فقد اجتذبت عمان إهتمام الأمريكيين في الثلث الأول من القرن التاسع عشر لوقوع عمان في طريق الهند والشرق الأقصى، ولأنها كانت مركزاً للعلاقات مع بقية أقطار الوطن العربي وإيران وأفريقيا (١٨٩)، وفي شرق إفريقيا بالذات كان لها نفوذ لا يذانيه نفوذ أي دولة أخرى.

ذلك أن سلطنة عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان تميزت بامتداداتها حتى شرق إفريقيا حيث صار لها جناح إفريقي في زنجبار الى جانب القلب الذي مقره مسقط في مدخل الخليج العربي. رغم أن زنجبار ظلت خاضعة لحكم عمان منذ منتصف القرن السابع عشر الميلادي، إلا أنها لم تلق العناية الكافية بالتنمية والتطور حتى إتجه اليها السيد سعيد بن سلطان في العشرينات من القرن التاسع عشر، حيث أدخل زراعة القرنفل في زنجبار واعتبره محصولاً تجارياً حيث أنشأ عدة مزارع على الأرض الأفريقية، ودفع بالتجار العمانيين للتوغل في القارة الأفريقية للمتاجرة مع الأفارقة، كما قدم مساعدات ذات أثر كبير في نجاح رحلات المستكشفين الأوروبيين الذين مارسوا عمليات الكشف داخل إفريقيا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر.

وكان تطوير القسم الإفريقي للدولة العمانية في عهد السيد سعيد بن سلطان عامل جذب للقوى الأجنبية لكي تسعى الى تقوية علاقاتها بالسلطنة ككل، لكي تحصل على متاجر زنجبار بصفة خاصة وكانت الولايات المتحدة الأمريكية أول القوى الأجنبية في التطلع الى فتح أسواق زنجبار أمام التجار الأمريكان لبيع السلع الأمريكية من ناحية، ولشراء المنتجات والسلع في الشق الإفريقي من الدولة من ناحية أخرى.

وقد بدأت مقدمات العلاقات التجارية بين عمان والولايات المتحدة الأمريكية حينما زار التاجر الأمريكي (أدموند روبرتس) Edmond Robertes الذي ينتمي الى نيوهامبشير زنجبار في عام ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م، متطعاً الى تحقيق كسب مادي كبير هناك، ولكنه لم يجد التسهيلات التي كان يلقاها البريطانيون الذين كانوا أصدقاء للسيد سعيد بن سلطان. ومن ثم عاد الى الولايات المتحدة الأمريكية يحمل فكرة عقد معاهدة مع الحكومة العمانية لكي تروج التجارة الأمريكية في ممتلكاتها (١٩٠).

وقد وافق الرئيس الأمريكي (اندرو جاكسون) Andrew Jackson على فكرة عقد معاهدة تجارية بين الولايات المتحدة وعمان، وعهد الى أدموند روبرتس بإجراء المفاوضات اللازمة والتوصل الى المعاهدة المنشودة وكان وصول السفينة الأمريكية (بيكوك) حاملة بعثة روبرتس الى مسقط دليلاً ليس فقط على الإهتمام الأمريكي بكل من آسيا وإفريقيا، بل أيضاً لكون عمان دولة ذات أهمية بارزة لدى الولايات

المتحدة الأمريكية.

ولذلك تم توقيع المعاهدة التجارية بين عمان والولايات المتحدة في جمادى الأولى ١٢٤٩هـ / الحادي والعشرين من سبتمبر ١٨٣٣م، وكانت أول إتفاقية يعقدها السيد سعيد بن سلطان مع دولة كبرى. وقد صارت هذه الإتفاقية المثل الذي سارت على منواله معاهدات عمان مع بريطانيا عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م ومع فرنسا عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م. وقد ظلت الإتفاقية الأمريكية العمانية سارية المفعول حتى عام ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م حين بطل مفعولها واستبدلت بمعاهدة جديدة للصدقة والعلاقات الاقتصادية والحقوق القنصلية بين الطرفين وبموجب هذه الإتفاقية تمتع الأمريكيون بامتيازات إقتصادية وقضائية في ممتلكات السلطان العربية والإفريقية حيث صار التجار الأمريكيون يتاجرون في أراضي عمان الواسعة وينزلون في موانئها ويدفعون ٥٪ فقط رسوماً على البضائع التي كانوا يجلبونها الى الموانئ العمانية ويعفون من دفع أية ضرائب أخرى على الصادرات والواردات، ويعفون كذلك من رسوم الإرشاد الملاحي في موانئ عمان، كما صار من حق القنصل الأمريكي في عمان فض المنازعات التي تنشأ بين رعايا دولته، ونصت المعاهدة كذلك على حق قنصل عمان في الفصل في القضايا بين رعايا دولته في الولايات المتحدة (١٩١).

وفي تقييمنا للإتفاقية التجارية الأمريكية العمانية نلاحظ أن الإتفاقية عززت أهمية السيد سعيد بن سلطان وأبرزت قدرته على الدخول في إتفاقية مع دولة كبرى، مما جعله يميل الى تقوية علاقاته مع الأمريكيين فيعرض عليهم إمتيازات تجارية خاصة في شرق إفريقيا، على أن يقفوا بجوارهم ويساعدوه بالسلاح لإخضاع (مباشرة) لسيادته.

يضاف الى ذلك أن عقد السيد سعيد إتفاقية مع دولة مهمة جعله في موقف الندية ذلك الموقف الذي يستطيع أن يستند اليه في مواجهة القوى الكبرى الأخرى خاصة إنجلترا وفرنسا في تحقيق نفع لعمان ويمكنه من كسب مكانة دولية كما يمكن دولته من كسب إعتراف دولي كانت الأقطار الحديثة ذات الحكومات الناشئة في كل من إفريقيا وآسيا بل وأمريكا اللاتينية تسعى اليه في ذلك الحين.

وعلى الجانب الأمريكي فقد إستقبل الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون رسالة السلطان التي حملها آدموند روبرتس مع نص الإتفاقية عند عودته الى الولايات المتحدة بكل تقدير، حيث أكدت الرسالة على تمنيات السيد سعيد الطيبة للرئيس الأمريكي ونوهت بشكره على الرسالة التي حملها اليه روبرتس والتي حملت المودة والتقدير من الرئيس الأمريكي للسيد سعيد.

ومما جاء في رسالة السيد سعيد للرئيس جاكسون. « ولقد إستجيت من كل النواحي لرغبات معالي سفيركم روبرتس وذلك بإبرام معاهدة صداقة وتجارة بين بلدينا العزيزين، هذه المعاهدة التي سنتقيد بها بكل إخلاص أنا ومن يخلفني في الحكم، وتستطيع سيادتكم أن تظمن بأن كل السفن الأمريكية التي ترسو في الموانئ التابعة لي ستلقى نفس المعاملة الكريمة التي تلقاها في موانئ بلادكم السعيدة التي يسود فيها الهناء، أمل من كل قلبي بأن سيادتكم ستعترني صديقك الدائم والحميم، وإن صداقتي لسيادتكم لن تزول مع الأيام، بل ستستمر زيادة في الرسوخ (١٩٢).

ونتيجة لما جاء في الرسالة وما احتوته الإتفاقية من نصوص تؤكد على توطيد

العلاقة مع الولايات المتحدة، فقد كان وقع هذه الإتفاقية في الولايات المتحدة طيباً، وتمت مصادقة كل من الرئيس جاكسون والكونجرس عليها دون إبطاء، كيف لا والإتفاقية لم تحمل الولايات المتحدة أي إلتزامات نحو عمان كما أن الولايات المتحدة قد أصبحت مرتبطة بصداقة إحدى القوى الآسيوية الإفريقية التي تقهر بإملاكها أسطولاً أكبر من الأسطول الأمريكي نفسه، إذ كان أسطول عمان مكوناً من حوالي خمس وسبعين سفينة مختلفة الأحجام، كل منها مزود بعدد من المدافع يتراوح بين أربعة وستة وخمسين مدفعاً، كما أن السفن العمانية التجارية - وكما لاحظها المبعوث الأمريكي روبرتس - كانت تبحر شرقاً الى الهند وسيلان وجاوة الى جانب موانئ شرق إفريقيا.

ويمكن أن نصيف بأنه على الرغم من أن هذه الإتفاقية إحتوت نصاً على أن يكون من حق القنصل الأمريكي في عمان الفصل في المنازعات بين رعاياه، وأن يكون من حق القنصل العماني - إن وجد في الولايات المتحدة - الفصل في الخصومات التي قد تنشأ بين المواطنين العمانيين هناك، فإن هذا النص كان لصالح الولايات المتحدة أكثر من كونه في صالح الدولة العمانية، إذ لم يكن من المحتمل أن يقوم مواطنون عمانيون بالإقامة والإتجار في الولايات المتحدة، غير أن هذا النص أفاد السيد سعيد بن سلطان أيضاً، إذ أعفاه من مسؤولية الفصل في الخصومات التي يمكن أن تقع بين الأجانب المقيمين في عمان، مما يجنبه كثيراً من المشاكل.

وكان رد الفعل البريطاني نحو الإتفاقية الأمريكية العمانية يدل على السياسة البريطانية نحو منطقة الخليج العربي وشرق إفريقيا والمحيط الهندي بصفة عامة، تلك السياسة التي تقوم على الإنفراد بالنفوذ دون منافس من قوة كبرى خارجية أو حتى داخلية، وفي سبيل ذلك قيدت بريطانيا مشايخ إمارات الساحل العماني وأواخر العقد الثاني من القرن التاسع عشر بمجموعة إتفاقيات أعقبت القضاء على قوة القواسم في رأس الخيمة، وهي إتفاقيات كانت تقضى بسيطرة النفوذ البريطاني دون منازع، وحرمان تلك الإمارات من عقد أي إتفاقيات حتى ولو كانت تجارية دون موافقة الحكومة البريطانية.

وبحكم الصداقة التي قامت بين السيد سعيد مع بريطانيا فقد تلقى السيد سعيد تحذيراً بريطانياً بالتحسب لإطماع الولايات المتحدة في شرق إفريقيا، وبوجوب عدم قبول النشاط الأمريكي المتزايد في الممتلكات العمانية، وتفهم السيد سعيد وجهة النظر البريطانية. وعقد مع البريطانيين معاهدة تشبه في نصوصها المعاهدة مع الأمريكيين عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م.

وقد أدت الإتفاقية الأمريكية العمانية التجارية الى إزدهار التجارة الأمريكية في الممتلكات الإفريقية لعمان أكثر من إزدهارها في عاصمتها مسقط، إذ تزايد عدد السفن التي ترسو في زنجبار والتي تحمل قماشاً قطنياً أمريكياً متيناً سرعان ما شاع استعماله في شرق إفريقيا والخليج العربي والجزيرة العربية، الى جانب الأدوات المنزلية والبنادق والبارود والساعات والأحذية، وفي المقابل تحمل من زنجبار القرنفل والعاج، وصمغ الكوبال الذي يستخدم في تحضير الطلاء، ولب جوز الهند المجفف والتوابل (١٩٣).

ونتيجة لإزدياد النشاط التجاري الأمريكي في ممتلكات عمان بشرق إفريقيا فقد

إختارت الحكومة الأمريكية أحد رعاياها ويدعى (المستر ريتشارد ووترز) Richard Waters عام ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م ليكون أول قنصل أمريكي في مسقط ذاتها في عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م.

إلا أن النشاط التجاري الأمريكي مع زنجبار كان أكثر بصورة واضحة من ذلك النشاط مع مسقط، فعلى سبيل المثال زارت مسقط خلال عام ١٢٥٤-١٢٥٥هـ / ١٨٣٨ - ١٨٣٩م ثلاث سفن أمريكية فقط، بلغت قيمة البضائع التي أفرغتها في ميناء مسقط حوالي ١١٠٠ دولار فقط، وكان التمر يمثل ركناً أساسياً في التجارة الأمريكية العمانية حتى الحرب العالمية الأولى، فكانت السفن الأمريكية تنقل من مسقط كميات كبيرة منه إلى الولايات المتحدة.

وقد ظلت العلاقة بين عمان والولايات المتحدة الأمريكية ودية حتى منتصف القرن التاسع عشر، أي على مدى ما يقرب من عشرين سنة منذ عقدت الإنفاقية التجارية بين الطرفين في عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م، ولكن حدث أن اضطربت تلك العلاقة نتيجة عدة عوامل منها :

أولاً : رغبة السيد سعيد في تعديل المادة الثانية من معاهدة الصداقة والتجارة المعقودة بين الطرفين عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م والتي تنص على أن من حق التجار الأمريكيين دخول كل الموانئ الخاضعة للسلطان، وأصر السلطان سعيد على أن المادة الثانية تشير - في رأيه - إلى أن هذا الحق كان يقتصر على ميناء رئيسي واحد هو ميناء زنجبار، ولم ترغب الحكومة الأمريكية في الإستجابة لطلب السلطان فتحرم تجارها بصفة رسمية من التجارة في بقية الموانئ العمانية الإفريقية والآسيوية خشية أن تفتح هذه الموانئ أمام تجار دول أخرى.

ثانياً : الخلافات بين السيد سعيد والأمريكيين حول مدى السلطة القنصلية الأمريكية في عمان على الرعايا الأمريكيين وقد فجر هذا الخلاف إرتكاب بحار أمريكي جريمة قتل في حق مواطن عربي، كما فجره الخلاف الذي كثيراً ما ينشب بين الرعايا الأمريكيين في الدولة العمانية وبين التجار الهنود المعروفين باسم البانيان - الهندوس من غير ذوي الكتاب - والمشمولين بالحماية البريطانية^(١٩٤).

وقد لعب القنصل الأمريكي في زنجبار شارلس وارد Charles Ward الذي تسلم مهام وظيفته في الجزء الأفريقي من الإمبراطورية العمانية، في المحرم ١٢٦٢هـ / ٢٤ يناير ١٨٤٦م، دوراً في سوء العلاقة بين السيد سعيد والولايات المتحدة مما أدى إلى قطع العلاقة بين البلدين في رمضان ١٢٦٦هـ - يوليو ١٨٥٠م واعتقد وارد أن القنصل البريطاني في زنجبار كان وراء سوء العلاقة بين الولايات المتحدة وعمان، وتوقع تفكك الدولة بعد وفاة السيد سعيد، وأشاع ذلك مما أغضب السيد سعيد إلى حد كبير.

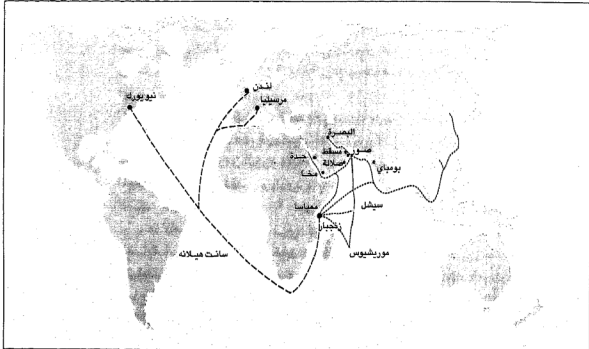
ورغم أن السيد سعيد كان حريصاً على استمرار العلاقة مع الولايات المتحدة، فإنه اضطر إلى تجديد هذه العلاقة بعد أن استنفد الوسائل المتاحة لكي يحل المشكلات التي أثرت بين الطرفين... فقد بعث السيد سعيد برسالة إلى الحكومة الأمريكية في رمضان ١٢٦٣هـ / سبتمبر ١٨٤٧م إلا أنه لم يتلق رداً عليها مما دفعه إلى التمسك بتفسيره للمادة الثانية للمعاهدة المعقودة بين البلدين وكانت الرسالة تطالب ضمانات أمريكية محددة حول المدى المحدد للتجارة الأمريكية في سواحل إفريقيا الشرقية

التابعة للدولة العمانية وتطلب تحديدا للتخصصات القضائية للقنصل الأمريكي في عمان ووقف أي تدخل في الشؤون الداخلية لعمان من جانب القنصل الأمريكي. وأرادت الولايات المتحدة ألا تفقد صداقة السلطان فأرسل الرئيس الأمريكي (ميلارد فيلمور) رسالة ودية حملها إلى السيد سعيد مبعوثه الذي يدعى (الكومودور أوليك). وغادر القنصل (وارد) عمان إلى الولايات المتحدة. وعندما وصل أوليك إلى زنجبار في أول صفر عام ١٢٦٨ هـ / أول ديسمبر عام ١٨٥١ م اجتمع مع التجار الأمريكيين قبل أن يسلم رسالة الرئيس الأمريكي للسيد سعيد وعرف منهم مدى صداقة السيد سعيد وحسن معاملته لهم وأنه لم يسيء للعلم الأمريكي كما ادعى القنصل (وارد)، وأنهم يتمتعون بامتيازات في عمان تفوق ما يتمتع به غيرهم من التجار الأجانب.

وعندما غادر المبعوث الأمريكي (أوليك) زنجبار ترك أثرا طيبا بين أهلها وحكامها، وتحمل القناصل الأمريكيون منذ عام ١٢٦٩ هـ / ١٨٥٢ م مسؤولية العمل على تحسين العلاقات بين السلطنة والولايات المتحدة الأمريكية... وبالفعل امتلأت تقارير هؤلاء القناصل بالاشادة بروح المودة التي يبديها السيد نحو الأمريكيين، وأن العلاقات التجارية بين البلدين ثابتة ومستقرة (١٩٥٠م).

ومما يجدر الإشارة إليه فإنه نظرا لاهتمام الولايات المتحدة بالجانب الأفريقي من الدولة العمانية، فقد كان تعيين قناصل أمريكيين في زنجبار في أسبق من تعيين زملاء لهم في مسقط، بل إن القنصلية الأمريكية بمسقط أحيانا ما خلت ممن يشغلها، وأحيانا أخرى كانت تخضع لسلطات القنصل الأمريكي في زنجبار، وإذا كان أول القناصل قد وصل إلى زنجبار عام ١٢٥٢ هـ / ١٨٣٦ م ويدعى (ريتشارد ووترز) - السابقة الإشارة إليه - فإن آخر قنصل للولايات المتحدة غادر زنجبار كان في عام ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م بعد أن خضعت هذه البلاد للسيطرة الإنجليزية. بينما تسلم

رحلات السفينة
سلطنة إلى نيويورك
لندن والسفينة
كارولين إلى مرسيليا.



المستر (هنري مارشال) عمله كقنصل للولايات المتحدة في مسقط عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م، ثم الغيت القنصلية الأمريكية بمسقط في المدة من ١٢٦١ - ١٢٩٧هـ / ١٨٤٥ - ١٨٨٠م، حين عين المستر (ماجبور) Magbour وهو تاجر بريطاني - قنصلا للولايات المتحدة الأمريكية في مسقط، وفي عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م اعترفت به فرنسا قنصلا لها أيضا في عمان.

ورغم ان العلاقة بين عمان والولايات المتحدة خلال الفترة الممتدة من الاتفاقية التجارية لعام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م ولدة مائة عام تقريبا لم تعتبر ذات أهمية بالغة من وجهة نظر أي من الطرفين، الا ان وجودها في حد ذاته كان يبشر بعهد جديد في مجال العلاقات الدولية، وفي سياسة الود التي ربطت بين عمان والولايات المتحدة.

زيارة سفينة السيد سعيد لنيويورك :

وتمشيا مع السياسة الودية بين الامبراطورية العمانية والولايات المتحدة التي بدأت بمعاهدة الصداقة والتجارة التي عقدت بين البلدين عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م، فقد بعث السيد سعيد سفينته المسماة (سلطانة) في رحلة الى ميناء نيويورك الأمريكي عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م، لتقوية العلاقات مع الولايات المتحدة، وللمتاجرة وشراء الاسلحة التي كان في حاجة اليها اثناء صراعه ضد الوجود البرتغالي في موزمبيق وقد تولى قيادة هذه السفينة ربان بريطاني يدعى (وليام سليمان) William Soliman، واختار السيد سعيد أمين سره الخاص الحاج احمد بن نعمان ليكون ممثلا له في الولايات المتحدة، بل اول مبعوث عماني الى الولايات المتحدة.

وقد حمل الحاج احمد بن نعمان هدية السيد سعيد للرئيس الأمريكي، وكانت هذه الهدية عبارة عن جوادين عربيين، وبعض الجواهر، وسيف مطعم بالذهب، الى جانب العطور، وقد اهدى الرئيس الأمريكي للسيد سعيد باخرة كبيرة مؤثثة باثاث فاخر، الى جانب اربعة مسدسات تلقائية الدوران، وبندقيتين تلقائيتين الدوران كذلك.

كما حملت السفينة (سلطانة) اكثر من الف من اجولة التمر العماني، وحوالي عشرين بالة من السجاد الايراني، ومائة كيس من قهوة (مخا)، و ١٠٨ من انياب العاج، وحوالي ثمانين جوالا من صمغ الكوبال الراتنجي، و ١٣٥ جوالا من القرنفل، والف جلد من جلود الحيوان المجففة، وقد بيعت هذه الحمولة لحساب السيد سعيد في نيويورك (١٩٦).

وفي رحلة العودة كانت (سلطانة) محملة ببضائع متنوعة من نيويورك، تتألف من ١٢٥ بالة من الملابس الرمادية تسمى (ميركاني)، و ١٢٤ ثوبا من قماش قرمزي اللون و ١٣ حقيبة من الخرز الاحمر والابيض والازرق، وعشرين دسنة من القماش المطبوع، و ٣٠٠ بندقية، وبارود وأطباق من الصيني، وبعض الأشياء الشخصية للسيد سعيد (١٩٧).

وعندما وصلت (سلطانة) الى ميناء نيويورك وجد ركابها العرب بعض المضايقات من بعض الأمريكيين، إذ أثار منظر العرب العمانيين بملابسهم المميزة انتباه الناس في شوارع نيويورك فتعقبوهم في السير، إلا أن هذه المضايقات سرعان ما ضاع أثرها حين لقي ركاب السفينة سلطنة كل تكريم وترحيب من محافظ نيويورك ومن رئيس نادي البحرية في نيويورك، وصدرت اوامر الرئيس الأمريكي، (فان



لحمد بن نعمان
أول مبعوث عماني إلى
الولايات المتحدة
الأمريكية.

بورين) Van Buren وزير بحريته بادخال السفينة سلطنة الى حوض الاسطول الامريكي، وتجهيزها للإبحار على نفقة الحكومة الامريكية، ومن ثم شحنها بالمنتجات الامريكية التي اشترنا اليها لتعود بها الى السيد سعيد.

وقد استغرقت رحلة هذه السفينة سلطنة منذ خرجت من زنجبار حتى عادت اليها حوالي عشرة اشهر، وقاد رحلة العودة الى ارض الوطن ربان امريكي استطاع ان يجتاز بها المحيط الاطلنطي بامواجه المضطربة بسلام، عادت وعليها مبعوث السيد سعيد الحاج احمد بن نعمان بعد ان اتم مهمته على خير وجه، فكان بحق خير سفير لبلده في تلك البلاد البعيدة.

وان دلت رحلة السفينة (سلطنة) الى نيويورك على شيء فانما دلت على رغبة كل من عمان في عهد السيد سعيد بن سلطان والولايات المتحدة الامريكية في تقوية واستمرار العلاقات الودية بين الطرفين، وخاصة في المجالات الاقتصادية وفي المجالات التي كانت تستهوي التجار الامريكيين اكثر من اي شيء آخر، في الوقت الذي لم تكن فيه حكومة الولايات المتحدة الامريكية راغبة في التدخل في المشكلات

السياسية، انطلاقا من سياسة العزلة التي سارت عليها منذ ان اعلنت استقلالها عن انجلترا، مما يدل على اهمية العلاقات الاقتصادية بين السلطنة والولايات المتحدة في عهد السيد سعيد بن سلطان.

اهمية الصلات بين عمان والولايات المتحدة الامريكية على المستوى الاقليمي والعالمي :

كان للعلاقات بين عمان والولايات المتحدة اثر هام على موقف كل من البلدين، فقد استقادت الولايات المتحدة بازدهار تجارتها لاكثر من نصف قرن من الزمان، بل ان هذه التجارة فاقت التجارة البريطانية في ممتلكات السلطان العماني. وقد شهدت السنوات ما بين ١٢٤٩-١٢٦٨هـ / ١٨٣٣-١٨٥١م تصاعدا مستمرا في ارباح التجارة الامريكية، ففي عام ١٢٤٩هـ / ١٨٣٣م كان مجموع السفن الامريكية التي وصلت الى زنجبار تسع سفن بينما كان عدد السفن الانجليزية اربع سفن فقط، وارتفع عدد السفن الامريكية التي وصلت الى زنجبار عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م - وهي سنة وفاة السيد سعيد - الى ست وعشرين سفينة، بينما لم يتجاوز عدد السفن البريطانية سفينتين اثنتين، وهذا يعني ان السيد سعيد قد ضمن للولايات المتحدة تطورا كبيرا لمصالحها في المنطقة.

وعلى الجانب الاخر فقد استقادت عمان من علاقاتها بالولايات المتحدة في ان الوجود التجاري الامريكي القوي في الامبراطورية، قد جعل مسألة سيادة تلك البلاد

واستقلالها عند وفاة السيد سعيد امرا ثابتا لا يحتاج الى نقاش، وحتى بعد انقسام الدولة بين ولدي السيد سعيد، ماجد في زنجبار وثنويني في مسقط، فقد بقيت السلطنة في مسقط بعيدة عن اى نزاع استعماري لان سيادتها ضمنتها اتفاقيات دولية، بينما وقعت زنجبار فريسة للاستعمارين الانجليزي والاماني.

وقد اشار تقرير عن السياسة الخارجية الامريكية عام ١٢٦٥هـ / ١٩٤٦م نحو مشيخات الخليج العربي عامة وعمان خاصة (١٩٨) الى أنه « في الوقت الذي تعترف فيه الولايات المتحدة بالوضع الخاص لبريطانيا العظمى في امارات الكويت والبحرين وقطر والساحل العماني المتصالح، فان سياستنا - اي سياسة الحكومة الامريكية - نحو هذه المنطقة تعتمد على أن الوضع البريطاني الخاص في هذه الامارات، لن يؤدي الى الحاق الضرر بالمصالح الامريكية او مصالح السكان المحليين والحكومات القائمة... وان سياستنا نحو عمان تستند على واحدة من اقدم معاهداتنا التي مازالت نافذة المفعول، وهي معاهدة الصداقة والتجارة الموقعة بين الطرفين في جمادى الاولى ١٢٤٩هـ / الحادي والعشرين من سبتمبر ١٨٢٣م ».

ويشير التقرير مؤكدا على اهمية العلاقة بين الولايات المتحدة والدولة العمانية الى ان الذكرى المثوية لتوقيع المعاهدة المشار اليها والتي احييت في منتصف ذي القعدة ١٣٥٢هـ / مارس ١٩٣٤م تميزت بزيارة قامت بها بعثة دبلوماسية امريكية خاصة لمسقط، كما يشير الى انه في عام ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م استقبل الرئيس الامريكي (فرانكلين روزفلت) Franklin Roosevelt في واشنطن السلطان سعيد بن تيمور سلطان عمان وضيفه الخاص.

واختتم التقرير سرده للاحداث بالمقارنة بين تلك المعاهدات التي وقعتها الامارات العربية الخليجية مع بريطانيا العظمى ابتداء من اوائل القرن التاسع عشر، وبين المعاهدات العمانية البريطانية. فقد تعهدت الامارات العربية الخليجية لبريطانيا منذ عام ١٢٢٦هـ / ١٨٢٠م بالمساعدة على القضاء على القرصنة في الخليج العربي ووضع حد للدخول السلاح والرقيق الى بلادهم. وعن طريق سلسلة من المعاهدات اعطى حكام الامارات البريطانيين حق استغلال اراضيهم مقابل الحماية البريطانية، وفيما بين عامي ١٣٢١-١٣٤٢هـ / ١٩١٣-١٩٢٣م ربط حكام الامارات العربية الخليجية انفسهم اكثر بالتعهد بعدم اعطاء امتيازات للبحث عن البترول في اراضيهم لاية دولة اخري دون موافقة وقبول البريطانيين..

بينما وافق سلطان عمان في عام ١٣٤٢هـ / ١٩٢٣م على مجرد استشارة الوكيل السياسي البريطاني في الخليج وحكومة الهند البريطانية قبل البحث عن البترول في سلطنته مما يدل على مدى استقلالية عمان في تلك الفترة ومنذ عهد السيد سعيد بن سلطان ولم يكن ذلك الا نتيجة للعلاقات الدولية القوية التي عقدها هذا السلطان مع امريكا وغيرها من الدول التي اشرنا اليها.

واذا كان اهتمام الولايات المتحدة بالذات وكما رأينا كان منصبا وبدرجة اكبر على الممتلكات العمانية، في ساحل شرقي افريقيا فان هذا الاهتمام لابد وان يقودنا الى تخصيص حديث عن هذه الممتلكات، لنعرف مدى الاهمية التي كانت لها، ولنقف على مدى الروابط التي كانت تربطها بعمان الام، وذلك منذ عهد الامام أحمد بن سعيد.

السلطان سعيد بن سلطان والعلاقات السياسية والاقتصادية مع العالم الخارجي: بعد ان خلص الامام احمد بن سعيد عمان من السيطرة الفارسية ونجح في تأسيس الدولة البوسعيدية، التفت الى ساحل شرقي افريقيا الذي كانت تربطه بعمان صلات ضاربة في اعماق التاريخ، واستطاع وكما اشرنا من قبل أن يكون له نفوذه في بعض اجزاء هذا الساحل، وحاول ان يمد هذا النفوذ الى اجزاء الساحل الاخرى، ولكنه لم يتمكن الا من تعيين ولاة على كل من مدينة كلوه وزنجبار وممباسا، ومعنى ذلك ان سيطرته على الاجزاء الاخرى لم تكن قوية لدرجة تكفي لتوثيق الروابط السياسية والاقتصادية بين عمان وساحل شرقي افريقيا كله (١٩٩).

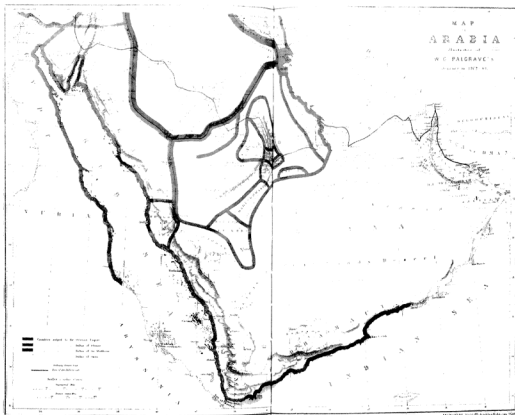
الا ان ذلك لا يمنعنا من القول ان دولة آلْبوسعيد في عهد أحمد بن سعيد قد اختطت منذ تأسيسها سياسة افريقية واضحة المعالم وقد برزت هذه السياسة بصفة خاصة في عهد السلطان سعيد بن سلطان منذ توليه الحكم (١٢١٩-١٢٧٣هـ / ١٨٠٤-١٨٥٦م)، حتى اصبحت الدولة العمانية في عهده دولة ملاحية كبيرة تمتد ممتلكاتها من سواحل عمان الى جزيرة بمبا (الجزيرة الخضراء) وزنجبار على الساحل الشرقي لافريقيا والمنطقة الام الى منطقة الساحل نفسه في افريقيا وهي التي تحيط بممباسا ودار السلام وتمتد من شمال موزمبيق حتى الصومال (٢٠٠).

ومع ان السيد سعيد بن سلطان كان له نفوذه الواسع على معظم شرقي افريقيا ساحلا وجزرا، الا ان قبيلة المزروعى القوية في ممباسا رفضت ان تقدم ولاءها له حتى انه ارسل اليها انذارا نهائيا في سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م يأمرها فيه بالخضوع والطاعة، ولم يتهيا له القضاء التام على قوة هذه القبيلة الا في عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م بعد ان شن عدة حملات قادها بنفسه ضد ممباسا (٢٠١).

وفي تلك السنوات التي كان فيها السيد سعيد يركز على الاستيلاء على ممباسا، اعجب جدا بجزيرة زنجبار التي اصبحت الدعامة الكبرى في مشروعاته الافريقية (٢٠٢)، والواقع ان هذه الجزيرة كانت تفوق المراكز الاخرى في نقاط كثيرة، فهي ذات موقع متوسط بين موانئ شرق افريقيا الاسلامية، وقد حقق لها ذلك الموقع مركزا اقتصاديا هاما، كما ان كون زنجبار جزيرة فقد كانت تعتبر اكثر امنا من اية نقطة اخرى على الساحل ضد اي هجوم قد تتعرض له (٢٠٣)، كما ان زنجبار ذات طقس معتدل، وارضها خصبة، ولها ميناء كبير صالح للملاحة وبها اعذب مياه في شرق افريقيا على حد قول السيد سعيد نفسه (٢٠٤).

وتطورت الامور اكثر من ذلك، فلم تعد زنجبار افضل نقطة بالنسبة لمشروعات السيد سعيد في شرق افريقيا، بل اصبحت النقطة الاثيرة لديه بالنسبة لممتلكاته ككل بما في ذلك مسقط فقد جذبت زنجبار السيد سعيد اليها بطبيعتها الجذابة وطقسها المعتدل (٢٠٥)، هذا الى امكانية قيام زنجبار بتسهيل عمليات التبادل التجاري وتجارة المرور (الترانزيت) في كل شرق افريقيا (٢٠٦).

لقد كان انتقال السيد سعيد الى الاقامة في زنجبار له ما يبرره، حيث عانى في السنوات السابقة على انتقاله من بعض المشكلات الداخلية والتي كان بعضها عاثيا، اضافة الى ان الهابيين والقواسم كانوا كثيرا ما يهاجمون سلطنته العربية (٢٠٧).



خارطة
الجزيرة
البرية في
عام 1812 -
1813 م

وعموما فإن القرار الذي اتخذته السيد سعيد بالاقامة في زنجبار بوصفها العاصمة الثانية لدولته المترامية يعد قرارا خطيرا وخصوصا وأن المسافة بين العاصمتين تبلغ ٢٥٠٠ ميل والوصول من عمان الى زنجبار تحكمه حركة الرياح الموسمية^(٢٠٨).

وعلى أية حال فإنه كان من المستحيل أن تسيطر حكومة عمان سيطرة فعلية على ممتلكاتها البعيدة في شرق أفريقيا، وكانت سياسة السيد سعيد الرامية الى تدعيم نفوذه في ممتلكاته الجديدة، أهم الأسباب التي دعتة الى نقل بلاطه من بلاد العرب الى زنجبار في سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م ، حيث ظل مقيما بها البقية الباقية من حياته^(٢٠٩).

على أن السيد سعيد كان يعمل على تسير دفة الامور الخاصة بعمان وهو بعيد عنها، فكان يضطر كثيرا لمغادرة زنجبار لمواجهة المشاكل الناجمة في عمان وحلها^(٢١٠) ورغم انه اقام فترة طويلة في زنجبار، فقد ظلت زنجبار طيلة الحكم الطويل للسيد سعيد تابعة لمسقط رسميا.

وتجدر الإشارة الى انه قبل عصر السيد سعيد، كان معظم سكان جزيرة زنجبار من السواحلية ولكن في ظل الدولة الجديدة كثر وفود العرب للاقامة في زنجبار، ذلك ان السيد سعيد كان قد شجع هؤلاء العرب على الهجرة الى بيما وزنجبار^(٢١١).

ولا شك ان الدافع الاقتصادي كان اقوى الدوافع التي جعلت السيد سعيد يفضل الاقامة بصفة دائمة في جزيرة زنجبار، والواقع انه لم يكن هناك مكان آخر في ممتلكات السيد سعيد أكثر ملاءمة لتنفيذ سياسته الاقتصادية من هذه الجزيرة^(٢١٢).

ولذلك انتقل اليها ولم ينتقل الى ممباسا او كلوة او غيرها من المدن الهامة في شرق افريقيا^(٢١٣).

وعلى أية حال فقد اكد السيد سعيد منذ البداية بأن التنمية الاقتصادية تعنيه كما يعنيه استتباب نظام الحكم والامن والاستقرار، ومن المرجح ان يكون هو اول من ادخل زراعة القرنفل الى زنجبار حتى اضحت زنجبار وبيما في اواخر القرن التاسع عشر تنتجان معا قرابة ٩٠٪ من محصول العالم كله من القرنفل^(٢١٤).

الا ان اهتمام السيد سعيد بزراعة القرنفل كان يواكبه اهتمام كبير بالمسائل التجارية، وهكذا تطورت صورة أخرى من صور النشاط التجاري كانت موجودة قبل السيد سعيد وهي تردد القوافل العربية على داخل افريقيا^(٢١٥)، فجابت قوافله التجارية اجزاء واسعة داخل القارة حتى وصلت الى الكونغو.

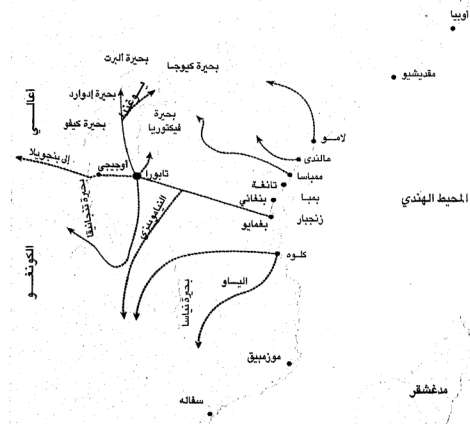
ولم تكن الاعمال التجارية هي المورد الاساسي الذي اعتمد عليه السيد سعيد في دخل الدولة من التجارة، مع ملاحظة انه لم يكن هناك تمييز بين خزانة الدولة وخزائنه الخاصة، وانما استفاد السيد سعيد من النشاط التجاري بصورة رئيسية من موردين آخرين هما الضرائب الجمركية والاحتكار. اما من ناحية المورد الاول فنجد ان السلطان قد فرض على جميع انحاء السلطنة ضريبة على الواردات مقدارها ٥٪، وقد ارتاح الاوروبيون الى هذا النظام لانه يجنبهم اهواء اي حاكم مستقل قد يظهر على الساحل ويفرض على التجارة الاجنبية ضرائب عالية، وعلاوة على ذلك اعفيت الصادرات من أية ضرائب جمركية.

اما بالنسبة للمورد الثاني اي الاحتكار، فنجد ان السلطان قد احتكر تجارة العاج والصمغ فأصبح كلاهما سلعة أساسية يتاجر فيها لحساب الدولة، ولما كانت هاتان السلعتان تصدران في الغالب الى المواني الجنوبية، فقد اغلقت المنطقة الواقعة بين كلوة وبنجاني في وجه الملاحة الاجنبية، وأصبح السيد سعيد متحكما في اسعار هاتين السلعتين عند بيعهما للتجار الاجانب في زنجبار.

ولا شك ان تزايد التبادل التجاري على الساحل قد شجع التجارة الداخلية، فكثرت عدد القوافل التي كانت تتردد على داخل القارة لجلب العاج والصمغ^(٢١٦)، وكان السيد سعيد مقتنعا بان اكتشاف داخل القارة لا بد وان يعود بالثراء على الساحل ومن ثم شجع المضاطرين العرب الذين جاءوا معه من عمان على اجتياز الطرق التجارية القديمة^(٢١٧)، والواقع ان العرب كانوا يعرفون داخل افريقيا منذ ازمة بعيدة ولكن في عهد السيد سعيد وخاصة منذ عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م نظمت الرحلات الدورية للقوافل ووصل نشاطها الى البحيرات، وشاهد ليفنجستون السفن العربية تجوب بحيرات افريقيا الوسطى مثل بحيرة فكتوريا وتنجانيقا ونياسا، كما انشئت محطات عربية على بعض الجزر القائمة وسط هذه البحيرات وعلى سواحلها مثل بوجيجي وكازانجي^(٢١٨)، كما اسست مراكز عربية في المراكز الهامة الواقعة على الطرق التجارية حيث كانت القوافل تتزود بحاجتها من المؤن وتخزن البضائع في مستودعات خاصة تحت حماية جماعات مسلحة بالبنادق^(٢١٩).

ومن اهم الطرق التي استخدمها العرب لسير القوافل ذلك الطريق الذي يبدأ عند

طرق التجارة البرية
العمانية في شرق افريقيا
في القرن التاسع عشر.



بجمويو في مواجهة جزيرة زنجبار ويتجه جنوبا ثم ينحني في اتجاه شمالي شرقي لتجنب المرتفعات، وتقع عليه أكثر المراكز العربية على بعد ٦٠٠ ميل من الساحل، وينتهي هذا الطريق عند بحيرة تنجانيقا^(٢٢٠). وقد تردد التجار العرب على عاصمة مملكة أوغندا وأصبحوا على مقربة من التجار العرب الذين كانوا يأتون الى هذه المناطق من السودان، وكان من الممكن حدوث اتصال بين الفريقين لولا ان ملك أوغندا كان يمنع عرب الساحل من المرور عبر مملكته، ولما انشئت المراكز العربية في الداخل اتخذت كنقط انطلاق جديدة تخرج منها القوافل فتتمكن من التوغل الى مسافات ابعد داخل القارة، وقد شاهد الرحالة الاوروبيون في العقد السابع من القرن التاسع عشر هذه القوافل وهي تتوغل غرب بحيرة تنجانيقا الى مسافة مائة ميل في القسم الشرقي من حوض الكونغو، الا ان هذا التوغل بدأ على ما يبدو في نهاية حكم السيد سعيد^(٢٢١).

والواقع ان وجود هذه المراكز العربية وسط محيط افريقي كان يجعلها اشد تمسكا بالتبعية لسلطان زنجبار، لا سيما وان هذه التبعية لم تكن تكلف سكانها شيئا من الناحية المادية اللهم الا بعض الهدايا التي كان يحملها رؤسائهم الى السلطان حينما يذهبون الى العاصمة^(٢٢٢).

وهكذا يتضح انه على طول طرق القوافل كان كبار التجار العرب يروحون ويحيثون، في حين استقر صغار التجار في العواصم الافريقية، وانتهى الامر بان امد نفوذ سلطان عُمان الى كل ركن تقريبا في شرق افريقيا ووسطها^(٢٢٣)، وطبقت شهرته المنخلقة الممتدة من المحيط الهندي الى الكونغو حتى اصبح من الاقوال الشائعة قولهم: «... اذا نفخ زامر في زنجبار رقص الناس على أنغامه في البحيرات»^(٢٢٤).

وهكذا تبلورت الامور في هذا الطور الايجابي من العلاقات العربية الافريقية الى ما هو اقوى من مجرد العلاقات، الى طور الارتباط العربي الافريقي، الارتباط بين مسقط وزنجبار في سلطنة واحدة يمتد نفوذها الى كل شرق افريقيا ووسطها، وتحت سيطرة حاكم عربي واحد اتخذ زنجبار له مقرا.

الا ان القوى الاستعمارية لم تكن لتترك هذا النمو والازدهار للارتباط العربي الافريقي، ومن ثم تبدأ المرحلة الثانية من مراحل هذه الدراسة وهي تقسيم السلطنة العربية الافريقية كمرحلة من مراحل تفتيت السلطنة ككل، وللحد من الارتباط الافريقي العربي في شرق افريقيا الذي بلغ اوجه في عهد السيد سعيد بن سلطان.

ففي السنوات الاخيرة من حكم سعيد بن سلطان بلغت ممتلكات دولة البوسعيد اقصى اتساع لها، فقد كانت هذه الدولة تشمل عمان كما اشتملت ايضا على بعض الاراضي الشرقية من سواحل الخليج العربي^(٢٢٥)، ومنها بندر عباس الذي استأجرتة دولة البوسعيد من فارس لمدة عشرين عاما اعتبارا من عام ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م^(٢٢٦)، اما بالنسبة للممتلكات الافريقية فقد كانت تضم كل الساحل الشرقي الافريقي من رأس جوردانوي شمالا الى رأس دلجادو جنوبا، هذا بالإضافة على عدة مقاطعات كانت تخضع لحماية الدولة العمانية كمقديشو ولامو ويات^(٢٢٧)، وكانت تدخل ضمن تلك الدولة الواسعة ايضا الاراضي الداخلية التي كان يطرقها التجار العرب داخل افريقيا وكان هؤلاء يعترفون بشيء من السيادة للسلطان. ولم تقتصر ممتلكات الدولة العمانية على تلك الاراضي التي ذكرناها وانما امتد النفوذ العماني الى بلاد

أخرى وإن لم يتحقق لعمان سيطرة فعلية على تلك البلاد، كجزيرة البحرين وزيلع وعدن وغيرها^(٢٢٨).

الدولة البوسعيدية منذ منتصف القرن التاسع عشر الى بداية عهد النهضة:

وكانت وفاة السلطان سعيد في العشرين من صفر ١٢٧٢ هـ/ التاسع عشر من أكتوبر من عام ١٨٥٦ م نهاية لعهد حاكم عربي بارز، ومهما يكن من أمر، فلا يزال عهده يعتبر مرحلة ماجدة في اطار الحضارة التقليدية للمنطقة ونظامها الديناميكي القديم، الا ان النفوذ البريطاني وعملية التحديث للمنطقة اثرا على البناء السياسي العام الذي أقامه، وبمعنى آخر لم يكن هناك بين ابناء السلطان سعيد من يتمتع بالكفاءة والتأييد السياسي الكافي الذي يؤهله لحكم السلطنة العربية الافريقية والحفاظ على وحدتها مثلما كان الحال في عهد والدهم رغم ان السلطان سعيد كان قد عين اثنين من انجاله نائبين عنه في كل من الجزء الافريقي - زنجبار - والجزء الآسيوي - عمان - اثناء الفترات الطويلة التي يتغيب فيها عن الحكم. ومنذ عام ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٣ م كان (ثويني) ينوب عن والده في العاصمة مسقط، بينما الابن الثاني (ماجد) ينوب منذ عام ١٢٧١ هـ / ١٨٥٤ م عن والده في زنجبار، وقد اصبح لكل منهما نفوذ واسع في المنطقة التي كان يحكمها، ولكن ليس بالدرجة التي تمكنه من ضم الجزء الآخر الى حيز نفوذه، كما لا يبدو ان السلطان سعيد قد رشح احد ابنائه ليخلفه في الحكم بعد وفاته^(٢٢٩).

السلطان السيد
ماجد بن سعيد بن
سلطان



ولذلك ظل الصراع بين ابناء السلطان سعيد من السمات المميزة للتاريخ العماني على امتداد بقية القرن التاسع عشر، علما بأنهم كانوا قادرين بالاستخدام الذكي للامكانيات الاقتصادية والسياسية التي كانت لديهم على ان يحافظوا على دولتهم بشطريها العربي والافريقي.

ونتيجة للاضطرابات السياسية التي اجتاحت عمان بعد وفاة السلطان سعيد، نشبت الحرب الاهلية للاستيلاء على السلطة بين ورثة السلطان المتوفى تلك الحرب التي اخذت تهدد الدولة العمانية بشطريها الآسيوي والافريقي بالتمزق والانهار، وخاصة بعد ان استغلت الدول الاجنبية الطامعة ذلك الخلاف والصراع الذي نشب بين الاخوين ثويني وماجد.

وقد لعبت كل من بريطانيا وفرنسا دورا متفاوتا في استغلال هذا الخلاف بين هذين الاخوين فقد تحركت قواتهما العسكرية والمسؤولون والسياسيون البريطانيون والفرنسيون على الفور لتحقيق مكاسب لمصالح بلدانهم، وقد بذلوا في ذلك جهدا كبيرا وتغلوا بين مسقط وزنجبار بغرض الحماية والوصاية، وكانوا في حقيقة الامر يشجعون

الخلافات بين الاخوين في وقت كانوا يظهرون فيه على انهم يبذلون سعيهم وراء التوسط لحل المشاكل.

وكان الخلاف حول كسب الموقف في اشده بين بريطانيا وفرنسا، فقد حشدتا قوات وأساطيل على السواحل العمانية والافريقية، وأظهرتا عطفاً كل على الطرف الآخر من المتنازعين، مشجعين ايأهما على الاندفاع أكثر على كسب المواقف الشخصية. والثابت ان اطماع البلدين في شرق افريقيا كان واضحاً حيث حاولا مراراً ايجاد موطئ قدم لهما على الساحل الافريقي العربي، واستعملا اساليب في نشر الاشاعات والاكاذيب والافتراءات التي لا تمت للحقيقة بصلة للحيلولة دون اتفاق الاخوة على وحدة الكلمة.

وقد اتهموا السلطان الراحل على انه اعد مستندات اصولية لتقسيم الامبراطورية وتوزيعها بين ابنائه حيث اكذوا ان السلطان اوصى لخالد وبالتالي لابنه ماجد باراضي زنجبار مستقلة عن الوطن الام عمان.

وحقيقة الامر ان هناك ادلة قاطعة تدحض ان يكون السلطان الراحل قد وقع اية وصية من ذلك النوع، وكانت الامور تسير سيراً طبيعياً بين الاخوة، ولكن التدخلات الاجنبية خلقت عدم الثقة والريبة في كل عمل يصدر عن الآخر.

ومهما كان الامر فقد كانت انجلترا تؤيد تقسيم السلطنة وتعارض فكرة ضم ممتلكات ثويني الى ممتلكات ماجد، ولذلك وقفت بجانب الآخر متذرة بأن اية حرب بين الاخوين سوف تشكل خطراً على مصالحها في الطريق البحري الى الهند^(٢٢٠).

وقد حاول ثويني بالفعل إعادة توحيد السلطنة وبدأ في اعداد حملة سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م لارسالها الى زنجبار، الا ان السلطات البريطانية في الهند اسرعت بارسال الكولونيل رسل Russel وهو احد ضباط البحرية الهندية لكي يوقف تقدم الحملة، واستطاع رسل ان يصل في الوقت المناسب مما اضطر ثويني الى التراجع الى مسقط بعد ان اغلق الاسطول البريطاني الطريق في وجهه^(٢٢١).

وتبالغ التقارير البريطانية في ابراز مسؤولية فرنسا عن هذه الازمة، وتعلل ذلك بأن فرنسا كانت تريد ان تحصل من السيد ثويني او من السيد برغش على تنازل عن بعض الاراضي في شرق افريقيا مثل ممباسا او براوة في مقابل مساعدتها لهما ضد السيد ماجد، كما ان فرنسا كانت ترغب في احياء تجارة الرقيق نظراً لحاجتها الى العمال الافريقيين للعمل في المستعمرات التي ضمتها مؤخراً^(٢٢٢)، كما ان هناك سبباً آخر جعل فرنسا تزيد من اهتمامها بزنجبار، وهو ازدياد التبادل التجاري مع الساحل الشرقي الافريقي في ستينات القرن التاسع عشر. ولا شك انه ترتب على هذه السياسة الفرنسية في زنجبار ان ازداد السيد ماجد تقرباً الى الانجليز فقاموا بدعاه، ونتيجة للدعم البريطاني للسيد ماجد، فانه اخذ يعد العدة للتخلص من منافسيه^(٢٢٣).

ولم يقف الامر عند حد تقديم المعونة البريطانية للسيد ماجد، بل حاولت بريطانيا ان تحل النزاع بين مسقط وزنجبار بطريقة يقبلها الطرفان، او يرغمان على قبولها اذا استدعى الامر ذلك. فتدخلت في ذلك النزاع الناشب بين مسقط وزنجبار بما يحقق في النهاية الهدوء والسلام بينهما، لان غير ذلك قد يؤثر على المصالح البريطانية في الطريق الموصل الى امبراطوريتها في الهند، ونتيجة لذلك ارسلت الحكومة البريطانية بعثة الى كل من مسقط وزنجبار في عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م بهدف التحقيق في اسباب

النزاع القائم بين البلدين، وقد رأس هذه البعثة الكولونيل كوجلان Coghlan المقيم السياسي في عدن^(٢٣٤).

وكان هذا هو الهدف الظاهر من بعثة الكولونيل كوجلان.. اما الهدف الحقيقي فهو تحقيق الهدوء بين البلدين بما يحول دون تدخل الفرنسيين في تلك المناطق الهامة على الطريق البحري الى الهند.

وكان كوجلان قبل قيامه بهذه البعثة، قد قام في منتصف عام ١٢٧٦هـ / ١٦ يناير ١٨٦٠م يرافقه المستر بادجر G.P.BADGER برحلة من عدن في البحر الاحمر، فزار بريم ومصوع وخرائب ادوليس وزلا في خليج انسلي، وقد وجد كوجلان ان الاثرak في مصوع تساورهم الشكوك بالنسبة للتحركات الفرنسية، وقد اشار كوجلان الى ان هذه التحركات الفرنسية تستحق الاهتمام الشديد من جانب حكومة جلالة الملكة، وهي في النهاية يمكن ان تؤدي الى قيام عراقيل في حالة حدوث حرب بين البلدين مما تؤثر تأثيرا خطيرا على المواصلات بين بريطانيا والهند^(٢٣٥).

وعلى اية حال ، فقد وصلت بعثة كوجلان الى مسقط في شهر ذي القعدة ١٢٧٦هـ / شهر يونيو ١٨٦٠م لتتعرف على مطالب السيد ثويني، ثم سارت الى زنجبار في سبتمبر من نفس السنة للتعرف على مطالب السيد ماجد.

وكان من نتيجة الاعمال والدراسات التي قامت بها البعثة، انها ذكرت ان الطريقة التي يتولى بها سلاطين اسرة البوسعيد الحكم، انما تقوم على اساس الانتخاب، وانه عقب وفاة السيد سعيد بن سلطان فان اهل زنجبار انتخبوا ابنه السيد ماجد حاكما عليهم^(٢٣٦)، وعلى ذلك فليس هناك مبرر لمطالب السيد ثويني في السيطرة على ممتلكات اخيه، وينبغي اذن ان يبقى كل منهما سلطانا في مكانه.

وهكذا قدمت البعثة تقريرها الى اللورد كاننج Canning الحاكم العام للهند، والذي استند عليه في وضع التحكيم المشهور في عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م. وطبقا لهذا التحكيم فقد تم اقرار السيد ماجد في منصبه كحاكم على زنجبار والممتلكات الافريقية الاخرى خلفا للسيد سعيد^(٢٣٧)، كما نص التحكيم على ان يدفع حاكم زنجبار ٤٠,٠٠٠ ريال سنويا لحاكم مسقط، هذا بالاضافة الى دفع المتأخرات المستحقة عليه من العامين الاخيرين^(٢٣٨).

كما نص التحكيم ايضا على انه لا ينبغي لحكام مسقط او لقبائل عمان التدخل في شؤون زنجبار، كما اوضح كاننج بأن هذا المبلغ الذي يدفعه حاكم زنجبار الى حاكم مسقط لا يعني اية تبعية من جانب زنجبار لمسقط، وانما قصد به تحقيق المساواة بين ميراثي الاخوين، لان اراضي زنجبار اكثر غنى من اراضي مسقط^(٢٣٩).

وكتب كاننج الى كل من ثويني وماجد موضحا اقتناعه بعدالة هذه الشروط، وانه ليس فيها ما يخل بالشرف لاي منهما^(٢٤٠)، وقد ارسل السيد ثويني بن سعيد خطابا في منتصف ذي القعدة ١٢٧٧هـ / ١٥ مايو ١٨٦١م الى اللورد كاننج يشكره على هذا التحكيم ويقر بموافقته على بنوده^(٢٤١).

وهكذا ونتيجة لهذا التحكيم اصبحت العلاقة بين زنجبار ومسقط علاقة مالية فقط، اي انه كان على زنجبار ان تدفع تلك الاعانة السنوية لمسقط، وبخلاف ذلك اوضحت العلاقات واهية بين قسمي السلطنة السابقة.

ويلاحظ ان الطابع الافريقي اخذ يغلب على سلطنة زنجبار في عهد السيد ماجد

نتيجة لانقطاع الصلة بالوطن الام، وقد ساعدت سياسة ماجد على تحقيق هذه النتيجة، فقد اتخذ بعض الاجراءات التي ادت الى اضعاف الصلات بين زنجبار ومسقط ففي عام ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م منع سفن مسقط من الملاحة في مياه زنجبار الا اذا ابرزت اوراقا تثبت انها تتاجر في سلع شرعية، كما كتب الى مشايخ الخليج العربي بأن لا يرسلوا سفنهم بعد ذلك الى زنجبار، كما حرم السيد ماجد على سكان زنجبار تأجير المساكن للتجار العرب الآتين من شبه الجزيرة العربية، وأخيرا اوقف السيد ماجد الهدايا التقليدية التي كان يقدمها السلاطين لقبائل عمان، مما يدل على انصرافه نهائيا عن فكرة توحيد السلطنة التي اقامها والده السيد سعيد بن سلطان^(٢٤٢).

ولا شك ان مسقط كانت تحتاج الى ذلك المبلغ السنوي من زنجبار، كي تدفع قيمة ايجار ميناء بندر عباس الى فارس، وهذا هو الوجه الآخر للمشكلة، وقد تبدو مسألة بندر عباس بعيدة عن موضوع علاقات مسقط بزنجبار، الا انها في حقيقة الامر ملتصقة بها تماما^(٢٤٣)، فقد اجبر الفرس على التنازل عن سيادتهم على ميناء بندر عباس^(٢٤٤)، ونظم الامر على اعتبار ان مسقط قد استأجرت بندر عباس لمدة عشرين عاما بدءا من عام ١٨٥٥م على ان يدفع العمانيون ١٦,٠٠٠ ريال سنويا قيمة هذا الايجار، الا ان الاتفاق نص على ان شاه فارس يمكنه ان يتحرر من ارتباطه اذا ما استولى على السلطة في مسقط اي مغتصب، وبالنسبة لهذه النقطة فان السيد سالم كان مغتصبا للسلطة بعد ان قتل والده السيد ثويني الذي ابرم هذا الاتفاق مع فارس. والنقطة الجوهرية في هذا الموضوع هي ان مسقط كانت تدفع لفارس القيمة الاجارية من الاعانة التي كانت تستلمها من زنجبار، وبالتالي فاذا لم تدفع زنجبار تلك الاعانة، فانه لن يكون في امكان مسقط دفع قيمة ايجار بندر عباس، كما ان الحكومة الفارسية اذا لم تستلم الايجار فسوف تنهي ارتباطها بالتنازل عن بندر عباس^(٢٤٥).

فمسألة بندر عباس تركزت اذن ارتكازا مباشرا على العلاقات بين مسقط وزنجبار، ويقول السيد سالم نفسه بالنسبة لهذه النقطة: «ما دمت لا استلم الاعانة المستحقة لي من زنجبار والتي ضمنتها الحكومة البريطانية لوالدي فانه ليس في استطاعتي دفع قيمة الايجار المستحق لفارس من اجل بندر عباس»^(٢٤٦)، وهكذا يبدو واضحا ان الاعانة التي تدفعها زنجبار لمسقط كانت لازمة كي تدفع مسقط ايجار بندر عباس.

ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل ان السيد سالم لم يلبث ان نازع الفرس تجارتهم في الخليج، ولما لم تكن فارس في موقف يسمح لها بمواجهة ذلك فانها لجأت الى الحكومة البريطانية باعتبار انها تؤيد السيد سالم، وهي بالفعل تعترف به وتؤيده^(٢٤٧)، كي يكف عن الاضرار بالمصالح الفارسية.

وهكذا ادى عدم دفع ايجار بندر عباس، وادت الاعمال التي قام بها في الخليج، الى ان تطالب فارس بالغاء عقد الامتياز.. ومن وجهة النظر البريطانية فان فارس استقلت الموقف لتنفيذ سياستها التي ترمي الى مد سيطرتها المباشرة على الأراضي التي تحد الخليج، فهل كان هذا الاجراء متمشيا مع السياسة البريطانية؟.. واذا لم يكن متمشيا معها فما هي الوسائل التي لجأت اليها بريطانيا كي تحول دون حدوث ذلك؟ لقد كانت وجهة نظر حكومة الهند انه سيكون هناك فرق كبير بالنسبة للمصالح

البريطانية سواء كانت بندر عباس في يد سلطان مسقط أم في يد حكومة فارس، «وفي أيام حكم السيد سعيد، فإن ثقتنا فيه كانت أكثر من ثقتنا في شاه فارس الذي كان هوائيا متقلبا ولا يهيمه سوى جمع المال بأية وسيلة، أن حكومة فارس حكومة مستقرة الآن أكثر مما كانت أيام الشاه فتح علي، هذا بالإضافة إلى أن الوزير المفوض في طهران سيكون قادرا على اقناع الحكومة الفارسية بأن يتعامل معنا أي حاكم فارسي لبندر عباس إذا استعادتنا فارس، مثلما يتعامل معنا ممثلو مسقط»^(٢٤٨).

ولقد كانت عملية تقسيم الامبراطورية العمانية هي التي اشارت كل هذه المشكلات، لان عدم دفع زنجبار الاعانة السنوية لمسقط جعل الاخيرة غير قادرة على دفع قيمة ايجار بندر عباس إلى فارس، مما حدا بفارس إلى محاولة استعادة هذا الميناء ثم محاولة القيام بنشاط بحري واسع في الخليج.. وكان من نتائج ذلك تزايد وتكريس النفوذ البريطاني في المنطقة.

ولا شك ان العلاقات القائمة بين الحكومة البريطانية وبين مسقط وزنجبار وكل المشايخ والامراء الآخرين على ساحل الخليج العربي، كانت تنظمها معاهدات وارتباطات وقعتها عن الجانب البريطاني ضباط بريطانيون باسم حكومتي الهند وبومباي.

وهنا ألفت مسألة الخلاف بين مسقط وزنجبار ظلالتها على مسألة ادارة تلك المناطق، فهل تستمر على تبعيتها لحكومة الهند أم تنتقل إلى التبعية المباشرة لوزارة الخارجية البريطانية، وكما قلنا ونتيجة لتحكيم كاننج ارتباط السيد مساجد بأن يدفع لآخيه السيد ثويني اعانة سنوية، وضمنت حكومة الهند دفع هذه الاعانة، فإذا ما نقلت ادارة تلك المناطق إلى حكومة الامبراطورية، فهل ستوافق حكومة جلالة الملكة على هذا الضمان وتعمل على تنفيذه، وتدفع من خزانة الامبراطورية إذا لزم الامر؟.. ومن ناحية أخرى، هل تستطيع حكومة الهند ان تدفع هذه الاعانة دون القيام بالمفاوضات والاجراءات الاخرى الأكثر قوة لتصحيح الاوضاع من وجهة نظرها؟ وقد أضافت حكومة الهند موضحة وجهة نظرها في هذه المسألة بأن العلاقات القائمة مع جنوب الجزيرة العربية ومع الخليج لها اهميتها بالنسبة لحكومة الهند، فهي تتمشى مع سياستها بالنسبة لالغاء القرصنة في البحار الهندية، «وقد وجدنا حليفا معاونا في هذا العمل هو السيد سعيد الذي حكم عمان أكثر من اربعين عاما وكان هو نفسه تاجرا كما كان حاكما، وكانت له سفن لها معاملات تجارية مع كلكتا ومواني غرب الهند، والعلاقات التجارية للجزيرة العربية والخليج والذين لهم قضايا وشكايات من هذه التجارة، عليهم ان يرفعوا وجهات نظرهم إلى وزراء الخارجية فقط حتى يتسنى النظر فيها، وبالنسبة لهذه النقطة ونتيجة للمعاملات القائمة مع الهند، فإنه يبدو ضروريا ان تكون علاقاتنا مع هذه البلاد عن طريق ضباط تعيينهم الهند وتكون على صلة بهم.

ومع نهاية عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م عقد مؤتمر خاص في وزارة الخارجية البريطانية لبحث مسألة تجارة الرقيق الشرقية، ومثل السير جون كي وزارة الهند، وحضر ممثلون ايضا عن وزارة المستعمرات والادmirالية والخزانة، وفي ٢٤ يناير قدم هذا المؤتمر تقريراً لايرويل أوف كلارندون Earl of Clarendon وزير الدولة للشؤون الخارجية في ذلك الوقت، وفي المقطع الثمانين من هذا التقرير جاء الآتي: ...

ونحن الآن نعتقد انه يجب إبراز ان القنصل في زنجبار مسؤول مسؤولية كاملة - بالإضافة الى اعبائه الأخرى - عن الغاء تجارة الرقيق في المنطقة، ولذا يجب وضع الترتيبات المناسبة لاقتسام نفقات القنصلية في زنجبار وتوابعها مناصفة بين الخزانة الامبراطورية والخزانة الهندية» (٢٤٩).

هذا ما كان من امر السياسة البريطانية بالنسبة لإدارة تلك المناطق، وما تمخضت عنه المباحثات بين الاطراف المعنية بحيث لا يحدث التعارض او التداخل بين السلطات المختلفة والمسؤولة عن هذه المناطق.

اما بالنسبة لعلاقات مسقط وزنجبار وموقف بريطانيا من هذه العلاقات، فاننا رأينا كيف ان بريطانيا كي تحافظ على الوضع الراهن في المنطقة.. فانها نظمت الامر في النهاية على ان تدفع الاعانة السنوية الى مسقط عن طريق المقيم السياسي، على ان تستعوض مرة أخرى من سلطان زنجبار، اي انه في الواقع (٢٥٠) ودون النظر الى هذه الشكليات، ظلت زنجبار تدفع الاعانة الى مسقط، وظل الحال كذلك حتى عام ١٢٨٥هـ /

١٨٦٨م الى ان انتقل بعدها الحكم الى الامام عزان بن قيس وهو ينتمي الى فرع من فروع البوسعيد غير الفرع الذي ينتمي اليه السيد سعيد بن سلطان، فكان ذلك حجة قوية للسيد ماجد كي يقطع المساعدة السنوية او الاعانة السنوية لمسقط والتي كان يدفعها عن طريق المقيم السياسي.

ولكن عزان بن قيس لم يستمر طويلا في حكم مسقط، وخلفه السيد تركي بن سعيد عام ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م في حكم عمان. وقد اُكبت الفترة التي حكم فيها السيد تركي بن سعيد تماما نفس الفترة التي حكم فيها شقيقه برغش في زنجبار، وفي سنة ١٢٨٨ او ١٢٨٩هـ / ١٨٧١م او ١٨٧٢م كتب تركي الى برغش يطالبه بدفع معونة زنجبار وهدد بالسير الى زنجبار. وقد حلت تلك المشكلة بناء على موافقة السيد تركي سلطان عمان على توقيع معاهدة الرقيق، فقد اصدر فرير تعليماته الى مايلز بأن يدفع لتركى متأخرات المعونة وقدرها (٤٠,٠٠٠) ريال على الفور، ومتأخرات نصف عام في خلال ثلاثة اشهر من ذلك التاريخ اي في حدود عشرين الف ريال.

كما تم الاعياز الى روس المقيم السياسي البريطاني في الخليج بأن يدفع المعونة الى تركي بانتظام، بشرط ان يراعي تعهداته ويراعي صداقة بريطانيا، وكانت هذه المعونة تدفع منذ سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٢م بواسطة حكومة الهند ولندن بالمشاركة فيما بينهما، وكانت تعادل ٨٦,٤٠٠ روبية، على اساس انه مبلغ يساوي ٤٠ الف ريال في ذلك الوقت.

وقد استمر دفع معونة زنجبار دون انقطاع، وكانت تدفع



السلطان السيد
تركي بن سعيد بن
سلطان



السلطان السيد
برغش بن سعيد بن
سلطان



عادة قبل موعدها المحدد لتستخدمها حكومة مسقط في مواجهة ضرورياتها، واستجابة لمطالب السلطان أصبحت المعونة التي كانت تدفع نصف سنوية، تدفع كل ثلاثة شهور منذ سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦ م، ثم أصبحت شهرية في سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩ م.

ومنذ اول ذي القعدة ١٣٠٠هـ / سبتمبر سنة ١٨٨٣ م قررت الحكومة البريطانية نفقذ يدها تماما من شؤون زنجبار بما فيها الشؤون المالية، مما أدى الى ان تقوم حكومة الهند بدفع تلك المعونة كاملة اعتبارا من تلك السنة.

والجدير بالذكر ان السيد تركي والسيد برغش اصبحا على علاقة ودية طيبة منذ الوقت الذي تعهدت فيه الحكومة البريطانية بضمان دفع معونة زنجبار، وقد ادت هذه العلاقة الودية الى ان اقترح السيد تركي فعلا في سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠ م ان يتنازل عن حكم عمان للسيد برغش.

وقد انزعجت حكومة الهند لهذه الانباء أيما انزعاج وأرسلت الى روس المقيم البريطاني في الخليج لتحري هذا الامر، ورد عليها انه قد تم فعلا اتصالات ومفاوضات بين السيد تركي والسيد برغش، وان هذا الموضوع اصبح سائدا بين الناس، فأصدرت حكومة الهند تعليماتها لوكيلها السياسي بأنها ستتدخل في حالة وقوع محاولة لاعادة الوحدة بين عمان وزنجبار. وهذا يوضح لنا مدى خوف بريطانيا من اتحاد الدولة العمانية مرة اخرى، ويبدو ان بريطانيا ضغطت على السيد تركي حتى لا يتنازل عن حكم عمان، لانها كانت تعلم انه من الممكن ان يتخل فعلا عن الحكم، لان له سابقة في ذلك عندما ترك الامر لاخيه عبدالعزيز. وبذلك قضى على آخر امل في امكان اقامة تلك السلطنة الافريقية العربية مرة اخرى.

استمر الشقيقان بعد ان فشلت فكرة الاتحاد على علاقة طيبة وكانا يتبادلان الهدايا، فقد اهدى السيد برغش شقيقه في سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٤ م ٢٢ الف روبية كمعونة في مواجهة الحركات الداخلية في عمان في العام السابق، وفي سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦ م اهداه السفينة البخارية (سلطاني) واليخت (دار السلام)، وفي منتصف عام ١٣٠٥هـ / مارس سنة ١٨٨٨ م قام برغش بزيارة عمان وقضى اسبوعا في يناير بوش الحارة املا في ان يتخلص من مرض اصابه، وعامله تركي بمودة واحترام كبيرين، وتلقى منه بعد ذلك هدية قدرها خمسون الف روبية، ومات الشقيقان خلال ثلاثة اشهر من لقائهما الاخير.

وقد شهدت الفترة الاخيرة من حكم السيد تركي هدوءا حتى وفاته عام ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨ م بعد ان ترك وراءه مملكة تتميز بقدر من التنظيم والاستقرار هيا لابنه وولي عهده السيد فيصل ان يتولى مقاليد الحكم في جو سلمي.

وقد تولى السلطان السيد فيصل بن تركي حكم عمان في فترة شهد فيها العالم العربي موجة من ازدياد النفوذ الاستعماري الاوروبي وبخاصة البريطاني والفرنسي، حيث احتلت بريطانيا وفرنسا العديد من اجزاء الوطن العربي او اصبحت تحت نفوذهما، والقليل من الدول اقلت من هذا الغزو الاستعماري ومن بينها عمان حيث تمكن السيد فيصل بن تركي من ان يسوس دفة الحكم وسط هذه الانواء، كما اولى اهتمامه للوضع

عملة مصرية في زنجبار في عهد السلطان السيد برغش بن سعيد عام ١٢٩٩هـ / ١٨٨٣ م.





السلطان السيد
تيمور بن فيصل



السلطان السيد
فيصل بن تركي بن سعيد

الداخلي بهدف تقوية الجبهة الداخلية.. ومن اجل ذلك كون جيشا قويا جعل قيادته لاختيه فهد الذي قام بأكثر من حملة لتوطيد الامن في ربوع عمان.

وقد اتسمت سياسة السلطان السيد فيصل بن تركي بالتوازن في علاقة عمان بكل من بريطانيا وفرنسا.. في عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م وافق على انشاء قنصلية فرنسية في مسقط، كما اعطى للفرنسيين امتيازاً بانشاء مستودع للفحم في منطقة الجصة في عام ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م (٢٥١). وعندما علمت

السلطان السيد
سعيد بن تيمور

بريطانيا بذلك ارسلت المقيم السياسي في الخليج كولونيل «ميد» الى مسقط مبعوثاً من نائب الملك في الهند ثم تبعه الادميرال «دو غلاس»، وبعد مقابلتهما للسيد فيصل انتهى النقاش الى ان لعمان الحق في الارتباط بعلاقات خارجية مع اية دولة من الدول، وان عمان على استعداد لعقد معاهدات تجارية وود وصداقة مع بريطانيا، واستمر حكم السيد فيصل حتى وافته المنية في شهر ذي القعدة ١٣٣١هـ / اكتوبر عام ١٩١٣م ليخلفه ابنه الاكبر تيمور.

تولى السلطان السيد تيمور دفة الحكم في ظروف صعبة على المستويين الداخلي والخارجي حيث شهدت عمان صراعات داخلية، كما ان شبح الحرب العالمية الاولى (١٣٣٢ - ١٣٣٧هـ / ١٩١٤ - ١٩١٨م) اخذ يلوح في الافق، والازمة الاقتصادية العالمية تكاد تخنق معظم الدول.

وقد حاول السلطان السيد تيمور ان يتجنب كل ما يمكن تجنبه من هذه المصاعب والازمات، فحاول ان يخلق نوعاً من الاستقرار السياسي الذي يترتب عليه تحسين الوضع





صاحب الجلالة
السلطان قابوس العظم

الاقتصادي، ولهذا بادر بعقد اتفاقية السبب في عام ١٣٣٩هـ / ١٩٢٠م.
وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى أخذت التجارة العمانية تنتعش من جديد، إلا أنها تعرضت لازمة بسبب الكساد الاقتصادي الذي ساد العالم في مطلع الثلاثينات، كما قام السيد تيمور بإصلاح الوضع الاقتصادي بأن استقدم ثلاثة من الخبراء المصريين لتطوير نظام الجمارك في مسقط، كما شكل أول مجلس للوزراء في تاريخ عمان برئاسة نادر بن فيصل، ولم يلبث أن عين ولده السيد سعيد رئيساً لمجلس الوزراء وذلك منذ عام ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م.

ومن الأحداث في عهد السيد تيمور، توقيع أول اتفاق بين عمان وشركة داركي للتنقيب عن النفط في السلطنة في عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م^(٢٥٢)، إلا أنه لم يتم اكتشاف أي من آبار البترول في عهده الذي امتد حتى عام ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م، حيث تنازل في ذلك العام عن الحكم لولده السيد سعيد، وذلك لأسباب صحية ألمت به.

وبعد تولي السلطان السيد سعيد بن تيمور الحكم وجد أن العالم يعاني معاناة شديدة من وطأة الأزمة الاقتصادية التي تجتاحه، لذلك

اختط لنفسه سياسة مالية اتسمت بعدم تحميل البلاد بما لا تطيق من الديون، لأن الديون هي مكمن الداء حيث تخلق وضعاً يسمح بالتدخل في شؤون البلاد من قبل الدول الدائنة، لذلك قرر بأن ينفق في حدود إمكانيات دولته، والتزم بتسديد ما على الدولة من ديون.

كما اتخذ خطوات لتدعيم علاقاته الخارجية، فقام بجولة في عام ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م زار فيها اليابان والولايات المتحدة الأمريكية، واجتمع مع رئيسها روزفلت (١٣٥٢ - ١٣٦٥هـ / ١٩٣٣ - ١٩٤٥م) الذي استقبله وتبادل معه الهدايا، فكان أول حاكم عربي يزور الولايات المتحدة الأمريكية، ومنها سافر إلى بريطانيا حيث استقبله ملكها جورج الخامس، ثم انتقل إلى فرنسا فايطاليا وأخيراً الهند التي عاد منها إلى مسقط^(٢٥٣). وفي عام ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م قام برحلة إلى مصر واستقبله ملكها فاروق، ثم زار القدس عاصمة فلسطين.

وفي عهد السلطان السيد سعيد بن تيمور تم حدثان كبيران، أولهما هو حل الخلافات التي كانت قائمة مع المملكة العربية السعودية حول واحة البريمي إيماناً منه بوحدة التراب العماني أما الحدث الثاني فهو منح شركة تنمية نفط عمان امتيازاً للتنقيب عن النفط في السلطنة. وفعلاً تم اكتشاف النفط وبدأ تصديره منذ جمادى الأولى عام ١٣٨٨هـ / أغسطس عام ١٩٦٨م.



التقاء جلالة السلطان
قابوس بن سعيد
المعظم مع المواطنين

وقد وفر الحدث الاول الهدوء بالنسبة للجبهة الداخلية، كما وفر الحدث الثاني الدعم المالي لبداية نهضة اقتصادية شاملة لم تلبث ان بدأت في عهد ولده جلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم فيما يعرف بعصر النهضة العمانية الحديثة. واذا كنا حتى الآن قد تحدثنا عن التطورات السياسية التي حدثت في عمان منذ اواخر القرن التاسع عشر وحتى بداية عصر النهضة، فانه من المفيد ان نعرض للشق الافريقي من الدولة العمانية، نقصد بذلك زنجبار. وفي هذه الممتلكات العمانية في شرقي افريقيا، سارت الاحداث في اتجاه آخر وخاصة منذ اعلان الحماية البريطانية على هذا الجزء من الدولة العمانية في عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م.

التطورات السياسية والوجود العماني في زنجبار :

بعد اعلان الحماية البريطانية على زنجبار في عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م استقر الوضع على ان يبقى السلطان في زنجبار رمزا ادبيا للدولة، وان تكون السلطة الحقيقية بيد القنصل او المقيم البريطاني بالاستعانة بكبار الموظفين والخبراء البريطانيين.

وفي الفترة الاولى من الحماية تم تشكيل المجالس التنفيذية والتشريعية، وهي بمثابة مجالس استشارية واغلبية اعضائها كانوا معينين من قبل الادارة البريطانية.. وكان يتم توزيع مقاعد المجلس التشريعي بين الاجناس والطوائف العربية والشرارية والافريقية والاسيوية (الهندية والباكستانية)، ونتيجة لهذه الاجراءات التي اتبعتها الادارة البريطانية لتدعيم وتوسيع نطاق نفوذها في زنجبار، ظهرت الجمعيات العنصرية التي عملت كل منها على ابراز كيان الطائفة التي تمثلها والدفاع عن مصالحها(٢٥٤).

ونتيجة لهذا الوضع استنكرت الجمعية العربية الزنجبارية اسلوب السياسة

البريطانية التي قامت على قاعدتها المعروفة في التفرقة بين افراد الشعب الواحد، فطالبت بالغاء نظام قوائم الناخبين على اساس عنصري وطائفي واستبدالها بقائمة موحدة لجميع الناخبين على اساس مبدأ الاقتراع العام، وانشاء نظام وزاري يعد للانتخابات^(٢٥٥).

وفي رمضان عام ١٣٧٤هـ/ مستهل عام ١٩٥٥م تأسس اول حزب عربي في زنجبار اطلق عليه اسم (الحزب الوطني الزنجباري) برئاسة علي بن محسن، والذي عمل متحدا مع الجمعية العربية ودعا الى انتخابات عامة على اساس شعبي لا عنصري، وطالب بريطانيا بالغاء عن الجزيرة. وفي الوقت نفسه فقد شجعت الادارة البريطانية العناصر الاخرى على تأسيس احزاب وجمعيات خاصة بهم^(٢٥٦)، وركزت على الكتلة الافروشيرازية التي قامت بتأسيس الحزب الافروشيرازي برئاسة عبيد امين كرومة والذي عرف بعدائه للعرب كمنافس للحزب الوطني قبل اجراء انتخابات عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م التي اسفرت عن فوز الافروشيرازي^(٢٥٧) بجميع المقاعد عدا مقعد واحد فاز به مرشح من المواطنين الباكستانيين.

وغلى الرغم من ذلك فقد استمر الحزب الوطني الزنجباري في المطالبة بحق الشعب في تمثيل نفسه الى ان اقرت بريطانيا مبدأ الانتخابات العامة بطريقة الاقتراع العام المباشر لكل البالغين رجالا ونساء، مع توسيع عدد مقاعد المجلس من اثني عشر الى اثنين وعشرين مقعدا، وكما اجريت الانتخابات في عام ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م فاز ائتلاف الحزب الوطني وحزب الشعب الذي انشق عن الافروشيرازي وشكل ائتلاف الحزبين اول وزارة وطنية في تاريخ زنجبار والمنبثقة عن ارادة الشعب واختياره^(٢٥٨).

وفي انتخابات عام ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م انتصر الحزبان الوطني والشعب على ائتلاف الافروشيرازي وحزب الامة الذي انشق عن الحزب الوطني، وتم تشكيل الوزارة الوطنية الثانية تحت حكم السلطان جمشيد بن عبدالله البوسعيدى، وهو احد احفاد السلطان سعيد بن سلطان، وطالبت الوزارة بريطانيا بتحديد موعد لاستقلال زنجبار^(٢٥٩).

وفي منتصف رجب ١٣٨٣هـ/ العاشر من ديسمبر عام ١٩٦٣م ضمنت زنجبار الاستقلال.. وبذلك اصبحت دولة مستقلة وعضوا في الامم المتحدة وفي منتصف شعبان ١٣٨٣هـ/ يناير من عام ١٩٦٤م قدم اول سفير زنجباري اوراق اعتماده للرئيس الراحل جمال عبدالناصر، وكان هذا هو التمثيل الدبلوماسي الاول والاخير في تاريخ زنجبار كدولة عربية مستقلة وعضو في الامم المتحدة^(٢٦٠).

والحقيقة ان الحكم العربي في زنجبار بعد الاستقلال لم يستمر طويلا فقد قامت ثورة دموية في شعبان ١٣٨٣هـ/ الثاني من يناير من عام ١٩٦٤م بقيادة (جون اوكلو) لاسقاط السلطنة العربية وعلان النظام الجمهوري برئاسة عبيد كرومي رئيس الحزب الافروشيرازي^(٢٦١)، وكانت مجازر هذه الثورة التي ذهب ضحيتها الآلاف من العرب الذين تراوحت اعدادهم ما بين ١٥ الفا الى ٢٠ الف ضحية لا تعني الا امرا واحدا، الا وهو ابادة العنصر العربي في زنجبار ابادة كاملة^(٢٦٢).

ومن المؤكد ان الحزب الافروشيرازي نجح في السيطرة على الحياة السياسية في

زنجبار، وتأكيدا لأيديولوجيته التي تنادي بضرورة اقتلاع عروبة زنجبار من جذورها، فقد أعلن اتحاده رسميا مع تنجانيقا في ذي القعدة ١٢٨٢هـ / ٢٦ أبريل في عام ١٩٦٤م وقامت بذلك جمهورية تنزانيا الاتحادية، واتخذت دار السلام عاصمة لها، ونص الدستور على ان تكون رئاسة الجمهورية من تنجانيقا ولذلك أصبح جوليس نيريري رئيس تنجانيقا آنذاك رئيسا للدولة الجديد وكان نائبه الاول في زنجبار والذي يليه في الحكم^(٢٦٣) عبيد كرومي الذي اغتيل في عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٢م على اثر انقلاب قادته جماعة من العناصر المعارضة وبذلك اسدل الستار على هذه الدولة العربية الزنجبارية او على هذا الجزء الافريقي من الدولة العمانية.

الفصل الرابع

المؤثرات الحضارية العمانية في شرق افريقيا في ظل دولة البوسعيديين

لا شك ان العصر الذهبي للوجود العماني في شرق افريقيا هو عصر البوسعيديين حيث المؤثرات الحضارية عربية واسلاميا في قمة ازدهارها ويعتبر عهد السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٤ - ١٨٥٦) نموذجا رائعا لازدهار الحضارة العربية التي اتسمت بملامح انسانية وثقافية اسهمت في ترقية واثراء شتى نواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وهو ما يعد ردا عمليا على بعض الدراسات الاقليمية والاروروبية المتأثرة بالمنهج الاستعماري الغربي والهادفة لتشويه تاريخ العرب في افريقيا من خلال حشد الكثير من المغتربات والشبهات لتخلق نوعا من الفجوة والتبايد بين العرب والافارقة.^(١)

ولا شك أن الوجود العماني في شرق افريقيا خلال عصر البوسعيديين يعد مؤشرا واضحا على اكتمال ملامح الدولة العصرية بكل خصائصها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وقد شاركت عدة عوامل فاعلة في جعل العامل الحضاري العماني عاملا مؤثرا في شرق افريقيا يأتي في مقدمتها العوامل التالية:-

١ - جهود الشعب العماني في مجالات الحضارة وخبرته الحضارية الممتدة والمتواصلة في مجال ركوب البحر والتجارة على المستويين الدولي والمحلي، وبخاصة الجهد التجاري العماني مع مناطق شرقي افريقيا فلقد لعب البحار العماني والتاجر العماني دورا اساسيا مما اكسبه خبرة حضارية واسعة.

٢ - القيم الانسانية التي تمتع بها العمانيون خلال معاملاتهم التجارية وعلاقاتهم الانسانية مع السكان والتي اتسمت بقدر كبير من المرونة والتسامح والصدق مما ساهم في تقوية المناخ الحضاري المؤثر واكسب عمان سمعة حضارية كبيرة مما دفع الافارقة دون تردد الى ان ينهلوا من هذه التجربة الحضارية وان يكونوا جزءا من نسيجها الثقافي والاجتماعي.

٣- تشجيع الحكام البوسعيديين للتاجر العماني والحركة التجارية العمانية التي جابت اساطيلها التجارية ساحل المحيط الهندي والسواحل الشرقية للقارة الافريقية، فقد حرص حكام اسرة البوسعيد على توفير كافة الضمانات بهدف نجاح التجارة العمانية وكان تخفيض الرسوم الجمركية التي لم تتجاوز ٥٪ في مقدمة الاجراءات التي حفزت للتجار نحو مزيد من توسيع معاملاتهم، اضافة الى الحماية التي اسداها حكام البوسعيد للبحار العماني والتاجر العماني، حيث عضدت تلك الاجراءات الحكومية جهد الشعب العماني ولم يقتصر هذا التشجيع الحكومي على العمانيين فقط

طابع بريدي صدر
بمناسبة مرور مائتي
عام على الحكم
البوسعيدي في زنجبار



وانما امتد في عهد السيد سعيد بن سلطان الى التجار الاجانب من امريكيين وانجليز وفرنسيين ورعايا الولايات الالمانية والهنود وغيرهم^(٢).

٤- لقد ساهم موقع عمان وموانئها في صقل الوظيفة الحضارية للعُماني الذي ارتاد البحار والمحيطات متسلحا بقدر كبير من الخبرة الحضارية التي اهلته مع كل الشعوب الآسيوية والافريقية.

والحقيقة ان العصر الذهبي للتأثير الحضاري في شرق افريقيا هو عهد السيد سعيد بن سلطان، حيث ساعد الاستقرار الذي ساد تلك الفترة وقوة شخصية الرجل ودبلوماسيته على نجاح تجربة الدولة الكبيرة في شتى المجالات المختلفة فقد كان لترسيخ ملامح الدولة العمانية في زنجبار آثار حضارية عميقة شكلت في مجملها ركائز حضارية كانت بمثابة اشعاع ثقافي وحضاري امتد ليشمل كل مناطق الساحل الافريقي.

لقد امتد التأثير الحضاري العُماني في الشرق الافريقي الى العديد من المجالات المختلفة، لعل من المناسب ان نستعرض أهمها:

النظم السياسية والإدارية:

ان النظم السياسية والإدارية التي سادت في زنجبار وملحقاتها من الامارات التي تم تأسيسها على يد الحكام البوسعيديين تأثرت في جوهرها بما اعتاده العُمانيون في بلادهم من نظم وتقاليد عربية وإسلامية.

ولقد كان للسيد سعيد بن سلطان ابعاد الاثر في ارساء وتعميق مفاهيم الحكم العربي الاسلامي فقد وصفته المصادر المحلية والاجنبية بأنه من اكفأ الحكام وأكثرهم حنكة وإدارة وله من عظيم الهمة وبعد الصيت ما يجعله بحق من أبرز الرواد السياسيين في تاريخ آسيا وافريقيا في القرن التاسع عشر^(٣).

لقد تجلت عبقرية السيد سعيد السياسية والإدارية حينما اختار زنجبار عام ١٨٣٢ لتكون عاصمة لشرق افريقيا حيث نجح في تطويرها من جزيرة صغيرة



منظر لبناء زنجبار في
منتصف القرن
التاسع عشر.

متواضعة لتكون حاضرة ومركز إشعاع سياسي واقتصادي لشرق إفريقيا وأواسط إفريقيا قاطبة، واستطاع العمانيون بزعامته الحكيمة ترسيخ حكمهم في إفريقيا الذي امتد من مقديشيو شمالا وحتى رأس دلجادو Cape Delgado في جنوب الساحل الشرقي كما امتد في الاتجاه الشمالي الغربي حتى مملكة بونغندا وغربا حتى أعالي الكونغو (زائير حاليا)^(٤).

لقد كان لنفوذ دولة البوسعيديين في شرق وأواسط إفريقيا صدى على المستوى العالمي وخصوصا في مجال السياسة الخارجية والنشاط الدبلوماسي الذي شهدته هذه المنطقة لأول مرة في تاريخها.. ولعل من المناسب أن نستشهد برأي واحد من المتخصصين في حقل الدراسات الاجتماعية، حيث أمدنا بصورة دقيقة عن دور هذه الدولة العربية الإفريقية، حيث يقول: (لقد شهدت المنطقة تحركا دبلوماسيا مكثفا امتد إلى إنجلترا وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.. فلقد عرفت القنصليات الأوروبية الانفتاح السياسي والاقتصادي منذ النصف الأول من القرن الماضي في الوقت الذي لم تكن فيه غالبية الدول العربية والآسيوية والأوروبية تعرف مثل هذا النوع من العلاقات الدبلوماسية، وكانت رحلة السفينة (سلطانة) للولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٤٠ بمثابة البدايات المبكرة للعلاقات العربية الأمريكية حيث حظيت باهتمام تجاري ودبلوماسي خلق بداية لطيبة لاثبات الكيان العربي في الأوساط الأمريكية)^(٥).

الملامح الحضارية للحكم العماني في شرق إفريقيا:

لقد تميز حكم البوسعيديين في شرق إفريقيا بعدة خصائص من أهمها الاستعانة بعدد كبير من المستشارين والعلماء في كافة الميادين، حيث أوكل إليهم الحكم مهمة تسيير العمل الحكومي وكانوا في مجملهم من الولاة والقضاة وكبار قادة الجيش والبحرية، وتشير المصادر المحلية والأجنبية للمكانة العالية التي تبوأها العلماء والفقهاء من كافة المذاهب، حيث سادت روح التسامح والبعد عن التعصب العرقي والمذهبي وقد خص السيد سعيد بن سلطان أهل البلاد من الوطنيين وزعمائهم بمعاملة كريمة مبنية على اللين والرفق والاحترام وكانت المساواة بين السكان بصرف النظر عن أصولهم العرقية من أهم ما يتميز به السيد سعيد بن سلطان^(٦).

والحقيقة أن كثيرا من القيم الحضارية قد سادت المجتمع الإفريقي بفضل هجرات كثير من العلماء والفقهاء الذين استقروا في المجتمع الإفريقي وكانت علاقة هؤلاء العلماء بحكام البوسعيديين من أهم المؤثرات التي اكتسبت هؤلاء الحكام قدرا كبيرا من الشرعية بحكم تأثير هؤلاء العلماء في المجتمع الإفريقي خصوصا وأن الحكام البوسعيديين قد حرصوا على أن تسود مبادئ الشريعة الإسلامية وتطبيق مبدأ المساواة بين العرب والأفارقة وفي كافة المعاملات ويبدو ذلك بشكل واضح من المنشورات التي أصدرها الحكام البوسعيديون إلى الولاة والقضاة في أنحاء الدولة، وقد أمدتنا بعض المصادر العمانية بعدد من هذه الوثائق ولعل المنشور الذي أصدره السيد ماجد بن سعيد للقضاء يعد بمثابة دستور يعكس قمة العدل والمساواة اللذين سادا الشطر الإفريقي من الامبراطورية العمانية.

ولعل من المناسب الإشارة إلى المبادئ العامة التي تضمنتها منشور السيد ماجد



بيت الحري في زنجبار

على اعتبار انه يعكس مؤثرات حضارية وانسانية من بينها التأكيد على مبدأ المساواة في التقاضي والحرص على اموال الناس وارواحهم والتأكيد على ان ذلك يدخل في مهمة الدولة التي لديها من القوة ما يمكنها من البطش بكل من تسول له نفسه اضاءة هيبة الدولة (٧).

لقد كان السيد ماجد عند حسن ظن والده وشعبه، فقد حرص على ان يسوس الرعية بنفس الطريقة التي اختطها والده السيد سعيد وقد اتضح ذلك فيما ابداه من اهمية للعدالة وحسن التعرف على مشاكل الناس والدقة في اتخاذ القرارات التي أثارت اعجاب ودهشة الجميع (٨).

لقد اتاح هذا الجهد الحضاري الفرصة لتثبيت الوجود العماني العربي في شرق افريقيا وظل تاريخ شرق افريقيا خلال عصر البوسعيديين جزءاً هاماً وغالياً من العالم العربي وعد العمانيون رسل حضارة وثقافة بسبب التطور الهائل الذي عم شرق افريقيا مما اشار العديد من الدول الاوروبية التي راحت ترتبص بالدولة الفتية بهدف تقسيم ممتلكاتها.

الوزراء والقضاة والمستشارون:

لقد استعان البوسعيديون بالشخصيات النابغة، حيث اختير من بينهم الوزراء والمستشارون والقضاة الذين كانوا عوناً للحكام البوسعيديين في تصريف شؤون الدولة وقد عمل بهذا التقليد منذ عهد الامام احمد بن سعيد مؤسس دولة البوسعيد وبمضي الزمن اكتسب هذا الوضع قدراً من الشرعية لدرجة انه اصبح في عهد السيد سعيد بن سلطان شيئاً اساسياً من مقومات الدولة ويأتي في طليعة هؤلاء المستشارين السيد سليمان بن حمد بن سعيد بن حمد بن خلف البوسعيدي (١٧٨٢ - ١٨٧٣) وهو من العائلات المرموقة في زنجبار التي تمتعت بالكثير من الاحترام في كل من عمان وزنجبار، وقد قام السيد سعيد بن سلطان عند وصوله الى زنجبار

بتعيين السيد سليمان البوسعيدى رئيساً للوزراء وبقي يشغل هذا المنصب حتى وفاته عام ١٨٧٣ حيث عاصر حكم السيد برغش بن سعيد وقد حظي السيد سليمان بن حمد البوسعيدى بثقة السيد سعيد بن سلطان وتمتع بنفوذ واسع لدرجة أن السيد سعيد عادة كان يعينه وصياً على الحكم كلما توجه الى عمان وذلك قبل ان يكبر اولاده ويقولوا مقاليد الحكم^(٩).

ومما يميز سياسة البوسعديين توخيهم العدالة في ادارة البلاد واختيارهم أكفأ العناصر في الجهاز الاداري بصرف النظر عن هويتهم العرقية او الدينية على الرغم من ان المذهب الاباضي هو المذهب الرسمي للدولة^(١٠).

ونتيجة لهذه السياسة فقد ساد جو من الالفة والتجانس والصلات الوثيقة بين كافة الاوساط الاجتماعية وخصوصاً بين العلماء والفقهاء من الاباضية والسنين، لذلك كان من الطبيعي ان يكون بعض قضاة السيد سعيد بن سلطان في زنجبار من السنين وبعضهم من الاباضية.

وقد كان للقضاة السنين مطلق الحرية في عقد محاكمهم في منازلهم او في المساجد العامة وفي اي وقت شاءوا، الا ان القضايا الكبيرة ذات الطابع العام يتم الفصل فيها في بيت الساحل وهو المقر الرسمي للحكومة^(١١).

وكان من ابرز قضاة السنة الشيخ محيي الدين القحطاني الوائلي (١٧٩٠ - ١٨٦٩) الذي اصبح قاضي الشافعية في زنجبار عام ١٨٣٧ وفي عهد السيد ماجد بن سعيد تولى منصب المفتي.

وتشير المصادر وثيقة الصلة بأن الشيخ محيي الدين الوائلي كان من كبار المستشارين المقربين للسيد سعيد وابنه السيد ماجد وكثيراً ما اعتمد عليه السيد سعيد في المهام الصعبة ومنها النزاعات التي نشبت في السوا عام ١٨٤٥ - ١٨٤٦ ، وقد توجهت جهوده بالنجاح حيث توصل لاتفاق سلام وعقدت هدنة لصالح السيد سعيد، وتجمع المصادر المحلية والاجنبية على ان الشيخ القحطاني كان موضع احترام وتكريم من كافة الناس في كل نواحي شرق افريقيا^(١٢).

القبائل العربية في شرق افريقيا خلال عصر البوسعديين:

لقد نجح البوسعديون في جمع كلمة القبائل العربية في شرق افريقيا والقضاء على المنازعات والمشاحنات القبلية القديمة وذلك بمشاركة القبائل واستشارتهم في مهام الدولة ومشاكلها سواء في عمان او في زنجبار وملحقاتها وفي اطار هذه السياسة كان السيد سعيد بن سلطان حريصاً على توطيد علاقاته بكافة شيوخ القبائل والعشائر وكان الشيخ ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي واحداً من هؤلاء، حيث كان من كبار علماء الاباضية في زنجبار وكان السيد سعيد يستشيريه في مهام الحكم خاصة فيما يتعلق بعمان والمشكلات التي كانت تواجه السيد ثويني والذي كان نائباً عن والده في مسقط طوال اقامة السيد سعيد في زنجبار وكثيراً ما كان يقوم الشيخ ناصر الخروصي بالسفر الى عمان وتقديم المشورة للسيد ثويني، وتشير المصادر الى ان الشيخ الخروصي قد نال درجة عالية من التكريم حيث أنزله السيد سعيد في قصره الخاص الى ان توفاه الله عام ١٨٤٧^(١٣).

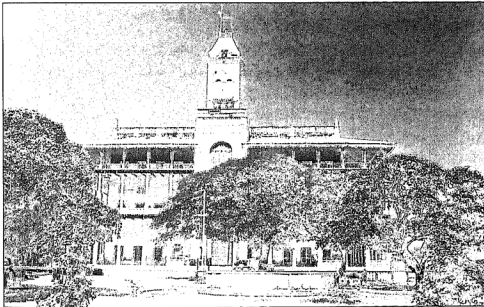
ومن بين القوى العربية ذات التأثير الكبير في زنجبار وشرق افريقيا عرب



مقر السلطان والبحر
والمسجد في زنجبار.

حضر موت الذين استقروا في زنجبار وانخرطوا في خدمة الدولة البوسعيدية وكان من بين زعمائهم السيد عمر القاضي الشاطري العلوي وكان له نفوذ واسع وموضع ثقة السيد سعيد بن سلطان، والشاطريون من اولى الجماعات العربية التي استقرت واستوطنت زنجبار ومما ضاعف من اهميتهم انهم كانوا على علاقات مصاهرة مع حكام زنجبار السابقين (المويني مكو)^(١٤) وقد خص السيد سعيد هذه الاسرة الحاكمة بالكثير من الاحترام والتقدير ولم يتدخل في شؤونهم فأصبحوا سندا وعضدا للبوسعديين.

لقد تجلت مظاهر الشورى خلال عصر البوسعديين في شرق افريقيا فيما عرف بالمجالس السلطانية التي كان يعقدها حكام البوسعيد للاطلاع على مشاكل الرعية ولسماع رأي المستشارين فيما يتعلق بمصالح الدولة وكان لكل فرد حق حضور هذه



بيت العجائب
في زنجبار

المجالس التي كانت تعقد في البلاط السلطاني وقد امتدنا بعض المصادر بوصف دقيق لهذه المجالس بأنها كانت تعقد في يومي الجمعة والاثنين من كل اسبوع على فترتين الاولى في الساعة التاسعة صباحا والثانية عقب صلاة العصر وكانت هناك حرية تامة في الكلام وعندما تنتهي الجلسة ينهض الحاكم فيقف الجميع ويستأذنون منه في الانصراف ويبقى في القاعة كل من يريد رؤية الحاكم لأمر ما، حتى يستدعى بمقابلة الحاكم الواحد بعد الآخر في مقابلة خاصة^(١٥).

ولعل عصر السيد سعيد بن سلطان يعد مثالا عمليا للعدل والشورى والبساطة والتسامح وهي صفات لا يتصف بها الا الحكام الصالحون فقد كان في صلاته مثالا للخشوع والورع والتقوى وكان في حياته بسيطا متواضعا بعيدا بطبعه عن التعالي والكبر والجفاء وكان لا يتورع عن الذهاب الى دار احد خدمه مهنتا بفرح او مواسيا في حزن^(١٦).

وهكذا تضافرت كل الجهود في نشر التراث الحضاري العماني حيث انتشرت الحضارة العربية الاسلامية وغدت مدن الساحل الافريقي تعج بتلك السمات الحضارية ذات الطابع العماني وغدت المساجد والكتاتيب في ظل السيادة العمانية تشكل قواعد ممتازة لنشر اللغة العربية بين الافارقة في الساحل الافريقي وفي كثير من المناطق الداخلية التي جابها التجار العرب العمانيون وظل التراث العربي العماني من كتابات وآثار عمرانية ومساجد^(١٧) من البصمات الحضارية الباقية ما بقيت الحضارة الانسانية.

الجيش والأسطول:

إن اتساع الامبراطورية العمانية في عهد البوسعيديين قد فرض العديد من التحديات التي تتواءم وامتداد هذه الامبراطورية لعل في مقدمة هذه التحديات توفير اسباب الامن والاستقرار وحماية أطراف الامبراطورية المترامية وقد اقتضى ذلك تكوين جيش قوي قادر على خوض المعارك البرية والبحرية وقد كان السيد سعيد بن سلطان كثيرا ما يقود الجيش بنفسه لاختضاع الامارات المتمردة وحركات العصيان كما حدث في الحرب لاختضاع ممباسة وملحقاتها^(١٨).

وعلى الرغم من ان القيادة العامة للجيش من مهام السلطان الاساسية الا انه نظرا لاتساع الدولة وتعدد ثغورها وحصونها فقد اختص كل امير بقيادة الجيش في ولايته والاشراف على الحاميات والحصون في دائرة اختصاصه^(١٩).

ومن أبرز القادة العسكريين الذين اعتمد عليهم السيد سعيد في شرق افريقيا، الشيخ محمد بن جمعة البرواني.. وكان محاربا قويا حارب في ساحل مريما (تنجانيقا) وتمكن من اخضاع جميع الموانئ في هذا الساحل وتمكن من طرد الملاحشين الذين كانوا قد استولوا على هذه الموانئ من البوسعيديين^(٢٠).

اما في مجال الاسطول فقد كانت جميع سفن السيد سعيد الحربية والتجارية سفنا شراعية في البداية اذ لم يكن استعمال السفن البخارية قد انتشر بعد، ومن اشهر السفن الحربية (ليفربول) وقد بنيت في حوض السفن في بومباي بالهند عام ١٨٢٦. وكان طاقمها يتكون من مائة وخمسين بحارا وضابطا، ومزودة بأربعة وسبعين مدفعا وقد قبلها ملك بريطانيا كهدية من السيد سعيد وقد تم تغيير اسمها الى الامام

تقديرا للسيد سعيد بن سلطان وقد اهدى ملك بريطانيا للسيد سعيد السفينة (الامير الوصي)^(٢٣).

ومن اشهر ضباط البحرية في عهد البوسعيديين السيد حمد بن سليمان البوسعيدي والشيخ حسن الفارسي والشيخ احمد بن نعمان الكعبي والاخير هو الذي قام بالرحلة المشهورة على ظهر السفينة (سلطانة) الى نيويورك ١٨٤٠ كما قام برحلة الى فرنسا واشتهر عنه بأنه كان يجيد اللغتين الانجليزية والفرنسية كما كان على علم كامل بعلوم البحار خاصة في المحيطين الهندي والاطلسي.

لقد اعتمدت دولة البوسعيد على امثال هؤلاء الرجال الافذاذ من ذوي الخبرات المتعددة بدليل ان الشيخ الكعبي قد تولى وزارتي الخارجية والمالية عقب وفاة الشيخ حسن الفارسي وقد توفي الشيخ احمد بن نعمان الكعبي في عهد السيد ماجد بن سعيد عام ١٨٦٧^(٢٤).

واللافت للنظر أن الاسطول كان يقوم بمهمتين اساسيتين اولهما الحرب وثانيهما التجارة واعتنى العمانيون ببناء السفن الشراعية القادرة على الابصار في المحيط الهندي وبحر العرب واستطاعوا بسفنهم العملاقة ان يربطوا الشواطئ العمانية بالشواطئ الافريقية في اوقات هبوب الرياح الموسمية.

ان الحديث عن النظم الادارية والسياسية في عهد البوسعيديين لا يكتمل الا بالاطلاع على رأي المستشرقين والمؤرخين الاجانب الذين افاضوا في وصف شخصية سعيد بن سلطان تلك الشخصية التي فرضت هيبتها وحظيت باحترام الخصوم قبل الاصدقاء، فهيها هو الرحالة ريتشارد بيرتون الذي عاصر السيد سعيد وتعامل معه يتحدث عن صفاته القيادية قائلا: (يشعر الانسان انه امام شخصية مهابة، متدين دون تعصب، لين الجانب مهيب الطلعة)^(٢٥).

النشاط الاقتصادي وتجارة القوافل الافريقية:

يعتبر النشاط الاقتصادي في شرق افريقيا من الموضوعات الهامة التي هي في اشد الحاجة الى تحقيق علمي جاد نظرا لان بعض الكتابات الاوروبية في اطار حملتها الصليبية قد عنيت كثيرا بتجارة الرقيق لدرجة ان القارئ يشعر وكأنها هي التجارة الوحيدة في شرق افريقيا^(٢٦). مع اننا نلمح بوضوح الاهداف الاقتصادية لحكام البوسعيد في شرق افريقيا وخصوصا منذ عهد السيد سعيد بن سلطان الذي اتخذ من زنجبار مقرا لحكمه في شرق افريقيا وحرص على ان يأخذ التجار الهنود الذين كانوا يساهمون بنشاط وافر في تجارة مسقط.

ويبدو ان الهنود قد حققوا نموا اقتصاديا عاليا في عهد السيد سعيد بن سلطان الذي استعان بهم واستخدم الاكفاء منهم في الاعمال الاقتصادية والادارية وكانت مراكزهم ومؤسساتهم التجارية تمتد حتى موزمبيق ومدغشقر وجزر الكومور^(٢٧).

ويبدو ان الهنود قد مارسوا نشاطا اقتصاديا اضر باقتصاد شرق افريقيا حيث كثر عددهم واخذوا يستولون على الممتلكات عن طريق الرهن او الشراء وزاد عددهم في عهد السيد سعيد بن سلطان حتى وصل الى اربعة آلاف نسمة^(٢٨)، مما دفع السيد سعيد الى ان يستقدم من عمان المئات من التجار الذين لديهم خبرة بأعمال التجارة ونجح بعضهم نجاحا كبيرا ولم يكتفوا بالاستيطان على السواحل وانما امتد نشاطهم

الى داخل افريقيا حتى صدق عليهم المثل القائل (إذا دقت الطبول في زنجبار ترقص الناس طربا في البحيرات الاستوائية)، وهو ما يشير الى أن زنجبار قد امتدت ثقافيا وحضاريا الى منطقة البحيرات الاستوائية وأن ثمة تعاملات يومية تجارية وثقافية كانت تربط زنجبار بوسط القارة الافريقية.

والحقيقة ان جهود البوسعديين كانت واضحة في المجال الاقتصادي وخصوصا في عهد السيد سعيد بن سلطان الذي كان لنجاحه في هذا المضمار الفضل الاول في نجاح تجربته في تأسيس الدولة الكبيرة، ولا شك ان الرجل قد وضع نظاما ضرائبيا كان معمولاً به في مسقط وحقق نجاحا كبيرا وخصوصا فيما يتعلق بالنظام الجمركي حيث كانت الضريبة المفروضة على الواردات التي تأتي الى الموانئ الافريقية لا تتجاوز ٥٪ في حين اعفيت الصادرات من الضرائب، والهدف من تلك السياسة واضح وهو تنشيط حركة التجارة عن طريق فرض اقل المكوس واهونها على التجارة الخارجية.

وقد ادرك السيد سعيد أهمية تسهيل عمليات التبادل التجاري لذا فقد وضع نظاما بسيطا للنقد وخصوصا عندما وجد ان النقد المتبادل في زنجبار هو الريالات الالمانية والتمساوية والاسبانية، ورغبة منه في تسهيل عمليات التبادل التجاري استحدث نظاما نقديا جديدا يحل محل تلك العملات ولم يكد ينتهي حكمه حتى اخفقت الى حد كبير تلك العملات الاجنبية وحل بدلا منها عملة جديدة استحدثها^(٢٧).

وفي عام ١٨٨٢ ادخل السيد برغش بن سعيد عملة خاصة وعليها عبارة (السلطان برغش بن سعيد بن سلطان) والتي استخدمت لأول مرة عام ١٨٨٣ ، وفي عام ١٨٨٧ اصدر السيد برغش عملة جديدة تحمل كلمة (زنجبار) ولكنها لم تستخدم الا بعد وفاته، حيث بدء في استخدامها في عهد السيد خليفة بن سعيد (١٨٨٨ - ١٨٩٠) ولذا كان البعض يطلق عليها (بيسة السيد خليفة)، واستمر الحال على هذا المنوال الى ان ادخلت العملة الفضية الانجليزية عام ١٩٣٦ ، وبقيت بيسة السيد خليفة في التداول بشكل غير رسمي والتمس المواطنون من الحكومة ان تتركها تذكارا لكراما لهذا الحاكم الكبير وقد استجابت الحكومة لرغبة الاهالي فظل التعامل بها بجانب العملة الفضية الانجليزية، الا انه كان حريصا في بعض الاحيان على ان لا يجعل الميزان التجاري ينقلب الى غير صالح بلاده او ان ينقل من بين يديه، لذا فقد شهدت سياسته الاقتصادية بعض الاحتكارات ضمانا لمركزه الاقتصادي ومن اجل ذلك فقد حرم على طول الساحل الممتد من مصب نهر البانجاي الى كلوة تصدير المطاط والعاج تحت اي علم خلاف علم مسقط ولم يثبت انه مارس احتكارا باستثناء ذلك^(٢٨).

لقد عرف عن السيد سعيد شغفه بالتجارة وحبه لممارستها ومن اجل ذلك كان يستخدم اسطوله في نقل البضائع بين آونة واخرى وكانت بريطانيا وفرنسا تستقبلان في موانئهما حمولات من البضائع الافريقية حملتها سفن السيد سعيد بن سلطان الذي اعتبرته الدوائر السياسية الخارجية رجالا على درجة عالية من الاستنارة حيث جعل من بلاده سوقا تجاريا ضخما جذب اهتمام الدول الاجنبية، ويكفي دليلا على ذلك ان زنجبار قد تحولت في عهده من مجرد ميناء صغير الى اعظم ميناء في الاطراف الغربية للمحيط الهندي كما اصبحت المستودع الرئيسي للتجارة الافريقية والاسيوية بصفة عامة، ويتضح من تقارير هامرتون Hamerton القنصل

البريطاني في زنجبار ان سكان زنجبار تضاعفوا في عهد السيد سعيد وخلال عشرين عاما قضاها السيد سعيد في زنجبار استطاع ان يجعل منها واحدة من ثلاثة او اربعة مراكز رئيسية للتجارة في المياه الغربية للمحيط الهندي وضاعف من عائداتها الاقتصادية عشرات المرات.

اما من حيث التجارة الداخلية فقد عمل السيد سعيد على توفير كافة الضمانات لنجاحها وعلى الاخص تجارة القوافل العربية التي تمر بداخل القارة الافريقية وسلكت هذه القوافل كافة الطرق التجارية الممتدة داخل القارة وانتعشت الطرق القديمة وفي عام ١٨٤٣ وصلت اول قافلة عربية الى مملكة بوغندا Buganda على شواطئ بحيرة فيكتوريا^(٢٩).

وفي اواخر عهد السيد سعيد (١٨٥٢) تم فتح طريق تجاري جديد يربط الساحل الشرقي لافريقيا بساحلها الغربي عبر بحيرة تنجانيقا، وفي نفس العام وصلت اول قافلة من زنجبار الى المحيط الهندي الى بنقويلا Benguela على الساحل الغربي الافريقي على المحيط الهندي^(٣٠).

لقد أدى هذا التوسع التجاري الى نشأة ثلاثة طرق رئيسية لتجارة القوافل العربية:

- ١- الطريق الشمالي الممتد من ممباسا وماليندي الى هضبة البحيرات او المناطق الشرقية لدولة أوغندا الحالية، وكان هذا الطريق محفوفًا بالمخاطر بسبب تعرض القوافل التي ترتاده لهجمات قبائل الماساي Massai المحاربة.

- ٢- الطريق الأوسط ويبدأ من الموانئ المواجهة لزنجبار مثل تانغة وبنغاني وبغامويو Bagamoyo ويتجه الى وسط تنجانيقا خاصة تابورا ومنها يتفرع الطريق الى فرعين شمالا الى هضبة البحيرات الاستوائية وجنوبا الى منطقة اوجيجي وحوض نهر الكونغو وقد زادت أهمية هذا الطريق ابتداء من القرن التاسع عشر بسبب ارتفاع اسعار العاج عالميا ودخل العرب والسواحليون في علاقات ودية مع قبائل الانيامويزي Nyamezi التي تسكن هذه المنطقة من اجل تسهيل مهامهم التجارية، ويعد هذا الطريق اهم الطرق التجارية على الاطلاق نظرا لانه اكثر أمنا الى جانب عوائده التجارية العالية.

- ٣- الطريق الجنوبي الممتد من كلوة عبر جنوب تنجانيقا وشمال موزمبيق الى بحيرة نياسا وتمكن العرب من التحالف مع قبائل الياو التي كانت تجلب العاج والمنتجات الافريقية الاخرى وتبيعها لتجار القوافل العربية^(٣١).

ومن السلع الاساسية التي كانت تقوم عليها تجارة القوافل العربية العاج الافريقي الذي كان يحظى بأهمية كبيرة في اوروبا وآسيا وخلال عصر البوسعيديين ازدادت صادرات العاج الذي دخل في صناعات كثيرة كالتحف والتمثيل والآلات الموسيقية والحلي وأدوات الزينة كما ظهرت مراكز تجارية اوروبية كثيرة تخصصت في صناعة العاج في المانيا وهولندا وبريطانيا ولذا فقد تضاعف حجم الطلب على العاج^(٣٢).

لقد ذكرت المصادر العمانية ان في مقدمة المكتشفين للبر الافريقي قبل وصول الاوروبيين كل من سعيد بن محمد العيسري وحبيب بن سالم الغيفي وانصار بن سيف المعمرى وعيسى بن عبدالله الخروصي وعبيدالله بن سالم الخضوري^(٣٣).

ومن اجل تسهيل مهمة القوافل العمانية استطاع العمانيون تأسيس مراكز

تجارية دائمة في تابورا (وسط تنجانيقا) وأوجيجي (على تنجانيقا) وكدسوا فيها السلاح والمواد الغذائية لمساعدة قوافل التجارة العربية، واللافت للنظر أن هذه المراكز قد تطورت فيما بعد إلى إمارات إسلامية أصبحت تابعة لسلطان زنجبار^(٢٤).

ويذكر الرحالة هنري ستانلي أن بلدة تابورا التي تقع على بعد ألف كيلومتر إلى الغرب من ساحل إفريقيا الشرقي كانت تمثل أهم مركز تجاري لتجارة مسقط وزنجبار في وسط إفريقيا^(٢٥).

ومن العمانيين الذين طبقت شهرتهم الأفاق ووردت سيرته في المصادر الأجنبية حميد بن محمد المرجبي وكذلك وكيله محمد بن خلفان البرواني حيث لعبا دورا عالميا في تجارة العاج وأسسا إمارة عربية إسلامية واسعة الأرجاء في أعالي الكونغو بسطت نفوذها التجاري والسياسي حتى بداية السيطرة الأوروبية إضافة إلى مساهمتهما مع غيرهما من عرب عمان في تأسيس المدن في كل من كاسونجو Kasongo ونيانجوي وبنفس التخطيط والعمارة العربية في زنجبار والساحل الشرقي لإفريقيا^(٢٦).

لقد كانت المعاملات التجارية في البداية تتم عن طريق المقايضة ويقدر الرحالة كمية العاج التي كانت تشتري بنحو ألفي دولار في الداخل كانت تباع في الساحل بنحو سبعة آلاف دولار، وفي عام ١٨٥٩ قدر القنصل البريطاني في زنجبار حجم الصادرات البريطانية للعاج بنحو ٤٤٨,٦٠٠ رطل قيمتها ١٤٦,٦٦٦ جنيهًا استرلينيًا^(٢٧).

لقد حققت تجارة القوافل الإفريقية رواجًا اقتصاديًا للافارقة أنفسهم وكان للعرب فضل لفت نظر الافارقة لأهمية العاج لدرجة أن ملوك بوغندا Buganda قد احتكروا جمع العاج من المناطق المجاورة لمملكتهم، من أجل ذلك منعوا العرب من التواجد في مناطق نفوذهم^(٢٧).

ومع ذلك فقد توقفت علاقة ملوك بوغندا بسلطين البوسعيديين لأن زنجبار قد أصبحت مصدرًا من مصادر القوة لهم تيسر لهم الحصول على الأسلحة والسلع الحيوية خاصة الأقمشة القطنية وقد هيا هذا لتجار زنجبار مكانة مرموقة في ممالك بوغندا وبنينورو Panyoro لدرجة أن بعض هؤلاء التجار قد أصبحوا من المستشارين المقربين لهؤلاء الملوك ومن ثم فقد أسهم هذا النشاط التجاري الاقتصادي في ازدياد النفوذ السياسي لهذه الممالك الإفريقية كما أفسح الطريق لكثير من المؤثرات الحضارية العمانية في كافة المجتمعات الإفريقية^(٢٨).

لم يقتصر اهتمام الأوروبيين بالشرق الإفريقي على التجارة وحدها بل إن نشاطا آخر قد ظهر بصورة مكثفة تمثل في البعثات التنصيرية التي ارتبطت بالبعثات الكشفية الأوروبية وتغلغل المنصرون الأوروبيون في مقاطعات الشرق الإفريقي منذ منتصف القرن التاسع عشر ونجحوا في تأسيس عدة مراكز تنصيرية لعبت دورا هاما في الحياة الدينية والاجتماعية للافارقة.

الحياة الاجتماعية:

على الرغم من التنوع والتعدد في الأصول العرقية والعادات والتقاليد واللغات التي تشكل المجموعات التي كونت مجتمع زنجبار وشرق إفريقيا في القرن التاسع عشر، إلا أنه نتيجة للتجانس الديني والحضاري الذي عم هذه المنطقة في ظل دولة

البوسعيدين، فقد اكتسب المجتمع الجديد الكثير من سمات التمازج والانصهار في بوتقة هذه الدولة العربية الاسلامية.. ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ذلك الموقف المتميز بالمساواة والتسامح والاحترام للعراق والعادات المحلية الذي ابداه الحكام البوسعيديون.. وقد كان هذا من الاسباب الاساسية التي دفعت الافارقة للاستجابة العفوية الايجابية للإسلام خاصة في المجتمعات التي ارتادها العمانيون في منطقة الظهير الافريقي.. يقول المغربي:

«... ومن جميل أخلاق سلاطين زنجبار عدم التعصب في الجنسية والأديان فجميع الاجناس النازلة بزنجبار من غير الجنس العربي قد قابلهم سلطان زنجبار بغاية الاحترام والمواساة في جميع امور الحكومة وغير ذلك، ومهما تصفحت تاريخ زنجبار لا تجد فرقا بين العرب وسائر الاجناس»^(٢٩).
وقد أشار مراقب انجليزي منذ أكثر من مائة سنة الى هذه الظاهرة التي استرعت انتباهه في المجتمعات الافريقية حيث قال:

«... كيفما كانوا، وحيث ما ذهبوا.. فإن الدعاة المسلمين اظهروا رفقا وتعاطفا واحتراما للعادات والعصبية المحلية.. الشيء الذي كان — دون ريب — أحد اسباب نجاحهم والذي يحسن بمبشرينا ومعلمينا أن يقلدوه»^(٣٠).

وتتكون المجموعات السكانية الرئيسية في زنجبار من الافارقة والعرب والهنود، هذا والى جانب هذه المجموعات هناك بعض القمرين والصوماليين والنوبيين وغيرهم (٤١) .. ويوضح آخر احصاء اوردته المصادر الرسمية للسكان في زنجبار وجزيرة بيمبا عام ١٩٤٨ م ان عدد السكان قد بلغ ٢٦٤ الف نسمة موزعة على النحو التالي:

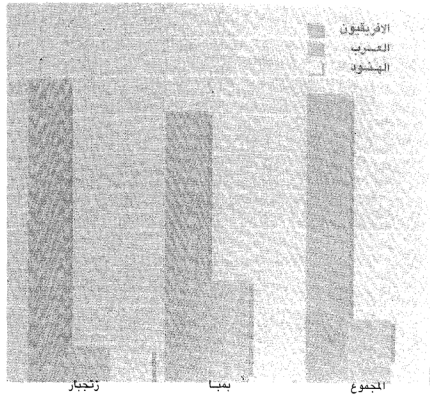
جزيرة زنجبار	جزيرة بيمبا	النسبة الكلية
للجزيرتين		
الافارقة	٧٩,٣٪	٧٥,٧٪
العرب	٩,٣٪	١٦,٩٪
الهنود	٨,٨٪	٥,٨٪ ^(٤٢)

وقد كان أكثر العرب المهاجرين من عمان الى جزيرة زنجبار في فترة السيد سعيد بن سلطان، من قبيلة الحرث والذين وصفهم المغربي بأنهم أسهموا في ترقية الحياة الاجتماعية في هذه الجزيرة معدا أهم فروع هذه القبيلة في قوله:

«..... أقاموا فيها العمران الطائل وهم البراوة، والخناجرة والغيوث، والمحارمة، والسمرات، والمراهبة، وأولاد نادي، والمطاوقة وأهل سناو والأعاسرة على الأكثر وان كان غيرهم من القبائل شاركهم في سكنى هذه الجزيرة وكلهم أباضية المذهب»^(٤٣).
ويلاحظ من المصادر المحلية والأجنبية بأن هناك اعدادا كبيرة من العمانيين الذين هاجروا الى تلك البلاد منذ قديم الزمان اضافة الى هذه الفئة من المهاجرين الجدد التي تتمثل في العديد من القبائل العمانية التي هاجرت بعد انتقال السيد سعيد واستقراره في زنجبار عام ١٨٣٢ م^(٤٤).

أما المجموعات الافريقية في التركيب الاجتماعي في جزيرة زنجبار فأهمها تلك المجموعة التي تطلق على نفسها (الشيرازيين) وهي تنقسم الى قسمين: المخاديم (Mahadimu) والتبباتو (Tumbatu) وهم بمثابة السكان الاصليين في الجزيرة^(٤٥).

المجموعات السكانية
الرئيسية في جزيرتي
زنجبار وبمبا عام
١٩٤٨ م.



ومن الناحية الاجتماعية، فهم أقرب الى العرب في العادات والتقاليد وأكثر ميلا لهم وذلك بفضل التمسك بالعقيدة الاسلامية.. وما يؤيد هذا التقارب بين الفئتين كثرة التزاوج والمصاهرة بين العرب والشرافيين^(٤٦).

وهناك ايضا المجموعات السكانية الافريقية الاخرى الوافدة من داخل القارة وهم يمثلون معظم القبائل الافريقية الساحلية والداخلية تقريبا.. فمنهم النياموزي (Nyamwezi) والسكومو (Sokomo) والزرامو (Zaramu) والهايا (Haya) والياو (Yao) والانقوني (Angoni) والماكوندي (Malonde) والقوقو (Gogo) .. وفدت هذه القبائل الى جزيرتي زنجبار وبمبا في اعداد كبيرة للعمل في مزارع القرنفل منذ ان تم التوسع في زراعته في القرن التاسع عشر.. وقد ارتبط البعض الآخر بالعمل في نقل البضائع والسلع في فترة تجارة القوافل التي اشرفنا اليها آنفا، الا ان ارتباطهم بالزراعة والارض قد كان أكثر مما ادى الى استقرارهم نهائيا في زنجبار وبمبا^(٤٧).

وتأتي في قمة الهرم الاجتماعي في زنجبار وشرق افريقيا الطبقة الحاكمة من السلاطين وكبار المستشارين والوزراء والولاة ويأتي بعدهم من حيث النفوذ والمكانة الاجتماعية كبار التجار والصفاة المستنيرة من العلماء والتي تمثل القيادة الفكرية والدينية وتعمل في مجال القضاء والتعليم والمهام الاستشارية في بلاط السلاطين^(٤٨). ومن الآثار الاجتماعية البعيدة المدى للوجود العماني في المناطق التي اصبحت خاضعة لسلطة البوسعيديين في شرق واواسط افريقية، الدور الحضاري المتميز الذي قاموا به في نشر العادات التي تتعلق باللبس والازياء، وبالتالي محاربة عادة العري البدائية والتي كانت منتشرة في كثير من المناطق الداخلية في البر الافريقي.. فالمجتمعات الافريقية لم تقتدي بهم في العقيدة واللغة فحسب بل قلدوهم في

ملبسهم وأزيائهم.. فلم تعد القبائل الافريقية ترتضي العري بل ارتدوا الملابس العربية البيضاء الفضفاضة الطويلة ووضعوا العمام على رؤوسهم.. ومما لا شك فيه ان الاثر العربي والروح الاسلامي قد انعكس جليا على ازياء الرجال والنساء على حد سواء.. فبالنسبة للرجال نجد ان (الكنزو) (Kanzu) يمثل الزي المميز للرجال في المجتمع السواحي والمجتمعات الافريقية بالداخل وهو عبارة عن الثوب العربي الاسلامي الذي يتدل الى الاقدام والى مرفق اليدين وغالبا ما يكون من قماش ابيض (وهو نفس الثوب العماني الذي يسمى الدشداشة)^(٤٩).. ولقد ارتبط هذا الزي بالاسلام في افريقية ولما يكتمل هذا الزي في المنطقة السواحلية وغيرها من المجتمعات الاسلامية في اوغندا وتنجانيقا والزائير في شرق وأوسط افريقيا بغير (الكوفية)^(٥٠).. مما اكسب المسلمين والافارقة مظهرا متميزا وقدرًا كبيرًا من الوقار والحشمة.

اما بالنسبة للاسر السواحلية المنحدرة من اصول عربية عمانية والمرتبطة بتلك الاصول، فالسيف والخنجر المعقوف كانا من الاشياء الضرورية لاكتمال وتمام الازياء.. ويتضح مما سبق ان ازياء الرجال كانت اشبه ما تكون بالزي العربي العماني وان المواطن السواحي قد استعمل هذا الزي بكل ملحقاته وتقاصيله حتى مطلع القرن الحالي^(٥١).

اما ازياء النساء فهي الاخرى تعكس الاثر العربي العماني والروح الاسلامي.. فمن اهم الازياء السواحلية التي ترتبط بهذا الجانب العبادة النسائية السوداء او ما يسمى بالسواحلية (البوي بوي) (Buibui) ويتكون من قطعتين الجزء الرئيسي يلف حول الجسم ويغطيه حتى القدمين والجزء الثاني وهو عبارة عن عصا من الحرير يلف بها الشعر ويشبه هذا الزي الى حد كبير العبادة النسائية المستعملة في عُمان والخليج العربي^(٥٢).

وفي دراسة نموذجية قامت باحثة اوروبية بتحليل الملامح والخصائص الاجتماعية لهجرات العمانيين الى اواسط افريقيا منذ القرن الماضي، وقد توصلت الباحثة الى نتائج اهمها ان هذه الهجرات ادت الى تكوين مستوطنات ومجتمعات حضرية ذات صبغة عربية اسلامية^(٥٣).. وتوجد هذه المجتمعات العمانية المستقرة في كل من رواندا وبوروندي علاوة على الاقاليم الشرقية لزائير (اقليمي كيفو وشابا)^(٥٤).. وجاءت الطبيعة الحضرية لهذه المجتمعات نتيجة للنشاط الاقتصادي الذي كانت تقوم به الاغلبية العظمى من العمانيين الذين كانوا ولا يزالون يعملون في مجال التجارة ويعيشون في العواصم مثل كيجالي وبوجمبورا^(٥٥).

ومن الظواهر الاجتماعية الجديرة بالتسجيل روح الاندماج والانصهار التي تميز بها هؤلاء النفر من اهل عمان في هذه المجتمعات الافريقية التي هاجروا اليها نتيجة لعملهم التجاري وكفاحهم الدؤوب في البحث عن سبل العيش الكريم.. فقد ذكرت الباحثة على سبيل المثال بأن الذكور كانوا اثناء ترحالهم كثيرا ما يتزوجون نساء من الافريقيات سواء في القرى والمدن التي كانوا يمرون بها او يتزوجون من بنات رؤساء القبائل الافريقية دعما لعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية في تلك المناطق.

ولقد شاهدت الباحثة احدى تلك الحالات في بلدة اوفيرا التي تقع على الجزء الشمالي الغربي من بحيرة تنجانيقا حيث تزوج ثلاثة من الاخوة العمانيين ثلاثا من

النسوة الافريقيات^(٥٦).. هذا التجانس الاجتماعي الذي تم في هذه الفترة من الحكم البوسعيدي له دلالات ومغزى عميق في تاريخ العلاقات العربية الافريقية.. ان هؤلاء الرواد من العُمانيين من حملة مشاعل الحضارة العربية الاسلامية في مجاهل القارة الافريقية، ضربوا مثلاً رائعاً في الاندماج والانسجام الايجابي حيثما كانوا يقيمون بين من يتصلون بهم من الجماعات الافريقية بالمشاركة الفاعلة في حياتهم الاجتماعية (وتوثيق صلاتهم بهذا المنهج والاسلوب الاسلامي الذي لا يعرف التفرقة والفصل العنصري.. ونتيجة لهذا الموقف الى حد كبير انصهر سكان بعض هذه المجتمعات في شرق افريقيا في الدم العربي.. هذه الرغبة في الزواج والمصاهرة بالاضافة الى هيبة الاسلام وثراء حضارته تعلقان لنا حقيقة ان الكثيرين من الافارقة يشعرون بفخر الانتماء الى النسب العربي اضافة الى هويتهم الاسلامية^(٥٧).

الحياة الدينية والثقافية:

انتشار الإسلام :

وغني عن القول أن قمة الدور الحضاري الذي أسهم به عرب عمان في القرن الماضي قد كان في مجال الدعوة الاسلامية.. فقد شهدت فترة البوسعديين مرحلة مهمة من مراحل انتشار الاسلام في شرق افريقيا، حيث اشرق نور الاسلام لأول مرة في ربوع أوغندا وأعالى نهر الكونغو وفي رواندا وبوروندي وذلك فضلاً عن المناطق الداخلية في تنجانيقا.. في هذا العهد قد أصبحت زنجبار مركز اشعاع اسلامي منذ ان اتخذها السيد سعيد بن سلطان حاضرة الحكم العماني في شرق افريقيا عام ١٨٢٣م.. وعن هذا المفهوم يحدثنا احد العاملين في حقل الدعوة الاسلامية في تاريخنا المعاصر، عن انطباعاته حين قام بزيارة الجزيرة في عام ١٩٧٣م فيقول:

«... وهكذا مضى الحكم الطويل برخائه وبؤسه.. وقد كان الكل مسلمين ولا زال الاسلام حتى يومنا هذا هو الدين السائد في الجزيرة كلها.. وتتميز زنجبار عن سائر مقاطعات شرق افريقيا بظاهرتين:

الأولى: بروز المظاهر الاسلامية في شتى أنحاء الجزيرة.

الثانية: الطابع العربي في مظاهر المدينة الخارجية كالمباني والطرق ويعود ذلك الى أصالة الاسلام في سكانها بصورة تكاد تشمل جميع السكان على اختلاف أجناسهم والتي تولى المسلمون الحكم فيها خلال عهود طويلة متقدمة.. ومما يغني عن الاسهاب فيما تعرضنا له حول الاسلام ان زنجبار وشقيقتها (بيمبا) تضمنا على صغرهما ٣٧٥ مسجداً، وبهذا نعلم اذا استعرضنا عدد السكان ان لكل مائة شخص مسجداً واحداً باستثناء النساء.. وقد كانت زنجبار وفي زمن ليس ببعيد، منتدى افريقيا الشرقية، فقد أنجبت الدروس والتي تلقى في أروقة المساجد نخبة من الرجال الافذاذ الذين بلغوا اعلى المستويات العلمية (الدينية)^(٥٨).

وقد تم انتشار الاسلام في العهد البوسعيدي عن طريق قوافل التجار العُمانيين القادمين من زنجبار والمدن الساحلية الاخرى ويطلق عليهم في المصادر المحلية والاجنبية لقب (الزنجباريين) وقد كان ذلك قبل منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وذلك عن طريق التسرب السلمي بدعوة قامت على الاقناع الذي كان يقوم به دعاة متفرقون لا يملكون حولا ولا طولا الايمانهم العميق.

ولعل اهم الدعاة العمانيين الاوائل الذين تركوا اثرا بعيدا ومهما بالنسبة لانتشار الاسلام في اوغندا هو الشيخ احمد بن ابراهيم العامري.. ويعتبر وصول هذا التاجر من زنجبار الى بلاط الملك (سنا) (Sunna) في مملكة بوغندا معلما بارزا ونقطة تحول في تاريخ المملكة اذ يعتبر هذا الحدث بداية دخول الاسلام في اوغندا.. وتشير المصادر بأن الشيخ احمد بن ابراهيم من اوائل التجار المسلمين الذين وصلوا تلك المملكة.. وقد وضع ذلك من مذكرات امين باشا التي اورد فيها بأن الشيخ احمد اخبره بأن اول زيارة له لبوغندا قد تمت في عام ١٢٦٠ هـ الموافق ١٨٤٣ م^(٥٩).

وتتفق المصادر المحلية والاوربية بأن هؤلاء التجار العرب ورحلاتهم التجارية وما يتم فيها من تبادل للمنافع والسلع كان يصحبه دائما تبادل في الآراء والافكار مما افسح المجال لانتشار الاسلام في تلك البقعة النائية والمناطق الاخرى في اواسط افريقيا.. ولعل اهم ما وقع في هذه الفترة واشارت اليه المصادر موقف الشيخ احمد بن ابراهيم الشجاع الذي ابداه في البلاط الملكي تجاه بعض الممارسات الهمجية والوحشية التي تتمثل في قتل وسفك دماء الأبرياء من رعايا الملك وذلك تمشيا مع متطلبات وطقوس الديانة الوثنية الافريقية لوباري (Lubaare) التي كان يعتنقها اهل بوغندا وعلى رأسهم الكباكا (الملك) الذي يمثل السلطة الزمنية والروحية في نظام ذلك المجتمع.. وفي احدى المرات اصدر الكباكا اوامره بالقيام بهذه المذبحة وذلك تمشيا مع طقوس الديانة التقليدية وروحها الهمجية الوثنية.. فما كان من الشيخ احمد بن ابراهيم الا ان وقف متحديا الكباكا وسط دهشة الحاضرين مخاطبا ومعاتبا اياه قائلا:

«... مولاي ان هؤلاء الرعايا الذين تسفك دماءهم كل يوم بغير حق انما هم مخلوقات الله سبحانه وتعالى الذي خلقك وأنعم عليك بهذه المملكة»^(٦٠).

وكانت دهشة الحاضرين اقوى واشد عندما تميز الكباكا بضبط النفس واجاب الشيخ احمد بأن آلهته هي التي منحته هذه المملكة واستمر الشيخ احمد في شجاعة ورباطة جأش يكرر له ويركز على فكرة الله اكبر الواحد الاحد الى ان بدأ الكباكا يتساءل في حيرة عن الله هذا الذي يتحدث عنه الشيخ احمد والذي يعتبره الخالق للكون وما حوى والذي له ما في السماوات والارض.. ورويدا رويدا انفتح قلب وعقل الكباكا وطلب من الشيخ احمد ان يعلمه عن هذا الذي لا مكان فيه للشرك وعبادة وتقديس الافراد مثل الكباكا واستجاب الشيخ احمد لرغبته ومضى يعلمه في صبر وناة وركز بصفة خاصة على مسألة التوحيد والحياة الاخرى والبحث وموضوع الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة.

وهكذا بدأ يتعلم مبادئ الدين الاسلامي وتشير المصادر بأن الشيخ احمد قد استطاع ان يعلمه اربعة اجزاء من القرآن الكريم قبل وفاة الكباكا في عام ١٨٥٦ م.. وبذلك انفتح الباب على مصراعيه بعد هذه الخطوة المباركة لتمهد الطريق لانتشار الاسلام في اوغندا والمناطق المجاورة.^(٦١)

هذه القضية نموذج اصيل لعمل الطلائع من الدعاة المسلمين من العمانيين في ربوع القارة الافريقية وشخصية الشيخ احمد بن ابراهيم العامري نموذج رائع للداعية المسلم يدعو للاعجاب ويجذب له افئدة الناس.. أخلاقه قوية سامية وشخصيته مؤثرة جذابة وفيه كرم الشجاعة وايثار لا يخشى في الله لومة لائم

ويباشر دعوته مع تجارة يزاولها او احيانا يتفرغ للدعوة والتعليم فيلفت الناس حوله من يوم الى يوم فينجذب الناس للدعوة الاسلامية.

هذا الاساس الثمين الذي وضعه الشيخ احمد ومن اتى بعده من التجار الزنجباريين والسواحليين قد اتضحت معالمه في حقبة اسلامية شاملة في عهد الكابكا موتيسا الاول (١٨٥٦ - ١٨٨٤) .. فقد ابدى موتيسا حماسا منقطع النظير للاسلام وعمل على نشره ليس وسط قومه في مملكة بونغندا فحسب، بل تعداها الى الممالك المجاورة عندما كتب الى كاباريجا (Kabarega) ملك اقليم بنيورو (Bunoro) داعيا وناصحا بالدخول في الاسلام واصدر توجيهاته الى الاقاليم باعتناق الدين الاسلامي واقامة شعائره وتشبيد المساجد وقد اتضح النفوذ الاسلامي الكبير بالمكانة المرموقة والمتميزة التي لقيها التجار العمانيون في عهده واتخاذهم مستشارين له وتبادل الهدايا والرسائل مع سلاطين زنجبار الذين عاهد منهم كلا من السيد ماجد والسيد برغش ابني السيد سعيد بن سلطان.. كما منح بعض السواحليين ولايات ليقوموا بادارتها وتصریف شؤونها.. ليس هذا فحسب بل ادخل لأول مرة العمل بالتقويم الهجري في كافة انحاء المملكة وامر بالتحلي والالتزام بالآداب والاخلاق الاسلامية في المعاملات اليومية والاجتماعية^(٦٢).

ان الدور الذي اسهم به العمانيون في انتشار الاسلام في شرق وواسط افريقية في عهد اليوسعيدين لا يزال ينتظر المزيد من البحث والدراسة خاصة من وجهة النظر العربية الاسلامية لشحة المصادر التي كتبها المسلمون في هذا المجال.. فهناك الكثير من الجنود المجهولين نجد اخبارهم متناثرة ومتفرقة خاصة في المصادر الاوروبية المتمثلة في الوثائق الحكومية الرسمية وتقارير بعثات الاراساليات التنصيرية.. وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منها الدور الذي قام به الشيخ خميس بن جمعه والذي اسلم على يديه الملك موتيسا والشيخ عبدالرحمن بن عبيد بن حمود الذي كان مندوبا شخصيا للسيد برغش بن سعيد سلطان زنجبار في بلاط الملك كاباريجا عاهل بنيورو كما كان ايضا من مستشاريه المقربين.. وقد قام الشيخ عبدالرحمن بن عبيد بن حمود بجهد واضح في مجال الدعوة الاسلامية عن طريق اقامة المساجد وتزعم الجالية الاسلامية من التجار الزنجباريين والمسلمين الوطنيين^(٦٣)، ولا ننسى في هذا الاطار الدور الريادي الذي قام به اشهر التجار العمانيين الشيخ حميد بن محمد المرجبي ومعاونه ووكيله الشيخ محمد بن خلفان البرواني وما قاما به من تأسيس امارة عربية اسلامية في منطقة اعالي الكونغو والتي كانت تابعة وتدين بالولاء لسلطنة زنجبار الاسلامية^(٦٤).. وقد اشار الشيخ المغربي لهذا النشاط بوضوح ولكن في اختصار شديد عندما ذكر:

«... ومما لا ريب فيه ان العرب العمانيين من رعايا السيد سعيد هم الذين شيّدوا المراكز في داخلية البر الافريقي للتجارة وتسلطوا على طرقها وبنوا المستعمرات العربية، وجعلوها مركزا لنشر الديانة الاسلامية، ونشر سلطة زنجبار»^(٦٥).

وفي المراجع الحديثة التي اهتمت بالنشاط العربي في واسط افريقيا تعرض البعض للدور الذي قام به عرب عمان في انتشار الاسلام والذي جاء نتيجة لنشاطهم التجاري في منطقة الكونغو.. وفي تفسيره لهذه الظاهرة ذكر احد هذه المراجع بأن العرب لم يستخدموا ضغطا سياسيا على الوطنيين ولم يقوموا بفرض حضارتهم

ودينهم ولكنهم حققوا كسبا دينيا بجانب الكسب الاقتصادي وذلك بدخول الوطنيين الاسلام سلميا دون اكراه.. وقد علل ذلك باسباب في مقدمتها مكانة العرب في نظر الافارقة وما لاحظوه من عدم التعصب او النظرة المتهافئة تجاههم، هذا اضافة لروح التسامح اذ لم ينكر الاسلام عليهم تقاليدهم الاجتماعية.. وأشار نفس المرجع الى ان الوطنيين قد سارعوا للدخول في الاسلام عتقا لهم لان المسلم لا يسترق^(٦٦).

أسهم العمانيون ايضا في دخول وانتشار الاسلام في منطقتي رواندا وبوروندي.. وسبق ان اشرنا الى الدراسة التي اجرتها باحثة اجتماعية فرنسية في كلتا المنطقتين.. ولعل ابرز ما توصلت اليه هو خصائص المجتمع الاسلامي الذي تكون نتيجة لهجرات قبائل الحرث العمانية في تلك المناطق من اواسط افريقيا.. وقد انتشر الاسلام ايضا في هذه البلاد بالوسائل السلمية التي افرزتها المعاملات والمصاهرة.. وقد تبلور بمرور الزمن مجتمعات حضرية اذ ان الاغلبية العظمى من المهاجرين العمانيين قد كانوا يعيشون في المدن الكبيرة.. وعلى سبيل المثال ذكرت الباحثة بأن ثلاثين بالمائة من مسلمي رواندا يقيمون في كيجالي بينما يقيم سبعون بالمائة من مسلمي بوروندي في بوجومبورا عاصمة البلاد^(٦٧).

العلماء في زنجبار وشرق افريقية:

من الاشياء الجديرة بالاشادة والتقدير في دولة البوسعيديين هذا الاحترام والتكريم الذي لقيه العلماء من سلاطين زنجبار.. وقد كان هذا سمة بارزة ارسى قواعدها السيد سعيد بن سلطان مؤسس الدولة الذي خص العلماء من كافة المذاهب برعايته واحترامه.. ان روح التسامح الديني والمذهبي قد كانت من الخصائص المميزة لهذه السياسة والتي انعكست بصورة ايجابية في الصلات الطبية والوثيقة التي سادت بين علماء المذهب الاباضي - وهو المذهب الرسمي للدولة - والمذهب الشافعي الذي تتبعه الاغلبية من السنين في شرق افريقيا^(٦٨).. قد برزت هذه الروح في اوساط العلماء والفقهاء والقضاة من الجانبين في ظهورهم على قدم المساواة في مجالس السلاطين وفي تعيينهم لمناصب الدولة وتخاضهم مستشارين للسيد سعيد وابنائهم من بعده^(٦٩).

فالعلماء والفقهاء هم القوة المحركة في زنجبار في مجالات حيوية متعددة.. فقد كان في مقدمة واجباتهم تطبيق حكم الشرع في زنجبار وملحقاتها كما اوكلت اليهم مهام التربية والتعليم والارشاد والتألي الاشراف على النظام التعليمي واشاعة القيم الاسلامية في مجتمع زنجبار وشرق افريقيا^(٧٠).. ومن ثم فقد افردوا حيزا كبيرا من وقتهم في الاطلاع الواسع والتبحر في دراسة العلوم الشرعية الاسلامية كما اسهموا بالتأليف ووضع المصنفات والشروح في شتى فروع العلوم الاسلامية.. ومن هذا المنطلق ولتحقيق الهدف المنشود فقد قاموا بالرحلات العلمية للاحتكاك والافادة من مصادر المعرفة الاصلية في المعاهد العلمية الكبيرة ومراكز الدراسات الاسلامية في الاراضي المقدسة وعمان وحضرموت.. وبمرور الايام قد كونوا لانفسهم مركزا مرموقا ومستقلا لا يقل عن المراكز الاسلامية التقليدية الاخرى في العالم الاسلامي^(٧١).

وقد أسهم هؤلاء العلماء في نشر الوعي والثقافة الاسلامية تدريسا وتأليفا ونشاطا اجتماعيا وتتلذذ على ايديهم اعداد غفيرة من سكان زنجبار والمناطق

الداخلية في شرق افريقيا.. وسنقدم في هذه الدراسة باقة مختارة من هؤلاء العلماء، برزوا في القرن الماضي واستمر نشاط بعضهم وتواصل عطاؤهم، ومن تتلمذ عليهم حتى منتصف هذا القرن.. وقد خلفوا الكثير من المؤلفات المخطوطة والقليل المنشور باللغتين العربية والسواحلية في شتى الموضوعات المتعلقة بالتراث الاسلامي في شرق افريقية والذي لا يزال مهماً وينتظر الاهتمام بجمعه اولاً ثم العناية بتحقيقه ودراسته.

ومن العلماء الذين ترددت أسمائهم في المصادر والمراجع الأوروبية والقليل النادر الذي وصلنا بالعربية تلمع بعض الاسماء من امثال الشيخ محي الدين بن شيخ القحطاني (١٧٩٠ - ١٨٦٩)^(٧٢) والشيخ علي بن خميس بن سالم البرواني (١٨٥٢ - ١٨٨٦م) والذي تتلمذ على ايدي صفة علماء الأباضية في زنجبار في عهد السيد برغش بن سعيد من امثال الشيخ يحيى بن خلفان الخروصي والشيخ محمد بن سليمان المنذري والشيخ خميس بن سالم الخصيبي^(٧٣)، ومن مشاهير العلماء ايضاً السيد مناصب بن علي (١٨٦٣ - ١٩٢٧م) والشيخ علي بن عبدالله بن نافع المزروعى (١٨٢٥ - ١٨٩٤م)^(٧٤) والشيخ عبدالعزيز الأموي (١٨٣٢ - ١٨٩٦م)^(٧٥) والشيخ عبدالله بن محمد بالكثير الكندي (١٨٦٤ - ١٩٢٥م)^(٧٦) والشيخ احمد بن سميح (١٨٦١ - ١٩٢٥م) والشيخ الأمين بن علي بن نافع المزروعى (١٨٩١ - ١٩٤٧م)^(٧٧).

التربية والتعليم :

اما في مجال التعليم فقد كانت نواته الاولى وبداياته المبكرة تتمثل في المدرسة القرآنية (الكتاب) وحلقات الدرس في المساجد ودور العلماء والتي كانت تشكل في مجملها القاعدة الاساسية للتعليم الاسلامي التقليدي في زنجبار والمراكز الاسلامية الاخرى في شرق افريقيا مثل بمبيا ولامو وممباسة ومالندي وكلوة^(٧٨).. فقد كانت هذه المؤسسات التربوية التي ارتكز عليها التعليم على امتداد المجتمع السواحلي في شرق افريقيا والتي ما زالت تؤثر تأثيراً واضحاً على صياغة الانسان الافريقي المسلم وعلى تكوين الثقافة السواحلية.. فقد ارتبطت المراحل الاولى في التعليم في المجتمع السواحلي بالاسلام لذلك نجد ان التعليم قد اتبع نهجا اسلاميا واضحاً في طريقته ومضمونه.. ويظهر ذلك بجلاء في المراكز التي اشرنا اليها والتي يؤمها الطلاب من الجنسين حيث يدرسون القرآن الكريم والتفسير والفقه ومبادئ اللغة العربية كما تهدف الدراسة الى غرس القيم الاسلامية وتعليم السلوك القويم^(٧٩).. ولعل اصدق ما يبرر لنا هذا الجهد التعليمي والمنهج الذي اختطه وسار عليه بعض العلماء في شرق افريقيا، ما قام به الشيخ الامين بن علي المزروعى والذي يعتبر نموذجاً حياً لجهود ودور العلماء في مجال التربية والتعليم.. فقد جاء في مقدمة احدى المخطوطات النادرة التي تناولت تاريخ شرق افريقيا ما يلي الضوء على جهود هذا العالم العماني واسهامه الكبير في هذا المجال الحيوي.. ومما جاء في المقدمة:

«... فلأجل الدعوة الى الحق وإلى ترك الباطل، ولأجل الارشاد العام للخاصة والعامّة، كان يدرس دائماً في بلدة ممباسة وفي جميع البلدان التي زارها، وفتح مدرستين واحدة في ممباسة واخرى في قرية (غوي) من اعمال ممباسة، انفق عليهما من جيبه الخاص ومن تبرعات اهل الخير وقليل ما هم.. ولأجل هذا ألف نيفاً وثلاثين كتاباً طبع بعضها وبعضها الآخر لم يطبع.. بعضها باللغة العربية واكثرها باللغة

السواحلية التي تكتب بالحروف اللاتينية اذ هي الشائعة الاستعمال في شرق افريقية، والتي هي في ظلام دامس وحاجة قصوى الى من يخرجها من الظلمات الى النور، فدخل فيمن عناهم عز من قائل عليم:

﴿... ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين﴾

صدق الله العظيم.

ولو لم يكن له الا كتابه في الفقه المسمى (هداية الأطفال) المقرر تعليمه في جميع مساجد شرق افريقية ومدارسها لكفاه مآثرة كبيرة في الدنيا ونخرا جليلاً في الآخرة.. فضلاً عن ان له تأليفه في التفسير وفي احاديث الرسول ﷺ وفي جميع مهمات ابواب الفقه..^(٨٠)

وهكذا نلاحظ انه في ظل سلطنة زنجبار الاسلامية قد لعب العمانيون وغيرهم من عرب حضرموت دوراً رائداً في نشر التعليم في الساحل الشرقي الافريقي واصبحت زنجبار في القرن التاسع عشر ملتقى للعلم وطلابه ومركز اشعاع للمناطق الساحلية والبر الافريقي.. فلذلك جذبت اعداداً كبيرة من العلماء والطلاب والدارسين وفدوا من شتى انحاء شرق افريقيا ومن مناطق نائية وبعيدة مثل جاوة وجزر الهند الشرقية هذا فضلاً عن عمان وحضرموت.. وتطورت المناهج وطرق التدريس لتشمل كافة التخصصات في العلوم القرآنية والتفسير والفقه والعلوم الشرعية قاطبة، هذا إضافة الى علوم اللسان العربي كالنحو والبيان والشعر، وقد كانت وسائل طرق التدريس اشبه بما كان يطبق في عمان وحضرموت والمدن المقدسة بالحجاز وكذلك الاظهر الشريف الذي اصبح فيما بعد النموذج المثالي الذي يحتذى في الاوساط العلمية في زنجبار.. ومن اشهر المراكز العلمية التي اشتهرت ذلك المعهد الذي ارتبط بمسجد جوفاً في زنجبار (Maskiti Gofu) وقد قام بتأسيس هذه المدرسة احد افراد اسرة آل جمل الليل وهي من الاسر المعروفة بالعلم والفضل خاصة في مجال الدعوة الاسلامية في شرق افريقيا^(٨١).

ونتيجة لهذا الجهد التعليمي الذي ازدهر في العهد البوسعيدي قد تم تعليم الكثير من الافارقة وعلى ايدي تلاميذ هؤلاء العلماء الافذاذ من المسلمين والمستعربين تمت مواصلة مسيرة التعليم وبالرغم من ان الطابع الاسلامي قد هيمن على التعليم في المنطقة السواحلية وفي شرق افريقيا على وجه العموم الا ان عرب عمان قد كان لهم قصب السبق في نشط هذا النوع من التعليم واللغة العربية كانت هي وسيلته الرئيسية.. لذا نجد ان المؤثرات الثقافية العربية الاسلامية تنتشر في المنطقة عن طريق المعلم العربي وقد كان لهذا الاسهام العماني في هذا المجال في شرق افريقيا نتائج ايجابية.. فمن اهم النتائج الايجابية انه ازال الامة اولاً وربط المجموعات الافريقية المختلفة ببعضها البعض ثانياً ثم مهد الطريق لارتباط هذه المجموعات بالعالم العربي والاسلامي ثالثاً.. ومن نتائج ذلك ايضا ان المجموعات الافريقية المسلمة اصبحت تعبر عن رغبتها في الانتماء والارتباط بالعنصر العربي في صور مختلفة تنعكس في تراثها^(٨٢).

انشاء المطبعة السلطانية في زنجبار وظهور الصحافة:

ومن التطورات التي ساعدت كثيراً على النهضة العلمية في شرق افريقيا تأسيس المطبعة السلطانية في زنجبار في عهد السلطان برغش بن سعيد والذي حكم في الفترة

(١٨٧٠ - ١٨٨٨ م) وقد قامت هذه المطبعة بنشر العشرات من الكتب العمانية وبخاصة المؤلفات الدينية^(٨٢).. وقد حدثنا مصدر عماني محلي كان عميق الصلة بسلاطين زنجبار المتأخرين، عن دور هذه المطبعة في نشر التراث الديني والأدبي مشيدا بمآثر السلطان برغش في هذا المجال:

«... وقد أنشأ في زنجبار مطبعة عربية لطبع الكتب الدينية والأدبية وسائر العلوم وهي باقية إلى الآن ولو لم تطبع هذه المطبعة شيئا إلا كتاب هيمان الزاد وقاموس الشريعة وحاشية الترتيب ومختصر الخصال، وجامع البسيوي وإزالة الاعتراض ومنظومة مدارج الكمال، فكيف وقد طبعت عددا كثيرا من الكتب»^(٨٣).

هذا الإنجاز الكبير في مجال الطباعة والنشر قد مهد السبيل لتطور جديد كانت له آثار بعيدة المدى في مجال التوعية ونشر الثقافة العربية الإسلامية.. فقد شهدت سلطنة زنجبار في العهد البوسعيدي ظهور الصحافة لأول مرة في تاريخها بل في تاريخ شرق إفريقيا بأسره.. وهكذا فقد كان مولد الصحافة العمانية في زنجبار حيث أنشأوا صحفا منها (القلق) و(النهضة) و(الإصلاح) وغيرها.. وقد كان من أبرز رؤساء التحرير لتلك الصحف الناشئة في المهجر رجال من أمثال الشيخ الأديب أحمد بن حمدون الحارثي والشيخ الخطيب هاشل بن راشد المسكري والشيخ عبدالله بن حمود الحارثي والشيخ الداعية الأمين بن علي المزروعى.. وقد كان يكتب في هذه الصحف الكثيرون من أدباء عمان وكتابها سواء ممن كانوا بزنجبار أو أولئك المقيمين في عمان^(٨٤).. وقد قامت هذه الصحف بدور ملحوظ في النهضة الأدبية وتوعية المسلمين في شرق إفريقيا بأمور دينهم وديناهم وبالأخطار التي تتعرض لها المجتمعات الإسلامية في تلك الفترة، والمبادئ والقيم التي ينبغي التمسك بها للحفاظ على هويتهم العربية الإسلامية^(٨٥).

انتشار اللغة العربية والثقافة السواحلية:

انتشرت اللغة العربية بين قطاعات مختلفة من السكان في شرق إفريقيا وكانت لغة الصفوة المتعلمة والمستنيرة، كما كانت لغة التجارة والإدارة والحكم والأدب.. أما بالنسبة لعمامة الناس من المسلمين الأفارقة فقد اكتفى معظمهم بالقدر اليسير من هذه اللغة الذي يمكنهم من ممارسة شعائر وتعاليم الإسلام وتلاوة القرآن الكريم.. ومن الملاحظ أن انتشار اللغة العربية قد سار جنبا إلى جنب مع انتشار الإسلام.. وقد اندهش الرحالة الأوروبيون عندما اكتشفوا أن موتيسا وكاباريجا وكثيرا من الرؤساء الأفارقة يجيدون الحديث باللغة العربية والسواحلية في آن واحد^(٨٦).. وفي ما عدا ذلك ظل التعامل اليومي بين عامة الناس خاصة في المناطق الداخلية في شرق إفريقيا يتم بواسطة اللغة السواحلية المفهمة بالكلمات العربية التي تعبر عن المفاهيم الإسلامية.. والواضح أن هذه (الامبراطورية) قد اتخذت اللغة السواحلية لغة لها إلى جانب اللغة العربية التي كانت بمثابة لغة البلاط والدواوين الحكومية.. فحكam المناطق العربية الإفريقية كانوا عربا من عمان، يدينون بالإسلام ويتحدثون بالعربية.. فمن البديهي أنهم صيغوا عاصمتهم زنجبار باللون العربي الإسلامي وأن تلك العاصمة ذات الطابع العربي الإسلامي صارت مركز إشعاع ثقافي وإداري وسياسي أثر في أركانها النائية.. وبالتالي سارت اللغتان العربية والسواحلية جنبا إلى جنب مع النفوذ العماني في جميع المناطق التي

وصل اليها نفوذ العمانيين في شرق افريقيا^(٨٨).

فالثقافة السواحلية في صورتها المطلقة والتي ما نزال نجدها في الجزر والمناطق الساحلية وبعض الحواضر والمدن في اواسط افريقيا تنعكس في العقيدة الاسلامية واسماء الاشخاص والعادات والتقاليد والملبس والازياء والمعمار والأداب والفنون والامثال وقيل هذا وذلك في اللغة.. وهي لا تخرج عن كونها ثقافة افريقية عربية مسلمة^(٨٩) ومن ثم اصبحت كلمة سواحلي تطلق على كافة سكان الساحل الشرقي الذين تربطهم بالعالم العربي علاقات ثقافية وتجارية.. وجل هؤلاء السكان كانوا قد اعتنقوا الاسلام وانسجموا مع نمط العيش والتقاليد العربية والاسلامية.. ولكن في مرحلة النفوذ العماني في ظل دولة اليوسعيديين والتي جاء في ركابها تنشيط وانتظام الحركة التجارية الى داخل القارة الافريقية، وكثرت وتعددت القوافل وقوامها التجار والجند وخبراء الدرب والحمالون والعديد من القبائل الافريقية ذات المصلحة في هذا النشاط الاقتصادي، كل هؤلاء ربطتهم لغة تخاطب مشتركة واحدة الا وهي اللغة السواحلية.. وبالتالي.. قد صاحب حركة القوافل التجارية انتشار هذه اللغة الى اواسط افريقيا^(٩٠).

وقد كان لهذا الدور والاسهام العماني في هذه الفترة نتائج ثقافية وفكرية وسياسية بعيدة المدى في التاريخ المعاصر.. فاللغة السواحلية تعتبر من اهم اللغات المستعملة في افريقيا اليوم حيث تحتل المكانة الثانية بعد اللغة العربية من حيث انتشارها وعدد الناطقين بها.. انها اللغة القومية في جمهورية تنزانيا الاتحادية واللغة الرسمية في جمهورية كينيا.. كما تستعمل على نطاق واسع في الجنوب الصومالي وأوغندا وفي المناطق الحضرية بروندي وبوروندي وكذلك في شرق الزائير وشمال الموزمبيق وجزر القمر.. ويقدر عدد الناطقين بها على اختلاف مستوياتهم بأكثر من اربعين مليون نسمة.. وتدرس اللغة السواحلية في الجامعات ومعاهد اللغات في افريقيا واوروبا وامريكا وآسيا كما اتخذتها منظمة اليونسكو لغة عمل في نشراتها.

الفصل الخامس

الملاحة والتجارة خلال القرن الأول من حكم دولة البوسعيد

يتميز تاريخ عمان خلال القرن الأول من حكم البوسعديين بالنجاح المنقطع النظير الذي حققه العمانيون في مجال الملاحة والتجارة. وإذا جاز وصف دولة أسلافهم اليعاربة بأنها «دولة حربية بحرية» فيمكن وصف دولة البوسعديين بأنها «دولة بحرية تجارية» إن لم تكن امبراطورية تجارية.

وهناك عدد من العوامل منها المحلية ومنها العالمية ساعدت العمانيين على القيام بدور متميز في مجال التجارة والملاحة، خلال القرن الأول من عمر الدولة البوسعيدية. ومن تلك العوامل: المهارة والخبرة الملاحية والتجارية. وقد اكتشف العمانيون ذلك عبر حقبات التاريخ الطويلة، فهي حصيلة الاحداث التاريخية والموقع الجغرافي والتراث الخالد.

وعامل مهم آخر: هو الاستقرار الذي شهدته عمان بشكل عام وتمتعت به موانئها بشكل خاص، في الوقت الذي سادت الفوضى وعمّ الاضطراب اغلب موانئ المناطق الاخرى. فقد توفرت للموانئ العمانية وفي مقدمتها مسقط حكومة قوية وحازمة وسلطة عادلة، وفرت الحماية والامن والاطمئنان لجميع العاملين في التجارة.

وتجارة كبيرة وناجحة على هذا النحو لا بد وان تكون لها سفن تجارية كثيرة وسفن حربية قوية تحافظ على امن وسلامة السواحل والموانئ العمانية وتحمي الملاحة في عرض البحار، وقد توفر للعمانيين كل من هذه السفن وتلك.

وكل ما سبق ذكره يمثل عوامل ذاتية محلية ساهمت في نجاح التجارة العمانية، ويبقى عامل مهم آخر لا يقع في نطاق هذه العوامل، وانما له صلة بالتطورات التي حدثت في مجال التجارة الآسيوية والعالمية بشكل عام وفي مجال «تجارة المواني الآسيوية على وجه التحديد. وهذه التجارة التي كانت قائمة بين المواني الآسيوية الى الشرق والى الغرب من شبه القارة الهندية، كانت تجارة كبيرة وغنية، وقد كانت كذلك عبر عصور التاريخ المختلفة. والسذي حدث ان جزءا رئيسيا من تجارة المواني الآسيوية وقع بيد العمانيين خلال الفترة آفة الذكر. وهذا الجزء من التجارة هو ذلك الذي كان قائما بين شبه القارة الهندية من جهة، والخليج العربي والبحر الاحمر وشرق افريقيا من جهة اخرى. وقد حدثت السيطرة العمانية على هذه المنطقة من الناحية التجارية نتيجة لانسحاب الاوروبيين العاملين في التجارة خاصة الانجليز منهم من هذه المناطق، واتجاههم شرقا نحو الصين بشكل رئيسي، وأحدث هذا التطور فراغا في ميدان التجارة القائمة غربا وسرعان ما ملأ التجار الآسيويون ذلك الفراغ، وكان التجار العمانيون في مقدمة أولئك التجار.

وقد يكون حجم التجارة التي كان يتولاها التجار العمانيون وتحملها السفن العمانية يفوق حد التصور. واصبحت مسقط المركز الرئيسي لتجمع السلع وتوزيعها

في غرب المحيط الهندي، ومن أهم موانئ هذا المحيط أن لم تكن أهمها على الإطلاق، بل صارت من الموانئ العالمية الهامة. وكانت الثروة التي حصل عليها العُمانيون خلال تلك الحقبة من تاريخهم هائلة وجسيمة، وقد قيل إن حجم تجارة العُمانيين في السكر والبن، بخلاف السلع الكثيرة الأخرى التي كانوا يتاجرون بها، كغليل بأن يجعلهم اغنياء ومرغبين، فالبن المستورد من ميناءي الحديد والمخا وهو يقرب من نصف الكمية المنتجة سنوياً في اليمن كلها، يكفي لسد الحاجة لهذه المادة في إيران وبلاد العرب والعراق وإرمينيا وناضول، كما يكفي لسد جزء من الطلب في سوريا والقسم الأوروبي من الدولة العثمانية وألمانيا وبولنده وروسيا وشمال أوروبا. أما المستورد من السكر من باتافيا فهو يكفي لسد الحاجة الملحة لهذه المادة في إيران والعراق وإرمينيا وجزيرة العرب والناضول.

وتجارة بهذه السعة والأهمية وثروة بهذا الشكل تطلبتا من البوسعيديين سياسات معينة تحفظ للعُمانيين منزلتهم التجارية المتميزة. وتصور لهم مكاسبهم الاقتصادية الثمينة، وتتلخص تلك السياسات في أمور عدة منها:

١ - حرصهم على الاحتفاظ بتفوقهم البحري وجهدهم في الوقوف في وجه التهديدات الخارجية والتزامهم بحماية سواحل عمان وموانئها، بل صيانة الملاحة وتوفير الأمن الملاحي في المنطقة كلها.

٢ - محاولتهم بسط نفوذهم على أماكن ذات أهمية استراتيجية وتجارية خاصة في الخليج العربي وشرق أفريقيا. وقد رأوا في تلك الأماكن ضرورة لتعزيز مكانة دولتهم التجارية وتوسيعها.

٣ - تبنيهم سياسات تجارية خاصة أرادوا من ورائها تنسيق الفعاليات التجارية القائمة بين سواحل الهند والخليج العربي والبحر الأحمر وشرق أفريقيا، وتنظيم تلك الفعاليات بالشكل الذي يضمن للعُمانيين سيادتهم وتفوقهم التجاري والملاحي. ومن خلال هذا الفصل يمكننا أن نرى كيف وإلى أي مدى طبق البوسعيديون هذه السياسات، ولا يتم ذلك ولا يمكن توضيحه إلا من خلال الحديث عن التطورات التي حدثت في مجالي التجارة الملاحية في عمان وفي المحيط الهندي كله.

التطورات في مجالي التجارة والملاحة خلال العهود الأولى من حكم البوسعيديين:

كان أحمد بن سعيد آل بوسعيدي حاكم صحار قد نجح وكما سبق القول في تحرير بلاده من الغزو الفارسي، وبويع له بالامامة في عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م، واستمر في الحكم حتى وفاته في عام ١١٩٧هـ / ١٧٨٣م، وقد تمتعت عمان خلال فترة حكمه وحكم خلفائه بالقوة والرفاء وبشيء من الأمن والاستقرار.

وقد يكون حكم البوسعيديين في عمان، في كثير من الوجوه، استمراراً لحكم أسلافهم اليعاربة (١٠٣٤ - ١١٥٣هـ / ١٦٢٤ - ١٧٤٠م)، ولكن هناك بعض الأمور المميزة لكل من الحكمين، فدولة اليعاربة يمكن أن توصف باختصار بأنها «دولة بحرية حربية»، ومثل هذا الوصف ملائم جداً لتلك الدولة العُمانية^(١).

فقد كان أسطول اليعاربة أقوى أسطول محلي في منطقة الخليج العربي والبحر الأحمر، بل وفي المحيط الهندي، ووصف ذلك الأسطول في عام ١١٠٧هـ / ١٦٩٥م بأنه يضم خمس سفن كبيرة تستطيع أن تحمل ١٥٠٠ رجل^(٢)، وفي عام ١١٢٧هـ / ١٧١٥م

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث

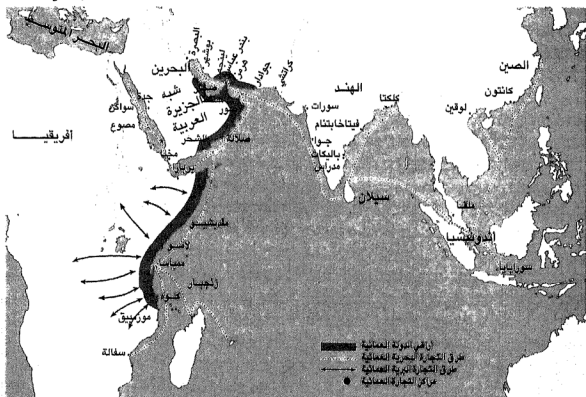
وبناء على وصف «هاملتون A.Hamilton» فإنه كان يضم سفينة كبيرة تحمل اربعة وسبعين مدفعا، وسفينتين تحمل كل واحدة منهما ستين مدفعا، وسفينة تحمل خمسين مدفعا، وثمانى عشرة سفينة صغيرة يتراوح عدد ما تحمله كل واحدة منها ما بين اربعة وثمانية مدافع^(٦). وبهذه القوة البحرية المتميزة حقق اليعاربة الكثير من النجاح في مجالي السياسة والحرب.

وكان الجهاد ضد البرتغاليين من السمات المميزة لعهد اليعاربة، ولعل الصراع الذي خاضوه ضدهم في منطقة الخليج العربي خير مثال لمسيرة العمانيين ولطبيعة تاريخهم خلال ذلك العهد. فلم ينجح العمانيون نتيجة ذلك الصراع في تحرير عمان كلها من الهيمنة البرتغالية فحسب، بل انهم نجحوا كذلك في مطاردة البرتغاليين في مناطق الخليج العربي الاخرى وطردوهم منها، ثم ملاحقتهم في معاقلتهم في الهند وشرق افريقيا^(٧).

والحقيقة فإنه لم تكن هناك قوى محلية واحدة^(٨) في المحيط الهندي، وفي المياه المحيطة بذلك المحيط تضاهي قوة عمان البحرية في ظل حكم اليعاربة او تقترب منها لدرجة ان السواحل الفارسية كانت تواجه تهديدا مستمرا من الاسطول العماني، كما ان اجزاء مهمة من السواحل العربية للخليج العربي ومن جزر ذلك الخليج خضعت لسيادة العمانيين. وليس هناك دليل على قوة العمانيين وبأسهم اوضح من خوف الانجليز والهولنديين من البحرية العمانية، لدرجة انهم طلبوا من وكلائهم في المنطقة ان يتجنبوا القيام بأي عمل يسيء الى العمانيين او يؤدي الى استفزازهم^(٩).

على ان تاريخ عمان شهد تغيرا هاما في ناحية واحدة على الاقل خلال حكم البوسعيديين الا وهو ازدياد اهمية دور العمانيين التجاري وتوسع نشاطهم الملاحي،

الدولة العمانية
وطرقها التجارية في
القرنين الثامن عشر
والتاسع عشر



خاصة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر وفي العقود الاولى من القرن التالي. وقبل الاغاضة في الحديث عن الفعاليات التجارية والملاحية العمانية في تلك الحقبة من الزمن التي هي قيد البحث، يفضل القاء نظرة على الاوضاع العامة وعلى الامور المستجدة في المنطقة وتحديد وضع العمانيين بالنسبة لها. واثرت تلك الاوضاع والمستجدات في النشاط التجاري والملاحي العماني.

فقد حدثت تطورات هامة وكثيرة بالنسبة الى الاوروبيين وإلى القوى المحلية في شبه القارة الهندية وفي منطقة الخليج العربي. ففي الخليج اختفى الوجود البرتغالي والهولندي بشكل يكاد يكون تاما، ولم يحقق الفرنسيون نفوذا سياسيا وعسكريا وتجاريا ذا شأن، سواء في شبه القارة الهندية او في الخليج العربي على الرغم من محاولاتهم المضنية. هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فقد استطاع البريطانيون ممثلين في شركة الهند الشرقية الانجليزية فرض هيمنتهم عند منتصف القرن الثامن عشر على اقليم البنغال في الهند، خاصة بعد انتصارهم في معركة «بلاسي Plassey» في عام ١٧٥٧ وأعقب تلك المعركة امتداد هيمنة هذه الشركة الى اقاليم الهند الاخرى. وهذا الوضع الجديد للشركة في الهند دفعها الى زيادة اهتمامها بمنطقة الخليج العربي بشكل لم يسبق له مثيل، وذلك نظرا للروابط التجارية الكبيرة والهامة التي تربط هذه المنطقة بشبه القارة الهندية بشكل عام وباقليم البنغال بشكل خاص.

وإذا ما وضعنا القوى الأوروبية جانباً ونظرنا الى وضع القوى المحلية في الخليج العربي، فانبأ نلاحظ ظهور بعض القبائل ذات النفوذ في المنطقة الى جانب القوة العمانية.

ففي الجزء الجنوبي من الخليج العربي ظهر القواسم الذين تنامت قوتهم^(٧) بعد ان استحوذوا على جزء من اسطول نادرشاه، وذلك بعد موت الاخير وإنهيار الحكومة المركزية في فارس، وسرعان ما استخدم القواسم ذلك الاسطول لخدمة اغراضهم الخاصة ولتحقيق طموحاتهم^(٨). وفي أعالي الخليج كان هناك شيوخ ميناء بوشهر الذين قدر لهم كذلك السيطرة على جزء آخر من اسطول نادرشاه. وإلى جوار اولئك الشيوخ كان هناك حكام ميناء بندر ربيق الصغير وجزيرة خرج القريبة منه. وأبعد الى الشمال كان هناك عرب العتوب الذين استطاعوا خلال العقود الاخرة من القرن الثامن عشر ترسيخ اقدامهم في اجزاء مهمة من شمال الخليج، خاصة في الكويت والبحرين. وقد وجه العتوب جل طاقاتهم للتجارة والملاحة وحققوا نجاحا كبيرا في هذين المجالين^(٩).

وتبقى هناك في اقصى شمال الخليج قبيلة كعب الشديدة البأس الرابضة على ضفاف شط العرب والمنتشرة في حوض نهر الكارون^(١٠).

ولعل الاهم من كل ما سبق ذكره بالنسبة للعمانيين ظهور الدعوة الوهابية في نجد وتوسع انصارها في كثير من الاتجاهات وتهديدهم عُمان، ثم تحالفهم مع القواسم ذلك التحالف الذي خلق وضعاً صعباً للغاية امام العمانيين فبينما قام الوهابيون بالضغط عليهم من البر، تولى حلفاؤهم القواسم تهديد السواحل والموانئ العمانية. وقد لا تكون الصورة متكاملة دون ذكر العثمانيين الذين كانوا يحكمون العراق المطل على الخليج وكذلك الفرس. ولعل من المفارقات القول بأن الدور الذي لعبه كل من اولئك وهؤلاء في شؤون الخليج كان محدودا الى حد كبير، وبشكل لا يتلاءم مع

مكانة الامبراطوريتين العثمانية والفارسية، وسبب ذلك القصور يرجع الى عوامل عديدة، في مقدمتها عجز تلك الامبراطوريتين العثمانية والفارسية، وسبب ذلك القصور يرجع الى عوامل عديدة في مقدمتها عجز تلك الامبراطوريتين في مجال القوة البحرية والملاحية^(١١).

وعلى اية حال، وعلى الرغم من تعقد الوضع الذي جثنا على ذكره، وعلى الرغم من كثرة القوى المتصارعة في المنطقة، لم يفقد العمانيون حيويتهم وابداعهم واصالتهم، فقد نجحوا في التعايش مع الاوضاع الجديدة واستطاعوا الحفاظ على كيانهم وحماية مصالحهم والصمود امام خصومهم الكثيرين، ليس هذا فحسب، بل ان العمانيين في عهد البوسعيد تمكنوا من توجيه طاقاتهم الى التجارة فحققوا انجازات هائلة قد تفوق حدود التصور في هذا المجال. وهذا هو لب الحديث وموضوعه. ومن البداية نستطيع القول بأنه اذا كانت دولة اليعاربة قد سبق وان وصفت بأنها «دولة بحرية حربية» فمن المناسب وصف دولة البوسعديين بأنها «دولة بحرية تجارية».

وقد تضافرت عوامل كثيرة ادت الى نجاح العمانيين والى تفوقهم في مجال التجارة والملاحية خلال القرن الاول من حكمهم، ولعل في مقدمة تلك العوامل ومن اهمها مهارة العمانيين وخبرتهم الملاحية والتجارية المتميزة، وقد اكتسب العمانيون هذه الخبرة وتلك المهارة خلال حقبات التاريخ الطويلة، فهما حصيلة الاحداث التاريخية والموقع الجغرافي والتراث الخالد^(١٢). والعامل الآخر المهم هو الاستقرار النسبي الذي شهدته عمان بشكل عام والمواني العمانية بشكل خاص من ناحية واضطراب الاحوال وتدهور التجارة في أغلب مواني الخليج الاخرى من ناحية ثانية، فقد كان ميناء بندر عباس عند مدخل الخليج العربي هو الميناء الرئيسي في المنطقة وكان محور النشاط السياسي والتجاري والملاحي لمدة تزيد على قرن ونصف. ولكن هذا الميناء اخذ يفقد الشيء الكثير من أهميته عند منتصف القرن الثامن عشر. ويرجع ذلك الى حالة الفوضى التي سادت فارس بعد اغتيال نادرشاه في عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م^(١٣)، اذ لم يعد للسلطة المركزية - ان وجدت مثل تلك السلطة - تأثير في مجريات الاحداث في هذا الميناء، وكما ان الحكام المحليين الصغار تنافسوا على الهيمنة عليه، والاكثر اهمية من ذلك ان الجزء الاكبر من اسطول نادرشاه والذي كانت بندر عباس احدى قواعده الرئيسية كان قد وقع وكما سبق القول في يد القبائل العربية المحيطة بالميناء، واستعرت الحرب بين تلك القبائل. وقد حدث هذه الحرب من ناحية وتعسف الحكام الفرس وجشعهم من ناحية اخرى من النشاط التجاري والملاحي في بندرعباس، وتركزت شركة الهند الشرقية الهولندية هذا الميناء في عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م، وفعلت الشركة الانجليزية الشيء نفسه في عام ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م وتفرقت بقية التجار واتجهوا الى مواني اخرى، وكان لمسقط قسط وافر منهم، كما نقلت شركة الهند الشرقية الانجليزية مقرها الرئيسي في منطقة الخليج العربي من بندر عباس الى البصرة، وتهافت التجار على هذا الميناء حتى صار لسنوات عديدة محور النشاط التجاري والاقتصادي في المنطقة. وفي هذا الوقت بالذات اخذت الاوضاع في الاستقرار على بعض اجزاء السواحل الفارسية، واستطاع كريم خان زند مد نفوذه اليها، وكان وضع ميناء بوشهر في أعالي الخليج يبشر بازدهار تجاري.

وخلال انتقال الوكالة الانجليزية من بندر عباس الى البصرة في ابريل ١١٧٧هـ/

١٧٦٣م، توقف وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية «و.اي.برايس» في بوشهر، وعقد اتفاقاً مع شيخها الشيخ سعدون سمح للشركة بموجبه بفتح مقر لها في الميناء. وقد أقر كريم خان ذلك الاتفاق وصادق عليه وفتح المقر^(١٤)، ولكن سرعان ما تدهورت الأوضاع بسبب الحرب التي كانت دائرة بين الفرس والمير مهنا في الاماكن المحيطة ببوشهر، وتورط الانجليز والهولنديون فيها في نهاية الامر، مما عرقل الحركة التجارية في هذا الميناء الى حد كبير، والاهم من هذا ان الفرس والانجليز الذين تحالفوا ضد المير مهنا سرعان ما نشب خلاف بينهم ادى الى قيام كريم خان بالابحار الى حلفائه العرب بالتعرض للملاحة في الخليج، وانتهى الامر بانسحاب الانجليز في عام ١١٨٣هـ / ١٧٦٩م من ميناء بوشهر، واكتفوا بالحفاظ على مقرهم الرئيسي في البصرة^(١٥).

ولكن الأوضاع في البصرة كانت هي الاخرى آخذة في التردى بل حلت بها الكوارث والمصائب، فازدياد قوة المير مهنا حاكم جزيرة خرج وميناء بندر ريق، والحرب المستمرة بينه وبين الهولنديين والانجليز والفرس، عرقل الحركة التجارية في الاجزاء الشمالية من الخليج العربي، الامر الذي كانت له آثاره السيئة على التجارة. والاهم من ذلك ما حدث من صراع بين قبيلة كعب القوية والعثمانيين وقيام هذه القبيلة بالتعرض للملاحة في شط العرب، بل ومحاصرتها البصرة في كثير من الاحيان، ثم الحرب الطاحنة التي نشبت في عام ١١٨١هـ / ١٧٦٧م بين كعب من ناحية والانجليز والعثمانيين من ناحية اخرى، تلك الحرب التي كادت ان تضع حدا لاي نشاط تجاري لعدد من السنين^(١٦).

وتوالى الكوارث على البصرة فحل بها الطاعون عام ١١٨٧هـ / ١٧٧٣م، وما كادت المدينة تصحو من الآثار المدمرة لذلك الوباء حتى داهمتها بلية اخرى متمثلة في حصار الفرس واحتلالهم لها في عام ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م، ذلك الاحتلال الذي كانت له نتائج المفجعة بحيث توقف كل نشاط تجاري تقريبا خلال الحصار والاحتلال. فقد قطعت البصرة عن بقية انحاء العراق، كما توقفت القوافل التي كانت تخرج منها متجهة الى حلب والى غيرها من الاماكن. وعندما انتهى الاحتلال الفارسي للبصرة كان الامر يتطلب سنوات طويلة كي تستعيد هذه المدينة انفاسها وتنشأ من جراحها وتستعيد مكانتها التجارية ونتيجة لكل ما سبق من احداث انتقل النشاط التجاري من البصرة الى موانئ اخرى في المنطقة، منها الكويت والبحرين وبوشهر، والاهم من كل هذه الموانئ ميناء مسقط.

وخلال العقدين او الثلاثة الاخيرة من القرن الثامن عشر كان الميناء الاخير اكثر الموانئ ملائمة للتجارة. فالى جانب كل العوامل المشجعة للتجارة والتي سبق ذكرها كان في الميناء حكومة قوية قادرة على حفظ الامن والنظام، وسلطة عادلة اتسمت بالعدل والتسامح ووفرت الحماية والاطمئنان لجميع التجار دون تمييز. فلا عجب بعد هذا ان احتشد في مسقط التجار والصرافون واصحاب السفن وربابنتها والمضاربون من كل الاجناس والاديان، فهناك العرب والفرس والهنود على اختلاف مللهم ونحلهم، وهناك الارمن واليهود والاوروبيون من مختلف القوميات^(١٧). والامثلة كثيرة ومتواترة على تسامح السلطات العمانية وعلى عدالتها وعلى جو الامان الذي كان يسود الموانئ العمانية وعلى سبيل المثال يقول «ابراهيم برسنتر» الذي زار

مسقط في عام ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م أن التجار كانوا يتركون سلهم في الطرقات خلال الليل مطمئنين تماما إلى توفر الأمن وإلى يقظة رجاله^(١٨). ويصف التقرير الذي رفعه كل من «صموئيل مانستي S.Manesty» و «هـ جونز H.Jones» إلى شركة الهند الشرقية الانجليزية والحكومة البريطانية، السلطات العربية في منطقة الخليج العربي عامة وفي مسقط بشكل خاص فيقول:

«من المعروف بشكل عام أن الحكومات العربية تتمتع بقسط وافر من الاحترام وهذا ينطبق بشكل خاص على حكومة مسقط، فهي من ناحية شديدة جدا في تطبيق العدالة، ولكن عدالتها تخفف من وطأة تلك الشدة. ويقدم الامام حاكم البلاد في الرستاق بعيدا عن مسقط، وله مندوب عنه في هذا الميناء، ويدعى المندوب الحالي الشيخ خلفان، ويتولى هذا الشيخ رعاية التجار المقيمين في مسقط والغرباء المترددين عليها بشكل يستحق عليه الشكر والثناء، وهو إلى جانب ذلك يمكن الاتصال به ويسهل الوصول اليه. ويبدى الشيخ خلفان اهتماما خاصا وديا بكل مطالب التجار ومطالبهم، ويحرص كل الحرص على تطبيق العدالة ولذا يعتقد الجميع أن ممتلكاتهم آمنة غاية الأمان فحياتهم بعيدة كل البعد عن أي خطر وهم مصانون من أي نوع من الاهانة والتمييز»^(١٩).

وهناك امر مهم آخر كان يتوقف عليه إلى حد كبير نجاح التجارة أو فشلها.. في ازدهارها أو ركودها في أي ميناء، ألا وهو الضرائب. وقد اتسمت سياسة حكومة عمان في هذه الناحية بمميزات هامة هي: الاعتدال والمساواة والثبات. فقد قيل أن سلطات مسقط كانت تتقاضى ٦,٥٪ على جميع السلع دون تمييز بين تاجر وآخر وفئة وأخرى^(٢٠). ومكن هذا التجار من ممارسة نشاطهم التجاري وهم على علم ومعرفة من امهم دون خوف من ظلم أو تعسف أو زيادة أو نقصان ولعل الامر يصبح أكثر وضوحا إذا ما قورن هذا الحال بالمواني التي كانت خاضعة للسلطات الفارسية والعثمانية، ففي الأولى لم يشك التجار من فداحة الضرائب فحسب، بل كانوا يتظلمون من التعسف في جبايتها وكذلك من الجور والابتزاز، وكانت الضرائب عرضة للزيادة والنقصان تبعا لأمزجة المسؤولين وجشعهم.

ولم يكن الامر بأحسن حال في ميناء البصرة الذي كان خاضعا للعثمانيين، فقد كانت الضرائب توصف هناك بأنها فادحة^(٢١) والضرائب العالية دفعت كثيرا من التجار في أواخر القرن الثامن عشر إلى نقل سلهم التي يراد حملها عن طريق القوافل إلى حلب عن طريق الصحراء وتغريغها من السفن في الكويت لتحمل من هناك إلى حلب متجاوزة بذلك البصرة.

ولجأ تجار آخرون إلى ايصال سلهم بطريقة أو بأخرى إلى شط العرب، وحملها إلى هناك تحت جنح الظلام أولا إلى البصرة ومنها سرا إلى الزبير لتنتقل من هناك إلى حلب. وقد أدى هذا النوع من السلوك الذي اتبعه بعض التجار إلى زيادة اربابهم، ولكنه في الوقت نفسه ألحق الضرر بالتجار الشرفاء الذين كانوا يعرضون عن اتباع هذه الأساليب غير المشروعة^(٢٢).

وإضافة إلى ما سبق، فلم تكن هناك مساواة في الضرائب التي تفرضها السلطات العثمانية. فبينما كانت تلك الضرائب لا تقل بأي حال من الأحوال عن ٧,٥٪ بل تزيد عن ذلك كثيرا على التجار المحليين وعلى جميع التجار الآسيويين الآخرين، فإنها لم

تكن تتجاوز [٣/٢] على اغلب التجار الاوروبيين^(٢٣)، وذلك تمشيا مع الامتيازات القديمة التي منحها السلطان العثماني لأولئك الاوروبيين. وهذا التباين في الضرائب جعل التجار الاوروبيين في وضع افضل في مجال المنافسة، وألحق الضرر بالتجار الآخرين.

وعلى الرغم من حالة الركود الاقتصادي التي سادت منطقة الخليج والمناطق المجاورة لها في اواخر القرن الثامن عشر، فان التجارة بقيت هنا كبيرة وغنية كما كانت دائما، لان هذه التجارة لم تكن تعتمد على الطلب المحلي المحدود، بل كانت تمون بلدانا شاسعة، عن طريق الخليج العربي وطريق البحر الاحمر، وهما من طرق التجارة العالمية التقليدية منذ اقدم العصور، فالسلع الآسيوية القادمة الى سواحل هذين الممرين المائيين كانت تنقل بواسطة القوافل الى العراق والجزيرة العربية وفارس وآسيا الصغرى وبلاد الشام، لتحمل من هناك الى اماكن اخرى بعيدة، وليلصل جزء منها الى سواحل البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود لتجد سبيلها الى اوروبا. وكذلك كانت موانئ الخليج العربي والبحر الاحمر مراكز لتجميع السلع من كل البلدان السالفة الذكر لتشحن منها الى شرق افريقيا وسواحل شبه القارة الهندية وما يليها شرقا. وتجارة هذا شأنها لا يمكن الا ان تكون كبيرة مهما كانت المتاعب وحالات الركود التي كانت تتعرض لها خلال حقبات معينة من تاريخها، وهي دائما وأبدا مصدر للغنى والرفاه للقائمين بها. وهذه كانت الحال عندما قدر للجزء الاكبر من هذه التجارة لان يقع بيد العمانيين، وان تصبح مسقط المركز الرئيسي لهذه التجارة، فتغدو بذلك اهم ميناء في منطقة المحيط الهندي بل من أهم الموانئ في العالم.

وتسدنا وثائق شركة الهند الشرقية الانجليزية وتقارير الرحالة الاوروبيين بمعلومات قيمة عن سفن عمان التجارية وعن اسطولها الحربي، ففي احدى الرسائل التي بعثت بها شركة الهند الشرقية الى الحكومة البريطانية والتي سجلت فيها اوضاع الخليج العربي في اواخر الستينات من القرن الثامن عشر، نوهت بعمان واهمية مسقط التي يمتلك امامها ست بوارج كبيرة تحمل كل بارجة منها ما بين ١٤ - ٢٠ مدفعا، كما يمتلك امام مسقط عددا كبيرا من السفن الصغيرة ذات التسليح الجيد^(٢٤).

ووصف اسطول عمان التجاري في عام ١٧٦٥م بأنه يضم خمسين سفينة ما بين كبيرة وصغيرة وباستطاعته القيام برحلات سنوية الى مختلف موانئ الشرق من البصرة شرقا وحتى ملقا غربا^(٢٥).

ومن بين الرحلات التي اعطت الاسطول التجاري العماني شهرة كبيرة رحلة (اسطول البن) حيث يأتي الاسطول بالبن من اليمن ويتجه به الى البصرة، حيث يتم توزيعه من هناك الى مختلف أنحاء الشرق الأدنى، ويصف كرتستين نيبور - الذي زار المنطقة في عام ١٧٦٥م - العمانيين قائلا: «العمانيون هم امهر العرب في الملاحة يرسلون سنويا خمسين سفينة من صنف الترانكي^(٢٦) الى البصرة وهي محملة بالبن^(٢٧)».

ومع نهاية القرن الثامن عشر حدث تطور هائل سواء في عدد السفن التجارية العمانية او في قوة اسطول عمان الحربي، والحقيقة ان الطفرة الهائلة التي طرأت على

صناعة السفن الأوروبية ابتداء من القرن السادس عشر قد افادت بشكل ملحوظ صناعة السفن الآسيوية عموماً، إلا أنه مع نهاية القرن الثامن عشر كانت عمان قد قطعت شوطاً كبيراً في الاستفادة من التطور الذي شهدته دول أوروبا عموماً والتأثيرات البرتغالية خصوصاً وكانت واضحة على هياكل السفن التي تميزت مؤخرتها بالشكل المربع واستخدام المسامير بدلاً من الخيوط مما أكسب السفن قدراً كبيراً من المتانة.

ويرى و. هـ. مورلاند أنه منذ عام ١٥٠٧م بدأ عرب عمان يبنون سفنهم على غرار السفن البرتغالية وقد لاحظ البوكيرك نفسه هذه الظاهرة في صناعة السفن الهندية^(٢٧).

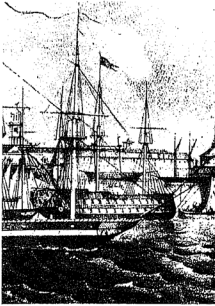
ويلاحظ أن كثيراً من الرحالة الأوروبيين قد لفت نظرهم التطور الذي طرأ على السفن العمانية لدرجة أنها قد أصبحت تشبه كثيراً السفن الأوروبية وأصبحت معظمها تبني في الموانئ العمانية مثل مسقط وصحار وصور وازداد حجم استيراد الأخشاب من الهند إضافة إلى شراء السفن الأوروبية من التجار وأصحاب السفن والأوروبيين، إضافة إلى إقدام العمانيين على بناء بعض سفنهم في الموانئ الهندية ذات السمعة المتميزة مثل مينائي بومباي وسورات.

وقد شاهد أحد الرحالة في صيف عام ١٧٧٥م الأسطول العماني وهو يتأهب للسفر نحو البصرة لرفع الحصار الفارسي عنها وقد أحصى عدد السفن وأنواعها قائلاً: «لقد شاهدت في ميناء مسقط ما لا يقل عن أربع وثلاثين سفينة، أربع منها كانت قد بنيت في بومباي، تحمل كل واحدة منها ما بين ثمانية عشر وأربعة وعشرين مدفعاً، أما بقية قطع الأسطول فكانت تسمى كتش Ketches وكاليكوت Gallcots يتراوح ما تحمله كل سفينة ما بين ثمانية وأربعة عشر مدفعاً»^(٢٨).

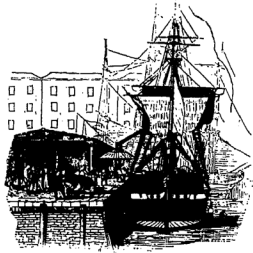
ولعل عهد السيد سلطان بن أحمد ١٧٩٢ - ١٨٠٤م خير شاهد على التطور الذي وصلت إليه السفن العمانية سواء من حيث نوعية السفن وبنائها أو من حيث عددها وقوتها والإمكانات التي وصل إليها الأسطول التجاري الذي كان يضم خمس عشرة سفينة كبيرة تتراوح حمولة الواحدة منها ما بين أربع مائة وسبع مائة طن إضافة إلى مئات السفن المختلفة الأحجام والأصناف^(٢٩)، وكانت السفن الكبيرة تذهب إلى سواحل الملبار وملقا وبناتقيا والسفن الصغيرة والمتوسطة تذهب إلى شرق أفريقيا وبقية موانئ الخليج والبحر الأحمر.

أما أسطول السيد سلطان بن أحمد الحربي فكان على جانب كبير من القوة والكفاءة حيث كانت سفينة القيادة المسماة جنجانا ذات حمولة ألف طن وتحمل جنجانا اثنين وثلاثين مدفعاً كما كان الأسطول يضم ثلاث سفن أصغر قليلاً من جنجانا تحمل الواحدة عشرين مدفعاً وكل هذه السفن بنيت على الطريقة الأوروبية^(٣٠)، إضافة إلى مئات السفن الصغيرة وجميعها مسلحة تسليحاً جيداً.

وتعتبر فترة السيد سعيد بن سلطان ١٨٠٤ - ١٨٥٦م من أزهى الفترات وأعظمها حيث بلغت قوة عمان البحرية والتجارية بما يتناسب والامتداد الهائل الذي وصلت إليه الدولة بامتدادها الآسيوي والأفريقي^(٣١).



السفينة الحربية (ليفربول) المسلحة بأربعة وسبعين مدفعا وقد أهداها السيد سعيد إلى الملك وليام الرابع



السفينة مسلماتة في لندن - رسم ظهر في مجلة Illustrated London News ١٨ يونيو ١٨٤٢

والحقيقة أن النصف الأول من القرن التاسع عشر يعتبر من أغنى الفترات التاريخية، حيث شهدت البحرية العُمانية تطورا هائلا وقد عني السيد سعيد بن سلطان ببناء السفن في الموانئ العمانية مثل مطرح ومسقط وصور. وكذلك أمر السيد سعيد بن سلطان ببناء العديد من السفن التجارية والحربية في أحواض السفن في الهند وخصوصا في بومباي ومن أبرز هذه السفن في تاريخ الاسطول العماني الحربي (تاج بكسر) و(كارولين) و(شاه علم) و(ليفربول) و(سلطانة) و(تاجه) وقد أهدى البارجة ليفربول إلى الملك البريطاني وليام الرابع عام ١٨٢٤ وقد أطلق عليها الأخير اسم (الامام) تكريما لمهديها السيد سعيد بن سلطان، أما السفينة الحربية سلطانة فقد كانت من أهم قطع الاسطول العماني وقد أرسلت إلى ميناء نيويورك في الولايات المتحدة تحمل هدايا للرئيس الأمريكي. لقد أصبح الاسطول العماني خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر على درجة كبيرة من القوة حيث جاء ترتيبه ثاني أكبر اسطول، يأتي في المرتبة الثانية بعد الاسطول البريطاني.

ومن أجل إعطاء صورة عن قوة الاسطول العماني فقد ذكر التجار الأمريكيون الذين زاروا زنجبار في بداية الثلاثينيات من القرن التاسع عشر أن السيد سعيد وصل البلاد على رأس قوة تتألف من سفينة مزودة بأربعة وستين مدفعا وثلاث فرقاطات مزودة كل منها بستة وثلاثين مدفعا وسفینتين مزودتين كل منهما بأربعة عشر مدفعا وحوالي مائة مركب نقل عليها ستة آلاف مقاتل، ورغم بعد الممتلكات العمانية في إفريقيا عن عمان بأكثر من خمسة آلاف ميل إلا أن الاسطول العماني كان من القوة بحيث يحرس هذه الممتلكات الشاسعة الممتدة ما بين بندر عباس وزنجبار كما يحرس عشرات الموانئ الواقعة على السواحل العربية والأفريقية وعشرات الجزر المتناثرة في الخليج العربي والمحيط الهندي.

ومن حسن الحظ فقد توافرت معلومات وتقديرات كثيرة ومفصلة وعلى جانب من

الصحة، وهي تعطي فكرة جيدة عن طبيعة التجارة وحجمها في مياه المحيط الهندي بشكل عام وعن تجارة الخليج العربي والبحر الأحمر بشكل خاص، وقد جاءت تلك المعلومات والتقديرات في عدد من التقارير الرسمية^(٢٢)، وفي كتب بعض الرحالة والمهتمين بشؤون التجارة، ومن هذه التقارير تقرير وضعه «مالكولم H.Malcolm» لشركة الهند الشرقية الانجليزية والذي قدر فيه حجم تجارة الخليج بـ ١٦٠٠٠٠٠ روبية، وكانت قيمة التجارة بين الهند والخليج تكون الجزء الأكبر من هذا المبلغ^(٢٣). قبل صموئيل مانستي وهارفرد جونز وله أهمية خاصة، وذلك للمعلومات المفصلة عن التجارة بين الهند والخليج، ولما ورد فيه من حديث عن أهمية مسقط وعن الدور الهام للعُمانيين في مجال التجارة والملاحة، فهو يقول ان عمان ذات الطبيعة المجدبة والارض الفقيرة، حولتها التجارة الى بلاد غنية ومرفهة، فالثروة التي حصل عليها العُمانيون هائلة وجسيمة لا سيما بالنسبة الى استيرادها البين من ميناءي الحديدية والمخا والسكر من باتافيا، واستيراد هاتين المادتين وحده يكفي لجعل العُمانيين اغنياء جدا. فالبن المستورد يقرب من نصف الكمية المنتجة سنويا في اليمن كلها وهي تكفي لتلبية الطلب في فارس وبلاد العرب وبلاد ما بين النهرين وكردستان وارمينيا والاناضول، كما تكفي لسد شيء من الطلب عليها في سوريا والقسم الاوروبي من الدولة العثمانية والمانيا وبولندا وروسيا وشمال اوروبا^(٢٤)، اما المستورد من السكر فهو بكميات كبيرة جدا ايضا وفي بالحاجة الملحة لهذه المادة في فارس وكردستان وأرمينيا والجزيرة العربية وبلاد ما بين النهرين والاناضول^(٢٥). ويستطرد هذا التقرير فيذكر ان الاتصال بين مسقط ومواني الخليج العربي والبحر الأحمر كان يتم بواسطة السفن العمانية، اما الاتصال بالهند فيتم بالسفن العمانية، اضافة الى السفن التي يمتلكها التجار الآسيويون الآخرون والاروبيون ويذكر التقرير ايضا ان العُمانيين كانوا يقودون السفن العمانية، وأنهم ملاحون نشطون يطوفون البحار ويصلون الى ساحل الكروماندل الى ساحل الملبار^(٢٦)، والى ميناءي بومباي وسورات، وأنهم وصلوا حتى كلكتا في السنوات الاخيرة، وكانوا يحملون الى الاماكن السابقة مقادير كبيرة من اللؤلؤ والملح الصخري والكبريت والنحاس والزنبرنج والعفص والزعفران والبخور والفواكه المجففة وانواع مختلفة من الاعشاب الطبية وسلع اخرى كثيرة.. كما كانوا يأخذون معهم لتغطية مشترياتهم كميات كبيرة من النقود الفضية والذهبية وفي العودة الى مسقط كانوا يجلبون معهم من تلك الاماكن كميات كبيرة لا يستهان بها من الانسجة القطنية والقطن الخام والصوف وخشب الصندل والفلفل والزنجبيل والهيل وجوز الطيب والقرفة والمسك والكافور والنيلة والكرم والحديد والصلب والرخاص والصفيع والزيت والسمن والارز وسلع كثيرة اخرى. واما السفن الاوروبية فكانت ترد الى مسقط كل عام وتحمل منها الى الهند والى باتافيا مبالغ كبيرة من النقود الفضية والذهبية واللؤلؤ وكميات من الكبريت والملح الصخري والنحاس والزنبرنج، وتحمل السفن العمانية المتجهة سنويا الى ميناءي الحديدية والمخا مقادير كبيرة من تمر البصرة واللؤلؤ وانواع الانسجة الهندية^(٢٧).

وينتهي التقرير حديثه عن مسقط بهذا التوقع والتعقيب:
«فيبدو بوضوح، وذلك من المعلومات الآتفة الذكر ومن الاوضاع العامة في عمان،

ان تجارة مسقط هي تجارة مهمة جدا وواسعة، ومن الممكن - وذلك بالنظر الى المكاسب التي يحققها هذا الميناء - ان نستنتج ان تجارة مسقط هذه لا بد وان تبقى مزدهرة الى الابد... وحتى خلال الفترة الحالية التي تتسم بكساد التجارة وشحة النقود في كل من الدولتين العثمانية والفارسية ينشط تجار مسقط في مجال العمل التجاري في الموانئ المختلفة، وتزداد مبيعاتهم ومشترياتهم ويزدادون ثراء واندفاعا لاقتحام مياه جديدة وامكن بعيدة^(٢٨).

وتجارة بهذه السعة والاهمية وثروة بهذا الشكل كانت جديرة بأن تتطلب من البوسعديين سياسات معينة تحفظ للعمانيين منزلتهم التجارية المتميزة، وتصور لهم مكاسبهم الاقتصادية الثمينة، وتتلخص تلك السياسات في هذه الامور:

١- حرصهم على الاحتفاظ بتفوقهم البحري، وجهدهم في الوقوف في وجه التهديدات الخارجية، والتزامهم بحماية سواحل عمان وموانئها، بل وصيانة الملاحة وتوفير الامن الملاحي في المنطقة كلها.

٢- محاولتهم بسط نفوذهم على امكان ذات اهمية استراتيجية وتجارية خاصة في الخليج العربي وشرق افريقيا. وقد رأوا في تملكهم لهذه الاماكن ضرورة لتعزيز مكانة دولتهم التجارية وتوسيعها.

٣- تبنيهم سياسات تجارية خاصة ارادوا من ورائها تنسيق الفعاليات التجارية القائمة بين سواحل الهند والخليج العربي والبحر الاحمر وشرق افريقيا، وتنظيم تلك الفعاليات بالشكل الذي يضمن للعمانيين سيادتهم وتفوقهم التجاري والملاحي. وقد نجحت هذه السياسات كما رأينا الى حد كبير، وتمثل هذا النجاح في ذلك الازدهار التجاري الذي شهدته عمان في تلك الفترة، وازداد هذا الازدهار تألقا في النصف الاول من القرن التاسع عشر للميلاد، اي في عهد السيد سعيد بن سلطان (١٢١٩ - ١٢٧٣ هـ / ١٨٠٤ - ١٨٥٦ م).

ففي النصف الاول من القرن التاسع عشر وصل التطور التجاري اوجه في الدولة العمانية، ويرجع هذا التطور الى عوامل عديدة:

(١) - القيادة العمانية المتمثلة في شخص السيد سعيد بن سلطان الذي كانت فترة حكمه الطويلة قد اتسمت بالاستقرار والعلاقات الدبلوماسية الطيبة مع مختلف الدول، حيث كان لعمان علاقات دبلوماسية وقنصلية مع اكثر من عشرين دولة، من بينها بريطانيا والولايات المتحدة وهولندا وفرنسا والبرتغال واسبانيا والمانيا.

ورغم التوسع الكبير الذي وصلته البحرية العمانية في عهد السيد سعيد، الا ان الحروب التي خاضها كانت قليلة بالنسبة لفترة حكمه الطويلة وامتداد دولته الواسعة. وكان يستخدم الاسطول الكبير لحراسة طرق التجارة والمحافظة على البضائع المختلفة. وكان السيد سعيد على استعداد لدفع الاموال الى القبائل العربية في الربع الخالي التي كانت تهدد السواحل العمانية لا لضعف منه، بل لان ما كان يدفعه من اموال وان كان كبيرا احيانا، الا انه اقل بكثير من الارباح الهائلة الناجمة عن استقرار الاوضاع وتدفق التجارة وسلامة الطرق البحرية.

(٢) - الاسطول العماني المتطور والذي كان يصل الى ابعد نقطة في بحر الصين وخليج البنغال والمحيط الهندي وسواحل افريقيا والبحر الاحمر والسواحل الاوروبية والأمريكية.

(٣) - نجاح دبلوماسيّة السيد سعيد بن سلطان التي استقادت كثيرا من الصراعات الاقليمية والدولية القائمة، ومن ثم فقد استطاع السيطرة على الموانئ الشرقية للخليج العربي مثل بندر عباس ولنجة وقشم وهرمز، وعلى بعض سواحل كرمان مثل ميناء جوادر، كما استغل الصراعات المستمرة بين الدولة العثمانية ومحمد علي باشا الكبير، وكانت له علاقات حسنة مع الاخير الذي وافق على منح العمانيين امتيازات بحرية واسعة في البحر الاحمر، كما كان للسيد سعيد بن سلطان علاقات حسنة للغاية مع امراء الهند وسيلان وجزر المالديف ومدغشقر.

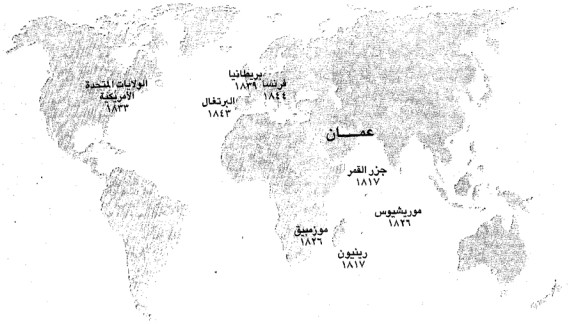
ولم يرفض السيد سعيد بن سلطان طيلة فترة حكمه اي عرض تقدمت به اي دولة اقليمية او دولية لعقد المعاهدات والاتفاقيات التجارية، فكان يفضل التجارة على اي شيء آخر، وعندما طلبت منه الدول الاوروبية وخصوصا بريطانيا تحريم تجارة العبيد في ممتلكاته والمساهمة معها في محاربة هذه التجارة في كافة ارجاء الخليج العربي والمحيط الهندي، فانه قبل هذا العرض وحرّم تجارة العبيد التي كانت تدر على بعض التجار ارباحا هائلة، وحارب بقوة نشاطات القراصنة من مختلف الجنسيات الاوروبية الذين كانوا يمارسون تجارة العبيد. وكان لموقف السيد سعيد هذا ردود فعل ايجابية في الرأي العام العالمي يومئذ، فقد اثنى عليه الصحف البريطانية، كما اشداد مجلس العموم البريطاني بجهوده في مجال محاربة تجارة العبيد ومراعاته لحقوق الانسان، وقد وقع السيد سعيد نفسه على اتفاقيات ثنائية ودولية بهذا الخصوص.

(٤) - التطور الزراعي الكبير الذي شهدته ممتلكات عمان في افريقيا وخصوصا في زراعة القرنفل والقطن ونبات التيل، والثروات الهائلة التي تجمعت لدى العمانيين من التجارة والزراعة في افريقيا، وكان للسيد سعيد وكلاء يجمعون الضرائب في كافة ارجاء الساحل الافريقي.

(٥) - العلاقات التجارية المتطورة مع العديد من الدول، فقد عقد السيد سعيد بن سلطان اول معاهدة تجارية مع الجنرال ديكان حاكم جزيرة فرنسا (جزر القمر) في ربيع الاول ١٢٢٢هـ / السادس عشر من يونيو عام ١٨٠٧م، وفي هذه المعاهدة اعترف بالحياد العماني في الصراع الذي كان قائما بين فرنسا وبريطانيا، كما تعهدت فرنسا بعدم التعرض للسفن العمانية مقابل الموافقة على قبول وكيل تجاري فرنسي في مسقط، كما عقد السيد سعيد بن سلطان معاهدة تجارية عام ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م مع حاكم جزر البوربون (دي يونيون) منحت فيها كل بلد منهما الأفضلية التجارية للآخرى.

وفي المحرم ١٢٤٢هـ / ١٠ سبتمبر ١٨٢٦م اصدر السيد سعيد والسيد روبرت فاركوهر حاكم موريشوس اعلانا مشتركا لتشجيع التجارة بين بريطانيا وعمان، وفي نفس العام وقع سيف بن احمد بالنيابة عن السيد سعيد اتفاقية تجارية مع الجنرال سابسيانو اكسافير بوتيلهو حاكم موزمبيق البرتغالي، وقد أكدت هذه الاتفاقية على الصداقة بين عمان والبرتغال، واستعداد الطرفين لتسهيل التجارة ومرور السفن بين البلدين، وتنظيم الاوراق التجارية التي يحملها تجار البلدين وحددت ضرائب الواردات لتجارة البلدين بـ ١٠٪ من قيمة السلع.

وفي العام التالي ١٢٤٣هـ / ١٨٢٧م عقدت اتفاقية تجارية اخرى تعهد السيد



الاتفاقيات التجارية في عهد السلطان السيد سعيد بن سلطان.

سعيد فيها بمعاملة البرتغاليين أسوة بالانجليز والفرنسيين بالنسبة الى الضرائب التجارية. وتم توقيع هذه الاتفاقية في شهر ربيع الثاني ١٢٤٩ / الحادي والعشرين من سبتمبر ١٨٣٣ وفي زنجبار تم التوقيع على اتفاقية تجارية أخرى بين السيد سعيد والمبعوث الأمريكي ادموند روبرتس تعهدت فيها الولايات المتحدة بحصر بيع الاسلحة لحكومة السلطان في زنجبار، وعدم بيعها لاي طرف آخر في افريقيا، وتعهدت الولايات المتحدة كذلك بقبول دفع نسبة ٥٪ كضرائب من قيمة السلع الامريكية المتحدة المصدرة الى عمان وممتلكاتها، كما تعهدت بمنح السفن العمانية التي تقوم بزيارة الموانئ الامريكية معاملة الافضلية، ومنح السلطان الولايات المتحدة حق تعيين قنصل مقيم في زنجبار.

وفي عام ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨م تعهدت ملكة نوسي بي وهي احدى الجزر الافريقية، بقبول حماية السيد سعيد بن سلطان مقابل منه ٢٠ ألف دولار و ٥٪ من الضرائب الجمركية.

وتم التوقيع في الرابع عشر من المحرم ١٢٥٥هـ / الحادي والثلاثين من مارس ١٨٣٩م على اول معاهدة تجارية عامة بين بريطانيا وسلطان عمان بعد معاهدة ١٢٣٨هـ / ١٨٢٢م، وقد وقعها السيد سعيد عن الجانب العماني كما وقعها الكابتن روبرت كوكان عن الجانب البريطاني، وكان الاخير قنصلا في مسقط، وقد شملت هذه المعاهدة مواضيع تجارية شتى متبادلة كما شملت التعاون في القضايا القنصلية ومحاربة تجارة العبيد.

وفي شوال ١٢٥٩هـ / ٢٠ نوفمبر ١٨٤٣م توصل السيد سعيد بن سلطان مع الحكومة البرتغالية الى اتفاقية حول تنظيم الزيارات التي تقوم بها السفن العمانية للموانئ البرتغالية، واشتملت هذه الاتفاقية على تنظيم الاوراق الخاصة بتلك السفن،

وبعد سنة واحدة اي في عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م توصل السيد سعيد الى معاهدة صداقة مع فرنسا وقعتها عن الجانب الفرنسي مسيو رومان ديفوسي حاكم مدغشقر وبوربون. وهي مشابهة في محتواها لمعاهدة الصداقة والتجارة التي عقدها عمان مع بريطانيا والولايات المتحدة، وقد تعهد السيد سعيد في هذه المعاهدة بالموافقة لفرنسا على السماح لها ببناء مخازن في زنجبار.

وقد بذلت الحكومة البريطانية جهودا دبلوماسية عديدة مع سلطان عمان من اجل بذل المساعي الحميدة مع شيوخ امارات الخليج العربي واقناعهم بتحريم تجارة العبيد وقد اكد السيد سعيد تعهداته السابقة بتحريم تجارة العبيد ومنع الاطراف الاخرى من استخدام المواني العمانية على الساحل الافريقي لهذا الغرض، كما كتب رسائل الى مشايخ البحرين وقطر والكويت بالمشاركة في الحملة الدولية ضد تجارة العبيد، وأمر حكامه في المواني الشرقية للخليج العربي بمصادرة كافة السفن التي تساهم في تجارة العبيد، ومعاقبة الاشخاص او الشركات التي تتعامل في هذه التجارة. وفي الوقت الذي تبرع فيه السيد سعيد بالمساهمة الفعالة في منع تجارة العبيد، كانت الحكومة البريطانية تدفع مائتي الف باوند استرليني لملك اسبانيا مقابل قبوله بمبدأ منع تجارة الرقيق.

وقد وافق السيد سعيد على قرار البرلمان البريطاني رقم ٢٨ لعام ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م الخاص بمنع تجارة العبيد، وكان هو الحاكم الوحيد في المحيط الهندي الذي وضع كل ثقله مع القوانين والترتيبات الدولية لمنع تجارة العبيد، بينما كان البرتغاليون والاسبان يرفضون تطبيق هذه القوانين.

ونتيجة لنشاط الاسطول العماني وازدياد قوته، فقد ازدهرت التجارة العمانية في منطقة الخليج العربي وخصوصا في المدن الساحلية التي كانت خاضعة للسيد سعيد، وفي اتفاقية بين السيد سعيد وشاه فارس عقدت في شعبان ١٢٧٢هـ / ابريل ١٨٥٦م منع بمقتضاها سلطان عمان صلاحية تعيين حكام عرب من عمان لمواني بندر عباس وقشم وهرمز ولارك ولنجة لمدة عشرين سنة، وان يدخل في ترتيبات معينة لتنفيذ ذلك مع حاكم فارس مقابل منحة سنوية للشاه مقدارها ستة عشر الف تومان، وتعهد السيد سعيد ان لا يقبل وكلاء اجانب في هذه المواني.

وقد تصاعدت حركة التجارة الدولية داخل سلطنة السيد سعيد بن سلطان الواسعة بشكل لم يسبق له مثيل، وقد رافق النشاط التجاري وتقدم الملاحة تطور انتاج اللؤلؤ من مصايد اللؤلؤ التابعة للبحرين وقطر والكويت وابوظبي، وكان الخليج العربي في النصف الاول من القرن التاسع عشر يعتبر السوق الدولية الرئيسية لتجارة اللؤلؤ، وكان التجار المحليون والهنود والانجليز والفرس يتنافسون على شراء اللؤلؤ من الخليج العربي باعتبار ان انواعه هي الاجود والافضل والاكثر ندرة في العالم وقد تنافس ايضا حكام فارس والدولة العثمانية وامراء مصر والهند وملوك اوربا على شراء اللؤلؤ الخليجي، وانضم اليهم الاغنياء في امريكا الوسطى والجنوبية.

وقد ذكرت المصادر التاريخية ان السلطان سعيد نفسه كان يحتفظ بثروة هائلة من اندر انواع اللؤلؤ، وقد ذكرت الوثائق ان بعض زوجات المسؤولين والاجانب الذين زاروا عمان والتقوا بحريم السلطان، اذهلهم انواع اللؤلؤ التي كانت تترزين:

بها نساء القصر.

وهكذا اتخذت السلطنة العمانية الشاسعة الاطراف التي اصبحت دولة آسيوية / افريقية، من المحيط الهندي مجالا حيويا لنفوذها، ووسعت هذا النفوذ في كافة ارجاء الخليج العربي وعلى طول الساحل الافريقي والبحر الاحمر، ولكنها لم تلبث ان تأثرت اوضاعها بوفاة ابرز ابنائها في التاريخ على الاطلاق، السيد سعيد بن سلطان على ظهر سفينته (فكتوريا) في عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م قبالة ساحل سيشل. إذ بوفاته وكما سبق القول، شهدت الدولة العمانية صراعات دامية داخل اسرة البوسعيد انتهت عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م باتفاقية تقسيم البلاد بين الاخوين، فاصبح ثويني حاكما لعُمان وتوابعها وممتلكات عُمان في الخليج العربي، بينما اصبح ماجد حاكما مستقلا لزنبار وممتلكات عُمان في شرق افريقيا، وقد جرى التوصل الى هذه الاتفاقية بعد توسط اللورد كاننج وزير الخارجية البريطانية، وقد وجدت الدول الأوروبية الكبرى وخاصة فرنسا وبريطانيا والبرتغال الفرصة في الاسراع بالسيطرة على اجزاء من الدولة العمانية.

وخلال الفترة (١٢٧٣ - ١٢٧٩هـ / ١٨٥٦ - ١٨٦٢م) وهي فترة الصراع بين الاخوين ثويني وماجد، انقسم الاسطول التجاري والحربي على نفسه، وقام الاخوان بالتنافس لبيع قطع هذا الاسطول الى الدول الأوروبية التي سيطرت بسرعة على معظم الجزر الواقعة في اربخيل زنبار وجزر القمر كما سارع حكام فارس رغم هزلة موقفهم الداخلي بانهاء الوجود العربي على الساحل الشرقي للخليج العربي. ورغم استمرار الدور العُماني في التجارة الدولية الا ان غياب القائد وانهايار الاسطول وانقسام الدولة، ادى الى انتكاسة عامة أثرت بصورة مباشرة على صورة الدولة العمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

وفي النهاية نستطيع القول بأن القيادة الفذة للسلطان سعيد بن سلطان، جعلت من عُمان إحدى القوى الدولية الرئيسية في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي، وقد كرمه زعماء العالم يومئذ، وعقد أكثر من عشرين معاهدة واتفاقية مع دول العالم المهمة، وفتح علاقات دبلوماسية وتجارية مع كافة القوى الدولية والمحلية الرئيسية في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

وفي عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م انتخبته الجمعية الملكية الآسيوية في لندن عضوا شرف فيها لمساهمة في تقدم العلوم البحرية وبناء السفن والملاحة، ولدوره في تطور التجارة واشاعة السلم والاستقرار على سواحل الخليج العربي والمحيط الهندي. ومن الممكن القول بدون تردد او رياء بأن السيد سعيد بن سلطان كان أشهر حاكم عربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وقد برزت شهرته وحكمته وشجاعته العديد من أقرانه الذين عاصروه من كبار زعماء العالم المتمدن. وكان اسطول عُمان في عهده من اقوى الاساطيل الموجودة في المحيط الهندي، كما بلغت تجارتها في عهده قمة الازدهار.

والحقيقة أن هذا النجاح وذلك الازدهار في مجالي الملاحة والتجارة في تلك الفترة من عهد الدولة البوسعيدية، لا بد وأن يقودنا حتما الى الحديث عن ملامح أخرى للحضارة العمانية خلال العصور التاريخية المختلفة.

الفصل السادس

التنظيم الإداري في الدولة البوسعيدية

يعتبر التنظيم الإداري للدول العُمانية خلال الفترة التي يهتم بها البحث الحالي، ما بين ١٧٤٤ - ١٩٩٤م أثناء حكم الأسرة البوسعيدية، أحد المظاهر الحضارية التي ارتبطت بفترات ازدهار الدولة العمانية.. حيث توضح الحقائق التاريخية أن ثمة علاقة تبادلية بين هذا الازدهار ونوعية التنظيمات الإدارية الموجودة ودرجة الكفاءة والفاعلية لمؤسسات الدولة وأجهزتها المختلفة.. وهذا بالفعل ما تؤكدته نتائج تحليل دراسة التراث التاريخي العماني في الفترات الماضية والسنوات الأخيرة.

وتعد بداية عقد السبعينات نقطة تحول كبرى في تاريخ المجتمع العماني المعاصر، نتيجة للنهضة الشاملة التي تشهدها السلطنة في كافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.. فلقد اهتمت الدولة بتغيير النظام الإداري التقليدي وبناء التنظيم الإداري الحديث ذي الطابع العقلاني الرشيد، الذي يقوم على أحدث النظم الإدارية الحديثة والمتطورة واعتباره أحد المقومات الأساسية التي تنهض عليها عمليات التنمية الشاملة.

وعموماً وبالرغم من طول الفترة التاريخية التي سوف يهتم البحث بمعالجة التنظيم الإداري بها والتي تقدر بقرنين ونصف من الزمان إلا أننا سوف نعرض لهذه الفترة بصورة موجزة.

ونبدأ بعهد الامام احمد بن سعيد بن محمد البوسعيدي مؤسس الدولة البوسعيدية وتتميز فترة حكم هذا الامام بالعديد من المميزات والخصائص الإدارية والتنظيمية التي كانت بمثابة المقومات الأساسية التي ساهمت بالفعل في ازدهار الدولة العمانية في العديد من النواحي الإدارية والتنظيمية ونورد منها^(١):

السمات العامة والشخصية:

كان الامام احمد بن سعيد يتميز بالعديد من الصفات والخصائص القيادية، فكانت لديه كفاءات إدارية وبعد بصرية مميزة ساهمت في ترشيحه ليكون والياً على صحار من قبل الامام سيف بن سلطان اليعربي، كما كان تاجراً نشطاً لديه الكثير من تقدير الأمور المالية والتجارية، ولديه ادراك عميق للظروف الداخلية والخارجية.. ومن ناحية أخرى كان يمتاز بالشجاعة والكرم والبراعة الإدارية وانتصاره للحق والعدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالفعل لقد ساعدت تلك الخصائص والسمات العامة لشخصية الامام احمد على أن يحقق الوحدة الوطنية العمانية ويجمع شمل القبائل بشتى الوسائل والتوفيق بينها.

تعيين الولاة والقيادات الإدارية:

اهتم الامام احمد بن سعيد بتعيين الولاة في انحاء الدولة العمانية وحرص على

اختيار الولاة من ذوي الكفاءات الادارية العالية، والذين لديهم خبرة كافية مما ساعد في عمليات ادارة شؤون الدولة.. ومن ناحية أخرى سعى الامام احمد لتدريب ابنائه على ادارة الامور السياسية والتنظيمية حتى يكسبهم المهارات القيادية العليا، وقد تم تعيين عدد منهم في مناصب الادارة مثل مناصب الولاة وكان من اهم الولاة والقيادات الادارية الذين اداروا شؤون الحكم في عهده، خلفان بن محمد بن عبدالله البوسعيدي الذي عين واليا على مسقط، ولتنظيم اخذ العشور والاموال والخراج والضرائب الجمركية في الموانئ العمانية، كما عين عددا من الولاة في شرق افريقيا واستطاعوا ان يعيدوا الحفاظ على الامن ومنهم الوالي محمد بن جاعد البوسعيدي.

مجال العدل والقضاء والأمن :

سعى الامام احمد بن سعيد من اجل الاستقرار والامن الداخلي للبلاد وجمع شمل القبائل عن طريق استتباب الامن، حيث عين خميس بن سالم البوسعيدي على عسكر مسقط ومطرح ولكي يرسى قواعد العدل والانصاف بين الناس خلال فترة حكمه، كان يختار اشهر القضاة وانصفهم للعدل والحق، وكان من بينهم القاضي المشهور الشيخ العالم محمد بن عامر بن عريق العدواني.

مجال الجيش والأسطول البحري :-

كان من اهم انجازات الامام احمد بناء جيش كبير احسن تنظيمه واعداده من حيث القيادة والرجال والسفن، واعتمد في بناء الجيش على العمانيين بصفة خاصة كما كان للجيش جانب نظامي وآخر احتياطي مما يعكس طابع الادارة والتنظيم الذي كان يتميز به الجيش والاسطول البحري، واستطاع الجيش العماني طرد الفرس الذين احتلوا بعض نواح من عمان عام ١٧٣٧م ، وبفضل قوة الاسطول البحري قضى على الكثير من حركات القرصنة في الخليج والمحيط الهندي لتأمين حركة التجارة.. كما استطاع بفضل مهارة الجيش التنظيمية والادارية، ان يضم المنطقة الشمالية الغربية من عمان في نطاق التوحيد تحت راية حكمه، كما استطاع الجيش يلبي نداء الدولة العثمانية لرد الخطر الفارسي عن البصرة وجنوب العراق ويقهر الفرس في منطقة شط العرب الامر الذي نتج عنه حدوث تقارب كبير في العلاقات الدولية الودية مع الدولة العثمانية^(٢).

المجال التجاري والاقتصادي:

ظهرت النواحي التنظيمية والادارية على النشاط التجاري فبفضل انشاء الاسطول البحري التجاري تمكن الامام احمد من جعل منطقة الخليج والساحل العماني منطقة تجارية حرة.. واختار القيادات الادارية التي تتميز بالكفاءة في مجال الحسابات والامور المالية مثل الجمارك والخراج، فلقد عين رزيق بن حبيب بن سعيد بن غسان لتنظيم الحسابات المالية في الموانئ العمانية، واعيد ترتيب النظام الجمركي على السفن والبضائع الداخلية والخارجية.

مجال العلاقات الدولية:

حقيقة ليس من السهل الفصل بين عمليات التنظيم الاداري في المجالات التجارية او الاسطول البحري او التجاري دون فهم العلاقات الدولية التي كانت توجد خلال

تلك الفترة.. فلقد كان الامام احمد يحرص على وجود العلاقات الدولية العمانية في صورة ودية مع العديد من الدول التي كانت تربطها علاقات تجارية واقتصادية مثل الهند وبريطانيا والدولة العثمانية وكان الامام احمد يحرص على تأمين حركة التجارة، ورد الخطر الفارسي عن البصرة وذلك بفضل قوة الجيش والاسطول، وتعزيز العلاقات الدولية من جانب آخر.. ولقد نظمت العديد من الاتفاقات التجارية الهامة التي اخذت طابعا مميزا عن طريق ما يعرف حاليا بالتمثيل التجاري لتنشيط النواحي الاقتصادية والتجارية والدولية كما حدث بين عمان والهند على سبيل المثال هذا بالإضافة الى ان الامام احمد حرص على وجود علاقات ودية متزنة مع كل من بريطانيا وفرنسا لتأمين الاراضي العمانية.

تلك هي اهم ملامح التنظيم الاداري للدولة العمانية في عهد الامام احمد بن سعيد والتي من الصعب فهمها دون تحليل كافة المجالات التي ساهمت في عمليات تنظيمها واعدادها وطبيعة الازدهار الاقتصادي والتجاري وباختصار كانت فترة حكم الامام احمد من اهم الفترات التاريخية التي شهدت تطورا اداريا وتنظيميا وكفاءة عمانية حققت اسهامات متعددة في البناء الاداري والتنظيمي الذي شهدته الدولة العمانية.. ونستطيع فيما يلي ان نعرض لاهم نواحي هذه الاسهامات^(٢).

الناحية العسكرية :

استطاع السيد سلطان بن أحمد ان يبني أسطولا عسكريا ضم العديد من السفن الكبيرة العملاقة بالإضافة الى السفن المتوسطة والشراعية التي استطاعت ان تحقق الامن والاستقرار والسيادة البحرية العمانية في الخليج والمحيط الهندي وسواحل شرق افريقيا اما الاسطول التجاري البحري للسلطنة فكان قوامه ست عشرة سفينة متوسطة الحجم وخمس سفن شراعية وخمسة وخمسين مركبا صغيرا.. كما سعى السيد سلطان بأن يحقق نوعا من الكسب التجاري لعمان، بعد أن نجح في استئجار ميناء بندر عباس من الشاه في عام ١٧٩٤م مقابل ايجار سنوي يحدد في الواقع ان المهارة التنظيمية للاسطول البحري العماني تركت آثارها في تأمين السواحل العمانية على جميع مناطق الخليج.

الناحية التجارية :

بالإضافة الى ما سبق من تنظيم الاسطول البحري العماني فقد تحقق الكثير من مظاهر الازدهار التجاري للموانئ العمانية بصفة عامة ولمسقط بصفة خاصة.. كما تركزت معظم الانشطة التجارية في ايدي فئات التجار العمانيين.. وقدرت عموما حجم المعاملات التجارية للدولة في عهد السيد سلطان في العام بأكثر من مليونين ونصف المليون جنيه استرليني، حصلت مسقط على أكثر من نصف هذه القيمة كما استطاع السيد سلطان ان يعيد ترتيب نظام الجمارك على البضائع التي وصلت الى حوالي ٦,٥٪ وساهم ذلك في ازدهار الموارد المالية للدولة وايضا حصيللة الضرائب على المنتجات الزراعية الاخرى، وحصيللة الخراج من شرق افريقيا.

ويرى بعض المحللين^(٤)، ان عهد السيد سلطان من الناحية التجارية يعكس طبيعة التنظيم الاداري وحياء مركز مسقط التجاري، كما تحققت عوائد عالية للموارد المالية نتيجة للنظم والاجراءات المالية التي استحدثت خاصة في فترة الثمانينات

والتسعينات من القرن الثامن عشر.. كما لم تقتصر حركة التجارة العمانية على الدول التقليدية الأوروبية مثل إنجلترا وفرنسا ، ولكن كانت لكثير من المصانع الهولندية علاقات تجارية مع عمان والعديد من كبار التجار في مسقط.

العلاقات الدولية :

احرز السيد سلطان العديد من العلاقات الودية الخارجية بفضل سياسته بتوسيع نطاق التجارة مع بريطانيا وفرنسا وهولندا والعديد من الدول الاخرى المجاورة .. كما شهدت هذه الفترة عدم استقرار في العلاقات الدولية بين كل من الوهابيين والقواسم^(٥) ولكن استطاع السيد سلطان ان ينظم علاقاته الدولية مثل اسلافه من الحكام العمانيين^(٦) لضمان استقرار المنطقة وتسهيل عمليات الرواج التجاري.. وعموما استطاع السيد سلطان ان يوجد علاقات ودية بين الدولة العمانية وعدد من الدول الخارجية مثل الدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا وخاصة بعد وصول نابليون الى مصر كما ان السيد سعيد بن سلطان (١٨٠٤ - ١٨٥٦) بفضل اهتمامه بالنواحي التنظيمية والادارية قطع شوطا بعيدا في بناء الدولة الحديثة. ونظرا لاهمية تلك الفترة نحاول فيما يلي ان نلقي ببعض الاضواء على طبيعة البناء التنظيمي والاداري الذي شمل مجالات متعددة خلال حكم السيد سعيد بن سلطان وهي باختصار:

الناحية العسكرية : انعكست مظاهر اهتمام السيد سعيد بن سلطان على تنظيم اسطوله العسكري نتيجة لاستحداثه كثيرا من النظم الادارية والتنظيمية .. وكان يوزع اوقات وجوده بين كل من مسقط وبقيّة ممتلكات الامبراطورية العمانية في شرق افريقيا وكان حريصا على ان يدرّب ابنائه على فنون الادارة والحكم فكان دائما يترك لواحد منهم مقاليد الحكم اثناء سفره ، وكرس جزءا كبيرا من موارد الدولة لانشاء الاسطول العسكري والتجاري، ومن ناحية اخرى وبفضل عمليات التنظيم الاداري في فترات السلم كان يستخدم هذا الاسطول بالكامل في الامور التجارية، وقد بلغت قوته من الرجال بنحو عشرين الف مقاتل^(٧).

ناحية العدل والقضاء: شمل التنظيم الاداري للسيد سعيد ايضا نظاما متميزا في مجال العدل والقضاء فكان حريصا على اختيار الولاة سواء في عمان او الجزيرة الخضراء او زنجبار.. وقد بلغ عدد ولاته بالجزيرة الخضراء ثمانية ولاة اما القضاة فكان منهم سعيد بن حمد بن خلفان الحبسي وسيف المعولي وسعيد بن عبدالله بن عبدالسلام .. اما في زنجبار فكان من اهم الولاة الذين عينهم السيد سعيد، هم سليمان بن حمد بن سعيد البوسعيد الذي حضر عملية المفاوضات بعد ذلك بين السيد برغش وبريطانيا وكان من اهم رجال السياسة والدولة من ناحية التنظيم والادارة واساليب الحكم، هذا بالإضافة الى ولاة زنجبار من امثال ناصر بن حمد بن سعيد البوسعيد ثم حمد بن سيف بن بدر البوسعيد^(٨).

الناحية التجارية والاقتصادية : استطاع السيد سعيد بن سلطان ان يوزع المراكز التجارية للدولة العمانية وان يعيد تنظيمها، ولم يكرسها فقط في مدينة مسقط ولكنها احتفظت باهميتها التجارية الرئيسية في منطقة الخليج.. فمنذ عام ١٨٢٠ اعطى السلطان سعيد اهتماما كبيرا الى زنجبار واتخذ منها مركزا لحكم الشق الافريقي من الامبراطورية العمانية واستطاعت هذه المنطقة ان تجني ثمار هذا الاهتمام خاصة

بعد ان استحدثت محاصيل زراعية جديدة لم تكن معروفة من قبل مثل القرنفل وجوز الهند وبصفة عامة أصبح ميناء زنجبار ميناء تجاريا مفتوحا للتجارة العالمية تحت السيادة العمانية ومكان جذب لكثير من التجار الهنود والبريطانيين والامريكيين ومن ناحية اخرى لقد ساهم ذلك الرواج الاقتصادي لزنجبار في زيادة موارد الامبراطورية العمانية الى ضعف ما كانت توفره الاراضي العمانية الاسيوية.

وبصفة عامة ساهمت حدود الدولة العمانية الواسعة في استغلال الموارد المالية التي كانت تقوم اساسا على التجارة.. وأشارت بعض التقديرات الى ان دخل الدولة العمانية بلغ عام ١٨٤٠ حوالي ٦١٠ آلاف ريال نمساوي (او ما يوازي ١٢٠ الف جنيه استرليني) كما ساهمت موارد اخرى في زيادة موارد الدولة الاقتصادية التي كانت تتوفر بصورة منتظمة مثل الضرائب الجمركية والايارات والارباح التجارية وغيرها، علاوة على ذلك مبيعات محصول القرنفل التي كان يملكها السلطان في زنجبار والتي قدرت بمبلغ ٢٠٠ الف ريال نمساوي ويمثل هذا المبلغ الاخير نحو ثلثي الدخل الاجمالي للدولة^(٩).

العلاقات الدولية : لقد تصدت الدولة العمانية لعدد من الاضطرابات الداخلية والخارجية خلال عهد السيد سعيد ولكن تميز نظام الحكم الاداري للدولة العمانية بطابع التحديث والترقي.. استطاع عن طريقه ان يحافظ السيد سعيد على ممتلكاته الدولية بواسطة دبلوماسيته المعهودة واستغلال الامكانات الاقتصادية لتأمين سلامة الدولة .. كما اظهر السيد سعيد تعاونا مع البريطانيين اتسم غالبية بالطابع التجاري السلمي وتعاون معهم في محاربة تجارة الرقيق^(١٠) وخلال عهد السيد سعيد ابرمت الكثير من الاتفاقيات الدولية مع الهند والولايات المتحدة، عام ١٨٢٣ وبريطانيا ١٨٢٩ وفرنسا ١٨٤٤^(١١) وتجيء اهمية هذه الاتفاقيات من ناحية تركيزها على التنظيم التجاري والعلاقات الودية بين الدولة العمانية وهذه الدول .. كما تعكس ايضا مظاهر اهتمام الدولة بتحسين مواردها الاقتصادية والتجارية وزيادة حركة الموانئ التجارية والعائد الاقتصادي لها.

وبصفة عامة ، نستطيع القول ان هناك بعض العوامل التي ظهرت خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر وشهدتها الدولة العمانية واحداث نوعا من الازدهار الاقتصادي والتجاري والعسكري نتيجة لاهتمام حكام الدولة البوسعيدية وتطوير البناء الاداري والتنظيمي وتأمين ممتلكات الدولة الواسعة ومن اهم هذه العوامل:

أولا: تنظيم الاسطول التجاري والعسكري العماني، وزيادة نشاط حركة الملاحة البحرية وتأمين الطرق التجارية في المحيط الهندي حتى سواحل اندونيسيا شرقا والساحل الشرقي لافريقيا غربا.

ثانيا: المساهمة الايجابية للطبقة التجارية العمانية وتنظيمها للحركة التجارية والاقتصادية للدولة العمانية، والاستفادة من ظهور الركود الاقتصادي في الموانئ الايرانية والخليجية الاخرى، وظهور مسقط واعتبارها الميناء التجاري الهام في منطقة الخليج.

ثالثا : زيادة الموارد المالية بواسطة حكام الدولة البوسعيدية وخاصة تنشيط الموارد التجارية والاقتصادية^(١٢).

فبالرغم من تقسيم الامبراطورية العمانية بعد وفاة السيد سعيد الى قسمين

اساسيين جزء آسيوي وآخر افريقي (زنجبار) الا ان اهتمامات الحكام البوسعيديين استمرت وكانت ذات تاثير قوي على الحياة الاجتماعية والاقتصادية وخاصة تحت حكم السيد ماجد (١٨٥٦ - ١٨٧٠) والسيد برغش (١٨٧٠ - ١٨٨٨).

ولقد حدث العديد من التغيرات التي شهدتها الدولة العمانية منذ بداية السبعينات من القرن التاسع عشر وحتى بداية العشرينات من القرن الحالي وساهمت في تحديد طبيعة البناء الاداري للدولة وخاصة تحت حكم السلطان تركي وابنه السلطان فيصل.. فلقد استحدث السلطان السيد تركي بن سعيد العديد من النظم الادارية التي نظم بها الجهاز الاداري للدولة واعتبرها بعض المحللين اعادة تنظيم للمؤسسات الادارية والمالية نظرا لسعي السلطان بأن يجمع ما بين النظم التقليدية الموجودة والاساليب الادارية الحديثة ولقد ساهم في ذلك عاملان اساسيان هما:

أولا: سعى السلطان السيد تركي لتحسين الجهاز الاداري والحكومي لتحقيق الاستقرار الداخلي للدولة العمانية.

ثانيا: تعزيز نفوذه وسيادة الدولة العمانية امام القوى الاوروبية المتصارعة على منطقة الخليج ومن اهم الملامح والسمات التي شهدتها التنظيم الاداري للدولة في عهد السلطان تركي هي^(١٢):

(١) - الشخصية القيادية للسلطان .. توصف شخصية السلطان تركي بأنها كانت شخصية تتمتع بكفاءة مميزة وذات حماس مستمر مما جعله قادرا على السيطرة على مقاليد الامور في البلاد.

وفي نفس الوقت حرص على مشاركة مسؤولية الحكم مع العديد من كبار افراد العائلة الحاكمة والاستعانة ببعض الاعيان وشيوخ ورؤساء القبائل ورجال اعمال مسقط البارزين.. الا ان ذلك لم يمنعه ايضا من اعتماده على بعض المستشارين الاجانب في مجالات الخبرة الحديثة.

(٢) - الوزير والوزراء .. تعتبر هذه الوظيفة من الوظائف الادارية والسياسية الهامة، وخاصة ان الوزير كان يعتبر المساعد الاول للسلطان وغالبا ما يشغل هذا المنصب احد افراد الاسرة البوسعيدية ممن كان يتمتع بشخصية قوية من امثال السيد عبدالعزيز بن سعيد.

(٣) - المستشارون الخصوصيون.. شغل هذا المنصب الهام الولاة وقادة الجيش وحظي اصحاب هذا المنصب بمكانة عالية لدى السلطان تركي نتيجة لكفاءتهم الادارية والتنظيمية مثلما حدث لمكانة سليمان بن سويلم الذي عمل واليا لصور وظفار.

(٤) - الولاة.. اتسمت حكومة السلطان السيد تركي بأنها استحدثت الطابع المركزي في العديد من ادارات الحكم وتنظيماته المختلفة وان كانت قد جمعت الادارات الاقليمية للدولة على النمط المركزي واللامركزي في نفس الوقت والذي يتمثل في نظام الولاة.. ففي المناطق الساحلية كان يتم تعيين الولاة عن طريق السلطان وكانوا يتمتعون بصلاحيات واسعة من اجل تنفيذ كافة المراسيم والوامر السلطانية في كافة المجالات الادارية والعسكرية والمالية وكان مركز الولاة يتحدد حسب المنطقة الجغرافية وكان من اكثرها اهمية حسب الترتيب، مسقط ومطرح وصحار وظفار وسمائل.. ولقد كان من اصعب وظائف الولاة منصب والي صحار



عملة مضمونة في
مسقط في عهد
السلطان السيد
فيصل بن تركي عام
١٢٩٧هـ - ١٢٩٧م

نظرا لانه يعمل تحت اشرافه ولاة مساعدون من مناطق اخرى تابعة له مثل صحم ولوى وشناص.. كما كان الوالي ايضا يشرف على المسؤولين في المناطق الاستراتيجية والممرات الداخلية الجبلية.. اما في المناطق الريفية فقد كانت تحدد الوظيفة للوالي حسب اهمية المنطقة.. وفي كثير من الاحيان كان السلطان يختار ولاته من ذوي الكفاءات الادارية بصفة عامة للاشراف على الادارات الحكومية بالدولة.

ومن اهم الادارات الحكومية التي كانت تشكل بقية البناء التنظيمي الاداري للدولة هي ..

- ادارة القضاء والعدل.. وكان يتولى اعمالها رجال السلطان وقضاته وكان السلطان يشرف بنفسه على القضايا الكبرى والجنائيات .. اما بقية الجرائم الصغرى فيترك فيها الحكم للولاة عن طريق القضاة ولم تكن تتوافر هيئات المحاكم او قانون مكتوب حيث ان القانون الاساسي هو الرجوع الى القرآن الكريم وحسب ما تقتضيه نظم الشريعة الاسلامية.. وعموما في القضايا المعقدة والكبرى والاختلافات القبلية كان يحرص السلطان على ان يتولى الفصل فيها.

- ادارة شؤون المالية.. كان السلطان يستعين لادارة هذه الدائرة بالولاة ويعاونهم العديد من الموظفين الحكوميين وفئة التجار ورجال الاعمال ومن اهم الموارد المالية للدولة الحصيلة الجمركية على الواردات وقد وصل دخل الجمارك ١١٠ آلاف ريال نمساوي في العام واستمر هذا الدخل خلال فترة السلطان تركي من ميناء مسقط ومطرح.. كما سعى السلطان لانشاء دوائر جمركية اخرى في ميناء صور.. اما دخل ميناء جوادر فقد قدر بنحو ٢٠ - ٣٠ الف ريال نمساوي في العام.. كما كانت تنظم دائرة الشؤون المالية جباية الزكاة على الحاصلات الزراعية المصدرة للخارج وقدرت في عام ١٩٠٠ بنحو ٦٢ الف ريال نمساوي، هذا بالإضافة لضريبة الزكاة وبيت المال التي كانت تحصل من اجارات الاراضي والمباني والعقارات الحكومية، ومن ناحية اخرى كانت تسهم المساعدات من زنجبار في زيادة موارد الدولة المالية.

- ادارة الجيش وشؤون الامن.. كثيرا ما كان يشرف السلطان تركي على عمليات الاعداد والتنظيم للجيش والعمليات العسكرية يعاونه في ذلك كبار مساعدين وولاته، ورجال الحاشية الادارية وبصفة عامة كان لا يوجد فصل بين التنظيمات الادارية المدنية والعسكرية.. وعموما كان الجيش النظامي يتكون من اكثر من الف رجل موزعين على الحاميات العسكرية كما كانت تتولى القبائل حماية ورعاية الحاميات في المناطق الداخلية.. ولكن لم يحاول السلطان ان يجدد كثيرا في الاسطول البحري العماني الذي تأثر كثيرا نتيجة تقسيم الامبراطورية العمانية وان كان قد اهدى بعض افراد الاسرة الحاكمة في زنجبار بعض السفن واليخوت لتعزيز الاسطول العماني البحري.

تدل الحقائق التاريخية ان السلطان السيد تيمور بن فيصل ورث العديد من المشكلات المالية والاقتصادية عقب وفاة السلطان السيد فيصل بن تركي بالإضافة للجو المتوتر في العلاقات العمانية البريطانية والاضطرابات الداخلية، وساهمت تلك الظروف مجتمعة في تشكيل نوعية التنظيم الاداري للدولة العمانية في منطقة الساحل، ولكن في نفس الوقت لم تمنع تلك الظروف ايضا من ادخال بعض التعديلات والمحاولات من قبل السلطان لتطوير الجهاز الاداري للدولة حتى

تستطيع الادارات الحكومية مواجهة الازمات المتلاحقة.. وفي الواقع لقد شهدت الفترة ما بين ١٩١٣ - ١٩٢٠م عدم استقرار في الاوضاع الداخلية مما اثر على انشغال السلطان تيمور في تهديتها، كما شهدت تلك الفترة ايضا نوعا من التوتر المالي الاقتصادي نتيجة لتغير اسعار النقد العالمي والحرب العالمية الاولى.. ولكن السلطان سعى الى استقرار الوضع الداخلي للبلاد.. وفي عهد السلطان السيد تيمور بن فيصل تم التوقيع سنة ١٩٢٠ على اتفاقية السبب بين الشيخ عيسى بن صالح الحارثي ممثلا للامام وبين السيد تيمور بن فيصل^(١٤).

ومع بداية العشرينات سعى السلطان السيد تيمور في تدعيم الموقف المالي لمسقط وتطوير الادارات الحكومية ورفع كفاءتها وبالرغم من احتفاظها بكثير من سماتها التقليدية الادارية السابقة الا انه عين بعض الكفاءات الادارية الاوروبية والمصرية والهندية الى جانب الكفاءات العمانية ايضا، وان كان ذلك لم يمنع في نفس الوقت من زيادة النفوذ البريطاني وخاصة في مجال تأثير مستشاريه في الاساليب والسياسات الادارية والتنظيمية للدولة.. وعلى اية حال نحاول فيما يلي ان نشير بايجاز الى اهم الملامح الادارية والتنظيمية التي تبنها السلطان تيمور منذ بداية العشرينات وهي^(١٥):

(١) - مجال السلطة التنفيذية والادارية العليا.. في اطار تطوير السلطان تيمور للجهاز الاداري للدولة حرص ان يشكل مجلسا من القيادات التنفيذية العليا من العمانيين، ففي عام ١٩٢١م شكل السلطان مجلسا وزاريا يضم اربعة وزراء للمالية والعدل والاوقاف وبرئاسة شقيقه السيد نادر بن فيصل.

وحرص السلطان السيد تيمور ان يحضر اجتماعات مجلس الوزراء بصفة مستمرة لاتخاذ القرارات التنفيذية والسياسية والادارية (الهامة) لمواجهة التحديات المالية والاقتصادية والامنية والخارجية.. وفي عام ١٩٢٩ تولى السيد سعيد بن تيمور رئاسة مجلس الوزراء وكانت البداية الاولى للاعداد لممارسة الحكم وادارة شؤون البلاد التي طالما رغب السلطان تيمور ان يتركها له مع بداية الثلاثينات.

(٢) - مجال الشؤون المالية والاقتصادية.. مع بداية العشرينات وضع السلطان السيد تيمور ميزانية مالية سليمة، ظلت بدون اي عجز مالي منذ عام ١٩٢٣م خاصة بعد ان اعلن السلطان حالة من التقشف الاقتصادي في الدولة لمواجهة الازمات المالية والاقتصادية التي كانت تتوالى بصفة مستمرة خلال تلك الفترة التاريخية.. وعين بعد ذلك ثلاثة من المصريين لادارة نظام الجمارك في مسقط واعادة تنظيم من الناحية الادارية والتنظيمية لتحسين مستويات الدخل للميناء في حين شغل منصب الوزير المالي الايرلندي رونالد مالكولم.

وقد تأثرت الظروف المالية بالظروف الخارجية فبعد نهاية الحرب العالمية الاولى حدث نوع من الانتعاش الاقتصادي الى حد ما ونتيجة لجهود السلطان السيد تيمور استطاع ان يحرز المزيد من التقدم لمواجهة الازمات المالية ولكن لم تدم تلك الفترة طويلا نظرا لتعرض البلاد لازمة مالية نتيجة للازمة العالمية التي ظهرت في بداية الثلاثينات وتشير بعض التقديرات الاحصائية عن قيمة تجارة عمان في بداية العشرينات ١٩١٩ / ١٩٢٠ كانت تقدر بنصف مليون جنيه استرليني وبالتحديد (٥٧٥,٦٠٣) جنيه استرليني.. ولكن ارتفع ذلك الرقم الى (٦٢٧,٨١٧) جنيها

استرليني في عام ١٩٢٥/١٩٢٦.. وما لبث ان انخفض الى (٤٧٤,٢٠٢) جنيهات استرلينية في العام التالي مباشرة ووصل الى (٣٦٤,٩٠٥) جنيهات استرلينية في عام ١٩٣٣/١٩٣٤ ولكنه ارتفع مرة أخرى الى ٤٠٠ الف جنيه استرليني بعد زوال نتائج الازمات الاقتصادية العالمية في الثلاثينات^(١٦).

ومن اهم الاحداث التي ظهرت بعد تولي السلطان السيد سعيد بن تيمور الحكم هي اعادة توحيد البلاد العمانية بعد انهيار الامامة عام ١٩٥٥، كما اثرت الاوضاع الاقتصادية التي شهدتها عمان، منذ بداية الثلاثينات وقلة الموارد المالية، نتيجة لفترات عدم الاستقرار الداخلي وعدم تجديد الاسطول البحري والعسكري العماني حتى يتلاءم مع طبيعة التكنولوجيا في عالم المواصلات وظهور السفن البخارية، والازمات النقدية المتتالية، وغير ذلك من الظروف الخارجية والعلاقات الدولية المتوترة في المنطقة وخاصة صراع الدول الغربية على بسط نفوذها على الخليج. وعموما ساهمت كل تلك العوامل بالطبع في ضعف طبيعة الجهاز الاداري والتنظيمي للدولة، ولم يعد قادرا على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية وتنظيم الشؤون الادارية والمالية للدولة، مما افقدها الكثير من مواردها المالية الاقتصادية ونحاول فيما يلي ان نشير الى نوعية التنظيم الاداري للدولة خلال عهد السلطان سعيد بن تيمور في ضوء الظروف الاقتصادية والاجتماعية وذلك بصورة موجزة^(١٧):



عملة مصرية في عهد السلطان السيد سعيد بن تيمور.

(١) - الجهاز الاداري والتنفيذي.. ظل الوضع الاداري ونوعية البناء التنظيمي للسلطنة على ما هو عليه منذ بداية العشرينات، واستعين ببعض المستشارين الاجانب في ادارة شؤون البلاد ولكن تقلد منصب نظارة الشؤون الداخلية السيد احمد بن ابراهيم وهذه هي النظارة الوحيدة التي كانت توجد في البلاد قبل عام ١٩٧٠م وعاونته في شؤون الادارة بعض الكوادر الادارية والمهنيين.. وبصفة عامة ظل السلطان سعيد لفترات طويلة في صلالة وبقي السيد احمد باعتباره الوزير المسؤول عن القيام بكل مهام السلطة ويساعده في ذلك الولاة.. اما نظام الرقابة الادارية التي كانت توجد في المناطق الداخلية فكانت متروكة لشيوخ ورؤساء القبائل وكانت مسؤولياتهم تحت اشراف السلطان من خلال الولاة.

(٢) - مجال ادارة الشؤون الاقتصادية والتجارية.. لقد عاشت البلاد في اوضاع اقتصادية ضعيفة نتيجة للازمات الاقتصادية المالية المتوارثة منذ اواخر القرن الماضي.. ولكن بدأت بعد منتصف الثلاثينات عمليات التنقيب عن البترول وتم اكتشافه بكميات تجارية ١٩٦٣م وانشئت شركة تنمية نفط عمان عام ١٩٦٤م وتم بالفعل تصدير اول شحنة عام ١٩٦٧م ولكن قبل ذلك تدل بعض المؤشرات الاقتصادية على ان تجارة مسقط كانت ضعيفة للغاية في بداية الستينات ومثلت جملة الواردات ٣,٧ مليون جنيه استرليني في حين بلغت الصادرات ٧٠٠ الف جنيه استرليني.. كما ظهرت بعض القوانين التي حدثت من حركة النشاط التجاري بين المناطق الساحلية

والداخلية في السلطنة وكانت لها نتائج سلبية على حجم التجارة كما ارتفعت الضرائب الجمركية حتى وصلت في بعض الاحيان الى ٣٠٠٪ مما اعاق الكثير من عمليات النشاط التجاري.

(٣) - ادارة التنمية.. انشئت ادارة التنمية عام ١٩٥٩م لتشرف على ثلاثة قطاعات وهي الصحة والزراعة والاشغال العامة بالإضافة الى الخدمات الاجتماعية.. ففي مجال الصحة انشئت بعض العيادات والمستشفيات، وكان انسبها مستشفى البعثة الامريكية في مطرح.. وفي المجال الزراعي، انشئت مزرعتان تجريبيتان فقط في كل من نزوى وصحار، ولكن لم تكن لهما نتائج ايجابية بسبب ضعف الامكانيات المادية.. وفي مجال التعليم وقبل عام ١٩٧٠م بلغ عدد المدارس ثلاثا فقط، وان كانت اول مدرسة انشئت في السلطنة في عام ١٩١٤م وانشئت الثانية عام ١٩٤٠م واسمها المدرسة السعيدية وفي عام ١٩٥٩م انشئت اخرى بنفس الاسم.. كما انشئت بعد ذلك المساكن الادارية وعدد من المشروعات الصغيرة الحجم في مجال الكهرباء ومياه الشرب.

(٤) - المجال العسكري.. سعى السلطان السيد سعيد بن تيمور الى تطوير الجيش من الناحية الادارية والتنظيمية وخاصة في اواخر الستينات لمواجهة الظروف الداخلية وبدأت عمليات تزويد الجيش بالخبراء والمتخصصين للتدريب ورفع قدراته القتالية والنظامية وانشئت بعض فرق الجيش كنواة لقوات عمان البرية وقوات السلطان المسلحة.

(٥) - مجال العلاقات الدولية.. اتسع نظام العلاقات الدولية في اواخر عهد السلطان سعيد بن تيمور بالمقارنة بفترات سابقة.. فكانت توجد علاقات مع بريطانيا والهند وايضا مع بعض الدول الاخرى وهي فرنسا والمانيا الاتحادية وبدا في تطوير معاهدة الصداقة بين السلطنة والولايات المتحدة في عام ١٩٥٨م لتحل محل معاهدة عام ١٨٣٣م ولكن لم يوجد تبادل في العلاقات مع العديد من الدول العربية، فلم تدخل السلطنة جامعة الدول العربية الا في عام ١٩٧١م وايضا لم تمثل تماما في هيئة الامم المتحدة الا في اكتوبر من نفس العام بفضل جهود حكومة جلالة السلطان قابوس وبداية العهد الجديد في البلاد.

وعموما، تلك اهم ملامح البناء التنظيمي والاداري لسلطنة عمان في عهد السلطان السيد سعيد، والذي يعكس طبيعة الظروف والوضاع الاجتماعية والاقتصادية والتجارية الداخلية والخارجية..

هوامش الباب الخامس

●● الفصل الأول :

- (١) محمد مصطفى زيادة، مصر والحروب الصليبية.
- (٢) د/ محمود علي الدواد: تاريخ السيادة العمانية في المحيط الهندي، مجلة كلية الآداب، عدد ٥، نيسان ١٩٦٢، ص ٦٦٠.
- (٣) محمد رشيد عباس، التطورات السياسية في عمان وعلاقاتها التاريخية، رسالة ماجستير (بغداد، ١٩٨٨)، ص ١٤.
- (٤) مهنا محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٨٣٠ (بغداد - ١٩٧٦) ص ٢١ - ٢٣.
- (٥) عبدالامير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي (بغداد - ١٩٦٦)، ص ٥.
- (٦) سيد نوفل، الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي، وجنوب الجزيرة، الطبعة الثانية، معهد الدراسات العربية العالي، القاهرة، ١٩٦١، ص ٤٢.
- (٧) سيد نوفل، المرجع السابق.

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث

- (٨) عبدالله صالح المطوع ، عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان، مخطوطة، ورقة ١٧، ١٨ .
- (٩) محمد عبدالله السالمي، عمان تاريخ يتكلم (دمشق ١٩٦٣)، ص ١٩١ .
- (١٠) د / صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨ - ١٨١٠ ، بغداد - ١٩٧٩ - ص ٧-٨ .
- (١١) د / محمود علي الداود، المصدر السابق، ص ٢٦٠ .
- (١٢) العابد، صالح محمد دور القواسم، ص ٢٤ - ٢٦ .
- (١٣) ن.م، ص ٢٧ .
- (١٤) امين عبدالامير محمد، المصدر السابق، ص ٥ .
- (١٥) العابد، صالح محمد دور القواسم، ص ٢٨ .
- (١٦) Encyclopedia Britannica, London, 1987, Vol. 15, p. 98.
- (١٧) Abdul Amir Amin, British interests in the "Persian Gulf" (Leiden, 1967) p. 14.
- (١٨) حميد بن محمد بن رزيق : الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، تحقيق عبدالمعزم عامر مري، ص ٢٥٠ .
- (١٩) حميد بن محمد بن رزيق : الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، تحقيق عبدالمعزم عامر، د / محمد مري، من مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان ١٩٧٧، ص ٢٥٠ .
- (٢٠) سرحان بن سعيد الازكوي : تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف اللغة الجامع لخبار الامة، تحقيق عبدالمجيد القيسي، مطبوعات وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ١٩٨٠، ص ٧٥ - ٧٦ .
- (٢١) ميثاب منطقة ذات اهمية تقع على الساحل الاثري عند مدخل الخليج، لوريبر دليل الخليج القسم الجغرافي ج ٤، ص ١٥٦٦ .
- (٢٢) سرحان بن سعيد الازكوي : مصدر سبق ذكره، ص ٩٨ - ٩٩، عائشة السيار : دولة البعاريه، ص ٤٦، دار القدس، لبنان.
- (٢٣) ابن رزيق : مصدر سبق ذكره، ص ٢٦٣، الازكوي : مصدر سبق ذكره ص ٩٩ .
- (٢٤) ١٠٣٤ هـ / ١٦٢٤ م.
- (٢٥) سرحان بن محمد بن رزيق : مصدر سبق ذكره، ص ٢٤٦، جمال زكريا قاسم : مرجع سبق ذكره، ص ١٢٩، عائشة السيار، مرجع سبق ذكره، ص ٤٩ .
- (٢٦) نور الدين السالمي . مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٥، سرحان بن سعيد الازكوي : ص ٩٨ - ٩٩ .
- (٢٧) نور الدين السالمي : مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٥ .
- (٢٨) روبرت جبران لاند : عمان مسيرا ومصريا، ترجمة محمد امين عبدالله، ص ١٩ .
- (٢٩) نور الدين السالمي : مصدر سبق ذكره، ص ٦ - ٥ .
- (٣٠) نور الدين السالمي : المصدر السابق، ص ٦ - ٧، الازكوي : مصدر سبق ذكره، ص ١٠٠، عائشة السيار : ص ٢١ .
- (٣١) سرحان بن سعيد الازكوي : مصدر سبق ذكره، ص ١٠٠ .
- (٣٢) نفس المصدر السابق، نور الدين السالمي : مصدر سبق ذكره، ص ١٠١ .
- (٣٣) سرحان بن سعيد الازكوي : مصدر سبق ذكره، ص ١٠٢ - ١٠٣، السيابي : عمان عبر التاريخ، ج ٣، ص ٢٠١ .
- (٣٤) لوريبر : دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٢، ص ١٢٢ .
- (٣٥) S.B. Miles Countries and Tribes of the Persian Gulf vol. II p. 196 - 197.
- (٣٦) حميد بن محمد بن رزيق : الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٥، الازكوي : ص ١٠٦، السالمي : ج ٢، ص ١٢ - ١٢ .
- (٣٧) لقد نجح البرتغاليون في ابرام هدنة مع الانجليز عام ١٦٢٤م اقتضت في بدايتها على اعادة العلاقات بين مستعمرات الدولتين.
- (٣٨) د / صلاح العقاد : التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ٤٥، القاهرة ١٩٨٣ .
- (٣٩) سرحان بن سعيد الازكوي : مصدر سبق ذكره، ص ١٠٥ - ١٠٦، السيابي : مرجع سبق ذكره، ج ٣، ص ٢٠٧ .
- (٤٠) Kelly, J., Britain And The Persian Gulf p. 15, London 1968.
- (٤١) Miles op. cit. p. 218.
- (٤٢) مصطفى عقيل : التنافس الدولي في الخليج العربي، ١٦٢٢ - ١٧٦٣، ص ١٠٩ .
- (٤٣) د / جمال زكريا قاسم : الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص ١١٢ .
- (٤٤) نفس المرجع السابق.
- (٤٥) لوريبر : مصدر سبق ذكره، ج ٢، ص ٦٤ .
- (٤٦) Wilson A. The Persian Gulf, p. 194.
- (٤٧) فالح حنظل : الفصل في تاريخ الامارات العربية، ص ١٠٣ .
- (٤٨) اشهر الروايات تقول انه توفي في ١٥ ربيع الآخر ١٠٥٩هـ الموافق ٢٢ ابريل ١٦٤٩ .
- (٤٩) حميد بن محمد بن رزيق : الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، ص ٢٧٥ .
- (٥٠) لوريبر : مصدر سبق ذكره، ج ٢، القسم التاريخي، ص ٦٣٥ - ٦٦٦ .
- (٥١) د / جمال زكريا قاسم : الخليج العربي في عصر التوسع الاوروبي الاول، ص ١٠٦.
- (٥٢) Boxer C.R. Some aspects of the Struggle between The Omanis and The Portuguese 1650 - 1730 p. 27.
- (٥٣) د / طارق نافع الحمداني : دور عرب عمان في اقصاء البرتغاليين عن الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن السابع عشر، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، العدد ١٣، ص ٢٧٧ .
- (٥٤) عبدالله بن خلفان بن قبصي : سيرة الامام ناصر بن مرشد، تحقيق عبدالمجيد القيسي، ص ٤٦، الازكوي، ص ١٠٤ .
- (٥٥) د / طارق نافع الحمداني : مرجع سبق ذكره، ص ٢٧٩ .

- (٥٥) ابن رزيق : مرجع سبق ذكره ، ص ٢٨٤ .
 (٥٦) يمكن الرجوع الى تفاصيل هذا الهجوم من خلال قصة طريفة وردت في معظم كتب التراث العماني مثل ابن رزيق
 مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨٦ ، نور الدين السالمي ، ج ٢ ، ص ٦٥ .
 (٥٧) لوريير : مصدر سبق ذكره ، ج ٢ ، القسم التاريخي ، ص ٦٣٦ .
 (٥٨) ابن رزيق : مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩٠ .
 (٥٩) د/ طارق شافع الحمادي : دور عرب عمان في انقضاء البرتغاليين عن الخليج العربي خلال النصف الاول من القرن
 السابع عشر ، ص ٢٨١ .
 (٦٠) مصطفى عقيل : التيارات السياسية في الخليج العربي ، ١٦٢٢ - ١٧٦٢ ، ص ٢٤ .
 (٦١) لوريير : مصدر سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ٦٧ .
 (٦٢) مصطفى عقيل : مرجع سبق ذكره ، ص ١٢٥ .
 (٦٣) العابد ، صالح محمد : دور القواسم ، ص ٤٠ .
 (٦٤) د/ محمود علي الداود : المصدر السابق ، ص ٢٦١ ، هيفاء عبدالعزيز كريم : الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة
 العربية ، رسالة ماجستير ، ١٩٨٨ ، ص ١١٦ .
 (٦٥) د/ محمود علي الداود : المصدر السابق ، ص ٢٦١ .
 (٦٦) العابد ، صالح محمد : دور القواسم ، ص ٤٢ .
 (٦٧) كريم ، هيفاء عبدالعزيز ، المصدر السابق ، ص ١١٤ .
 (٦٨) السيار ، عائشة : المصدر السابق ، ص ١٢٢ .
 (٦٩) العابد ، صالح محمد : دور القواسم ، ص ٤٢ .
 (٧٠) كريم ، هيفاء عبدالعزيز : المصدر السابق ، ص ١١٦ .
 (٧١) جمال زكريا قاسم : الخليج العربي ، مرجع سبق ذكره ، ص ١١٧ .
 (٧٢) سعيد بن علي الغيري : جبهة الاخبار في تاريخ زنجبار ، ص ١٩٥ ، الطبعة الثانية ١٩٨٦ .
 (٧٣) عائشة السيار : مرجع سبق ذكره ، ص ٧٦ .
 (٧٤) عائشة السيار : مرجع سبق ذكره ، ص ٧٨ .
 (٧٥) جمال زكريا قاسم : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .
 (٧٦) ما ورد عن الائمة بلعرب بن سلطان وسيف بن سلطان وسلطان بن سيف الثاني هو استخلاص قام به سالم بن
 محمد العبري من المصادر التاريخية العمانية .
 (٧٧) ربما يقصد بناحية الشمال مدينة الرستاق ومنطقة الباطنة .
 (٧٨) تحفة الاعيان في سيرة اهل عمان ، ج ٢ ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٥ ، حميد بن رزيق : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠١ .
 (٧٩) الشيخ نور الدين السالمي : مصدر سبق ذكره ، ص ١١٥ ، ج ٢ .
 (٨٠) بفتح الهزئة أي في مواجهتهم ، بينما سمع العامة امامكم بالكسري خليفتمكم .
 (٨١) نور الدين السالمي : مصدر سبق ذكره ، ج ٢ ، ص ١١٧ .
 (٨٢) حميد بن محمد بن رزيق : مصدر سبق ذكره ، ص ٣٠٢ .
 (٨٣) سالم السبيعي : عمان عبر التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٠٢ - ١٠٤ .
 (٨٤) المرجع السابق ، ص ١٠٤ - ١٠٥ .
 (٨٥) محمد حسن قدوس : نادر نامه ، طهران ١٣٣٩ هـ ، ص ١٢٢ .
 (٨٦) مصطفى عقيل : التناقص الدولي في الخليج العربي ، ص ٢٧٧ .
 (٨٧) نور الدين السالمي : تحفة الاعيان ، ج ٢ ، ص ٩٨ .
 (٨٨) جمال زكريا قاسم : دولة البوسعيد ، ص ٤ .
 (٨٩) Lockhart, Laurence : Nader Shah, a critical study based mainly upon contemporary sources, London, 1938, p. 184.
 (٩٠) نور الدين السالمي : تحفة الاعيان ، ج ٢ ، ص ١٥٤ .
 (٩١) وندل فيليبس : تاريخ عمان ، ص ٧٧ .
 (٩٢) الازكوي : تاريخ عمان المقتضب من كشف الغمة ، ص ١٤٩ .
 (٩٣) سرحان بن سعد الازكوي : المرجع السابق ، ص ١٥١ .
 (٩٤) راجع التفاصيل في هذا الموضوع ، الفتح المبين ، ص ٣٤٤ ، وندل فيليبس : تاريخ عمان ، ص ٧٨ ، سرحان الازكوي :
 ص ١٥٢ .
 (٩٥) ابن رزيق : الفتح المبين في سيرة السادة البوسعديين ، ص ٣٥١ .

●● الفصل الثاني :

- (١) عبدالهادي التازي ، الصلات التاريخية بين المغرب وعمان ، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، ج ٣ ، ص ١٣١ .
 جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الاول ، ص ٩٦ .
 (٢) Miles: Countries Tribes of the Persian Gulf, p. 161.
 (٣) ب.ج. سلوت ، عرب الخليج ١٦٠٢ - ١٧٨٤ م ، ترجمة عابدة خوري ، من إصدارات دولة الامارات ، ص ١٤٦ .
 (٤) نفس المرجع السابق ، ص ١٧٤ ، ص ١٧٥ .
 (٥) Miles: op. cit. p. 221.
 (٦) ب.ج. سلوت ، عرب الخليج ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٧٨ .

- (٧) نفس المرجع السابق، ص ١٧٨.
- (٨) د. صلاح العقاد، د. جمال زكريا قاسم، زنجبار، مرجع سبق ذكره، ص ٣٩.
- (٩) Miles: *op. cit.*, p. 224.
- (١٠) ب. ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص ١٩٧، ص ١٩٩.
- (١١) نفس المرجع السابق، ص ١٩٦، ص ١٩٧.
- (١٢) يقال إن الوفاة حدثت ١٦٧٩ م بينما تذكر بعض المراجع أنها سنة ١٦٨٠ م.
- (١٣) ب. ج. سلوت، عرب الخليج، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٦.
- (١٤) حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المئين في سرية السادة اليوسعديين ص ٢٩٢، ص ٢٩٤.
- (١٥) د. عائشة السيار، مرجع سبق ذكره، ص ٦٨، ص ٦٩.
- (١٦) وكيل شركة الهند الشرقية البريطانية في إيران.
- (١٧) لوريير، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ١، ص ١٢٢.
- (١٨) ب. ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٧.
- (١٩) نفس المصدر، ص ١٢٦.
- (٢٠) لوريير، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ١١٦، ص ١١٧.
- (٢١) ب. ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٦.
- (٢٢) Guillain: tome, p. 320.
- (٢٣) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، سبق ذكره، ص ١١١.
- (٢٤) عبدالفتاح إبراهيم، على طريق الهند، بغداد، ١٩٣٥ م، ص ٣٠.
- جمال زكريا، المرجع السابق، ص ١١٤.
- Morrier, James: A Journey through Persia, Armenia and Asia Minor to Constantinople, 1809, p. 375.
- (٢٥) Guillani: *op. cit.*, tome 11, p. 528.
- (٢٦) د. جمال زكريا، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، مرجع سبق ذكره، ص ١١٤.
- (٢٨) نفس المرجع السابق، ص ١١٤ - ص ١١٥.
- (٢٩) د. جمال زكريا، د. صلاح العقاد، زنجبار، مرجع سبق ذكره، ص ٣١.
- (٣٠) Miles: *On the border of Great Desert, A Journey in Oman*, p. 161.
- (٣١) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص ١١٥.
- (٣٢) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي، مرجع سبق ذكره، ص ١١٦، ص ١١٧.
- Miles, vol. 11, London, 1919, p. 150.
- (٣٣) د. جمال زكريا، المرجع السابق، ص ١١٨.
- (٣٤) ب. ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٤.
- (٣٥) د. جمال زكريا، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص ١١٨.
- (٣٦) ب. ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص ٢٢٧.
- Alexander Hamilton: *A New Account of East India*, vol. 1, p. 57.
- Skeet, John: *Muscat and Oman, The end of an Era*, London, p. 65.
- Kajare, Firouz: *Le Sultan de Oman*, p. 165 - 167.
- Skeet, John: *Muscat and the Oman, the end of an Era*, London, 1974, p. 65.
- (٤١) ج. لوريير، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ١، ص ١١١.
- (٤٢) د. عائشة السيار، دولة البعارة في عمان وشرق إفريقيا، ١٦٢٤ - ١٧٤١، ص ١٧٠.
- (٤٣) فالح حنظل، المفصل في تاريخ الإمارات العربية، ج ١، ص ٩٨.
- د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص ١١١.
- (٤٤) د. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص ١١١.
- (٤٥) نفس المرجع السابق.
- Boxer, C., *New light on the relationship of Oman and the Portuguese. 1650- 1730*.
- (٤٦) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، مرجع سبق ذكره، ص ١١٢.
- (٤٨) لوريير، دليل الخليج القسم التاريخي، ج ١، ص ١١١.
- (٤٩) لوريير، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧.
- (٥٠) نفس المصدر، ص ٢٧.
- (٥١) د. عائشة السيار، دولة البعارة، مرجع سبق ذكره، ص ١٧٦.
- (٥٢) لوريير، مصدر سبق ذكره، ج ١، ص ٦٧.
- (٥٣) نفس المصدر السابق، ص ٦٧.
- (٥٤) نفس المصدر السابق، ص ٦٨، نقلا عن
- أسيا البرتغالية، المجلد الثالث، ص ٢٨٢، ترجمة ستيفنسن لكتاب فرياي سوما.
- Sadanaha, *State Papers op. cit.*, p. 524 Miles: *op. cit.*, p. 212.
- (٥٥) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص ١١٥.
- (٥٧) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، مرجع سبق ذكره، ص ١١٦، ص ١١٧.
- (٥٨) London 1919, p. 150. Miles, Samuel: *The Countries and Tribes of the Persian Gulf*.
- (٥٩) نفس المرجع السابق، ص ١١٨.

- (٦٠) كانت أهمية مسقط التجارية والاستراتيجية تتضاعف يوماً بعد يوم لكنها لم تكن قد اتخذت بعد عاصمة لعُمان.
(٦١) د. جمال حمدان، شخصية مصر، المجلد الثاني، القاهرة، ١٩٨١، ص. ٦٩٠، ص. ٦٩١.
(٦٢) Ingrams, H. *Arabia and the Isles*, London, 1960, p. 3-4.
(٦٣) د. جمال زكريا قاسم، الأسطول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، القاهرة، ١٩٧٥، ص. ٦١.
(٦٤) نفس المرجع السابق، ص. ٦٢.
(٦٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص. ٢٩، ص. ٣٢.
(٦٦) بازل دافيدسون، أفريقيا تحت أضواء جديدة، ترجمة جمال حمد، بيروت، ١٩٦٥، ص. ٢٦٤، ص. ٢٦٥.
(٦٧) حيث تشير بعض المصادر إلى أنه تولى الإمامة ١٦٤٩ وفي مصادر أخرى ١٦٥٠.
(٦٨) Krapf, Lewis: *Travels, Research and Missionary Labours during an Eighteen Years Residence in Eastern Africa*, London, 1860, p. 522.
(٦٩) د. عائشة السيار، دولة البعارة، مرجع سبق ذكره، ص. ٩٥.
(٧٠) د. جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، مرجع سبق ذكره، ص. ١٠٩.
(٧١) Hofer, M.F. *L'Univers, Histoire Et Description de tous les peuples Afrique Orientale et Centrale*, Paris, 1848, pp. 163 - 166.
(٧٢) د. عائشة السيار، مرجع سبق ذكره، ص. ٩٧.
(٧٣) د. جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية، ص. ١١٠.
(٧٤) عبدالرحمن بدوي، أفريقيا والثقافة العربية عدد ٤٨، مجلة نهضة أفريقيا، السنة الرابعة، أكتوبر ١٩٦١م.
(٧٥) د. جمال زكريا قاسم، جذور التاريخ للعلاقات العربية الإفريقية، ص. ١١٢.
(٧٦) Coupland, R. *East Africa and its Invaders from the Earliest times to the Death of Sayyid Said in 1856*, pp. 17 - 22.
(٧٧) بازل دافيدسون، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٦٥.

●● الفصل الثالث :

- Lockhart, I. *Nadir Shah, A critical study based only upon contemporary Sources*, p. (١) 182, London, 1938.
(٢) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص. ٤٢.
(٣) ب.ج. سلوت، عرب الخليج، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٩١.
(٤) د. جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص. ١٢٩.
(٥) ب.ج. سلوت، عرب الخليج، ص. ١٩٢.
(٦) نفس المرجع السابق، ص. ٢٩٢.
(٧) د. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي الأول، ص. ١٤٠، فالح حفظل، مرجع سبق ذكره، ص. ١٧٦.
(٨) حميد بن محمد رزيق الفتح الميبي في سيرة السادة البوسعيديين، ص. ٣٤٨.
(٩) ب.ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٩٥.
(١٠) يمدنا ابن رزيق أن الحيلة التي دبرها سيف بن سلطان كادت أن تنتج لولا ما لقيه أحمد بن سعيد من تحذيرات ابن رزيق وقد اكتشف أحمد بن سعيد المؤامرة لذا فقد حرص على رد الجميل لابن رزيق وذريته من بعده.
(١١) سالم بن حمود السايبي، ج ٢، ص. ٤٨.
(١٢) د. جمال زكريا قاسم، مرجع سبق ذكره، ص. ١٤٢.
(١٣) فالح حفظل، الفصل في تاريخ الإمارات العربية، ج ١ ص ١٧٨ - ص ١٧٩.
(١٤) السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج ٢، ص. ١٤٨، ص. ١٤٩.
(١٥) ب.ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٢٢.
(١٦) سرحان بن سعيد الأزكوي، تاريخ عمان المقتضب من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبدالجيد القبيسي، ص. ١٥٥.
(١٧) د. محمود علي الداود، محاضرات في التطور السياسي لقضية عمان، القاهرة ١٩٦٤، ص. ٢١ - ص. ٢٣.
(١٨) ابن رزيق، الفتح الميبي في سيرة السادة البوسعيديين، ص. ٣٢٠.
(١٩) دونالد هولي، عمان ونهضتها الحديثة، ترجمة فؤاد حداد وعادل صلاحي، بدون تاريخ، ص. ٤٤.
(٢٠) د. علاء الدين نورس، السياسة الإيرانية في الخليج العربي في عهد كريم خان ١٧٥٧ - ١٧٧٩، بغداد، ١٩٨٢، ص. ٥٦.
(٢١) ب.ج. سلوت، مرجع سبق ذكره، ص. ٢٢٤.
(٢٢) نفس المرجع السابق، ص. ٢٢٤.
(٢٣) جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠م، ج ١، ص. ٢١، ص. ٢٢.
(٢٤) Marine Records: vol. 891, August 15, p. 178.
(٢٥) جمال زكريا قاسم، المرجع السابق، ص. ٢٠٨.
(٢٦) وندل فيليبس، تاريخ عُمان، مترجم، (مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٩) ص. ٧٩.
(٢٧) المرجع السابق، ص. ٧٩، انظر أيضاً، جمال زكريا قاسم، دولة البوسعيدي في عمان وشرق أفريقيا ١٧٤١ - ١٨٦١ (القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٦٧).
(٢٨) صادق عديوني، الدولة العمانية... نشأتها وازدهارها، حصاد ندوة الدراسات العمانية، مسقط سنة ١٩٨٠، ص. ٦٩.

- (٢٩) نذل فيليس: المرجع السابق، ص ٨٠.
- (٣٠) محمد مرسى عبدالله: أمارات الساحل، (١٧٩٣ - ١٨١٨)، ج ١، (القاهرة، المكتب المصري الحديث، ١٩٧٨)، ص ٨٧.
- (٣١) لقد سعت فارس وخصوصاً في عهد نادر شاه إلى إنشاء أسطول بحري مميز، انظر لذلك Lockhart L. The Navy of Nadir Shah, *Proceedings of the Iranian Society*, vol 1, London, 1936.
- (٣٢) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص ١١٨.
- (٣٣) المرجع السابق، ص ١١٨.
- (٣٤) المرجع السابق، ص ١١٩.
- (٣٥) انظر مصطفى عقيل الخطيب: التنافس الدولي في الخليج العربي (١٦٢٢ - ١٧٦٢)، بيروت، المكتبة المصرية، (١٩٨١)، ص ٢٧١، وكذلك.
- George Curzon, *Persia and the Persian Question*, vol 1 London Longmans, Green and Co. 1892, p. 375.
- (٣٦) صادق عبدواني: المرجع السابق، ص ٦٦.
- (٣٧) روبرت لاندن: المرجع السابق، ص ٧١٠.
- (٣٨) ص.ب. مايلز: الخليج... بلدانه وقبائله (مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٦) ص ٢٢٧. انظر أيضاً: مصطفى عبدالقادر النجار: التاريخ السياسي لشبكة الحدود الشرقية للوطن العربي في شط العرب، دراسة وثائقية (البرصة، منشورات جمعية الدفاع عن عروبة الخليج، ١٩٧٤) ص ٥٧ - ٥٨.
- (٣٩) سالم بن حمود السبيعي: عمان عبر التاريخ (مسقط، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٦) ص ١٥٤.
- (٤٠) مايلز: المرجع السابق، ص ٧١.
- (٤١) بالإضافة إلى العلاقات التجارية التي تربط عمان بجزر موريشوس فقد كانت هناك أيضاً علاقات ودية بين الحاكمين وكثيراً ما تبودلت الهدايا بينهما.
- (٤٢) مايلز: المرجع السابق، ص ٢٢٦.
- (٤٣) تجدر الإشارة هنا إلى أن العلاقات الفرنسية العمانية مرت ببعض حالات الفتور خاصة عام ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م وعندما استولى القراصنة الفرنسيون على السفينة (الصالح) ذات الخمسين مدفعاً والتي كانت في رحلة تجارية من الهند إلى البرصة. وقد احتج الامام على هذا التصرف وطالب الفرنسيين بدفع تعويض دره مليون ومائتا ألف روبية، ونتيجة للجهود التي بذلها روسو القنصل الفرنسي في بغداد، فقد أرسلت فرنسا السفينة *La thetig* إلى مسقط حيث قدمت كتعويض للامام عن السفينة الصالح ومعها خطاب اعتذار من الحكومة الفرنسية، انظر صادق عبدواني: المرجع السابق، ص ٧١.
- (٤٤) جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص ١٨١، وما يسترعي الانتباه هنا أن الامام أحمد كان قد رفض عرضاً مماثلاً تقدمت به الانجليز لإقامة وكالة تجارية لهم في مسقط في السنة ذاتها، مما يفسر لنا عمق العلاقات العمانية الفرنسية في تلك الفترة.
- (٤٥) كتب هذا المسؤول الفرنسي روزيلي حول هذه النقطة قائلاً، «إن أهالي مسقط فيما يظهر لي، يحبون الفرنسيين ويكرهون الانجليز بسبب تسلطهم وكبريائهم». انظر: جمال زكريا قاسم: المرجع السابق، ص ١٨١.
- (٤٦) صلاح العقاد: المرجع السابق، ص ٦١.
- (٤٧) يمزو بعض المؤرخين تلك فرنسا في إقامة وكالة تجارية لها في مسقط إلى اهتمامها المنصب على طريق البحر الأحمر للوصول إلى مستعمراتها في المحيط الهندي. انظر: بدر الدين الخصومي: المرجع السابق، ص ٤٩.
- (٤٨) أوليفيه: رحلة أوليفيه إلى العراق، (١٧٩٤ - ١٧٩٦)، ترجمة الدكتور يوسف جبي (مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨)، ص ١٠٠.
- (٤٩) أوليفيه: المصدر نفسه، ص ٩٥ - ٦٠.
- (٥٠) د/ مصطفى أبوحكمة: تاريخ الكويت الحديث (١٧٥٠ - ١٩٦٥) (مطبعة ذات السلاسل، الكويت ط ١، ١٩٨٤) ص ٤٣ - ٤٤.
- (٥١) أوليفيه، المصدر السابق، ص ١٠٦، انظر أيضاً: جون. ب. كيبي: بريطانيا والخليج (١٧٩٥ - ١٨٧٠)، ترجمة محمد أمين عبدالله (١٩٧٩)، ج ١، ص ٦٥، د/ عبدالأمر محمد أمين: القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر (مطبعة أسعد، بغداد ١٩٦٦) ص ١١ - ١٢.
- (٥٢) أمين: المصدر نفسه، ص ١٠.
- (٥٣) ج.ج. لوريمر: دليل الخليج، القسم التاريخي (مطابع علي بن علي الدوحة، قطر ط ٥)، ج ١، ص ٢٢٦.
- (٥٤) لوريمر: المصدر نفسه، ص ٢، ص ٦٥٦، انظر أيضاً: ص.ب. مايلز: الخليج لبلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبدالله (امون للتجليد والطباعة، ١٩٨٦)، ص ٢٢٣.
- (٥٥) Abraham Parsons, *Travels in Asia and Africa* (London, 1808) p. 209.
- (٥٦) د/ جمال زكريا قاسم: دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي ١٥٠٧ - ١٨٤٠ (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٥) ص ١٤٩ - ٥٠.
- (٥٧) حميد بن محمد بن رزيق: الفتحة المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالمعزم عامر ود/ محمد مرسى عبدالله (القاهرة، ط ٢، ١٩٨٣)، ص ٣٦٥.
- (٥٨) فينيزنو: اللقب بالشيخ منصور، تاريخ السيد سعيد - سلطان عمان - ترجمة د/ محمود فاضل (الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٨٨)، ص ٨٤.
- (٥٩) نقلاً عن لوريمر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٥٦.
- (٦٠) فينيزنو: المصدر السابق، ص ٨٤.
- (٦١) لوريمر: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٥.
- (٦٢) Parsons, *op. cit.*, p. 206.

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث

- (٦٣) أنظر عن تطور صناعة السفن العمانية، روبرت جيران لاندن، عمان منذ ١٨٥٦ مسيراً ومصبها، ترجمة محمد أمين عبدالله (١٩٧٠) ص ٥٧، سلطنة عمان، وزارة الثقافة والإعلام، عمان وتاريخها البحري (انجلترا، ١٩٧٩) ص ٧٤
Parsons, op. cit. p. 207. حيث وردت ترجمة جغرافية لرواية باروسونز.
- (٦٤) مايلز: المصدر السابق، ص ٢٢٢، أنظر أيضاً John Townsend, *Oman the making of the Modern State* (Croom Helm, London, 1977), p. 39.
- (٦٥) د/ عبدالأمر محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٧٧٨، ترجمة هاشم كاظم لازم، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة (مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٧)، ص ٢٢٢
- (٦٦) Parsons, op. cit. 207 أنظر أيضاً كيلي: المصدر السابق، ص ٢٨
Parsons, op. cit. p. 208
- (٦٨) تاريخ السيد سعيد، سلطان عمان، ص ٧٩.
- (٦٩) لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع ينظر الدراسة الجديدة التي قدمها بري في كتابه الموسوم (كريم خان الزند).
John R. Perry, Karim Khan Zand: *A History of Iran, 1747 - 1779* The University of Chicago Press, 1979), PP. 13 - 149.
- (٧٠) لوريير: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٥٩٧.
- (٧١) Perry, op. cit. p. 279.
- (٧٢) الشيخ رسول الكركوكلي: دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوارة، نقله عن التركية موسى كاظم نورس (دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت)، ص ١٤٩ - ١٥٠، أمين: القوي البحرية، ص ٦٤.
- (٧٣) كاظم باقر علي: البحرية الفارسية في الخليج العربي (١٨٤٨ - ١٩٠٧)، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة (مطبعة جامعة البصرة، ١٩٨٤) ص ٣٧.
- (٧٤) أوليفيه: المصدر السابق، ص ١٠٦.
- (٧٥) د/ جمال زكريا قاسم: الادعاءات الإيرانية في الخليج العربي، المجلة التاريخية المصرية، المجلد العشرون (١٩٧٣) ص ١٧٥.
- (٧٦) كيلي: المصدر السابق، ج ١، ص ٦٩ - ٧٠.
- (٧٧) كيلي: المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٩.
- (٧٨) كيلي: المصدر نفسه، ج ١، ص ٦٩ - ٧٠.
- (٧٩) لوريير: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٩٦٩ - ٧٠.
- (٨٠) لاندن: المصدر السابق، ص ٢٨.
- (٨١) د/ عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم: علاقة ساحل عمان ببريطانيا: دراسة وثائقية (الرياض ١٩٨٢) ص ١١٤.
- (٨٢) لوريير: المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٩٤.
- (٨٣) مايلز: المصدر السابق، ص ٢٢٦.
- (٨٤) Francis Warden, *Historical sketch of the rise and progress of the government of Muscat 1694 - 1891* in selections from the records of Bombay (Oleander Press, England, 1982, p. 170.
- حيث سنشر إليها ملخصاً. أنظر أيضاً: لوريير: المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٥٠، قاسم: الخليج العربي في عصر التوسع الأوروبي، ص ١٥٠.
- (٨٥) مؤلف مجهول: كتاب تاريخ عمان، نشر ضمن الفصل الثامن من كتاب تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تأليف سرحان بن سعيد الازكري، حققه عبدالمجيد حسبي القيسي (مطابع سجل العرب، ١٩٨٠) ص ١٥٨.
- (٨٦) Warden, B.G.S.R. op. cit, p. 170. أنظر أيضاً لوريير: المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٥٠.
- (٨٧) لوريير: المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٢٥، ج ٢، ص ٦٥٠، ج ٥، ص ٢٤١٩.
- (٨٨) قاسم: الخليج العربي، ص ١٤٦، أنظر أيضاً: فاضل محمد عبدالحسين جابر: عمان في عهد أحمد بن سعيد (١٧٤٩ - ١٧٨٢)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد (١٩٨٨) ص ١٢٠.
- (٨٩) B.G.S.R. op. cit, Historical sketch of the Jouseem Arab Tribes of Oman, vol. xxiv, p. 301.
- أيضاً إبراهيم: المصدر السابق، ص ١١٤.
- (٩٠) جابر: المصدر السابق، ص ١٢٩، أنظر أيضاً: مصطفى عبدالقادر النجار: التاريخ السياسي لامارة عربستان (١٨٩٧ - ١٩٢٥) (دار المعارف بمصر، ١٩٧١) ص ٤٥.
- (٩١) النجار: المصدر نفسه، ص ٤٥.
- (٩٢) دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٥، ص ٢٤١٩ - ٢٠.
- (٩٣) قاسم: الخليج العربي، ص ١٥١.
- (٩٤) B.G.S.R., op. cit, Historical Sketch of Muscat, vol. xxiv, p. 170. أنظر أيضاً لوريير: المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٦٤ - ٤١، ج ٢، ص ٦٥١.
- (٩٥) Perry, op. cit. p. 271.
- (٩٦) نقلًا عن ستيفن هيمسلي لوتريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله إلى العربية جعفر خياط (دار الكشف، بيروت، ١٩٤٩) ص ١٧٧.
- (٩٧) Perry, op. cit. p. 192.
- (٩٨) رحلة أوليفيه إلى العراق، ص ١٠٤.
- (٩٩) أوليفيه: المصدر نفسه.
- (١٠٠) لوريير: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨٤٥، ج ٥، ص ٢٦٢٩، أمين: القوي البحرية، ص ٦٢ نقلًا عن: Letters From Bussora Gombroon, etc., vol. 17, May 1, 1774.

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث

- (١٠١) لوريمر: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨٤٥، وعلاوة على ما ذكرناه استناداً الى المصادر الفارسية فقد رفض الباشا (والي بغداد) ايضاً السماح للجيش الزندي باجتياز بلاده من أجل أن يسير على الشواطئ العربية مساندة لحملة زكي خان البحرية ضد عمان، على الرغم من أن مثل هذه الحملة لم يكن من المتوقع قيامها، لهذا السبب وغيره - كما يقول بري - فقد أراد كريم خان أن يتحرك ضد البصرة. perry, op. cit, p. 172.
- (١٠٢) أمين: القوى البحرية، ص ١٦٢، p. 172, op. cit.
- (١٠٣) Ibid, p. 159.
- (١٠٤) Ibid.
- (١٠٥) حول استعدادات متسلم البصرة يلاحظ كتاب الكركوكي، المصدر السابق ص ١٥٢، أوليفي: المصدر السابق، ص ١٠٦.
- (١٠٦) أوليفي: المصدر نفسه.
- (١٠٧) حول رسالة والي بغداد الى متسلم البصرة، انظر: عثمان بن سند البصري: مطالع السعود بطبيب اخبار الوالي بغداد، اختصره الشيخ أمين بن محمد الحلواني المدني بعنوان: خمسة وخمسون عاماً من تاريخ العراق ١١٨٨ - ١٢٤٢هـ (الطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٧٧، ص ١٠).
- (١٠٨) أمين: القوى البحرية، ص ٧٠.
- (١٠٩) لونكريك: المصدر السابق، ص ١٧٩، مايلز: المصدر السابق، ص ٢٢٧.
- (١١٠) مايلز: المصدر نفسه، سلطنة عمان، وزارة الثقافة والاعلام، عمان وتاريخها البحري، ص ٧٤، صالح محمد العابد، البصرة في سنوات الحجة ١٧٧٥ - ١٧٧٩، المصدر، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث (١٩٨٥)، ص ٤٥.
- (١١١) صالح مختار: الفصل في تاريخ دولة الامارات العربية المتحدة (دار الفكر للطباعة والنشر، أبوظبي، دت) ١، ص ٢٢٩.
- (١١٢) مؤلف مجهول: كتاب تاريخ عمان، ص ١٥٨، G.p. Badger، جابر: المصدر السابق، ص ١٢٠.
- (١١٣) مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (١١٤) المصدر نفسه، ص ١٥٩.
- (١١٥) Parsons, op. cit, p. 206.
- (١١٦) Ibid.
- (١١٧) الفتح المبين، ص ٣٧٠.
- (١١٨) تشير كثير من المصادر، دون تحميم، الى أن الامام أحمد بن سعيد قد قاد الاسطول العماني بنفسه، إلا أن المصادر المعاصرة الاصلية تؤكد بأن قيادة هذا الاسطول كانت لماجد بن سعيد وليس للإمام أحمد، المؤلف المجهول: المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (١١٩) أمين: القوى البحرية، حاشية ٣٥، ص ٨٥، p. 180, op. cit. Perry.
- (١٢٠) ابن رزيق: المصدر السابق، ص ٣٧٠.
- (١٢١) للاطلاع على مزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع راجع: Perry, op. cit, p. 181.
- (١٢٢) Badger, op. cit, p. 170؛ انظر ايضاً مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (١٢٣) أمين: القوى البحرية، ص ٧٣، مختار: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣١.
- (١٢٤) فيثز نزو: المصدر السابق، ص ٦٨، ابن رزيق: المصدر السابق، ص ٣٧٠، ٤٢٨.
- (١٢٥) لوريمر: المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٥٢.
- (١٢٦) عمان منذ ١٨٥٦: مسيراً ومصيراً، ص ٥٤.
- (١٢٧) دليل الخليج، ج ٢، ص ٦٥٣.
- (١٢٨) نور الدين السالمي: تحية الاعيان، ج ٢، ص ١٧٣.
- (١٢٩) سالم السبياني: عمان عبر التاريخ، ج ٢، ص ١٤.
- (١٣٠) ما ورد عن امامة سعيد بن أحمد وعن السيد سلطان بن أحمد من اعداد الدكتور رجب محمد عبدالحليم.
- (١٣١) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٢١ - ٢٢٢.
- (١٣٢) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٢٥ - ٢٢٥.
- (١٣٣) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٤١.
- (١٣٤) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٤٢ - ٢٥٢.
- (١٣٥) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٥٧ - ٢٦٧.
- (١٣٦) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٧٩.
- (١٣٧) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٩١.
- (١٣٨) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٩١.
- (١٣٩) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٩٨.
- (١٤٠) المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٦٨.
- (١٤١) صلاح العقاد: دور سلطان بن أحمد اليوسعيدي في تاريخ عمان الحديث، بحث ضمن كتاب فعاليات ومناسبات المنتدى الأدبي لعام ٨٩ / ١٩٩٠ مسقط، ص ٢٧٨ - ٣٧٩.
- (١٤٢) سالم بن حمود السبياني: نفس المرجع، ج ٤، ص ٢٩٤ - ٣٠٢، ٣٠٢ - ٣٠٢.
- (١٤٣) صلاح العقاد: نفس المرجع، ص ٣٨٠ - ٣٨٢.
- (١٤٤) المرجع السابق، ص ٣٨٢ - ٣٨٤.
- (١٤٥) سالم بن حمود السبياني: نفس المرجع، ج ٤، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.
- (١٤٦) Ian Skeet, Muscat and Oman, London, 1974, p. 40.
- (١٤٧) Ibid., pp. 40 - 1.
- (١٤٨) يعود الفضل في تأسيس هذه القاعدة الخطيرة الى لاوربونييه La Bourdonais (١١١١ - ١١٦٧ هـ / ١٦٩٩ -

- ١٧٥٣م، الذي عين حاكمًا عليها في ١٧٣٥م، فقد نجح خلال فترة حكمه لها (١٠ سنوات) في أن يخلق منها قاعدة استعمارية مزدهرة. إذ نظم الأهمية الاستراتيجية للجزيرة وطور ميناءها الطبيعي الممتاز، وأنشأ فيها صناعة السفن، وركز جهده لتقويتها بكل السبل إضافة إلى إنشاء عاصمة جديدة، وهي بورت لويس، واستطاع أن يوجه ضربة قاسية للبريطانيين في الهند خلال حرب الوراثة النمساوية (١١٥٣هـ - ١١٦١هـ / ١٧٤٨ - ١٧٤٩م) لتفصيلات أكثر انظر: G.A. Ballard, *Rulers of the India Ocean* (London, 1927), pp. 248 - 259.
- وكانت هذه الجزيرة تحتل أهمية عظيمة في نظر فرنسا واعتبرها الفرنسيون مفتاح المحيط الهندي وكانت هدفها الأخرى مراقبة التطورات في الهند، وتحريض الأمراء الهنود ضد الوجود البريطاني، واتخاذها قاعدة لتحصين القوات والأسلحة فيها لغزو الهند في ظروف مناسبة
- S.P. Sen: *The French in India, 1763 - 1810* (New Delhi, 2nd ed. 1971) p. 533; G.S. Graham: (١٥٠٠) *Tides of Empire* (Montreal 1972), p. 59.
- Coupland, *East Africa and its Invaders* (Oxford, 1961), p. 84. (١٥١١)
- Zeki Saleh, *Mesopotamia 1600 to 1914* (Baghdad 1957) P. 51. (١٥٠٣)
- البريفاتير privateers هي السفن المغفوضة من قبل الحكومات بمهاجمة سفن العدو والاستيلاء عليها بأسلوب قراصني، وهذا هو الأسلوب الذي فضله واتبعته فرنسا في صراعها البحري في المحيط الهندي ضد بريطانيا المتفوقة بحربياً، وقد كثفت فرنسا غاراتها البحرية خلال حروب الثورة الفرنسية، وتمكنت من إيقاع خسائر جسيمة بالبريطانيين، ففي الفترة (١٧٧٣ - ١٧٩٧م) أسر الفرنسيون ٢٢٦٦ سفينة بريطانية من مختلف الأبحار انظر G.B. Malleson: *Final French struggle in India and on the Indian Seas* (London 1878), p. 813.
- (١٥٤٤) وفي السنوات الثلاث التالية أسروا ١٢٠٠ سفينة أخرى
- C.C. Lioed; *Armed Forces and the Art of War Navies*, The New Cambridge Modern History . (Cambridge. 1965) vol. ix, p. 76.
- وكجاء مضاد أصدرت الحكومة البريطانية مرسوماً في ١٧٩٨، أصبحت فيه الرقعة المسلحة لكل السفن أمراً إلزامياً. وبدأت أساطيل للدعم في المناطق الخطرة كما زادت من حجم قوتها البحرية فارتفع عدد البحارة البريطانيين من ٢٤٠٠٠ بحار سنة ١٧٩٢ إلى ١٢٠٠٠٠ بحار في سنة ١٧٩٧. (Ibid, pp. 78 - 84).
- أكثر من عمليات البريفاتير الفرنسية ينظر: G.B. Malleson, *Final French Struggle in India and on the Indian Seas* (London 1878) pp. 79 - 157.
- Coupland, p. 85; Saleh, p. 51. S.B. Miles, *Countries and Tribes of the Gulf* (London, 2nd imp., 1966) p. 268.
- ويخطئ مايلز وسكيت بتحديد هاتين تاريخ هذه الحادثة بسنة ١٧٤٩ .
- Miles, pp. 269 - 70; Saleh, p. 51. (١٥٥٥)
- Miles, pp. 274 - 5. (١٥١٦)
- Saleh, p. 52. (١٥٧٧)
- ibid, pp. 52 - 3. (١٥٨٨)
- Miles, p. 270; Coupland, p. 84. (١٥٩٩)
- (١٦٠٠) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي (القاهرة، دون تاريخ) ص ٤٤.
- Skeet, p. 41. (١٦١١)
- Miles, p. 277; Coupland, p. 85; Saleh, p. 53. (١٦١٢)
- Miles, pp. 277 - 8; Coupland, p. 85. (١٦١٣)
- Coupland, p. 85. (١٦١٤)
- Miles, p. 278 Saleh, *op. cit.*, p. 53. (١٦١٥)
- H. Prentout; *Ile de France sous Caen, 1803 - 1810* (Paris 1901), 332; Coupland p. 86. (١٦١٦)
- Miles, p. 282. (١٦١٧)
- William Feankline; *Observations made on a tour from Bengal to Persia in the years 1786 - 1787* (London, 1790), p. 37. (١٦١٨)
- J. Kelly, *Britain the Gulf 1795 - 1880*. (Oxford 1968) p. 65. (١٦١٩)
- Miles, p. 278; Coupland, p. 86. (١٦٢٠)
- Prentout, p. 325. (١٦٢١)
- ibid, p. 332; Coupland, p. 87. (١٦٢٢)
- (١٦٢٣) العقاد: التيارات السياسية، ص ٦٤.
- Skeet, p. 41. (١٦٢٤)
- Coupland, pp. 87 - 8. (١٦٢٥)
- (١٦٢٦) العقاد: التيارات السياسية، ص ٦٦.
- (١٦٢٧) يعلى د. العقاد تأخر بوشامب إلى أن تعليماته كانت تقتضي طوافه أولاً بالبحر الأسود والشام ومصر ودراسة الطرق المؤدية إلى الهند، كما أن بوشامب وجد مبرراً قوياً في النهاية للاعتذار عن أداء مهمته في مسقط بسبب الشعور المعادي لفرنسا الذي ساد العالم الإسلامي على إثر الحملة الفرنسية على مصر، المصدر السابق ص ٦٦.
- Coupland, p. 89. (١٦٢٨)
- Skeet, p. 42. (١٦٢٩)
- (١٦٣٠) لتفاصيل: انظر للمؤلف، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.
- Kelly, p. 65. (220) coupland, p. 90. (١٦٣١)
- ibid., from Broker at Muscat to Duncan, Dec. 27, 1797. (١٦٣٢)

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث

- (١٨٣) د. صالح محمد العابد: موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي (١٧٩٨ - ١٨١٠) بغداد ١٩٧٩، ص ١٢٦ - ٧٩.
- (١٨٤) د/ صلاح العقاد: التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ١١٦.
- (١٨٥) نفس المرجع، ص ١٢٩.
- (١٨٦) دار المحفوظات التاريخية: محافظ الحجاز رقم ٢٦٩ وثيقة ٣٨ بتاريخ ١١ ذوالقعدة ١٢٥٥ هـ.
- (١٨٧) د/ سمعان بطرس: العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين، ج ١، ص ٢٧٦.
- (١٨٨) د/ جلال يحيى: المغرب الكبير: العصور الحديثة، ص ٧٤.
- (١٨٩) لوريير: دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٢، ص ٧٢٨.
- (١٩٠) د/ ريتشارد ستيفنس: استعراض لبداية العلاقات الأمريكية التجارية والقنصلية مع سلطنة عمان و مسقط (١٨٢٣-١٨٥٦م)، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ص ١٢٢.
- (١٩١) نفس المصدر، ص ١٢٥.
- (١٩٢) نفس المصدر، ص ١٢٦.
- (١٩٣) دونالد هولي: عمان ونهضتها الحديثة، ص ١٨٧.
- (١٩٤) د/ ريتشارد ستيفنس: المرجع السابق، ص ١٣٠.
- (١٩٥) نفس المصدر، ص ١٣٣.
- (١٩٦) دونالد هولي: المرجع السابق، ص ١٨٨.
- (١٩٧) نفس المصدر، ص ١٨٩.
- (١٩٨) Memorandum prepared in the Department of State (secret) Washington, March 15, 1946, Current U. S. Policy toward the Arab principalities of the Persian Gulf and the Gulf of Oman.
- (١٩٩) روبرت جيران لاندن: عمان منذ عام ١٨٥٦ مسيراً (مصححاً ترجمة محمد أمين عبدالله، بيروت ١٩٧٠، ص ٥٤).
- (٢٠٠) رودولف سعيد روث: سلطنة عمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦)، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٢٨، ص ٤٢ - ٤٤.
- (٢٠١) ل. هولنجزورث - مرجع سبق ذكره، ص ٥.
- (٢٠٢) Zoe Marsh & G. W. Kingsourth - An Introduction to the History of East Africa, Cambridge, The University Press 1965. p. 25.
- (٢٠٣) د. صلاح العقاد - د. جمال قاسم - زنجبار، ص ٦٠.
- (٢٠٤) Zoe Marsh & G. W. Kingsourth. *op. cit.* p. 25.
- (٢٠٥) د. جمال زكريا قاسم: دولة البوسعيد في عمان وشرق إفريقيا (١٧٤١ - ١٨٦١) ص ٢٠٨.
- (٢٠٦) Coupland, R. East Africa And Its Invaders (From The Earliest Times To The Death Of Sayy- id Said In 1856) p. 295.
- (٢٠٧) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٨.
- (٢٠٨) Zoe Marsh & G.W. Kingsourth *op. cit.* p. 25.
- (٢٠٩) Coupland, R. *op. cit.* p. 6.
- (٢١٠) د. جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٦.
- (٢١١) F.B. Pearce - Zanzibar. p. 215.
- (٢١٢) Coupland, *op. cit.* p. 297.
- (٢١٣) F.B. Pearce - Zanzibar. p. 215.
- (٢١٤) Zoe Marsh & G.W. Kingsourth *op. cit.* p. 26.
- (٢١٥) د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا قاسم: زنجبار، ص ٢٤.
- (٢١٦) د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا قاسم: زنجبار، ص ٧٦ - ٧٧.
- (٢١٧) هولنجزورث: مرجع سبق ذكره، ص ٦.
- (٢١٨) د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا قاسم: زنجبار، ص ٧٧.
- (٢١٩) د. السيد رجب حراز: بريطانيا وشرق إفريقيا من الاستعمار الى الاستقلال معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١، ص ٢٢.
- (٢٢٠) د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا قاسم: زنجبار، ص ٧٧ - ٧٨.
- (٢٢١) R. Burton. Zanzibar, City, Island And Coast vol. 2. p. 151.
- (٢٢٢) د. صلاح العقاد ود. جمال زكريا قاسم: زنجبار، ص ١٢٠.
- (٢٢٣) د. السيد رجب حراز: مرجع سبق ذكره، ص ٢٢.
- (٢٢٤) هولنجزورث: مرجع سبق ذكره، ص ٧. ود. صلاح العقاد، ود. جمال زكريا قاسم: المصدر السابق، ص ٧٩، انظر كذلك د. السيد رجب حراز: مرجع سبق ذكره، ص ٢٢.
- (٢٢٥) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٤.
- (٢٢٦) I.O.L. Political & Secret Dep. B. 2. Confidential, Zanzibar, Muscat and Persia. Memo by political secretary J.W. Kaye. July 1st. 1968. p.3.
- (٢٢٧) جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٥٤ - ٢٥٥.
- (٢٢٨) Burton. Zanzibar, City, & Coast Vol. 1. p. 307 - 308.
- (٢٢٩) Robert Nunez Lyne: Zanzibar In Contemporary Times, London, 1950, p. 44 - 50.
- (٢٣٠) هلم. ل. هولنجزورث: زنجبار، ص ١٢.

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث

- (٢٣١) د. صلاح العقاد، ود. جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ١٢٩ .
 Russel (Mrs. Charles, E.B.) General Rigby, Zanzibar and the Slave Trade, p.p. 159 - 160. (٢٣٢)
 د. جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .
 I.O.L. Political & Secret Dep. B. 8. Memo on the Turkish Claim to Sovereignty over the Eastern shores of the Red Sea and the whole of Arabia, and on the Egyptian Claim to the whole of the Western Shores of the same sea, including the African Coast from Suez to Cape Guardafui, printed for the use of the F.O. - Hertzlet, March 10, 1874. (٢٣٤)
 I.O.L. Political & Secret Dep. B. 2. Confidential memorandum by Eastwick, (٢٣٥) July 15. 1968. p. 1.
 Aitchison, *op. cit.* vol. xi. p. 225. (٢٣٦)
 I.O.L.B. 2 Memo, on Muscat and Zanzibar Affairs, H.B. Freyer, July 20, 1868, p.1. (٢٣٧)
 Aitchison, *op. cit.* vol xi. p. 225 (٢٣٨)
 I.O.L.B. 2. Memorandum by Captain W.M.S. Eastwick, July 15 1968.p.6. (٢٣٩)
 Aitchison, *op. cit.* vol xi. p. 75. (٢٤٠)
 د. صلاح العقاد، ود. جمال زكريا، مرجع سبق ذكره، ص ١٢٠ .
 I.O.L. Political & Secret Dep. B. 2. Confidential. memo. Zanzibar, Arabia and the Persian Gulf. T. Princep. I.O. July 15, 1868. p.4. (٢٤١)
 Lyne, *op. cit.* p. 45. (٢٤٢)
 I.O.L. Political & Secret Dep. B.2. Confidential Zanzibar, Muscat and Persia. (٢٤٣) memo. By Political & Secret Dep. J.W. Kaye. July 1st 1868. p. 4.
 I.O.L. Political & Secret Dep. B.2. Confidential. Memo Zanzibar, Arabia and the Persian Gulf H.T. Princep, 1868 p.45. (٢٤٤)
 I.O.L. Political & Persia. memo. By Political Secretary, J.W. Kaye. July 1st. (٢٤٥) 1868. p.3.
 I.O.L. Political & Secret Dep. B.2. Confidential Memo. Zanzibar, Arabia and the Persian Gulf. H.T. Princep, I.O. July, 15, 1868, pp. 4-5. (٢٤٦)
 I.O.L. Political & Secret Dep. B.2. Confidential. Memo. Zanzibar, Arabia and the Persian Gulf. H.T. Princep, I.O. July 15, 1868, pp. 1-2. (٢٤٧)
 I.O.L. Political & Secret Dep. B.14. Memorandum. M.O.L. Zanzibar Agency (٢٤٨) and Consulate Expenses, A.W.M. August 17, 1867.
 د. صلاح العقاد، ود. جمال زكريا قاسم: مرجع سبق ذكره، ص ١٦١ .
 المصدر السابق، ص ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٢٤ .
 D. Arky Exploration Company (٢٥٢)
 J.E. Peterson, *Oman in the Twentieth Century*, Croom Helm, Kent, 1984, p. 53. (٢٥٣)
 سني محمد علي عبد الجبار الطائي: العمانيون في شرق إفريقيا، مجلة التوثيق الاعلامي، المجلد السابع، مركز التوثيق الاعلامي لدول الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٢٠ .
 د/ جاد محمد طه: العلاقات العربية الافريقية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٣٧ .
 هذه الجمعيات هي: أ- الجمعية العربية. تأسست عام ١٩٢٥ وتمثل المصالح العربية. ب- الجمعية الشيرازية. تأسست عام ١٩٢٠م لتمثيل السواحليين الذين يسمون أنفسهم بالشيرازيين ج- الجمعية الافريقية. تأسست عام ١٩٢١ لتمثيل الافارقة في ساحل افريقيا الشرقي، وهم من الوثنيين والمسيحيين. د- الجمعية القمرية. وأعضاؤها من جزر القمر. هـ- الجمعية الوطنية الهندية. تأسست عام ١٩٢٤م وتضم الجالية الهندية في زنجبار، وبجبهة تحرير زنجبار، انظر: زنجبار عبر التاريخ (بدون تاريخ) ص ١٢ - ١٥ .
 المرجع السابق، ص ٢٢٢ .
 المرجع السابق، ص ٢٤٤ .
 A. History of Africa 1918 - 1967, Moscow, 1968, p. 371. (٢٥٩)
 جبهة تحرير زنجبار، مرجع سبق ذكره، ص ٣٠ - ٣١ .
 A History of Africa, *op. cit.* (٢٦١)
 جبهة تحرير زنجبار، المرجع السابق، ص ٢٣ - ٢٤ .
 د/ عبد الملك عوده: الحزب الواحد والتطبيق الاشتراكي في تنزانيا، السياسة الدولية، العدد الثالث القاهرة، ١٩٦٧ . (٢٦٢)

●● الفصل الرابع :

- (١) جمال زكريا قاسم . تاريخ العرب في افريقيا سبيل التقارب أم للتباعد، ضمن كتاب العرب في إفريقيا (الجزء التاريخي والواقع المعاصر) القاهرة ١٩٨٧، ص ٢٤، ٢٥ .
 R. Coupland, *The Exploitation of East Africa 1856 - 1890*. (London, 1939). p.4 (٢)

- (٣) سعيد بن علي المغربي.. جبهة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق عبدالمنعم عامر ١٩٧٩، ص ١٣٩ - ١٦٥.
- عبدالله بن صالح الفارسي.. اليوسعديون حكام زنجبار، ترجمة محمد أمين عبدالله، ص ١٦٤، ١٦٥.
- (٤) إبراهيم الزين صغريون.. "F.B. Pearce "Zanzibar: The Island Metropolis of Eastern Africa." (London, 1920) p. 119 - 120. "The Omani and South Arabian Muslim Factor in East Africa" (Riyadh, 1405H - 1984). p. 23 - 25.
- (٥) سعيد بن حامد حزين، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢١، ٢٢.
- (٦) المغربي، مصدر سبق ذكره، ص ١٤٥ - ١٥٠، ص ١٨٠ - ١٨٤.
- الفارسي، مصدر سبق ذكره، ص ٥٦ - ٥٩.
- (٧) المغربي، المصدر السابق، ص ٢١١ - ٢١٢.
- (٨) الفارسي، مصدر سبق ذكره، ص ٦٢.
- (٩) المغربي، المصدر السابق، ص ١٧٤ - ١٨٠.
- (١٠) الفارسي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣.
- (١١) الفارسي، مصدر سبق ذكره، ص ٧٣.
- (١٢) المغربي، مصدر سبق ذكره، ص ١٧٤.
- الفارسي، المصدر السابق، ص ٧٥.
- (١٣) B.G. Martin Notes on Some Members of the Learned Classes of Zanzibar and East Africa in the Nineteenth Century" *The International Journal of Africa Historical Studies*, Vol. IV, Part 3, (1971) p. 525 - 545.
- J.M. Gray "The Hadimu and Tumbatu of Zanzibar", *Tanzanian Records*, Nos, 18 and 82, (١٤) 1977, pp. 135, 137 and 139.
- (١٥) الفارسي، المصدر السابق ص ٥٦ - ٦١.
- (١٦) السيدة سالة بنت سعيد بن سلطان.. مذكرات أميرة عربية، ترجمة عبدالمجيد القبيسي، سلطنة عمان، ١٩٨٣، ص ٦٠.
- (١٧) د. جمال زكريا قاسم، دولة اليوسعيد، ص ٢١١.
- (١٨) الفارسي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٤ - ١٢٥.
- المغربي، مصدر سبق ذكره، ص ١١٨ - ١٣٦.
- (١٩) المغربي، المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (٢٠) الفارسي، مصدر سبق ذكره، ص ٨٠.
- (٢١) المغربي، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٥.
- (٢٢) القاسمي، مرجع سبق ذكره، ص ٥٩.
- R.F. Burton *The Lake Regions of Central Africa*, (London, 1860), vol. II, p. 194 - 195. (٢٣)
- R. Coupland, *East Africa and its Invaders*, Oxford, 1938. (٢٤)
- R. Coupland, *The Exploitation of East Africa*, (London, 1939).
- J.S. Trimmingham, *Islam in East Africa*, (Oxford, 1964).
- R.Coupland, *East Africa and its Invaders*, pp. 302 - 303 (٢٥)
- (٢٦) د. جمال زكريا قاسم، دولة اليوسعيد في عمان وشرق إفريقيا، ١٧٤١ - ١٨٦١.
- R.Coupland, *East Africa and its Invaders*, p. 304 (٢٧)
- (٢٨) د. جمال زكريا قاسم، دولة اليوسعيد في عمان وشرق إفريقيا، مرجع سبق ذكره، ص ٢١٤.
- (٢٩) نفس المرجع السابق، ص ٢١٥.
- (٣٠) سيد حامد حزين، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.
- (٣١) محيي الدين محمد مصيلحي، النشاط التجاري في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة، ص ١٧٩ - ١٨٢.
- W. Beachey, "East Africa Ivory Trade in the 19th Century," *Journal of African History*, vol 8,2, (1967). (٣٢)
- (٣٣) المغربي، مصدر سبق ذكره، ص ٢١٧ - ٢٢٠.
- (٣٤) نفس المصدر، السابق، ص ١٥٩، ص ١٦٠.
- H.M. Stanley, *Through the Dark Continent*, (London, 1878) Vol. II, p. 362. (٣٥)
- (٣٦) المغربي.. المصدر السابق، ص ٢٢٣.
- (٣٧) محيي الدين مصيلحي، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠٤.
- (٣٨) نفس المرجع السابق، ص ١٩٧ - ١٩٨.
- The Omani and South Arabian Muslim Factor in East Africa*, pp. 133 - 153. (٣٩)
- (٣٩) المغربي.. المصدر السابق، ص ٦٣.
- (٤٠) مدثر عبدالرحيم، الاسلام والتجانس الاجتماعي في إفريقيا، المركز الاسلامي الافريقي، الخرطوم ١٩٨٥ العدد الاول ص ١٦.
- (٤١) إبراهيم الزين صغريون، كتاب صادر عن دار النشر بجامعة الخرطوم (١٩٨١م).
- The Sudanese Muslim Factor in Uganda*.
- (٤٢) حزين، المرجع السابق، ص ٢٧.
- (٤٣) المغربي، المصدر السابق، ص ١٩.

- (٤٤) المغيري، ن.م.، ص ٧٨، انظر ايضا B.G. Mastin, *op. cit.* p. 572.
- (٤٥) انظر: J.M. Gray, *op. cit.* p. 135 - 137.
- (٤٦) القفاري، المصدر السابق، ص ٥٦ - ٥٨ .. المغيري، المصدر السابق، ص ١٦٧، حريز، المصدر السابق، ص ٣٧.
- (٤٧) حريز ن.م.، ص ٢٩. B.G. Martin, *op. cit.* p. 526.
- (٤٨) القفاري، المصدر السابق، ص ٦٢ - ٩٩. B.G. Martin, *op. cit.* p. 525 - 545.
- (٤٩) محمد حسن العيدروس، السلطان سعيد والعلاقات العربية الافريقية، المؤرخ العربي، العدد ٣٧، ١٩٨٨، ص ٢٦.
- (٥٠) ابراهيم صغريون، The Omani and South Arabian Muslim Factor in East Africa, p. 145 - 147, 190 - 191.
- (٥١) حريز، المرجع السابق، ص ٥٢.
- (٥٢) رسالة بنت سعيد، المصدر السابق، ص ١٣٢ - ١٣٧، ٢٣٢.
- (٥٣) كوليت ميزون، (هجرات الحرث الى اواسط القارة الافريقية) وزارة التراث القومي والثقافة، العدد ٦١ نوفمبر ١٩٨٤، ص ٦.
- (٥٤) نفس المرجع، ص ٦ - ٧.
- (٥٥) ن.م.، ص ٧.
- (٥٦) كوليت ميزون، المرجع السابق، ص ١١.
- (٥٧) مدثر عبد الرحيم، المرجع السابق، ص ١٨ - ١٩.
- (٥٨) محمد الحداد، حقائق عن العرب والاسلام في افريقيا الشرقية، ١٩٧٢، ص ١٢٢ - ١٢٤.
- (٥٩) John Gray "Emin Diaries," Ext. 1, *Uganda Journal*, vol. 25 No. 1, (1961), entry for August 11, (1876), p. 10.
- Apolo Kagwa, "How Religion Came to Uganda," Mengo Notes, Vol 3, No. 5, (١٩٠٠) (May, 1902).
- (٦١) الزين صغريون، لحاح تاريخية عن انتشار الاسلام في اوغندا، ص ٢٢.
- (٦٢) ن.م.، ص ٢٣.
- (٦٣) F.O. 403/108 Emin Pasha to Colonel Euan Smith, Wadelai, August 20, 1887.
- (٦٤) F.O. 403/97 Acting Consul - General Holmwood to the Marquis of Salisbury Zanzibar, January 8, 1887.
- See also F.O. 403/127 Report by Mr. H.H. Johnston, Her Majesty's Consul on the Nyasa - Tanganyika Expedition 1889 - 90, Note With Reference to the Arabs in Central Africa, p. 34 - 39.
- (٦٥) للمغيري، المصدر السابق، ص ١٥٩.
- (٦٦) مرقص، المرجع السابق، ص ٢٢٨.
- (٦٧) كوليت ميزون، المرجع السابق، ص ٨.
- (٦٨) المغيري، المصدر السابق ص ١٦٦ و ١٧٤، الفارسي، المصدر السابق، ص ٧٣.
- (٦٩) الفارسي، ن.م.، ص ٧٣ - ٨٠.
- (٧٠) B.G. Martio, *op. cit.*, p. 526 - 527.
- (٧١) The Swahili - Speaking Peoples of Kenya's Coast, 1895 - 1965, (Nairobi, 1973), p. 159 - 168.
- (٧٢) الفارسي، المصدر السابق، ص ٧٥ - ٧٦. المغيري، المصدر السابق ص ١٢٥ و ١٢٦، ١٢٣ - ١٢٤.
- (٧٣) B.G. Martin, *op. cit.*, p. 535. انظر.
- (٧٤) الفارسي، ن.م.، ص ٧٢ - ٧٤، الزين صغريون، المرجع السابق، ص ١٧ - ١٨.
- (٧٥) الفارسي، المصدر السابق، ص ٧٧ - ٧٩.
- (٧٦) انظر B.G. Martin, *op. cit.*, p. 538 - 539.
- (٧٧) الفارسي، ن.م.، ص ٧٣ - ٨٠.
- (٧٨) الزين صغريون .. ن.م.، ص ١٦ - ٢٤.
- (٧٩) حريز، المرجع السابق، ص ٥٧ - ٥٨.
- (٨٠) الزين صغريون، التراث العربي الاسلامي في شرق افريقية، دراسة اولية لمخطوط تاريخ الزراعة في افريقية الشرقية، تأليف الشيخ الامين بن علي المزروعى، مجلة عالم الكتب، المجلد السادس، العدد الثاني، الرياض، ١٩٨٥، ص ١٩٠ - ٢١٨ والمخطوط ص ٥.
- (٨١) المغيري، المصدر السابق، ص ٣٠ - ٣٠٧. الفارسي، المصدر السابق، ص ٩٧ - ٩٨.
- (٨٢) حريز، المصدر السابق، ص ٥٨.
- (٨٣) B.G. Martin, *op. cit.*, p. 535.
- (٨٤) المغيري، المصدر السابق، ص ٢٣٣.
- (٨٥) احمد الفلاحي، التأليف والنشر في عمان مجلة عالم الكتب، المجلد الثالث، العدد الرابع، الرياض ١٩٨٢م.
- (٨٦) احمد عيشة سالم ١٥٦ - ١٥٩، p. 159 - 168.
- (٨٧) ومن المصادر والمراجع الأوروبية التي علفت على هذه الظاهرة:

- 1 - Col. C. Chaille *Central Africa*, (London, 1876), p. 106.
- 2 - J.M. Gray *The Diaries of Emin Pasha - extract II, Uganda Journal*, Vol. 25, No.

الباب الخامس - عُمان في العصر الحديث

2, 159. (1960 - 1961), p.

(٨٨) حريز، المرجع السابق، ص ٨٨ - ٨٩.

(٨٩) حريز، بحث الثقافة السواحلية أصولها ومقوماتها وتطورها ضمن كتاب العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الإفريقية تونس ١٩٨٥، ص ١٥٢.

(٩٠) حريز، المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية، ص ٤٤.

● الفصل الخامس :

(١) للتفاصيل عن تاريخ عمان في عهد اليعاربة انظر: حميد بن محمد بن رزيق: الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيدين، تحقيق عبدالمعظم عامر ومحمد مرسي عبدالله ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م، نورد الدين عبدالله بن حميد السالمي: تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، القاهرة، ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م، عبدالله بن خلفان بن قيسر: سيرة الإمام ناصر بن مرشد، تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي، ١٩٨٢، سالم بن حمود بن شامس: عمان عبر التاريخ ج ٤، ١٩٨٢، وبالنسبة للمراجع الأجنبية انظر بشكل خاص:

B. Miles, *The Countries and Tribes of the Persian Gulf*, 2 vols. 1919; J.G. Lorimer, *Gazeteer of the Persian Gulf*, etc. 2 vols. India 1908.

Lorimer, *op. cit.*, vol p. 403. (٢)

A. Hamilton, *A New Account of the East Indies (1688 - 1723)*, 2 vols. 1727. vol. 1, pp. 43 - 45 (٣)

Miles *op. cit.* vol. 220. (٤)

(٥) المقصود بالقوى المحلية هنا هي القوى غير الأوروبية والأسطول المحلي هو الأسطول غير الأوروبي.

Lorimer, *op. cit.*, p. 402. (٦)

(٧) انظر: صالح محمد العابد: دور القواسم في الخليج العربي، بغداد ١٩٧٦م.

(٨) الدكتور عبدالأمير أمين: القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد ١٩٦٦م.

(٩) د/ ميمونة خليفة الصباح: نشأة الكويت وتطورها في القرن الثامن عشر، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد السادس والاربعون، السنة الثانية عشرة.

(١٠) مصطفى عبدالقادر النجار: التاريخ السياسي لإمارة عريستان، منشورات دار المعارف بمصر ١٩٧١م.

(١١) عبدالأمير محمد أمين. نفس المصدر.

(١٢) عمان وتاريخها البحري، اصدار وزارة الاعلام والثقافة، سلطنة عمان ١٩٧٩م.

(١٣) عبدالأمير محمد أمين: المصالح البريطانية في الخليج العربي (١٧٤٧ - ١٧٧٨) بغداد سنة ١٩٧٧، ص ٤٦ - ٥٠.

(١٤) نفس المصدر، ص ١١٩ - ١٢١.

(١٥) نفس المصدر، ص ١٧٠ - ١٧٢.

(١٦) عبدالأمير محمد أمين: القوى البحرية في الخليج العربي، ص ٤٠ - ٤٥.

A Parsons, *Travel in Asia and Africa*: London 1808. p. 220. (١٧)

ibid. (١٨)

Marine Records, Vol. 891, August. 15, 1790. Report on Trade of Arabia and Persia by Samuel Monesty and Harbord Jones. (١٩)

ibid. (٢٠)

ibid. (٢١)

ibid. (٢٢)

ibid. (٢٣)

India Office: Factory Records, Letters from Bussors Gambreoon. (٢٤)

Letter from Basra, vol. 21, September 1769.

Lorimer: *op. cit.*, p. 416 (٢٥)

(*) الترانكي نوع من السفن كان شائعاً في النصف الاول من القرن الثامن عشر وكان يسير بالمجادف والشرامع.

Lorimer: *op. cit.*, p. 416 (٢٦)

R. Boxer: *Portuguese Conquest and Commerce in Southern Asia*, London, 1933, p. 428 (٢٧)

Parsons: *Travel in Asia and Africa*, London, 1808, p. 220 (٢٨)

Lorimer: *op. cit.*, p. 435. (٢٩)

ibid. (٣٠)

(٣١) عمان وتاريخها البحري، ص ٧٧.

F.R. Letters, etc. 21, 1800 Report on the State of Trade between Persia and (٣٢)

India and suggestion as to the means of improving it by Captain J.

Malcom, Marine Record, vol. 891, August 15, 1790, Report on the commerce of Arabia and Persia by Samuel Monesty and Harford Jones; Early.

Parliamentary Papers Related to India collection no. 2, Dec. 1791. Third Report of the Select Committee appointed to take into consideration the Export Trade from Great Britain to The East Indies.

Factory Records, Letters etc. Vol. 21, 1800 (٣٣)

Marine Records, Vol 891, August, 15, 1790 (٢٤)

Ibid. (٢٥)

Ibid. (٢٦)

Ibid. (٢٧)

Ibid. (٢٨)

●● الفصل السادس :

(١) لمزيد من التفاصيل أرجع الى :

- سالم بن حمود بن شامس السبائي، عمان عبر التاريخ (جزء ٤) وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط المطبعة الشرقية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، ص ١١٢ - ١١٥ .

- روبرت جيران لاندن، عمان منذ ١٨٥٦، ترجمة محمد أمين عبيدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، مطر، المطبعة الشرقية ١٩٨١، ص ٥٣ - ٥٤ .

- ونسل فيليبس، تاريخ عمان ترجمة محمد أمين عبيدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، روي، المطبعة العالمية (الطبعة الثالثة) ١٩٨٩، الفصل الثاني.

- عبدالمجيد القيسي، مقدمة لكتاب مذكرات اميرة عربية - بقلم السيدة سائلة بنت السيد سعيد بن سلطان.

- سلطان مسقط وزنجبار، (الطبعة الخامسة) وزارة التراث القومي والثقافة، مطابع أمون ١٩٨٥ ص ١٥٠ .

- حميد بن رزيق، الفتى المبين في سيرة السادة البوسعيديين، تحقيق عبدالمعظم عامر ومحمد مرسى، وزارة التراث القومي والثقافة، مطابع سجل العرب ١٩٧٧ ص ٣٥ - ٨٧ .

- الشيخ نور الدين عبيدالله السالمي، تحفة الاعيان بسيرة اهل عمان، مكتبة الاستقامة بدون تاريخ، ص ١٥٠ - ١٦٨ .

- احمد بن حمود المعمرى، عمان وشرق افريقيا، ترجمة محمد أمين عبيدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، مطابع سجل العرب ١٩٨٠، ص ٧٠ .

(٢) - انظر: هادي حسن عيدواني، الدولة العمانية نشأتها وتطورها وازدهارها، حصاد ندوة الدراسات العمانية المجلد الثاني، ذو الحجة ١٤٠٠هـ/ نوفمبر ١٩٨٠، وزارة التراث القومي والثقافة، مطابع سجل العرب ١٩٨١، ص ٥٠ - ١٢٩ .

ايضا انظر لاندن مرجع سابق، ص ٥٤ .

(٣) - لمزيد من التفاصيل انظر: عيدواني، مرجع سابق، ص ٧٦ - ٨٧ . السبائي، مرجع سابق، ص ٧٠، وايضا عبدالمجيد القيسي، مقدمة لمذكرات اميرة عربية، مرجع سابق.

(٤) - لمزيد من التفاصيل حول حجم التجارة والجمارك وتعريفه الدخل خلال تلك الفترة

Risso, P. Oman & Muscat: Early History, Croom Helm, 1986, pp 100 - 102, & 107 .

(٥) - عيدواني، مرجع سابق، ص ٨٠ - ٨٢ .

كما يجد القاري مزيدا من التحليلات ايضا في المرجع التالي.

- زهدي عبدالمجيد سمور، تاريخ عمان السياسي في النصف الاول من القرن التاسع عشر، ج ٢ الكويت، منشورات دار السلاسل الفصل الرابع ١٩٨٥ .

(٦) - انظر ايضا Risso, *op. cit.*, chapters 8 and 9

(٧) - يجد القاري مزيدا من التحليلات عن الحياة العسكرية والاقتصادية والعلاقات الدولية في المرجع التالي:

د / سلطان بن محمد القاسمي، تقسيم الامبراطورية العمانية ١٨٥٦ - ١٨٦٢م، دبي، مطابع البيان التجاري، ١٩٨٩، خاصة الفصل الاول.

(٨) - لمزيد من التفاصيل أرجع الى:

- الشيخ سعيد بن علي الغفيري، جبهة الاخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٦، ص ٢٤٥ - ٢٥٠ .

(٩) - لاندن، مرجع سابق، ص ٥٨ - ٦٠ .

(١٠) - لمزيد من التفاصيل انظر، جمال زكريا قاسم، الاصول التاريخية لقضية عمان، مجلة العربية للدراسات التاريخية، العدد ١٢ القاهرة ١٩٦٥/ ٦٤ .

(١١) - انظر في هذا الصدد:

- عيدواني، مرجع سابق، ص ١١٣ - ١١٨ . فيليبس، مرجع سابق، ص ١٢٤ - ١٢٨ . وايضا المعمرى ص ٢٨ والقاسمي مرجع سابق ص ٢٣ - ٦٨ .

(١٢) - انظر لاندن، مرجع سابق، ص ٥٥ .

(١٣) - انظر، لاندن، مرجع سابق، ص ٢٠٤ - ٢٤٩ .

(١٤) - يجد القاري مزيدا من التحليلات حول معاهدة السب في المراجع التالية:

- المعمرى، ص ١٢١ - ٢٢٠ - وفيليبس، ص ١٨٩، وجمال قاسم، ص ١٨٠ - ١٨١ وايضا لاندن، ص ٢٥٨ .

(١٥) - فيليبس، مرجع سابق، ص ١٧٨ - ١٨١ .

(١٦) - أرجع لمزيد من التفاصيل الى لاندن، ص ٣٥٥ - ٣٦١ .

(١٧) - اعتمدنا في تحليلنا لتلك الفترة على المراجع التالية:

- المعمرى، مرجع سابق، ص ١١٧ - ١٢٧ .. ونسل فيليبس، مرجع سابق، ص ١٧٩ - ١٨٢ .. ولاندن، مرجع سابق، ص ٣٦٧ - ٣٧٦ وايضا ولمزيد من التفاصيل انظر جمال زكريا قاسم، الخليج العربي دراسة لتاريخه المعاصر

١٩٤٥ - ١٩٧٧، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث للدراسات العربية ١٩٧٤، خاصة الفصل السابع.

[illegible][illegible]

- بنهر موسى: ١٨٤
بنقاني: ٤٩٤
بهاء (مدينة): ١٥٨، ١٧٧، ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٧٦، ٢٧٨، ٣٩٥، ١٢٣
بهاء (سور): ٢٨٧
بهاء (قلعة): ٢٧، ٩٤
بوجيمور: ٤٩٨، ٥٠٢
بوربون (جزيرة): ٥٣٢
بورت لويس: ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٣
بوشر: ٢٤١، ٤٧٩
بوشر (وادي): ١٦٦
بوشهر: ٤٣٩، ٤٤٤، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢
بولندا: ٥٠٨، ٥١٧
بومباي: ٣٠٨، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٨١، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤١١، ٤١٨، ٤٣٥، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٧٧، ٥١٦، ٥١٧
بومباي (ميناء): ٤٠٣، ٤١٠، ٥١٥
بونابرت (شابلون): ٤٤، ٤٥٣، ٤٥٦
بونت (بلاط): ٧٦، ٧٤
بوروندي: ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٢، ٥٠٦
بيت الجبل: ٢٦٢
بيت الفلج (حصن): ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧
بيت الشمام (حصن): ٢٦٦، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨٩
بيرتون بيچ: ٢٧٥
بيرنقطة: ٣٠٦
بهرن: ٢١٥، ٢٢١
الترك (جماعة): ١٣١
التركيا (جمهورية): ٤٦
التراشي (بحر): ٣٠٨
تاج بلس (سفينة): ٤٥٥، ٤٦٠
تايه (سفينة): ٤٥٥، ٤٦٦
تعاروود: ٤٤
تاتج (سيرة): ٣١٩، ٣١٥
تاي تسونج: ٣٢٠
تركي بن سعيد بن السيد: ٥٢٨، ٥٢٩، ٤٧٨، ٤٧٩، ٥٢٩
تري خان: ٤٢٣، ٤٢٤
تريم (بنو): ٢٠٨، ٢١٦، ٢١٧
تندجانيقا: ٤٨٣
تندجانيقا (بحيرة): ٤٩١، ٤٩٤، ٤٩٨
توزانيا: ٤٠٦
تقع: ٣٦
توق: ٢٤٥، ٢٤٨
توام: ٢١٢، ٢١٣
تونس: ٤٥٨
تيمور بن فيصل (السيد): ٤٨٠، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١
لغر البديلي: ١١٧، ١٢٩
ثابت قلعة العتكي: ٢٤٥
لغلة بن مالك: ٣٦
لوني بن سعيد بن سلطان (السيد): ٤٦١، ٤٦٥، ٤٧٣، ٤٧٧، ٤٨٩، ٥٢٢
جاير بن زيد (أبو الشعمام): ٢٠٨، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٣٥، ٢٣٦
آل الفلندي: ٣٩، ١٠٩، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١
آل قلعة: ١٢٠
ابن الجمع: ٢٢٦
ابن جابر موسى بن ابي المغالي موسى بن نجاد: ١٦٥
ابن جبير: ٢٧٤
ابن جرشم (جبل): ٣١٧
ابن كاوان (جزيرة): ١٠٣، ١٣٠
الجاحظ: ٣١٧
الجبور: ١٧٦، ١٧٧، ٣٧٦، ٣٧٨
الجزائر (جزائريون): ٣١١، ٣٨٥
الجزري (وادي): ٧٤، ٩٦، ٩٧
الجزيرة (بلاد): ٢٨٥
الجزيرة العربية: ١٠٥، ١١٥، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣

زيد ثابت بن زيد: ١٦٦
 ٣٢٨-٣٢٧-١٦٦
 زيد الأنصاري: ١٦٧
 ٣٣٧-٣٣٣-٣٠٠-١٨٤-١٦١-١٤١-١٠٠-٣٣٧
 ١٨٨-١٨٧-١٨٦-١٨٥-١٨٤-١٨٣-١٨٢-١٨١-١٨٠-١٧٩-١٧٨-١٧٧-١٧٦-١٧٥-١٧٤-١٧٣-١٧٢-١٧١-١٧٠-١٦٩-١٦٨-١٦٧-١٦٦-١٦٥-١٦٤-١٦٣-١٦٢-١٦١-١٦٠-١٥٩-١٥٨-١٥٧-١٥٦-١٥٥-١٥٤-١٥٣-١٥٢-١٥١-١٥٠-١٤٩-١٤٨-١٤٧-١٤٦-١٤٥-١٤٤-١٤٣-١٤٢-١٤١-١٤٠-١٣٩-١٣٨-١٣٧-١٣٦-١٣٥-١٣٤-١٣٣-١٣٢-١٣١-١٣٠-١٢٩-١٢٨-١٢٧-١٢٦-١٢٥-١٢٤-١٢٣-١٢٢-١٢١-١٢٠-١١٩-١١٨-١١٧-١١٦-١١٥-١١٤-١١٣-١١٢-١١١-١١٠-١٠٩-١٠٨-١٠٧-١٠٦-١٠٥-١٠٤-١٠٣-١٠٢-١٠١-١٠٠-٩٩-٩٨-٩٧-٩٦-٩٥-٩٤-٩٣-٩٢-٩١-٩٠-٨٩-٨٨-٨٧-٨٦-٨٥-٨٤-٨٣-٨٢-٨١-٨٠-٧٩-٧٨-٧٧-٧٦-٧٥-٧٤-٧٣-٧٢-٧١-٧٠-٦٩-٦٨-٦٧-٦٦-٦٥-٦٤-٦٣-٦٢-٦١-٦٠-٥٩-٥٨-٥٧-٥٦-٥٥-٥٤-٥٣-٥٢-٥١-٥٠-٤٩-٤٨-٤٧-٤٦-٤٥-٤٤-٤٣-٤٢-٤١-٤٠-٣٩-٣٨-٣٧-٣٦-٣٥-٣٤-٣٣-٣٢-٣١-٣٠-٢٩-٢٨-٢٧-٢٦-٢٥-٢٤-٢٣-٢٢-٢١-٢٠-١٩-١٨-١٧-١٦-١٥-١٤-١٣-١٢-١١-١٠-٩-٨-٧-٦-٥-٤-٣-٢-١-٠

سلطان بن أبي العريب (البيروني): ٣٣٧
 سلطان بن إبراهيم أحمد بن سعيد (البيروني): ٣٣٧
 سلطان بن سيف الثاني: ٣٣٧-٣٣٦-٣٣٥-٣٣٤-٣٣٣-٣٣٢-٣٣١-٣٣٠-٣٢٩-٣٢٨-٣٢٧-٣٢٦-٣٢٥-٣٢٤-٣٢٣-٣٢٢-٣٢١-٣٢٠-٣١٩-٣١٨-٣١٧-٣١٦-٣١٥-٣١٤-٣١٣-٣١٢-٣١١-٣١٠-٣٠٩-٣٠٨-٣٠٧-٣٠٦-٣٠٥-٣٠٤-٣٠٣-٣٠٢-٣٠١-٣٠٠-٢٩٩-٢٩٨-٢٩٧-٢٩٦-٢٩٥-٢٩٤-٢٩٣-٢٩٢-٢٩١-٢٩٠-٢٨٩-٢٨٨-٢٨٧-٢٨٦-٢٨٥-٢٨٤-٢٨٣-٢٨٢-٢٨١-٢٨٠-٢٧٩-٢٧٨-٢٧٧-٢٧٦-٢٧٥-٢٧٤-٢٧٣-٢٧٢-٢٧١-٢٧٠-٢٦٩-٢٦٨-٢٦٧-٢٦٦-٢٦٥-٢٦٤-٢٦٣-٢٦٢-٢٦١-٢٦٠-٢٥٩-٢٥٨-٢٥٧-٢٥٦-٢٥٥-٢٥٤-٢٥٣-٢٥٢-٢٥١-٢٥٠-٢٤٩-٢٤٨-٢٤٧-٢٤٦-٢٤٥-٢٤٤-٢٤٣-٢٤٢-٢٤١-٢٤٠-٢٣٩-٢٣٨-٢٣٧-٢٣٦-٢٣٥-٢٣٤-٢٣٣-٢٣٢-٢٣١-٢٣٠-٢٢٩-٢٢٨-٢٢٧-٢٢٦-٢٢٥-٢٢٤-٢٢٣-٢٢٢-٢٢١-٢٢٠-٢١٩-٢١٨-٢١٧-٢١٦-٢١٥-٢١٤-٢١٣-٢١٢-٢١١-٢١٠-٢٠٩-٢٠٨-٢٠٧-٢٠٦-٢٠٥-٢٠٤-٢٠٣-٢٠٢-٢٠١-٢٠٠-١٩٩-١٩٨-١٩٧-١٩٦-١٩٥-١٩٤-١٩٣-١٩٢-١٩١-١٩٠-١٨٩-١٨٨-١٨٧-١٨٦-١٨٥-١٨٤-١٨٣-١٨٢-١٨١-١٨٠-١٧٩-١٧٨-١٧٧-١٧٦-١٧٥-١٧٤-١٧٣-١٧٢-١٧١-١٧٠-١٦٩-١٦٨-١٦٧-١٦٦-١٦٥-١٦٤-١٦٣-١٦٢-١٦١-١٦٠-١٥٩-١٥٨-١٥٧-١٥٦-١٥٥-١٥٤-١٥٣-١٥٢-١٥١-١٥٠-١٤٩-١٤٨-١٤٧-١٤٦-١٤٥-١٤٤-١٤٣-١٤٢-١٤١-١٤٠-١٣٩-١٣٨-١٣٧-١٣٦-١٣٥-١٣٤-١٣٣-١٣٢-١٣١-١٣٠-١٢٩-١٢٨-١٢٧-١٢٦-١٢٥-١٢٤-١٢٣-١٢٢-١٢١-١٢٠-١١٩-١١٨-١١٧-١١٦-١١٥-١١٤-١١٣-١١٢-١١١-١١٠-١٠٩-١٠٨-١٠٧-١٠٦-١٠٥-١٠٤-١٠٣-١٠٢-١٠١-١٠٠-٩٩-٩٨-٩٧-٩٦-٩٥-٩٤-٩٣-٩٢-٩١-٩٠-٨٩-٨٨-٨٧-٨٦-٨٥-٨٤-٨٣-٨٢-٨١-٨٠-٧٩-٧٨-٧٧-٧٦-٧٥-٧٤-٧٣-٧٢-٧١-٧٠-٦٩-٦٨-٦٧-٦٦-٦٥-٦٤-٦٣-٦٢-٦١-٦٠-٥٩-٥٨-٥٧-٥٦-٥٥-٥٤-٥٣-٥٢-٥١-٥٠-٤٩-٤٨-٤٧-٤٦-٤٥-٤٤-٤٣-٤٢-٤١-٤٠-٣٩-٣٨-٣٧-٣٦-٣٥-٣٤-٣٣-٣٢-٣١-٣٠-٢٩-٢٨-٢٧-٢٦-٢٥-٢٤-٢٣-٢٢-٢١-٢٠-١٩-١٨-١٧-١٦-١٥-١٤-١٣-١٢-١١-١٠-٩-٨-٧-٦-٥-٤-٣-٢-١-٠

سلطان بن مرشد المغربي: ٣٤٢
 سلطان حسن (الشافعي): ٤٠٦
 سلطانية (سفيانية): ٤٥٥
 سلمان الفارسي: ٦٧٦
 سلمة بن مسلم العوفي الصنعائي: ٦٧٦-٦٥٥-٦٤٤-٦١٦-٦١٥-٦١٤-٦١٣-٦١٢-٦١١-٦١٠-٦٠٩-٦٠٨-٦٠٧-٦٠٦-٦٠٥-٦٠٤-٦٠٣-٦٠٢-٦٠١-٦٠٠-٥٩٩-٥٩٨-٥٩٧-٥٩٦-٥٩٥-٥٩٤-٥٩٣-٥٩٢-٥٩١-٥٩٠-٥٨٩-٥٨٨-٥٨٧-٥٨٦-٥٨٥-٥٨٤-٥٨٣-٥٨٢-٥٨١-٥٨٠-٥٧٩-٥٧٨-٥٧٧-٥٧٦-٥٧٥-٥٧٤-٥٧٣-٥٧٢-٥٧١-٥٧٠-٥٦٩-٥٦٨-٥٦٧-٥٦٦-٥٦٥-٥٦٤-٥٦٣-٥٦٢-٥٦١-٥٦٠-٥٥٩-٥٥٨-٥٥٧-٥٥٦-٥٥٥-٥٥٤-٥٥٣-٥٥٢-٥٥١-٥٥٠-٥٤٩-٥٤٨-٥٤٧-٥٤٦-٥٤٥-٥٤٤-٥٤٣-٥٤٢-٥٤١-٥٤٠-٥٣٩-٥٣٨-٥٣٧-٥

الفهرس

[illegible]

عبدالله بن مروان: ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨

[illegible]

- ملقا: ٣٧٣، ٥١٥
ملوخا: ٨٩، ٨٨، ٨٧، ٨٦، ٨٥، ٨٤، ٨٣، ٨٢، ٨١، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٤، ٦٣، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٥١، ٥٠، ٤٩، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٣، ٤٢، ٤١، ٤٠، ٣٩، ٣٨، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٣، ٣٢، ٣١، ٣٠، ٢٩، ٢٨، ٢٧، ٢٦، ٢٥، ٢٤، ٢٣، ٢٢، ٢١، ٢٠، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦، ١٥، ١٤، ١٣، ١٢، ١١، ١٠، ٩، ٨، ٧، ٦، ٥، ٤، ٣، ٢، ١، ٠
- مملكة اكسوم: ٣٠٦
منج (مدينة): ٣٧٨، ١٧٦، ٢١، ٢٠
منطقة الناحية: ٢٩٦
مئي: ٢٢٣
مئي (سوق): ٢١
مهنا بن جعفر (الإمام): ٢١٧، ١٥٦
موريس (جزيرة): ٤١٤
موريشيوس (جزيرة): ٥١٩، ٤٥٠، ٤١٨، ٤٣١، ٤١٠، ٤٠٣، ٣٨٥، ٣٣٠
موزمبيق: ٥١٩، ٥٠٦، ٤٩٢، ٤١٧، ٤٦٣، ٤١٩، ٤١٠، ٤٠٣، ٣٨٥، ٣٣٠
موسي (عليه السلام): ٣٩
موسي بن أبي جابر الأزكي: ١٥٣، ٢٣٥، ٢٣٦
موسي بن علي: ٢٣٥، ٢٣٦
موسي بن موسى: ١٥٧
موسي بن نصير: ٢١٤
ميراب: ٢٣٠، ٢٢٥، ٢٢٤
ميتج (سيرة صينية): ٣١٦
ناحية بن تاجية: ٢٢٨
الأنصار: ١١٩، ١٢٠
الناصر الرموي: ٢٢٤
النهائية: ٢٥٣، ٢٤٥
النهائية (سلسلة): ١٨٣
النجاشي: ١١٦
النجف: ٤٤٢
النجف بن أبي صفر: ١٢٩، ١٣٠
النزارية: ٢٣٨
النزاريون: ١٦٦، ١٦٧
النيل: ٧٦
النيل (وادي): ٣١٢، ٧٧، ٧٦
بني نهران: ١١١
ناحية (بنو): ٣٦١
نادر (بيت السيد): ٢٨٨، ٢٨٩
نادر بن حميد (السيد): ٤٠٨
نادر شاه: ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥

أسماء الباحثين الذين تقدموا ببحوث لندوة عمان في التاريخ المنعقدة خلال الفترة من ٢٧/٩/١٩٩٤،

- د / ابراهيم الزين صغريون
- استاذ التاريخ - جامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان
- د / احمد شلبي
- استاذ متفرغ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية
- د / أمال محمد خليل
- استاذة التاريخ - كلية البنات - جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.
- د / أمل الزياتي
- المستشار بوزارة الخارجية - دولة البحرين.
- د / جاد محمد طه
- عميد كلية الآداب - جامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان
- د / جويس زكريس
- خير آثار بجامعة جنوب غرب ميسوري - أمريكا
- د / خالد الغزي
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق
- د / خليل شاكر حسن
- استاذ التاريخ - جامعة المستنصرية - عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق
- د / رافت غنيمي الشيش
- رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة الزقازيق - جمهورية مصر العربية .
- د / رضا جواد الهاشمي
- استاذ التاريخ - جامعة بغداد - جمهورية العراق.
- د / رمزية محمد الاطرجي
- استاذة بمعهد التراث العلمي - جامعة بغداد - عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- د / زبيده علما
- رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة المنيا - جمهورية مصر العربية.
- د / سحر السيد عبدالعزيز
- استاذة مساعد - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - جمهورية مصر العربية.
- د / سعد بن سعيد الحميدي
- استاذ بكلية اللغة والعلوم الاجتماعية - جامعة ابها - المملكة العربية السعودية.
- المهندس / سعيد بن محمد الصقلاوي
- سلطنة عمان
- د / سمير محمد طه
- استاذ التاريخ - كلية الآداب - جامعة سوهاج - جمهورية مصر العربية.
- د / سني محمد الطائي
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- د / السيد عبدالعزيز سالم
- استاذ التاريخ - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - جمهورية مصر العربية.
- د / سيده اسماعيل الكاشف
- استاذة التاريخ - كلية البنات - جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.
- د / شاكر محمود عبدالمع
- استاذ التاريخ - جامعة المستنصرية - جمهورية العراق.
- د / صالح محمد العابد
- استاذ التاريخ - جامعة بغداد - جمهورية العراق.
- د / صباح ابراهيم الشبيخي
- استاذة التاريخ - جامعة بغداد - جمهورية العراق.
- د / طارق نافع الحمداني
- استاذ التاريخ - جامعة بغداد - جمهورية العراق
- د / عبدالامير محمد امين
- استاذ التاريخ - جامعة اليرموك - الاردن.
- د / عبدالحميد الوالي
- وكالة الأنباء العمانية - سلطنة عمان.
- د / الفاضل / عبدالله بن ناصر الحارثي
- جامعة السلطان قابوس - سلطنة عمان.
- د / عبدالله محمد عبد الرحمن
- استاذ مساعد بقسم الاجتماع - كلية الآداب - جامعة الاسكندرية - جمهورية مصر العربية.
- د / عبداللطيف الرميحي
- مدير عام مكتب معالي الشيخ / رئيس الوزراء بدولة البحرين

- أ د / عبدالفتاح حسن ابوعلية
- استاذ بكلية العلوم الإسلامية - جامعة الامام محمد بن سعود - المملكة العربية السعودية.
- د / عبدالقادر حمود القحطاني
- قسم التاريخ - كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية - جامعة قطر - دولة قطر.
- د / عبدالنعم عبدالحميد سلطان
- استاذ التاريخ بكلية الآداب - جامعة سوهاج - جمهورية مصر العربية
- أ د / عبدالنعم محمد حستين
- استاذ التاريخ - كلية الآداب - جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.
- أ د / علي منصور نصر
- استاذ التاريخ - جامعة البحرين - دولة البحرين.
- د / غازي رجب محمد
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- د / فرحات علي الجعيري
- استاذ التاريخ - جامعة القيروان - تونس.
- د / فؤاد شهاب
- استاذ التاريخ - جامعة البحرين - دولة البحرين.
- د / فوزي رشيد
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- د / لطفي جعفر فرج
- استاذ التاريخ - جامعة المستنصرية - جمهورية العراق.
- د / محمد باقر الحسيني
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- د / محمد حرب فرزات
- استاذ التاريخ - كلية الانسانيات والعلوم الاجتماعية - جامعة قطر - دولة قطر.
- د / محمد رمزي
- استاذ التاريخ - جامعة دمشق - الجمهورية العربية السورية.
- د / محمد سعيد شكري
- استاذ التاريخ - جامعة عدن - الجمهورية اليمنية.
- د / محمد صابر عرب
- استاذ التاريخ - جامعة الازهر - جمهورية مصر العربية.
- أ د / محمد محمود السروجي
- استاذ متفرغ بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية - جمهورية مصر العربية.
- أ د / محمد علي الداود
- عضو اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- أ د / مصطفى الشكعة
- استاذ متفرغ بكلية الآداب - جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.
- د / مصطفى عبدالقادر النجار
- اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- د / مصطفى عقيل
- استاذ التاريخ - جامعة قطر - دولة قطر.
- د / منير يوسف طه
- المتحف العراقي - دار الآثار والتراث - جمهورية العراق.
- د / ناهض عبدالرزاق دفتري
- استاذ مساعد بقسم الآثار - كلية الآداب - جامعة بغداد - جمهورية العراق.
- الاستاذ / يوسف الشاروني
- جمهورية مصر العربية.
- أ د / يوسف حسن غوانمه
- عميد كلية الآداب - جامعة الأردن - المملكة الاردنية الهاشمية.
- أ د / يوسف نعيسه
- استاذ التاريخ - جامعة دمشق - الجمهورية العربية السورية.

أسماء المشاركين في ندوة عمان في التاريخ المنعقدة خلال الفترة من ٢٤-٢٧/٩/١٩٩٤م

- الفاصل / احمد جلال تدمري
- مدير الدراسات والوثائق - الديوان الاميري - رأس الخيمة - دولة الامارات العربية المتحدة.
- أ د / احمد عبدالرحيم مصطفى
- جامعة عين شمس - كلية الآداب - قسم التاريخ - جمهورية مصر العربية.

- أ د / احمد عبدالرزاق
- رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.
- أ د / أسامة ناصر النقشبندى
- رئيس دائرة وسام المؤرخ العربي - اتحاد المؤرخين العرب - جمهورية العراق.
- الاستاذ / اسماعيل الحاج عبدالحليم
- استاذ التاريخ الاسلامي - الجامعة الوطنية بكوالالمبور - ماليزيا.
- الفاضلة / أمنة راشد الحمدان
- رئيس قسم البحوث بمركز التراث الشعبي - دولة قطر.
- أ د / ايمن فؤاد سيد
- استاذ تاريخ الدراسات العليا - جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- د / التيجاني بن حمادي بوريقه
- دكتور دولة في الآداب - استاذ تعليم عالي بجامعة الزيتونة - الجمهورية التونسية.
- د / خالد الخليفة
- جامعة البحرين - دولة البحرين.
- أ د / رجب عبدالحليم
- استاذ ورئيس قسم التاريخ - معهد الدراسات الافريقية جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- د / سمير صيقل
- استاذ مشرف في دائرة التاريخ - الجامعة الامريكية - الجمهورية اللبنانية.
- أ د / سيد احمد علي الناصري
- رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- د / شيرين عبدالنعيم محمد حسنين
- استاذة بكلية الآداب - جامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية
- أ د / صالح علي باصره
- رئيس قسم التاريخ بكلية التربية - جامعة عدن - الجمهورية اليمنية.
- أ د / عبدالرحمن راشد الشمالان
- استاذ التاريخ جامعة الملك سعود - عضو الجمعية التاريخية السعودية - المملكة العربية السعودية.
- أ د / عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم
- رئيس قسم التاريخ - جامعة العين - دولة الامارات العربية المتحدة.
- د / عبدالعزيز بن صالح الهلاي
- استاذ التاريخ - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية.
- أ د / عبدالكريم كريم
- رئيس قسم جمعية المؤرخين المغاربة - جامعة محمد الخامس - المملكة المغربية.
- أ د / ليبد ابراهيم احمد
- مدير بيت الحكمة - جامعة بغداد - جمهورية العراق.
- أ د / محمد حسنين ربيع
- عميد كلية الآداب - جامعة القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- أ د / محمد جاسم حمادي المشهداني
- الامين العام المساعد لاتحاد المؤرخين العرب - بغداد - جمهورية العراق.
- أ د / محمد عميره
- عميد معهد التاريخ - جامعة الجزائر - الجمهورية الجزائرية
- أ د / محمد المختار بن احمدو
- الامين العام لرابطة المؤرخين الموريتانيين - موريتانيا
- د / محمد مرسي عبدالله
- مدير مركز الدراسات والوثائق - ابوظبي - دولة الامارات العربية المتحدة.
- د / مفيد العابد
- رئيس قسم التاريخ - جامعة دمشق - الجمهورية العربية السورية.
- أ د / ناصر العولقي
- نائب رئيس جامعة صنعاء - الجمهورية اليمنية.
- أ د / نيقولا زياده
- استاذ مشرف في دائرة التاريخ - الجامعة الامريكية - الجمهورية اللبنانية.
- أ د / يوسف فضل حسن
- استاذ التاريخ بجامعة الخرطوم - جمهورية السودان.
- أ د / يوسف محمد عبدالله
- نائب رئيس هيئة الآثار ودور الكتب - صنعاء - الجمهورية اليمنية.
- أ د / يوتان لبيب رزق
- رئيس قسم التاريخ - كلية البنات بجامعة عين شمس - جمهورية مصر العربية.

اللجنة الرئيسية المشرفة على اعداد كتاب عمان في التاريخ

رئيس اللجنة	- معالي / عبدالعزيز بن محمد الرواس
نائب الرئيس	- سعادة / حمد بن محمد الراشدي
عضو اللجنة	- سعادة الشيخ / يحيى بن عبدالله النهدي
“	- الفاضل / احمد بن سعود السيابي
“	- الشيخ / سيف بن سعود البطاشي
“	- الشيخ / محمود بن زاهر الهنائي
“	- سعادة الشيخ / احمد بن عبيد الكعبي
“	- الفاضل / محمد بن سعيد الوهيبي
“	- الفاضل / سيف بن حمد المسكري
“	- الفاضل / خليل بن حمدان طيش
“	- الشيخ / مهنا بن خلفان الخروصي
أمين سر اللجنة	- سعادة / سالم بن محمد العبري
مساعد أمين سر اللجنة	- الفاضل / عبدالله بن ناصر الرحبي

● قام باستخلاص النص وترتيب الأبواب والفصول:

- د. محمد صابر عرب

- د. رجب محمد عبدالحليم

● التصميم والاعراج: د. بيتر فاين

● تنفيذ التصميم والاعراج: والعمانية للإعلان والعلاقات العامة، ص.ب: ٢٢٠٢ رمز بريدي: ١١٢ مسقط

● التنظيم الإداري للدعوة: عبدالله بن شويين الحوسني

● شارك في مراجعة ومتابعة طباعة الكتاب: سعاد بنت محمد الحارثي - سالم بن سعيد الحبسي

إن تاريخ الحضارة العمانية من الناحية التاريخية أمثلة السمو الاخلاقي والشجاعة والبطولات الى جانب المهارات البحرية والاهتمام بالعلوم والاعمال الجادة الدولة - والتي تضافرت جميعها لتصل الدولة العمانية الى ما هي عليه الآن.

ومن خلال تسجيلهم للجهود الكبيرة التي تبذلها اسلافنا العمانيون المتميزون ، فان المؤرخين الذين قاموا بتجميع هذا السفر ، يذكروننا بأمجاد ومنجزات اولئك الاسلاف ، ويتيحون لنا الفرصة لتفهم اعمق لما قامت عليه عمان الحديث من تجربة إنسانية ثرية.

إن كتاب «عمان في التاريخ» هو نتاج الجهد الكبير الذي بذل من اجل كتابة أول تسلسل تاريخي لعمان بأسلوب بحثي حديث. لقد استفاد هذا العمل جهد كبار العلماء العرب الذين قاموا بأجراء دراسات موسعة. قامت بمراجعتها لجنة خاصة ، طرح بعدها هذا العمل للنقاش على مدى أربعة ايام بجامعة السلطان قابوس في سبتمبر عام ١٩٩٤م.

وقد شارك في الندوة اكااديميون من مختلف المؤسسات العلمية في العالم العربي.

ينقسم الكتاب الى خمسة اجزاء مترتبة على شكل ابواب يضم كل باب منها مظاهر معينة من التاريخ العماني.

فالجزء الاول من الكتاب يهتم بالظواهر الجغرافية والبنية البشرية الى جانب الدراسات المتصلة بالبنية الارضية والاجتماعية والسياسية للدولة العمانية اما الجزء الثاني فيعود بالقارئ الى الحقبة المبكرة من تاريخ عمان مع وصف للهيكل الاجتماعي في تلك الحقبة.

الجزء الثالث يتحدثنا عن الوضع في الدولة منذ فجر الاسلام وحتى ايام الرحالة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي.

ومن خلال الفصل الرابع يستعرض لنا الكتاب الشخصية الفريدة لعمان من مختلف الجوانب التاريخية. فالاباضية قد لعبت دورا كبيرا في تشكيل المجتمع العماني، كما اننا نستطيع ان نتعرف على عدة مظاهر حضارية للتراث العماني من خلال فن المعمار والتقاليد البحرية.

الباب الخامس للكتاب ينتقل بنا من تأسيس دولة اليعاربة وجهود الامام ناصر بن مرشد لتوحيد الدولة الى استعراض كامل للدولة البوسعيدية منذ نشأتها حتى بزوغ فجر سلطنة عمان الحديثة.

إن كتاب «عمان في التاريخ» هو اكثر المعالجات شمولية للتاريخ العماني والتي تم نشرها حتى الآن. فهو لا يقدم لنا مجرد صورة للماضي العريق لعمان، ولكنه يعتبر مرجعا هاما لكل الذين يحاولون التعرف على حاضر الجزيرة العربية من خلال دراستهم لتاريخها.



كتاب «عُمان في التاريخ» يعد
أكثر المحاولات المطبوعة شمولاً
لرصد تاريخ عُمان
وهو لا يعطي صورة متكاملة
لتاريخ هذا البلد العريق فحسب
بل يمثل مرجعاً أساسياً
لكل الذين يحاولون فهم
حاضر الجزيرة العربية
من خلال دراسة
تاريخها.

